سَمِعْتُ الشَّيْخَ يَقُولُ

أَو

دَرْبُ السَّلَامَة

فِي إِرْشَادَاتِ العَلَّامَة

الشَّيخُ جَمِيل بن محمَّد علي حَلِيم
دكتور محاضر في العقائد والفرق
رئيس جمعية المشايخ الصوفيَّ

الطبعة الثالثة

1440 هـ - 2019 ر

شركة دار المشاريع

بيروت - لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون،
بناية الإخلاص
تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤ ٣(١ ٩٦١)٠٠
صندوق بريد: ٥٢٨٣ - ١٤ بيروت - لبنان



نظرًا لنفاد نسخ الطبعة الأولى والثانية إثرَ إقبال طالبي العلم والدعاة عليها من بلادٍ شتى ارتأينا إصدار طبعة ثالثة مع إضافات كثيرة من نفائس الحافظ الهرري وبالله التوفيق.

يقولُ الإمامُ الـمُزَنِيُّ:

«قرأتُ كتابَ الرسالةِ على الشّافعيّ ثمانين مرة، فَمَا مِن مرةٍ إلّا وكان يقفُ عَلَى خطأ، فقالَ الشّافعيُّ: هِيه، أَبَى اللّهُ أن يكونَ كِتابًا صحيحًا غير كِتَابِهِ».

أَخِي القارئُ الكريم،
مَا كَان من خطأٍ في كتابنا أَرْشِدنا إليهِ
فَإنَّنا لَا نَدَّعي العِصمة،
ونحن لكَ من الشّاكرين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

التوطئة

الميزان في بيان عقيدة أهل الإيمان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم وشرَّف وكرَّم على سيِّدنا محمَّد، الحبيبِ المحبوبِ، العظيمِ الجاهِ، العالي القدرِ طه الأمين، وإمامِ المرسلينَ وقائدِ الغرّ المحجَّلينَ، وعلى ذُرِّيته وأهلِ بيته الميامين المكرّمين، وعلى زوجاته أمَّهات المؤمنين البارّات التقيَّات النقيَّات الطاهرات الصفيَّات، وصحابته الطيِّبين الطَّاهِرِينَ، ومن تَبِعهم بإحسان إلى يوم الدين .أما بعد، فهذه عقيدة كل الأمة الإسلامية سلفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تُعْرَضُ عليه عقائدُ الناس، فمن خالفها أو كذبها لا يكونُ من المسلمينَ، وهي ميزان الحقِّ الذي يَكْشِفُ زيْفَ الباطلِ وزيغَهُ، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهمّ لخصوصِ الغَرضِ وعمومِ النَّفْعِ؛ وعليه:

اعلم أرشدَنا اللهُ وإياكَ أنهُ يجبُ على كلِّ مكلفٍ أن يعلمَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكِهِ، خلقَ العالمَ بأسرِهِ العلويَّ والسفليَّ والعرشَ والكرسيَّ، والسمٰواتِ والأرضَ وما فيهمَا وما بينهُمَا. جميعُ الخلائِقِ مقهورونَ بقدرتِهِ، لا تتحرَكُ ذرةٌ إلا بإذنِهِ، ليس معهُ مُدَبّرٌ في الخلقِ ولا شريكٌ في الملكِ، حي قيومٌ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ لا يخفى عليه شيء في الأرضِ ولا في السماءِ، يعلمُ ما في البرّ والبحرِ، وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُهَا، ولا حبةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ .أحاطَ بكلِ شيء علمًا وأحصَى كلّ شيءٍ عددًا، فعالٌ لما يريدُ، قادرٌ على ما يشاءُ، له الملكُ وله الغِنى، وله العِزُّ والبقاءُ، وله الحكمُ والقضاءُ، وله الأسماءُ الحسنى، لا دافعَ لما قضَى، ولا مانعَ لما أعطَى، يَفْعَلُ في ملكِهِ ما يريدُ، ويَحْكُمُ في خَلْقِهِ بما يشاءُ، لا يَرجُو ثوابًا ولا يخافُ عقابًا، ليس عليهِ حقٌ يلزَمُهُ ولا عليهِ حُكْمٌ، وكلُّ نِعْمةٍ منْهُ فَضْلٌ وكل نِقْمةٍ منه عَدْلٌ، لا يُسألُ عمّا يَفْعَلُ وهم يُسْألونَ .مَوجودٌ قبلَ الخَلْقِ، ليسَ لهُ قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كلٌّ ولا بعضٌ، ولا يقالُ متَى كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كانَ ولا مكانَ، كوَّنَ الأكوانَ، ودبَّرَ الزمانَ، لا يتقَيَّدُ بالزمانِ، ولا يتخصَّصُ بالمكانِ، ولا

يشغَلُهُ شأْنٌ عن شأْنٍ، ولا يلحقُهُ وهمٌ ولا يكتنِفُهُ عقلٌ، ولا يتخصَّصُ بالذّهنِ، ولا يتمثَّلُ في النفسِ، ولا يُتَصَورُ في الوهمِ، ولا يتكيفُ في العقلِ، لا تَلْحَقُهُ الأوهامُ والأفكارُ، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى].

نقولُ جازمين معتقدِين صادِقين مخلِصين، بأنّا نشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له، الواحدُ الأحدُ، الفردُ الصّمدُ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، الذي لم يتخذْ صاحبةً وليس له ولدٌ ولا والدةٌ، الأولُ القديمُ الذي لا يُشبِه مخلوقَاته بوجهٍ من الوجوه، لا شبيهَ ولا نظيرَ له، ولا وزيرَ ولا مُشيرَ له، ولا مُعينَ ولا ءامِرَ له، ولا ضِدَّ ولا مُغالِبَ ولا مُكْرِهَ له، ولا نِدَّ ولا مِثلَ له، ولا صورةَ ولا أعضاءَ ولا جوارحَ ولا أَدواتَ ولا أَركانَ له، ولا كيفيةَ ولا كميةَ صغيرةً ولا كبيرةً له فلا حَجْمَ له، ولا مِقدارَ ولا مِقياسَ ولا مِساحةَ ولا مَسافةَ له، ولا امتدادَ ولا اتِّساعَ له، ولا جهةَ ولا حَيِّزَ له، ولا أَينَ ولا مكانَ له، كان الله ولا مكان وهو الآنَ على ما عليهِ كانَ بلا مكان.

تنزَّه ربّي عن الجلوسِ والقعودِ والاستقرارِ والمحاذاةِ، الرّحمٰنُ على العرشِ استوى استواءً منزهًا عن المماسةِ والاعوجاجِ، خلقَ العرشَ إظهارًا لقدرتِهِ ولم يتَّخِذه مكانًا لذاتِهِ، ومن اعتقدَ أنَّ اللهَ جالسٌ على العرشِ فهو كافرٌ، الرّحمٰنُ على العرشِ استوى كما أخبرَ لا كما يخطرُ للبشرِ، فهو قاهرٌ للعرشِ مُتَصرِّفٌ فيه كيف يشاءُ، تنزَّهَ وتقدَّسَ ربّي عن الحركةِ والسكونِ، وعن الاتصالِ والانفصالِ والقُربِ والبُعدِ بالحِسّ والمسافةِ، وعن التَّحوُّلِ والزّوالِ والانتقالِ، جلَّ ربّي لا تُحيطُ به الأَوهامُ ولا الظُّنونُ ولا الأفهامُ، لا فِكرةَ في الرَّبِّ، لا إلٰه إلا هو، تقدَّسَ عن كلِّ صفاتِ المخلوقينَ وسِمَاتِ المحدَثينَ، لا يَمَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُحَسُّ ولا يُجَسُّ، لا يُعرَفُ بالحواسِّ ولا يُقاسُ بالناس، نُوَحِّدُه ولا نُبَعِّضُه، ليس جسمًا ولا يتَّصِفُ بصفاتِ الأجسام، فالمجسِّم كافر بالإجماع وإن قال) الله جسمٌ لا كالأجسام (وإن صام وصلى صورةً، فالله ليس شبحًا، وليس شخصًا، وليس جوهرًا، وليس عَرَضًا، لا تَحُلُّ فيه الأعراضُ، ليس مؤلَّفًا ولا مُرَكَّبًا، ليس بذي أبعاضٍ ولا أجزاءٍ، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غَيمًا وليس

هواءً وليس نارًا، وليس روحًا ولا له روحٌ، لا اجتماعَ له ولا افتراقَ، لا تجري عليه الآفاتُ ولا تأخذُه السِّنَاتُ، منزّهٌ عن الطُّولِ والعَرْضِ والعُمْقِ والسَّمْكِ والتركيبِ والتأليفِ والألوانِ، لا يَحُلُّ فيه شيء، ولا يَنْحَلُّ منه شيء، ولا يَحُلُّ هو في شيء، لأنه ليس كمثله شيء، فمن زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان مُحدَثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا، وهو معكم بعلمه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء مخالطًا لكم.

وكلَّم الله موسى تكليمًا، وكلامُه كلامٌ واحدٌ لا يتبعض ولا يتعدد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتَدأً ولا مُختَتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌّ أبديٌّ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام . كلامُه صفةٌ من صفاتِه، وصفاتُه أزليةٌ أبديةٌ كذاتِه، وصفاته لا تتغيَّر لأنَّ التغيُّرَ أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصفةِ يستلزمُ حدوثَ الذاتِ، والله منزَّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصونوا عقائدكم من التَّمَسُّكِ بظاهِرِ ما تشابه من الكتابِ والسنَّةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ ٧٤﴾ [سورة النحل]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ ٦٠﴾ [سورة النحل]، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [سورة مريم]، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ٤٢﴾ [سورة النجم]، ومن زعم أن إلهنا محدودٌ فقد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصِحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربّنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفر.

﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ٣﴾ [سورة فاطر]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [سورة الصافات]، ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ١٦﴾ [سورة الرعد]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢١﴾ [سورة الفرقان]، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل ما دخل في الوجود من الأجسام والأجرام

والأعمال والحركات والسّكنات والنّوايا والخواطر وحياةٍ وموتٍ وصحةٍ ومرضٍ ولذّةٍ وألمٍ وفرحٍ وحزنٍ وانزعاجٍ وانبساطٍ وحرارةٍ وبرودةٍ وليونةٍ وخشونةٍ وحلاوةٍ ومرارةٍ وإيمانٍ وكفرٍ وطاعةٍ ومعصيةٍ وفوزٍ وخُسرانٍ وتوفيقٍ وخذلانٍ وتحركاتِ وسكناتِ الإنس والجن والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار وأوراق الشجر وحبات الرمال والحصى في السهول والجبال والقفار فهو بخلق الله، بتقديره وعلمه الأزلي، فالإنس والجن والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئًا من أعمالهم، وهم وأعمالهم خلق لله، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ٩٦﴾ [سورة الفرقان] ومن كذَّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أن سَيِّدَنا ونبيَّنا وعظيمنا وقائدَنا وقُرَّة أعينِنا وغوثنا ووسيلتنا ومعلمنا وهادينا ومرشدنا وشفيعنا محمَّدًا عبدُه ورسولُه، وصفيُّه وحبيبُه وخليلُه، مَن أرسَلَه اللهُ رحمةً للعالمين، جاءنا بدين الإسلام ككُلِّ الأنبياء والمرسلين، هاديًا ومُبَشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه قمرًا وهَّاجًا وسِراجًا مُنيرًا، فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فعَلَّمَ وأرشدَ ونصحَ وهدى إلى طريق الحقِّ والجنَّة، صلى الله عليه وعلى كلِّ رسولٍ أرسَلَه، ورضي الله عن ساداتنا وأئمتنا وقدوتنا وملاذنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر العشرة المبشرين بالجنة الأتقياء البررة وعن أمهات المؤمنين زوجات النبي الطاهرات النقيات المبرآت، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الفضل والمِنَّة أن هدانا لهذا الحق الذي عليه الأشاعرة والماتريدية وكل الأمة الإسلامية، والحمد لله رب العالمين.

نبذة مختصرة عن الشيخ عبد الله الهرريّ (المعروف بالحبشيّ)

. اسمه ومولده:

هو العالِم الجليل قدوة المحقّقين وعمدة المدقّقين صدر العلماء العاملين الإمام المحدّث التقي الزاهد والفاضل العابد صاحب المواهب الجليلة الشيخ أبو عبد الرَّحمن عبد الله بن محمَّد بن يوسف بن عبد الله بن جامع الشَّيبي[1] العبدري[2] القرشي نسبًا الهرري موطنًا المعروف بالحبشي.

. مولده ونشأته:

وُلِدَ في مدينة هرر حوالي سنة 1328هـ. 1910ر، ونشأ في بيتٍ متواضع محبًّا للعِلم ولأهله فحفظ القرءان الكريم استظهارًا وترتيلًا وإتقانًا وهو قريب العاشرة من عمره في أحد كتاتيب باب السلام في هرر، وأقرأه والده كتاب «المقدمة الحضرمية في فقه السادة الشافعية» وكتاب «المختصر الصغير فيما لا بد لكل مسلم من معرفته» وهو كتاب مشهور في بلاده وكلاهما للشيخ عبد الله بافضل الحضرمي الشافعي، ثم حُببَ إليه العلم فأخذ عن بعض علماء بلده وما جاورها، وعكف على الاغتراف من بحور العلم فحفظ عددًا من المتون في مختلف العلوم الشرعية.

. رحلاته:

---

(1) بنو شيبة بطن من عبد الدار من قريش وهم حجبة الكعبة المعروفون ببني شيبة إلى الآن، انتهت إليهم من قبل جدهم عبد الدار حيث ابتاع أبوه قصيّ مفاتيح الكعبة من أبي غبشان الخزاعي، وقد جعلها النبي ﷺ في عقبهم. **سبائك الذهب**، شهاب الدين القلقشندي، (ص68).

(2) بنو عبد الدار بطن من قصي بن كلاب جدّ النبي ﷺ الرابع. **سبائك الذهب**، شهاب الدين القلقشندي، (ص68).

لم يكتفِ رضي الله عنه بعلماء بلدته وما جاورها بل جال في أنحاء الحبشة ودخل أطراف الصومال مثل هرگيسا لطلب العِلم وسماعه من أهله وله في ذلك رحلات عديدة لاقى فيها المشاق والمصاعب، غير أنه كان لا يأبه لها بل كلما سمع بعالِمٍ شدّ رحاله إليه ليستفيد منه وهذه عادة السلف الصالح، وساعده ذكاؤه وحافظته العجيبة على التعمّق في الفقه الشافعي وأصوله ومعرفة وجوه الخلاف فيه، وكذا الشأن في الفقه المالكي والحنفي والحنبلي، ثم أولى علم الحديث اهتمامه رواية ودِراية فحفظ الكتب الستة وغيرها بأسانيدها وأجيز بالفتوى ورواية الحديث وهو دون الثامنة عشرة حتى صار يُشار إليه بالأيدي والبنان ويُقصد وتشدُّ الرحال إليه من أقطار الحبشة والصومال حتى صار على الحقيقة مفتيًا لبلده هرر وما جاورها.

ثم رحل إلى مكة المكرمة بعد أن كثر تقتيل العلماء وذلك حوالي سنة 1369هـ - 1949 فتعرّف على عدد من علمائها كالشيخ العالِم السيّد علوي المالكي والشيخ السيد أمين الكتبي والشيخ محمد ياسين الفاداني والشيخ حسن مشاط وغيرهم وربطته بهم صداقة وطيدة، وحضر على الشيخ محمّد العربي التبّان، واتصل بالشيخ عبد الغفور العباسي المدني النقشبندي فأخذ منه الطريقة النقشبنديّة.

ورحل بعدها إلى المدينة المنوّرة واتصل بعدد من علمائها منهم الشيخ المحدث محمّد علي أعظم الصديقي البكري الهندي الأصل ثم المدني الحنفي وأجازه، واجتمع بالشيخ المحدث إبراهيم الختني تلميذ المحدث عبد القادر شلبي وحصلت بينهما صداقة ومودة، ثم لازم مكتبة عارف حكمت والمكتبة المحمودية مطالعًا منقبًا بين الأسفار الخطيَّة مغترفًا من مناهلها فبقي في المدينة مجاورًا مدة من الزمن.

ثم رحل إلى بيت المقدس حوالي سنة 1370هـ - 1950ر ومنه توجَّه إلى دمشق فاستقبله أهلها بالترحاب لا سيما بعد وفاة محدّثها الشيخ بدر الدين الحسني رحمه الله، ثم سكن في جامع القطاط في محلة القيمرية وأخذ صيته في الانتشار فتردّد عليه مشايخ الشام

وطلبتها وتعرَّف على علمائها واستفادوا منه وشهدوا له بالفضل وأقرُّوا بعلمه واشتهر في الديار الشامية «بخليفة الشيخ بدر الدين الحسني» و«بمحدّث الديار الشاميّة»، ثم تنقل في بلاد الشام بين دمشق وبيروت وحمص وحماه وحلب وغيرها من المدن السورية واللبنانية إلى أن استقر ءاخرا في بيروت.

. مشايخه:

1 – هرر ونواحيها:

أخذ عن والده محمد بن يوسف كما تقدم، وعن كبير علي شريف القرءان الكريم حفظًا وتجويدًا وترتيلًا وعلم التوحيد، وعن العالم النحرير الشيخ الولي محمد بن عبد السلام الهرري الفقه الشافعي والنحو، وقرأ على الشيخ محمد بن عمر جامع الهرري علم التوحيد والفقه الشافعي والنحو، وقرأ على الشيخ إبراهيم ابن أبي الغيث الهرري كتاب «عمدة السالك وعدة الناسك» لأحمد بن النقيب الشافعي، وعلى الشيخ الصالح أحمد الضرير الملقب بالبصير النحو والصرف والبلاغة، والشيخ محمد بن علي البَلْبَليتي الشافعي علم الفلك والميقات. وقرأ على الشيخ يونس عفاره الهرري «فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب» للشيخ زكريا الأنصاري.

2 – غربي الحبشة:

أخذ في جِمَّه عن الشيخ بشرى گاروكي علم العروض والقوافي، وقرأ على الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله الحبشي المعروف بالمصري صحيح مسلم وسنن النسائي وبعضًا من صحيح ابن حبان والسنن الكبرى للبيهقي و«تدريب الراوي شرح تقريب النووي» للحافظ السيوطي وسمع منه المسلسل بالأولية ثم أجازه بسائر مروياته.

وقرأ في ناحية جِمَّه على الشيخ يونس گوراكي كتابَ «فتح الجواد في شرح الإرشاد لابن المقري» للشيخ أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي و«غاية الوصول شرح الأصول» للشيخ زكريا الأنصاري وغير ذلك.

وأخذ عن الشيخ محمد شريف الهديي الحبشي في ناحية جِمَّه في قرية شِيرو النحو والصرف

وحضر عليه في التفسير.

وقرأ على الشيخ أحمد دگو في چرين «جمع الجوامع» للسبكي بشرح المحلي، وأدرك الشيخ إبراهيم القَتْبَاري في ءاخر عمره لما سكن جِمَّه وقرأ عليه «تحفة الطلاب بشرح متن تحرير تنقيح اللباب» للشيخ زكريا الأنصاري.

3 – شمالي الحبشة:

ارتحل إلى رايَّه وهي تبعد عن هرر نحو ألف كيلومتر فقرأ على مفتي الحبشة الشيخ محمد سراج الجبرتي سنن أبي داود وابن ماجه وشرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر للحافظ ابن حجر العسقلاني وسمع منه المسلسل بالأولية ثم أجازه بسائر مروياته، ودخل قرية كدو فقرأ على الشيخ الصالح القارئ أبي هدية الحاج كبير أحمد بن عبد الرحمٰن إدريس الدَّوي الكدّي الحسني ـ وكان يسميه أحمد عبد المطلب ـ القرءان من طريق الشاطبية وصحيح البخاري وسنن الترمذي والبخاري وأجازه، ثم دخل أديس أبابا فقرأ على الشيخ داود الجبرتي القارئ شرح الجزرية لزكريا الأنصاري وقراءة عاصم وأبي عمرو ونافع، و«الدرة المضية في القراءات الثلاث المتممة للعشر» لابن الجزري.

4 – المدينة المنورة:

اجتمع في المدينة بالشيخ محمد علي أعظم الصديقي البكري الهندي الأصل ثم المدني الحنفي فسمع منه المسلسل بالأولية وغيره من المسلسلات وقرأ عليه «الأربعون العجلونية» وأجازه، وحضر على الشيخ محمد العربي التبَّان المكي المالكي في المسجد الحرام عند باب الزيادة.

5 – بلاد الشام:

قرأ على الشيخ المقرئ محمود فايز الديرعطاني نزيل دمشق وجامع القراءات السبع أقل من ختمة برواية حفص على وجه قصر المنفصل في المدرسة الكاملية وذلك لما سكن صاحب الترجمة دمشق، وأجازه الشيخ محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني نزيل دمشق بسائر مروياته، وقرأ على الشيخ محمد العربي العزوزي الفاسي نزيل بيروت الموطأ وسمع منه الأربعين العجلونية وبعضًا من مسند أحمد والمسلسل بالأولية وأجازه، وتردد على الشيخ محمد توفيق الهِبري البيروتي وسمع من لفظه بعضًا من الأربعين العجلونية

وأجازه بها.

. تدريسه:

شرع رضي الله عنه يُلقي الدروس مبكرًا على الطلاب الذين ربما كانوا أكبر منه سنًا فجمع بين التعلُّم والتعليم في ءان واحد، وانفرد في أرجاء الحبشة والصومال بتفوّقه على أقرانه في معرفة تراجم رجال الحديث وطبقاتهم وحفظ المتون والتبحّر في علوم السنة واللغة والتفسير والفرائض وغير ذلك، حتى إنه لم يترك علمًا من العلوم الإسلامية المعروفة إلا درسه وله فيه باعٌ، وربما تكلّم في علم فيظن سامعه أنه اقتصر عليه في الإحكام وكذا سائر العلوم على أنه إذا حُدّث بما يعرف أنصت إنصات المستفيد، فهو كما قال الشاعر: [الكامل]

وتـــــراهُ يُصـــــغي للحـــــديثِ بِسَـــــمْعِهِ وبقَلبِـــــــــهِ ولعلــــــــــهُ أدرَى بــــــــــهِ

. الثناء عليه:

أثنى عليه العديد من علماء وفقهاء الشام منهم الشيخ عزّ الدين الخزنوي الشافعي النقشبندي من الجزيرة شمالي سوريا والشيخ عبد الرزّاق الحلبي إمام ومدير المسجد الأموي بدمشق والشيخ أبو سليمان سهيل الزَّبيبي والشيخ مُلَّا رمضان البوطي والشيخ أبو اليُسر عابدين مفتي سوريا والشيخ عبد الكريم الرفاعي والشيخ سعيد طَنَاطِرَة الدمشقي والشيخ أحمد الحُصَري شيخ معرّة النعمان ومدير معهدها الشرعي والشيخ عبد الله سراج الحلبي والشيخ محمد مراد الحلبي والشيخ صُهيب الشامي مدير أوقاف حلب والشيخ عبد العزيز عيون السود شيخ قرَّاء حمص والشيخ أبو السعود الحمصي والشيخ فايز الدَّيرعطاني نزيل دمشق وجامع القراءات السبع فيها والشيخ عبد الوهاب دبس وزيت الدمشقي والدكتور الحلواني شيخ القرَّاء في سوريا والشيخ أحمد الحارون الدمشقي الولي الصالح والشيخ طاهر الكيالي الحمصي والشيخ صلاح كِيوَان الدمشقي والشيخ عباس الجويجاتي الدمشقي ومفتي محافظة إدلب الشيخ محمد ثابت الكيالي ومفتي الرقة الشيخ محمد السيد أحمد والشيخ نوح القضاه من الأردن وغيرهم خلق كثير.

وكذلك أثنى عليه الشيخ عثمان سراج الدين سليل الشيخ علاء الدين شيخ النقشبندية في وقته وقد حصلت بينهما مراسلات علمية وأخوية، والشيخ عبد الكريم البَيَّاري المدرّس في جامع الكيلانية ببغداد

والشيخ محمد زاهد الإِسلامبولي والشيخ محمود الحنفي من مشاهير مشايخ الأتراك العاملين الآن بتلك الديار والشيخان عبد الله وعبد العزيز الغماري محدّثا الديار المغربية والشيخ محمد ياسين الفاداني المكي شيخ الحديث والإسناد بدار العلوم الدينية بمكة المكرمة والشيخ محمود الطَّش مفتي إزمير والشيخ المحدث حبيب الرحمٰن الأعظمي والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي الهنديان والمحدث إبراهيم الخُتني وغيرهم خلق كثير.

. أخذه الإجازة:

أخذ الإجازة بالطريقة الرفاعيّة من الشيخ محمد علي الحريري الدمشقي، والخلافة من الشيخ عبد الرَّحمن السبسبي الحموي والشيخ طاهر الكيالي الحمصي، والإجازة بالطريقة القادريّة من الشيخ الطيب الدمشقي، والخلافة من الشيخ أحمد البدوي السوداني المُكاشفي والشيخ أحمد العِربيني والشيخ المُعمَّر علي مرتضى الديروي الباكستاني، وأخذ الطريقة الشاذلية من الشيخ أحمد البصير، والنقشبندية من الشيخ عبد الغفور العباسي المدني النقشبندي والخلافة من الشيخ المُعمَّر علي مرتضى الديروي الباكستاني رحمهم الله تعالى، كما أخذ الخلافة بالطريقة الچشتية والسهروردية من الأخير.

. دخوله بيروت:

دخل أول مرة بيروت حوالي سنة 1370هـ. 1950ر فاستضافه كبار مشايخها أمثال الشيخ القاضي محيي الدين العجوز والشيخ المستشار محمد الشريف، واجتمع في بيته بمفتي عكار الشيخ بهاء الدين الكيلاني وسأل الشيخ في علم الحديث واستفاد منه. واجتمع أيضًا بالشيخ عبد الوهاب البُوتَاري إمام جامع البسطا الفوقا والشيخ أحمد إسكندراني إمام ومؤذن جامع برج أبي حيدر، وبالشيخ توفيق الهِبري رحمه الله وعنده كان يجتمع بأعيان بيروت وبالشيخ عبد الرَّحمن المجذوب واستفادوا منه وبالشيخ مختار العلايلي رحمه الله أمين الفتوى السابق الذي أقرَّ بفضله وسعة علمه وهيَّأ له الإقامة على كفالة دار الفتوى في بيروت ليتنقّل بين مساجدها مقيمًا الحلقات العلميّة وذلك بإذن خطّي منه.

وفي سنة 1389هـ. 1969ر وبطلب من مدير الأزهر في لبنان ءانذاك ألقى محاضرة في التوحيد في طلَّاب الأزهر.

. تصانيفه وءاثاره:

شغله إصلاح عقائد الناس ومحاربة أهل الإلحاد وقمع فتن أهل البدع والأَهواء عن التفرّغ للتأليف والتصنيف، ورغم ذلك أعدَّ ءاثارًا ومؤلفات قيّمة كثيرة نذكر منها:

أ – القرءان وعلومه:

1 – كتاب الدُّرّ النضيد في أحكام التجويد، طُبع.

ب – علم التوحيد:

2 – نصيحة الطلاب، وهي منظومة رجزية في الاعتقاد مع ذكر بعض الفوائد العلمية والنصائح تقع في ستّين بيتًا تقريبًا، خ.

3 – الصراط المستقيم في التوحيد، طُبع مرات عديدة.

4 – الدليل القويم على الصّراط المستقيم في التوحيد، طبع.

5 – المطالب الوفية شرح العقيدة النسفيّة، طبع.

6 – إظهار العقيدة السُّنية بشرح العقيدة الطحاوية، طبع.

7 – الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم، طبع.

8 – صريح البيان في الردّ على من خالف القرءان، طبع.

9 – المقالات السنيّة في كشف ضلالات أحمد بن تيمية، والكتاب في جزئين الأول في أشهر المسائل التي خالف فيها ابن تيمية إجماع الأمة في أصول الدين والثاني في المسائل التي خالف فيها إجماع الأمة في الفروع وقد طبع الجزء الأول والثاني قيد الطبع.

10 – شرح الصفات الثلاث عشرة الواجبة لله، طبع.

11 – العقيدة المنجية وهي رسالة صغيرة أملاها في مجلس واحد، طبع.

12 – التحذير الشرعي الواجب، طبع.

13 – رسالة في بطلان دعوى أولية النور المحمدي، طبع.

14 – رسالة في الرد على قول البعض إن الرسول يعلم كل شيء يعلمه الله، طبع.

15 – الغارة الإيمانية في رد مفاسد التحريرية، طبع.

16 – الدرة البهية في حل ألفاظ العقيدة الطحاوية، طبع.

17 – صفوة الكلام في صفة الكلام، طبع.

18 – رسالة في تنزه كلام الله عن الحرف والصوت واللغة، خ.

19 – التعاون على النهي عن المنكر، طبع.

20 – قواعد مهمة، طبع.

ج – علم الحديث وتعلقاته:

21 – شرح ألفية السيوطي في مصطلح الحديث، خ.

22 – التعقُّب الحثيث على من طعن فيما صحّ من الحديث، طُبع. ردّ فيه على الألباني وفنّد أقواله بالأدلة الحديثية الباهرة حتى قال عنه محدّث الديار المغربية الشيخ عبد الله الغماري رحمه الله «وهو ردّ جيّد متقن».

23 – نصرة التعقب الحثيث على من طعن فيما صحّ من الحديث، طُبع.

24 – الروائح الزكية في مولد خير البرية، طُبع.

25 – شرح البيقونيّة في المصطلح، خ.

26 – رسالة في حد الحافظ، خ، وهي رسالة أملاها في مجلس واحد.

27 – جزء في أحاديث نص الحفاظ على صحتها وحسنها، خ.

28 – أسانيد الكتب السبعة في الحديث الشريف، طبع.

29 – الأربعون الهررية، وهو أربعون حديثًا من أربعين كتابًا من كتب الحديث مشروحة، خ.

د – الفقه وتعلقاته:

30 – مختصر عبد الله الهرري الكافل بعِلم الدين الضروري على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، طُبع.

31 – بغية الطالب لمعرفة العِلم الديني الواجب، طُبع.

32 – شرح ألفيّة الزّبد في الفقه الشافعي، خ.

33 – شرح متن أبي شجاع في الفقه الشافعي، خ.

34 – شرح متن العشماويّة في الفقه المالكي، خ.

35 – شرح التنبيه للإمام الشيرازي في الفقه الشافعي، لم يكمل.

36 – شرح منهج الطلاب للشيخ زكريا الأنصاري في الفقه الشافعي، لم يكمل.

37 – شرح كتاب سُلَّم التوفيق إلى محبة الله على التحقيق للشيخ عبد الله باعلوي، خ.

38 – مختصر عبد الله الهرري الكافل بعِلم الدين الضروري على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، طبع.

39 – مختصر عبد الله الهرري الكافل بعِلم الدين الضروري على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، طبع.

هـ – اللغة العربية:

40 – شرح متمّمة الآجرومية في النحو، لم يكمل، خ.

41 – شرح منظومة الصبان في العروض، خ.

. سيرته وشمائله:

الشيخ عبد الله الهرري شديد الورع متواضع صاحب عبادة كثير الذّكر، يشتغل بالعلم

والذّكر معًا، زاهد طيّب السريرة، شفوق على الفقراء والمساكين، كثير البر والإحسان، لا تكاد تجد له لحظة إلا وهو يشغلها بقراءة أو ذكر أو تدريس أو وعظ وإرشاد، عارِف بالله، متمسّك بالكتاب والسُّنّة، حاضر الذهن قوي الحجّة ساطع الدليل، حكيم يضع الأمور في مواضعها، شديد النكير على من خالف الشرع، ذو همّة عالية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يخاف في الله لومة لائم حتى هابه أهل البدع والضلال وحسدوه ورموه بالأكاذيب والافتراءات بقصد تنفير الناس منه لكن الله يدافع عن الذين ءامنوا.

. وفاته:

اشتد عليه المرض فألزمه الفراش بضعة أشهر حتى توفاه الله تعالى فجر يوم الثلاثاء في الثاني من شهر رمضان سنة 1429هـ الموافق للثاني من شهر أيلول سنة 2008ر.

هذا ما كان من خلاصة ترجمته الجليلة، ولو أردنا بسطها لكلّت الأقلام عنها وضاقت الصُّحف ولكن فيما ذكرناه كفاية يُستدل بها كما يُستدلّ بالعنوان على ما هو في طيّ الكتاب.

شهادات بعض العلماء في العلامة الهرريّ رحمه الله

شهادة الشيخ المسند أحمد محمد سردار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى ءاله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغرّ الميامين، الذين حملوا الرايات وفتحوا البلاد ونشروا هذا الدين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، حشرنا الله تعالى معهم تحت لواء سيد المرسلين وحبيب رب العالمين، سيدنا محمد ﷺ، وبعد:

فإن معرفتي بفضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن يوسف الهرريّ المعروف بالحبشيّ نزيل بيروت الشافعيّ، تعود إلى زيادة من ثلاثين سنة، فقد حضرته في مجلس من مجالس مدينة حلب الشهباء، وكنت يومها شابًّا خجلًا، وكان كلما سمع حديثًا يردّه إلى أصله ورواته، أو ينفيه ويذكر سبب نفيه ويعدّد علله، مما أدهش الحاضرين، فهو محدّث كبير مسند نقّاد، وكثرة مصنفاته تدل على طول باعه وسعة اطّلاعه، وكان بنفسي يومها أن أطلب منه إجازة لكنني خجلت منه ومن الحاضرين، وبقي هذا الطلب يساورني إلى اليوم.

ووقع بيدي من مصنفاته: «المطالب الوفية شرح العقيدة النسفية»، و«إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية». فقد شرح الأولى منهما شرحًا صافيًا وافيًا، لم يترك شاردة ولا واردة مما يحيك بالنفس ويختلج في الصدر إلا وبيّنها وشرحها شرحًا محقَّقًا ومدقَّقًا. وعلى الأخص في موضوع الصحابة رضي الله عنهم، فإن شرحه لهذا الموضوع جاء كافيًا فتح الله عليه.

وشرحَ الثانية شرحًا دقيقًا بأسلوب شيق يأخذ الألباب، يدلّ المطالع على عِلم العالم الفذّ في تقريراته التي لا تقبل زيادة ولا تقبل نقصًا، بقلم أديب نحويٍّ ضليع في اللغة العربية من المعاجم والقواعد وعلوم الصرف وعلم البلاغة بأقسامها الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، وفي علم الكلام إمام، وقلمه يدل على تمكّنه في فقه الإمام محمد بن إدريس الشافعيّ رضي

الله عنه أصولًا وفروعًا، وفي علم الحديث النبويّ الشريف وعلله ورجاله ومتونه وأسانيده، وفي مصطلحه فإنه لا يُجارى ولا يُبارى ولا يُشق له غبار، اكتسب هذا العلم من ينبوعه، وارتشف منه حتى ارتوى وامتلأ. فهو محدّث علّامة مسند حافظ، وقد أخذ من كل فن أوفر نصيب، فإذا تحدث وانطلق كأنه بحر تتلاطم أمواجه بدون معرفة ساحله، شيخ مَهيب وقور، منور الوجه والشيبة، غيور على أحكام الدين، ويردّ على الطاعنين الذين يهرفون بما لا يعرفون ليردهم إلى الصواب، وما أكثر المنحرفين في هذا الزمان! وهو على كبر السن يتمتع بحيوية عالية ونشاط لا نظير له، مؤلفاته كثيرة، وتحقيقاته وتقريراته مليئة بالعلم الشرعيّ الشريف. وهو رجل علم وفضل، ذو بديهة بديعة، واستشهادُه بالآيات القرءانية كأنها أمامه، يأخذ منها ما يدعم حجته ويثبت تقريره، وله استشهادات في الحديث النبويّ الشريف عجيبة من عجائب هذه الدنيا، ينظر إليه السامع فيراه ينهل من بحر لا ساحل له، يعيد كل كلمة إلى أصولها، وله ءاراء عجيبة غريبة. وجميع ءارائه التي يبديها لها عنده شاهد من الكتاب والسنة، ويعتمد على الكتب الستة في الدرجة الأولى. وله أسانيده عن شيوخه إلى رواتها والمصنفين في هذا العلم وهم كثر، وقد شبهتهُ برجل يحمل جعبة كبيرة بيده، وكلما سأله عالم أو طالب علم يمد يدَه إلى هذه الجعبة فيعطي منها، ومهما أعطى فإن الجعبة لا تفرغ بل هي في ازدياد، فسبحان الله المعطي ما شاء لبعض العباد، نفع الله بهم إلى يوم التناد، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله الطاهرين الموفقين للسداد، وأصحابه الذين نشروا الدين وعلموه أهل البلاد، والحمد لله رب العالمين على هذا السداد.

أحمد محمد سردار

مدير المكتبات الوقفية الإسلامية بحلب

يوم الثلاثاء، 1 رمضان، 1418هـ

شهادة عالم إسطنبول وشيخ الطريقة النقشبندية

الشيخ محمود أفندي الحنفيّ

يقول عالم إسطنبول وشيخ الطريقة النقشبندية الشيخ محمود أفندي الحنفيّ رحمه الله:

«الشيخ عبد الله الهرريّ عالم إسلاميّ كبير، وانقلوا عني: أن لا أحد يقرأ في كتب سيد قطب، وابن تيمية، وأبي الأعلى المودودي».

المصدر: مجلة منار الهدى، العدد 14،

جمادى الآخرة 1414هـ. تشرين الثاني 1993م

شهادة نائب مفتي إزمير

الشيخ خالد حسين كوركوسوس

يقول نائب مفتي إزمير الشيخ خالد حسين كوركوسوس: «الآن لا يوجد في العالم الإسلاميّ مثل الشيخ عبد الله، هو حافظ الحفّاظ، وهو مجاهد في سبيل الله على اعتقاد أهل السنة والجماعة، على اعتقاد الإمامين أبي الحسن الأشعريّ وأبي منصور الماتريديّ، يُفتي على المذاهب الأربعة بالإضافة إلى أنه فقيه شافعيّ كبير».

المصدر: مجلة منار الهدى، عدد 25،

جمادى الآخرة 1415هـ. تشرين الثاني 1994م

شهادة رئيس الجمعية السليمانية التركية في برلين

الشيخ علي كمال

يقول رئيس الجمعية السليمانية التركية في برلين الشيخ علي كمال: «نشكر الله الذي منّ علينا بأن التقينا برجل فاضل، عالم زاهد، يندر وجود مثله في هذا الزمان. وقد وجدنا المحدث الشيخ عبد الله كثير التواضع، كثير الذكر، غزير العلم، شديد الإنكار على من خالف وحرّف في الدين، لا يخاف في الله لومة لائم. والشيخ عبد الله زاهد في الدنيا، مقبل على الآخرة، حاله كحال السلف الصالح».

المصدر: مجلة منار الهدى، عدد 25،

جمادى الآخرة 7141هـ. تشرين الثاني 7991م

رسالة الشيخ عبد القادر عبد الله
مدير الجامعة السعدية
بكاسركوت ـ الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله. السيد الفاضل المحدث الإمام الهُمام الشيخ عبد الله الحبشيّ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فنحن بشوق إلى رؤياكم عندنا في بلاد الهند، وقد عرفناك إمامًا مجاهدًا مقرّرًا لمذهب الأشاعرة الذي هو عقيدة أهل السنة والجماعة في كل أقطار الدنيا. وما كتبكم التي صنّفتموها، وما تلاميذكم الذين انتشروا في كل أصقاع الدنيا إلا دليل واضح على حقيتكم لتصدُّر الدعوة إلى الله تعالى.

نحن هنا نشارككم عقيدتكم الأشعرية الفاضلة، ونشارككم جهادكم ضد الوهابية الإرهابية التي تدعو إلى التجسيم والجهة لله تعالى، والتي بدأت تشيع الإرهاب في صفوف المسلمين.

نسأل الله أن يجمعنا بكم للاستفادة من علومكم وللتبرك بكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المصدر: مجلة منار الهدى، العدد 31،

ذو الحجة 1415هـ ـ أيار 1995م

شهادة مفتي تركيا العام
الشيخ محمد نوري يلماز

في زيارة وفد طلاب الشيخ الحبشيّ لمشايخ تركيا لتوثيق عرى الأخوّة والترابط والتواصل بين المسلمين في أنحاء المعمورة، كان للشيخ جميل حليم ـ رئيس جمعية المشايخ الصوفية في لبنان ـ لقاء مع مفتي تركيا العام الشيخ محمد نوري يلماز، حيث التقى الشيخ جميل حليم أيضًا رئيس الإدارة الدينية لمسلمي أوكرانيا الشيخ أحمد تميم.

وقد أبدى الشيخ يلماز إعجابه بعلم المحدث الهرري وأضاف: «أوصيكم أن تتابعوا السير على هذا النهج في إرشاد الناس ووعظهم وتعليمهم ونحن معكم»، وخلال هذا اللقاء أضاف مدير العلاقات الخارجية في دائرة إفتاء تركيا قائلًا: «اليوم لا نعرف محدّثًا حافظًا للأحاديث غير الشيخ عبد الله الهرريّ، وهو معروف بذلك ولا يوجد من له مثل ذاكرته وحفظه».

شهادة رئيس الجامعة الغوثية ببنغلاديش
الشيخ محمد نور الإسلام الهاشميّ

يقول رئيس الجامعة الغوثية ببنغلاديش الشيخ محمد نور الإسلام الهاشميّ: «إنَّ الفقيه المحدّث الشيخ عبد الله الهرريّ علّامة كبير، وبحر زاخر، وحجَّة كبرى في بيان الحق ودحض الباطل، وهو المجدّد، ونحن نحبّه ونحترمه، ونقدّر جهوده وعطاءاته التي يبذلها في نصرة دين الإسلام العظيم. ونسأل الله أن يشدّ من عضده، ويوفّقه لما يحبه ويرضاه، ونسأله تعالى أن يوفق جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية وينصرها، وهي الجمعية الإسلامية العالمية التي تحذّر من الوهابية وتدعو إلى الخير والحق والاعتدال».

المصدر: مجلة منار الهدى، العدد 71،

بتاريخ شعبان 1419هـ ـ تشرين الثاني 1998م

إحدى رسائل الشيخ العارف بالله تعالى
محمد عثمان سراج الدين
النقشبنديّ القادريّ رحمه الله وأعاد علينا من بركاته

حبيبي وأخي العزيز الأعزّ الفاضل العلّامة الشيخ عبد الله بن محمد الحبشيّ حفظه المولى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

ولقد استلمت بيد المحبة رسالتكم الطيبة المبعوثة مع أبي وضاح، وفيها انعكاس الأخلاق الكريمة، والأوصاف النبيلة، التي نحن أيضًا نبادلكم بأبلغ منها وأرسخ، وكنا ولا نزال نكنّ لفضيلتكم الشوق والاحترام والمحبة، لأن مثلنا وإياكم كما قال الشاعر (بالفارسيّ):

جـــاني كركـــان وســـكان ازهـــم جـــدا متحـــد جـــان هـــاي مردانـــي خـــدا اســـت اســـــــــــــــــــــــــــــــت

ومعناه أن أرواح الذئاب والكلاب متنافرة وأرواح أهل الله متحدة. هذا ونتمنى من الله تبارك وتعالى حِفظكم من كل سوء ومرض، وأن يمتعكم بوافر الصحة والاستراحة إنه سميع مجيب، وإن أخي مولانا خالد وفضيلة المدرّس عبد الكريم يسلمان عليكم، لا زلتم بوفور النعم، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وسلم.

خادم العلماء والفقراء
الشيخ محمد عثمان سراج الدين النقشبنديّ

الإدارة الدينية لمسلمي داغستان
محاج قلعة - باسم المعبود بحق
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمدًا طيبًا مباركًا دائمًا، وأفضل الصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين، وعلى ءاله الطيبين الطاهرين وأصحابه، وعلى مَنِ اتبعه إلى يوم القيامة ءامين، يا مجيب السائلين.

أيها الإخوة والأخوات الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه ومغفرته، أما بعد:

فقد سألني كثير من الإخوان والأخوات: كيف وجدت الشيخ عبد الله الهرريّ حفظه الله ءامين اللهم ءامين؟

إن شاء الله أنا أجيب جوابًا صادقًا صحيحًا بلا شكٍّ ولا ريبٍ ولا يتغيَّر أبدًا:

إن عبد الله الحبشيّ شيخ المشايخ، فتح الله له علمًا نافعًا لا يصل إلى هذا المقام في العلم إلا بفتح الله. وهو كذلك عابد جدًّا بلا تعب ولا كسل. وعند سؤالي عن مسائل فقهية واعتقادية صعبة عند علمائنا الشافعية أجاب بسهولة وبكلام مفهوم، وبعد وترك المجال لسؤال ءاخر.

أظنّ ليس عنده علم من علوم الدين إلا ويعرفه كالأصابع الخمس. وكذلك هو مرشد الطريقة وسلطان الأولياء. أول لقائي معه أثر فيّ كأنَّ الكهرباء نابتني، وحرق قلبي بحب الله وبحب رسول الله ﷺ من المساء إلى الصباح، كما يحصل عند الأولياء الحقيقيين والمرشدين الصادقين.

وعند نظري إليه كنت أفكّر هل يوجد أجمل منه، وله نور، وأنا ابن العالم المشهور في داغستان رحمه الله وغفر له، لقيت كثيرًا من العلماء ومشايخ الطريقة ولكن هو أعلى وسلطانهم. وكذلك هو مجتهد العصر، والعصر لا يخلو من المجتهد إلى يوم القيامة، والدليل عليه كتبه الكثيرة وكثرة تلاميذه، وتعليم توحيد أهل السنة والجماعة ومحاربة أهل الضلالة. وشهرته في الدنيا كالعالم العلامة والحافظ والمجاهد لا يسكت عن الدعوة.

أنا أخذت منه الطريقة الرفاعية وأرجو الله البركة منه لي ولمن معه، فطوبى لمن أحبه واقتدى به وأخذ العلم منه، وإنه هادي الخلق إلى دين الله الحنيفيّ.

أسأل الله له الصحة والسلامة وطول العمر، وزيادة البركة والفيض، ولنا احترامه وعدم ترك ما قاله وأخذ العلم منه.

وأنا الحقير الذليل المفتقر إلى رب العالمين
المفتي السابق لمسلمي داغستان
سيد أحمد ابن العالم سليمان درويش حاجيف
اللهم ارحمهم برحمتك الواسعة ءامين

نص رسالة القائم بالأعمال الصوماليّ في سوريا إلى العلامة المحدث الشيخ عبد الله الهرريّ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد الأمين، وعلى ءاله وصحبه وسلم، وبعد:

مولانا، محدث العصر، الشيخ عبد الله الهرريّ (المعروف بالحبشيّ)، نفعنا الله به وبعلمه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أسمح لنفسي أن أتوجه إليكم بعظيم إعجابي لشخصكم الكريم، وبعلمكم الواسع الذي لم أرَ مثله، ولم أسمع به إلا في أمهات كتب التاريخ، وبزهدكم وورعكم ووقوفكم عند حدود الشرع، وكأنكم صورة لأهل الصلاح في عصر التابعين، لقد تصفّحت تاريخ المسلمين الناصع في وجهك المنير، ورأيت مجد حضارتهم في عينيك الصافيتين، وتعرّفت على العزم الصادق في خبرك.

أيها البطل، الذي وقفت بوجه (أحد) طغاة الأرض (المسمى) هيلا سيلاسي، وتحدّيت السجون والإرهاب، وعَمِلْتَ على تعليم الصغار وتخريج العلماء الكبار، وتنقّلت بأسفارك من دار إلى دار، حتى وصلت بلاد الشام، لا لِعيبٍ فيك خرجت من وطنك هرر، ولا لعجز منك في مواجهة الظالمين، خلافًا لأبواق الطاعنين فيك وبقيادتك الحكيمة الرائدة للمسلمين في هرر ولبنان، وأحيانًا، المرء الذي اشتد عليه البلاء وأوذي يفرّ بدينه، ويبني ويعمل لأمته من مواقع أخرى.

أيها العلامة المحدث، يا من التزم هدي النبوة وتجمّل بأنوار الإيمان، أقبّل أياديَكم الطاهرةَ وأسألكم الدعاء لي ولعائلتي بحسن الختام، ولبلادنا الأمن والسلام والاستقرار.

أرجو قبولي مريدًا لديكم يقوم بخدمة دين الله تعالى بين يديكم، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

حسن موسى تري القائم بالأعمال

دمشق في 13/ 12/ 1992م

وفي رسالة أخرى قال القائم بالأعمال الصومالي في سفارة دمشق حسن تري، بعد كلام عن جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية ما نصه:

كيف لا ومرشدها المحدث اليلمعيّ، والفقيه اللوذعيّ، الشيخ عبد الله الشيبيّ الهرريّ أدامه الله عزًّا ونصرًا، وللمسلمين ملاذًا وذخرًا.

وما كلامي هذا إلا كلفًا من غير تكلف، منسكبًا من شغاف القلب دونما تصرف، لأن أهل مكة أدرى بشعابها. فشيخكم هذا الذي أتمنى لو أكون من تلامذته ومريديه، هو عالم عزّ نظيره في العلوم والفنون، فكاد أن يكون وحيد عصره ونسيج وحده. فلقد عرفه الصومال فارسًا في كل الميادين، مجليًّا لا يشقّ غباره، ولا يدرك قراره، ولا تسبر أغواره. فكان مجاهدًا لا تأخذه في الحق لومة لائم، ولا تعذال ءاثم. فلقد واللهِ صمد أمام المعرضين، وثبت في وجه المغرضين، بل كان راسيًا كما الجبال الراسيات.

لقد عرفَته «هرر» مفتيًا وهو غضّ البنان منذ نعومة أظافره، وما زال القوم يتحدثون عن فيض علمه وغزارة عقله من الكبار والشيوخ الذين عايشوه وعاصروه، الذين رشفوا من رسيل فراته ورحيقه.

وإنني أُسدي إليكم نصحي أن شدوا بأيديكم على نهجه، وعضّوا بنواجذكم على هديه، فمثل هذا العالم الفذّ جدير بأن تضرب إليه أكباد الإبل، كيف لا يكون هذا وقد طبقت شهرته الآفاق في بلادنا، بأنه حافظ لكتاب الله، ولعشرات الآلاف من الأحاديث النبوية بأسانيدها المتصلة إلى رسول الله ﷺ، إلى كونه فقيهًا ومفسّرًا ولغويًّا، وقد أحاط بعلوم الآلة إحاطة السوار بالمعصم.

إن رجلًا كالشيخ عبد الله لا يُعرَف تمام فضله إلا بفقدانه، كما حصل لأهل «هرر»، فإنه لما هاجر من بلادنا كادت أن تتفطر له القلوب وتتصدع الصدور. و«هرر» هي عاصمة العلم.

ولطالما سمعت أهل الشام يلهجون بذكره، ويطنبون بمدحه، حتى قيّض الله لي فرصة لقائه، فازددت به إعجابًا على ما سمعت، وليس الخبر كالعيان، فألفيته زاهدًا متواضعًا لطيفًا في دقة معناه ورقة مبناه. وإنه لِمَا يثلج الصدر أنه غرس غرسًا طيبًا فآتى الغرس أكله، فرأيت الغراس اليافعة ذات الثمار اليانعة، وقد أضحت دوحًا سامقات باسقات، أغصانها حانية

وقطوفها دانية. رأيتها شبابًا كالشهب في الليالي الحالكات، رأيتها مؤسسات شامخات كالجبال الراسخات، رأيتها هممًا وعزائمَ لا يفلـها الحديد، ولا يثنيها مرجف رعديد.

فاللهَ أسأل، وبنبيه الكريم أتوسل، أن يقرّ عيوننا بدوام طيب لقياه، وينعش قلوبَنا بأنوار محيّاه، وأن يمدّ بعمره، ويجزيه عن أمة محمد خيرًا.

أخيرًا... إن ما قلته في هذا البحر الطامي، والعلَم السامي، هو عين ما يجيش في لبي، وأعتقده في قلبي، شهادة ألقى بها ربي، وما الذي قلته وقدمته إلا نزر يسير وغيض من فيض. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾ [سورة الرعد] صدق الله العظيم.

حسن موسى تري

القائم بالأعمال الصوماليّ

شهادة حق من هرر

الحمد لله وبه نستعين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه أجمعين، وبعد.

فنحن طلبة الشيخ الحافظ والعالم المحقق عبد الله بن محمد الهرريّ القدماء في الحبشة، وهو الشيخ الحافظ المحقّق، والعالم المدقّق، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد الله بن محمد الهرريّ أبقاه الله ذخرًا للمسلمين، وسيفًا مسلطًا على رقاب الزائغين والمجسمين والملاحدة.

فالشيخ حفظه الله له تصانيف تبلغ العشرين، ينتفع بها الناس السنّيون الحقيقيون المنتشرون في مشارق الأرض ومغاربها، وحدّث عن كثرتهم ولا حرج، والفضل ما شهدت به الأعداء، فليمت بغيظه من خاب سهمه، فقوم الشيخ الهرريون يعرفون فضله وهو عندهم ملء السمع والبصر، يعرفونه عالِمًا وعاملًا بعلمه، معلمًا ومرشدًا، وءامرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، تمامًا كما هو اليوم يجاهد ويناضل طوائف المنحرفين في قلب الشرق الأوسط، حاملًا كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، حتى أقضّ مضاجع التيميين بالكشف عن ضلالاتهم، وهزَّ قواعدَهم، وأخذ بنيانهم ينقضّ حجرًا بعد حجر، فنظروا وقدّروا، وقالوا: إن هي إلا فتنة! وإن هي إلا عقيدة حبشية! ألا ساء ما يصفون.

وقومه الهرريون فخورون به، حيث يذكّرهم بأمجاد أجدادهم العلماء العاملين، الذين كانوا منار الإسلام وأئمة الهدى في هذه الديار، ولا تزال ءاثارهم العلمية تشهد لهم، فالشيخ حفظه الله حججه قائمة تقطع أعناق المتقوّلين وتردّ كيدهم إلى نحورهم، وإن سلوك النهج الذي رضيه الله، والوقوف عند الحدود التي أقامها لم يؤتها الله إلا صفوة من عباده المخلصين، جعلهم في خلال الزمان أعلامًا في مجاهل الأرض، ونجومًا في غياهب السماء.

وما يحارب الشيخَ إلا قومٌ قعد بهم استعدادهم عن اللحاق به، فصاروا بتأثير الغَيْرَة والحسد لا يألون جهدًا في مناوأته، وأقوى أسلحتهم إذ عجزوا عن الحجّة هي الرمي بالنقائص المكذوبة، وهي قذائف لا تكلف صغير النفس فاقد الحياء إلا أن يرسلها من فمه لتتلقفها ءاذان العامة، فينفضّوا من

حوله! وهذا سلاح حورب به قديمًا الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه والمصلحون، ولكن كانت العاقبة للمتقين، فكان لهم لسان صدق في الآخرين، وأهال على خصومهم تراب النسيان فكانوا نسيًا منسيًّا.

والله يحقّ الحقّ، ويزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقًا، وهو الموفق للسداد، والهادي إلى سبيل الرشاد، والحمد لله رب العالمين.

عن طلبة الشيخ الحافظ عبد الله بن محمد الهرري

أحمد خليل ـ أثيوبيا

شهادة مفتي محافظة إدلب السورية
الشيخ الكيالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين، وعلى ءاله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد اطلعت على الكتب القيمة: «المقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية»، وكتاب «القول الفصل المنجي في الرد على حسن قاطرجي»، وكتاب «المطالب الوفية شرح العقيدة النسفية» التي ألفها الإمام المحدّث الشيخ عبد الله الهرريّ، فرأيت هذه الكتب كتبًا قيمة أبَان فيها ضلالات ابن تيمية، وضلالات حسن القاطرجي وبيّن عقيدتهما الفاسدة، وقد ورد فيها من الحجج الداحضة لابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وشرح زيفهما، فبارك الله في المؤلف الأستاذ المحدّث الشيخ عبد الله، وأكثر في المسلمين من أمثاله وأبقاه ذخرًا للأمة الإسلامية لينافح عن الإسلام، وأسأله الدعاء، والحمد لله رب العالمين.

مفتي محافظة إدلب
محمد ثابت الكيالي

ملاحظة: كتاب «القول الفصل المنجي» هو من تصنيف بعض طلاب الشيخ، وليس من مؤلفات الشيخ عبد الله الحبشيّ.

شهادة مفتي الرقة
سماحة الشيخ محمد السيد أحمد
الجمهورية العربية السورية وزارة الأوقاف دائرة الإفتاء والتدريس الديني - في محافظة الرقة

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ٦٢﴾ [سورة يونس]. ومن علماء عصرنا هذا: الفقيه المحدّث الشيخ عبد الله الهرريّ الحبشيّ حفظه الله ورعاه، وهو قائم على حماية العقيدة السنية، والذَّبّ عن حياض الشريعة الإسلامية. وإننا نشهد فيه بكل خير وصلاح، وهو من أهل

السنة والجماعة، أشعريّ العقيدة، شافعيّ المذهب، رفاعيّ المشرب، وقد سلك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة أهل الضلال مسلك أعلام الأمة الإسلامية، كالأئمة الأربعة وغيرهم، وكتبه تراث عظيم، ونفع عميم لحاضري أجيال الأمة ومستقبلها.

وأهل الخير والفضل من الأولياء والعلماء والمفاتي والصالحين يحبونه، ويشهدون له بأنه لسان المتكلمين، وعمدة المفتين، وصدر العلماء العاملين، وأنه جبل راسخ في العقيدة والفقه والحديث. فأهل السنة والجماعة أحبابه وأعوانه، وأهل الفتنة والضلالة والزيغ والغواية أعداؤه، فحاله يذكّرنا بأبطال الأمة كالإمام أبي الحسن الأشعريّ والسلطان صلاح الدين الأيوبيّ، وهو في ذلك خليفة المحدّث الأكبر بدر الدين الحسنيّ رحمه الله تعالى. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

محمد السيد أحمد
مفتي الرقة

رسالة الشيخ المسند محمد رياض المالح الدمشقي
رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإني أقول وأنا الفقير إلى الله تعالى محمد رياض المالح الحنفي الدمشقي الشاذلي الأشعريّ: قد أكرمني الله عزّ وجلّ بحضور مجالس أستاذنا وشيخنا الشيخ عبد الله الحبشيّ بدمشق، في شرح النخبة لابن حجر العسقلانيّ وتدريب الراوي للإمام السيوطيّ، فكانت تلك المدّة من أخصب أيام حياتي، نعمت فيها بمجالسة أستاذنا المحدّث الكبير، بقية السلف الصالح، الزاهد العابد الشيخ عبد الله الهرريّ الحبشيّ حفظه الله، وأدامه ذخرًا لجميع المسلمين، فكان حفظه الله ءاية في الحديث ومصطلحه وغيره من العلوم الشرعية، وكان يحضر معنا كثير من علماء دمشق الكبار أمثال الشيخ عبد الرزاق الحلبيّ، الذي كان يقرأ عليه كتاب «فتح الباري شرح صحيح البخاري» وغيره من علماء دمشق الأفاضل. ولقد سمعنا عن تشويش بعض المنحرفين والمتطرفين بالنيل من شيخنا الكبير، وهذا ما لا يرضاه مَن عرف الشيخ في تقواه وزهده وورعه وعلمه. وأقول فيهم كما قال الشاعر:

قولوا لأعمى عاب شمس الضحى ... وأصبح من جهل بها يزدري

إن لم تكن مشتريًا نورها ... فسائر الناس لها مشتري

ومثله كما قال الإمام شيخ الأباطح عفيف الدين اليافعي: «ناموسة نفخت على جبل أرادت أن تزيله» والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

محمد رياض المالح الحنفي الدمشقي

دمشق في 20 رجب سنة 1418هـ

20/ 1997/11م

شهادة الشيخ محمد ظفر ـ باكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المعزّ المذلّ، والصلاة والسلام على حبيبنا وعظيمنا محمد بن عبد الله، خاتم المرسلين، وسيد المتقين، وبعد. فإن العلامة الكبير الحافظ المحدّث المربي الفاضل الشيخ عبد الله الهرريّ المشهور بالحبشيّ هو على المذهب الحق والصراط المستقيم، الذي كان عليه أصحاب رسول الله والسلف الصالح والخلف رضوان الله عليهم أجمعين، وهو إمام كبير وحجة في الدين وتقيّ نقيّ صادق مخلص.

أرجو من الله له العافية والصحة والنشاط، ومتابعة المسير في نصرة الحق والدفاع عنه على الرغم من تشويش المنحرفين المفسدين.

محمد ظفر

دار العلوم أمجدية عالمكيردرود

كراتشي ـ الباكستان

الجامعة النظامية الرضوية في باكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده لا شريك له، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله تعالى عليه وعلى ءاله وأصحابه وبارك وسلم، أما بعد:

فإنَّ محدّث العصر الحافظ القارئ المقرئ التقيّ الزاهد العارف بالله فضيلة الشيخ عبد الله الهرريّ حفظه الله تعالى، ما تشرفت بزيارته حتى الآن، ولكني سمعت عن جهوده المضنية لإحياء السنة النبوية، وإصلاح العقائد، ومحاربة أهل الإلحاد، وإماتة البدع والأهواء، فتيقنّا أنه ممن قال الله فيهم: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾[سورة المائدة]، ومن الطائفة التي بشّر بها النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم وقال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم**»(1)، صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم.

أطال الله بقاءه وأكرمه، وأفاض علينا فيوضه وبركاته، ونصر أعوانه وتلاميذه، وأيّد جنوده وهزم أعداءه.

رئيس الجامعة المفتي محمد عبد القيوم القادري الهزاروي

شيخ الحديث بالجامعة محمد عبد الحكيم شرف القادريّ

رئيس قسم اللغة الفارسية بالجامعة محمد منشا تابس قصوري

هذه الرسالة موقعة من الشيخ نصر الله القادري
والشيخ محمد فضل حسن قادري
والشيخ محمد عارف عبد الله المصباحي
من مدرسة فيض العلوم الشرعية في الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه المصطفى وعلى ءاله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

---

(1) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الإمارة، باب قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ**»، (52/6)، الحديث 5059.

انطباعات حول الشيخ العلامة الهرري العبدري حفظه الله تعالى:

إن الله تعالى قد وعد حِفْظَ هذا الدين القويم، وإظهاره على الديانات والمذاهب كلها إلى يوم الجزاء، بإبراز أعلام المفسرين والمحدثين والمجتهدين والفقهاء والعلماء، الذين كرّسوا حياتهم العزيزة في الغوص على معاني القرءان الكريم، وإحياء السنة النبوية، وتنقيح المسائل الفرعية والفروع القياسية على نهج الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وتوجيه الأمة المحمدية على صاحبها ألف سلام وتحية إلى مسارها الصحيح، ومنهجها القويم الثابت من الكتاب والسنة في أزمانهم وأوطانهم المختلفة، وفي أصقاعهم وبلادهم المتعددة.

وبمقتضى هذه السنة الإلهية، برزت في الأوساط الدينية العلمية شخصية فذة نادرة، غنية عن التعريف، قد اعترف علماء عصرها وجهابذة دهرها البارزون، بعلوّ كعبها في العلوم الشرعية الأساسية، ودقتها وإتقانها في أسرار القرءان وصفاته البلاغية، وتعمقها في بحر الأحاديث النبوية، وتضلعها العجيب المدهش في الفروع الفقهية، واستحضارها التامّ لضوابط التجويد والترتيل والقراءة، وما إلى ذلك من شعب العلم الكثيرة، ألا وهي شخصية الإمام الكبير في هذا العصر، والتقيّ الورع الزاهد المحدّث الحافظ للكتب الستة وغيرها من الكتب الحديثية متنًا وسندًا وصحة وضعفًا وغير ذلك: الشيخ عبد الله الهرريّ العبدريّ أطال الله حياته بجاه حبيبه ﷺ.

ومن حسن حظنا أننا قد عرفنا هذا الشيخ الوقور الجليل، وكتابه الجامع القيم «المقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية»، فوجدناه كما سمعَت عنه ءاذاننا أطال الله عمره وأبقاه ذخرًا لنا، ولَمّا طالعنا كتابَه هذا وتصفّحنا فيه، وجدناه أشمل كتاب وأجمعه في عرض عقائد أهل السنة في ذاته تعالى، وفي مسائل التوسل والاستعانة والتشفع وغيرها، مما يخالفه ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وأذنابهما من أهل التكفير والتبديع، وهو كتاب حافل بالحجج الباهرة والدلائل القوية المنتقاة من الكتاب والسنة المحمدية والدلائل الثابتة ممن يعوّل عليهم من أساطين الأمة المحمدية وأركان الشريعة الإسلامية من الصحابة والتابعين وتـَبَعِهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. وفيه ردّ شامل لعقائد ابن تيمية الضالّ المضلّ، وتفنيد لآرائه الواهية، ودمغ لتقوّلاته الكاذبة بأسلوب قويّ، وكشف القناع عن

تلبيساته وتدليساته في الحديث الشريف وأقوال الأئمة الأعلام، وجواب مقنع شافٍ لتسويلاته الشيطانية التي اقترفها لتضليل المسلمين وإغوائهم عن سواء السبيل.

فجاء الكتاب تحفة غالية أتحفنا بها محدّثنا الجليل، وسلاحًا ماضيًا جهّزنا به قائدنا العظيم، ومرجعًا كبيرًا نرجع إليه في حلّ المعضلات، ومصدرًا موثوقًا نعوّل عليه في التغلب على الفرق الضالة كالوهابية والقاديانية والمجسمة، ومستندًا عظيمًا ندعو به التائهين في متاهات الكفر والشرك والزندقة إلى هدى الله وجنته، فعلينا الشكر لهذه الشخصية الكريمة على تأليفها مثل هذا الكتاب القيّم، ولربنا الخالق على أنه قيّض لنا قائدًا مثل هذا القائد العظيم، تلبية لقول الرسول الكريم الرؤوف الرحيم: **«من لم يشكر الناسَ لم يشكر الله»**[1]، نعود فندعو الله الكريم أن يجعل حياته جهادًا في سبيل الدين، وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد، وعلى ءاله وصحبه وحزبه أجمعين.

الأستاذ نصر الله القادري
مدرسة فيض العلوم ـ محمد ءاباد
الأستاذ محمد فضل حسن قادري
الأستاذ محمد عارف عبد الله المصباحي

---

(1) **سنن الترمذي**، الترمذي، كتاب البر والصلة، باب الشكر لمن أحسن إليك، (339/4)، الحديث 1955.

شهادة الشيخ المنديلي ـ أندونوسيا

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لله من جعل أهل الحق هم السواد الأعظم من هذه الأمة، ونوّر بصيرتنا في اتباع الحق ومحاربة من تكبّر، والصلاة والسلام على شفيع الأمة، وعلى ءاله وصحبه ومن تبعهم بإحياء السنة وحفظ الشريعة وبعد. فإن كتاب «التعقّب الحثيث على من طعن فيما صحّ من الحديث» و«نصرة التعقب الحثيث» لمؤلفهما شيخنا العلامة، فخر أهل السنة والجماعة الشيخ الحافظ عبد الله الشيبيّ حفظه الله ومتّعنا بطول عمره من أكبر نعم الله تعالى علينا.

إذ بهما كشف الله لنا سخافة الألبانيّ وتناقضه، واتباعه لهواه، وقلة بضاعته في علم الحديث، وأنه لا اعتبار في تصحيحه وتضعيفه لأحاديث الرسول ﷺ، والحال أنهما من وظيفة الحفّاظ، وأنّى له هذه الرتبة العلية؟

فجزى الله شيخنا عبد الله الشيبيَّ خير الجزاء، وحقَّق له كل ما يتمناه في الآخرة والأولى، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، ءامين.

الحاج عبد القادر المنديلي

دار التوحيد ـ أندونوسيا

شهادة الشيخ محمد شافعي حذامي الأندونيسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه من بعده. أما بعد، فقد طالعت الرسالة الموسومة بـ«التعقب الحثيث على مَن طعن فيما صح من الحديث»، فإذا هي نِعم الفخر، وحجة بالغة للمحققين على المبطلين، لا سيما أن مؤلفها هو الشيخ العلامة عبد الله بن محمد الشيبيّ العبدريّ الهرريّ، المعروف بالحبشيّ، ذو التحقيق والتدقيق والتنميق كثّر الله من أمثاله، وجزاه الله عنا وعن المسلمين في صناعته لقمع البدعة، ورفع السنة النبوية، والردّ على المشبهة الطاعنة في الأحاديث المروية برواية لا بأس بها والحسن، والضعيف المتفق على جواز إعماله في فضائل الأعمال، والترغيب والترهيب عند المحدثين والفقهاء والمتكلمين. وهي رسالة مشحونة بالأدلة المنقولة الشرعية، ومؤيَّدة بالبراهين العقلية المرضية التي لا ينبغي أن تخلو خزانة من مكتب العلوم عنها. ونحن معاشر المسلمين الأندونيسيين مبتهجون بوصول تلك الرسالة المهمة إلى أيدينا، ونشكر الله تعالى على ذلك، وندعو لمؤلفها بطول البقاء وهناءة العيش في صحة وعافية ظاهرًا وباطنًا، ورضا مولاه في الدنيا والآخرة، وأفاض الله علينا من بركاته ءامين، بجاه سيدنا محمد الأمين يا رب العالمين.

الحاج محمد شافعي حذامي

جاكرتا ـ أندونوسيا

شهادة الشيخ عمر نبعوني القادري ـ تركيا

التقى وفد المشاريع تركيا ـ برئاسة رئيس جمعية المشايخ الصوفية الشيخ جميل حليم ـ بالشيخ عمر نبعوني القادري حفظه الله، فكان من جملة كلامه:

«إن المحدث الشيخ عبد الله هو أكبر عالم في هذه الأيام، ولا يوجد مثله في بلاد الشام، ونحن نعرفه بقوة العلم والهمة العالية، كما نعرف طلابه المثقفين الذين يعملون على نشر علوم الشريعة، حتى إن بعض البنات

الصغيرات اللواتي يدرسن عند طلاب الشيخ كنّ سببًا في إسلام بعض النساء في ألمانيا. ونحن نشهد للمحدّث الشيخ عبد الله الهرريّ حفظه الله بالكرامات، وأما هؤلاء الذين يحاربونه فهم فارغون حاسدون، يطلقون الإشاعات والأكاذيب التي لا دليل لهم فيها.

اعتقادنا في الشيخ كبير. عندما كنت أزور بيروت في الماضي كنت أزوره وأستمع إلى أحاديثه ونصائحه، ثم إنه حفظه الله زارنا هنا في تركيا ورأيت منه الكرامات، وصار المشايخ يأتون إليه ويستفتونه في مسائل كثيرة، وكان حفظه الله يعطي لكلٍ جوابَه، فأقرّوا بفضله وعلمه وأحبوه كثيرًا. مولانا الشيخ عبد الله رجل عالم ووليّ كبير ولكن بعض الناس لا يعرفون قيمته».

المصدر: مجلة منار الهدى، العدد 20،
ذو الحجة 1414هـ - حزيران 1994م

نُبْذَة تعريفِيَّة عن حياةِ الشّيخ الدُّكتور جَمِيل حَلِيم

بقلم الناشر

من منارة الشرق ومهد العلم، بيروت مدينة العلم والعلماء، سطر المجد كتابًا بأحرفٍ ذهبيةٍ تسرد سيرةَ رجلٍ عرف قدرَ الآخرة فسعى لأجلها. هو السيد الشريف الحسيب النسيب رئيس جمعية المشايخ الصوفية الشيخ الدكتور عماد الدين أبو الفضل جميل بن محمد حليم، الحسينيُّ نسبًا، الأشعري عقيدةً، الشافعي مذهبًا، الرفاعي القادريّ طريقةً، خادم الآثار النبوية الشريفة.

هي حكايةٌ بدأت بيتيمٍ الْتَقى - وهو ابن عشرٍ تقريبًا لا أمَّ له ولا أبَ - بعلَّامة العصر وقدوة المحققين، محدث الزمان الشيخ عبد الله بن محمد الهرري الشيبي العبدري الذي قدم إلى بيروت عام ألفٍ وتسعمائةٍ وخمسين رومية، وقد رأى الشيخ في ذاك اليتيم ما أعجبه من حسن الإقبال على العلم والشجاعة في قول الحق والجرأة في الإقدام، فكفله.. ورأى فيه فارسًا من فرسان الدعوة المحمدية فاعتنى بهذا الغرس، فها هو ذاك اليتيم اليوم سهم في كنانة أهل الحق وعلم من أعلام الدعوة. أقبل المؤلف أحسن الإقبال يتابع دروس العالم الحافظ، لا ينقطع عن مجلسه ولا يترك مدارسة العلم وينقل ما سمعه عن الشيخ فكان تحت نظر شيخه وسمعه، ثم ما زال هذا الشاب المقبل على العلم يتردد على المجالس فلا يفوته منها خير إلا حصّله ولا يأخذ مسألة إلا تدارسها مع أقرانه حتى حضر مع الشيخ في إقراء وشرح كتبه وكتب غيره من العلماء في شتى العلوم والفنون، وسمع منه ءالاف المسائل والإملاءات. وكان الشيخ كثيرًا ما يُعطي الدرسَ ثم يأمر المؤلفَ بإعادته، فشبَّ ينهل المعارف ويسلك سبل السلام متمسكًا بمنهاج شيخه متخلِّقًا بأخلاقه، ءامرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، ذا عزم وهمة، ومنتصرًا لقضايا الأمة.

وفي سنة 1979ر استلم الـخَطابة في مساجد بيروت وأجاد بذلك، حتى إنه كان له تأثيرٌ كبيرٌ في نفوس المصلين، فالتَفَّت القلوب حوله تجمعهم المحبة في الله والأخوة الحقة.

وكان الشيخ يُرسله إلى العديد من البلاد لنصرة دين الله وتعليم الناس

ونشر المفاهيم السليمة، فاستقبله أهلها وعلماؤها بالترحاب، وأجازه كثيرٌ من العلماء والمحدّثين والفقهاء والمشايخ إجازةً عامةً مطلقةً بكل ما تجوز لهم روايته، وممن أخذ عنهم وأجازه:

الشيخ الإمام الحافظ المجتهد عبد الله بن محمد الهرري المعروف بالحبشي.

الشيخ المعمر ملا حسن سيد أفندي مستك أوستوران الحنفي القادري النقشبندي القونوي التركي.

مفتي وشيخ العراق الفقيه المفسر الـمُعَمَّر عبد الكريم محمد المدرس بمدرسة الشيخ عبد القادر الكيلاني الشافعي النقشبندي.

- مسند عصره المحدث الشيخ أبو الفيض محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني الأندنوسي ثم المكي.
- محدث الهند الشيخ حبيب الرحمن بن الشيخ صابر الأعظمي الحنفي.
- المحدّث المعمَّر الفقيه عبد الرحمٰن بن شيخه أبي الإسعاد وأبي الإقبال خادم السنة محمد عبد الحي بن شيخه أبي المكارم عبد الكبير بن شيخه أبي المفاخر محمد بن عبد الواحد الحسيني الحسني الإدريسي الكتّاني.

محدث البلاد التونسية الشيخ محمد الشاذلي بن الشيخ محمد الصادق ابن الشيخ محمد الطاهر النّيفر.

الشيخ مفتي البلاد التونسية كمال الدين بن الشيخ محمد العزيز جعيط.

المحدث الفقيه الحنفي محمد عاشق إلهي البرني ثم المدني المفتي في دار العلوم ـ كراتشي.

الشيخ الفقيه الشافعي أحمد نصيب المحاميد الحوراني ثم الدمشقي تلميذ محدث الديار الشامية الشيخ بدر الدين الحسني.

الشيخ الزاهد محمد علي الحريري الرفاعي الحوراني ثم الدمشقي.

الشيخ الولي الصالح محمد سليم الرفاعي القاري.

مفتي محافظة الرقة السورية محمد السيد أحمد.

الشيخ المعمَّر الصالح صاحب الأحوال السنية محمد ياسين حزوري التركماني ثم الحمصي.

الشيخ الفرضي نور الدين خزنه كاتبي الدمشقي.

الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد هاشم المجذوب الرفاعي.

الشيخ الفقيه المعمَّر محمد زين العابدين بن الشيخ محمد عطاء الله ابن

الشيخ إبراهيم الجذبه.
مؤرخ الشام الفقيه الحنفي الشيخ محمد رياض المالح.
مفتي مكة المكرمة الشيخ أحمد الرقيمي الأشعري.
المفتي الشيخ عمر جيلاني الأشعري.
الشيخ المسند المقرئ إدريس منديلي الشافعي.
الشيخ المعمَّر الفقيه الشافعي أبو عمر عبد السلام القصيباتي العاتكي الدمشقي.
الشيخ محمد رجائي ابن الشيخ كمال الدين المشهور بشهيد ميسلون الحسني الدمشقي.
الشيخ يحيى بن سعيد الخطيب مفتي مدينة الرستن السورية.
الشيخ الدكتور أكرم عبد الوهاب الملّا يوسف محمد سعيد الموصلي الشافعي.
الشيخ المعمر يوسف محمود عمر العتوم الأردني.
الولي الصالح الهائم السائح نورين تندلكي السوداني القادري خليفة قطب السودان المعمَّر عبد الباقي بن الحاج عمر بن أحمد الحسيني المكاشفي.
المعمَّر الفقيه حامد بن علوي بن سالم بن أبي بكر الكاف الحسيني.
الشيخ سهيل بن محمد الزبيبي الدمشقي الحنفي.
الفقيه الأصولي المحدث عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري الطنجي.
المتبحر في فنون الحديث محمد بن المفتي محمد سراج بن محمد سعيد بن أبي بكر بن ءادم الآني الجبرتي.
الشيخ العابد الزاهد محمد أمين الودي المشتهر بشيخ كَسر شيخ نحاة الحبشة.
المعمَّر الشيخ عبد الصمد بن سادو قلتو الأوكولشي العروسي الأورومي.
المفتي الشيخ خطاب بن المفتي عمر الفقيري التلوي ثم الإسطنبولي التركي.
الفقيه ملا طيب بن عبد الله بن سليمان بن محمد البحركي.
العلّامة الفقيه الحبيب علي بن حسين بن عبد الله عيديد.
الشيخ المشهور محمد رشاد بن عبد الله الطرطري الهرري الأورومي

الشافعي.
الوجيه الشيخ السيد حسين بن السيد عبد الرحمٰن بن السيد عبد الصمد بن السيد الفقيه جمال الدين محمد الآني الشافعي الحبشي.
الشيخ المسند محمد عبد الرشيد النعماني الحنفي.
الشيخ الفاضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر الملا الإحسائي.
الشيخ المعمَّر محمد عثمان بلال مفتي مدينة حلب.
الشيخ الشريف السيدا محمد علي الجيلانباري.
الشيخ الأستاذ المتفنن في العلوم محمد سعيد أرواس ألواني.
الشيخ الفقيه الجبل الراسخ عبد العزيز بن الشيخ إبراهيم بن بلال.
الشيخ الفقيه الحنفي خطيب المسجد الأموي في دمشق الشيخ نزار محمد الخطيب.
الشيخ الحاج علي ولي حفيد ولي الله المشهور بالشيخ بشرى.
الشيخ المسند الرابغي عبد القادر البخاري.
الشيخ المسند عبد الحميد عبد الحليم الداري.
السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ جمال بن الشيخ إسماعيل ابن الشيخ إبراهيم الراوي الرفاعي نسابة العالم الإسلامي.
العلامة الفقيه عبد الرحمٰن كنج كويا تنكل قاضي بلال وعميد كلية السيد مدني العربية ومرشد جمعية علماء أهل السنة والجماعة بعموم الهند عبد الرحمٰن البخاري.
الشيخ المعمر محمد طاهر ءاية علجت الجزائري.
الشيخ الفقيه اللغوي المفتي الأمين عثمان الأمين.
الشيخ العلّامة المعمر الفقيه الحبيب حسين بن محمد بن هادي السقاف.
الشيخ المعمر محمد بن عمر المختار شيخ المجاهدين.
الفقيه الأصولي المحدث أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الحسني الغماري.

وبالإجمال فإجازاته فاقت السبعمائة إجازة، ومن أراد زيادة تفصيلٍ فلينظر في ثبتيه: «جمع اليواقيت الغوالي من أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي»، والثبت الكبير «المجد والمعالي في أسانيد الشيخ جميل حليم

العوالي».

وفي سنة 1985ر تزوج بالسيدة الفاضلة عائشة علي وأعقب منها السيد محمدًا والسيد عبد الرحمن والسيد زكريا والسيد يوسف والسيدة نور الهدى والسيدة هاجر.

وفي سنة 1995ر حج بيت الله الحرام، ثم زار قبر النبي المصطفى ﷺ واستوطن المدينة المنورة، ثم حجَّ بعد ذلك خمس عشرة حجةً واعتمر عمراتٍ كثيرة.

بعض المتون والشروح والمصنَّفات المتلَقَّاة في فنون شتى قراءةً وسَماعًا[1]

وقد أخذ وتلقى على العلماء من الكتب والمصنفات ما يصعب حصره لضيق المقام، وهي في علومٍ شتى، فمنها على سبيل المثال لا الحصر:

التوحيد والعقيدة:

- **سلسلة كتب الشيخ عبد الله الهرري:**

1. الدليل القويم على الصراط المستقيم.
2. متن الصراط المستقيم.
3. الشرح القويم على الصراط المستقيم.
4. إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية.
5. المطالب الوفية شرح العقيدة النسفية.
6. المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية.
7. العقيدة المنجية.
8. صريح البيان في الرد على من خالف القرءان.
9. بغية الطالب في معرفة العلم الديني الواجب (1ـ2).

---

(1) **تنبيه مهم:** الحمد لله الذي يَسَّر لي وأكرمني بأنْ قرأت عددًا كبيرًا من كتب علماء أهل السنة في مختلف العلوم والفنون على مشايخ وعلماء وفقهاء ومحدِّثين وقد رافق ذلك تحذيرهم تحذيرًا بالِغًا من بعض المواضع التي تخللتها بعضُ هذه الكتب مثل كتاب النَّهر المادّ والرسالة القشيرية وتفسير الجلالين وغيرها، وقد أكَّدوا على أنّ فيها ما يُحذَر بل وفيها ما هو خلاف عَقيدَةِ أهل السنة والجماعة مع الاعتقاد بأنّ ذلك مدسوس على مؤَلِّفِيها. فالعِبرة يا أخي المسلم هو بتَلَقِّي الكتب على أهل العلم الثِّقات ليُبَيِّنُوا للطالب ما دُسَّ في بعض الكتب من الطامّات المهلِكات، ولذلك قال العلماء: ««الَّذِي يَعتمد وَحْدَه على قراءة الكتب يَطلع ضالًّا مُضِلًّا». قال الإمام المحدث أبو بكر الخطيب البغدادي في كتابه ««الفقيه والمتفقه»: ««إنَّما يؤخذ العلم من أفواه العلماء». فعليك أخي المسلم بتحصيل العلم وأخذه عن العلماء لا بقراءة الكتب والاعتماد على ذلك بمفردك دون الرجوع إلى أهل العلم فإنَّ ذلك لا يكون تلقيًا معتبرًا.

10. شرح الصفات الثلاث عشرة الواجبة لله.
11. التحذير الشرعي الواجب.
12. رسالة في بطلان دعوى أولية النور المحمدي.
13. رسالة في الرد على قول البعض: إن الرسول يعلم كل شيء يعلمه الله.
14. الغارة الإيمانية في ردِّ مفاسد التحريرية.
15. الدرة البهية في حل ألفاظ العقيدة الطحاوية.
16. صفوة الكلام في صفة الكلام.
17. قواعد مهمة.
18. رسالة في الردّ على الداعي القادياني.

- **رسائل السنوسي الأربعة:**

19. العقيدة الكبرى.
20. العقيدة الوسطى.
21. العقيدة الصغرى (أم البراهين).
22. المقدمات في التوحيد.
23. الخريدة البهية للشيخ الدردير.
24. جوهرة التوحيد للقّاني.
25. الاعتقاد والهداية للبيهقي.
26. رسالة مختصرة مفيدة في التوحيد والعقائد لمفتي المدينة أحمد البرزنجي.
27. نظم العقائد النّسفيّة لمحمد الجوهري الشافعي.
28. مختصر القضاء والقدر للحافظ البيهقي.

- **رسائل أبي حنيفة الخمس:**

29. الفقه الأكبر.
30. الفقه الأبسط.
31. العالم والمتعلم.
32. رسالة أبي حنيفة إلى عثمان البتي.
33. رسالة الوصية المسماة وصية الإمام أبي حنيفة في التوحيد.
34. بدء الأمالي للفرغاني.
35. حدائق الفصول وجواهر العقول المعروفة بالعقيدة الصلاحية لابن هبة الله البرمكي.
36. عقيدة العوام للمرزوقي.
37. كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام للفَضالي.
38. التبيان في الرد على من ذم علم الكلام.
39. الرسائل الإيمانية في الرد على القدرية: رسالة الخليفة عمر بن عبد العزيز ورسالة محمد بن الحنفية ورسالة الأوزاعي في الرد على غيلان.
40. القول الفصل المنجي في الردّ على حسن قاطرجي.
41. خلق أفعال العباد والردّ على الجهمية وأصحاب التعطيل للإمام البخاري.
42. النَّهج السَّوِيّ في الرد على سيد قطب وتابعه فيصل مَوْلَوِي.

- **رسائل القشيري الثلاث:**

43. لمع في الاعتقاد.

44. بلغة المقاصد.

45. الفصول في الأصول.

46. قواعد العقائد للغزالي.

47. إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة للمقري.

48. دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي.

49. كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني.

50. شرح الإرشاد في أصول الاعتقاد للمقترح.

51. التنزيه في إبطال حجج التشبيه المسمى إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لابن جماعة.

52. رسالة استحسان الخوض في علم الكلام للأشعري.

53. عقيدة أهل التوحيد للسنوسي، وغيرها.

54. المِنحة الغَيبيّة في الرّد على الفرقة الوهّابيّة للمفتي محمد سراج الجبرتي.

55. المنظومة الميمِيّة في العقيدة للمفتي محمد سراج الجبرتي.

56. تقريب العقائد السَّنِيَّةِ بالأدلة القرءانيَّة ويليه فتوى في واضع علم التَّوحيد لمحمَّد عليش المالكي.

57. عقود الجمان في عقائد أهل الإيمان لشيخ الأزهر سليم البشري المالكي.

58. العقيدة البرهانيَّة والفصول الإيمانيَّة لأبي عمرو السلالِجي.

59. هداية الإخوان بشرح عقيدة الإيمان لعمر بن سُمَيْط العلوي الحضرمي.

60. حبل الله المتين في عقيدة الشيخ الأكبر محي الدين لحسين البيتماني الدمشقي.

61. كنه ما لا بد للمريد منه لمحي الدين ابن عربي.

62. جزء فيه اعتقاد أهل السنَّة لأبي بكر الرحبي.

الكتب الحديثية:

63. صحيح البخاري.
64. صحيح مسلم.
65. سنن أبي داود.
66. جامع الترمذي.
67. سنن النسائي.
68. سنن ابن ماجه.
69. موطأ مالك بالروايات الثلاث: رواية يحيى بن يحيى الليثي، ورواية أبي مصعب الزهري المدني، ورواية محمد بن الحسن الشيباني.
70. صحيح ابن خزيمة.
71. الأدب المفرد للبخاري.
72. المسند الجامع للدارمي.
73. مسند أبي داود الطيالسي.
74. مسند أبي حنيفة برواية ابن الحارث
75. بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني.
76. تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد للعراقي.
77. عوالي الإمام مالك للحاكم الكبير.
78. عوالي الإمام مسلم للحافظ العسقلاني.
79. مكارم الأخلاق للطبراني.
80. جزء سفيان الثوري في الحديث

81. الشمائل المحمدية للترمذي.
82. الأربعون النووية.
83. شرح الأربعين النوويّة المنسوب لابنِ دقيق العيد أو العَسقلانـي.
84. بر الوالدين للإمام البخاري.
85. جزء القراءة خلف الإمام للإمام البخاري.
86. القراءة خلف الإمام للحافظ البيهقي.
87. مسند أبي بكر الصديق لأبي بكر المروزي.
88. مسند أمير المؤمنين عمر بن العزيز للباغندي.
89. عقد الجوهر الثمين للعجلوني.
90. الأوائل الحديثية المائة، أوائل مائة كتاب من كتب الحديث بالأسانيد المتصلة إلى مؤلفيها.
91. الأوائل السنبلية لمحمد سنبل.
92. الأذكار للنووي.
93. رياض الصالحين للنووي.
94. جُزء الصِّلات والوَفا في الصلاة على المصطفى للحافظ السيوطي.
95. الأربعون حديثًا من أربعين كتابًا عن أربعين شيخًا للفاداني.
96. الأربعون البلدانية، أربعون حديثًا عن أربعين شيخًا من أربعين بلدًا للفاداني.
97. الأربعون البلدانية المسمى الأربعين المستغني بما فيه عن المعين للسِّلَفي.
98. المعجم الصغير للطبراني.
99. عمل اليوم والليلة للنسائي.
100. تهذيب خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للحافظ النسائي.

101. إحياء الميت بفضائل أهل البيت للسيوطي.
102. الأربعون الهررية.
103. جِياد المسلسلات للسيوطي.
104. الجامع الصغير للسيوطي.
105. كتاب الأربعين حديثًا محذوفة الأسانيد للسيوطي – المجلس الأول.
106. كتاب الأربعين حديثًا محذوفة الأسانيد للسيوطي – المجلس الثاني.
107. بغية الملتمس في سباعيات حديث الإمام مالك بن أنس للعلائي.
108. جزء أبي بكر أحمد بن محمد الأثرم تلميذ أحمد بن حنبل في الحديث.
109. المنتقى لابن الجارود.
110. أربعون حديثًا من جوامع الكلم للقاري.
111. الثمانون: جزء فيه ثمانون حديثًا عن ثمانين شيخًا للآجري.
112. الكواكب الزاهرة في الأربعين المتواترة للحمزاوي.
113. رفع الجناح وخفض الجناح بأربعين حديثًا في النكاح للقاري.
114. كتاب الأربعين في الأحكام لنفع الأنام للجعبري وغيرها.
115. الثالث من أماليِّ ابن الصلاح للحافظ ابن الصلاح.
116. مجموع فيه: التَّوبة ـ حديث أهل حُردان ـ ذم ذو الوجهين واللسانين ـ فضل شهر رمضان ـ فضل يوم عرفة. للحافظ ابن عساكر.
117. الثلاثيات التي في مسند الإمام أحمد بن حنبل تخريج الحافظ محب الدين المقدسي. ومعها الزيادات على الثلاثيات للحافظ ضياء الدين المقدسي.
118. أربعون حديثًا عن أربعين شيخًا من عوالي المُجِيزين للإمام المراغي. تخريج الحافظ العسقلاني.

119. من صحاح الأحاديث القدسية مئة حديث قدسي. بقلم محمَّد عوامة.
120. كتاب الأربعين (وهو ثاني الأربعينيات في الحديث النبوي) للحافظ الطوسي.
121. كتاب الأربعين للحافظ الأصبهاني.
122. مختصر الخصال المكفرة للحافظ السيوطي.
123. كتاب الأربعين في تصحيح المعاملة للإمام القشيري.
124. كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته للحافظ أبي عبيد بن سَلام.
125. كتاب الإيمان للحافظ ابن أبي شيبة.
126. عوالي الأسانيد من نفائس السنة النبوية للحافظ ضياء الدين المقدسي.
127. جزء فيه من عوالي الشيخات الست للحافظ القاسم البرزالي الدمشقي.
128. مجموع فيه أجزاء حديثيَّة ويليه الثمار الشهيَّة الملتقطة من آثار خير البريَّة، والدرر البهيَّة المنتقاة من ألفاظ الأئمة المرضيَّة لابن المبرد بن عبد الهادي.
129. القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة للحافظ السخاوي.
130. كتاب الآداب للحافظ ابن أبي شيبة.
131. الأربعون في ردع المجرم عن سبِّ المسلم للحافظ العسقلاني.
132. الأربعون حديثًا من رواية مالك عن نافع عن ابن عمر للحافظ السيوطي.
133. كتاب فيه أربعون حديثًا من مسند بُرَيْد بن عبد الله بن أبي بُرْدَة عن جدّه أبي موسى الأشعري للحافظ الدارقطني.
134. الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار لزين الدين الحازمي

الهمداني.

135. المسند للحافظ الحُمَيْدي.

136. جزء الجابري للحافظ الأصبهاني.

137. أربعون حديثًا في فضل القرءان العظيم لعبد الرحمن الحضرمي.

138. رياض أهل الجنَّة بآثار أهل السنَّة لعبد الباقي البعلي الحنبلي. اختيار الفاداني.

139. كتاب الأربعين للحافظ النسوي.

140. أربعون حديثًا في تارك الصلاة ومانع الزَّكاة والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر والوصيَّة بالجار لنجم الدين الغيطي المصري.

141. جزء في الرخصة في تقبيل اليد للحافظ ابن المقرئ.

142. الأربعون حديثًا في فضائل الصدقة وآدابها ومجالاتها وأحكامها لنجم الدين الشاذلي.

143. الفوائد المنتقاة عن الشيوخ الثِّقات العوالي من حديث هلال بن العلاء الباهلي وغيره رواية أبي بكر النَّجاد عنهم.

144. جزء فيه الأحاديث العوالي الثمانيات والتساعيات لمجد الدين الفيروز آبادي.

145. جزء فيه ذكر صلاة المصطفى خلف أبي بكرٍ الصديق للحافظ ضياء الدين المقدسي.

146. كتاب الأربعين حديثًا المتباينة الأسانيد للحافظ تقي الدين الفاسي المكي.

147. رسالة في صلاة النبي بالأنبياء عليهم السلام ليلة الإسراء للحافظ عبد الغني المقدسي.

مصطلح الحديث:

148. شرح نخبة الفكر للعسقلاني.
149. تعليقات المحدِّث محمد سراج الجبرتي ابن المفتي على شرح نخبة الفكر للعسقلاني.
150. معرفة أنواع علم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح.
151. شرح الزرقاني على المنظومة البيقونية.
152. ألفية السيوطي في مصطلح الحديث.
153. المنحة الربانية شرح المنظومة البيقونية لمحمد سراج.
154. ألفية العراقي المسماة التبصرة والتذكرة في علوم الحديث.
155. شرح ألفية العراقي للسيوطي.
156. التعقب الحثيث على من طعن فيما صحَّ من الحديث للهرري.
157. نصرة التعقب الحثيث على من طعن فيما صحَّ من الحديث للهرري.
158. التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث للنووي.
159. شرح التبصرة والتذكرة للعراقي.
160. شروط الأئمة الستة لأبي الفضل المقدسي.
161. شروط الأئمة الخمسة لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي.
162. رسالة أبي داود السجستاني في وصف سُنَنِه.
163. قاعدة في الجرح والتعديل لتاج الدين السبكي.
164. قاعدة في المؤرِّخين لتاج الدين السبكي.
165. المتكلمون في الرجال للحافظ شمس الدين السَّخاوي.
166. أسباب ورود الحديث أو اللمع في أسباب ورود الحديث للسيوطي.

167. الرَّفع والتكميل في الجَرح والتعديل للمحدّث محمد عبد الحيّ اللَّكنويّ الهِندي الحنفيّ.

168. رسالة في وصول البلاغات الأربعة في الموطأ للحافظ ابن الصلاح.

169. ما لا يسع المحدث جهله للمحدِث الميَانشي.

170. التسوية بين حدَّثنا وأخبرنا للإمام الطحاوي.

171. رسالة في جواز حذف (قال) عند قولهم حدَّثنا لمحمَّد الفاسي.

172. التنقيح في مسألة التصحيح للحافظ السيوطي.

الآداب والتصوف:

173. تذكرة السامع والمتكلِّم في ءاداب العالم والمتعلِّم لابن جماعة.

174. رسالة المسترشدين للمحاسبي.

175. اختصار وتهذيب وتعليق على الرسالة القشيرية.

176. رسالة ءاداب سلوك المريد للحبيب عبد الله بن علوي الحداد.

177. جزء من كتاب: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي.

178. إجابة الداعي إلى بيان اعتقاد الإمام الرفاعي.

179. إرشاد الأواه إلى تحريم ذكر الله بلفظ ءاه.

180. مناقب الإمامين الرفاعي والجيلاني رضي الله عنهما وتبرئة الجيلاني مما نسبه إليه الدجالون.

181. مجمع العيلمين في مناقب أبي العلمين.

182. وصية أبي حنيفة لتلميذه يوسف السَّمْتي.

183. كرامات الأولياء للخلَّال.

184. الأربعون في التصوف للسُّلَمِي.
185. الأربعون حديثًا الصِّدِّيقيّة للمحدّث عبد الله بن صِدِّيق الغُماري.
186. صفة المؤمن والمؤمنة للإمام ذو النون المصري.

الفقه الشافعي:

187. شرح التنبيه للسيوطي.
188. المهذب للشيرازي.
189. منهاج الطالبين للنووي.
190. تحرير تنقيح اللباب لزكريا الأنصاري.
191. عمدة السالك وعدة الناسك لابن النقيب.
192. الحاوي الصغير للقزويني.
193. شرح متن أبي شجاع للغزي.
194. شرح متن الزبد للهرري.
195. المقدمة الحضرمية للحضرمي.
196. فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين للمليباري.
197. فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب لزكريا الأنصاري.
198. الإقناع للخطيب الشربيني.
199. المنهج القويم بشرح مسائل التعليم للهيتمي.
200. الأحكام السلطانية للماورديّ.
201. الرسالة الجامعة والتذكرة النافعة للحبيب الحبشي.
202. متن سفينة النجاة في ما يجب على العبد لمولاه للحضرمي.

203. رسالة في مسائل تتعلق بالذبائح والنذور للمحدِّث محمد سراج الجبرتي ابن المفتي.

204. المختصر الصغير فيما لا بدّ لكلّ مسلم من معرفته في العبادات للفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بافضل الحضرمي.

205. الياقوت النفيس في مذهب ابن إدريس للعلامة أحمد بن عمر الشاطري.

206. مختصر الإيضاح في مناسك الحجّ للحافظ النوويّ.

207. منسك يتعلق بحج المرأة للحافظ النووي.

208. أوجه الاختلاف بين الرجل والمرأة في هيئات الحج والعمرة للحافظ النووي.

209. متن سلَّم التوفيق إلى محبَّة الله على التحقيق للفقيه عبد الله بن حسين الحضرمي.

210. الموجَز المُبين في بيان المُهِمّ مِن عِلم الدِّين للعلامة عفيف الدِّين عبد الله بن محمد باقُشَير الحضرمي الشافعي.

211. مختصر المنتقى للفقيه أحمد بن أبي بكر بن عبد الهادي باشعبان الحضرمي التريمي.

212. جزء في التهنئة في الأعياد وغيرها للحافظ العسقلاني.

213. تحفة الطلاب في مستثنيات كل ما كان أكثر في العمل فهو أكثر في الثواب للمحدِث نجم الدين الغزي الشافعي.

214. منظومة الحافظ زين الدين العراقي في الصور التي يستحي فيها الوضوء وشرحها لابنه ولي الدين العراقي.

215. قرة العين لمن وعا في استحباب رفع اليدين في الدعا للمحدث أحمد الغزي.

216. كشف الضبابة في مسألة الاستنابة للحافظ السيوطي.

217. مسألة في التطوع بالصلوات في أحد المساجد الثلاثة هل فعلها فيها أفضل

من فعلها في البيوت؟ للحافظ العلائي.

218. مسألة في وجوب تخميس الغنيمة وقسم باقيها للحافظ النووي.

219. مسألة في قصِّ الشارب للحافظ زين الدين العراقي.

220. السبحة الثمينة لنظم السفينة للحبيب أحمد مشهور بن طه الحداد.

221. وصية في آداب زيارة المصطفى للحبيب أحمد مشهور الحداد.

222. اختلاف العلماء للحافظ المروزي.

223. رسالتا شروط الوضوء وشروط الإمامة لشهاب الدين الرملي الشافعي.

224. الجواب الشافي عن السؤال الخافي للحافظ العسقلاني.

225. منظومة ابن العماد في المعفوات لابن عماد الأقفهسي الشافعي.

مجموعة كتب الإمام الشافعي:

226. كتاب الأم.

227. كتاب الرسالة.

228. كتاب اختلاف العراقيين، وهو اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى.

229. كتاب اختلاف علي وعبد الله بن مسعود.

230. كتاب اختلاف مالك والشافعي.

231. كتاب جماع العلم.

232. كتاب بيان فرائض الله.

233. كتاب صفة نهي رسول الله.

234. كتاب إبطال الاستحسان، وهو الردُّ على محمد بن الحسن الشيباني.

235. كتاب سير الأوزاعي.

236. اختلاف الحديث.

237. مختصر البويطي.

238. مسند الإمام الشافعي.

239. ألفية في الفقه على مذهب الشافعي لأبي بكر الحِبْشِي.

الفقه الحنفي وأصوله:

240. مختصر القُدُوريّ.

241. اللباب في شرح الكتاب للغنيمي الميداني الحنفي.

242. أصول الشاشي لأبي عليّ الشاشي الحنفي.

243. الهداية شرح البداية للمرغينياني الحنفي.

244. نور الإيضاح للشُّرُنبُلالي.

245. نور الأنوار في شرح المنار لمُلّا جيون.

246. المنتخب في أصول المذهب المشهور بالحُسامي لحسام الدين الأخسيثكي.

247. رسالة في بيان إفراد الصَّلاة عن السَّلام هل يكره أم لا لملا علي القاري.

248. الفيض المبين في تحرير الصاع عند المجتهدين بمكيال البلد الأمين لمحمد السندي.

249. الجامع الصغير للإمام الشيباني.

الفقه المالكي:

250. متن ابن عاشر في الفقه المالكي.

251. رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

252. الارتشاف في إيضاح قواعد الخلاف مختصر إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك لإبراهيم المالكي المكي.

الفقه الحنبلي:

253. كتاب التسهيل في الفقه على مذهب الإمام الربَّاني أحمد بن حنبل الشيبباني لأبي عبد الله محمد البعلي الحنبلي.

علوم القرءان:

254. تفسير النسفي.
255. تفسير الجلالين للسيوطي والمحليّ.
256. التفسير النهر المادّ لأبي حيّان الأندلسيّ.
257. تفسير جزء عم للهرري.
258. تفسير جزء تبارك للهرري.
259. لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي.
260. الإتقان في علوم القرءان للسيوطي.
261. التبيان في ءاداب حملة القرءان للنووي.
262. الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي.
263. النّاسخ والمنسوخ في القرءان الكريم لأبي جعفر بن النّحّاس.

أصول الفقه وقواعده:

264. الفرائد البهية في نظم القواعد الفقهية لأبي بكر الأهدل.

265. قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين للرعيني.

266. الغيث الهامع شرح جمع الجوامع للعراقي.

267. الأشباه والنظائر للسيوطي.

268. لُبّ الأصول في علم الأصول لزكريا الأنصاري.

269. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة لزكريا الأنصاري.

270. مراقي السُّعود لمبتغي الرُّقِيّ والصعود لعبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي.

السيرة النبوية:

271. ألفية السيرة النبوية للعراقي.

272. مختصر سيرة النبي وسيرة أصحابه العشرة للمقدسي.

273. جزء من العجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للمناوي.

274. بُردة المديح لشرف الدين البوصيري.

275. مختصر كتاب الكواكب الدرية في مدح خير البرية المسماة بالبردة ومختصر كتاب عنوان الشريف بالمولد الشريف لعلي بن ناصر الحجازي، اختصره عبد الله الهرري.

276. الروائح الزكية في مولد خير البرية للهرري.

277. كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لابن عساكر.

278. مختصر كتاب الفتح الرحماني في ذكر الصلاة على أشرف الخلائق الإنساني سيدنا محمد المصطفى العدناني ﷺ وعلى ءاله وأصحابه النجباء البررة الكرام، اختصره عبد الله الهرري.

279. القصيدة الهمزية في مدح خير البَرِيّة للبوصيري.

280. الإشارة إلى سيرة المصطفى ومن بَعدَه من الخلفاء للحافظ مُغْلَطَاي.

281. قرّة الأبصار في سيرة المشفَّع المختار للفقيه عبد العزيز بن عبد الواحد اللَّمَطِيّ الفاسيّ.
282. الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض .
283. الانتهاض في ختمِ الشفا لعياض للحافظ السخاوي.
284. مجلس في ختم الشفا بتعريف حقوق المصطفى لابن ناصر الدين الدمشقي.
285. الثغور الباسمة في مناقب سيدتنا فاطمة بنت رسول الله للحافظ السيوطي.
286. عرفُ التَّعرِيف لابنِ الجزري.

في النحو والصرف

287. ألفية ابن مالك في النحو والصرف لابن مالك.
288. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لابن عقيل.
289. شرح الفواكه الجنية على متممة الآجرومية لعبد الله الفاكهي.

وغيرها الكثير في شَتّى العلوم والفنون.

يرأس جمعية المشايخ الصوفية في لبنان، ويشغل مناصب مختلفة في عدد من الجمعيات منها:

جمعية السادة الأشراف في لبنان.

جمعية مشيخة الصوفية في مصر.

نقابة السادة الأشراف في العراق.

نقابة الأشراف في بيت المقدس.

جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية.

الأمانة العامة لأنساب السادة الهاشميين.

الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب.

وهو حائزٌ على شهادتي دكتوراه، الأولى من الجامعة العالمية في بيروت ـ لبنان تحت عنوان «السُّقوط الكبير المدوِّي للمجسِّم ابن تيمية الحرَّاني» بتقديرٍ ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، والأخرى من جامعة مولاي إسماعيل في مدينة مكناس ـ المغرب تحت عنوان «التأويل في علم الكلام وضوابطه عند أهل السنة والجماعة» وذلك بتقدير مشرف جدًّا ولله الحمد والمنة.

وهو مجازٌ بالطرق كلها، وإعطائها، وتلقين الأذكار والأوراد، وإقامة حلقات الذكر، والختم، والحضرة.

كما أنه دُعي وجال وتنقل في كثير من البلاد العربية والإسلامية والأوروبية كالحجاز وسوريا والأردن والعراق ومصر وليبيا واليمن والمغرب والإمارات العربية وأندنوسيا وماليزيا والهند وباكستان وبنغلادش وجزر الموريس وأستراليا وألمانيا وفرنسا وهولندا وفنلندا والسويد والدنمارك وتركيا وقبرص وهرر وبلاد أثيوبيا للتدريس والخطابة والتوجيه والمشاركة في المهرجانات وتفقد أحوال المسلمين والدعوة الإسلامية، وشارك وحاضر في عدد كبير من المؤتمرات في مختلف بقاع الأرض، وله مقالات ومقابلات تلفزيونية وإذاعية نُشرت.

أولى اهتمامه العلم والمطالعة، فهو يعكف اليوم على تأليفِ الكتب وتحقيق مصنفات العلماء في مكتبته التي وسمها بالمكتبة الأشعرية العبدرية في بيروت وقد حوت ءالاف الكتب المطبوعة والمخطوطة النادرة بشتى العلوم والفنون، وجعل مكتبته مفتوحةً لطلبة العلم والباحثين، ناهيك عما عُقد فيها من محاضراتٍ علميةٍ ومجالس إقراءٍ زكاةً للعلم.

هذا وقد خصَّهُ بعض العلماء وأحفاد رسول الله ﷺ وأصحاب الطرق من تركيا وسوريا ومصر واليمن وباكستان والهند وغيرها بآثارٍ من ءاثار رسول الله محمد ﷺ، فحفظها في الخزينة الحليمية التي حوت شعراتٍ من شعراتِ نبي الله الأعظم ﷺ وقطعًا من عمامته وقميصه ونعله وغيرها من الآثار، وكل ذلك موثقٌ بالأثبات والأختام التي تثبت صحة نسبتها إلى رسول

الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وفي كل عام يتبرك عشرات الآلاف من المسلمين في شتى البلاد ببعض هذه الآثار الزكية[1].

مِن ءاثارِ الشيخ الدكتور جميل حليم

1. بحر الدلائل والأسرار في التبرك بآثار المصطفى المختار.
2. أسرار الآثار النبوية، أدلة شرعية وحالات شفائية.
3. لُباب النُقول في تأويل حديث النزول.
4. النجوم السارية في اضطراب وبطلان الاحتجاج بحديث الجارية.
5. عمدة الكلام في أدلة جواز التبرك والتوسل بخير الأنام.
6. التشرف بذكر أهل التصوف.
7. فصل الكلام في أن إحراق النفس وإجهاض الجنين الحي وما يسمى بتأجير الأرحام إثم وحرام.
8. الحجج النيرات في إثبات تصرف النبي والولي بعد الممات.
9. الفرقان في تصحيح ما حُرّف تفسيره من آيات القرءان الجزء الأول.
10. الفرقان في تصحيح ما حُرّف تفسيره من آيات القرءان الجزء الثاني.
11. القواعد القرءانية في تنزيه الله عن الشكل والصورة والكيفية.
12. البرهان المبيّن في ضوابط تكفير المعيّن.
13. نقل الإجماع الحاسم في بيان حكم الجهوي والمجسم.
14. نيل المرام في بيان الوارد في حكم ما جاء في اللحم والشحم من الأحكام.
15. قرة العينين في تربية الأولاد وبر الوالدين.
16. لطائف التنبيهات على بعض ما في كتب الحديث من الروايات.
17. التعليق المفيد على شرح جوهرة التوحيد.

---

(1) للتواصل مع المؤلف راجع ما يلي:

+9613215316

+9613006078

sh.jamil.halim@gmail.com

https//:www.facebook.com/Sheikh.Jameel

18. القمر الساري لإيضاح غريب صحيح البخاري.
19. الشهد المذاب من زهر المحبة بين الآل والأصحاب.
20. الارتواء من أخبار عاشوراء، ودمع العين على استشهاد الإمام الحسين.
21. البركان الجارف لشرح المجسم ابن أبي العز التالف.
22. مريم والمسيح في نص القرءان الصريح.
23. جامع الرسائل الإيمانية في بيان العقيدة الإسلامية.
24. طالعة الأقمار من سيرة سيد الأبرار.
25. لآلئ الكنوز في إباحة الرقية وحمل الحروز.
26. حقيقة التصوف الإسلامي.
27. البيان والتوضيح في أن قول النبي في معاوية «لا أشبع الله بطنه» ليس منقبة له ولا فضيلة بل دعاء عليه وذم صريح.
28. جمع اليواقيت الغوالي من أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي.
29. المجد والمعالي في أسانيد الشيخ جميل حليم الغوالي وهو الثبت الكبير.
30. السهم السديد في ضلالة تقسيم التوحيد.
31. الكوكب المنير في جواز الاحتفال بمولد الهادي البشير.
32. زهر الجنان في جواز الاحتفال بليلة النصف من شعبان.
33. إتحاف المسلم بإيضاح متشابهات صحيح مسلم (أربعة أجزاء).
34. الدرر السلطانية والفوائد الإيمانية من فيض بحر السلطان الحبشي خادم السنة النبوية.
35. جواهر الأئمة في تفسير جزء عم.
36. المنهج المبارك في تفسير جزء تبارك.
37. السقوط الكبير المدوي للمجسم ابن تيمية الحراني.
38. المدد القدسي في فضل وتفسير آية الكرسي.
39. قلائد الأمة المرصعة بعقيدة الأئمة الأربعة.
40. تحقيق وتعليق على متن الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة النعمان.
41. لوامع الأهلة والنجم في جوامع أدلة الرجم.
42. ضياء القمرين في نجاةِ والدَي الرَّسولِ ﷺ الشَّريفيْن.
43. الطريقُ النوراني بشرح عقيدة الحافظ ابن حجر العسقلاني.

44. الصراط المستقيم بشرح عقيدة القشيري عبد الكريم.
45. **درب السلامة في فوائد وإرشادات العلّامة أو سمعت الشيخ يقول وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا.**
46. إسعاد الأرواح والقلوب بتبرئة نبي الله أيوب.
47. شيخنا القائد الكرّار الشهيد الحلبي نزار.
48. تحقيق وتعليق على مختصر سيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه العشرة للمقدسيّ.
49. الفوائد الهررية على العقيدة السنوسية.
50. النجم الأظهر في شرح الفقه الأكبر.
51. البحر الجامع لمناقب القطب الرفاعي اللامع.
52. معجم أهل الإيمان في تنزيه الله عن الجسمية والكيفية والمكان.
53. إجماع أهل التنزيل على إثبات حقيَّة التأويل.
54. إجماع أهل الحق والفضيلة على جواز التوسّل والوسيلة.
55. إسعاف فضلاء البشر بأدلة جواز التبرك من الكتاب والسنة والأثر.
56. البوارق الإيمانية في إثبات أدلة الصوفيّة.
57. رسول الله كأنك تنظر إليه وتراه.
58. معجم الأصول الجامع لمتون عقيدة الرسول.
59. الشرح الكبير لعقائد الإسلام المنير.
60. شرح المقدمة الحضرمية المسمّى النفحات المسكية في فقه السادة الشافعية.
61. السرور والابتهاج في مزارات المعتمرين والحجاج.
62. النفحات الأشعرية على الخريدة البهية.
63. الشذا العاطر في شرح عقيدة ابن عاشر.
64. نيل البشارة بشرح عقيدة الرسالة رسالة ابن أبي زيد القيرواني.
65. إسعاد النبلاء بمعرفة أحكام وأخبار النساء.
66. تحقيق وتعليق على متن جوهرة التوحيد للفقيه إبراهيم اللقاني.
67. الشرح الفريد لجوهرة التوحيد.
68. تسهيل المعاني إلى جوهرة اللقاني.
69. تحقيق وتعليق على متن الأدب المفرد.

70. الشرح الوافي الأسَدّ على كتاب الأدب المفرد.
71. بدر التمام في فضل أهل البيت الكرام ويليه إحياء الميت بفضائل أهل البيت.
72. الإنفاق في سبيل الله تجارة رابحةٌ.
73. عقيدة المسلمين من رسالة ابن أبي زيد القيرواني ويليه إجابة القاصي والداني بحل ألفاظ عقيدة القيرواني.
74. تحذير الأخيار من التشبه بالكفار والفجار.
75. إضاءة المنارة على صحة أو حسن حديث الزيارة.
76. الأدلة المنيفة في نفي الكفر عن أبي حنيفة.
77. تحفة الأبرار في هجرة المختار.
78. إدراك الأماني بشرح بدء الأمالي.
79. شرح الصدر في إثبات عذاب القبر.
80. الردُّ العلمي على ضلالات محمد راتب النابلسي.
81. تحذير الأمة من الطاعنين في النبيِّ والسُّنَّة.
82. إفادة الأنام بشرح عقيدة العوام.
83. التفسير الأسمى لقوله تعالى: [illegible] .
84. الجداول المرضية في العقائد والأحكام الشرعية.
85. تنبيه الأحياء على بعض ما في كتاب الإحياء،
86. الشموس المكلّلة فيما تلقيته من الأحاديث المسلسلة.
87. المورد المعين الجامع لكتب الأربعين.
88. إرشاد الأنام بشرح وصايا أبي حنيفة الإمام.
89. طريق الجنة في شرح إضاءة الدُّجُنَّة.
90. منظومة إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة.
91. الإقناع ببيان حُجّية الإجماع.
92. بزوغ الشموس في بطلان حديث الجلوس.
93. تحقيق وتعليق على رسائل مفتي الحبشة العلامة الشيخ محمد سراج الجبرتي الآنّي.
94. تحقيق وتعليق على رسائل المحدِّث محمد سراج الجبرتي الآنّي ابن المفتي.
95. الحواشي الحليميّة في الفقه والمعاني والعقيدة على مُسند الطّيالسيّ.
96. تحقيق وتعليق على رسالة استِحسان الخَوض في عِلم الكلام للإمام

الأشعريّ.

97. تحقيق وتعليق على شرح محمَّد السَّكُونيّ على العَقيدة المُرشِدة لابن تُومَرت.
98. تحقيق وتعليق على شرح أحمد زَرُّوق على العَقيدة المُرشِدة.
99. تحقيق وتعليق على شرح ابنِ النَّقّاش على العَقيدة المُرشِدة.
100. تحقيق وتعليق على شرح عبدِ الغنيّ النابُلسيّ على العَقيدة المُرشِدة.
101. الإبداع في معاني خطبة الوداع.
102. الرشحاتُ العنبريةُ في فضلِ وعقيدةِ إمام النقشبنديِّة.
103. السيوف والأسنَّة في الدفعِ عن الأشاعرة أهل السنَّة.
104. الحقائق السَنِيَّة في معاني اصطلاحات الصوفية.
105. الأعطار الفائحة في فضل وتفسير سورة الفاتحة.
106. المقاصد العلية بشرح نظم العقائد النسفي.
107. الكشف الجلي لحقيقة المشبهة ابن بطة وابن عبد البر والذهبي.
108. فتح العينين على أخطاء تفسير الجلالين.
109. الاعتقاد المسدد في شرح عقيدة المفتي البرزنجي أحمد.
110. الموسوعة الإسلامية في شروح متون العقيدة الأشعرية والماتريدية.
111. الفرائد البهيَّة بشرح الأربعين النَّوويَّة .
112. أسانيديَ العليَّة في الأربعين النَّوويَّة .
113. مرقاة النُبْه إلى معاني رسالة الكُنه في ما لا بُدَّ للمريد منه.
114. نور الحقِّ واليقين على رسالة حبل الله المتين في عقيدة الشيخ الأكبر محيي الدين.
115. الإمتاع فيما نقله الشيخ ابن عربي من مسائل الإجماع.
116. مرقاة التَّرقي في بعض أسانيد التَّلقي.

نَسَبُ الشّيخ الدُّكتور جَمِيل حَلِيم إِلَى رَسُولِ الله ﷺ

هو السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ الدكتور عماد الدين أبو محمد جميل بن محمد الأشعري الشافعي الحسيني الرفاعي القادري، خادم الآثار النبوية الشريفة رئيس جمعية المشايخ الصوفية وهو ابن السيد محمد بن السيد عبد الحليم بن السيد قاسم بن السيد أحمد بن السيد قاسم بن السيد عبد الكريم بن السيد عبد القادر بن السيد علي بن السيد محمد بن السيد ياسين بن السيد إسمٰعيل بن السيد حسين بن السيد محمد بن السيد إبراهيم بن السيد عمر بن السيد حسن ابن السيد حسين بن السيد بلال بن السيد هارون بن السيد علي بن السيد علي أبي شجاع بن السيد عيسى بن السيد محمد بن أبي طالب بن السيد محمد بن السيد جعفر بن السيد الحسن أبي محمد بن السيد عيسى الرومي بن السيد محمد الأزرق بن السيد أبي الحسن الأكبر عيسى النقيب بن السيد محمد بن السيد علي العريضي ابن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام السجاد علي زين العابدين ابن الإمام السبط السعيد الشهيد الحسين ابن السيدة الجليلة الزكية الطاهرة فاطمة البتول زوجة أمير المؤمنين أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام وابنة رسول رب العالمين خاتم النبيين والمرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين [1].

---

(1) وهذا نسبٌ شريفٌ صحيحٌ بلا مِرْيَةٍ مضبوط في كتاب جامع الدّرر البهيّة بأنساب القرشيّين في البلاد الشّاميّة، جمع الدكتور الشّريف كمال الحوت الحسيني، شركة دار المشاريع الطبعة الثانية (ص332، 333) تاريخ 2006ر ـ 1427هـ، وفي كتاب غاية الاختصار في أنساب السادة الأطهار، ويليه المستدرك الطبعة الثالثة (ص1) 1434هـ ـ 2010م، وفي كتاب الحقائق الجليّة في نسب السّادة العريضية (ص433، 434) كلاهما للدكتور الوليد العريضي الحسيني البغدادي.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحكيم الحكم الغني الكريم باعث النبي محمد بجوامع الكلم وبدائع الحكم وفضَّله على جميع العوالم والأمم وجعله للناس بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وطهَّرهُ تطهيرًا، واصطفى سبحانه أولياءه وأحبابه ونوَّرهم بأنوار الحكمة تنويرًا، وجعل العلماء العاملين شموسًا وبدورًا، وبنور هدايتهم وحِكَمهم يضعف ويتراجع فساد من كان فاسقًا أو كفورًا، أما بعد:

﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ٢٦٩﴾ [سورة البقرة]، وقال سبحانه ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ٢﴾ [سورة الجمعة]، وقال تقدَّست أسماؤه ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ١٦٤﴾ [سورة ءال عمران]، وقال عزَّ وجلَّ ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ١٢٥﴾ [سورة النحل]، فما أحوجنا للالتزام بمعاني هذه الآيات والتمسك بتوجيهات الأنبياء والأولياء والعلماء العاملين الصالحين الكاملين ولا سيما في مثل أيامنا هذه، الحالكة بالظلام والقاتمة بأمواج الفتن المتلاطمة المتزاحمة، وقد زاد الفساد واستشرى وعمَّ وطمَّ، وضعف الاسترشاد بالعلم والحكمة وقلَّ اهتمامُ كثيرٍ من الناس بالأخلاقِ والخُلُقِ الحسن وانصرفت هم الكثيرين إلى الدنيا الزائلة وزينتها وزخارفها ومفاتنها، فلم يُحسنوا تربية أطفالهم وأبنائهم على المبادئ الإسلامية السَّامية الراقية الصحيحة بل إنَّ الكثير من أهل هذا الزمان قدَّموا الدنيا على الآخرة والفانية على الباقية، فانعدمت الحكمة وضاعت من أكثر الشباب والشابات،

فتطاول الصغار على الكبار، وتمرَّد الفتيان على الرجال، وعمَّ بين الفسقة الانحلال والخنوع وانْصَاعَ الكثير لعادات وأخلاق وسيرة الكفرة والفسقة الماجنين ولم يقفوا عند هذا الحد بل إنَّ منهم من تجرَّأَ على سيرة السلف الصالح، وجاهر بمعاداته لأخلاق الأولياء والصحابة الكرام وءال البيت العظام فحُرِموا بركة الحكمة، ولم ينتفعوا بتجربة الشيوخ المُسلِّكين فظهر في كثيرٍ من أبناء المجتمعات اليوم اللجوءُ إلى الفساد والمجون وتمسَّكوا بشعارات المخالفين المنحرفين ولم تبقَ لهم هيبة في المجتمع ولا كرامة في النوادي والمحافل ولا حرمة بين القوم والناس.

وفي ظلِّ هذه المظاهر الخطيرة والمفاسد العديدة التي تَحْرِفُ كثيرًا من مجتمعات الشباب والأبناء والطلاب في البيوت والمدارس والثانويات والمعاهد والجامعات والمجتمعات وتهدم عليهم قِيَمَ وأخلاقَ الأكابر من السَّلفِ والخلف، وتُبعدُهُم عن العادات الحميدة النافعة التي قيل فيها «عادات السادات سادات العادات» كان لا بدَّ لنا من التذكير والتنبيه إلى خطورة استمرار هذه الحال على ما هي عليه، وأنه لا بدَّ لنا إن أردنا النجاح والفلاحَ والسعادة والسلامة والفوز والأمن والأمان والصفاء والاطمئنان من التمسك بكتاب الله العزيز وسنة نبيِّه الكريم صلى الله عليه وسلم والتمسّكِ بالشريعة الإسلامية ظاهرًا وباطنًا، والتَّخلّق بأخلاق الأنبياء والكاملين من عباد الله الصالحين كما قال تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ٩٠﴾ [سورة الأنعام]، وكما قال سبحانه لنبيِّه العظيم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [سورة القلم]، وقد قال سيدنا وإمامنا وغوثنا وملجؤنا ومَفْزَعُنَا الشيخ السيد الكبير والقطب العلم الشهير أحمد الرفاعي صاحب الخلق الشهير رضي الله عنه وأرضاه: «إنَّ الزاهد الصالحَ يوكِّلُ الله به ملكًا فيَزْرع له الحكمة في قلبه»، وقد جاء في بعض الآثار: «مَنْ أخلص لله أربعين يومًا، تفجَّرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

هذا وقد أكرمني الله سبحانه وتعالى في هذا الزمن الذي وصفنا حاله بصحبة ومجالسة ومتابعة أحدِ أكبر أعلامِ هذه الأمة الحكماء العلماء الأبرار والمربّين العظام والمعلِّمين الكرام، والمؤدِّبين الصالحين والموجِّهين المخلصين، هو سيدنا وأستاذنا ومؤدبنا ومعلمنا وقدوتنا العالم العلامة والحبر الفهامة البحر الطَّامي، والعلمُ السامي، الجِهبِذُ النحرير، الحافظ المجتهد المجدد الحجة القدوة الفقيه النحوي الصوفي الزاهد العابد مربّي الأجيال ومخرّج الأولياء، وشيخ الشهداء، صاحب الأحوال السنِيَّة والمقامات العلية والأسرار البهية والأنوار الجليَّة القطب الغوث المرشدُ بحرُ الحِكَمِ والمُرِبّي بحاله ومقاله أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن يوسف بن جامع بن عبد الله القرشيُّ العبدريُّ الشيبيّ الهرريُّ الحبشيُّ العربي الأصيل الأشعري الشافعي الرفاعي القادري شيخ الإسلام والمسلمين نزيل ودفين مدينة بيروت المحمية، وقد تشرَّفتُ بملازمته في أكثر مجالسه وسماع محاضراته وإملاءاته وإرشاداته وتوجيهاته، وسمعتُ الآلاف من دروسه وحِكَمِهِ، وقد أكرمني الله تعالى بأن كنتُ مبلِّغًا ومعيدًا خلفه في كثيرٍ من مجالسه بطلبٍ منه رضي الله عنه، وقد كانَ مدرسة في العلم والحِكمة وجبلًا راسخًا في العقيدة والآداب النبوية.

ومن تمكنِهِ في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام، كان إذا تكلَّم تشعر وتُحسّ كأنه يعرف الصحابة ويعرف أبناءهم ويعرف جيرانهم وأحوالهم وتنتفع منه كلَّ ما قام أو تكلَّم أو قعدَ، وكان رضي الله عنه كلَّ ساعةٍ يأتيك بالحكم كالبحر الذي يقذف لك الجواهر، فمنه استقينا وعنده تعلَّمنا، فأردتُ وأحببت أن تبقى بعض هذه الحِكَم والدُّرر واللآلئ والنصائح والإرشادات والتوجيهات والأنوار المعنوية والفوائد الإسلامية الإيمانية التي التقطناها منه وأخذناها عنه بينَ أيدي الأمة وأبنائها وأمام أعينهم فلعلَّنا نستفيد جميعًا من حِكم هذا الإمام العظيم الحكيم، وقد سمّيتها «سمعت الشيخ يقول» أو «درب السلامة في إرشادات العلامة»، وإني أرجو الله تعالى أن يتقبَّل هذا

العمل منّي وأن يجعله في ميزان حسناتي وأن يغفر لي ولمن عاونني على ذلك وأن يعتقنا من النار بسببه وأن يجمعنا مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشيخنا الهرري وأحبتنا المؤمنين في الفردوس الأعلى، إنه سبحانه على كلِّ شىء قدير وبالإجابة جدير.

الجمعة الواقع في الثامن من شهر رجب سنة 1437هـ
الموافق للخامس عشر من شهر نيسان سنة 2016ر

الْإِسْلَامُ

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ نَزَلَتْ عَلَيْهِ ءايةُ ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ٢١٤﴾ [سورة الشعراء] أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الصَّفَا، فَصَعِدَ عَلَيْهِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ بَيْنَ رَجُلٍ يَجِيءُ وَرَجُلٍ يَبْعَثُ رَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي لُؤَيٍّ، يَا بَنِي فُلَانٍ، لَوْ أَنِّي أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِسَفْحِ الْجَبَلِ تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ صَدَّقْتُمُونِي؟**». قَالُوا: "نَعَمْ"، قَالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**»، قَالَ أَبُو لَهَبٍ: "تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟!، تَبًّا لَكَ»، مَعْنَاهُ أَنْتَ خَاسِرٌ هَالِكٌ، سَبَّ الرَّسُولَ ولَمَ يَسُبَّهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ مِنْ أَقْرِبَائِهِ الَّذِينَ جَمَعَهُمْ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ: ﴿**تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ(١)**﴾ [سورة المسد]".

وَقَالَ رضي الله عنه: "نِعمَةُ الإسلامِ هِي أَقوَى رَابِطَةٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تُوَازِي رَوَابِطَ أُخْرَى، فَمِنْ هُنَا يَكُونُ مُتَحَتِّمًا عَلَينَا أَنْ نَتَحَابَّ ونَتَوَاصَلَ ونَتَزَاوَرَ وَنَتَنَاصَحَ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "إِنَّ أَعْظَمَ نِعَمِ اللهِ عَلَى الْبَشَرِ هُوَ الإِسْلَامُ، فَمَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا وَفَّقَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ أَرَادَ بِهِ سُوْءًا لَمْ يُوَفِقْهُ لِلْإِسْلَامِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "أَهْلُ الْحَقِّ صَارُوْا غُرَبَاءَ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيْبًا وَسَيَعُوْدُ غَرِيْبًا كَمَا بَدَأَ، كَمَا هُوَ فِي وَقْتِنَا هَذَا، هَذَا الزَّمَانُ زَمَانُ غُرْبَةِ الْإِسْلَامِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "الإِسْلَامُ أَفْضَلُ نِعْمَةٍ يُؤْتَاهَا الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا".

وَقَالَ رضي الله عنه: "مَنْ لَمْ يَخْسَرْ رَأْسَ مَالِهِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَخْسَرْ، رَأْسُ مَالِ الْمُسْلِمِ العَقِيْدَةُ، عَقِيْدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَهِيَ بِحَمْدِ اللهِ مَوْجُوْدَةٌ فِيْنَا، الْجُمْهُورُ بَعْدُ عَلَى تِلْكَ الْعَقِيْدَةِ وَإِنْ قَصَّرْنَا فِي الْأَعْمَالِ، نَحْمَدُ اللهَ عَلَى ذَلِكَ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "أَعْظَمُ نِعْمَةٍ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ أَنْ يَرْزُقَهُ اللهُ تَعَالَى الْإِيمَانَ فَيَتَوَفَّاهُ مُؤْمِنًا".

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْإِيمَانُ، اللهُ تَعَالَى جَعَلَهُ نُورًا وَوَضَعَهُ فِي قُلُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، أَمَّا الْمَلَائِكَةُ فَكُلُّهُمْ مُؤْمِنُونَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْإِيمَانُ [سَبِيلُ] السَّلَامِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ نَوَّرَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِيمَانِ، هَذَا نُورُ اللهِ[1]».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الإِيمَانُ نُورُ اللهِ تَعَالَى لأَنَّهُ يُنْقِذُ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ أُعْطِيَ الدُّنْيَا وَلَمْ يُعْطَ الْإِيمَانَ فَكَأَنَّمَا لَمْ يُعْطَ شَيْئًا وَمَنْ أُعْطِيَ الْإِيمَانَ وَلَمْ يُعْطَ الدُّنْيَا فَكَأَنَّمَا مَا مُنِعَ شَيْئًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَهَمُّ الأُمُورِ وَأَوْلَاهَا لِلمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا الثَّبَاتُ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَمَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَثَبَتَ عَلَى الْإِسْلَامِ أَي تَجَنَّبَ الكُفْرَ مَهْمَا تَخَبَّطَ فِي الْمَعَاصِي لَكِنَّهُ تَجَنَّبَ الكُفْرَ القَوْلِيَّ وَالْفِعْلِيَّ وَالِاعْتِقَادِيَّ حَتَّى مَاتَ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ فَإِنَّهُ إِمَّا أَنْ يُسَلِّمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي الْقَبْرِ مِنَ النَّكَدِ وَفِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ وَيُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَإِمَّا أَنْ يُعَذِّبَهُ بِذُنُوبِهِ الَّتِي لَمْ يَتُبْ مِنْهَا قَبْلَ مَوْتِهِ ثُمَّ يُخْرِجَهُ مِنَ الْعَذَابِ وَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَبَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ لَا يَرَى شَيْئًا مِنَ النَّكَدِ كَغَيْرِهِ مِنَ الَّذِينَ دَخَلُوا الْجَنَّةَ بِلَا عَذَابٍ، إِنَّمَا الْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِمَنْ يَمُوتُ كَافِرًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَسَاسُ الدِّينِ النِّيَةُ الصَّحِيحَةُ مَعَ الاعْتِقَادِ بِعَقَائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ، أَمَّا مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ عَقَائِدَ أَهْلِ السُّنَّةِ لَيْسَ لَهُ شَيءٌ مِنَ الحَسَنَاتِ فِي الْآخِرَةِ».

---

[1] **الإيمان هو نور الله كما قال تعالى: ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ(٣٥)﴾** [سورة النور] **أي لنور الإيمان.**

وقال رضي الله عنه: «فِي هَذَا الزَّمَنِ كَثُرَ مَا أَخَبَرَ بِهِ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ غُرْبَةِ الإِسْلَامِ وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ إنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلغُرَبَاءِ. قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي.

اليَوْمَ كَثُرَ المخَالِفُونَ وَالمنْحَرِفُونَ عَنْ سُنَّةِ الرَّسُولِ أَيْ شَرِيعَةِ الرَّسُولِ: الْعَقِيدَةِ وَالأَحْكَامِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَهُ اللهُ مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ عَقِيدَةً وَعَمَلًا وَللهِ الحَمْدُ عَلَى مَا أَلْهَمَنَا مِنَ التَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهَا، نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُؤَيِّدَنَا وَيُثَبِّتَنَا عَلَى ذَلِكَ.

وَكُلُّ مَنْ سَاعَدَ فِي هَذَا بَعَمَلِ نَفْسِهِ أَوْ بِتَحْرِيكِ غَيْرِهِ فَلَهُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى أَجْرٌ عَظِيمٌ. مَنْ بَاشَرَ هَذَا الأَمْرَ بِنَفْسِهِ وَمَنْ سَاعَدَ الْمُبَاشِرَ شُرَكَاءُ فِي الأَجْرِ، اغْتَنِمُوا هَذِهِ الفُرْصَةَ، فَمَنْ قَامَ بِهَذَا الأَمْرِ فَلَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «**المُتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ**». اليَوْمَ أَكْثَرُ الأُمَّةِ فَسَدُوا، فَهَنِيئًا لِمَنِ الْتَزَمَ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَافَحَ مَنْ يُخَالِفُهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ أَهَمَّ الأُمُورِ فِي دِينِ اللهِ تَعَالَى وَأَنْفَعَ الْأَشيَاءِ فِي الْآخِرَةِ هُوَ الإِيمَانُ، الثَّبَاتُ عَلَى الْإِيمَانِ بِتَجَنُّبِ الْكُفْرِ، هَكَذَا يَكُونُ الثَّبَاتُ عَلَى الْإِيمَانِ. مَنْ تَجَنَّبَ الكُفْرَ الْقَوْلِيَّ وَالْفِعْلِيَّ وَالِاعْتِقَادِيَّ حَتَّى مَاتَ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الحَالِ هَذَا مَضْمُونٌ لَهُ الجَنَّةُ، بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ لا بُدَّ أَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ فَقَدَ الْعَقِيدَةَ فَقَدَ كُلَّ شَيْءٍ، الْعَقِيْدَةُ الصَّحِيْحَةُ رَأْسُ مَالِ كُلِّ مُسْلِمٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «ضَاعَتِ الْعَقِيدَةُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِمَّنْ يَدَّعُونَ الْإِسْلَامَ، لَا يَعْرِفُونَ خَالِقَهُمْ، لَا يَتَعَلَّمُونَ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ، آبَاؤُهُمْ وَأُمَّهَاتُهُمْ يُهْمِلُونَهُمْ وَقَدْ يَكُونُونَ مِثْلَهُمْ جَاهِلِينَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ أَعْظَمَ نِعَمِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ نِعْمَةُ الْإِسْلَامِ، فَمَنْ رَزَقَهُ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ النِّعْمَةَ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهُمْ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَقِيدَةِ فَهُوَ مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ لَهُمْ خَيْرًا، أَمَّا مَنْ لَمْ تكُنْ عَقِيدَتُهُ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ ـ أَيْ التي كَانَ عَلَيْهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ إِلَى عَصْرِنَا هَذَا ـ فَهُوَ مِنَ الْهَالِكِينَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لِيَحْمَدِ اللهَ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ فِي هَذَا الْعَصْرِ لِعَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ حَيْثُ أَصْلُ الْعَقِيدَةِ وَمِنْ حَيْثُ أُصُولُ الْأَحْكَامِ.

نَحْنُ نَتْبَعُ مَنْ قَبْلَنَا، الصَّحَابَةَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ إِلَى يَوْمِنَا، نَتْبَعُ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَأَتْبَاعُ التَّابِعِينَ وَأَتْبَاعُ الْأَتْبَاعِ وَتَبَعُ الْأَتْبَاعِ مَنْ كَانُوا ضِمْنَ الثَّلاثِمِائَةِ سَنَةٍ الْأُولَى وَمَنْ كَانُوا بَعْدَ ذَلِكَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الدِّينُ شَرْعٌ قَانُونٌ سَمَاوِيٌّ وَضَعَهُ اللهُ لِخَلْقِهِ لِيَتَّبِعُوهُ، لَيْسَ مِيرَاثًا لِفِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ هَؤُلَاءِ جَعَلُوهُ كَأَنَّهُ تَرِكَةٌ لَهُمْ وَرِثُوهَا مِنْ ءَابَائِهِمْ».

الدِّينُ السَّمَاوِيُّ هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ فَقَطْ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الدِّينُ السَّمَاوِيُّ الْإِسْلَامُ، وَالْإِسْلَامُ هُوَ دِينُ الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ، اللهُ مَا ارْتَضَى دِينًا لِخَلْقِهِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ، يُقَالُ الشَّرَائِعُ السَّمَاوِيَّةُ، ءَادَمُ لَهُ شَرِيعَةٌ فِيهَا تَحْلِيلُ تَزْوِيجِ الْأَخِ بِالْأُخْتِ إِذَا كَانَا مِنْ بَطْنَيْنِ، ثُمَّ اللهُ حَرَّمَ هَذَا فِي شَرَائِعِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ جَاؤُوا بَعْدَهُ، هَذَا اخْتِلَافُ الشَّرَائِعِ، كَذَلِكَ جَاءَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَحَلَّ بَعْضَ مَا كَانَ حَرَامًا فِي شَرِيعَةِ مُوسَى. هَذَا مَعْنَى اخْتِلَافِ الشَّرَائِعِ، مَعْنَاهُ الْأَحْكَامُ.

لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ الْأَدْيَانُ السَّمَاوِيَّةُ، هَذَا الْكَلَامُ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ اللهَ ارْتَضَى لِعِبَادِهِ دِينًا غَيْرَ الْإِسْلَامِ. ءَادَمُ مَثَلًا كَانَ مُسْلِمًا، وَعَلَّمَ أَوْلَادَهُ الْإِسْلَامَ، ثُمَّ النَّبِيُّ الَّذِي جَاءَ بَعْدَ ءَادَمَ

عَلَى الْإِسْلَامِ، ثُمَّ ءَالُ عِيسَى وَمُوسَى وَءَالُ مُحَمَّدٍ كُلُّ هَؤُلَاءِ عَلَّمُوا النَّاسَ الْإِسْلَامَ. مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ كَانَ دِينٌ غَيْرُ الْإِسْلَامِ الله تَعَالَى ارْتَضَاهُ لِخَلْقِهِ فِيمَا مَضَى فَهُوَ كَافِرٌ.

أَمَّا مَنْ يَفْهَمُ مِنْ كَلِمَةِ الْأَدْيَانِ الشَّرائِعَ أَيِ الْأَحْكَامَ فَقَالَ الأَدْيَانُ السَّمَاوِيَّةُ بِمَعْنَى الشَّرَائِعِ مَعَ اعْتِقَادِهِ أَنَّ الدِّينَ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ هُوَ الْإِسْلَامُ فَقَطْ مَعَ اخْتِلَافِ الشَّرَائِعِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ فَلَا يَكْفُرُ.

مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «إِنَّ أَعْظَمَ أُمُورِ الْإِسْلَامِ هِيَ مَعْرِفَةُ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى أُصُولِهَا التي دَرَجَ عَلَيْهَا عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ مِنْ أَيَّامِ الرَّسولِ إِلَى هَذَا العَصْرِ، فَنَصِيحَةٌ جَلِيلَةٌ تُقدَّمُ لِلشَّبابِ الْمُسْلِمِينَ: اغْتَنِمُوا مِنْ فُرْصَةِ حَيَاتِكُمْ لِتَعَلُّمِ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ الَّتِي تَضْمَنُ لِصَاحِبِهَا النَّجَاةَ فِي الْآخرَةِ. وَهِيَ عقيدَةُ أهلِ الْحَقِّ مَعْرِفَةُ اللهِ كَمَا يَجِبُ وَالْإِيمَانُ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَإِتْبَاعُ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ مَا يَقْطَعُ الْإِسْلَامَ ويُخْرِجُ صَاحِبَهُ إِلَى الْكُفْرِ وَذَلِكَ بِاحْتِرَازِ الْمُكَفِّرَاتِ الَّتِي بَيَّنَهَا عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي كُتُبِهِمْ ومُؤَلَّفَاتِهِمْ، فَيَا فَوْزَ الشَّابِّ الَّذِي يُحَصِّلُ هذَا. قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**» وَعَدَّ فِيهِمْ: الشَّابَّ الَّذِي يَنْشَأُ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ. وَالْيَوْمَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ غَافِلُونَ عَنْ هذَا، آثَرُوا الْعُلُومَ الْكَوْنِيَّةَ عَلَى هَذَا، وَالدُّنْيَا لَا تُغْنِي عَنِ الْآخِرَةِ. فَالْآخِرَةُ دَارُ الْقَرَارِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا، فَمَنْ تَعَلَّمَ هذِهِ الْعَقِيدَةَ الَّتِي دَرَجَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ يَكُونُ نَجَا مِنْ عَقَائِدَ شَاذَّةٍ. حَدَثَتْ مُنْذُ نَحوِ مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ سنَةً تَقْرِيبًا فِرْقَةٌ تُشَبِّهُ اللهَ، تَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ حَجْمٌ مُتَحَيِّزٌ فِي جِهَةِ فَوْق وَتَجْعَلُ اللهَ جِسْمًا لَهُ أَعْضَاءٌ لَهُ مِقدَارٌ بِقَدْرِ العَرْشِ أَوْ أصْغَرَ أو أَكْبَرَ، هَؤلَاءِ خَالَفُوا القُرْءَانَ، القُرْءَانُ يَقُولُ: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ**(١١)﴾ [سورة الشورى] **أَيْ أَنَّ** اللهَ لَا يُشْبِهُ

الْعَالَمَ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ، لَيْسَ حَجْمًا كَبِيرًا وَلَا حَجْمًا صَغِيرًا، لَيْسَ مُتَحَيِّزًا فِي جِهَةٍ وَمَكَانٍ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَيْسَ حَجْمًا، إِنَّمَا يَتَحَيَّزُ فِي الْجِهَةِ وَالْمَكَانِ الْحَجْمُ إِنْ كَانَ كَبِيرًا وَإِنْ كَانَ صَغِيرًا. وَقَدْ دَرَجَ أَهْلُ الْحَقِّ عَلَى أَنَّ اللهَ مَوْجُودٌ بِلَا مَكَانٍ. وهذِهِ الْفِرْقَةُ الشَّاذَّةُ عَقِيدَتُهَا كَعَقِيدَةِ الْكُفَّارِ. الكُفَّارُ عَقِيدَتُهُمْ أَنَّ اللهَ مَوْجُودٌ فِي مَكَانٍ وَهَؤُلَاءِ وَافَقُوهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ خَارِجُونَ عَنْهُ ((عن الإسلام)). وَفِرْقَةٌ حَدَثَتْ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً تَقْرِيبًا تُكَفِّرُ الْمُسْلِمِينَ وتَسْتَحِلُّ قَتْلَهُمْ وَهُمْ جَمَاعَةُ سَيِّدْ قُطُبْ الَّذِينَ يُكَفِّرُونَ حُكَّامَ الْمُسلِمِينَ لِأَنَّهُمْ يَحْكُمُونَ بِغَيْرِ الْقُرْءَانِ مَعَ أَنَّهُمْ ((أن حكام المسلمين)) يَحْكُمُونَ فِي أَبْوَابٍ بِالشَّرْعِ؛ الْمِيراثِ والنِّكَاحِ والطَّلَاقِ والوَصِيَّةِ والْهِبَةِ، وَيُكَفِّرُونَ الرَّعَايَا الَّذِينَ يَعِيشُونَ تَحْتَ سُلطانِهِمْ كَائِنًا مَنْ كَانَ وَيَسْتَحِلُّونَ قَتْلَهُ. وَفِرْقَةٌ تَدَّعِي أَنَّ الإِنْسَانَ هُوَ يَخْلُقُ أَعْمَالَهُ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَنُطْقَهُ وَنَظَرَهُ وَتَفْكِيرَهُ. وَالقُرْءَانُ يَقُولُ: {**اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**} أَيِ الْجِسْمِ وَالْحَرَكَاتِ وَالْأَعْمَالِ. هَاتَانِ الْفِرقَتَانِ يُعرَفُونَ الْيَوْمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، هُمْ سَمَّوْا أَنْفُسَهُمْ، يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ هُمُ الْمُسلِمُونَ لَا غَيْرُهُمْ. وَالثَّانِيَةُ حِزْبُ التَّحْرِيرِ وَيقُولُونَ لِلنَّاسِ: مَنْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يُبَايِعَ الْخَلِيفَةَ مِيتَتُهُ كَمِيْتَةِ عُبَّادِ الأَوْثَانِ، وَهَذِهِ الْفِرْقَةُ أَيْضًا ظَهَرَتْ مُنْذُ نَحْوِ سِتِّينَ سَنَةً طَلَعَتْ مِنْ فِلَسْطِينَ، وَالَّتِي قَبْلَهَا طَلعَتْ مِنْ مِصْرَ، فَاحْذَرُوا هَذِهِ الْفِرَقَ الثَّلَاثَ يَسْلَمْ لَكُمْ دِينُكُمْ. وَالَّذِينَ يَعْمَلُونَ لِنَشْرِ هذَا يُرْجَى لَهُمْ دَرَجَةُ الشَّهَادَةِ وَلَوْ مَاتُوا عَلَى فِرَاشِهِمْ، قَالَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم: "**الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ**". فَيَا فَوْزَ مَنْ تَعَلَّمَ هَذَا ودَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ وجَدَّ فِي ذَلِكَ وَاجْتَهَدَ، وَقَدْ تَحَقَّقَ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ فَإِنَّهُ فِي هَذَا الزَّمَنِ كَثُرَ مَنْ يُحَرِّفُونَ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ أَيْ شَرِيعَتَهُ الْعَقِيدَةَ والأَحْكَامَ، أَضَاعُوا ذَلِكَ، تَمَسَّكُوا بِآرَائِهِمْ ويَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى ذَلِكَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْهُمْ. وَالَّذِينَ يُعَاكِسُونَ أَوْلَادَهُمْ وَأَزْوَاجَهُمْ مِنَ السَّعْيِ فِي ذَلِكَ فَقَدْ حُرِمُوا خَيْرًا كَثِيرًا وَيَلْحَقُهُمْ ذَنْبٌ كَبِيرٌ، لِأَنَّ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ هِيَ أَصْلُ الْإِسْلَامِ، فَمَنْ فَاتَتْهُ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا كَبِيرًا وَلَا يَرْضَى

بِذَلِكَ لِنَفْسِهِ مَنْ عَرَفَ قَدْرَ الآخِرَةِ. وَقَوْلُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم: "**سُنَّتِي**" أَرَادَ الْعَقِيدَةَ والْأَحْكَامَ لَيْسَ السُّنَنَ النَّوَافِلَ وَإِنْ كَانَتِ النَّوَافِلُ لَهَا شَأْنٌ عَظِيمٌ فِي الدِّينِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "قَالَ الْعُلَمَاءُ الْقُدَمَاءُ الْأَوْلِيَاءُ: "**مَهْمَا تَصَوَّرْتَ بِبَالِكَ فَاللهُ بِخِلَافِ ذلِكَ**"، إِنْ تَصَوَّرْتَهُ جِسْمًا كَبِيرًا فَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِنْ تَصَوَّرْتَهُ جِسْمًا صَغِيرًا فَهُوَ لَيْسَ كَذلِكَ، وَإِنْ تَصَوَّرْتَهُ جِسْمًا لَطِيفًا فَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِنْ تَصَوَّرْتَهُ جِسْمًا كَثِيفًا فَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ. الْإِمَامُ ذُو النُّونِ شَيْخُ الصُّوفِيَّةِ حَكِيمُ الصُّوفِيَّةِ قَالَ ذَلِكَ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ صَاحِبُ الْمَذْهَبِ الْمَعْرُوفِ قَالَ ذَلِكَ، وَكُلُّ العُلَمَاءِ، كُلٌّ قَالَ مِثْلَ ذلِكَ".

وقال رضي الله عنه: "اللهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ شَىْءٍ، هُوَ شَاءَ أَنْ يَكُونَ الخَلْقُ قِسْمَيْنِ، قِسْمٌ شَاءَ أَنْ يَكُونُوا هَادِينَ مُهْتَدِينَ، أَنْ يَكُونُوا فِي الدُّنْيَا عَلَى الْإِسْلَامِ أَتْقِيَاءَ، وَقِسْمٌ ءَاخَرُونَ عَلِمَ وَشَاءَ أَنْ يَعِيشُوا وَيَمُوتُوا كَافِرِينَ.

اللهُ تَعَالَى لَهُ الأَمْرُ وَالحُكْمُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، لا يُقَالُ لِمَ لَمْ يَخْلُقْ كُلَّ الْبَشَرِ هَادِيًا مَهْدِيًّا حَسَنَ الخُلُقِ، فَمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِلْإِيمَانِ وَالهُدَى وَالرَّشَادِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّجَاةِ، وَأَمَّا مَنْ ضَلَّ فَلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَاللهُ تَعَالَى لَا يَجُوزُ أَنْ يُعْتَرَضَ عَلَيْهِ، فَمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى لأَنْ يَعِيشَ مُسْلِمًا وَيَمُوتَ مُسْلِمًا فَقَدْ فَازَ بِنِعْمَةِ اللهِ تَعَالَى، فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَلْيَسْأَلِ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَهُ عَلَى الْإِيمَانِ".

وَقَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "إِنَّ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ الْتِزَامُ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالثَّبَاتُ عَلَيْهَا عَقِيدَةً وَأَحْكَامًا، التِزَامُ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَقِيدَةً وَأَحْكَامًا وَالثُّبُوتُ عَلَى ذَلِكَ وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهَا أَيْ دَعْوَةُ النَّاسِ لِيَتَعَلَّمُوهَا، هَذَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ.

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي يَسَّرَ لَنَا مَعْرِفَةَ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، نَحْمَدُهُ أَنْ جَعَلَنَا مُلْتَزِمِينَ لِمَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَقِيدَةً وَأَحْكَامًا فِي هَذَا الوَقْتِ الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ الدُّعَاةُ إِلَى خِلَافِهَا بِاسْتِعْمَالِ طَرِيقِ تَلْبِيسٍ وَتَمْوِيهٍ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "لَا أَحَدَ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ، مَنْ أَضَلَّهُ اللهُ لَا أَحَدَ يَهْدِيهِ، لَا وَلِيٌّ وَلا مَلَكٌ وَلا نَبِيٌّ، يَبْقَى ضَالًّا".

وَقَالَ رضي الله عنه: "مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ الْيَوْمَ صَارَ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ كَالْيَتِيمِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "اَلدِّفَاعُ عَنْ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فَرْضٌ مُؤَكَّدٌ وَمَنْ أَهْمَلَهُ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِعَذَابِ اللهِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "أُوصِيكُمْ بِأَنْ تَجْتَهِدُوا لِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ".

وقَالَ رضي الله عنه: "نَحْنُ أَهْلَ السُّنَّةِ نَقُولُ: اللهُ تَعَالَى يُثِيبُ الْمُتَّقِينَ فَضْلًا مِنْهُ لَيْسَ فَرْضًا عَلَيْهِ بِحَيْثُ لَوْ عَذَّبَ الْمُتَّقِينَ لَا يَكُونُ ظَالِمًا.

لَوْ عَذَّبَ الْأَنْبِيَاءَ لَا يَكُونُ ظَالِمًا، هُوَ لَا يَفْعَلُ لَكِنْ لَوْ فَعَلَ لَا يَكُونُ ظَالِمًا، هَذِهِ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ. أَمَّا هَؤُلَاءِ الضَّالُّونَ الْمُعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ: فَرْضٌ عَلَى اللهِ أَنْ يُعْطِيَ الْعَبْدَ الثَّوَابَ، أَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ فَضْلٌ مِنْهُ، يُثِيبُ الْمُتَّقِينَ، أَمَّا الْعُصَاةُ يُعَذِّبُهُمْ عَدْلًا مِنْهُ. لَا يُقَالُ: كَيْفَ يُعَذِّبُهُمُ اللهُ عَلَى مَعَاصِيهِمُ الَّتِي حَصَلَتْ مِنْهُمْ بِمَشِيئَتِهِ وَعِلْمِهِ؟ الَّذِي يَقُولُ ذَلِكَ كَافِرٌ [لِأَنَّهُ مُعْتَرِضٌ عَلَى اللهِ].

اللهُ تَعَالَى هُوَ خَلَقَ فِي الْمُؤْمِنِ الْإِيمَانَ وَهُوَ أَعَانَهُ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَلِلّهِ الْفَضْلُ عَلَيْهِ، لَيْسَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى اللهِ، وَلَا لَهُ دَيْنٌ عَلَى اللهِ. فَلَوْ لَمْ يُعْطِ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ الْحَسَنَاتِ بَلْ عَذَّبَهُمْ، لَا يَكُونُ ظَالِمًا. حَسَنَاتُهُمْ مَنْ خَلَقَهَا فِيهِمْ؟ هُوَ خَلَقَهَا فِيهِمْ. كَيْفَ يَكُونُ ظَالِمًا إِنْ لَمْ يُعْطِهِمُ الثَّوَابَ بَلْ عَاقَبَهُمْ؟

هَذَا مَذْهَبُ الصَّحَابَةِ وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.

الْحَنَفِيَّةُ يَقُولُونَ: مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللهِ عَقْلًا أَنْ يُعَذِّبَ الْمُتَّقِينَ. الْمَاتُرِيدِيَّةُ هَكَذَا يَقُولُونَ، هَذَا خِلَافٌ لِأَنَّهُ خِلَافُ الْحِكْمَةِ، الْحِكْمَةُ مِنْهُ أَنْ يُثِيبَ الطَّائِعِينَ الْأَنْبِيَاءَ

وَالْمُتَّقِينَ، فَمَنْ قَالَ خِلَافَ هَذَا نَسَبَ إِلَى اللهِ خِلَافَ الْحِكْمَةِ وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ؛ لَكِنْ نَحْنُ الْأَشَاعِرَةُ أَتْبَاعُ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ نَقُولُ لَيْسَ مُسْتَحِيلًا لَكِنَّهُ لَا يَفْعَلُ؛ لِأَنَّهُ وَعَدَ الْمُتَّقِينَ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَأَنْ لَا يُصِيبَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْأَذَى فِي الْقَبْرِ وَالْآخِرَةِ لِأَنَّهُ قَالَ أَنَّهُ يُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُنَعِّمُهُمْ وَيَحْفَظُهُمْ مِنَ الْأَذَى وَالضَّرَرِ فَلَا يُخْلِفُ فِي وَعْدِهِ، الْإِخْلَافُ مُسْتَحِيلٌ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ الشَّرْعُ ومن حيث العقل لأنَّه وعد بذلك".

التَّنْزِيهُ

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "مَنْ قَالَ اللهُ جِسْمٌ لَا كَالأَجْسَامِ كَفَرَ"، رَوَاهُ الحَافِظُ بَدْرُ الدِّينِ الزَّرْكَشِيُّ فِي كِتَابِهِ تَشْنِيفِ الْمَسَامِعِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عنهُ: "مَنْ قَالَ أَوِ اعْتَقَدَ أَنَّ اللهَ جَالِسٌ عَلَى الْعَرْشِ فَهُوَ كَافِرٌ"، رَوَاهُ ابْنُ الْمُعَلِّمِ القُرَشِيُّ فِي كِتَابِهِ نَجْمِ المُهْتَدِي ورَجْمِ الْمُعْتَدِي".

وَقَالَ رضي الله عنه: "قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشعَرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: "مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ اللهَ جِسْمٌ فَهُوَ غَيرُ عَارِفٍ بِرَبِّهِ وإِنَّهُ كَافِرٌ بِهِ"، ذَكَرَه فِي كِتَابِهِ النَّوَادِرِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "سَيَرْجِعُ قومٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عِنْدَ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ كُفَّارًا يُنْكِرُونَ خَالِقَهُمْ فَيَصِفُونَهُ بِالْجِسْمِ وَالْأَعْضَاءِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "قَالَ الشَّيْخُ نِظَامٌ الْهِنْدِيُّ: "**ويَكْفُرُ بِإِثْبَاتِ الْمَكَانِ للهِ**"، فِي كِتَابِ الفَتَاوَى الْهِنْدِيَّةِ المُجلَّدِ الثَّانِي".

وَقَالَ رضي الله عنه: "نَقَلَ الْحَافِظُ النَّوَوِيُّ عَنِ الْإِمَامِ الْمُتَوَلِّي الشَّافِعِيِّ "**أَنَّ مَنْ وَصَفَ اللهَ بِالِاتِّصَالِ والِانْفِصَالِ كَانَ كَافِرًا**". ذكره فِي كِتَابِ "رَوْضَةِ الطَّالِبِينَ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ بَدْرِ الدِّينِ بْنِ بَلْبَانَ الدِّمَشْقِيُّ الْحَنْبَلِيُّ: "**فَمَنِ اعْتَقَدَ أَوْ قَالَ إِنَّ اللهَ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَوْ فِي مَكَانٍ فَكَافِرٌ**"، ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ "مُخْتَصَرُ الْإِفَادَاتِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "اللهُ وَاجِبٌ عَلَيْنَا أَنْ نُعَظِّمَهُ، وَأَنْ لَا نَسْتَخِفَّ بِهِ فِي حَالِ الْهُدُوءِ وَفِي حَالِ الْغَضَبِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "اللهُ تَعَالَى أَعْلَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا، أَعْلَمُ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ، أَقْدَرُ مِنْ كُلِّ قَادِرٍ، رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ هَذَا حَقٌّ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "الْبِلَادُ الإِسْلَامِيَّةُ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ يُعلِّمُونَ هَذَا، عُلَمَاؤُهُمْ [يُعَلِّمُونَ] أنَّ اللهَ مَوْجُودٌ بِلَا مَكَانٍ، بِلَا حَدٍّ، بِلَا شَكْلٍ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَحَيَّزَ فِي جِهَةٍ مِنَ الجِهَاتِ، أَوْ فِي جَمِيعِ الْجِهَاتِ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَحَيَّزَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، أَوْ فِي جَمِيعِ الْأَمَاكِنِ، مِنْ دُونِ هَذَا هُوَ مَوْجُودٌ. هَذَا سَيِّدُنَا عليٌّ رضي الله عنه صَرَّحَ بنَفْيِ الْحَدِّ عنِ اللهِ. هَذِهِ عَقِيدَةُ الصَّحَابَةِ، وَعَقِيدَةُ التَّابِعِينَ وَأَتْبَاعِ التَّابِعِينَ، وَهَذَا الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ، كِتَابُهُ مَشْهُورٌ فِي الشَّرْقِ والْغَرْبِ عَلَى هَذَا كَانَ هُوَ وَمَشَايِخُهُ، وَكُلُّ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى هَذَا كَانُوا".

وَقَالَ رضي الله عنه: "الْعَقْلُ السَّلِيمُ إِذَا لَمْ يُعِقْهُ عَائِقٌ يَفْهَمُ أَنَّ هَذِهِ الْعَوَالِمَ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ، خَالِقُهَا لا يَكُونُ مِثْلَهَا".

وَقَالَ رضي الله عنه: "هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ هُمْ مِئَاتُ الْمَلَايِينِ تَعْلِيمُهُمْ وَاعْتِقَادُهُمْ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَوْجُودٌ بِلَا مَكَانٍ، ليْسَ لَهُ كَمِّيَّةٌ، لَيْسَ جِسْمًا لَطِيفًا كَالنُّورِ وَالْهَوَاءِ، وَلَا هُوَ جِسْمٌ كَثِيفٌ كَالْإِنْسَانِ وَالْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، وَأَنَّ الشَّيْءَ الَّذِي لَهُ حَدٌّ مَخْلُوقٌ، عَلَى هَذَا مِئَاتُ الْمَلَايِينِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. عُلَمَاؤُهُمْ يُدَرِّسُونَ الْعِلْمَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، أَنَّ اللهَ مَوْجُودٌ بِلَا مَكَانٍ، وَلَيْسَ لَهُ حَدٌّ لَا حَدٌّ صَغِيرٌ وَلَا حَدٌّ كَبِيرٌ؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ الَّذِي لَهُ حَدٌّ يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ جَعَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْحَدِّ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ. الشَّمْسُ تَحْتَاجُ إِلَى مَنْ جَعَلَهَا عَلَى هَذَا الْحَدِّ، لَيْسَتْ هِيَ خَلَقَتْ نَفْسَهَا عَلَى هَذَا الْحَدِّ، لَا يَصِحُّ فِي الْعَقْلِ. وَالْإِنْسَانُ أَرْبَعَةُ أَذْرُعٍ طُولًا وَذِرَاعٌ عَرْضًا مِسَاحَتُهُ بذراع نفسه، لَسْنَا نَحْنُ نَخْلُقُ أَنْفُسَنَا عَلَى هَذَا الْحَدِّ بَلْ كُلُّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ لَهَا خَالِقٌ جَعَلَهَا عَلَى هَذَا الْحَدِّ، فَلَا يَصِحُّ فِي الْعَقْلِ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنَ الْأَجْرَامِ هُوَ خَلَقَ نَفْسَهُ عَلَى الْحَدِّ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ.

فَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي لَهَا أَجْرَامٌ، لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ جِرْمٌ، لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ حَدٌّ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "وَجَبَ تَنْزِيهُ اللهِ عَنِ الْحَدِّ وَالْكَمِّيَّةِ، وَهَذَا شَىْءٌ ثَبَتَ فِي عِبَارَاتِ السَّلَفِ الصَّالِحِ. سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: "مَنْ زَعَمَ أَنَّ إِلَهَنَا مَحْدُودٌ فَقَدْ جَهِلَ الْخَالِقَ الْمَعْبُودَ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "أَصْلَانِ عَظِيمَانِ مِنْ أُصُولِ الْعَقِيدَةِ يَجِبُ الْعِنَايَةُ بِهِمَا، أَحَدُهُمَا تَنْزِيهُ اللهِ عَنْ مُشَابَهَةِ الْخَلْقِ وَالْآخَرُ إِفْرَادُهُ بِالْخَلْقِ وَالتَّكْوِينِ أَيْ أَنَّهُ لَا خَالِقَ لِشَىْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا اللهُ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "اللهُ تَعَالَى خَالِقُ النُّورِ وَخَالِقُ الْأَرْوَاحِ وَخَالِقُ الْأَجْسَامِ اللَّطِيفَةِ وَالْكَثِيفَةِ، الْأَجْسَامُ اللَّطِيفَةُ كَالرُّوحِ وَالرِّيحِ وَالنُّورِ وَالظَّلَامِ، هَذِهِ أَجْسَامٌ لَطِيفَةٌ، اللهُ هُوَ خَلَقَهَا، مَا كَانَتْ مَوْجُودَةً، اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَا كَانَا مَوْجُودَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمَا اللهُ، لَمَّا خُلِقَ الْمَاءُ ثُمَّ خُلِقَ مِنْهُ الْعَرْشُ مَا كَانَ نُورٌ وَلَا ظَلَامٌ وَلَمْ يَكُنْ لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ، ثُمَّ الْأَجْسَامُ اللَّطِيفَةُ وَالْكَثِيفَةُ مَا كَانَتْ مَوْجُودَةً، لَمْ يَكُنْ شَىْءٌ مَوْجُودٌ إِلَّا اللهُ، اللهُ كَانَ قَبْلَ الْمَكَانِ، قَبْلَ الْجِهَاتِ السِّتِ بِلَا مَكَانٍ، بِلَا جِهَةٍ، ثُمَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ الْأَجْسَامَ مِنْهَا عَلَى حَجْمٍ صَغِيرٍ، وَمِنْهَا عَلَى حَجْمٍ كَبِيرٍ، الَّذِي خَلَقَ الْحَجْمَ الصَّغِيرَ وَالْحَجْمَ الْكَبِيرَ لَا يَكُونُ حَجْمًا، لَيْسَ حَجْمًا صَغِيرًا وَلَا حَجْمًا كَبِيرًا".

وَقَالَ رضي الله عنه: "اللهُ تَعَالَى مَوْجُودٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ، الْأَشْيَاءُ الْكَثِيفَةُ كَالْإِنْسَانِ وَالْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، وَالْأَشْيَاءُ اللَّطِيفَةُ كَالْهَوَاءِ وَالرُّوحِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَالْمَلَائِكَةُ فِي أَصْلِ خِلْقَتِهِمْ جِسْمٌ لَطِيفٌ لَطِيفٌ لَطِيفٌ، يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَدْخُلُوا إِلَى صَدْرِ الْإِنْسَانِ وَلَا يُحِسُّ بِهِمْ، فَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ هَذَا الْجِسْمَ اللَّطِيفَ كَجِسْمِ الْمَلَائِكَةِ، وَالْجِسْمَ الْكَثِيفَ كَجِسْمِ الْبَشَرِ وَالْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَهُوَ لَا كَهَذَا، وَلَا كَهَذَا، اللهُ لَا يُشْبِهُ هَذَا وَلَا هَذَا،

لِذَلِكَ مَوْجُودٌ بِلَا مَكَانٍ. وَلَوْ كَانَ عَقْلُ الْإِنْسَانِ لَا يَتَصَورُ مَوْجُودًا بِلَا مَكَانٍ، يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّ اللهَ مَوْجُودٌ بِلَا مَكَانٍ، لَيْسَ كُلُّ مَوْجُودٍ يَتَصَوَّرُهُ قَلْبُ الْإِنْسَانِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "يَجِبُ أَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّ اللهَ مَوْجُودٌ لَا كَالْمَوْجُودَاتِ، لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ التَّحَيُّزُ فِي مَكَانٍ، وَلَا فِي جَمِيعِ الْأَمْكِنَةِ، لَا يَجُوزُ أَنْ يَمْلَأَ جَمِيعَ الْأَمْكِنَةِ، وَلَا أَنْ يَخْتَصَّ بِجِهَةِ الْعَرْشِ، الْحَقُّ هُوَ أَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّ اللهَ مَوْجُودٌ لَا كَالْمَوْجُودَاتِ، لَيْسَ حَجْمًا لَهُ حَدٌّ، كَذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَى جِسْمًا لَطِيفًا كَالنُّورِ، لَا يَجُوزُ، اللهُ خَالِقُ النُّورِ كَيْفَ يكونُ نورًا؟! هُوَ خَالِقُ الظَّلَامِ فَلَا يُشْبِهُ الظَّلَامَ، الْإِنْسَانُ يَتَصَوَّرُ النُّورَ، وَالظَّلَامَ وَحْدَهُ يَتَصَوَّرُهُ، أَمَّا أَنْ لَا يَكُونَ نُورٌ وَلَا ظَلَامٌ، هَذَا لَا يَسْتَطِيعُ إِنْسَانٌ أَنْ يَتَصَوَّرَهُ، عَقْلُ الْإِنْسَانِ لَا يَسْتَطِيعُ، فَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَصَوَّرَهُ، فَطَرِيقُ النَّجَاةِ هُوَ أَنْ يُقَالَ مَهْمَا تَصَوَّرْتَ بِبَالِكَ فَاللهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ، هَذَا طَرِيقُ النَّجَاةِ، هَذَا يُوَافِقُ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى فِي الْقُرْءَانِ الْكَرِيمِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ١١﴾ [سورة الشورى]".

وَقَالَ رضي الله عنه: "قَوْلُ: "اللهُ لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ وَلَا تُدْرِكُهُ الْعُقُولُ" هَذِهِ جَمِيلَةٌ".

مَعْرِفَةُ اللهِ وَالرَّسُولِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "مَعْرِفَةُ اللهِ وَمَعْرِفَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ، لأَنَّ هَذَا هُوَ بَابُ السَّعَادَةِ الأَبَدِيَّةِ، مِنْ هُنَا يَدْخُلُ الإِنْسَانُ بَابَ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، السَّعَادَةِ الأُخْرَوِيَّةِ فِي الحَيَاةِ الدَّائِمَةِ، يَنْجُو مِنْ عَذَابِ اللهِ الدَّائِمِ الْمُقِيمِ الَّذِي لا انْقِطَاعَ لَهُ، لِهَذَا صَارَ أَفْضَلَ الأَعْمَالِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "كُلُّ شَىءٍ مِنَ الْعَالَمِ اللَّطِيفِ وَالكَثِيفِ مَا كَانَ شَيْئًا مَوْجُودًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ اللهُ، إِنَّمَا وُجِدَ بَعْدَ أَنْ خَلَقَهُ اللهُ. هَذِهِ الْعَقِيدَةُ هِيَ عَقِيدَةُ التَّوْحِيدِ الَّتِي جَاءَ بِهَا القُرْءَانُ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ١١﴾ [سورة الشورى] هَذِهِ الْآيَةُ مَعْنَاهَا هَذَا الَّذِي قَالَهُ سَيِّدُنَا أَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ: "غَايَةُ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ الإِيْقَانُ بِوُجُودِهِ تَعَالَى بِلَا كَيْفٍ وَلَا مَكَانٍ". وَهَذَا الَّذِي يَشْرَحُهُ عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "لَيْسَ مَعْرِفَةُ اللهِ بِأَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّهُ جِسْمٌ فَوْقَ الْعَرْشِ بِقَدْرِ الْعَرْشِ، لَا يُوجَدُ شَىْءٌ لَهُ حَيَاةٌ مُسْتَقِرٌّ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَا يُوجَدُ. يُوجَدُ كِتَابٌ كَتَبَ اللهُ فِيهِ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ٥٤﴾ [سورة الأنعام] فَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ اللهَ مَوْجُودٌ بِلَا مَكَانٍ، بِلَا جِهَةٍ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ حَجْمًا لَطِيفًا كَالْمَلَائِكَةِ وَالنُّورِ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ حَجْمًا كَثِيفًا كَالْإِنْسَانِ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعبَدَ، فَهَذَا عَرَفَ اللهَ، ءَامَنَ باللهِ، يُقَالُ لَهُ مُؤْمِنٌ باللهِ، فَإِذَا اعْتَقَدَ رِسَالَةَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَارَ مُؤْمِنًا باللهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ مُسْلِمٌ، فَمَا دَامَ عَلَى هَذَا الِاعْتِقَادِ فَهُوَ مُسْلِمٌ، لَكِنْ يَبْقَى شَىْءٌ لِاسْتِمْرَارِ إِسْلَامِه وَهُوَ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ مِنْ سَبِّ اللهِ فِي حَالِ الْغَضَبِ أَوْ فِي حَالِ الْمَزْحِ أَوْ فِي غَيْرِ ذَلِكَ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "هَذَا الْحَدِيثُ «**إِنّ اللهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً بِكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا**» لَيْسَ

مَعْنَاهُ أَنَّ اللهَ ذَاتَهُ لَهُ كَلَامٌ يَدْخُلُهُ السُّكُوتُ، إِنَّمَا مَعْنَى: "**وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ**"، أَيْ لَمْ يُنزِلْهُ فِي الْقُرْءَانِ، أَنْزَلَ فِي الْقُرْءَانِ أَشْيَاءَ بَيَّنَ أَنَّهَا حَرَامٌ وَبَيَّنَ أَشْيَاءَ أَنَّهَا فَرَائِضُ وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ لَمْ يَذْكُرْهَا أَنَّهَا حَرَامٌ وَلَا أَوْحَى إِلَى نَبِيِّهِ أَنَّهَا حَرَامٌ، هَذَا [أَيِ الَّذِي لَمْ يُحَرِّمْهُ اللهُ] لَا تَجْعَلُوهُ حَرَامًا، اسْكُتُوا عَنْهُ. "**سَكَتَ**" مَعْنَاهُ فِي الْحَدِيثِ أَيْ لَمْ يُذْكَرْ فِي الْقُرْءَانِ، لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِأَشْيَاءَ ثُمَّ سَكَتَ، لَوْ كَانَ اللهُ يَتَكَلَّمُ ثُمَّ يَقْطَعُ لَكَانَ مِثْلَنَا وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ خَلْقِهِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "افْهَمُوا هَذَا لِأَنَّ هَذَا مِنْ أَصْلِ الدِّينِ، مَعْرِفَةُ اللهِ أَسَاسُ الدِّينِ، مَنْ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ مَهْمَا أَتْعَبَ نَفْسَهُ فِي الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالزَّكَاةِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْءَانِ لَا يَنْفَعُهُ. أَمَّا مَنْ كَانَت عَقِيدَتُهُ صَحِيحَةً، الْحَسَنَةُ الْقَلِيلَةُ تَنْفَعُهُ".

عِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اللهُ تَعَالَى خَلَقَ الْبَشَرَ لِيَعْبُدُوهُ لِيُسْلِمُوا لِيَعْمَلُوا بِدِينِ اللهِ الإِسْلَامِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ٥٦**﴾ [سورة الذاريات]، مَعْنَى الآيَةِ أَنَا أَمَرْتُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ أَنْ يَعْبُدُونِي أَيْ لَا يَعْبُدُوا غَيْرِي".

وَقَالَ رضي الله عنه: "تَفْسِيرُ الْآيَةِ: ﴿**أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ٢٣**﴾ [سورة الجاثية]. مَعْنَاهُ: عِنْدَ ذَلِكَ الْمُشْرِكِ إِلَهٌ، اللهُ مَا أَثْبَتَ لَهُ الْأُلُوهِيَّةَ. الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ أُنَاسٍ مِنَ الْعَرَبِ [فِي] الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رَأَوْا حَجَرًا جَمِيلَ الْمَنْظَرِ حَسَنَ الْمَنْظَرِ يَأْخُذُونَهُ فَيَعْبُدُونَهُ ثُمَّ إِذَا صَادَفُوا آخَرَ أَحْلَى مِنْهُ يَرْمُونَ هَذَا وَيَأْخُذُونَ الْآخَرَ فَيَعْبُدُونَهُ. فِي هَذَا نَزَلَتِ الْآيَةُ: ﴿**أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ٢٣**﴾ [سورة الجاثية] مَعْنَاهُ ذَمٌّ لَهُمْ. مَا أَثْبَتَ الْقُرْءَانُ أَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ".

عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "إِنَّ طُرُقَ الْخَيْرِ كَثِيرَةٌ وَبَعْضَهَا أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، بَعْضُهَا يَكُونُ أَكْثَرَ نَفْعًا مِنْ بَعْضٍ فَيَنْبَغِي تَقْدِيمُ الْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ. فَأَهَمُّ أُمُورِ الدِّينِ وَأَوْلَاهَا لِلاهْتِمَامِ بِهِ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الَّتِي عَلَيْهَا السَّلَفُ وَالخَلَفُ. السَّلَفُ هُمْ أَهْلُ القُرُونِ الثَّلَاثَةِ الأُولَى، هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ عَلَى مَا عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ، وَلَا يَزَالُ هَذَا مُسْتَمِرًّا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ وَعَدَ نَبِيَّهُ أَنْ لَا تَضِلَّ أُمَّتُهُ، وَأَنَّ جُمْهُورَهُمْ لَا يَضِلُّونَ، أَمَّا مَنْ شَذَّ عَنْهُمْ فَهُوَ يَضِلُّ لَا مَحَالَةَ، لا بُدَّ، فَهُوَ ضَالٌّ وَقَدْ حَصَلَ هَذَا".

وَقَالَ رضي الله عنه: "إِنَّ أَعْظَمَ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الصَّحَابَةُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ وَتَوَارَثَهَا الْمُسْلِمُونَ الْخَلَفُ عَنِ السَّلَفِ مُنْذُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا، وَهَذَا الْمَذْهَبُ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ هُوَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الْخُلَفَاءُ وَالسَّلَاطِينُ. وَمِنْ جُمْلَةِ السَّلَاطِينِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ الْأَشْعَرِيَّةِ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ الْأَيُّوبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ. كَانَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ الْأَيُّوبِيُّ وَاسْمُهُ يُوسُفُ عَالِمًا حَافِظًا لِلْقُرْءَانِ وَحَافِظًا لِكِتَابِ التَّنْبِيهِ فِي الْفِقْهِ الشَّافِعِيِّ وَحَافِظًا لِكِتَابِ الْحَمَاسَةِ. كَانَ شَدِيدَ الِاهْتِمَامِ بِعَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، الْعَقِيدَةِ الْأَشْعَرِيَّةِ. كَانَ يَأْمُرُ الْمُؤَذِّنِينَ أَنْ يَقْرَؤُوا الْعَقِيدَةَ الْأَشْعَرِيَّةَ عَلَى الْمَآذِنِ لِيَسْمَعَ جِيرَانُ الْمَسْجِدِ. ثُمَّ قَرَّرَ تَدْرِيسَ كِتَابِ الْعَقِيدَةِ الْأَشْعَرِيَّةِ لِلصِّغَارِ وَالْكِبَارِ حَتَّى الصِّغَارُ الَّذِينَ فِي الْكَتَاتِيبِ، وَهَذِهِ الْعَقِيدَةُ هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي يُسَمَّى حَدَائِقَ الْفُصُولِ وَجَوَاهِرَ الْعُقُولِ".

الْكَافِرُ لَا يُغْفَرُ لَهُ ذَنْبُهُ إِلَّا بِالْإِسْلَامِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "مَعْنَى الْحَدِيثِ: "**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**". اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُمْ بِالإِسْلَامِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي أَيِ الْكَافِرِينَ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ،

اغْفِرْ لَهُمْ بِالْإِسْلَامِ، اغْفِرْ لَهُم بِالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ لَيْسَ مَعْنَاهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ امْحُ عَنْهُمْ ذُنُوبَهُمْ.

هَذَا الدُّعَاءُ مَعْنَاهُ امْحُ عَنْهُمْ كُفْرَهُم بِالْإِسْلَامِ، الْكَافِرُ الْأَصْلِيُّ لا يُغْفَرُ لَهُ ذَنْبُهُ إِلَّا بِالْإِسْلَامِ مَهْمَا تَصَدَّقَ وَخَدَمَ الفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ وَالْأَرَامِلَ لَا تُغْفَرُ لَهُ أَصْغَرُ مَعْصِيَةٍ لَا تُغْفَرُ لَهُ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "أَيُّ إِنْسَانٍ كَذَّبَ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ بِأَيِّ وَجْهٍ كَانَ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَهُ إِلَّا بِالْإِسْلَامِ، كَفَّارَةُ الكُفْرِ الدُّخُولُ فِي الإِسْلامِ: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ٣٨**﴾ [سورة الأنفال] مَعْنَاهُ الْكُفَّارُ إِذَا تَرَكُوا الْكُفْرَ يُغْفَرُ لَهُم مَا قَدْ سَبَقَ، الْكَافِرُ لَو كَانَ قَتَلَ أَلْفَ مُسْلِمٍ إِذَا أَسْلَمَ غُفِرَ لَهُ بِإِسْلَامِهِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "لَا يَنْفَعُ الْكَافِرَ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهِ فِي الْآخِرَةِ لِأَنَّهُ كَافِرٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، الْحَشَرَاتُ عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الْكَافِرِ. اللهُ تَعَالَى أَنْزَلَ فِي الْقُرْءَانِ ءَايَةً: ﴿**إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٥٥**﴾ [سورة الأنفال]. الْكَافِرُ الَّذِي يَمُوتُ عَلَى كُفْرِهِ شَرُّ خَلْقِ اللهِ، كُلُّ مَا خَلَقَ اللهُ مِنَ الْحَشَرَاتِ وَالسِّبَاعِ خَيْرٌ عِنْدَ اللهِ مِنَ الْكُفَّارِ، هُمْ جَزَاؤُهُمْ إِنْ عَمِلُوا الْإِحْسَانَ مَعَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا جَزَاؤُهُمْ فِي الرِّزْقِ وَالصِّحَّةِ، أَمَّا فِي الْآخِرَةِ لَيْسَ لَهُمْ شَيْءٌ [مِنَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ]".

رَحْمَةُ الْكَافِرِ تَكُونُ فِي الدُّنْيَا فَقَطْ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "الرَّحْمَةُ، إِذَا دُعِيَ لِلْكَافِرِ بِالرَّحْمَةِ مَعْنَاهُ الرَّحْمَةُ فِي الدُّنْيَا لَيْسَ مَعْنَاهُ الرَّحْمَةَ فِي الْآخِرَةِ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ إِذَا مَاتَ كَافِرٌ يَكْفُرُونَ. فِي الدُّنْيَا أَخَذَ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ مَا أَخَذَ، تِلْكَ النِّعْمَةُ وَبَالٌ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ لِأَنَّهُ مَا شَكَرَ. الشُّكْرُ هُوَ الْإِسْلَامُ، أَنْ يُؤْمِنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، إِذَا آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ لِيُتَّبَعَ، لِيُصَدَّقَ، هَذَا الشُّكْرُ، أَمَّا مُجَرَّدُ الْإِحْسَانِ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالتَّصَدُّقِ عَلَى الْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ فِي الْآخِرَةِ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ الصَّدَقَاتِ.

الْكَافِرُ مَهْمَا عَمِلَ مِنَ الْإِحْسَانِ لِلنَّاسِ لَا يَكُونُ شَاكِرًا، إِنَّمَا الْمُسْلِمُ الَّذِي أَدَّى الْوَاجِبَاتِ وَاجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ هَذَا شَاكِرٌ وَإِذَا تَمَكَّنَ مِنْ ذَلِكَ يُقَالُ لَهُ شَكُورٌ، هَذَا الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سورة سبأ]، مِنْ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ الشَّكُورُ قَلِيلٌ، الشَّكُورُ هُوَ الَّذِي وَصَلَ إِلَى دَرَجَةِ وَلِيٍّ.

الشَّكُورُ هُوَ الْوَلِيُّ، أَمَّا مَنْ يَعْمَلُ حَسَنَاتٍ كَثِيرَةً لَوْ كَانَ مُسْلِمًا لَا يُقَالُ لَهُ شَكُورٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ تَقِيًّا لا يقالُ لَهُ شَكُور ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سورة سبأ] هَذِهِ الْآيَةُ تَعْنِي الْوَلِيَّ مِنْ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ عَقِيدَتُهُمْ صَحِيحَةٌ وَيُؤَدُّونَ كَثِيرًا مِنَ الْوَاجِبَاتِ وَيَجْتَنِبُونَ كَثِيرًا مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، إِذَا لَمْ يَصِلُوا إِلَى دَرَجَةِ التَّقْوَى لَا يُقَالُ لِأَحَدِهِمْ شَكُورٌ، أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ بِمَا فِيهِمْ مِمَّنْ هُوَ تَقِيٌّ أَوْ مَنْ لَيْسَ بِتَقِيٍّ فَهُمْ كَثْرَةٌ لَيْسُوا قِلَّةً".

الْكُفْرُ دَرَجَاتٌ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْكُفْرُ وَالشِّرْكُ دَرَجَاتٌ لَيْسَ دَرَجَةً وَاحِدَةً، بَعْضُهَا أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ، يُوجَدُ شِرْكٌ أَكْبَرُ وَشِرْكٌ أَصْغَرُ، الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ هُوَ الَّذِي يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ، الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ لَا يُخْرِجُ مِنَ الْإِسْلَامِ، كَذَلِكَ الْكُفْرُ دَرَجَاتٌ، كُفْرٌ يُخْرِجُ مِنَ

الْمِلَّةِ وَكُفْرٌ لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ، بَعْضُ الذُّنُوبِ الْكَبِيرَةِ يُقَالُ لَهَا كُفْرٌ أَصْغَرُ. الْحُكْمُ بِغَيْرِ الشَّرْعِ كُفْرٌ أَصْغَرُ لَيْسَ كُفْرًا أَكْبَرَ".

الْمَعْرِفَةُ شَيْءٌ وَالْإِيمَانُ شَيْءٌ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "وَرَدَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه لَمَّا قَدِمَ مِنْ غَيْبَتِهِ، الرَّسُولُ قَامَ إِلَيْهِ مُسْرِعًا وَقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، الْمُسْلِمُ إِنْ شِئْتَ تُقَبِّلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَوْ عَلَى خَدَّيْهِ أَوْ تُقَبِّلُ يَدَهُ، كُلُّ هَذَا جَائِزٌ، الرَّسُولُ قُبِّلَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ صلى الله عليه وسلم.

يَهُودِيَّانِ فِي الْمَدِينَةِ قَالَا فِيمَا بَيْنَهُمَا: نَسْأَلُ مُحَمَّدًا هَذَا السُّؤَالَ، هَيَّئَا لَهُ سُؤَالًا لَا يَعْرِفُهُ حَتَّى مِنَ الْيَهُودِ إِلَّا الْقَلِيلُ، فَسَأَلَاهُ فَأَجَابَهُمَا، فَقَالَا لَهُ: أَنْتَ نَبِيٌّ. قَالَ: مَا يَمْنَعُكُمَا أَنْ تَتَّبِعَانِي؟ قَالَا: لِأَنَّا نَرَى لَا يَطْلَعُ نَبِيٌّ إِلَّا مِنْ ذُرِّيَّةِ دَاوُدَ، ثُم قَبَّلَا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ لِشِدَّةِ اعْتِرَافِهِمَا بِأَنَّهُ عَرَفَ الْجَوَابَ عَلَى السُّؤَالِ. الْمَعْرِفَةُ شَيْءٌ وَالْإِيمَانُ شَيْءٌ. هَذَانِ يَعْرِفَانِ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا نَبِيٌّ لَكِنْ مَا آمَنَا. الْمَعْرِفَةُ وَحْدَهَا لَا تَكْفِي، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ إِذْعَانِ النَّفْسِ، بِأَنْ تَقْبَلَ النَّفْسُ هَذَا الشَّيْءَ وَتَعْتَقِدَهُ. الْيَهُودُ كَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ لَكِنْ مَا آمَنَ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ. النَّصَارَى فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانُوا أَقْرَبَ لِلْإِيمَانِ. مَلِكُ الْحَبَشَةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ نَصْرَانِيًّا، أَسْلَمَ وَآمَنَ بِالرَّسُولِ وَهُوَ فِي أَرْضِهِ بِوَاسِطَةِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ ذَهَبُوا إِلَيْهِ، صَارَ وَلِيًّا لَمَّا مَاتَ، فِي زَمَنِ الرَّسُولِ مَاتَ، كَانَ يُرَى عَلَى قَبْرِهِ نُورٌ فِي اللَّيَالِي إِلَى السَّمَاءِ لِأَنَّهُ تَمَكَّنَ فِي الْإِسْلَامِ حَتَّى صَارَ وَلِيًّا، الرَّسُولُ صَلَّى عَلَيْهِ يَوْمَ مَاتَ صَلَاةَ الْغَائِبِ، جَاءَهُ وَحْيٌ بِأَنَّ النَّجَاشِيَّ مَاتَ. قَالَ لِأَصْحَابِهِ: قُومُوا نُصَلِّي عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ. اسْمُ النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةُ، النَّجَاشِيُّ

لَقَبُ كُلِّ مَنْ يَمْلِكُ الْحَبَشَةَ، مَاتَ فَصَلَّوْا عَلَيْهِ صَلَاةَ الْغَائِبِ. هُوَ فِي الْحَبَشَةِ مَاتَ وَهُمْ كَانُوا فِي الْمَدِينَةِ صَلَّوْا عَلَيْهِ".

مَقُولَةُ وَحدَةِ الْكَلَامِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "اتَّفَقَ أَهلُ السُّنَّةِ عَلَى "**وَحْدَةِ كَلَامِ اللهِ تعالى**"، قالَهُ الإمامُ أَبُو عَلِيٍّ السَّكُونِيُّ الْإِشْبِيلِيُّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ سبعمائة وسبعة عشر مِنَ الْهِجْرَةِ[1]، وَكَذَلِكَ الْبَيْهَقِيُّ ذَكَرَ "**وَحْدَةَ الْكَلَامِ**" فِي كِتَابَيْنِ مِنْ كُتُبِهِ[2]. وَكَذَلِكَ أَهْلُ السُّنَّةِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى صِفَاتُهُ لَا تُشْبِهُ صِفَاتِ خَلْقِهِ، اللهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ لَيْسَ حَرْفًا وَصَوْتًا؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي يَكُونُ بِالْحَرْفِ وَالصَّوْتِ مَخْلُوقٌ، اللهُ لَا يَتَّصِفُ بِحَادِثٍ. قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ الْفِقْهِ الْأَكْبَرِ: "**نَحْنُ نَتَكَلَّمُ بِالْآلَاتِ وَالْحُرُوفِ وَاللهُ يَتَكَلَّمُ بِلَا ءَالَةٍ وَلَا حَرْفٍ**" وَكَلَامُ اللهِ الَّذِي هُوَ غَيْرُ حَرْفٍ وَصَوْتٍ أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ لَا يَنْقَطِعُ، لَا يَجُوزُ عَلَى اللهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ ثُمَّ يَسْكُتَ. الْكَلَامُ الْقَائِمُ بِذَاتِ اللهِ لَيْسَ حَرْفًا وَصَوْتًا، يَسْمَعُهُ الْإِنْسُ والجِنُّ فِي الْآخِرَةِ. وَأَمَّا الْكَلَامُ الَّذِي هُوَ حَرْفٌ وَصَوْتٌ كَالْقُرْءَانِ الَّذِي نَقْرَؤُهُ بِالْحُرُوفِ وَالتَوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ هَؤُلَاءِ عِبَارَاتٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ، لَيسَتْ عَيْنَ الْكَلَامِ الذَّاتِيِّ. ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى أَخْبَرَ فِي الْقُرْءَانِ أَنَّهُ يَخْلُقُ الْأَشْيَاءَ بِكَلَامِهِ، وَكُلُّ مَا خَلَقَ اللهُ وَمَا سَيَخْلُقُهُ وُجُودُهُ بِكَلَامِ اللهِ تَعَالَى وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢**﴾ [سورة يس] مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ الشَّيْءَ الَّذِي أَرَادَ اللهُ وُجُودَهُ يَخْلُقُهُ بِكَلَامِهِ

---

[1] قال العلامةُ أَبُو عَلِيٍّ السَّكُونِيُّ الْإِشْبِيلِيُّ المالكيُّ المتوفى سنة سبعمائة وسبعة عشر في كتابه «التمييز لِما أودعَه الزمخشريُّ من الاعتزالِ في تفسيرِ الكتابِ العزيز» ما نصه: «**وكلام الله سبحانه واحد بإجماع الأمة**».

[2] قال البيهقيُّ في كتابه الاعتقاد ما نصه: «**وكلامُ الله واحدٌ لم يزلْ ولا يزالُ**».

الْأَزَلِيّ لَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّهُ يَنْطِقُ بِالْكَافِ وَالنُّونِ، النُّطْقُ بِالْكَافِ وَالنُّونِ مِنْ صِفَاتِنَا. ثُمَّ الْقَوْلُ بِأَنَّ اللهَ يَخْلُقُ الْأَشْيَاءَ بِالْكَافِ وَالنُّونِ أي يَخْلُقُ الْأَشْيَاءَ بَعْدَ النُّطْقِ بِالْكَافِ وَالنُّونِ هَذَا مُسْتَحِيلٌ إِنَّمَا الْمَعْنَى أَنَّهُ يَخْلُقُ الْأَشْيَاءَ الَّتِي أَرَادَ وُجُودَهَا بِالْكَلَامِ الْأَزَلِيِّ الَّذِي لَيْسَ حَرْفًا وَصَوْتًا، هَذَا مَعْنَى الْآيَةِ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ٨٢﴾ [سورة يس]. وَأَمَّا مَا يَقُولُهُ بَعْضُ النَّاسِ: "سُبْحَانَ مَنْ أَمْرُهُ بَيْنَ الْكَافِ والنونِ" فَكَلَامٌ فَاسِدٌ، لَا هُوَ قُرْءَانٌ وَلَا حَدِيثٌ وَلَا هُوَ كَلَامُ أَهْلِ العِلمِ".

أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ الْخُزَاعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "فِيمَا مَضَى بَعْدَ مِائَتَيْ سَنَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، بَعْضُ رُؤَسَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَلْزَمُوا النَّاسَ أَنْ يَقُولُوا: "الْقُرْءَانُ مَخْلُوقٌ"، وَمُرَادُهُمْ هَذِهِ الْحُرُوفُ، وَهَذَا لَا يَجُوزُ، لِأَنَّ الْقُرْءَانَ عِبَارَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ الْأَزَلِيِّ الْأَبَدِيِّ. كَيْفَ يُقَالُ مَخْلُوقٌ؟! مع أن هَذِهِ الحروفَ مَخْلُوقَةٌ لكن القرءانُ بِما أَنَّهُ عبارةٌ عن الكلامِ الأزلي لا يُقَالُ مَخْلُوقٌ[1]. فَفِي زَمَنِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ أَلْزَمُوا النَّاسَ أَنْ يَقُولُوا: "الْقُرْءَانُ مَخْلُوقٌ"، بَعْضُهُمْ قَالُوا وَبَعْضُهُمْ أَبَوْا. الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَبَى أَنْ يَقُولَ: "الْقُرْءَانُ مَخْلُوقٌ" فَسُلِّطَ عَلَيْهِ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ جَلَّادًا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ فَصَبَرَ. وَكَذَلِكَ عَالِمٌ كَبِيرٌ اسْمُهُ أَحْمَدُ بْنُ نصْرٍ الْخُزَاعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَبَى أَنْ يَقُولَ: "الْقُرْءَانُ مَخْلُوقٌ". فَقُطِعَ رَأْسُهُ وَعُلِّقَ عَلَى رُمْحٍ وَوُكِّلَ بِهِ [أَيْ الرَّأْسِ] مَنْ يَصْرِفُهُ عَنِ الْقِبْلَةِ مِنْ شِدَّةِ الظُّلْمِ. ثُمَّ هَذَا الرَّأْسُ صَارَ يَقْرأُ سُورَةَ {**يس**} بِالْعِبَارَاتِ الصَّحِيحَةِ، كَرَامَةً لَهُ اللهُ أَنْطَقَ الرَّأْسَ بِالْقِرَاءَةِ. ثُمَّ فِي اللَّيْلِ لَمَّا هَؤُلَاءِ

[1] أي لا يُطلق القول بذلك لئلا يتوهم متوهم من هذا الإطلاق أن كلام الله الذاتي مخلوق، أما مع التفصيل فيقال القرءان بمعنى اللفظ المنزّل مخلوق لأنه عبارة عن كلام الله الذي هو صفة له، وليس اللفظ صفة لله، أما القرءان بمعنى كلام الله الذاتي فهو أزلي لأنه صفة لله وكل صفات الله تعالى أزلية أبدية.

الْحَرَسُ يَغْفَلُونَ عَنْهُ يَتَوَجَّهُ الرَّأْسُ إِلَى الْقِبْلَةِ وَهُوَ مَشْكُوكٌ بِالرُّمْحِ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ دَفَنُوهُ. كَانَ قُتِلَ لِأَنَّهُ أَبَى أَنْ يَقُولَ: "الْقُرْءَانُ مَخْلُوقٌ". اللهُ أَظْهَرَ لَهُ هَذِهِ الْكَرَامَةَ، رَأْسُهُ المَفْصُولُ عَنِ الْجَسَدِ المُعَلَّقُ بِرُمْحٍ صَارَ يَقْرَأُ سُورَةَ "**يَس**". فِي بَغْدَادَ حَصَلَ هَذَا قَبْلَ أَلْفٍ وَمِائَةِ سَنَةٍ، قَتَلَهُ أَحَدُ المُوكَّلِينَ. هؤُلَاءِ الرُّؤَسَاءُ ضَرُّوا النَّاسَ، كَانُوا يُلزِمُونَ النَّاسَ أَنْ يَقُولُوا "الْقُرْءَانُ مَخْلُوقٌ"، عَذَّبُوا عَدَدًا مِنَ الْعُلَمَاءِ فَصَبَرُوا، وَبَعْضُهُم مَا صَبَرُوا طَاوَعُوهُمْ. لَكِنْ نَحْنُ اعْتِقَادُنَا أَنَّ الْقُرْءَانَ الَّذِي يُقْرَأُ بِالصَّوْتِ مَخْلُوقٌ للهِ، اللهُ خَلَقَهُ أَمَّا ذَاكَ الْقُرْءَانُ الَّذِي هُوَ كَلَامٌ أَزَلِيٌّ لَيْس حَرْفًا لَيْسَ صَوْتًا، فَنَعْتَقِدُ أَنَّهُ قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ لَيْسَ مَخْلُوقًا".

الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "إِنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ مِنْ أَعْظَمِ أُمُورِ الدِّينِ، لِأَنَّ مَنْ أَخْطَأَهُ فَقَدْ أَخْطَأَ طَرِيقَ الجَنَّةِ، الَّذِي لَمْ يُؤْمِنْ بِالقَدَرِ حَرَامٌ عَلَيْهِ الجَنَّةُ".

كُلُّ شَيْءٍ بِمَشِيئَةِ اللهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "لَا يَحْصُلُ شَيْءٌ، خَيْرٌ وَلَا شَرٌّ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ. الْكُفْرُ وَالْإِيمَانُ وَالطَّاعَةُ وَالْمَعْصِيَةُ كُلُّ اللهُ يَخْلُقُهَا فِي خَلْقِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ الْكُفْرُ وَالْمَعْصِيَةُ اللهُ لَا يُحِبُّهَا، مَعَ ذَلِكَ هُوَ يَخْلُقُهَا فِي بَعْضِ الْبَشَرِ، اللهُ تَعَالَى هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، يَخْلُقُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَالطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ، لَكِنْ يُحِبُّ الْإِيمَانَ وَالطَّاعَةَ وَيَكْرَهُ الْكُفْرَ وَالْمَعْصِيَةَ وَيُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ وَيَكْرَهُ الْكَافِرِينَ. إِنْ قَالَ قَائِلٌ: «اللهُ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ"، هَذَا كَفَرَ، خَرَجَ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ.

الْقُرْءَانُ يَقُولُ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٢﴾ [سورة ءال عمران]، إِذَا قَالَ شَخْصٌ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ" لَكِنْ مَا صَدَّقَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا هَذَا كَافِرٌ، لَا يَكُونُ الشَّخْصُ مُؤْمِنًا إِلَّا

بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ. اللهُ يُشَفِّعُ الْقُرْءَانَ فِينَا، هذا يَصح، اللهُ يَجْعَلُ الْقُرْءَانَ شَفِيعًا لَنَا فِي الْآخِرَةِ، هَذَا صَحِيحٌ. الْقُرْءَانُ حُجَّةٌ لِمَنِ اتَّبَعَهُ وَخَصْمٌ لِمَنْ لَمْ يَتَّبِعْهُ؛ إِذَا شَخْصٌ حَفِظَ الْقُرْءَانَ لَكِنْ لَا يَتَّبِعُهُ، لَا يُحَرِّمُ مَا حَرَّمَهُ الْقُرْءَانُ وَلَا يَفْعَلُ مَا أَوْجَبَ الْقُرْءَانُ، هَذَا الْقُرْءَانُ حُجَّةٌ عَلَيْهِ، خَصْمٌ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، فَمَنِ اتَّبَعَ الْقُرْءَانَ يَكُونُ حُجَّةً لَهُ فِي الْآخِرَةِ، شَاهِدًا لَهُ".

اللَّهُ خَلَقَ الْعَرْشَ إِظْهَارًا لِقُدْرَتِهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْعَرْشَ إِظْهَارًا لِقُدْرَتِهِ وَلَمْ يَتَّخِذْهُ مَكَانًا لِذَاتِهِ" هَذَا الْعَرْشُ أَكْبَرُ خَلْقِ اللَّهِ، خَلَقَهُ اللَّهُ لِإِظْهَارِ قُدْرَتِهِ لِأَنَّهُ يُوجَدُ مَلَائِكَةٌ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُم إِلَّا اللَّهُ يُحِيطُونَ بِالْعَرْشِ، يَدُورُونَ حَوْلَ الْعَرْشِ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بِحَمْدِهِ، هَؤُلَاءِ عِنْدَمَا يَرَوْنَ هَذَا الْجِرْمَ الْكَبِيرَ الَّذِي لَا يَعْلَمُ حَدَّهُ إِلَّا اللَّهُ يَزْدَادُونَ يَقِينًا بِكَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ. الْمَلَائِكَةُ خِلْقَتُهُمْ عَظِيمَةٌ، بَعْضُهُمْ مِنْ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسَافَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ بِاعْتِبَارِ الطَّيْرِ، بِاعْتِبَارِ طَيَرَانِ الطَّيْرِ، هَؤُلَاءِ مَعَ عِظَمِ خِلْقَتِهِمْ عِنْدَمَا يَرَوْنَ هَذَا الْعَرْشَ الَّذِي لَا يَعْلَمُ حَدَّهُ إِلَّا اللَّهُ يَزْدَادُونَ خَشْيَةً مِنَ اللَّهِ وَعِلْمًا بِكَمَالِ قُدْرَتِهِ، لِهَذَا خَلَقَهُ، لَيْسَ لِيَجْلِسَ عَلَيْهِ. الْجُلُوسُ مِنْ صِفَةِ الْخَلْقِ، الْإِنْسَانُ يَجْلِسُ وَالْكَلْبُ يَجْلِسُ وَالْبَقَرُ يَجْلِسُ، الْجُلُوسُ جُلُوسٌ إِنْ كَانَ قُرْفُصَاءَ وَإِنْ كَانَ تَرَبُّعًا وَإِنْ كَانَ إِقْعَاءً كَالْكَلْبِ وَإِنْ كَانَ افْتِرَاشًا. الْجُلُوسُ جُلُوسٌ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ، فَالَّذِي يُثْبِتُ هَذَا لِلَّهِ فَهُوَ كَافِرٌ. اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ كَشَىْءٍ مِنْ خَلْقِهِ. هَكَذَا تَكُونُ مَعْرِفَةُ اللَّهِ، لَيْسَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ بِأَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّهُ جِسْمٌ فَوْقَ الْعَرْشِ بِقَدْرِ الْعَرْشِ. مُعْتَقَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ «وَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ»».

اللهُ عَالِمٌ بِكُلِّ شَىْءٍ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ النَّاسَ لِيَبْتَلِيَهُمْ، أَيْ لِيُظْهِرَ مَنْ هُوَ مُطِيعٌ لَهُ وَمَنْ هُوَ غَيْرُ مُطِيعٍ لَهُ، هُوَ عَالِمٌ فِي الْأَزَلِ أَنَّ عَدَدًا مِنْهُمْ يَصِيرُونَ مُؤْمِنِينَ مُطِيعِينَ، وَأَنَّ عَدَدًا مِنْهُمْ يَكُونُونَ عَاصِينَ، لَكِنْ أَرَادَ أَنْ يَظْهَرُوا فِي عَالَمِ الْوُجُودِ، أَمَّا هُوَ عَالِمٌ فِي الْأَزَلِ، عِلْمُهُ لَا ابْتِدَاءَ لَهُ، لَيْسَ فِي هَذَا شَىْءٌ جَدِيدٌ عَلَى عِلْمِهِ، بَلْ كُلُّ مَا حَصَلَ وَمَا سَيَحْصُلُ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ فَقَدْ سَبَقَ عِلْمُ اللهِ بِهِ، لَيْسَ عَلَى اللهِ جَدِيدٌ، لَكِنْ يُظْهِرُ لِخَلْقِهِ مَنْ هُمْ مُطِيعُونَ وَمَنْ هُمْ غَيْرُ مُطِيعِينَ، ثُمَّ يَكُونُ الْأَمْرُ كَمَا عَلِمَ فِي الْأَزَلِ لَا يَتَغَيَّرُ، فَمَنْ عَلِمَ اللهُ فِي الْأَزَلِ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ مُطِيعٌ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِي الدُّنْيَا يَصِيرُ كَذَلِكَ، مُؤْمِنًا مُطِيعًا، وَمَنْ عَلِمَ اللهُ فِي الْأَزَلِ أَنَّهُ يَكُونُ عَاصِيًا يُوجَدُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ".

التَّقْوَى

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم:** "**إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ ءَادَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنُ تَزْنِي وَزِنَاهَا النَّظَرُ، وَالْيَدُ تَزْنِي وَزِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ تَزْنِي وَزِنَاهَا الْخُطَى، وَاللِّسَانُ يَزْنِي وَزِنَاهُ الْمَنطِقُ، وَالْفَمُ يَزْنِي وَزِنَاهُ الْقُبَلُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ**". النَّظَرُ بِشَهْوَةٍ أَيْ بِتَلَذُّذٍ لِلْأَجْنَبِيَّةِ حَرَامٌ، وَتَكْلِيمُهَا لِيَتَلَذَّذَ بِهَذَا الْكَلَامِ حَرَامٌ، وَلَمْسُهَا بِدُونِ حَائِلٍ أَيْضًا حَرَامٌ. أَغْلَبُ الْبَشَرِ لَا يَسْلَمُونَ مِنْ هَذَا، وَأَكْثَرُ هَذَا كُلِّهِ النَّظَرُ، زِنَا العَينِ. بَعْضُ النَّاسِ يُكَلِّمُونَ خَطِيبَتَهُمْ قَبْلَ الْعَقْدِ بِشَهْوَةٍ، بِتَكْلِيمِهَا يَتَلَذَّذُونَ، هَذَا أيضًا حَرَامٌ. لَكِنْ كُلُّ هَذَا مِنَ الصَّغَائِرِ. إِذَا تَوَضَّأَ الشَّخصُ **وُضُوءًا شَرْعِيًّا مَعْنَاهُ الْفَرْضُ مَعَ السُّنَّةِ**

تَذْهَبُ مَعَاصِي العَيْنِ مَعَ الْمَاءِ تَنزِلُ. عِنْدَمَا يَغْسِلُ وَجْهَهُ مَعَ هَذَا الْمَاءِ تَنْزِلُ مَعَاصِي الْعَيْنِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "الْإِنْسَانُ إِذَا أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَمَا بَيْنَ رَبِّهِ فَلا يُبَالِ بِالنَّاسِ، قَالَ السَّلَفُ الصَّالِحُ: "مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَمَا بَيْنَ رَبِّهِ فَلَا يُبَالِ بِالنَّاسِ" مَعْنَاهُ إِذَا كُنْتَ فِي حَالَةِ الرِّضَى عِنْدَ اللهِ، تُطِيعُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَنْتَهِي عَمَّا نَهَى، وَتَقُومُ بِالْوَاجِبِ فِي حَقِّ نَفْسِكَ وَفِي حَقِّ غَيْرِكَ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَأَنْتَ بِخَيْرٍ عِنْدَ اللهِ إِنْ رَضِيَ النَّاسُ عَنْكَ وَإِنْ لَمْ يَرْضَوْا.

وَقَالَ رضي الله عنه: "حَظُّ الْأَغْنِيَاءِ مِنَ التَّقْوَى قَلِيلٌ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "مِنْ عَلَامَةِ الْمُفْلِحِ، أَنْ يَكُونَ اهْتِمَامُهُ بِمَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ، وَاعْتِنَاؤُهُ بِذَلِكَ فَوْقَ اعْتِنَائِهِ بِالنَّوَافِلِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "الْقُرْبُ الْحَقِيقِيُّ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْقُرْبُ النَّافِعُ الَّذِي تَعْلُو بِهِ الدَّرَجَاتُ، هُوَ تَقْوَى اللهِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "تَرْكُ مَعْصِيَةٍ وَاحِدَةٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ عَمَلِ أَلْفِ حَسَنَةٍ، الَّذِي يَكُفُّ نَفْسَهُ عَنْ مَعْصِيَةٍ مِنْ مَعَاصِي اللهِ تَعَالَى عِنْدَ اللهِ أَعْلَى دَرَجَةً مِنَ الَّذِي يُوَاقِعُ الْمَعَاصِيَ وَيُكْثِرُ مِنَ النَّوَافِلِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "عَامِلُوا اللهَ بِحُسْنِ النِّيَّاتِ وَاتَّقُوهُ فِي الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "أَسْعَدُ الْخَلْقِ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ هُوَ مَنْ وُفِّقَ لِامْتِثَالِ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى فَأَدَّى الْوَاجِبَاتِ، وَلِاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ فَاجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ هَذَا أَسْعَدُ الخَلْقِ لِأَنَّهُ أَرْضَى خَالِقَهُ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "الْعَالِمُ التَّقِيُّ لَهُ هَيْبَةٌ، لَوْ كَانَ وَحْدَهُ يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ لَهُ هَيْبَةٌ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "اللهُ تَعَالى فَرَضَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَحْفَظَ جَوَارِحَهُ، عَيْنَهُ وَلِسَانَهُ وَيَدَهُ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ. كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَحْفَظُونَ أَلْسِنَتَهُمْ فِي هَذَا الزَّمَنِ، إِذَا غَضِبُوا يَسُبُّونَ اللهَ، يَسُبُّونَ الدِّينَ، وَبَعْضُهُمْ فِي حَالِ الْمَزْحِ يَكْفُرُ وَلَا يَشْعُرُ أَنَّهُ يَكْفُرُ، كُلُّ كَلَامٍ فِيهِ اسْتِخْفَافٌ بِالرَّسُولِ أَوِ بِاللهِ أَوْ بِشَرِيعَةِ اللهِ فَهُوَ كُفْرٌ، مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ يَكْفُرُ لَوْ لَمْ يَقْصِدْ أَنْ يَتْرُكَ الْإِسْلَامَ وَيَنْتَقِلَ إِلَى غَيْرِهِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "فَعَلَيْنَا أَنْ نَحْفَظَ أَيْدِيَنَا وَأَلْسِنَتَنَا وَقُلُوبَنَا مِنْ هَذِهِ الْمَعَاصِي. اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ فِينَا الْيَدَ وَالْفَمَ وَالرِّجْلَ وَالْقَلْبَ لِنَسْتَعْمِلَ ذَلِكَ فِيمَا أَحَلَّ اللهُ بِالطَّاعَاتِ وَيَكُونَ لَنَا الثَّوَابُ إِنِ اسْتَعْمَلْنَا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَإِنِ اسْتَعْمَلْنَاهَا فِيمَا حَرَّمَ اللهُ صَارَتْ وَبَالًا عَلَيْنَا. هَذِهِ الْجَوَارِحُ خَلَقَهَا اللهُ فِينَا أَمَانَةً أَيْ لِنُسْأَلَ عَنْهَا فِي الْآخِرَةِ إِنِ اسْتَعْمَلْنَاهَا بِالْخَيْرِ وَإِنِ اسْتَعْمَلْنَاهَا فِي الْمَعْصِيَةِ. الرَّسُولُ أَخْبَرَ فِي حَدِيثِهِ الَّذِي هُوَ ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّ الْأَنَامِلَ تُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتُسْتَنْطَقُ أَيْ فَتَنْطِقُ بِقُدْرَةِ اللهِ كَمَا يَنْطِقُ اللِّسَانُ ذَلِكَ الْيَومَ، هَذِهِ الْأَنَامِلُ تَنْطِقُ بِمَا فَعَلَ الشَّخْصُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، الَّذِي يَسْتَعْمِلُهَا بِذِكْرِ اللهِ تَشْهَدُ لَهُ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ ١٩٧﴾ [سورة البقرة]. خَيْرُ مَا يَتَزَوَّدُهُ الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ تَقْوَى اللهِ. مَعْنَى التَّقْوَى أَدَاءُ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ وَتَجَنُّبُ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللهُ. ثُمَّ التَّقْوَى لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ لَا يَكُونُ تَقِيًّا مَهْمَا عَمِلَ مِنَ الطَّاعَاتِ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَزَكَوَاتٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْفِرَقِ الَّتِي شَذَّتْ، بَعْضُهُمْ وَصَلُوا إِلَى الْكُفْرِ، خَرَجُوا مِنَ الْإِسْلَامِ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ، لَكِنَّهُمْ خَرَجُوا. وَبَعْضُهُمْ لَمْ يَخْرُجُوا مِنَ الْإِسْلَامِ لَكِنَّ عَقِيدَتَهُمْ هَذِهِ مَعْصِيَةٌ لِأَنَّهَا خَالَفَتْ مَا كَانَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم وَالصَّحَابَةُ.

وَالْحَمْدُ للهِ أَنْ جَعَلَنَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، عَقِيدَتُنَا الْعَقِيدَةُ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الرَّسُولُ وَالصَّحَابَةُ ثُمَّ تَنَاقَلَهَا الْمُسْلِمُونَ خَلَفُهُمْ عَنْ سَلَفِهِمْ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.

أَهْلُ بَيْتِ الرَّسُولِ، الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَغَيْرُهُمَا عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ، عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ".

الْعِبْرَةُ بِالتَّقْوَى:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "التُّرْكِيُّ التَّقِيُّ أَوْلَى بِرَسُولِ اللهِ مِنَ الْقُرَشِيِّ الْفَاسِقِ، أَوْلَى مِنَ الْهَاشِمِيِّ الْفَاسِقِ مَعَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ هَاشِمِيٌّ، مَعَ ذَلِكَ هَذَا الهَاشِمِيُّ الَّذِي لَيْسَ تَقِيًّا، التُّرْكِيُّ أَوِ الفَارِسِيُّ الَّذِي هُوَ تَقِيٌّ أَقْرَبُ إِلَى الرَّسُولِ وَأَحَبُّ إِلَيْهِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "الثِّيَابُ لَا تُقَدِّسُ صَاحِبَهَا، وَصُورَةُ الصَّلَاةِ وَصُورَةُ الصِّيَامِ لَا تُقَدِّسُ، الَّذِي يُقَدِّسُ الْإِنْسَانَ عَمَلُهُ الَّذِي يُوَافِقُ شَرِيعَةَ اللهِ، يَرْفَعُهُ دَرَجَاتٍ عِنْدَ اللهِ. يُقَدِّسُ يَعْنِي يَرْفَعُهُ دَرَجَاتٍ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "لَا يَنْبَغِي أَنْ يُغْتَرَّ بِالْأَسَامِي وَالْعَمَائِمِ، الْعَمَائِمُ يَلْبَسُهَا الدَّجَّالُ وَالْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ".

الْعِبْرَةُ بِمُوَافَقَةِ الْقُرْءَانِ وَالْحَدِيثِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "أَهْلُ الْغُرُورِ كَثِيرٌ يَظُنُّونَ بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَهْلُ الْفَهْمِ بِالدِّينِ وَهُمْ وَاقِعُونَ فِي حَضِيضِ الْكُفْرِ. الْعِبْرَةُ فِي مُوَافَقَةِ الْقُرْءَانِ وَالْحَدِيثِ، الَّذِي وَافَقَ الْقُرْءَانَ وَالْحَدِيثَ هَذَا الَّذِي يُرْجَى لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ. الَّذِي لَا يَتَعَلَّمُ عِلْمَ أَهْلِ السُّنَّةِ، هَذِهِ الْعَقِيدَةَ وَالْأَحْكَامَ الَّتِي هِيَ ضَرُورِيَّةٌ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا الْكَلَامُ الْكُفْرِيُّ وَالْفِعْلُ الْكُفْرِيُّ وَالِاعْتِقَادُ الْكُفْرِيُّ، وَيَعْمَلُ خَلَوَاتٍ لَا يَنْتَفِعُ».

شُكْرُ اللهِ هوَ طَاعَته أَدَاءُ الْوَاجِبَاتِ وَاجْتِنَابُ الْمُحَرَّمَاتِ:

وَقَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "عِلْمُ الدِّينِ دَلِيلُ الْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ وَالنَّجَاةِ فِي الْآخِرَةِ، وَبِهِ يُعْلَمُ شُكْرُ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ شُكْرَ اللَّهِ هُوَ طَاعَتُهُ، أَدَاءُ الْوَاجِبَاتِ وَاجْتِنَابُ الْمُحَرَّمَاتِ هَذَا الشُّكْرُ. فَإِيَّاكُمْ وَالتَّوَانِيَ وَالتَّكَاسُلَ عَنْ نَشْرِ عِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ".

لَيْسَ أَيُّ مُسْلِمٍ دَرَسَ الْعِلْمَ يُتَلَقَّى مِنْهُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "الْمُسْلِم لَا يُوثَقُ بِهِ لِتَلَقِّي عِلْمِ الدِّينِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ثِقَةً أَيْ دَيِّنًا عَدْلًا يؤدِّي الْوَاجِبَاتِ ويَجْتَنِبُ الْمُحَرَّمَاتِ. لَيْسَ أَيُّ مُسْلِمٍ دَرَسَ الْعِلْمَ يُتَلَقَّى مِنْهُ، الْمُسْلِمُ لَا يُتَلَقَّى مِنْهُ عِلْمُ الدِّينِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ثِقَةً".

سَبِيلُ التَّقْوَى هُوَ الْعِلْمُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ١٩٧﴾ [سورة البقرة]، وَسَبِيلُ التَّقْوَى هُوَ الْعِلْمُ، لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ أَيْ رَزَقَهُ الْعِلمَ بِأُمُورِ دِينِهِ، رَزَقَهُ الْمَعْرِفَةَ بِمَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ أَنْ يُؤَدِيَهُ وَيَفْعَلَهُ وَرَزَقَهُ مَعْرِفَةَ مَا أَمَرَ بِاجتِنابِهِ وَحَرَّمَهُ. فَلَا فَلَاحَ إِلَّا بِعِلْمِ أُمُورِ الدِّينِ. الْعَقِيدَةُ الَّتِي هِيَ أَفْرَضُ الْفَرَائِضِ، ثُمَّ الْأَحْكَامُ الْعَمَلِيَّةُ، لِأَنَّ عِلْمَ التَّوْحِيدِ هُوَ أَفْضَلُ الْعُلُومِ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: "بَابٌ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ" وَاسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ١٩﴾ [سورة محمد] اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَ نَبِيَّهُ بِالثَّبَاتِ عَلَى الْعِلْمِ بِهِ أَيْ مَعْرِفَةِ وُجُودِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَمَا يَلِيقُ بِهِ وَمَا لَا يَلِيقُ بِه، هُوَ الرَّسُولُ

عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مُؤْمِنًا مِنْ أَوَّلِ نَشْأَتِهِ، إِنَّمَا الْمَقْصُودُ الثَّبَاتُ عَلَى ذَلِكَ، كَمَا أَنَّ الرسول عليه الصلاةُ والسلامُ هو وَكُلُّ مُصَلٍّ يقولونَ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ٦﴾ [سورة الفاتحة] فالْمُرَادُ بهذا الثَّبَاتُ، الثَّبَاتُ عَلَى الْهُدَى وَكَذَلِكَ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ١٩﴾ [سورة محمد]. الْمُرَادُ بِهِ الثُّبُوتُ، الثَّبَاتُ عَلَى هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ، الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ، الْعِلْمِ بِاللهِ".

خَيْرُ الْوَصِيَّةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "خَيْرُ الْوَصِيَّةِ تَقوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فِي السِرِّ وَالْعَلَنِ، فِيمَا ظَهَرَ مِنْ أَمْرِنَا وَمَا بَطَنَ، فَلِي وَلَكُمُ الْوَصِيَّةُ بِأَنْ نَتَّقِيَ اللَّهَ فِي أَنْفُسِنَا وَأَهَالِينَا وَأَزْوَاجِنَا وَأَوْلَادِنَا وَجِيرَانِنَا وَأَصْحَابِنَا وَأَحْبَابِنَا وَأَمْوَالِنَا وَأَقْوَالِنَا وَأَفْعَالِنَا وَأَحْوَالِنَا، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ".

التَّقوَى هِيَ الْحَاجِزُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ مَعَاصِي اللَّهِ تَعَالَى:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَرَضَ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَتَنَاصَحُوا أَيْ [أَنْ] لا يَغُشَّ بَعْضُهُم بَعْضًا، فَالْغَشُّ مُحَرَّمٌ سَوَاءٌ كَانَ فِي أُمُورِ الْمُعَامَلَاتِ أَيِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَنَحْوِهَا وَفِي أُمُورِ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ، فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَتَّسِمُونَ بِزِيِّ الْعِلْمِ وَالْمَشْيَخَةِ يَغُشُّونَ النَّاسَ، يُحَلِّلُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَيُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لِأَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُمْ تَقْوَى تَمْنَعُهُمْ عَنِ الْغِشِّ، تَمنَعُهُمْ عَنْ تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَتَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ. التَّقْوَى هِيَ الَّتِي تَحْجزُ الْإِنْسَانَ عَنِ الْكَذِبِ وَالْغِشِّ وَمَعْصِيَةِ اللَّهِ بِسَائِرِ أَنْوَاعِهَا، التَّقْوَى هِيَ

الْحَاجِزُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ مَعَاصِي اللهِ تَعَالَى، فَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ النَّاسِ الَّذِينَ يَدَّعُوْنَ الْعِلمَ أَنَّ الَّذِي يَسْتَخِفُّ بِاللَّه تَعَالَى فِي حَالِ الْغَضَبِ لَا يُكَفَّرُ هَؤُلَاءِ غَشُّوا النَّاسَ.

الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ أَن يُعَظِّمَ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ، فِي حَالِ غَضَبِهِ وَفِي حَالِ رِضَاهُ وَفِي حَالِ الْمَزْحِ، فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ. وَمن جُمْلَةِ غَشِّهِم قَوْلُهُمْ: بِأَنَّ الْإِنسَانَ إِذَا سَبَّ اللَّهَ فِي حَالِ الْغَضَبِ لَا يُكَفَّرُ. وَحَتَّى إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْ رَجُلٍ هُوَ قَاضٍ أَنَّهُ قَالَ لِإِنْسَانٍ فِي شَأْنِ طِفْلٍ قَالَ: "يَا ابْنَ اللَّه"، قَالَ لَهُ وَاحِدٌ: "هَذَا كُفْرٌ"، فَقَالَ ذَلِكَ الْقَاضِي: "لَا، لَيْسَ كُفرًا، هُوَ لَا يَنْوِي هَذَا الْكَلَامَ إِنَّمَا قَالَهُ فَقَطْ". هَؤُلَاءِ عِنْدَهُمْ قَاعِدَةٌ حَرَّفُوا بِهَا دِينَ اللَّهِ وَهِيَ: أَنَّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ وَلَا يَنْوِي مَعْنَاهَا لا يَكْفُرُ، وَهَذَا القَوْلُ تَحْرِيفٌ لِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى. الَّذِي يَسُبُّ اللَّهَ أَوْ يَعْتَرِضُ عَلَيْهِ أَو يَسُبُّ الرَّسُولَ أَو يَسُبُّ شَرِيعَةَ اللَّهِ أَيْ دِينَهُ الَّذِي أَنزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ كَافِرٌ لَوْ كَانَ فِي حَالِ غَضَبٍ، وَلَا يَنْفَعُهُ دَعْوَى مَحَبَّةِ الدِّينِ مَعَ التَّلَفُّظِ بِالْكُفْرِ. اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَفْرِضْ عَلَى عِبَادِهِ أَن يَحْفَظُوا نِيَّاتِهِمْ فَقَطْ، بَل فَرَضَ عَلَيْنَا أَنْ نَحْفَظَ نِيَّاتِنَا أَيْ لَا نَعْتَقِدَ كُفْرِيَّةً، وَأَلْسِنَتَنَا أَيْ لا نَتَلَفَّظَ بِالْكُفْرِيَّةِ، كَذَلِكَ فَرَضَ عَلَيْنَا أَنْ نَحْفَظَ جَوَارِحَنَا أَيْ لَا نَفْعَلَ فِعْلًا هُوَ اسْتِخْفَافٌ بِالدِّينِ كَالَّذِي يَدُوسُ بِقَدَمِهِ عَلَى اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى عَمْدًا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْوَرَقَةَ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ".

عَنْ رَابِعَةَ الْعَدَوِيَّةِ أنها قالت:

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ ... هَذَا لَعَمْرِي فِي الْفِعَالِ شَنِيعُ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ ... إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

وَقَالَ رضي الله عنه: "مَطْلُوبٌ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ، أَيْ بِمَا يَجْرِي فِي زَمَانِهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، مَطْلُوبٌ أَنْ يَعْرِفَ حَتَّى يَتَجَنَّبَ الشَّرَّ الَّذِي يَجْرِي فِي زَمَانِهِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "الَّذِينَ يَتَعَاوَنُونَ فِي الدُّنْيَا عَلَى الْمَعْصِيَةِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَهْمَا كَانَتْ صَدَاقَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا قَوِيَّةً يَكُونُونَ أَعْدَاءً، هَذَا عَدُوٌّ لِهَذَا وَهَذَا عَدُوٌّ لِهَذَا".

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْإِسْلَامِ وَالْإِيْمَانِ هُوَ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ يَخْشَى رَبَّهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ وَإِنْ كَانَ لَا يَرَاهُ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**الْإِحْسَانُ أَنْ تَخْشَى اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**".

وَقَالَ رضي الله عنه: "لَوْ كُنَّا نَرَى اللهَ فِي الدُّنْيَا لَخَشِينَاهُ خَشْيَةً كَامِلَةً وَلَمَا عَصَيْنَاهُ وَلَكِنَّنَا لَا نَرَاهُ لِذَلِكَ نَتَجَرَّأُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "الْعَبْدُ عَلَى قَدْرِ مَا تَعْلُو دَرَجَتُهُ عِنْدَ اللهِ يَكُونُ خَوْفُهُ مِنَ اللهِ، يَكُونُ تَعْظِيمُهُ للهِ تَعَالَى".

وَقَالَ رضي الله عنه: "الوَاجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُرَاقِبَ اللهَ تَعَالَى، وَيَسْتَحْضِرَ الخَوْفَ مِنْهُ فِي كُلِّ حَالٍ".

حَدِيثٌ: إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ ءَادَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: "**إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ ءَادَمَ حَظَّهُ مِنْ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ وَزِنَا الْيَدِ الْبَطْشُ وَزِنَا الرِّجْلِ الْخُطَا وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ**".

مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ مِنْ مَعَاصِي الْعَيْنِ النَّظَرَ إِلَى الْأَجْنَبِيَّاتِ بِشَهْوَةٍ أَيْ بِتَلَذُّذٍ، وَكَذَلِكَ اللَّمْسُ بِلَا حَائِلٍ لَوْ كَانَ بِلَا تَلَذُّذٍ حَرَامٌ. أَمَّا بِحَائِلٍ فَلَا يَحْرُمُ إِلَّا إِذَا كَانَ الشَّخْصُ بِنِيَّتِهِ أَنْ يَتَلَذَّذَ. وَكَذَلِكَ اللَّمْسُ بِلَا حَائِلٍ أَوْ بِحَائِلٍ مَعَ نِيَّةِ التَّلَذُّذِ إِذَا كَانَ لِلتَّلَذُّذِ فَهُوَ زِنَا

الْيَدِ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِلتَّلَذُّذِ فَهُوَ مَعْصِيَةٌ مِنَ الْمَعَاصِي (أي مع كونه بلا حائلٍ) وَهِيَ مَعْصِيَةٌ مُتَّفَقٌ عَلَى تَحْرِيمِهَا. وَزِنَا الرِّجْلِ الْخُطَا، الْمَشْيُ إِذَا مَشَى بِنِيَّةِ أَنْ يَسْتَمْتِعَ بِامْرَأَةٍ أَجْنَبِيَّةٍ هَذَا الْمَشْيُ زِنَا الرِّجْلِ. قَالَ: "**وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ**" زِنَا اللِّسَانِ النُّطْقُ بِالتَّحَدُّثِ مَعَ أَجْنَبِيَّةٍ لِلتَّلَذُّذِ بِالْحَدِيثِ مَعَهَا، هَذَا زِنَا اللِّسَانِ. أَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "**وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي**" مَعْنَاهُ [أَنْ يَتَصَوَّرَ] الشَّخْصُ قَصْدَهُ بِأَنْ يَتَلَذَّذَ بِأَجْنَبِيَّةٍ، هَذَا زِنَا النَّفْسِ، وَكُلُّ هَذَا صَغَائِرُ، مِنَ الذُّنُوبِ الصَّغِيرَةِ، أَيَّةُ حَسَنَةٍ تَمْحُوهَا، قَوْلُ: "سُبْحَانَ اللهِ"، أَوْ قَوْلُ: "الْحَمْدُ للهِ"، أَوْ قَوْلُ: "اللهُ أَكْبَرُ"، أَوْ قَوْلُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ"، أَوْ قَوْلُ: "أَسْتَغْفِرُ اللهَ"، أَيُّ ذِكْرٍ أَوْ أَيَّةُ حَسَنَةٍ مِنَ الْحَسَنَاتِ تَمْحُوهَا. قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "**وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ**". مَعْنَاهُ أَنَّ الزِّنَا الْحَقِيقِيَّ زِنَا الْفَرْجِ، أَمَّا إِذَا لَمْ يَحْصُلْ زِنَا الْفَرْجِ فَتِلْكَ مُقَدِّمَاتٌ، وَالْحَمْدُ للهِ أَنَّ تِلْكَ الْمُقَدِّمَاتِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي الْحَدِيثِ لَمْ تَكُنْ كَبِيرَةً بَلْ تَذْهَبُ بِالْوُضُوءِ الشَّرْعِيِّ، لَيْسَ أَيُّ وُضُوءٍ يَمْحُوهَا بَلِ الْوُضُوءُ الشَّرْعِيُّ. الْوُضُوءُ الشَّرْعِيُّ هُوَ الَّذِي تَكُونُ مَعَهُ النِّيَّةُ لِوَجْهِ اللهِ. يَقُولُ فِي قَلْبِهِ: أَتَوَضَّأُ تَقَرُّبًا إِلَى اللهِ لِأَنَّ اللهَ أَمَرَ بِالْوُضُوءِ؛ يَغْسِلُ وَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَوْ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ وَيَغْسِلُ يَدَيْهِ وَيَمْسَحُ رَأْسَهُ كُلَّ الرَّأْسِ وَيَغْسِلُ رِجْلَيْهِ مَعَ الدَّلْكِ فِي الْجَمِيعِ. وَيُسَمِّي فِي الِابْتِدَاءِ بِاسْمِ اللهِ. هَذَا مَعْنَى قَوْلِ الرَّسُولِ: "**إِذَا تَوَضَّأَ الْمُسْلِمُ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ**"؛ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِي أَثْنَاءِ وُضُوئِهِ إِلَّا بِخَيْرٍ لَا يَتَكَلَّمُ بِاللَّغْوِ؛ هَذَا الْوُضُوءُ هُوَ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَطَايَا، خَطَايَا الْيَدِ وَالْوَجْهِ وَالرَّأْسِ وَالرِّجْلِ، الْحَمْدُ للهِ عَلَى فَضْلِ اللهِ".

الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "مُكَافَحَةُ الضَّلالِ فَرْضٌ عَلَى كلِّ مَنِ استَطاعَ إِلَى أن يَحْصُلَ القَدْرُ الَّذِي هُوَ فَرْضٌ. تَعْلِيمُ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ اليَوْمَ جِهَادٌ يُكافَحُ بِهِ كُفْرُ الْمُجَسِّمَةِ الْمُشَبِّهَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الضَّالِّينَ. جِهَادُ هَؤُلَاءِ بِالْبَيَانِ مِنْ أَفْرَضِ الْفُرُوضِ، فَمَنْ تَكَاسَلَ عَنْ هَذَا فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ اسْتَحَقَّ عَذَابَ اللهِ. أَمَّا الْجِهادُ بِالسِّلَاحِ سَقَطَ عَنَّا لأنَّا لَا نَسْتَطِيعُ الْيَوْمَ. وَلَا يَكْفِي تَعْلِيمُ الْأَحْكَامِ الْفِقْهِيَّةِ بِدُونِ تَعْلِيمِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا الْكُفْرُ مِنَ الْإِيمَانِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "فَمِنْ أَوْكَدِ الْوَاجبَاتِ أَنْ نُنَاضِلَ عَنْ دِينِ اللهِ بِالرَّدِّ عَلَى هَؤُلَاءِ الضَّالِّينَ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُمْ، ثُمَّ مَنْ كانَ عِنْدَهُ قُوَّةٌ بِإِقَامَةِ الْأَدِلَّةِ الْقُرْءَانِيَّةِ وَالْحَدِيثِيَّةِ وَالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَقَامَ بِهَذَا الْوَاجِبِ فهُوَ مِنَ الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ. وَأَمَّا مَنْ قَصُرَ بَاعُهُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ إِقَامَةُ الْأَدِلَّةِ فَفَضْلُهُ أَقَلُّ مِنْ هَؤُلَاءِ. وَتَانِكَ الطَّبَقَتَانِ يَشْمَلُهُمْ هَذَا الْحَدِيثُ: "**اَلْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ**". الدَّعْوَةُ تَحْتَاجُ إِلَى اسْتِعْمَالِ أَسَالِيبَ تُقَرِّبُ النَّاسَ إِلَى الِاقْتِنَاعِ وَالتَّسْلِيمِ، عَلَيْكُمْ بِالعَمَلِ بِهذِه الطَّرِيقَةِ، وَهَذَا جِهَادٌ وَإِنْ شَاءَ اللهُ كُلُّ وَاحِدٍ يَقُومُ بِهَذَا الْعَمَلِ يَكُونُ لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ كَشَهِيدِ الْمَعْرَكَةِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْكُتَ عَنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَخَافَةَ النَّاسِ فَالرِّزْقُ مَكْتُوبٌ وَالْأَجَلُ مَكْتُوبٌ، إِنَّمَا يَسْكُتُ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ أَنَّهُ إِذَا تَكَلَّمَ يَزِيدُ ذَلِكَ الْمُنْكَرُ، أَمَّا فِي غَيْرِ هَذِهِ الْحَالِ فَلَا يَسْكُتُ، شَرْطُ وُجُوبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ أَنْ يَكُونَ يَرْجُو الْقَبُولَ، أَمَّا إِنْ كَانَ لَا يَرْجُو الْقَبُولَ فَسَكَتَ مَا عَلَيْهِ إِثْمٌ؛ مَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ فَلْيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَلْيَنْهَ بِالْمَعْرُوفِ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ إِذَا كُلِّمُوا فِي النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ يَزِيدُونَ شَرًّا".

وَقَالَ رضي الله عنه: "نَحْنُ عَلَيْنَا أَنْ نُحَذِّرَ مِمَّنْ يَدْعُو إِلَى الْكُفْرِ والْفُسُوقِ، عَلَيْنَا أن نُحَذِّرَ فَمَنْ لَمْ يُحَذِّرْ فَهُوَ عَاصٍ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ. اَلَّذِي لَا يُغَيِّرُ الْمُنْكَرَ مَعَ الْقُدْرَةِ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ، لِذَلِكَ عَلَيْنَا أن نُحَذِّرَ النَّاسَ مِنْ دُعَاةِ الْكُفْرِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "بِالنِّسْبَةِ لِإِنْكَارِ الْمُنْكَرِ الِاعْتِقَادِيّ وَالْعَمَلِيّ فِي هَذَا الزَّمَنِ أَصْعَبُ مِنْ زَمَنِ الصَّحَابَةِ، لِأَنَّهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ كَانَ الْأَخُ يُسَاعِدُ أَخَاهُ، أَمَّا الْيَوْمَ الْأَخُ يُحَارِبُ أَخَاهُ مِنْ أَجْلِ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ وَالْعَائِلَةُ قَدْ تُحَارِبُكَ لِأَجْلِ إِنْكَارِ مُنْكَرٍ، لِذَلِكَ نَحْنُ الْيَوْمَ الَّذِي يَقُومُ بِهَذَا الْأَمْرِ كَمَا عَلَيْهِ جَمَاعَتُنَا أَجْرُهُ كَأَجْرِ خَمْسِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِالنِّسْبَةِ لِإِنْكَارِ الْمُنْكَرِ. الَّذِينَ يَقْعُدُونَ فِي الْخَلْوَاتِ أَجْرُهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَذَا كَنُقْطَةٍ بِجَنْبِ بَحْرٍ، بَعْضُ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَيْنَا مِنْ قِلَّةِ فَهْمِهِمْ لِلْأَمْرِ يَطْلُبُ أَنْ يُفْتَحَ مَجْلِسُ ذِكْرٍ وَيُشْغِلُ النَّاسَ سَاعَاتٍ لِذَلِكَ، هَذَا قِلَّةُ فَهْمٍ. خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَذْهَبَ أَحَدُنَا إِلَى شَخْصٍ وَيُزِيلَ مُنْكَرًا مِنْ قَبِيلِ الْكُفْرِ أَوْ مِنْ قَبِيلِ الْكَبَائِرِ، هَذَا خَيْرٌ مِنْ عَقْدِ مَجْلِسٍ يُذْكَرُ فِيهِ عَشَرَاتِ الْأُلُوفِ مِنَ الذِّكْرِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ هَذَا أَفْضَلُ، إِنْكَارُ هَذَا الْمُنْكَرِ الْعَظِيمِ أَمْرٌ هَيِّنٌ؟ إِنْكَارُ كُفْرِيَّةِ حِزْبِ الْإِخْوَانِ إِنَّ قَوْلَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ لَا يَنْفَعُ، هَذَا تَضْلِيلٌ لِلصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَتَضْلِيلٌ لِلرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم الَّذِي كَانَ يَقُولُ فِي يَوْمِهِ: "**أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**" مِائَةَ مَرَّةٍ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "اسْلُكُوا طَرِيقَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ".

وقال رضي الله عنه: "إِنْكَارُ الْمُنْكَرِ عِنْدَ اللهِ أَمْرٌ عَظِيمٌ، إِذَا إِنْسَانٌ قَالَ كَلِمَةً خَبِيثَةً مُحَرَّمَةً مَنْ رَدَّ عَلَيْهِ وَحَذَّرَ النَّاسَ مِنْهُ لَهُ دَرَجَةٌ عَالِيَةٌ عِنْدَ اللهِ، مَنْ سَكَتَ مَعَ الْمَقْدِرَةِ مِنْ دُونِ أَنْ يَخَافَ ضَرَرًا سَكَتَ فَهُوَ مَلْعُونٌ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ**". وَقَالَ: "**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ**". فَعَلَيْنَا أن نَبْذُلَ جُهْدَنَا فِي الأَمْرِ بِالْمَعروفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَعْظَمُ الْمُنْكَرَاتِ الْكُفْرُ، ونَحْنُ قَائِمُوْنَ بِالنَّهْيِ عَنِ الْكُفْرِ فِي هَذَا الزَّمَنِ الَّذِي النَّاسُ تَعَوَّدُوا فِيهِ الْمُدَاهَنَةَ".

وَقَالَ: "الَّذِي لَا يُنَسِّقُ مَعَ إِخْوَانِهِ طُرُقَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ هَذَا غَشَّ نَفْسَهُ وغَشَّ غَيْرَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَافُرَ وَإِيثَارَ الْمَالِ عَلَى الآخِرَةِ، فأَخْلِصُوا نِيَّاتِكُمْ وَءَاثِرُوا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا حَتَّى تُحَقِّقُوا هَذَا الْأَمْرَ عَلَى الوَجْهِ التَّامّ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "وَرَدَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ: "**عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيْرًا بِزَمَانِهِ مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ**»، مَطْلُوبٌ مِنَ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَعْرِفَ مَا يَصْدُرُ فِي الْوَقْتِ حَتَّى إِذَا علِمَ بِمُنْكَرٍ يُحَاوِلُ أَنْ يُزِيلَهُ، وَإِنْ عَرَفَ بِمَعْرُوفٍ يُبَادِرُ إِلَى إِشَاعَةِ [إِظْهَارِ] هذا الْمَعْرُوفِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: "الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يُقَدِّمُ أَجَلًا وَلَا يُؤَخِّرُ رِزْقًا".

وَقَالَ رضي الله عنه: "الَّذِي لَا يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ شَيْطَانٌ أَخْرَسُ، لَوْ كَانَ هُوَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ عَالِمًا فَهُوَ شَيْطَانٌ أَخْرَسُ".

وَقَالَ رضي الله عنه: «وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «**أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِالْحَقِّ إِذَا رَءَاهُ**» رَوَاهُ ابنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حديثِ أَبِي سعيدٍ الْخُدْرِيّ رضي الله عنه. فَلَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْكُتَ عَنِ الْأَمْرِ بِالْمَعروفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَخَافَةَ النَّاسِ، فَالرِّزْقُ مَكْتُوبٌ وَالْأَجَلُ مَكْتُوبٌ، إِنَّمَا يَسْكُتُ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ أَنَّهُ إِذَا تَكَلَّمَ يَزِيدُ ذَلِكَ الْمُنْكَرُ، أَمَّا فِي غَيْرِ هَذِهِ الْحَالِ فَلَا يَسْكُتُ، شَرْطُ

وُجُوبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ أَنْ يَكُونَ يَرْجُو القَبُولَ، أَمَّا إِنْ كَانَ لَا يَرْجُو القَبُولَ فَسَكَتَ مَا عَلَيْهِ إِثْمٌ. مَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ فَلْيَأْمُرْ بِالْمَعروفِ ومَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَلْيَنْهَ بِالْمَعرُوفِ، لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ إِذَا كُلِّمُوا فِي النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ يَزِيْدُونَ شَرًّا".

وَقَالَ رضي الله عنه: «وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ الَّذِي يَتَمَسَّكُ بِالدِّينِ فِي زَمَانٍ يغلِبُ فيه عَلَى النَّاسِ حُبُّ الدُّنْيَا وَالِاسْتِبْدَادُ بِالرَّأْيِ وَإِعْجَابُ الشَّخْصِ بِرَأْيِهِ وَاتِّبَاعُ الْهَوَى لَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ. مَنْ تَمَسَّكَ بِالسُّنَّةِ أَيِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الصَّحَابَةُ، الرَّسُولُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ، لِأَنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ مُتَعَاضِدِينَ مُتَبَاذِلِينَ مُتَنَاصِحِينَ مُتَحَابِّينَ كَمَا أَمَرَ اللهُ، مُتَعَاوِنِينَ عَلَى الْخَيْرِ، لَا يَلْقَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَا نُقَاسِيهِ الْيَوْمَ. الْآنَ أَكْثَرُ النَّاسِ صَارُوا عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ، ءَاثَرُوا الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، مِنْ أَجْلِ مَالٍ قَلِيلٍ يَكْفُرُونَ، مِنْ شِدَّةِ تَعَلُّقِ قُلُوبِهِمْ بِالدُّنْيَا وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الآخِرَةِ ابْتَعَدُوا عَنْ سُنَّةِ الصَّحَابَةِ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ، لِذَلِكَ فِي هَذَا الزَّمَنِ الْمُتَمَسِّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ وَالصَّحَابَةُ لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهَا بِمِثْلِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرُ خَمْسِينَ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «**بَلْ مِنْكُمْ**». هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِثَوَابِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْأَفْضَلِيَّةِ فَكِبَارُ الصَّحَابَةِ أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، لَا يَأْتِي مَنْ هُوَ أفْضَلُ مِنْهُمْ عِنْدَ اللهِ، نَحْنُ الْآنَ نُعَانِي الْكَثِيرَ مِنَ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «رَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**» مَعْنَاهُ الدِّينُ يَأْمُرُ بِالنَّصِيحَةِ أَيْ

إِخْلَاصِ الْحَقِّ، أَمَّا النَّصِيحَةُ لله أَيْ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَبِصِفَاتِهِ، أَمَّا النَّصِيحَةُ لِلْقُرْءَانِ فَهُوَ تَعْظِيمُهُ وَاعْتِقَادُهُ، أَمَّا النَّصِيحَةُ لِلرَّسُولِ فَهُوَ بِاتِّبَاعِهِ، وَالنَّصِيحَةُ أَيْ إِخْلَاصُ الْحَقِّ لِعُمُومِ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ بِإِرْشَادِ جَاهِلِهِمْ وَمُعَاوَنَةِ عَالِمِهِمْ وَاتِّبَاعِهِمْ، هَذِهِ هِيَ النَّصِيحَةُ، لَيْسَ مَعْنَى النَّصِيحَةِ هُنَا كَلَامَ الشَّخْصِ لِشَخْصٍ بِمَا هُوَ حَقٌّ فَقَطْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي يَتَمَسَّكُ بِمَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ وَلِلنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لِأَنَّهُمْ هُمْ فِي زَمَانِهِمْ كَانُوا يَتَعَاضَدُونَ لَكِنِ الْيَوْمَ الَّذِي يَقُولُ الْحَقَّ مُضْطَهَدٌ بَيْنَ أَهْلِهِ وَجِيرَانِهِ وَمَعَارِفِهِ، أَهْلُ الرَّجُلِ يُحَاربه أَبُوهُ وَأُمُّهُ، كَثِيرٌ مِنْ جَمَاعَتِنَا يَلْقَوْنَ مِنْ أَهَالِيهِمْ مُعَارَضَاتٍ يُرِيدُ الواحد منهم أَنْ يُنْقِذَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ، يُعْرِضُونَ، يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ لَهُم إِذَا سَمِعَ مِنْهُ، فالْأَبُ يَتَكَبَّرُ وَكَذَلِكَ الْأَخُ. كَأَنَّ بَيَانَ كُفْرِ سَابِّ اللهِ كَأَنَّهُ شَىْءٌ مُنْكَرٌ عِنْدَهُمْ، فَهَذَا الزَّمَنُ هُوَ الَّذِي قَالَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**الْقَابِضُ فِيهِ عَلَى دِينِهِ كَقَابِضٍ عَلَى جَمْرٍ**» لِكَثْرَةِ مَنْ يُعَارِضُ مَنْ يَقُولُ الْحَقَّ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «يَا بُشْرَى مَنْ عَمِلَ بِهَذَا الْأَمْرِ، تَعَلَّم عِلْمَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْأَحْكَامِ، ثُمَّ جَاهَدَ الضَّلَالَ فِي هَذَا الْعَصْرِ، هَذَا الْعَصْرُ عَصْرٌ تَعَاضَدَتْ فِيهِ الْكُفْرِيَّاتُ الِاعْتِقَادِيَّةُ وَالْعَمَلِيَّةُ.

فَهَنِيئًا لِمَنْ بَذَلَ جُهْدَهُ فِي كِفَاحِ ذَلِكَ، يَكُونُ شَهِيدًا لَوْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ**»، سُنَّتِي مَعْنَاهُ الْعَقِيدَةُ وَالْأَحْكَامُ. لِأَنَّ مَعْنَى السُّنَّةِ فِي اللُّغَةِ: الطَّرِيقُ. إِنَّمَا الْفُقَهَاءُ فِي اصْطِلَاحِهِمْ صَارُوا يَقُولُونَ لِلْعَمَلِ الَّذِي هُوَ لَيْسَ وَاجِبًا سُنَّة. أَمَّا فِي الْحَدِيثِ السُّنَّةُ هِيَ طَرِيقَةُ الرَّسُولِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَحْذِيرُ الْمُسْلِمِينَ مِمَّا يَضُرُّهُمْ فِي دِينِهِمْ أَوْ دُنْيَاهُمْ فَرْضٌ فَمَنْ لَمْ يُحَذِّرْ فَعَلَيْهِ إِثْمٌ، وَبَعْضُ ذَلِكَ أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ إِثْمًا تَرْكُهُ، فَلَوْ رَأَى مُسْلِمٌ إِنْسَانًا يُرِيدُ أَنْ يَسْلُكَ طَرِيقًا يَعْلَمُ فِيهِ أَنَّهُ يُوجَدُ قُطَّاعُ طَرِيقٍ فَتَحْذِيرُهُ وَاجِبٌ عَلَى الَّذِي عَلِمَ أَنَّهُ يَسْلُكُ هَذَا الطَّرِيقِ، فَإِنْ لَمْ يُحَذِّرْهُ فَذَلِكَ ذَنْبٌ كَبِيرٌ. وَأَمَّا تَحْذِيرُهُ مِمَّا يَضُرُّهُ فِي دِينِهِ فَهُوَ أَشَدُّ أَهَمِّيَّةً، وَمَنْ لَمْ يُحَذِّرْ مُسْلِمًا مِمَّا يَضُرُّهُ فِي دِينِهِ فَقَدِ ارْتَكَبَ ذَنْبًا مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؛ فَفِي هَذَا الْعَصْرِ حَدَثَتْ فَتَاوَى مَنْ أَخَذَ بِهَا يَهْلِكُ وَهَذَا الْأَمْرُ مِنْهُ شَىْءٌ مُتَقَادِمٌ وَمِنْهُ شَىْءٌ حَدَثَ مُنْذُ وَقْتٍ قَرِيبٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَجِبُ التَّحْذِيرُ مِنْهُ، فَمَنْ لَمْ يُحَذِّرْ فَهُوَ آثِمٌ إِثْمًا كَبِيرًا».

اَلْجُرْأَةُ فِي قَوْلِ الْحَقّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «لَا يَكْمُلُ إِيمَانُ الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ جَرِيئًا فِي قَوْلِ الْحَقّ، اَلْحَمْدُ للهِ جَمَاعَتُنَا فِيهِمْ جُرَءَاءُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَّمْنَاهُم الْجُرْأَةَ[1] فَاسْتَأْسَدُوا فِي قَوْلِ الْحَقّ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اَلشَّجَاعَةُ تُكْتَسَبُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَعَادِنُ الرِّجَالِ تُعْرَفُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَنَا أُحِبُّ الْأُسُودَ[2]».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يُحِبُّ اللهَ يَكُونُ جَرِيئًا لِقَوْلِ الْحَقّ، لَا يَخَافُ قَوْلَ الْحَقّ لِأَجْلِ النَّاسِ. هَذِهِ الْجُرْأَةُ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَهْمَا كَانَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا فَلْيُفَكِّرْ فِي الْآخِرَةِ».

---

[1] فرق بين الشجاعة مع الحكمة وبين التهوّر.

[2] أي الَّذِي عِنْدَهُ جُرْأَةٌ لِلدِّفَاعِ عَنِ الدِّينِ.

وَقَالَ رضي الله عنه: «يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَغْضَبَ للهِ تَعَالى، وَيُنْكِرَ المنْكَرَ الكُفْرَ وَمَا دُونَ الكُفْرِ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ مُعْتَمِدًا مُتَوَكِّلًا عَلَى اللهِ. الْقَوْلُ بِالْحَقِّ لَا يُقَرِّبُ أَجَلًا وَلَا يَقْطَعُ رِزْقًا، اللهُ تَعَالَى كَتَبَ الْأَجَلَ لِكُلِّ شَخْصٍ مَتَى يَمُوتُ، وَبِأَيِّ سَبَبٍ يَمُوتُ، إِنْ كَانَ بِالْقَتْلِ وَإِنْ كَانَ عَلَى الْفِرَاشِ أَوْ بِالْغَرَقِ أَوْ بِغَيْرِ ذَلِكَ لَا يَمُوتُ الْإِنْسَانُ إِلَّا بِأَجَلِهِ، وَلَا يَأْتِي الْإِنْسَانَ رِزْقٌ إِلَّا الَّذِي كَتَبَ اللهُ لَهُ، اللهُ تَعَالَى يَرْزُقُنَا جُرْأَةً لِقَوْلِ الْحَقِّ، ءَامِين».

فَضْلُ التَّحْذِيْرِ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الَّذِي يُحَذِّرُ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ ثَوَابُهُ عِنْدَ اللهِ مِثْلُ الْمُجَاهِدِ الَّذِي يُجَاهِدُ الكُفَّارَ بِالسَّيْفِ، مِثْلُهُ، بَلْ يَكُونُ فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ أَعْظَمَ ثَوَابًا مِنْ ذلِكَ الْمُجَاهِدِ. بَعْضُ السَّلَفِ الَّذِينَ كَانُوا فِي أَوَّلِ القَرْنِ الثَّانِي الْهِجْرِيِّ قَالَ: «**قَتْلُ هَذَا** [يَعْنِي غَيْلَانَ الدِّمَشْقِيَّ] **أَفْضَلُ مِنْ قَتْلِ أَلْفِ كَافِرٍ رُومِيٍّ وَتُرْكِيٍّ**». الْأَتْرَاكُ كَانُوْا كُفَّارًا فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ، مَا دَخَلَهُم الْفَتْحُ الْإِسْلَامِيُّ. وَحَقِيقَةً هُوَ الْأَمْرُ هَكَذَا، الكَافِرُ الْمُعْلِنُ لَا يَنْتَسِبُ إِلَى الإِسْلَامِ إِذَا تَحَدَّثَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، اَلْمُسْلِمُونَ لَا يَأْخُذُونَ كَلَامَهُ فِي أَمْرِ الدِّينِ، أَمَّا هَذَا يَقْرَأُ قُرْءَانًا وَيُورِدُ ءَايَاتٍ، هذَا تَأْثِيرُهُ سَرِيعٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِهَانَةُ الْمُبْتَدِعِ فِي الْعَقِيدَةِ جِهَادٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «نَحْنُ نُؤَدِّي الْوَاجِبَ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللهُ مِنَ التَّحْذِيرِ مِنْ دُعَاةِ الضَّلَالِ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ لَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ لِذَلِكَ أَحَبُّوهُمْ أَيْ مَشَايِخَهُمْ عَلَى الضَّلَالِ فَإِذَا حُذِّرَ مِنْهُمْ يَقُولُونَ غَارُوا مِنَّا».

يَجِبُ التَّحذِيرُ عَلَى الْمَنَابِرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنَ الْمُنكَرَاتِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: "يَجِبُ التَّحْذِيرُ عَلَى الْمَنَابِرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنَ الْمُنكَرَاتِ الَّتِي تَحصُلُ مِنَ الْعَوَامِّ. هَؤُلَاءِ الْجُهَّالُ يَحْضُرُ كَثِيرٌ مِنهُمْ الْجُمُعَةَ، فَإِذَا لَمْ يَسْمَعُوا التَّحْذِيرَ مِنَ الْكُفْرِيَّاتِ قَدْ يَبْقَونَ عَلَيْهَا. فَفِي التَّحْذِيرِ مِنْهَا عَلَى الْمَنَابِرِ إِنْقَاذٌ لَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ. بَعْضُ أَكَابِرِ الْحَنَفِيَّةِ ذَكَرَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ تَآلِيفِهِ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْخَطِيبِ أَنْ يَذْكُرَ ذَلِكَ عَلَى الْمِنْبَرِ".

وَقَالَ رضي الله عنه: «وَرَدَ فِي الْأَثَرِ: «**إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدَعُ**[1] **وَسَكَتَ الْعَالِمُ لَعَنَهُ اللهُ**»».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أُنْشُرُوا الْحَقَّ وَكَافِحُوا الْضَّلَالَ وَالْمُنْكَرَاتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يُقَدِّمُ أَجَلًا وَلَا يُبْعِدُ رِزْقًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ خَيْرَ مَا يُتَوَاصَى بِهِ تَقْوَى اللهِ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى الْبِرِّ، وَالتَّنَاهِي عَنِ الْمُنْكَرِ فَاغْتَنِمُوا مِنْ حَيَاتِكُمُ الْحَسَنَاتِ وَالْمَبَرَّاتِ».

اللهُ أَمَرَنَا بِأَن نُنكِرَ المُنكَرَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْغَضَبُ لَيْسَ عُذْرًا. إِذَا وَاحِدٌ غَضبَانُ سَبَّ لَهُ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ هَلْ يَقُولُ: هَذَا مَعْذُورٌ؟! أَكْثَرُ النَّاسِ كَيْفَ يَضْرِبُ بَعْضُهُم ظُلْمًا وَيَقْتُلُ بَعْضُهُمْ ظُلْمًا، أَلَيْسَ بِسَبَبِ الْغَضَبِ؟! هَل يَكُونُ عُذْرًا؟! اللهُ أَمَرَنَا بِأَنْ نُنْكِرَ الْمُنْكَرَ، هَذِهِ صِفَةُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَالَّذِينَ كَانُوا قَبْلَنَا لَمَّا تَرَكُوا إِنْكَارَ الْمُنْكَرِ اللهُ انْتَقَمَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا. نَحْنُ مَأْمُورُونَ بِأَنْ نُنكِرَ عَلَى مَنْ يَقُومُ بِالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي. قُولُوا لِهَؤُلَاءِ: الْعُلَمَاءُ مُنْذُ

---

[1] البدع هي العقائد الفاسدة.

مِئَاتِ السِّنِينَ، عُلَمَاءُ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ عَمِلُوا كُتُبًا مَنْ قَالَ كَذَا كَفَرَ، مَنْ قَالَ كَذَا كَفَرَ، لَيْسَ شَيْئًا جَدِيدًا لَكِنْ عَلَيْكُم جَدِيدٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «يَجِبُ أَنْ تُبَيَّنَ الْعَقِيدَةُ عَلَى الْمَنَابِرِ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ لَا يَأْتُونَ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ».

قَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يُحَرِّفُ شَرِيعَةَ اللهِ التَّحْذِيرُ مِنْهُ فَرْضٌ، وَالَّذِي يَسْكُتُ عَنْهُ شَيْطَانٌ أَخْرَسُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «نَحْنُ عَلَيْنَا أَنْ نُحَذِّرَ مِمَّنْ يَدْعُو إِلَى الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ، عَلَيْنَا أَنْ نُحَذِّرَ، فَمَنْ لَمْ يُحَذِّرْ فَهُوَ عَاصٍ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ، الَّذِي لَا يُغَيِّرُ الْمُنْكَرَ مَعَ الْقُدْرَةِ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ، لِذَلِكَ عَلَيْنَا أَنْ نُحَذِّرَ النَّاسَ مِنْ دُعَاةِ الْكُفْرِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْإِنْسَانُ خُلِقَ لِيَعْبُدَ اللهَ، مَا خُلِقَ لِلْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، عِبَادَةُ اللهِ كَيْفَ تَكُونُ؟ بِالتَّعَلُّمِ، بِتَعَلُّمِ عِلْمِ الدِّينِ، لَا عُذْرَ لِلْجَاهِلِ».

تَكَلَّمُوا بِالتَّوْحِيدِ أَينَمَا كُنْتُم:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «كُلُّ فَرْدٍ لِيَشْتَغِلَ بِالتَّوْحِيدِ. فِي مَجَالِسِكُمْ وَفِي أَسْفَارِكُمْ انْشُرُوا التَّوحِيدَ. وَاحِدٌ مِن جَمَاعَتِنَا قَالَ: كُنْتُ فِي الْحِجَازِ، فَالسَّوَّاقُ، سَوَّاقُ السَّيَّارَةِ الَّذِي يَأْخُذُنَا مِنْ مَكَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، تَحَدَّثْتُ مَعَهُ وَأَنَا فِي السَّيَّارَةِ، بَيَّنتُ لَهُ الْعَقِيدَةَ فَقَالَ: أَنَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَهُوَ رَجُلٌ كَبِيرٌ. تَكَلَّمُوا بِالتَّوْحِيدِ أَيْنَمَا كُنْتُمْ، فِي الْبُيُوتِ وَغَيْرِ الْبُيُوتِ، فِي رِحْلَةِ الْحَجِّ أَوِ الْعُمْرَةِ.

كَذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَيْسَ جِسْمًا، لَيْسَ لَهُ كَمِّيَّةٌ أَيْ مِقْدَارٌ، لَا يَعْرِفُونَ، بَلْ بَعْضُ النَّاسِ يَعتَقِدُونَ أَنَّ اللهَ ذَكَرٌ، ويَظُنُّونَ بِأَنفُسِهِم أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ. هُنَا فِي لُبْنَانَ حَصَلَ وَفِي غَيْرِ لُبْنَانَ لِأَنَّهُمْ تَرَكُوا عِلْمَ الدِّينِ وَانْكَبُّوا عَلَى عِلْمِ الدُّنْيَا. الْأَبُ وَالْأُمُّ لَا يُعَلِّمَانِ الْوَلَدَ فِي

الْبَيْتِ، وَالْمَدَارِسُ لَا تُعَلِّمُ إِلَّا مَدَارِسُ جَمَاعَتِنَا. فِي لُبْنَانَ لَا تُوجَدُ مَدَارِسُ تُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ كَمَا يَجِبُ إِلَّا مَدَارِسُ جَمَاعَتِنَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الدَّعْوَةُ إِلَى عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ أَفْضَلِ الْمَبَرَّاتِ».

الْخُطَبَاءُ تَرَكُوا أَصْلَ وَظِيفَتِهِمْ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْخُطَبَاءُ هَذِهِ الْأَيَّامَ تَرَكُوا أَصْلَ وَظِيفَةِ الْخَطِيبِ. أَصْلُ وَظِيفَةِ الْخَطِيبِ أَنْ يُحَذِّرَ النَّاسَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَأَنْ يُبَيِّنَ الْوَاجِبَاتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «فِي هَذَا الْعَصْرِ مِنْ أَفضَلِ الْأَعْمَالِ إِنْقَاذُ النَّاسِ مِنَ الْكُفْرِ. بَعْضُ النَّاسِ مِنْ جَهْلِهِم يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ. الْعِنَايَةُ بِالتَّوْحِيدِ فِي هَذَا الزَّمَنِ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ. الِاشْتِغَالُ بِتَعْلِيمِ عِلْمِ التَّوْحِيدِ وَتَعَلُّمِهِ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «وَظِيفَةُ الْخُطَبَاءِ أَنْ يُرْشِدُوا النَّاسَ إِلَى مَا فِيهِ مَصْلَحَةُ دِينِهِمْ، وَيُنَبِّهُوهُمْ إِلَى الْأُمُورِ الَّتِي يُقَصِّرُونَ بِهَا، لَيْسَتْ وَظِيفَةُ الْخُطَبَاءِ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِالتَّارِيخِ فَقَطْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنْكَارُ الْمُنْكَرَاتِ مُهْمَلٌ فِي هَذَا الزَّمَنِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «هَذَا لَا يَخْفَى [عَلَى] الْمَشَايِخِ لَكِنْ يَسْكُتُونَ لَهُ، هَذَا مِنْ مَوْتِ الْقُلُوبِ، قُلُوبُهُمْ مَاتَتْ وَلَوْ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ حَيَّةً لَاجْتَمَعُوا وَسَعَوْا فِي إِزَالَةِ هَذَا الْمُنْكَرِ».

أَصْلُ الدِّينِ أَوْلَى أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِهِ عَلَى الْمَنَابِرِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْمَشَايِخُ بَدَلَ أَنْ يُبَيِّنُوا أَصْلَ الدِّينِ عَلَى الْمَنَابِرِ أَغْلَبُهُمْ سَاكِتُونَ، هَذَا أَوْلَى أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِهِ عَلَى الْمَنَابِرِ. يَذْكُرُونَ التَّوَارِيخَ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ

فَعَلَ كَذَا، خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَعَلَ كَذَا» كَأَنَّ هَذَا أَصْلُ الدِّينِ. يَتْرُكُونَ أَصلَ الدِّينِ وَيَتَكَلَّمُونَ بِهَذَا».

أَنْتَ كَالْغَازِي:

قَال الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه لِمَنْ يُدَرِّسُ فِي مَجَالِسِ الْعَزَاءِ وَيَلقَى فِيهَا مَا يَلْقَى مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ وَغَيْرِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَدِمَ إِلَيْهِ: «أَنْتَ كَالْغَازِي الَّذِي رَجَعَ مِنَ الْغَزْوِ. أَنْتَ مِثْلُ الَّذِي يَأْتِي مِنَ الْغَزْوِ مِنَ الْجِهَادِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْعَزَاءُ مَصْيَدَةٌ لِلنَّاسِ، النَّاسُ فِي الْعَزَاءِ قُلُوبُهُمْ أَقْرَبُ إِلَى الْآخِرَةِ، فَإِذَا سَمِعُوا مَا يَنْفَعُهُمْ فِي الْآخِرَةِ يَقْبَلُونَ».

الْوَاجِبُ عَلَى الدَّاعِيَةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْوَاجِبُ عَلَى الدَّاعِيَةِ حِفْظُ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ ثُمَّ بَيَانُ الْكُفْرِيَّاتِ وَإِثْبَاتُ حُكْمِهَا حَتَّى تُحْذَرَ. مُلَّا عَلِي القَارِي يَقُولُ فِي شَرْحِهِ عَلَى الْفِقْهِ الْأَكْبَرِ لِأَبِي حَنِيفَةَ: يَجِبُ مَعْرِفَةُ الكُفْرِيَّاتِ.

وَيَقُولُ الْحَافِظُ مُحَمَّدُ مُرْتَضَى الزَّبِيدِيُّ فِي كِتَابِهِ: «وَقَدْ أَلَّفَ جَمْعٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ رَسَائِلَ فِي بَيَانِ الْكَلِمَاتِ الْكُفْرِيَّةِ» ثُمَّ يَقُولُ: «لَا يَجُوزُ الاقْتِدَاءُ بِالْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهمِيَّةِ وَالْخَطَّابِيَّةِ وَالْمُشَبِّهَةِ وَأَمْثَالِهِمْ مِمَّنْ يُكَفَّرُونَ بِبِدْعَتِهِمْ» مَعْنَاهُ كُلُّ أُولَئِكَ كُفَّارٌ.

عَلَيْكُمْ بِقَمْعِ الْمُنْكَرَاتِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى الْكُفْرِ، عَلَيْكُمْ بِبَذْلِ الْجُهْدِ فِي ذَلِكَ فَإِنَّ الْمُنْكَرَاتِ مَرَاتِبُ، فَمَا كَانَ كُفْرًا كَانَ أَوْلَى عِنَايَةً بِالرَّدِّ ثُمَّ مَا يَتبَعُ ذَلِكَ مِنَ الْكَبَائِرِ ثُمَّ الصَّغَائِرِ. فَأَوْلَى الْمُنْكَرَاتِ عِنَايَةً بِالرَّدِّ الْكُفْرُ».

إِيَّاكُمْ وَالتَّكَاسُلَ وَالتَّوَانِيَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اللَّهَ اللَّهَ عباد اللَّهِ، ابذلُوا جهدَكُم في هذا الأمرِ العظيمِ الذي يُتوجهُ إليهِ الآنَ باهتمامٍ عظيمٍ. وَإِيَّاكُمْ وَالتَّكَاسُلَ وَالتَّوَانِيَ، فَإِنَّ مَنْ تَوَانَى وَتَكَاسَلَ فِي هَذِهِ الْحَالِ عَنْ بَذْلِ الْجُهْدِ فِي تَقْوِيَةِ كَلِمَةِ «الْجَمْعِيَّةِ» الَّتِي غَايَتُهَا إِصْلَاحُ الْفَسَادِ وَتَقْوِيَةُ السُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ عَقِيدَةً وَأَحْكَامًا فَهُوَ خَاسِرٌ، فَمَنْ تَوَانَى فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ خَاسِرٌ عِنْدَ اللَّهِ وَهَالِكٌ هَلَاكًا كَبِيرًا. هَذَا الْعَمَلُ مَنْ جَدَّ فِيهِ يُكْتَبُ لَهُ حَظٌّ كَبِيرٌ مِنْ إِحْيَاءِ السُّنَّةِ وَمَحْقِ الْفَسَادِ. الِاجْتِهَادَ الِاجْتِهَادَ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الدَّعْوَةُ إِلَى عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ أَفْضَلِ الْمَبَرَّاتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ أَمْرَانِ عَظِيمَانِ فِي الدِّينِ لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُمَا. قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ يَا ظَالِمُ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ**» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ بِالتَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ. الَّذِي تَعَلَّمَ ثُمَّ لَا يُفَقِّهُ جِيرَانَهُ؛ ثُمَّ لَا يُعَلِّمُ جِيرانَهُ يَكُونُ مُقَصِّرًا تَقْصِيرًا كَبِيرًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِي تَهَابُ أَنْ تَقولَ لِلظَّالِمِ يَا ظَالِمُ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ**» الْمَعنَى أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ إِذَا وَصَلُوا إِلَى حَالَةٍ يَهَابُونَ أَنْ يَقُولُوا لِلظَّالِمِ يَا ظَالِمُ فَيَتْرُكُونَ التَّحْذِيرَ مِنْهُ وَزَجْرَهُ فِي وَجهِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَتَخَلَّى عَنْهُمْ أَيْ يَقْطَعُ نُصْرَتَهُ عَنْهُمْ وَيَكِلُهُمْ إِلَى أَنفُسِهِمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْمُخْلِصُونَ مُخْلِصُونَ أَيْنَمَا كَانُوا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «التَّبَرُّعُ لِلْجَمْعِيَّةِ لِمُكَافَحَةِ الضَّلَالِ أَفْضَلُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْفُرُوضِ».

عِلْمُ الدِّينِ حَيَاةُ الْإِسْلَامِ

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «فَإِنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْإِسْلَامِ، عِلْمُ الدِّينِ حَيَاةُ الْإِسْلَامِ وَلَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ مَا دَامَ عِلْمُ الدِّينِ مُنْتَشِرًا بَيْنَهُمْ، إِنَّمَا يَهْلِكُ النَّاسُ إِذَا ذَهَبَ الْعِلْمُ مِنْ بَيْنِهِمْ، أَوْ قَلَّ مَنْ يَعْلَمُ عِلْمَ الدِّينِ عِنْدَئِذٍ يَعْظُمُ الْهَلَاكُ. فَأَهَمُّ عِلْمِ الدِّينِ التَّوْحِيدُ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ بِهِ يُعْرَفُ اللهُ، لَيْسَ الْعِبْرَةُ بِمُجَرَّدِ الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، إِنَّمَا الْعِبْرَةُ بِفَهْمِ الْمَعْنَى، هَذَا أَسَاسُ الدِّينِ».

فَضْلُ التَّعَلُّمِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «زَادَكُمُ اللهُ حِفْظًا فِي الدِّينِ، عِلْمُ الدِّينِ لَهُ مَنْزِلَةٌ عَالِيَةٌ لِمَنْ يَتَعَلَّمُهُ وَلِمَنْ يُعَلِّمُهُ، الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَتَعَلَّمَ ءَايَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ، وَلَأَنْ تَغْدُوَ فَتَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ**». اُنْظُرُوا إِلَى فَضْلِ الْعِلْمِ، الَّذِي يَذْهَبُ لِتَعَلُّمِ بَابِ الِاسْتِنْجَاءِ، بَابِ الْوُضُوءِ، الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ، الْغُسْلِ مِنَ الْحَيْضِ، الْغُسْلِ مِنَ النِّفَاسِ، أَوْ مَعْرِفَةِ الْأَذَانِ، أَوْ مَعْرِفَةِ الْمَاءِ الطَّهُورِ الَّذِي يَرْفَعُ الْحَدَثَ وَيُزِيلُ النَّجَسَ، بَابِ التَّيَمُّمِ، بَابِ شُرُوطِ الصَّلَاةِ، بَابِ مُفْسِدَاتِ الصَّلَاةِ، بَابِ صَلَاةِ الْجَنَازَةِ، بَابِ صَلَاةِ الْكُسُوفِ، بَابِ الِاعْتِكَافِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ عِلْمِ الدِّينِ، أَيْ أَيِّ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، مَنْ يَذْهَبُ لِيَتَعَلَّمَهَا يَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللهِ ثَوَابٌ أَعْظَمُ مِنْ ثَوَابِ أَلْفِ رَكْعَةِ تَطَوُّعٍ أَيْ غَيْرِ الْفَرَائِضِ الْخَمْسِ. مَعَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّفُهُ إِلَّا وَقْتًا قَصِيرًا قَدْ يَأْخُذُه فِي سَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ كَانَ إِذَا جَاءَهُ طَالِبُ عِلْمٍ يَقُولُ لَهُ: «مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ»».

لُزُومُ مَجَالِسِ الْعِلْمِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ : «أُوصِيكُمْ بِلُزُومِ مَجَالِسِ الْعِلْمِ عِلْمِ الدِّينِ. عِلْمُ الدِّينِ هُوَ الَّذِي يُعَلِّمُ حُقُوقَ اللهِ وَحُقُوقَ الْخَلْقِ، عِلْمُ الدِّينِ يُعَلِّمُ هَذَا. فَإِذَا عَمِلَ بِمَا تَعَلَّمَهُ يَكُونُ مِنَ النَّاجِينَ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْقَبْرِ وَفِي الْآخِرَةِ. الَّذِي يَتَعَلَّمُ عِلْمَ الدِّينِ ثُمَّ يَتَّبِعُهُ لَيْسَ عَلَيْهِ نَكَدٌ لَا فِي الْقَبْرِ وَلَا فِي الْآخِرَةِ. أَمَّا الَّذِي لَا يَتَعَلَّمُ هَالِكٌ، يَكُونُ جَاهِلًا بِخَالِقِهِ لَا يَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ مَوْجُودٌ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا بَلْ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ جِسْمٌ يَطْلَعُ وَيَنْزِلُ يَقُولُونَ بِذَاتِهِ، هَؤُلَاءِ الْوَهَّابِيَّةُ مَا عَرَفُوا اللهَ يَظُنُّونَهُ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. هَؤُلَاءِ يَعْبُدُونَ شَيْئًا لَا وُجُودَ لَهُ مَا عَرَفُوا خَالِقَهُمْ».

وَقَالَ: «الَّذِي لَا يَتَعَلَّمُ عِلْمَ الدِّينِ، الَّذِي لَا يُعَلِّمُهُ أَبُوهُ عِلْمَ الدِّينِ وَلَا مَدْرَسَتُهُ يَكُونُ مِثْلَ هؤُلَاءِ الْوَهَّابِيَّةِ، يَظُنُّ أَنَّ اللهَ مُسْتَقِرٌّ فَوْقَ الْعَرْشِ يَظُنُّ أَنَّهُ مُسْلِمٌ وَأَنَّ لَهُ أَجْرًا وَهُوَ لَيْسَ لَهُ أَجْرٌ لِأَنَّهُ مَا عَرَفَ اللهَ لِأَنَّهُ لَا يَعْبُدُ اللهَ وَهُوَ يَعْبُدُ شَيْئًا تَخَيَّلَهُ لَا وُجُودَ لَهُ كَالْوَهَّابِيَّةِ. بَعْضُ النَّاسِ غَيْرُ الْوَهَّابِيَّةِ يَظُنُّونَ أَنَّ اللهَ بِصُورَةِ رَجُلٍ، يَظُنُّونَ أَنَّ الْمَطَرَ بَوْلُهُ. هُنَا فِي الْبِقَاعِ رَجُلٌ كَبِيرٌ قِيلَ لَهُ: اللهُ تَعَالَى مَوْجُودٌ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا لَيْسَ سَاكِنًا فِي السَّمَاءِ مَوْجُودٌ بِلَا مَكَانٍ. فَقَالَ: أَلَيْسَ ذَكَرًا؟ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي الْمَطَرُ؟ عَلَى زَعْمِهِ الْمَطَرُ بَوْلُ اللهِ، جَهْلٌ كَبِيرٌ. الَّذِي لَا يَتَعَلَّمُ عِلْمَ الدِّينِ قَدْ يَظُنُّ أَنَّهُ مُسْلِمٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَيَعْرِفُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ لَمَّا تَأْتِي مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَيُبَشَّرُ أَنَّهُ كَافِرٌ فَيَعْرِفُ. مَنْ لَا يَتَعَلَّمُ عِلْمَ الدِّينِ قَدْ يَظُنُّ أَنَّ اللهَ عَلَى الْعَرْشِ، أَمَّا مَنْ يَتَعَلَّمُ الِاعْتِقَادَ الصَّحِيحَ أَنَّ اللهَ مَوْجُودٌ لَيْسَ جِسْمًا بِالْمَرَّةِ وَتَجَنَّبَ الْكُفْرِيَّاتِ يَكُونُ مُسْلِمًا مُؤْمِنًا، ثُمَّ إِنْ مَاتَ إِنْ كَانَ مُقَصِّرًا فِي أَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ

وَاجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ قَدْ يَغْفِرُ اللهُ لَهُ فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ. أَهَمُّ أُمُورِ الدِّينِ هُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، مَعْرِفَةُ اللهِ لَيْسَتْ بِمُجَرَّدِ قَوْلِ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ، مَعْرِفَةُ اللهِ بِاعْتِقَادِ أَنَّ اللهَ لَا يُشْبِهُ الْمَخْلُوقَاتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عِلْمُ الدِّينِ هُوَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ، بِدُونِ عِلْمِ الدِّينِ لَا حَيَاةَ لِلْقُلُوبِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مُلَازَمَةُ مَجَالِسِ الْعِلْمِ، حُضُورُ مَجَالِسِ الْعِلْمِ، أُوصِي الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ بِلُزُومِ مَجَالِسِ الْعِلْمِ، عِلْمُ الدِّينِ حَيَاةُ الْإِسْلَامِ، فَابْذُلُوا جُهُودَكُمْ عَلَى مُلَازَمَةِ مَجَالِسِ دُرُوسِ الْعِلْمِ».

أَهَمِّيَّةُ عِلْمِ الدِّينِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلَى ءَالِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ قَالَ الْبُخَارِيُّ: بَابُ الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ ١٩**﴾ [سورة محمد]. اللهُ تَعَالَى بَدَأَ بِذِكْرِ الْعِلْمِ قَبْلَ الْعَمَلِ، لِأَنَّ الِاسْتِغْفَارَ عَمَلٌ لِسَانِيٌّ، أَمَّا الْعِلْمُ فَهُوَ عَمَلٌ قَلْبِيٌّ. وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يُقْبَلُ عَمَلٌ إِلَّا بِعِلْمٍ، لِأَنَّ الْعِلْمَ بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ وَبِأُمُوْرِ دِيْنِهِ هَذَا أَسَاسُ الدِّينِ، وَأَهَمُّ ذَلِكَ، الْعِلْمُ بِاللهِ أَيْ مَعْرِفَتُهُ كَمَا يَجِبُ، وَالْعِلْمُ بِرَسُولِهِ أَيِ الْإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ الْعِلْمُ بِأُمُورِ دِينِ اللهِ أَيِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. الْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُسْأَلُ عَنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ، يُسْأَلُ فِيمَ أَفْنَى عُمُرَهُ، وَفِيمَ أَبْلَى جَسَدَهُ، وَمِنْ أَيْنَ أَخَذَ الْمَالَ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ بِهِ. الْإِنْسَانُ يُسْأَلُ عَنْ أَمْرَيْنِ هَلْ تَعَلَّمَ أُمُورَ الدِّينِ وَعَمِلَ بِهِ أَيْ أَدَّى مَا فَرَضَ اللهُ كَمَا تَعَلَّمَ وَاجْتَنَبَ مَا حَرَّمَ اللهُ، هَذَا أَعْلَى الدَّرَجَاتِ فِي الْآخِرَةِ. وَأَمَّا مَنْ تَعَلَّمَ مَا فَرَضَ اللهُ تَعَلُّمَهُ مِنْ عِلْمِ الدِّيْنِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَعَلَيْهِ مُؤَاخَذَةٌ لِأَنَّهُ مَا عَمِلَ أَيْ مَا تَجَنَّبَ كُلَّ الْمَعَاصِي الَّتِي تَعَلَّمَ أَنَّهَا

مَعْصِيَةٌ أَوْ أَخَلَّ بِبَعْضِ الْفَرَائِضِ، هَذَا يُؤَاخَذُ لِأَنَّهُ لَمْ يعمَلْ. أَمَّا الَّذِيْ لَمْ يَتعَلَّمْ فَهُوَ يُؤَاخَذُ لِأَمرَيْنِ لِترْكِ التَّعَلُّمِ، تَعَلُّمِ عِلْمِ الدِّينِ الَّذِي هُوَ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ شَخْصٍ بَالِغٍ، وَلِعَدَمِ الْعَمَلِ عَلَى وَفْقِ الشَّرِيعَةِ، لِأَمْرَيْنِ يُسْأَلُ. فَالْعِلْمُ أَيْ عِلْمُ مَا فَرَضَ اللهُ تَعَالَى مِنْ أَمْرِ الدِّينِ يَنْفَعُ لِمَنْ عَمِلَ بِهِ وَلِمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ مِنْ جِهَةٍ، أَمَّا الَّذِي لَمْ يَتَعَلَّمْ فَهُوَ عَلَيْهِ مَسْئُوْلِيَّتَانِ: لِمَ لَمْ تَتَعَلَّمْ وَلِمَ لَمْ تَعْمَلْ عَلَى حَسَبِ شَرِيْعَةِ اللهِ، لِأَنَّ الَّذِي يَعْمَلُ مِنْ دُونِ عِلْمٍ لَا يَعْرِفُ الْعَمَلَ الصَّحِيحَ مِنَ الْعَمَلِ الْفَاسِدِ، لَا يَعْرِفُ الصَّلَاةَ الصَّحِيحَةَ مِنَ الصَّلَاةِ الْفَاسِدَةِ وَلَا الزَّكَاةَ، زَكَاتُهُ صَحِيحَةٌ أَمْ لَا، لَا يَعْرِفُ، وَلَوْ حَجَّ كَذَلِكَ لَا يَعْرِفُ حَجُّهُ صَحِيحٌ أَمْ لَا، فَخَطَرُ الْجَهْلِ أَشَدُّ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «ثُمَّ كُلُّ عَمَلٍ لَا يُوَافِقُ شَرِيعَةَ اللهِ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَغَيْرِ ذَلِكَ لَا يَقْبَلُهُ اللهُ، قَالَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم: «**كُلُّ عَمَلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**» أَيْ كُلُّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ الْإِنْسَانُ إِذَا لَمْ يُوَافِقْ شَرِيعَتَنَا فَهُوَ مَرْدُودٌ. هَذَا الْحَدِيثُ رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ. وَهَذَا الْحَدِيثُ يَزِيدُ تَأْكِيدَ أَهَمِّيَّةِ الْعِلْمِ عِلْمِ الدِّينِ. ثُمَّ عِلْمُ الدِّينِ هُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى مَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ فِي ءَاخِرَتِهِ وَفِي دُنْيَاهُ. عِلْمُ الدِّينِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى بَيَانِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالزَّكَاةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَقَطْ بَلْ يَشْمَلُ أُمُورًا كَثِيرَةً. الْقُرْءَانُ فِيهِ أَمْرُ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالزَّكَاةِ، وَفِيهِ أَمْرُ النِّكَاحِ وَالطَّلَاقِ والْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالْجِنَايَاتِ، أَحْكَامِ الْجِنَايَاتِ، كُلُّ هَذَا الْقُرْءَانُ مُشْتَمِلٌ عَلَيْهِ، مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْقُرْءَانَ يَشْمَلُ مَصَالِحَ الْآخِرَةِ وَمَصَالِحَ الدُّنْيَا، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُهُ الْإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ مَنْ أُمُورِ الْمَعِيشَةِ أَنَّهُ مِمَّا لَا يُؤَاخَذُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ أَوْ مِمَّا يُؤَاخَذُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ. الْمَالُ مِنْهُ مَا هُوَ حَلَالٌ وَمِنْهُ مَا هُوَ حَرَامٌ، وَالْأَكْلُ كَذَلِكَ مِنْهُ مَا هُوَ حَلَالٌ وَمِنْهُ مَا هُوَ حَرَامٌ، وَالْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ كَذَلِكَ مِنْهُ مَا هُوَ حَلَالٌ وَمِنْهُ مَا هُوَ حَرَامٌ، وَالصِّنَاعَاتُ كَذَلِكَ مِنْهَا مَا هُوَ حَلَالٌ ومِنْهَا مَا هُوَ حَرَامٌ،

لِذَلِكَ الْعِلْمُ أَهَمُّ مِنَ الْعَمَلِ. فَمَنْ عَاشَ وَلَمْ يَتَعَلَّمْ عِلْمَ الدِّينِ الضَّرُوْرِيَّ أَيِ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ عَلَى كُلِّ بَالِغٍ عَاقِلٍ يَنْتَبِهُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَحَالُهُ كَحَالِ نَائِمٍ ثُمَّ انْتَبَهَ فَرَأَى أَشْيَاءَ تَسُرُّهُ أَوْ لَا تَسُرُّهُ، الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَتَعَلَّمْ عِلْمَ الدِّينِ هُنَاكَ يَعْرِفُ حَالَهُ، بعدَ الْمَوْتِ يَعْرِفُ حَالَهُ. أَمَّا مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمَ الدِّينِ فِي الدُّنْيَا يَتَدَارَكُ حَالَهُ قَبْلَ الْمَوْتِ، يَعْرِفُ أَنَّهُ عَمِلَ كَذَا وكَذَا مِنَ الْمَعَاصِي فَيَتُوبُ، يَنْدَمُ وَيَعْزِمُ أَنَّهُ لَا يَعُودُ وَيَتْرُكُ، اللهُ تَعَالَى يَمْحُو عَنْهُ، لَا يُؤَاخِذُهُ فِي الْآخِرَةِ لِأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّهُ وَقَعَ فِي الْمَعْصِيَةِ وَتَابَ مِنْهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «وَصَلْنَا إِلَى الزَّمَنِ الَّذِي قَالَ فِيهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَيَقِلُّ الْعِلْمُ**» أيْ عِلْمُ الدِّينِ».

إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِتَعَلُّمِ عِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ الْمُتَوَارَثِ خَلَفًا عَنْ سَلَفٍ إِلَى الصَّحَابَةِ، وَإِلَّا تَجْرُفُكُمْ هَذِهِ الْفِرَقُ الضَّالَّةُ كَحِزْبِ الْإِخْوَانِ وَالْوَهَّابِيَّةِ وَحِزْبِ التَّحْرِيرِ، فَلَا نَجَاةَ إِلَّا بِتَعَلُّمِ عِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ. الْإِنْسَانُ لَا يُولَدُ عَالِمًا، إِنَّمَا يَتَعَلَّمُ بَعْدَ أَنْ يُولَدَ، أَمَّا إِنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ فَقَدْ أَضَاعَ نَفْسَهُ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: تَعَلَّمْ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُولَدُ عَالِمًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «وَاحْذَرُوا قَوْلَ بَعْضِ الْجُهَّالِ الَّذِينَ لَا يَتَعَلَّمُونَ عِلْمَ الدِّينِ، يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ إِذَا صَلَّوْا وصَامُوا أَنَّ اللهَ يُعطِيهِمُ الْعِلْمَ مِنْ دُونِ تَعَلُّمٍ، هَذَا بَاطِلٌ. مَهْمَا اشْتَغَلَ الْإِنْسَانُ بِالْحَجِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَذْكَارِ لَا يَأْتِيهِ الْعِلْمُ مِنْ دُونِ تَعَلُّمٍ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ. لَا بُدَّ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْإِنْسَانُ، الرَّسُولُ مَنْ علَّمَهُ؟ عَلَّمَهُ جِبْرِيلُ، ﴿ **عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ٥** ﴾ [سورة النجم] اللهُ يَقُولُ جِبْرِيلُ عَلَّمَ مُحَمَّدًا. أَمَّا هَؤُلَاءِ الْجُهَّالُ الَّذِينَ مَا تَعَلَّمُوا عِلْمَ الْعَقِيدَةِ وَلَا عِلْمَ الْأَحْكَامِ، ثُمَّ يذْكُرُونَ اللهَ كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ نَحْنُ اكْتَفَيْنَا، يَأْتِينَا العِلْمُ مِنْ دُونِ دِرَاسَةٍ، هَؤُلَاءِ

الشَّيْطَانُ لَعِبَ بِهِمْ، هَؤُلَاءِ هَالِكُونَ. عِلْمُ الدِّينِ لَا بُدَّ أَنْ يُتَعَلَّمَ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ. الرَّسُولُ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَعَلَّمُوا فَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ**»، مَا قَالَ: الْعِلمُ بِالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالذِّكْرِ. هَؤُلَاءِ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ، يُفَسِّرُونَ الْآيَةَ الْقُرْءَانِيَّةَ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ٢٨٢**﴾ [سورة البقرة]. بَلَغَنِي عَنِ امْرَأَةٍ أَنَّهَا تَقُولُ هَذَا، قَالَتْ: أَنَا أَقْرَأُ الْقُرْءَانَ، أَكْتَفِي. قِرَاءَةُ الْقُرْءَانِ لَا بُدَّ أَنْ تُتَلَقَّى مِنْ فَمِ عَارِفٍ، حَتَّى تَنْتَهِيَ بِالتَّسَلْسُلِ إِلَى الصَّحَابَةِ. هَؤُلَاءِ يَهْلِكُونَ وَيُهْلِكُونَ مَنْ صَدَّقَهُمْ. وَكَمْ مِنْ أُنَاسٍ هَلَكُوا بِسُوءِ فَهْمِ تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ٢٨٢**﴾ [سورة البقرة]. مَا فَهِمُوهَا، ظَنُّوا أَنَّ مَعْنَاهَا خِلَافُ مَا يَأْمُرُ بِهِ الرَّسُولُ، فَهْمُهُمْ خِلَافُ مَا أَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْعِلْمُ لَا يُؤْخَذُ بِالْمُطَالَعَةِ، عِلْمُ الدُّنْيَا لَا يُؤْخَذُ بِالْمُطَالَعَةِ فَكَيْفَ عِلْمُ الدِّينِ».

تَعَلُّمُ الْعَقِيدَةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيّ رضي الله عنه: «تَعَلُّمُ الْعَقِيدَةِ أَفْرَضُ مِنْ تَعَلُّمِ الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا، أَبُو حَنِيفَةَ سَمَّى الْعَقِيدَةَ **الْفِقْهَ الْأَكْبَرَ**».

وَقَالَ رضي الله عنه: «فَنَصِيحَةٌ جَلِيلَةٌ تُقَدَّمُ لِلشَّبَابِ الْمُسْلِمِينَ اغْتَنِمُوا مِنْ فُرْصَةِ حَيَاتِكُمْ لِتَعَلُّمِ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ الَّتِي تَضْمَنُ لِصَاحِبِهَا النَّجَاةَ فِي الْآخِرَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «صِحَّةُ الْعَقِيدَةِ وَمَعْرِفَةُ الكُفْرِيَّاتِ أَهَمُّ شَيْءٍ، بَعْدَ صِحَّةِ الْعَقِيدَةِ مَنْ تَجَنَّبَ الكُفْرِيَّاتِ دِينُهُ سَالِمٌ وَإِنْ مَاتَ عَلَى أَيِّ حَالَةٍ كَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ يَنْجُو إِنْ شَاءَ اللهُ مَهْمَا كَانَتْ ذُنُوبُهُ، هَذَا أَهَمُّ شَيْءٍ تَصْحِيحُ العَقِيدَةِ وَتَجَنُّبُ الْكُفْرِيَّاتِ».

أَهَمِّيَّةُ عِلْمِ الْعَقِيدَةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «وَصِيَّتِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَهْتَمَّ بِعِلْمِ الدِّينِ، عِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، حَتَّى تَسْلَمَ عَقِيدَتُهُ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَيَثْبُتَ عَلَيْهَا ويُدَافِعَ عَنْهَا. اهْتَمُّوا بِهذَا أَكْثَرَ مِنَ اهْتِمَامِكُمْ بِأَيِّ شَيْءٍ، لَا نَجَاةَ إِلَّا بِعِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ. نَحْنُ لَا نَدْعُو إِلَى دِينٍ جَدِيدٍ، نَحْنُ نَدْعُوا إِلَى مَا كانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ، وَمَنْ تَلَقَّى عِلْمَ الدّينِ مِنْهُمْ بِالتَّسَلْسُلِ إِلَى يوْمِنَا هَذَا. أَمَّا أُوْلَئِكَ دِينُهُمْ مَقْطُوعٌ، الْوَهَّابِيَّةُ ظَهَرَتْ مُنْذُ مِائَتَيْ سَنَةٍ وشَيءٍ، وَحِزْبُ التَّحْرِيرِ وَحِزْبُ الْإِخْوَانِ دِينُهُمْ ظَهَرَ مُنْذُ سِتِّينَ سَنَةً تَقْرِيبًا. لَا تَغْتَرُّوا بِهِمْ، فَإِنْ ذَكَرُوا لَكُمْ ءَايَةً قُرْءَانِيَّةً لِيُوهِمُوكُمْ أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ، الْآيَةُ لَيْسَ مَعْنَاهَا كَمَا يَقُولُونَ. وَكَذَلِكَ إِنْ ذَكَرُوا لَكُمْ حَدِيثًا نَبَوِيًّا لِيُوهِمُوكُمْ أَنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ حَقٌّ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ، الْآيَةُ وَالْحَدِيثُ لَهُمَا مَعْنًى غَيْرُ الَّذِي ذَكَرُوا، الْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْهُمْ، لَا تُصَدِّقُوهُمْ. قُولُوا لَهُمْ مَعْنَى الْآيَةِ لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ، وَمعْنَى الْحَدِيثِ لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ. الْقُرْءَانُ الْكَرِيمُ وَحَدِيثُ الرَّسُولِ فِيهِ مَا مَعْنَاهُ ظَاهِرٌ، وَفِيهِ مَا فِي مَعْنَاه إِشْكَالٌ، لَيْسَ كُلُّ ءَايَةٍ تُفَسَّرُ عَلَى الظَّاهِرِ، وَلَيْسَ كُلُّ حَدِيثٍ يُفَسَّرُ عَلَى الظَّاهِرِ. عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ هُمُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْآيَاتِ الَّتِي تُفَسَّرُ عَلَى الظَّاهِرِ، وَالْآيَاتِ الَّتِي لَا تُفَسَّرُ عَلَى الظَّاهِرِ، الِانْتِبَاهُ لِهَذَا أَمْرٌ مُهِمٌّ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِعْدَادُ السِّلَاحِ مِنَ الْأَدِلَّةِ الْقُرْءَانِيَّةِ وَالْحَدِيثِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ أَمْرٌ عَظِيمٌ، لِأَنَّنَا كَإِنْسَانٍ بَيْنَ أَعْدَاءٍ يُرِيدُونَ أَنْ يُهْلِكُوهُ، هَذَا الْإِنْسَانُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَا يَدْفَعُ بِهِ هَذَا الْعَدُوَّ الْعَدُوُّ يَضُرُّهُ، كَذَلِكَ إِذَا لَمْ يَتَعَلَّمْ عِلْمَ الْعَقِيدَةِ وَأَدِلَّتَهَا إِذَا اجْتَمَعَ بِالْوَهَّابِيَّةِ وَحِزْبِ التَّحْرِيرِ يُؤَثِّرُونَ بِهِ، وَقَدْ يَقْلِبُونَهُ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ. أَمَّا الَّذِي عِنْدَهُ الْأَدِلَّةُ يُدَافِعُ عَنْ نَفْسِهِ وَيَكْسِرُهُمْ بِالْحُجَّةِ بَدَلَ أَنْ يَأْخُذُوهُ إِلَيْهِمْ. الَّذِي يَتَعَلَّمُ الدَّلِيلَ يَحْمِي دِينَهُ وَدِينَ غَيْرِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

يَجِبُ عَلَى الْأُمَّهَاتِ وَالْآبَاءِ تَعْلِيمُ أَوْلَادِهِمْ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أَكثَرُ النَّاسِ الْيَوْمَ لَا يُؤَدُّونَ حُقُوقَ الْأَوْلَادِ. حُقُوقُ الْأَوْلَادِ لَيْسَ الْإِطْعَامَ وَالْكِسْوَةَ وَتَهْيِئَةَ الْمَنَامَةِ وَنَحْوَ ذَلِكَ فَقَطْ بَلْ حَقُّ الْأَوْلَادِ عَلَى الْآبَاءِ تَعْلِيمُهُمُ الْعَقِيدَةَ، عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَيَتْبَعُهُ الْإِطْعَامُ وَالْكِسْوَةُ وَنَحْوُ ذَلِكَ. هَذَا الْحَقُّ الْأَعْظَمُ لِلْأَوْلَادِ عَلَى الْوَالِدَيْنِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَكْثَرُ النَّاسِ يُهْمِلُونَ تَعْلِيمَ مَا هُوَ فَرْضٌ عَلَى الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ تَعْلِيمُهُ لِلْأَوْلَادِ، وَيَقْتَصِرُونَ عَلَى الْإِطْعَامِ وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ، وَهَذَا هَلَاكٌ كَبِيرٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ أَمَرَ أَنْ نَشْكُرَ الْوَالِدَيْنِ لِأَنَّهُمَا حَرِيصَانِ عَلَيْكُمْ مِنْ أَجْلِ حِفْظِ دِينِكُمْ. الْيَوْمَ الْآبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ لَا يَهْتَمُّونَ، يُرْسِلُونَ الْأَوْلَادَ إِلَى هَذِهِ الْمَدَارِسِ الْعَصْرِيَّةِ فَيُعَلِّمُونَهُمُ الْكُفْرَ، هَؤُلَاءِ بِئْسَ الْآبَاءُ. الْآبَاءُ الَّذِينَ لَا يُرَاعُونَ أُمُورَ الْأَوْلَادِ بِئْسَ الْآبَاءُ هَؤُلَاءِ. هُنَا مَدْرَسَتَانِ، وَاحِدَةٌ فِي بَيْرُوتَ اسْمُهَا «الْإِيمَانُ» وَوَاحِدَةٌ فِي طَرَابُلُسَ يُعَلِّمُونَ الْأَوْلَادَ الْكُفْرَ فَيَخْرُجُونَ مِنَ الْإِيمَانِ. بِئْسَ الْآبَاءُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَضَعُونَ أَبْنَاءَهُمْ فِي هَذِهِ الْمَدَارِسِ، يَتْرُكُونَهُمْ يَتَعَلَّمُونَ الْكُفْرَ. الْوَلَدُ الَّذِي فِي أَوَّلِ شَبَابِهِ يَكُونُ مُتَعَلِّمًا عِلْمَ الدِّينِ، الْعَقِيدَةَ وَالْأَحْكَامَ الضَّرُورِيَّةَ، إِنْ ثَبَتَ عَلَى ذَلِكَ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ لَا يُصِيبُهُ حَرُّ الشَّمْسِ. النَّاسُ يُصِيبُهُم شَىْءٌ شَدِيدٌ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ. يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُوجَدُ بَيْتٌ، لَا يُوجَدُ أَشْجَارٌ، أَرْضٌ مُسْتَوِيةٌ، مُسْتَوِيَةٌ كُلُّهَا. مَنْ كَانَ تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ لَا يُصِيبُهُ شَىْءٌ. الْآبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ إِنْ كَانُوا يُرَاعُونَ دِينَ أَبْنَائِهِمْ يُنْشِؤُونَهُمْ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ الْعُلَمَاءُ يَجِبُ عَلَى الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ تَعْلِيمُ الْأَوْلَادِ الذُّكُورِ وَالْبَنَاتِ قَبْلَ الْبُلُوغِ الطَّهَارَةَ وَالصَّلَاةَ، هَذَا وَاجِبٌ عَلَى الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، الْأَوْلَادُ قَبْلَ

الْبُلُوغِ لَا يُتْرَكُونَ إِلَى أَنْ يَبْلُغُوا وَهُمْ جَاهِلُونَ بِأَحْكَامِ الصَّلَاةِ، فَإِنْ تَرَكَ الْآبَاءُ وَالأُمَّهَاتُ ذَلِكَ فَعَلَيْهِمْ مُؤَاخَذَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا أَنَّ عَلَيْهِمْ مُؤَاخَذَةً إِذَا جَوَّعُوا أَوْلَادَهُمْ أَوْ عَرَّوْهُمْ، هَذَا حَقُّهُمْ، وَهَذَا حَقُّهُمْ. الَّذِي يُرَبِّي وَلَدَهُ فَيُطْعِمُهُ وَيَسْقِيهِ وَيُسْكِنُهُ وَيَكْسُوهُ وَلَا يُعَلِّمُهُ مَا فَرَضَ اللهُ مِنْ عِلْمِ الدِّينِ فَكَأَنَّمَا يُرَبِّي بَقَرَةً».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَطْلُوبٌ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ أَنْ يَهْتَمُّوا لِتَعْلِيمِ الْأَوْلَادِ الْعَقِيدَةَ، قَبْلَ أَنْ يَشْغلُوهُمْ بِحِفْظِ الْقُرْءَانِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يَقْتَصِرُ لِأَوْلَادِهِ عَلَى إِطْعَامِهِم وَكِسْوَتِهِم وَإِيْوَائِهِم وَلَا يُعَلِّمُهُمُ الدِّينَ وَلَا يُعْطِيهِم لِمَنْ يُعَلِّمُهُم الدِّينَ، فَهُوَ كَأَنَّهُ يُرَبِّي بَقَرًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْإِنْسَانُ كَالْإِنَاءِ الْفَارِغِ، يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا، ثُمَّ بَعْدَ وَقْتٍ يَصِيرُ يَفْهَمُ الْكَلَامَ، فَإِذَا صُبَّ فِيهِ الخَيْرُ يَأْخُذُهُ، يَقْبَلُهُ، وَإِذَا صُبَّ فِيهِ الشَّرُّ يَقْبَلُهُ كَالْإِنَاءِ الْفَارِغِ. الْإِنْسَانُ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَ، إِنْ عُلِّمَ الخَيْرَ يَتَعَلَّمُ، وَإِنْ عُلِّمَ الضَّلَالَ يَتَعَلَّمُ، فَالْأَوْلَادُ يَجِبُ تَعْلِيمُهُمْ أُصُولَ الْعَقِيدَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِأَنْ تَهْتَمُّوا بِأَنْ تَنشَأَ أَبْنَاؤُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ بِتَعَلُّمِهَا وَتَعْلِيمِهَا فِي هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي كَثُرَ فِيهِ الضَّالُّونَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلى خِلَافِ عَقِيدَةِ أَهْلِ الْحَقِّ، يُضِلُّونَ النَّاسَ بِاسْمِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ، يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ تَلَقَّى عِلْمَ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ الَّذِينَ تَلَقَّوْا مِمَّنْ قَبْلَهُمْ حَتَّى يَتَّصِلَ التَّلَقِّي إِلَى الصَّحَابَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِينَ يَصْرِفُونَ الْمَالَ عَلَى أَوْلَادِهِمْ فِي تِلْكَ الْمَدَارِسِ الَّتِي تُعَلِّمُ الْكُفْرَ هَذَا الْمَالُ وَبَالٌ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نِقْمَةٌ عَلَيْهِم يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَذَابٌ عَلَيْهِمْ، وَيْلٌ لَهُمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَعْلِيمُ الضَّرُورِيَّاتِ فَرْضٌ عَلَى الْآبَاءِ.

الْيَوْمَ النَّاسُ يَعْتَبِرُونَ هَذِهِ الْمَدَارِسَ كَأَنَّهَا مِنْ أَصْلِ الدِّينِ، لَيْسَ الْأَمْرُ هَكَذَا، الْأَبُ إِذَا لَمْ يُرْسِلْ أَبْنَاءَهُ إِلَى الْمَدَارِسِ وَهُوَ مُسْتَطِيعٌ مَا عَلَيْهِ ذَنْبٌ، لَكِنْ عَلَيْهِ أَنْ يُعَلِّمَهُمُ الضَّرُورِيَّاتِ، جَعَلُوا مَا لَيْسَ فَرْضًا فِي دِينِ اللهِ أَعْظَمَ فَرْضٍ، أَوْكَدَ فَرْضٍ وَالْفُرُوضُ أَضَاعُوهَا.

عِلْمَ أَهْلِ السُّنَّةِ، عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ لَا يُعَلِّمُونَهُمْ، هُمْ جُهَّالٌ، الْآبَاءُ أَغْلَبُهُمْ جُهَّالٌ، وَهَذِهِ الْمَدَارِسُ لَا تُعَلِّمُهُمْ، لِمَاذَا لَا يُفَكِّرُونَ فِي هَذَا، قُلُوبُهُمْ مُتَعَلِّقَةٌ بِالدُّنْيَا، أَفْكَارُهُمْ مُسْتَغْرِقَةٌ بِالدُّنْيَا، يُفَرِّغُونَ أَوْلَادَهُمْ عَشْرَ سِنِينَ أَوْ أَكْثَرَ لِعِلْمِ الدُّنْيَا وَلَا يُفَرِّغُونَهُمْ شَهْرًا لِعِلْمِ الدِّينِ».

تَعَبُّدٌ بِلَا عِلْمٍ لَا فَلَاحَ فِيهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الَّذِي يَتَعَبَّدُ بِلَا عِلْمٍ لَا بُدَّ أَنْ يَهْلِكَ، تَعَبُّدٌ بِلَا عِلْمٍ لَا فَلَاحَ فِيهِ.

فَسَادٌ كَبِيرٌ عَالِمٌ مُتَهَتِّكُ ... وَأَكْبَرُ مِنْهُ جَاهِلٌ مُتَنَسِّكُ

هَذَا فَاسِدٌ وَهذَا فَاسِدٌ. الْعَالِمُ الَّذِي لَا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ ضَرَرٌ عَلَى النَّاسِ، لَكِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَنَسِّكَ أَشَدُّ فَسَادًا لِأَنَّهُ يَعْمَلُ فِي الضَّلَالِ وَيَعُدُّهُ حَقًّا. الْجَاهِلُ الْمُتَنَسِّكُ الشَّيْطَانُ يَلْعَبُ بِهِ، الْمُتَعَبِّدُ مِنْ غَيْرِ فِقْهٍ كَالْحِمَارِ فِي الطَّاحُونِ. الْجَاهِلُ الْمُتَنَسِّكُ أَشَدُّ فَسَادًا لِأَنَّهُ يَعْمَلُ لِلضَّلَالِ وَيَعْتَبِرُهُ حَقًّا، أَمَّا الْعَالِمُ الْمُتَهَتِّكُ يَعْمَلُ الْفُسُوقَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ حَرَامٌ. كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَأْخُذُونَ الطَّرِيقَةَ الْقَادِرِيَّةَ أَوِ النَّقْشَبَنْدِيَّةَ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمُوا عِلْمَ الدِّينِ الضَّرُورِيَّ فَيَهْلِكُونَ. وَالَّذِي يَشْتَغِلُ بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ بِلَا عِلْمٍ كَذَلِكَ. حَكَى لِي الشَّيْخُ رَمَضَانُ مُلَّا، قَالَ لِي: الْفِرْقَةُ الْيَزِيدِيَّةُ الَّتِي تَعْبُدُ إِبْلِيسَ، سَبَبُ هذِهِ الفِرْقَةِ، مَنْشَأُ هَذِهِ الْفِرْقَةِ أَنَّ رجُلًا عَالِمًا فِي بِلَادِ الْأَكْرَادِ تُوُفِّيَ وَكَانَ لَهُ ابْنٌ جَاهِلٌ نَصَّبُوهُ مَكَانَ أَبِيهِ، هَذَا الِابْنُ الْجَاهِلُ

النّاسُ عَظَّمُوهُ وَبَجَّلُوهُ، فَتَنَهُ الشَّيْطَانُ، هُوَ عَمِلَ لَهُمْ هَذَا الدِّينَ. ابْنُ هَذَا الشَّيْخِ هُوَ السَّبَبُ، هُوَ قَادَهُمْ إِلَى هَذَا الْكُفْرِ. الْعَالِمُ الْعَامِلُ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ».

عِلْمُ التَّوْحِيدِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «هَذَا بَرَكَةُ عِلْمِ التَّوْحِيدِ. جَمَاعَتُنَا، الْحَمْدُ للهِ يَتَعَلَّمُونَ عِلْمَ التَّوْحِيدِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ إِلَى هَذَا الْعَصْرِ، لَيْسَ عَقِيدَةً جَدِيدَةً. أُصُولُ الْعَقِيدَةِ هِيَ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الصَّحَابَةُ».

قِيلَ لِلشَّيْخِ: لَمَّا نُعَلِّمُ عِلْمَ التَّوْحِيدِ، فِي الْمَجَالِسِ الْعَامَّةِ يَقُولُونَ: هَذَا لَا نَسْمَعُهُ، وَيَعْجَبُونَ مِنهُ.

فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللهُ: هَذَا الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَجْدَادُهُمْ، لَكِنْ هُمْ تَرَكُوا هَذَا وَأَقْبَلُوا عَلَى عُلُومِ الدُّنْيَا، وَإِلَّا فَأَجْدَادُهُمْ أَجْدَادُ أَهْلِ لُبْنَانَ هَذَا الَّذِي كَانُوا يَتَعَلَّمُونَهُ عِلْمُ أَهْلِ السُّنَّةِ، هُوَ كَانَ هَذَا الَّذِي يَتَعَلَّمُهُ مَنْ كَانُوا هُنَا وَفِي سُورْيَا وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

لَكِنْ بَعْدَ أَنِ احْتَلَّتْ فَرَنْسَا هَذِهِ الْبِلَادَ أَعْرَضَ النَّاسُ عَنْ تَعَلُّمِ عِلْمِ الْعَقِيدَةِ، عِلْمِ التَّوْحِيدِ، وَعَكَفُوا عَلَى عُلُومِ الدُّنْيَا، قَالُوا: أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ لَمَّا يَسْمَعُ أُصُولَ الْعَقِيدَةِ يَعُدُّهُ شَيْئًا غَرِيبًا وَهُوَ لَيْسَ شَيْئًا غَرِيبًا بِالنِّسْبَةِ لِأَجْدَادِهِمْ».

الْعِلْمُ نُورٌ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «إِنَّ الَّذِي لَا يتعلَّمُ عِلْمَ الدِّينِ حَالُهُ كَحَالِ مَنْ يَمْشِي فِي الظَّلَامِ فِي أَرْضٍ فِيهَا أَشْوَاكٌ وثَعَابِينُ ونُمُورٌ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمُفترِسَاتِ والْمُهْلِكَاتِ، وقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**الدُّنْيَا**

مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرَ اللهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمًا وَمُتَعَلِّمًا» هَذَا الْحَدِيثُ مَعْنَاهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةَ فِيهِمْ خَيْرٌ أَمَّا مَا سِوَى ذَلِكَ فَلَيْسَ فِيهِ خَيْرٌ.

عِلْمُ الدِّينِ بِهِ يُعْلَمُ الْمَالُ الْحَرَامُ وَالْمَالُ الْحَلَالُ، يُمَيِّزُ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ الْأَكْلَ الْحَلَالَ وَالْأَكْلَ الْحَرَامَ، وَالْكَسْبَ الْحَلَالَ وَالْكَسْبَ الْحَرَامَ، والْكَلَامَ الْجَائِزَ والْكَلَامَ الْمُحَرَّمَ، وَالنَّظَرَ الْجَائِزَ وَالنَّظَرَ الْمُحَرَّمَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُسْأَلُ عَنْهُ الْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. الْإِنْسَانُ يُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيامةِ عَنْ أربَعَةِ أَشْيَاءَ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ هَلْ أَفْنَاهُ فِي طَاعَةِ اللهِ أَمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَمِنْ أَيْنَ أَخَذَ الْمَالَ وَفِيمَا صَرَفَهُ، وَعَنِ الْعِلْمِ الَّذِي تَعَلَّمَهُ هَلْ عَمِلَ بِهِ أَمْ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ. فَمَنْ أخَذَ الْمَالَ مِنْ حَلَالٍ وَصَرَفَه فِي حَلَالٍ فَلَيْسَ عَلَيْهِ مُؤَاخَذَةٌ، أَمَّا مَنْ أَخَذَهُ مِنْ حَرَامٍ يُؤَاخَذُ وَلَوْ صَرَفَهُ فِي بِنَاءِ مَسْجِدٍ أَوْ سَفَرِ الْحَجِّ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. بَعْضُ النَّاسِ يَبْنُونَ الْمَسْجِدَ مِنَ الْمَالِ الْحَرَامِ ويَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا يُطَهِّرُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَهَذَا جَهْلٌ مُهْلِكٌ لِصَاحِبِهِ. الْإِنْسَانُ يُسْأَلُ عَنِ الْعِلْمِ هَلْ تَعَلَّمَ علمَ الدِّينِ وَعَمِلَ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَعَلَيْهِ مُؤَاخَذَةٌ. أَمَّا الَّذِي لَمْ يَتَعَلَّمْ فَهُوَ يُؤَاخَذُ لِأَمْرَيْنِ لِتَرْكِ التَّعَلُّمِ، تَعَلُّمِ عِلْمِ الدِّينِ الَّذِي هُوَ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ شَخْصٍ بَالِغٍ، وَلِعَدَمِ الْعَمَلِ عَلَى وَفْقِ الشَّرِيعَةِ، لِأَمْرَيْنِ يُسْأَلُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عِلْمُ الدِّينِ هُوَ السَّبِيلُ إِلَى الْمَعَالِي وَالْمَكَارِمِ، مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمَ الدِّينِ وَعَمِلَ بِهِ يَعْلُو دَرَجَاتٍ، أَمَّا بِدُونِ الْعِلْمِ الضَّرُورِيِّ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْأَحْكَامِ فَمَهْمَا أَكْثَرَ الْإِنْسَانُ مِنَ الذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ لَا يُفْلِحُ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي هَلْ صَلَاتُهُ هَذِهِ صَحِيحَةٌ أَوْ لَا، كَذَلِكَ صِيَامُهُ لَا يَعْرِفُ هَلْ هُوَ صَحِيحٌ أَوْ لَا، وَقَد تَأْتِيهِ خَوَاطِرُ تَجُرُّهُ إِلَى الْكُفْرِ وَهُوَ لا يَدْرِي أَنَّهُ كَفَرَ. مَنْ أَرَادَ النَّجَاةَ فَعَلَيْهِ بِعِلْمِ الدِّينِ عِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْمَالُ أَنْتَ تَحْرُسُهُ، أَمَّا عِلْمُ الدِّينِ فَهُوَ يَحْرُسُكَ، ومَهْمَا كَانَ عِنْدَكَ مِنْ طَعَامٍ فَاخِرٍ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تأْكُلَ أَكْثَرَ مِمَّا تَتَحَمَّلُ، وَمَهْمَا كَانَ عِنْدَكَ

مِنْ ثِيَابٍ فَاخِرَةٍ كَثِيرَةٍ لَا تَستطِيعُ أَنْ تَلْبَسَهَا كُلَّهَا فِي ءَانٍ وَاحِدٍ، فَتزَوَّدْ مِنْ هذهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ لِلْآَخِرَةِ الْبَاقِيَةِ، فَالْمَوْتُ مِنَّا قَرِيبٌ وَالرَّبُّ عَلَيْنَا رَقِيبٌ، وَتَذَكَّرْ أَنَّ عُمُرَ الْإِنْسَانِ لَا يَسَعُ كُلَّ شَىْءٍ فَلْيَبْدَأْ بِالْأَهَمِّ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي ءَاخِرَتِهِ وَيَكُونُ ذُخْرًا لَهُ، اعْمَلْ لِآَخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تُفارِقُ هَذِهِ الدُّنْيَا غَدًا، وَاعْمَلْ لِهَذِهِ الدُّنْيَا كَأَنَّكَ تَعِيشُ فِيهَا أَبَدًا. الدُّنْيَا سَاعَةٌ، اِجْعَلْهَا طَاعَةً، النَّفْسُ طَمَّاعَةٌ، عَلِّمْهَا الْقَنَاعَةَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: {**وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا**١١٤} [سورة طه] لَمْ يَرِدْ فِي الْقُرْءَانِ أَمْرٌ لِنَبِيِّهِ بِطَلَبِ الزِّيادَةِ مِنْ شَىْءٍ إِلَّا مِنَ الْعِلْمِ، فَأُوصِيكُمْ بِأَنْ تَثْبُتُوا عَلَى الرَّغْبَةِ فِي تَحْصِيلِ عِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْأَحْكَامِ، وَلَا تَمَلُّوا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ الْعِلْمَ سَبِيلُ النَّجَاةِ وَالْفَلَاحِ، وَالْعِلْمُ أَقْسَامٌ، قِسْمٌ مِنَ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ فَرْضُ عَيْنٍ أَيْ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَتَعَلَّمْهُ مَنْ كَانَ بَالِغًا عَاقِلًا أَيْ غَيْرَ مَجْنُونٍ يَسْتَحِقُّ عَذَابَ اللهِ فِي الآخِرَةِ، وَقِسْمٌ فَرْضُ كِفَايَةٍ لَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ بَلْ إِذَا تَعَلَّمَهُ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ عَلَى الْآخَرِينَ ذَنْبٌ لأَنَّ الَّذِي هُوَ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ بَالِغٍ عَاقِلٍ هُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِعَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ هِيَ عَقِيدَةُ النَّجَاةِ وَمُعْتَقِدُوهَا هُمُ النَّاجُونَ فِي الْآخِرةِ، أَمَّا مَنْ خَالَفَ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ فَلا تُنْجِي صَاحِبَهَا فِي الْآخِرَةِ بَلْ عَلَيْهِ وَبَالٌ فِي الْآخِرَةِ. الَّذِي لَمْ يَتَعَلَّمْ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَتَعَلَّمَ مَا يُخَالِفُهَا فَهُوَ هَالِكٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْعِلْمُ نُورٌ، التَّعَبُّدُ عَلَى الْجَهْلِ لَا يُنْقِذُ صَاحِبَهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عِلْمُ أَهَلِ السُّنَّةِ نُورٌ، هُوَ الَّذِي يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ لِأَنَّ عِلْمَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِيهِ مَعْرِفَةُ اللهِ كَمَا يَجِبُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عِلْمُ الدِّينِ الضَّرُورِيُّ هُوَ الْعَقِيدَةُ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ، ثُمَّ أَحْكَامُ الصَّلَاةِ، الطُّهُورُ وَمَا بَعْدَهُ، الطُّهُورُ أَمْرٌ عَظِيمٌ، الرَّسُولُ قَالَ الطُّهُورُ نِصْفُ الْإِيمَانِ، شَطْرُ الإِيمَانِ مَعْنَاهُ رُكْنٌ كَبِيرٌ فِي الدِّينِ، مَعْرِفَةُ الْوُضُوءِ وَكَيْفَ يَصِحُّ وَكَيْفَ يَنْتَقِضُ وَمَعْرِفَةُ

الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ وَالْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ وَمَعْرِفَةُ النَّجَاسَةِ كَيْفَ تُزَالُ النَّجَاسَةُ، هَذَا شَطْرُ الْإِيمَانِ.

لِأَنَّ الصَّلَاةَ أَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْهَا الْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِذَا لَمْ يَتَعَلَّمْ مِفْتَاحَهَا كَيْفَ تَصِحُّ مِنْهُ.

كَذَلِكَ مَا يَحِلُّ مِنَ الْأَكْلِ وَمَا يَحْرُمُ، وَمَا يَحِلُّ مِنَ الْكَلامِ وَمَا يَحْرُمُ، وَمَعْرِفَةُ مَا يَحِلُّ مِنَ النَّظَرِ وَمَا يَحْرُمُ، وَمَعْرِفَةُ مَا يَجُوزُ مِنَ الِاسْتِمَاعِ وَمَا لَا يَجُوزُ، كَذَلِكَ مَعَاصِي الْقَلْبِ الرِّيَاءُ حَرَامٌ وَالْعُجْبُ حَرَامٌ وَسُوءُ الظَنِّ بِالْمُسْلِمِ حَرَامٌ، هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ الضَّرُورِيِّ الْحَالِيِّ، كَذَلِكَ مَعْرِفَةُ مَعَاصِي الْفَرْجِ هَذَا أَيْضًا ضَرُورِيٌّ حَالِيٌّ يُقَالُ لَهُ عِلْمُ الْحَالِ، الْوَاجِبَاتُ الضَّرُورِيَّةُ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي الْحَالِ هَذِهِ لا يُتْرَكُ تَعَلُّمُهَا مِنْ أَجْلِ الْأُمِّ، وَلَا لِأَجْلِ الْأَبِ وَلَا لِأَجْلِ غَيْرِهِمَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَهَمُّ شَيْءٍ الْيَوْمَ هُوَ عِلْمُ الدِّينِ، عِلْمُ الدِّينِ هُوَ الَّذِي يَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ تَعَلَّمَ الْحَقَّ فَهُوَ فَائِزٌ وَمَنْ تَعَلَّمَ الْبَاطِلَ فَهُوَ هَالِكٌ، كُلُّ صَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ لَا يَنْفَعُهُ لِأَنَّهُ مَا عَرَفَ اللهَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِعِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ، الْعَمَلُ الْمَقْبُولُ عِنْدَ اللهِ وَالْغَيْرُ الْمَقْبُولِ يُعْرَفُ بِالْعِلْمِ، بِعِلْمِ الدِّينِ. الْعَمَلُ الْقَلِيلُ مَعَ الْفِقْهِ عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ الْكَثِيرِ بِلَا فِقْهٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا كَثِيرًا يَكُونُ قَوِيَّ الْهِمَّةِ فِي الْعِلْمِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ هُوَ أَهْلَكَ نَفْسَهُ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ، بَعْضُ النَّاسِ مِنْ شِدَّةِ الْجَهْلِ يَتْرُكُونَ تَعَلُّمَ عِلْمِ الدِّينِ الضَّرُورِيِّ يَشْتَغِلُونَ بِالذِّكْرِ وَالطَّرِيقَةِ الْقَادِرِيَّةِ وَالشَّاذِلِيَّةِ مِنْ دُونِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا فَمَا أَفْلَحُوا بَلْ هَلَكُوا لأَنَّهُمْ لَا يُصَحِّحُونَ صَلَوَاتِهِمْ وَلَا

سَائِرَ أُمُورِ الدِّينِ، يَعْمَلُونَ مِنْ دُونِ أَنْ يَعْرِفُوا كَيْفَ تَصِحُّ وَكَيْفَ تَفْسُدُ، حَتَّى إِنَّهُمْ لَا يَتَعَلَّمُونَ أَحْكَامَ الطَّهَارَةِ مِنَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ يَشْتَغِلُونَ بِالذِّكْرِ وَالشَّيْطَانُ يُوهِمُهُمْ أَنَّهُم وَصَلُوا إِلَى الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «سَبَبُ عَدَمِ اهْتِمَامِ الْأَبْنَاءِ بِالِاسْتِغْفَارِ لِآبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ الجَهْلُ بِأُمُورِ الدِّينِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي لَا يَتَعَلَّمُ عِلْمَ أَهْلِ السُّنَّةِ فَهُوَ تَائِهٌ ضَالٌّ لَا فَلَاحَ إِلَّا بعِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَامَةُ الْفَلَاحِ فِي الشَّخْصِ طَلَبُ الْمَزِيدِ مِنَ الْعِلْمِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عِلْمُ أَهْلِ السُّنَّةِ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْجَاهِلُ الَّذِي لَا يَتَعَلَّمُ عِلْمَ الدِّينِ يُهَوِّنُ الْأَمْرَ الشَّدِيدَ وَيُضَعِّفُ الْأَمْرَ الْمُهِمَّ، يَرَى الْحَسَنَ قَبِيحًا وَالْقَبِيحَ حَسَنًا، رَجُلٌ خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ ثُمَّ عَادَ فَوَجَدَ امْرَأَتَهُ تُنَظِّفُ الْأَرْضَ فَقَالَ شُو هَالْكُفْر ثُمَّ هُوَ كَفَرَ كُفْرِيَّةً. الْكُفْرُ الَّذِي يَكْفُرُهُ هُوَ مَا رَآهُ كُفْرًا أَمَّا الْفِعْلُ الَّذِي رَآهُ مِنَ امْرَأَتِهِ اعْتَبَرَهُ كُفْرًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عِلْمُ الدِّينِ هُوَ الَّذِي يَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عِلْمُ أَهْلِ السُّنَّةِ مِفْتَاحُ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي لَا يَتَعَلَّم عِلْمَ الدِّينِ حَالُهُ كَحَالِ مَنْ يَمْشِي فِي الظَّلَامِ فِي أَرْضٍ فِيهَا أَشْوَاكٌ وَثَعَابِينُ وَنُمُورٌ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمُفْتَرِسَاتِ وَالْمُهْلِكَاتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْعِلْمُ هُوَ دَلِيلُ النَّجَاةِ وَالْفَلَاحِ، الَّذِي يَتَعَلَّمُ الضَّرُورِيَّاتِ إِذَا أَدَّى الْفَرَائِضَ وَاجْتَنَبَ الْمَعَاصِيَ صَارَ فِي مَقَامٍ عَالٍ عِنْدَ اللهِ لَوْ لَمْ يُصَلِّ النَّوَافِلَ، لَوْ لَمْ يَشْتَغِلْ بِالنَّوَافِلِ. ثُمَّ مِنْ جُمْلَةِ الهَالِكِينَ أُنَاسٌ لَا يَتَعَلَّمُونَ عِلْمَ الدِّينِ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ الَّذِينَ تَعَلَّمُوا مِمَّنْ قَبْلَهُمْ وَأُولَئِكَ تَعَلَّمُوا مِمَّنْ قَبْلَهُمْ، إِنَّمَا يَأْخُذُونَ مِمَّنْ يُطَالِعُونَ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ

مِنْ غَيْرِ أُسْتَاذٍ، هَؤُلَاءِ أَيْضًا هَالِكُونَ، هَذِهِ الْخَوَاطِرُ الفَاسِدَةُ كَبَحْرٍ لا يُعْرَفُ لَهُ سَاحِلٌ إِذَا عَامَ فِيهِ الشَّخْصُ يَهْلِكُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عِلْمُ الدِّينِ هُوَ النَّجَاةُ، هُوَ سَفِيرُ الْفَلَاحِ، عِلْمُ أَهْلِ السُّنَّةِ، تَعَلُّمُ بَابِ عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ الدِّينِ كَبَابِ عِلْمِ الْوُضُوءِ وَبَابِ التَّيَمُّمِ أَوْ بَابِ الْأَذَانِ، بَابِ الصَّلَاةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ رَكْعَةٍ مِنَ النَّفْلِ مِنَ السُّنَّةِ، ثَوَابُ هَذِهِ السَّاعَةِ الَّتِي يَتَعَلَّمُ فِيهَا شَيْئًا مِنْ أَبْوَابِ عِلْمِ الدِّينِ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ التَّرَاوِيحِ الَّتِي هِيَ نَحْوُ سِتِمِائَةٍ. عِلْمُ الدِّينِ هُوَ النُّورُ، هُوَ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرِ، هُوَ الْمِيزَانُ الَّذِي يُوزَنُ بِهِ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يُقَيِّضَ لَهُ مَنْ يُعَلِّمُهُ عِلْمَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي شَبَابِهِ، وَلَا سِيَّمَا فِي هَذَا الزَّمَنِ الَّذِي كَثُرَ فِيهِ الْمُنْحَرِفُونَ عَنْ دِينِ اللهِ مَعَ دَعْوَى الْإِسْلَامِ وَالْعِلْمِ وَالسُّنَّةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عِلْمُ الدِّينِ يُعَرِّفُ الشَّخْصَ بِحُقُوقِ اللهِ وَحُقُوقِ الْخَلْقِ، وَهَذَا هُوَ السَّعَادَةُ وَالْفَلَاحُ وَالنَّجَاحُ، لِأَنَّ مَنْ تَعَلَّمَ حُقُوقَ اللهِ وَحُقُوقَ الْخَلْقِ وَقَامَ بِذَلِكَ يَصِيرُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ أَهْلِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى، فِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةُ دَرَجَاتٌ كَمَا أَنَّ فِي الدُّنْيَا النَّاسَ دَرَجَاتٌ، هَذَا يَكُونُ أَغْنَى مِنْ هَذَا، وَهَذَا يَكُونُ أَغْنَى مِنْ هَذَا، فِي الْجَنَّةِ أَيْضًا دَرَجَاتٌ، الخَلْقُ لَيْسُوا كُلُّهُمْ مُتَسَاوِينَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي تَعَلَّمَ عِلْمَ الدِّينِ وَعَمِلَ بِهِ هُوَ الْوَلِيُّ، وَالْأَوْلِيَاءُ اللهُ خَصَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ بِمَا لَيسَ لِغَيْرِهِمْ، أَعَدَّ لَهُمْ نَعِيمًا أَخْفَاهُ عَنْ كُلِّ الخَلْقِ، الْمَلَائِكَةُ لَا يَعْرِفُونَهُ وَلَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ، هَذَا لَا يُنَالُ إِلَّا بِتَعَلُّمِ عِلْمِ الدِّينِ، إِنْ تَعَلَّمَ عِلْمَ الدِّينِ يَعْرِفُ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْوَاجِبَاتِ وَالسُنَنَ، فَإِذَا تَعَلَّمَ وَعَمِلَ بِهَذَا يَكُونُ مِنْ خِيَارِ خَلْقِ اللهِ الَّذِينَ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، بِدُونِ عِلْمِ الدِّينِ الَّذِي يَشْتَغِلُ بِالْعِبَادَاتِ يَظُنُّ أَنَّهُ صَارَ فِي دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ وَهُوَ يَكُونُ فِي

الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ لِأَنَّهُ لَا يَضْمَنُ صَلَاتَهُ أَنَّهَا صَحِيحَةٌ مَقْبُولَةٌ، وَصِيَامَهُ كَذَلِكَ وَإِنْ حَجَّ فَحَجُّهُ لَا يَضْمَنُ أَنْ يَكُونَ مَقْبُولًا، بِالْعِلْمِ يَعْرِفُ وَالزَّكَاةُ وَالصِّيَامُ وَالحَجُّ الصَّحِيحُ وَالزِّوَاجُ أَيْضًا، قَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ جَاهِلًا يَتَزَوَّجُ وَنِكَاحُهُ يَكُونُ بَاطِلًا لِأَنَّهُ طَلَعَ غَيْرَ مُوَافِقٍ لِشُرُوطِ النِّكَاحِ وَلَا يَدْرِي هُوَ، يَظُنُّ أَنَّ نِكَاحَهُ صَحِيحٌ وَفِي الْبَاطِنِ يَكُونُ فِيهِ خَلَلٌ، زِوَاجُهُ هَذَا مَا وَافَقَ الشَّرْعَ ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «حَدِيثٌ ضَعِيفٌ: «**الْكُفُورُ مِثْلُ الْقُبُورِ**»، مَعْنَاهُ: الْكُفُورُ الْقُرَى الصَّغِيرة الَّتِي لَيْسَ فِيهَا عُلَمَاءُ وَأَهْلُ الْحِكْمَةِ، الضِّيَاعُ الصَّغِيرةُ الَّذِي يَسْكُنُهَا، يَعِيشُ فِي الْجَهْلِ لِأَنَّهَا لَيْسَ فِيهَا عُلَمَاءُ، يَعْنِي كَسَاكِنِ الْقُبُورِ الَّذِي يَعِيشُ فِي الْقُرَى الصَّغِيرَةِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا أَهْلُ عِلْمٍ، كَأَنَّهُ فِي الدُّنْيَا مَقْبُورٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عِلْمُ الدِّينِ يُمَيِّزُ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ الْأَكْلَ الْحَلَالَ وَالْأَكْلَ الْحَرَامَ وَالْكَسْبَ الْحَلَالَ وَالْكَسْبَ الْمُحَرَّمَ وَالْكَلَامَ الَّذِي هُوَ جَائِزٌ، وَالْكَلَامَ الَّذِي هُوَ حَرَامٌ، وَالنَّظَرَ الَّذِي هُوَ جَائِزٌ، وَالنَّظَرَ المُحَرَّمَ، يُمَيِّزُ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُسْأَلُ عَنْهُ؛ الْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ، يُسْأَلُ الْإِنْسَانُ فِيمَا أَفْنَيْتَ عُمُرَكَ فِي طَاعَةِ اللهِ أَمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَفِيمَا أَبْلَيْتَ جَسَدَكَ، مِنْ أَيْنَ أَخَذْتَ الْمَالَ وَفِي أَيِّ شَيْءٍ صَرَفْتَ مَالَكَ، وَعَنِ الْعِلْمِ الَّذِي تَعَلَّمْتَهُ هَلْ عَمِلْتَ بِهِ أَمْ لَمْ تَعْمَلْ بِهِ؟

فَمَنْ أَخَذَ الْمَالَ مِنْ حَلَالٍ وَصَرَفَهُ فِي حَلَالٍ لَيْسَ عَلَيْهِ مُؤَاخَذَةٌ، أَمَّا مَنْ أَخَذَهُ مِنْ حَرَامٍ يُعَاقَبُ، يُؤَاخَذُ وَلَوْ صَرَفَهُ فِي بِنَاءِ مَسْجِدٍ أَوْ سَفَرِ الْحَجِّ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. بَعْضُ النَّاسِ مَالُهُمْ مُحَرَّمٌ أَوْ مَخْلُوطٌ بِالْحَرَامِ يَبْنُونَ مَسْجِدًا يَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا يُطَهِّرُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَكُونُوا عَلَى عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، الَّذِي يُدَرِّسُ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ هَذِهِ الْأَيَّامَ وَيُحَذِّرُ مِنَ الْكُفْرِ مَنْزِلَتُهُ

عِنْدَ اللهِ عَالِيَةٌ لِأَنَّ الْمُحَرِّفِينَ لِلدِّينِ كَثُرُوا، إِعْطَاءُ دَرْسٍ فِي الْعَقِيدَةِ أَفْضَلُ مِنَ مِائَةِ حَجَّةٍ نَافِلَةٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْمُتَعَبِّدُ بِلَا عِلْمٍ هُوَ عَلَى خَطَرٍ كَبِيرٍ، لَا يَعْرِفُ أَصَلَاتُهُ صَحِيْحَةٌ أَوْ حَجُّهُ صَحِيحٌ وَزَكَاتُهُ وَصِيَامُهُ صَحِيحٌ أَمْ لَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْإِنْسَانُ الَّذِي لَا يَتَعَلَّمُ عِلْمَ الدِّينِ إِلَى الْقَدْرِ الَّذِي هُوَ فَرْضٌ عَيْنِيٌّ يَعِيشُ فِي هَلَاكٍ، إِذَا ءَابَاؤُهُمْ وَأُمَّهَاتُهُمْ لَا يُعَلِّمُونَهُمُ الضَّرُورِيَّاتِ وَلا مَدَارِسُهُمْ تُعَلِّمُهُمْ، هَكَذَا يَبْقَوْنَ حَتَّى يُفَارِقُوا الدُّنْيَا. الْعِلْمُ إِذَا انْتَشَرَ فِي الصِّغَارِ يَنْفَعُ الكِبَارَ أَيْضًا، لَكِنِ الكِبَارُ فَرْضٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَعَلَّمُوا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْجَاهِلُ عَلَى خَطَرٍ مَهْمَا تَعَبَّدَ، لَوْ كَانَ يَصُومُ الدَّهْرَ فَهُوَ هَالِكٌ، لِأَنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا وَافَقَ شَرِيعَةَ الرَّسُولِ. «**كُلُّ عَمَلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**» مَعْنَاهُ كُلُّ عَمَلٍ كُلُّ قَوْلٍ وَفِعْلٍ لَا يُوَافِقُ شَرْعَ الرَّسُولِ مَرْدُودٌ. كَيْفَ يَعْرِفُ إِذَا وَافَقَ شَرْعَ الرَّسُولِ إِذَا لَمْ يَتَعَلَّمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَمَلٌ قَلِيلٌ مَعَ مَعْرِفَةٍ بِالْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَعَ الْجَهْلِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كُلُّ إِنْسَانٍ لَا يَهْتَمُّ لِلْعِلْمِ اعْلَمُوا أَنَّهُ بَعِيدٌ مِنَ اللهِ، بَعِيدٌ مِنَ اللهِ لَوْ كَانَ أَبُوهُ قُطْبَ الأَقْطَابِ. الشَّخْصُ الَّذِي مَا لَهُ عِنَايَةٌ بِتَعَلُّمِ عِلْمِ الدِّينِ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ اعْلَمُوا أَنَّ هَذَا بَعِيدٌ مِنَ اللهِ وَلا يَنْفَعُهُ كَوْنُهُ ابْنَ وَلِيِّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ أَو حَفِيدَ وَلِيٍّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ، لَا يَنْفَعُهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْعِلْمُ عِلْمُ أَهْلِ السُّنَّةِ نُورٌ يُمَيِّزُ الْكُفْرَ مِنَ الْإِيمَانِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَهَمُّ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ وَفِي هَذِهِ الْبِلَادِ بَذْلُ الْجُهْدِ لِنَشْرِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالْأَحْكَامِ الضَّرُورِيَّةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عِلْمُ أَهْلِ السُّنَّةِ دَلِيلُ النَّجَاةِ وَالْفَلَاحِ يَعْرِفُ مَا يَضُرُّهُ فَيَتَجَنَّبُهُ، وَمَا يَنْفَعُهُ فَيَعْمَلُهُ، هَذَا أَعْظَمُ فَائِدَةٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أَمَّا الْجَاهِلُ فَيَقُولُ: مَالِي مَالِي، هَمُّهُ فِي الْمَالِ، وَهَذَا الْمَالُ يَتْعَبُ فِي حِفْظِهِ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ يَمُوتُ فَيَذْهَبُ لِغَيْرِهِ وَقَدْ يَأْكُلُهُ عَدُوُّهُ، فَيَكُونُ إِنْ كَانَ جَمَعَهُ مِنْ حَرَامٍ وَبَالُهُ عَلَيْهِ وَنَفْعُهُ لِغَيْرِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَتْرُكُونَ تَعَلُّمَ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ المعْرِفَةِ، وَيَكْتَفُونَ بِالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ وَالتَّرَدُّدِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ، يَحْمِلُ الْمِسْبَحَةَ وَيَعْتَبِرُونَ أَنْ هَذَا يَكْفِي، هَؤُلَاءِ هَلَاكُهُمْ عَظِيمٌ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا عِلْمَ الدِّينِ الضَّرُورِيَّ، لَوْ كَانَ كُلَّ يَوْمٍ يَذْكُرُ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ تَهْلِيلَةٍ وَيُصَلِّي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَيَصُومُ وَلَمْ يَتَعَلَّمِ الْعِلْمَ الضَّرُورِيَّ، هَذَا عَمَلُهُ كَلَا شَيْءٍ يَذْهَبُ هَبَاءً مَنْثُورًا. يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ عَمِلُوا عَمَلًا كَثِيرًا فِي الدِّينِ وَأَعْمَالُهُمْ هَذِهِ هَبَاءٌ مَنْثُورٌ لِأَنَّهَا غَيْرُ مُوَافِقَةٍ لِلشَّرْعِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْعِلْمُ نُورٌ، هُوَ دَلِيلُ النَّجَاةِ، هَذَا العِلْمُ هُوَ عِلْمُ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّذِي دَرَجَ عَلَيْهِ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ إِلَى الصَّحَابَةِ مِنْ وَقْتِنَا هَذَا إِلَى الصَّحَابَةِ، يَتَلَقَّى مِنْ عَارَفٍ إِلَى عَارِفٍ مِنْ عَارِفٍ إِلَى عَارِفٍ إِلَى أَنْ يَصِلَ التَّسَلْسُلُ إِلَى الصَّحَابَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْعِلْمُ عِلْمُ الدِّينِ هُوَ النَّجَاةُ، هُوَ دَلِيلُ الْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ، يَدُلُّكَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ فِي الْآخِرَةِ وَيُنْجِيكَ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، يُعَلِّمُكَ مَا يُحِبُّ اللهُ وَيُعَلِّمُكَ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ حَتَّى تَعْمَلَ مَا يُحِبُّ اللهُ وَتَتَجَنَّبَ مَا يَكْرَهُ اللهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْعِلْمُ، وَأَفْضَلُ العِلْمِ الْعِلْمُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأُمُورِ الدِّينِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «طُوبَى ثُمَّ طُوبَى لِمَنْ يَهْتَمُّ بِنَشْرِ عِلْمِ الدِّينِ لِلصِّغَارِ وَالْكِبَارِ، الَّذِي يَفْتَحُ مَجْلِسَ عِلْمِ دِينٍ فِي بَيْتِهِ تَنْزِلُ عَلَيْهِ الرَّحَمَاتُ وَالْبَرَكَاتُ، وَخَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَهُ مَلْيُونُ دِينَارٍ ذَهَبٍ وَخَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِمَلْيُونِ دُولَارٍ مِنْ حَلَالٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عِلْمُ الدِّينِ حَيَاةُ الْإِسْلَامِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ فَضْلَ مَجَالِسِ الْعِلْمِ عِلْمِ الدِّينِ لَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ إِقْبَالًا شَدِيدًا شَدِيدًا شَدِيدًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِحْيَاءُ عِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَهَمُّ الْمُهِمَّاتِ وَأَفْرَضُ الْفَرَائِضِ وَأَقْرَبُ الْقُرُبَاتِ إِلى اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «طُوبَى لِمَنْ جَعَلَهُ اللهُ مِنْ دُعَاةِ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقِيدَةً وَعَمَلًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْآنَ النَّاسُ أَحْوَجُ إِلَى عِلْمِ الدِّينِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ لِكَثْرَةِ أَشْبَاهِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ هُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ بَلْ يُضِلُّونَ النَّاسِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْإِسْلَامِ، لِأَنَّ بِهِ يُعْرَفُ العَمَلُ الَّذِي يَنْفَعُ فِي الآخِرَةِ وَالعَمَلُ الَّذِي يَضُرُّ فَاعِلَهُ فِي الْآخِرَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْعِلْمُ عِلْمُ أَهْلِ السُّنَّةِ نُورٌ يُمَيِّزُ الْكُفْرَ مِنَ الْإِيمَانِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «غِيَابُ عِلْمِ الدِّينِ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مِنْ أَكْبَرِ الْمَصَائِبِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْعِلْمُ هُوَ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ، كُلُّ الأُمُورِ تَتْبَعُ الِاعْتِقَادَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنْ أَرَادَ اللهُ بِإِنْسَانٍ خَيْرًا كَبِيرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَمَنْ لَمْ يُرِدْ بِهِ خَيْرًا لَا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ بَلْ يَعِيشُ جَاهِلًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْيَوْمَ أَفْضَلُ الجِهَادِ هُوَ إِحْيَاءُ عِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ، لِأَنَّهُ بِسَبَبِ قِلَّةِ مَنْ يَفْهَمُ عِلْمَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَثُرَ الْمُفْسِدُونَ وَأَثَّرُوا فِي النَّاسِ، وَإِلَّا لَوْ كَانَ عِلْمُ أَهْلِ السُّنَّةِ مُنْتَشِرًا فِي النَّاسِ مَا وَجَدُوا [أي الْمُفْسِدُونَ] مَنْ يَتَّبِعُهُمْ فِي هذِهِ الْبِلَادِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي حَدَاثَةِ سِنِّهِ، هَذِهِ عَلَامَةُ خَيْرٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْإِنْسَانُ الَّذِي لَمْ يَتَعَلَّمْ عِلْمَ الدِّينِ الضَّرُورِيَّ هُوَ كَالْإِنَاءِ الْفَارِغِ، الْإِنَاءُ الفَارِغُ يَقْبَلُ مَا يُصَبُّ فِيهِ، إِنْ كَانَ شَيْئًا طَاهِرًا، وَإِنْ كَانَ شَيْئًا نَجِسًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أُوصِي بِعِلْمِ الدِّينِ، فَهُوَ دَلِيلُ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا، وَدَلِيلُ الْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يَجْهَلُ عِلْمَ الدِّينِ يَظُنُّ أَنَّهُ يَعْمَلُ حَسَنَاتٍ تُقَرِّبُهُ إِلَى اللهِ، وَهُوَ يَعْمَلُ مَا يُبْعِدُهُ مِنَ اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الصُّوفِيُّ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمَ الدِّينِ وَعَمِلَ بِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْجَهْلُ وَالْكِبْرُ إِذَا اجْتَمَعَا كانا أَشَدَّ الْأَمْرَاضِ الْقَلْبِيَّةِ، الْجَاهِلُ الْمُتَكَبِّرُ ذَنْبُهُ أَشَدُّ مِنْ غَيْرِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «صَلَاحُ حَالِ الْإِنْسَانِ فِي دُنْيَاهُ وَءَاخِرَتِهِ قَائِمٌ عَلَى الْعِلْمِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْجَاهِلُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ سَهْمٌ مِنْ عِلْمِ الدِّينِ إِذَا رَأَى عَالِمًا يُحَذِّرُ مِنْ عَالِمٍ يَقُولُ غَارَ مِنْهُ، لَا يَقُولُ لِأَيِّ شَيْءٍ يُحَذِّرُ مِنْهُ، لا يَنتَظِر حَتَّى يَعْرِفَ السَّبَبَ، يَقُولُ غَارَ مِنْهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ قَوِيَ تَوْحِيدُهُ يَشْهَدُ شُهُودًا وُجْدَانِيًّا فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ لَا ضَارَّ وَلَا نَافِعَ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَفْضَلُ ذُخْرٍ لِلْآَخِرَةِ الْعِلْمُ، وَأَفْضَلُ العِلْمِ العِلْمُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ الْعِلْمَ بِهِ يُعْرَفُ اللهُ تَعَالَى وَبِهِ يُعْرَفُ حُقُوقُ اللهِ وَحُقُوقُ عِبَادِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «حُبُّ عِلْمِ الدِّينِ عَلَامَةُ الْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «دَلِيلُ الْخَيْرِ فِي الْإِنْسَانِ أَنْ يُحِبَّ الْعِلْمَ، لَوْ حَصَّلَ قِسْطًا مِنَ الْعِلْمِ يَرْغَبُ فِي الِازْدِيَادِ، هَذَا دَلِيلُ الْخَيْرِ، أَمَّا الَّذِي يَظُنُّ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ مُكْتَفٍ لا حَاجَةَ لَهُ إِلَى أَحَدٍ فَهَذَا عَلامَةُ الْهَلَاكِ، عَلَامَةُ الْجَهْلِ وَالْهَلَاكِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْإِنْسَانُ بِحَاجَةٍ لِعِلْمِ الدِّينِ، التَّاجِرُ بِحَاجَةٍ، وَالذَّاكِرُ بِحَاجَةٍ، وَالدَّاعِي بِحَاجَةٍ، الدُّعَاءُ مِنْهُ مَا هُوَ مُحَرَّمٌ وَمِنْهُ مَا هُوَ جَائِزٌ وَمِنْهُ مَا هُوَ مَكْرُوهٌ وَمِنْهُ مَا هُوَ كُفْرٌ، كُلُّ النَّاسِ يَحْتَاجُونَ لِعِلْمِ الدِّينِ، وَالَّذِي لَا يَتَعَلَّمُ كَالَّذِي نَزَلَ فِي الْبَحْرِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ السِّبَاحَةَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عِلْمُ الدِّينِ دَلِيلُ الْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ وَالنَّجَاةِ فِي الْآخِرَةِ وَبِهِ يُعْلَمُ شُكْرُ اللهِ تَعَالى، لِأَنَّ شُكْرَ اللهِ هُوَ طَاعَتُهُ، أَدَاءُ الْوَاجِبَاتِ وَاجْتِنَابُ الْمُحَرَّمَاتِ، هَذَا الشُّكْرُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ شَمَّ رَائِحَةَ الْعِلْمِ اشْتَهَاهُ فَكَيْفَ بِمَن تَذَوَّقَ؟».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي لَا يَتَعَلَّمُ عِلْمَ الدِّينِ فَهُوَ عُرْضَةٌ لِكُلِّ شَرٍّ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «حُبُّ الْعِلْمِ، حُبُّ عِلْمِ الدِّينِ عَلَامَةُ الْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ، الَّذِي يَتَعَبَّدُ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْعَقِيدَةَ وَالْأَحْكَامَ عَاقِبَتُهُ وَخِيمَةٌ، يَظُنُّ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ صَارَ مِنَ الدَّرَجَاتِ العَلِيَّةِ وَهُوَ مِنْ أَسْفَلِ السَّافِلِينَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اعْلَمْ أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ فَلَيْسَ بِشَىْءٍ».

الْجَهْلُ سَبَبُ انْتِشَارِ أَهْلِ الضَّلَالِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِالتَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ لِعِلْمِ الدِّينِ، فَإِنَّ عِلْمَ الدِّينِ حَيَاةُ الْإِسْلَامِ. وَلَوْلَا الْجَهْلُ الَّذِي فِي هذَا الْعَصْرِ بِعلْمِ الدِّينِ غَلَبَ واسْتَوْلَى علَيْهِمْ مَا كَانَ هؤلَاءِ الْمُنْحَرِفُونَ الوَهَّابيَّةُ وحِزْبُ الْإِخْوَانِ جَمَاعَةُ سَيِّد قُطُب تَبِعَهُمُ النَّاسُ. لَكِنْ بِسَبَبِ الْجَهْلِ جَرُّوا النَّاسَ إِلَى كُفْرِهِمْ. وَأَفْضَلُ الْعِلْمِ عِلْمُ الْعَقِيدَةِ، وَلِذَلِكَ سَمَّاهُ أَبُو حَنِيفَةَ الْفِقْهَ الْأَكْبَرَ. فَتَوَاصَوْا بِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الْعِلْمِ، وَدُلُّوا النَّاسَ لِلتَّعَلُّمِ فَإِنَّ مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ، أَيَّدَكُمُ اللهُ وَنَصَرَكُم ونَفَعَ بِكُمْ ءَامِينَ».

مُدَّعُو الْعِلْمِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «فِي هَذَا الزَّمَنِ كَثُرَ أُنَاسٌ يَتَشَبَّهُونَ بِالْعُلَمَاءِ بِعُلَمَاءِ الدِّينِ وَلَيْسُوا عُلَمَاءَ، بَلْ هُمْ جَهَلَةٌ مَنِ اتَّبعَهُمْ يَهْلِكُ يَكْفُرُ وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ كَفَرَ فَاحْذَرُوا هَؤُلَاءِ، نَحْنُ لَا نَغَارُ مِنْ عَالِمٍ مُسْتَقِيمٍ يُعَلِّمُ مَا يُوَافِقُ شَرِيعَةَ اللهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَبْدِيلٍ نَحْنُ نَفْرَحُ بِهِ.

الَّذِيْ يُحَلِّلُ وَيُحَرِّمُ بِغَيْرِ دَلِيلٍ شَرْعِيٍّ لَهُ الوَيْلُ فِي الْآخِرَةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِيْ يُسْأَلُ الْعَبْدُ عَنِ الْمَالِ مِنْ أَيْنَ أَخَذَهُ وَفِيمَا صَرَفَهُ، فَإِنْ أَخَذَهُ بِطَرِيقٍ أَحَلَّهُ اللهُ وَصَرَفَهُ بِطَرِيقٍ أَحَلَّهُ اللهُ سَلِمَ وَنَجَا وَإِلا فَهُوَ مُسْتَحِقٌ لِعَذَابِ اللهِ. وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ الْعَبْدَ يُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قِبَلِ اللهِ أَلَمْ أُصِحَّ جِسْمَكَ وَأُرْوِكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ، هَذَا مِنْ جُمْلَةِ نِعَمِ اللهِ، هَذَا الْمَاءُ الْبَارِدُ يُنْتَفَعُ بِشُرْبِهِ، وَصِحَّةُ الْجِسْمِ مِنْ نِعَمِ اللهِ الَّتِي يُسْأَلُ عَنْهَا الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنْ كَانَ يُسْأَلُ عَنْ هَذَا فَفِيمَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا السُّؤَالِ أَوْلَى، الْمَسْئُولِيَّةُ عَنْ ذَلِكَ أَوْلَى».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يَتَسَرَّعُ فِي التَّحْرِيمِ يَهْلِكُ وَالَّذِي يَتَسَرَّعُ فِي الْإِيجَابِ كَذَلِكَ يَهْلِكُ».

طَلَبُ الْعِلْمِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِالثَّبَاتِ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ. وَرَدَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**لَا يَشْبَعُ مُؤْمِنٌ مِنْ خَيْرٍ يَسْمَعُهُ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الْجَنَّةَ**» مَعْنَاهُ الْمُؤْمِنُ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَشْبَعَ مِنَ الْعِلْمِ. لَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ أَنَا تَعَلَّمْتُ كَذَا وَكَذَا وَيَتْرُكَ طَلَبَ الْمَزِيدِ. ثُمَّ عِلْمُ الدِّينِ يُؤْخَذُ مِنْ أَفْوَاهِ الْعُلَمَاءِ لَيْسَ بِمُطَالَعَةِ الْكُتُبِ كَمَا يَفْعَلُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ هَذَا الزَّمَنِ. عُلُومُ الدُّنْيَا يَتَلَقَّوْنَهَا مِنْ أَفْوَاهِ الْعَارِفِينَ بِهَا. وَعِلْمُ الدِّينِ أَوْلَى بِأَنْ يُؤْخَذَ مِنْ أَفْوَاهِ الْعُلَمَاءِ لِلْأَمْنِ مِنَ الْغَلَطِ وَالتَّحْرِيفِ. بَارَكَ اللهُ بِكُمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الِاشْتِغَالُ بِطَلَبِ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ نَوَافِلِ الطَّاعَاتِ. لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَتَعَلَّمَ ءَايَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ أَيْ مِنَ التَّطَوُّعِ، وَلَأَنْ يَغْدُوَ فَيَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ مِنَ التَّطَوُّعِ. الْخُرُوجُ لِتَعَلُّمِ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنَ السِّتِمِائَةِ وَتِسْعِينَ بَلْ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ رَكْعَةٍ. ثُمَّ عِلْمُ الدِّينِ عِلْمُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِيهِ حِفْظُ الْإِسْلَامِ إِحْيَاءُ الإِسْلامِ وَإِلَّا لَتَلَاعَبَ هَؤُلاءِ الْمُنْحَرِفُونَ الشَّاذُّونَ الَّذِينَ جَاؤُوا بِفِكْرٍ جَدِيدٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يَحْضُرُ مَجْلِسَ عِلْمِ الدِّينِ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ حَاضِرًا كَجَسَدِهِ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَاضِرَ الْقَلْبِ وَالْجَسَدِ، حَاضِرَ الْقَلْبِ وَالْجِسْمِ. بَعْضُ النَّاسِ يَحْضُرُونَ مَجَالِسَ الْعِلْمِ بِلَا قَلْبٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كُونُوا وَاعِينَ، مَنْ كَانَ فِي مَجْلِسِ عِلْمٍ فَلْيَكُنْ وَاعِيًا مُقْبِلًا إِلَى هَذَا الدَّرْسِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ أَنِسَ بِالْجَهْلِ قَدْ يَفِرُّ مِنَ الْعِلْمِ، كَمَا أَنَّ الجُعَلَ يَفِرُّ مِنَ الْمِسْكِ وَيَأْلَفُ الْقَذَرَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَعَلُّمُ عِلْمِ الدِّينِ هُوَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، ثُمَّ الْعِلْمُ الَّذِي يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ عِلْمُ أَهْلِ السُّنَّةِ، أَهْلُ السُّنَّةِ هُمُ النَّاسُ الَّذِينَ وَافَقُوا مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ، عَقِيدَتُهُمْ مُوَافِقَةٌ لِعَقِيدَةِ الصَّحَابَةِ، الَّذِي لَمْ يَتَعَلَّمْ عَلَيْهِ مُؤَاخَذَتَانِ مُؤَاخَذَةٌ لِعَدَمِ تَعَلُّمِهِ يُعَاقَبُ، وَيُعَاقَبُ لِعَدَمِ تَوْفِيقِ عَمَلِهِ عَلَى الشَّرِيعَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِعِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْأَحْكَامِ، الْفَلَاحُ فِي هَذَا. الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**». عِلْمُ الدِّينِ قِسْمَانِ: قِسْمٌ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ بَالِغٍ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَقِسْمٌ فَرْضٌ عَلَى بَعْضِ الْأُمَّةِ. وَالْقَسْمُ الثَّانِي هُوَ الَّذِي يَصِلُ بِهِ الشَّخْصُ إِلَى دَرَجَةِ الْمُفْتِي، هَذَا لَيْسَ فَرْضًا عَلَى كُلِّ شَخْصٍ، أَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ شَخْصٍ، إِنْ لَمْ يَتَعَلَّمْهُ فِي الدُّنْيَا يُعَاقَبْ عَلَى تَرْكِهِ فِي الْآخِرَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَنْتُمْ، اللهُ مَنَّ عَلَيْكُمْ بِكَوْنِكُمْ عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ كِبَارُكُم وَصِغَارُكُمْ، اطْلُبُوا الْمَزِيدَ مِنْ عِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَكُونُوا فِي ازدِيَادٍ وَقُوَّةٍ وَهِمَّةٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِإِتْقَانِ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْعَقِيدَةِ لِتُكَافِحُوا الْعَقَائِدَ الْفَاسِدَةَ الَّتِي تَسْرِي فِي النَّاسِ الْيَوْمَ سَرَيَانَ الرِّيحِ.

ثُمَّ الْأَحْكَامُ أَحْكَامُ الْعِبَادَاتِ، الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالْحَجُّ وَالزَّكَاةُ وَمَعْرِفَةُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مِنَ الْمَلْبُوسِ وَالْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَالِ وَمَعْرِفَةُ مَا يَكُونُ الشَّخْصُ بِهِ خَارِجًا مِنَ الْإِسْلَامِ بَعْدَ أَنْ كَانَ فِيهِ وَمَعْرِفَةُ أَحْكَامِ الْمُرْتَدِّ. فَمَنْ يَشْتَغِلُ بِهَذَا الْيَوْمَ مَعَ حُسْنِ النِّيَّةِ أَيْ إِخْلَاصِ النِّيَّةِ للهِ يُرِيدُ بِذَلِكَ التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ لَا مَحْمَدَةَ النَّاسِ فَهُوَ فِي حَالٍ عَظِيمٍ عِنْدَ اللهِ لِأَنَّ الْمُحَافَظَةَ عَلَى عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ أَفْضَلُ أُمُورِ الدِّينِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِالثَّبَاتِ عَلَى طَلَبِ العِلْمِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِالِاهْتِمَامِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى الدِّينِ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِتَعَلُّمِ عِلْمِ الدِّينِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْبَلَ اللهُ عَمَلَهُ يَتَعَلَّمْ عِلْمَ أَهْلِ السُّنَّةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ تَعَالَى مَنْ أَرَادَ بِهِ الْخَيْرَ يُعَلِّمُهُ عِلْمَ الدِّينِ، أَنْتُمُ اجْتَهِدُوا لِلتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ. «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» مَعْنَاهُ مَنْ لَمْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا لَا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الدَّلِيلُ إِلَى الْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ فِي الْآخِرَةِ، وَالسَّبِيلُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْمَهَالِكِ هُوَ تَعَلُّمُ عِلْمِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، هَذَا فِيهِ النَّجَاةُ مِنْ مَهَالِكَ فِي الدُّنْيَا وَمَهَالِكَ فِي الْآخِرَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ أَرَادَ النَّجَاةَ فَلْيَتَعَلَّمْ وَإِلَّا يَكُونُ مَائِلًا مَعَ أَيِّ رِيحٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «بَعْضُ الْأَعْمَالِ مِنْ بَابِ التَّشْبِيهِ يُقَالُ فِي سَبِيلِ اللهِ لِعَمَلِ الْخَيْرِ كَالَّذِي يَخْرُجُ لِطَلَبِ عِلْمِ الدِّينِ هُوَ حَالُهُ كَحَالِ مَنْ خَرَجَ لِجِهَادِ الْكُفَّارِ حَتَّى يَرْجِعَ ثَوَابُهُ يُشْبِهُ ثَوَابَ ذَاكَ، هَذَا يُقَالُ لَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِمَعْنَى التَّشْبِيهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِالتَّمَكُّنِ فِي عِلْمِ التَّوحِيدِ لِتُدَافِعُوا عَن دِينِ اللهِ لِتُصْلِحُوا مَا أَفْسَدَهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ مَعْرِفَةُ الْكُفْرِيَّاتِ لِلْحَذَرِ مِنْهَا وَلِلتَّحْذِيرِ مِنْهَا.

عِلمُ الدِّينِ كَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَأْنٌ كَبِيرٌ عِنْدَ أَكْثَرِ النَّاسِ، فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ وَعَلَيْكُمْ، اجْتَهِدُوا وَابْذُلُوا أَوْقَاتَكُمْ فِي عِلْمِ الدِّينِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِالْمَوَاظَبَةِ عَلَى اسْتِمَاعِ الْعِلْمِ عِلْمِ الدِّينِ، عِلْمِ الدِّينِ هُوَ الَّذِي يَضْمَنُ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اغْتَنِمُوا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْقَلَائِلِ لِتِلْكَ الْأَيَّامِ الطِّوَالِ مَا يَكُونُ ذُخْرًا لَكُمْ وَهُوَ الدُّؤُوبُ عَلَى تَعَلُّمِ مَا فَرَضَ اللهُ تَعَالَى مِنْ عِلْمِ الدِّينِ مِنْ حَيْثُ الِاعتِقَادُ وَمِنْ حَيْثُ الْأَحْكَامُ ثُمَّ الْعَمَلُ بِذَلِكَ، اغْتَنِمُوا هَذَا الْفَرَاغَ، اغْتَنِمُوا شَبَابَكُمْ لِتَحْصِيلِ هَذَا الذُّخْرِ الْعَظِيمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغَفْلَةَ بِالتَّنَعُّمِ وَتَعَلُّقِ الْهِمَمِ بِتَكْثِيرِ الْمَالِ فَإِنَّ ذَلِكَ حِجَابٌ قَاطِعٌ لَكُمْ عَنِ اتِّخَاذِ هَذَا الذُّخْرِ الْعَظِيمِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «حُبُّ الْعِلْمِ، حُبُّ عِلْمِ الدِّينِ عَلَامَةُ الْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ، الَّذِي يَتَعَبَّدُ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْعَقِيدَةَ وَالْأَحْكَامَ عَاقِبَتُهُ وَخِيمَةٌ، يَظُنُّ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ صَارَ مِنَ الدَّرَجَاتِ الْعَلِيَّةِ وَهُوَ مِنْ أَسْفَلِ السَّافِلِينَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ مِن خَيْرِ مَا تُنفَقُ فِيهِ الْأَوْقَاتُ إِحْيَاءَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْمُثَابَرَةَ عَلَى نَشْرِهِ لِلْكِبَارِ وَالصِّغَارِ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ حِفْظَ حُقُوقِ اللهِ وَحُقُوقِ الْعِبَادِ، وَأَهَمُّ الْعِلْمِ العِلْمُ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْإِنسَانُ قَاصِرَ الرَّغبَةِ فِي الِازْدِيَادِ مِنَ الْعِلْمِ فَلَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ١١٤**﴾ [سورة طه] وَلَم يَأْمُرْ نَبِيَّه بِطَلَبِ شَيْءٍ مِنَ الِازْدِيَادِ مِنْهُ إِلَّا الْعِلْمَ، وَقَالَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لا يَشْبَعُ مُؤْمِنٌ مِنْ خَيْرٍ يَسْمَعُهُ**» فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ وَهَذَا الْحَدِيثِ تَحْرِيضٌ مُؤَكَّدٌ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَنَشْرِهِ، فَلَا يَفُتْكُمْ هَذَا الْخَيْرُ الْعَظِيمُ، وَاصْرِفُوا إِلَيْهِ هِمَمَكُمْ، وَفَّقَكُمُ اللهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْكَسَلُ يُنَافِي تَحْصِيلَ الْعِلْمِ، تَحْصِيلُ الْعِلْمِ لَا يَتَّفِقُ مَعَ الْكَسَلِ، جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه سَافَرَ مِنَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ إِلَى مِصْرَ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ صَحَابِيًّا اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ مُقِيمٌ بِمِصْرَ وَهُوَ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فسَافَرَ لِيَسْمَعَ منه فلَقِيَهُ فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ سَمِعْتَ كذَا فأَقَرَّهُ الصَّحَابِيُّ. هكَذَا كَانُوا يَهْتَمُّونَ لِتَلَقِّي الْعِلْمِ، هُوَ جَابِرٌ رضي الله عنه أَحَدُ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ، لَكِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مَا سَمِعَهُ مِنَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم إِنَّمَا بَلَغَهُ أَنَّ فُلَانًا سَمِعَهُ مِنَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ. مَاتَتِ الْهِمَمُ الْيَوْمَ، صَلَاحُ الدِّينِ الأَيُّوبِيُّ رضي الله عنه كَانَ يَحْفَظُ الْقُرْءَانَ وَكِتَابَ التَّنْبِيهِ فِي الْفِقْهِ الشَّافِعِيِّ وَكِتَابَ الْحَمَاسَةِ وَكَانَ يَحْضُرُ مَجَالِسَ الْحَدِيثِ. والْعِلْمُ الَّذِي يُكْتَبُ يَبْقَى، لَوْ نَسِيَ الشَّخْصُ يَرْجِعُ إِلَى مَا كَتَبَ فَيَسْتَعِيدُ، أَمَّا الَّذِي يَسْمَعُ وَلَمْ يُقَيِّدْ سَرِيعُ النِّسْيَانِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أُوصِيكُمْ بِالْتِزَامِ حُضُورِ مَجَالِسِ الْعِلْمِ، لِأَنَّ سَبَبَ انْتِشَارِ الْمُجَسِّمَةِ والْمُشَبِّهَةِ ونُفَاةِ التَّوَسُّلِ بَيْنَ النَّاسِ الْجَهْلُ بِعِلْمِ الدِّينِ، وَهَذِهِ الْمَدَارِسُ الْعَصْرِيَّةُ لَا تُعَلِّم عِلْمَ الدِّينِ الضَّرُورِيَّ وَالْأَهْلُ لَا يُعلِّمُونَ، فَالْوَلَدُ يَشِبُّ ويَشِيبُ وَهُوَ جَاهِلٌ بِعِلْمِ الدِّينِ ثُمَّ يَلْتَقِي بِهَؤُلَاءِ الْمُجَسِّمةِ والْمُشَبِّهَةِ وَنُفَاةِ التَّوَسُّلِ فَيَسْمَعُ كَلَامَهُمْ فَيَتَّبِعُهُمْ. فَمِنْ هُنَا يَجِبُ الِاهْتِمَامُ لِعِلْمِ الدِّينِ، أَنتُمْ اهْتَمُّوا لِعِلْمِ الدِّينِ حَتَّى تَنْفعُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ وَأَهَالِيَكُمْ وَجِيرَانَكُمْ. إِنِ اهْتَمَمْتُمْ لِعِلْمِ الدِّينِ تَحْفَظُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ يَحْصُلَ مِنْكُمْ فُتُورٌ فِي عِلْمِ الدِّينِ، لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ أنَا أَخَذْتُ حِصَّةً مِنْ عِلْمِ الدِّينِ فَتَفْتُرَ هِمَّتُهُ عَنْ حُضُورِ مَجَالِسِ الْعِلْمِ وتَعْلِيمِ الْغَيْرِ، هَذَا أَفْضَلُ الْعَمَلِ الْيَوْمَ، أَفْضَلُ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ.

الَّذِي لَا يَتَعَلَّمُ عِلْمَ الدِّينِ الضَّرُورِيَّ يَهْلِكُ وَيُهْلِكُ غَيْرَهُ، مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُحِبُّ عِلْمَ الدِّينِ ولَا يَشْبَعُ مِنْهُ. رُوِيَ عن رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «**لَا يَشْبَع مُؤْمِنٌ مِنْ خَيْرٍ يَسْمَعُهُ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الْجَنَّةَ**». هَذِهِ الرِّوايَةُ إِحْدَى رِوايَتَيْ هَذَا الْحَدِيثِ، وَالرِّوَايَةُ الْأُخْرَى: «**لَا يَشْبَعُ مُؤْمِنٌ مِنْ خَيْرٍ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الْجَنَّةَ**». لَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ الْمُؤمِنُ أنَا عمِلْتُ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْحَسَنَاتِ فَيَتَقَاعَسْ عَنِ الِازْدِيَادِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ دَائِبًا فِي طَلَبِ الْمَزِيدِ مِنْ عَمَلِ الْبِرِّ وَعِلْمِ الدِّينِ إِلَى الْمَمَاتِ، أَيَّامُ الدُّنيَا قِصَارٌ وأَيّامُ الْآخِرةِ طِوَالٌ، مَهْمَا أَكْثَرَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْحَسَنَاتِ فَإِنَّهُ يَنْتَفِعُ بِهَا فِي الْآخِرَةِ الَّتِي لَيْسَ

لَهَا نِهَايَةٌ، هُنَاكَ يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ قَدْرَ الْحَسَنَاتِ لَمَّا يَرَى هُنَاكَ الْحَسَنَاتِ يَتحَسَّرُ[1] يَقُولُ: يَا لَيْتَنِي عَمِلْتُ مِنَ الْحَسَنَاتِ أَكْثَرَ مِمَّا عَمِلْتُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ**» مَعْنَاهُ اَلْخَيْرُ يَصِيرُ قَلِيلًا. أَكْثَرُ النَّاسِ اليَوْمَ لَا يُمَيِّزُونَ إِذَا سَمِعُوا إِنْسَانًا يَخْطُبُ فِي مَسْجِدٍ أَوْ غَيْرِهِ وَحَرَّفَ الشَّرِيعَةَ، وَيَسْكُتُونَ وَلَوْ لَمْ يُعْجِبْهُمْ ذلِكَ الْكَلَامُ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ عُظْمَ خَطَرِهِ. بَعْضُ النَّاسِ يَقُولُونَ اَلْمَطْلُوبُ تَوْحِيدُ الصَّفِّ، يُقَالُ لَهُمْ: تَوْحِيدُ الصَّفِّ مَطْلُوبٌ بِطَرِيقَةٍ لَيْسَ فِيهَا ضَرَرٌ عَلَى الدِّينِ، أَمَّا بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي فِيهَا ضَرَرٌ عَلَى الدِّينِ فَهَذَا إِفْسَادٌ لَيْسَ تَوْحِيدًا لِلصَّفِّ. الْوَهَّابِيَّةُ كَيْفَ يُسْكَتُ لَهُمْ وَحِزْبُ التَّحْرِيرِ وَحِزْبُ الإِخْوَانِ؟! الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ: «**إِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ يَا ظَالِمُ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ**» مَعْنَاهُ قَلَّ الْخَيْرُ فِيهِمْ. وَهَذَا الْحَدِيثُ لَيْسَ فِي الَّذِي كَفَرَ فَقَطْ بَلْ فِيمَنْ هُوَ أَقَلُّ ذَنْبًا أَيْضًا. الَّذِي لَا يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ شَيْطَانٌ أَخْرَسُ، لَوْ كَانَ هُوَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ عَالِمًا فَهُوَ شَيْطَانٌ أَخْرَسُ. فَإِنْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ: هَؤُلَاءِ الْوَهَّابِيَّةُ لَوْلَا أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ مَا مَكَّنَهُمُ اللهُ مِنَ الْحُكْمِ فِي مَكَّةَ والْمَدِينَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: الْيَهُودُ يَحْكُمُونَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَهَلْ يَدُلُّ ذلكَ عَلَى أَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ؟!. أَحَدُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَخِيهِ وَهُوَ صَحَابِيٌّ ءَاخَرُ: «**لَا يُقَدِّسُ الرَّجُلَ بَلَدُهُ، إِنَّمَا يُقَدِّسُهُ عَمَلُهُ**». الرَّجُلُ قَدْ يَكُونُ فِي أَفْضَلِ بِلَادِ اللهِ عَائِشًا فِي مَكَّةَ أَوِ الْمَدِينَةِ ثُمَّ يَكُونُ عَلَى حَالَةٍ سَيِّئَةٍ، وَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ فِي الْمَغْرِبِ وَيَكُونُ عَلَى حَالَةٍ طَيِّبَةٍ، هَذَا مَعْنَى كَلَامِ الصَّحَابِيِّ. يُوجَدُ فِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ أُنَاسٌ أَعْمَى اللهُ قُلُوبَهُمْ، عَقَائِدُهُمْ فَاسِدَةٌ. الْمَهْدِيُّ مَنْ هَدَى اللهُ أَيْنَمَا كَانَ. ثُمَّ الإِنْسَانُ لَا يُولَدُ عَالِمًا لَا بُدَّ أَنْ يَتَعَلَّمَ، أَمَّا أَنْ يَقُولَ أنَا مِنْ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ وَيَعْتَمِدَ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَتَعَلَّمَ فَهَذَا هَلَاكٌ وَأَيُّ

[1] يتحسر أي يقول ليتني ما فوت ذلك دون أن ينـزعج.

هَلَاكٍ. كَذَلِكَ كَوْنُ الرَّجُلِ ابنَ عَالِمٍ لَا يُقَدِّسُهُ، قَدْ يكونُ الأبُ عَالِمًا تَقِيًّا وَلِيًّا وَالابْنُ كَافِرًا مُلْحِدًا وَلَا يَعْرِفُ أَنَّهُ كَافِرٌ مُلْحِدٌ لِأَنَّهُ مَا تَعَلَّمَ مَا يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ، مَا تَعَلَّمَ مَا يُعْرَفُ بِهِ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ. كَهَذَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ الْخَزْنَوِيُّ [الَّذِي قَالَ الطَّرِيقَةُ فَرْضٌ] الَّذِي يُقَدِّسُهُ قِسْمٌ كَبِيرٌ مِنَ الْأَكْرَادِ وَيَعْتَبِرُونَهُ أَفضَلَ أَوْلِيَاءِ عَصْرِهِ وَهُوَ كَافِرٌ جَاهِلٌ، بِاسْمِ أَبِيهِ صَارُوا يُقَدِّسُونَهُ لِأَنَّ وَالِدَهُ كَانَ عَالِمًا طَيِّبًا. لَا يَنْفَعُ الرَّجُلَ كَوْنُهُ ابْنَ عَالِمٍ أَوْ وَلِيٍّ بِدُونِ مَعْرِفَةِ التَّنْزِيهِ، فَالْمَطْلُوبُ مِنَّا أَنْ نَتَكَلَّمَ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَلَا سِيَّمَا فِي التَّنْزِيهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ نَرْجُو فِيهِ حُصُولَ الْفَائِدَةِ. عَلَيْكُمْ بِتَعَلُّمِ عِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ الْمُتَوَارَثِ خَلَفًا عَنْ سَلَفٍ إِلَى الصَّحَابَةِ، وَإِلَّا تَجْرُفْكُمْ هَذِهِ الْفِرَقُ الضَّالَّةُ كَحِزْبِ الْإِخْوَانِ وَالْوَهَّابِيَّةِ وَحِزْبِ التَّحْرِيرِ، فَلَا نَجَاةَ إِلَّا بِتَعَلُّمِ عِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ. لَيْسَ بِالْقَانُونِ يَعِزُّ الإِسْلَامُ بَلْ بعِلْمِ الدِّينِ، حُكَّامُ الْمُسْلِمِينَ إِذَا تَعَلَّمُوا عِلْمَ الدِّينِ يُعِزُّهُمُ اللهُ بِالْإِسْلَامِ. الْإِنْسَانُ لَا يُولَدُ عَالِمًا، إِنَّمَا يَتَعَلَّمُ بَعْدَ أَنْ يُولَدَ، أَمَّا إِنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ فَقَدْ أَضَاعَ نَفْسَهُ، قَالَ العُلَمَاءُ: تَعَلَّمْ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُولَدُ عَالِمًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «بَعْضُ الْجُهَّالِ يَقُولُونَ عَنِ الْوَهَّابِيَّةِ لَوْلَا أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ مَا حَكَمُوا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، هَذَا جَهْلٌ فَظِيعٌ. مَكَّةُ قَبْلَ أَنْ يَدْعُوَ الرَّسُولُ إِلَى الْإِسْلَامِ، أَهْلُ مَكَّةَ كُلُّهُمْ كَانُوا مُشْرِكِينَ كَانُوا يُعَلِّقُونَ الْأَوْثَانَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ثَلَاثَمِائَةً وَسِتِّينَ صَنَمًا وَضَعُوا حَوْلَ الْكَعْبَةِ، وَكَانُوا يَطُوفُونَ بِالْكَعْبَةِ وَهُمْ يَقُولُونَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، مِئَاتِ السِّنِينَ وَهُمْ عَلَى الشِّرْكِ وَهُمْ جِيرَانُ الْكَعْبَةِ. لَيْسَ الْعِبْرَةُ بِالبَلَدِ، الْبَلَدُ لَا يُقَدِّسُ الشَّخْصَ، الشَّخْصُ يُقَدِّسُهُ إِيمَانُهُ، أَيْنَمَا كَانَ الشَّخْصُ عَائِشًا سَاكِنًا إِنْ كَانَتْ عَقِيدَتُهُ فَاسِدَةً، الْمَكَانُ الَّذِي يَسْكُنُهُ لَا يُقَدِّسُهُ، إِنَّمَا الَّذِي عَقِيدَتُهُ صَحِيحَةٌ لَوْ كَانَ فِي أَقْصَى الشَّرْقِ أَوْ فِي أَقْصَى الْغَرْبِ بَيْنَ الْكُفَّارِ عَائِشًا فَهُوَ عَلَى خَيْرٍ مَا دَامَ

مُحَافِظًا عَلَى دِينِهِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ وَلِيًّا للهِ. لَا يُقَدِّسُ الشَّخْصَ كَوْنُ أَبِيهِ عَالِمًا، كَوْنُ جَدِّهِ عَالِمًا، إِذَا لَمْ يَتَعَلَّمْ عِلْمَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا**». قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: «**تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مَا دُمْتُمْ صِغَارًا قَبْلَ أَنْ تَصِيرُوا سَادَةً رُؤَسَاءَ مَنْظُورًا إِلَيْهِمْ، فَإِنْ لَمْ تَتَعَلَّمُوا قَبْلَ ذلِكَ اسْتَحْيَيْتُمْ، أَن تَتَعَلَّمُوا بَعْدَ الْكِبَرِ فَبَقِيتُمْ جُهَّالًا تَأْخُذُونَهُ مِنَ الْأَصَاغِرِ فَيُزْرِي ذَلِكَ بِكُمْ**». وَهَذَا شَبِيهٌ بِحَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنْ أَكَابِرِهِمْ فَإِذَا أَتَاهُمْ مِنْ أَصَاغِرِهِمْ فَقَدْ هَلَكُوا**». وَالْأَكَابِرُ أَيِ الْأَكَابِرُ فِي الْعِلْمِ، لَيْسَ مِنَ الْأَكَابِرِ فِي السِّنِّ، وَالْمُرَادُ بِالْأَصَاغِرِ الَّذِينَ لَا يُحْسِنُونَ الْعِلْمَ. مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ مَاتَ وعمرُهُ ثَلَاثٌ وثلاثونَ سَنَةً وَالرَّسُولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أَرْسَلَهُ لِيُعَلِّمَ أَهْلَ الْيَمَنِ مَعَ أَبِي مُوسَى الأشعرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَكَانَ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ لَكِنْ لِعِلْمِهِ أَرْسَلَهُ، لِقُوَّةِ فَهْمِهِ».

الِاسْتِمَاعُ يَكْفِي لِتَعَلُّمِ عِلْمِ الدِّين[1]:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «لِتَعَلُّمِ عِلْمِ الدِّينِ الِاسْتِمَاعُ يَكْفِي، كَمْ مِنْ أُنَاسٍ أَوْلِيَاءَ لَا يَعْرِفُونَ الْخَطَّ، تَلَقَّوْا بِالسَّمَاعِ مِنْ أَفْوَاهِ أَهْلِ الْعِلْمِ، تَلَقَّوْا عِلْمَ الدِّينِ وَعَمِلُوا بِهِ فَصَارُوا أَوْلِيَاءَ، وَالصَّحَابَةُ أَكْثَرُهُمْ مَا كَانُوا يَعْرِفُونَ الْخَطَّ إِنَّمَا كَانُوا يَسْتَمِعُون إِلَى الرَّسُولِ،

---

[1] وليس هذا الأمر متناقضًا مع قولنا «العلم صيد والكتابة قيده»، إذ إنَّ كثيرًا من الصحابة كان لا يجيد الكتابة، وانتشر العلم والإسلام في أنحاء الأرض، فالتعلم يكفي بمجرد سماع الأصل، أما من يجيد الكتابة فإن كتب فهذا خيرٌ، وذلك لأنه إن نسيَ فإنه يرجعُ إلى مطالعة ما كتب فيتذكر.

يَسْمَعُونَ كَلَامَ الرَّسُولِ، اللهُ نَوَّرَ قُلُوبَهُمْ فَصَارُوا عُلَمَاءَ حُكَمَاءَ، الْعِبْرَةُ بِفَهْمِ الْقَلْبِ، سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ مَا تَعَلَّمَ الْخَطَّ، اللهُ تَعَالَى أَفَاضَ عَلَيْهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ».

الْعِلْمُ صَيْدٌ وَالْكِتَابَةُ قَيْدُهُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «وَرَدَ أَثَرٌ «قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ» أَيِ اكْتُبُوا. عَبْدُ اللهِ بْنُ المبَارَكِ قَالَ:

أَيُّهَا الطَّالِبُ عِلْمًا ... إِيتِ حَمَّادَ بْنَ زَيْدِ

فَاطْلُبَنَّ الْعِلْمَ مِنْهُ ... ثُمَّ قَيِّدْهُ بِقَيْدِ

لَا كَجَهْمٍ لا كَثَوْرٍ ... لا كَعَمْرِو بْنِ عُبَيْدِ

حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْكِبَّارِ، مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، اذْهَبْ إِلَيْهِ إِنْ أَرَدْتَ الْعِلْمَ، خُذْ مِنْهُ، ثُمَّ قَيِّدْهُ بِقَيْدٍ، الْكِتَابَةُ جَعَلَهَا كَالحَبْلِ، الحَبْلُ يَحْبِسُ الدَّابَةَ عَنْ الانْفِلاتِ، الكِتَابَةُ أَيْضًا تَحْبِسُ العِلْمَ عَنِ الِانْفِلاتِ. ثُمَّ حَذَّرَهُ مِنْ ثَلاثَةٍ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ مِنَ الَّذِينَ تَرَكُوا مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ، أَحَدُهُمْ جَهْمٌ، وَالآخَرُ ثَوْرُ بنُ يَزِيدَ كَانَ قَاضِيًا لَكِنْ عَقِيدَتُهُ مُخَالِفَةٌ لِأَهْلِ السُّنَّةِ، وَعَمْرُو ابْنُ عُبَيْدٍ أَيْضًا مِنْ هَؤُلَاءِ الضَّالِّينَ مِنْ رُؤُوسِهِمْ، لَا تَذْهَبْ إِلَى هَؤُلَاءِ الثَّلاثَةِ، اذْهَبْ إِلَى حَمَّادِ ابْنِ زَيْدٍ وَمَنْ مِثْلُهُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ».

نَصْبُ الْأَدِلَّةِ فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الضَّلَالِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «يَجِبُ الِاعْتِنَاءُ بِإِعْدَاد الْجَوَابِ عَلَى دُعَاةِ الْفِتْنَةِ؛ الْوَهَّابِيَّةِ وَحِزْبِ التَّحْرِيرِ وَحِزْبِ سَيِّدِ قُطُبْ. كُلُّ هَذِهِ الْفِرَقِ الثَّلَاثِ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَى دَعْوَتِهِمْ خَرَجَ منَ الدِّينِ وهُوَ لَا يَشْعُرُ. عَقِيدَةُ أَهْلِ الْحَقِّ مَعَ الدَّلِيلِ إِذَا تَعَلَّمَهَا الْمُسْلِمُ يَكُونُ معَهُ سِلَاحٌ ضِدَّ هَؤُلَاءِ، أَمَّا إِذَا لَمْ يَتَعَلَّمْ مَعَ الدَّلِيلِ قَدْ يَفْتِنُوْنَهُ قَدْ يُؤَثِّرُوْنَ علَيْهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِعْدَادُ السِّلَاحِ مِنَ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْقُرْءَانِيَّةِ وَالْحَدِيثِيَّةِ أَمْرٌ عَظِيمٌ لِأَنَّنَا كَإِنْسَانٍ بَيْنَ أَعْدَاءٍ يُرِيدُونَ أَنْ يُهْلِكُوهُ وَهَذَا الْإِنْسَانُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَا يَدْفَعُ بِهِ هَذَا الْعَدُوَّ، الْعَدُوُّ يَضُرُّهُ.

كَذَلِكَ الَّذِي لَمْ يَتَعَلَّمْ عِلْمَ الْعَقِيدَةِ وَأَدِلَّتَهَا إِذَا اجْتَمَعَ بِالْوَهَّابِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ كَحِزْبِ التَّحْرِيرِ يُؤَثِّرُونَ بِهِ إِلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ فَيَكْفُرُ، يُقَلِّبُونَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْعُرَ، أَمَّا الَّذِي أَعَدَّ هَذِهِ الْأَدِلَّةَ يُدَافِعُ عَنْ نَفْسِهِ، هُوَ يَكْسِرُ بِالْحُجَّةِ بَدَلَ أَنْ يَأْخُذُوهُ إِلَيْهِمْ».

﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ٧٩﴾ [سورة ءال عمران]:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ٧٩﴾ [سورة ءال عمران]. اَلرَّبَّانِيُّونَ الَّذِينَ يُرَبُّونَ النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ، الْعِلْمُ يُحَصَّلُ بِالتَّدْرِيجِ، لَيْسَ كلُّ العِلْمِ دُفْعَةً وَاحِدَةً يُحَصَّلُ، يُبْدَأُ بِالْمُخْتَصَرَاتِ ثُمَّ بَعْدَ فَهْمِ الْمُخْتصرَاتِ يُترَقَّى إِلَى الْمَبْسُوطَاتِ ثُمَّ إِلَى الْمُطَوَّلَاتِ. كُتُبُ العِلْمِ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ؛ مُخْتَصَرَاتٌ ثُمَّ مَرْتَبَةٌ وُسْطَى ثُمَّ مُطَوَّلَاتٌ وَمَبْسُوطَاتٌ، هَكَذَا كُتُبُ الْعِلْمِ والفِقْهِ وهكَذَا كُتُبُ النَّحْوِ وهكذا كُتُبُ الْحَدِيثِ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْوَاحِدِ قَبْلَ أَنْ يُتْقِنَ الْمُخْتَصَرَاتِ أَنْ يَشْتَغِلَ بالْمُطَوَّلَاتِ، لِأَنَّ الَّذِي لَا يَفْهَمُ مَقَاصِدَ الْعُلَمَاءِ والفُقَهَاءِ والْمُحَدِّثِيْنَ يَقِيسُ مَا يَرَاهُ فِي هذِهِ الْكُتُبِ الْمُطَوَّلَةِ عَلَى نَحْوِ مَا فهِمَه قَبْلَ ذلِكَ وَلَا يَدْرِي أَنَّ بَيْنَ الْمُخْتَصَرَاتِ وَالْمُطَوَّلَاتِ فَرْقًا فِي الْعِبَارَاتِ، يكُونُ فَهْمُهُ هذَا غَيْرَ مُوافِقٍ لِمَا يُذْكَرُ فِي الْمُطَوَّلَاتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لِيَشْتَغِلْ أَحَدُكُمْ بِفَهْمِ الْمُخْتَصَرِ الَّذِي يُبْدَأُ بِهِ، فَإِذَا أَتْقَنَ فَهْمَهُ يَنْتَقِلُ، يَنْتَقِلُ إِلَى مَا هُوَ فَوْقَهُ، مَا هُوَ دُونَ الْمُطَوَّلَاتِ، ثُمَّ إِلَى الْمُطَوَّلَاتِ، بَعْدَ أَنْ يُتْقِنَ فَهْمَ الْمُخْتَصَرَاتِ بَعْدَ أَنْ يَفْهَمَ قَوَاعِدَ الْعَقِيدَةِ وَأَحْكَامَ الرِّدَّةِ، وَمَا هِيَ الرِّدَّةُ، بَعْدَ أن يَعْرِفَ هذَا يَشْتَغِلُ فِي الْمُطَوَّلَاتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِذَا تشَوَّقَتْ نُفُوسُكُمْ لِمُطالَعَةِ الْكُتُبِ الْمُطَوَّلَةِ فإِيَّاكُمْ، إِيَّاكُمْ أَنْ تَفْعَلُوْا ذَلِكَ. ذَاكَ الْأَوَّلُ[1] وَهَذَا الثَّانِي[2] مَا أَتْقَنَا عِلْمَ الْعَقِيدَةِ، عِلْمَ الْأَحْكَامِ الَّتِي تتعَلَّقُ بالْمُرْتَدِّ، مَا أَتْقَنَا أَسْبَابَ الرِّدَّةِ فَهَلَكَا، كِلَاهُمَا هَلَكَ، وَقَعَا فِي الْكُفْرِ».

الاقْتِصَارُ عَلَى حَلِّ الْأَلْفَاظِ وَالتَّعْوِيدُ عَلَى قَوْلِ لَا أَدْرِي:

قال الإمام الهرريّ رضي الله عنه: «الْتَزِمُوا الِاقْتِصَارَ عَلَى حَلِّ الأَلْفَاظِ. فَإِنْ طرَأَ عَلَيْكُمْ سُؤَالٌ فِي أثناءِ الدَّرْسِ مَنْ قَالَ كَذَا أو مَنْ فَعَلَ كذا يَكفُرُ أَمْ لَا فَلَا تُجِيبُوا. بَعْضُهُمْ لَا يُحْسِنُ السُّؤَالَ وَأَحْيَانًا الْمَسْؤُولُ لَا يُحْسِنُ الْجَوَابَ، وَقَدْ حصَلَ شَرٌّ كَبِيرٌ مِنْ هَذَا أَقْلَقَنَا. وَلَا تُغْفِلُوا كَلِمَةَ لَا أَدْرِي، هذه الكلِمَةُ فيها نَجَاةٌ».

وقال رضي الله عنه: «قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ كِتَابٌ نَاطِقٌ وَسُنَّةٌ مَاضِيَةٌ وَلَا أَدْرِي. رَوَى أَحْمَدُ عَنِ الشَّافِعِيّ عَنْ مَالِكٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا أَغْفَلَ الْعَالِمُ لَا أَدْرِي فَقَدْ أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ، أَيْ هَلَكَ. عَوِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أَدْرِي، يُقَالُ لِلْمُدَرِّسِينَ لَمَّا يَبْدَؤون بِالدَّرْسِ، يَقُولُون لِلْحَاضِرِينَ لَا تَسْأَلُونَا لَا تَسْتَفْتُونَا، نَحْنُ نُعْطِيكُمْ مَا عِنْدَنَا، قُولُوا لِلْمُدَرِّسِينَ الْتَزِمُوا بِالْمَنْقُولِ الْمُحَرَّرِ وَإِلَّا فَأَنْتُمْ مُقْبِلُونَ عَلَى هَلَاكٍ، لَا يُفْتِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، لَيْسَ فِيكُمْ مُفْتٍ، مَنْ لَهُ حُكْمُ مَنْ يَقُولُ فَلْيَأْتِ إِلَيَّ، حُكْمُ مَنْ يَقُولُ بَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ. كُلُّ واحِدٍ مِنْكُمْ يَلْتَزِمُ حِفْظَ نِصْفِ صَحِيفَةٍ مِنَ الْقُرْءَانِ علَى الأَقَلِّ فِي الْيَوْمِ، مَعَ اشْتِغَالِهِ بِمُطَالَعَةِ دُرُوسِهِ، هذَا يَسُدُّ فَرَاغًا يَتَجَوَّلُ فِيهِ الوَسْوَاسُ.

---

[1] شخص وجد في البخاريّ حديثا لم يهتد فهمه له فنسب ـ لسوء فهمه ـ إلى الرسول الانتحار فكفر.

[2] شخص وجد في البخاريّ حديثا ففهم منه أنّ سبّ الرسول ليس كفرا.

الْفَرَاغُ يُؤَدِّي بِهِمْ إِلَى هَذَا، لَوِ اشْتَغَلُوا بِحِفْظِ الْمَتْنِ الَّذِي يَدْرُسُونَهُ لَانْشَغَلُوا بِهذَا، وَإِلَّا يَجِدُ الوَسْوَاسُ فَرَاغًا يَسْبَحُ فِيهِ».

حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يعرفُونَ أَتُحِبُّونَ أنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. مَعْنَاهُ إِذَا حَدَّثْتَ إِنْسَانًا بِحَدِيثٍ تَعْرِفُ أَنَّهُ لَا يَصِلُ فَهْمُ هَذَا الْإِنْسَانِ الَّذِي تُخَاطِبُهُ إِلَى حَقِيقَةِ هَذَا الْأَمْرِ بَلْ يَفْهَمُهُ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ فِتْنَةٌ. لِمَاذَا تُحَدِّثُهُ بِهِ؟!».

الْحَثُّ عَلَى الِانْتِبَاهِ أَثْنَاءَ الدَّرْسِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «خَطَرٌ أَنْ يَكُونَ الشَّخْصُ فِي مَجْلِسِ عِلْمٍ وَلَا يَنْتَبِهُ لِمَا يَجْرِي فِي الْمَجْلِسِ، قَدْ يَخْرُجُ وَيَقُولُ عَنْ شَىْءٍ حَلَالٍ حَرَامٌ، قَدْ يَخْرُجُ فَيَقُولُ عَنْ شَىْءٍ حَرَامٍ حَلَالٌ».

جَلْبُ الْجُدُدِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «لَا تَنْسَوا مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ مِنْ أَنْ تَجْلِبُوا غَيْرَكُمْ لِتَعَلُّمِ الْعَقِيدَةِ. لَا تَنْسَوْا هَذِهِ الْوَصِيَّةَ لِأَنَّ أَهْلَ الضَّلَالِ يَجْلِبُونَ النَّاسَ إِلَى الضَّلَالِ. [رَجَب دِيبٍ] كانَ يُلزِمُهُمْ أن يَجْلِبُوا لَهُ عَشَرَةً وَمَنْ كَانَ لَا يَجْلِبُ لَهُ يَأْخُذُ مِنْه مَالًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِخْوَانِي.. اغْتَنِمُوا الْخَيْرَ بِدَعْوَةِ النَّاسِ وتَنْشِيطِهِمْ لِحُضُورِ مَجَالِسِ الْعِلْمِ والذِّكْرِ يَكُنْ لَكُمْ أُجُورُكُمْ وَأُجُورُ مَنْ تَجُرُّونَهُ إِلَى هَذَا الْخَيْرِ وَفِي ذَلِكَ مُكَافَحَةُ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ لَا يَعْرِفُونَ خَالِقَهُمْ إِنَّمَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ: لَا

إِلَه إِلَّا الله، ظَهَرَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ ذَكَرٌ وَالْمَطَرُ بَوْلُهُ، ظَهَرَ هذَا فِي سُورْيَا وَلُبْنَان، وَهُمْ يَظُنُّونَ بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، لَا يَكْفِي أَنْ يَكُونَ الشَّخْصُ وُلِدَ مِنْ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ. وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ لَا يَتَلَقَّوْنَ فِي مِدَارِسِهِمُ الْعَقِيدَةَ تَفَهُّمًا وَلَا ءابَاؤُهُمْ يُعلِّمُونَهُمْ، أَيِ الْأَغْلَبُ لَا يُعَلِّمُونَ أَبْنَاءَهُمْ الْعَقِيدَةَ. بَذْلُ الْجُهْدِ فِي جَرِّ النَّاسِ إِلَى تَعَلُّمِ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ مِنْ أفرَضِ الْفُرُوضِ وَالْوَاجِبَاتِ وَالْقُرُبَاتِ إِلَى اللهِ».

فَتْحُ مَجْلِسِ عِلْمٍ دِينِيٍّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مَنْ فَتَحَ مَجْلِسَ عِلْمٍ دِينِيٍّ فِي بَيْتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَهُ مِلْيُونُ دِينَارِ ذَهَبٍ، وَتَنْزِلُ عَلَى بَيْتِهِ الرَّحَمَاتُ وَالْبَرَكَاتُ بِسَبَبِ هَذَا الْمَجْلِسِ».

الْأَمَانَةُ فِي الْعِلْمِ أَهَمُّ مِنَ الْأَمَانَةِ فِي الْمَالِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «فَإِنَّ الْأَمَانَةَ فِي الْعِلْمِ أَهَمُّ مِنَ الْأَمَانَةِ فِي الْمَالِ فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَكُوْنَ مُحْتَاطًا فِي كَلَامِهِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَعْمَلَ بِمَا قَالَ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ: كِتَابٌ نَاطِقٌ** [أَيِ الْقُرْءَانُ] **وَسُنَّةٌ مَاضِيَةٌ** [أَيْ حَدِيثٌ ثَابِتٌ] **وَلَا أَدْرِي**».

فَعَلَيْكُمْ بِفَهْمِ السُّؤَالِ عَلَى وَجْهِهِ وَعَدَمِ الِاسْتِعْجَالِ فِي إِصْدَارِ حُكْمٍ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أَفْهِمُونِي مَا تَقُولُونَ وَافْهَمُوا عَنِّي مَا أَقُولُ».

وَعَلَيْكُمْ بِكَلِمَةٍ مَنْ عَمِلَ بِهَا أَحْسَنَ الْإِفَادَةَ أَلَا وَهِيَ «الْحِلْمُ زَيْنُ الْعِلْمِ».

هَذَا وَكَثِيرٌ مِنَ الْمَصَائِبِ فِي الْكَلَامِ فِي أُمُورِ الدِّينِ تَأْتِي مِنْ تَجَاوُزِ الشَّخْصِ حَدَّهُ فَيُفْتِي بِلَا عِلْمٍ فِي مَسَائِلَ جَانِبِيَّةٍ فِي أَثْنَاءِ تَدْرِيسِهِ لَيْسَتْ مِنْ أَصْلِ الْكِتَابِ الَّذِي يُدَرِّسُهُ

وَهَذَا خَطَرٌ كَبِيرٌ. فَلَوْ سَأَلَهُ الطَّالِبُ لَا يُجِبْ فِي الْمَسَائِلِ الْجَانِبِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَجِدْ فِيهَا نَقْلًا بَلْ يَقُولُ لَا أَدْرِي، فَيَكُونُ سَلِمَ لِنَفْسِهِ وَسَلِمَ الطَّالِبُ، وَلَا يُفَكِّرِ الْمُدَرِّسُ بِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يُجِبْ فِي هذِهِ الْمَسَائِلِ الْجَانِبِيَّةِ يَسْتَضْعِفُهُ الطَّالِبُ الَّذِي يُدَرِّسُهُ، وَلَا يَنْظُرْ إِلَى هذَا. ثُمَّ إِنَّ الْمُهِمَّ أَنْ يَسْتَحْضِرَ الْمُدَرِّسُ أَوَّلَ مَا يَبْدَأُ بِالتَّدْرِيسِ أَنَّ مُرَادَهُ إِفَادَةُ النَّاسِ بِأَمْرِ دِينِهِمْ لِوَجْهِهِ تَعَالَى، لَا أَنْ يُقَالَ عَنْهُ قَوِيٌّ فِي الْعِلْمِ، فَإِذَا اسْتَحْضَرَ هذِهِ النِّيَّةَ أَوَّلَ الدَّرْسِ يَهُونُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ لَا أَدْرِي فِيمَا لَيْسَ لَهُ فِيهِ نَقْلٌ.

ثُمَّ إِنَّ مِنَ الْمُهِمِّ التَّفْكِيرَ فِي حَالِ الَّذِي يَدْرُسُ عَلَى الْمُدَرِّسِ وَمَنْ يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ مِنْ غَيْرِ طَلَبَتِهِ هَلِ الْعِبَارَةُ الَّتِي يَذْكُرُهَا أَثْنَاءَ دَرْسِهِ يَفْهَمُ الْحَاضِرُونَ مَعْنَاهَا كَمَا يَنْبَغِي أَمْ لَا يَفْهَمُونَ مَا يَفْهَمُهُ وَيُرِيدُهُ هُوَ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ. قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَفْهَمُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ».

الْعِلْمُ بِالتَّلَقِّي:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه نَاصِحًا اثْنَيْنِ مِمَّنْ يَقْرَؤُونَ فِي الْكُتُبِ: «لَنْ تَجِدَا الْعِلْمَ بَيْنَ صَفَحَاتِ الْكُتُبِ».

التَّعَلُّمُ وَالتَّعْلِيمُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِالتَعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ لِعِلْمِ الدِّينِ، فَإِنَّ عِلْمَ الدِّينِ حَيَاةُ الْإِسْلَامِ، وَأَفضَلُ الْعِلْمِ عِلْمُ الْعَقِيدَةِ وَلِذَلِكَ سَمَّاهُ أَبُو حَنِيفَةَ الْفِقْهَ الْأَكْبَرَ، فَتَوَاصَوْا بِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الْعِلْمِ وَدُلُّوا النَّاسَ لِلتَّعَلُّمِ فَإِنَّ مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ، أَيَّدَكُم اللهُ ونَصَرَكُم».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أُوصِي بِالتَّمَسُكِ وَالْعَمَلِ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْتِزَامِ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالْعَمَلِ عَلَى نَشْرِهِ وَتَعْلِيمِهِ لِلنَّاسِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أُوصِيكُمْ بِالِازْدِيَادِ مِنَ الْحِرْصِ عَلَى نَشْرِ عِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي ضَعُفَتْ رَغَبَاتُ النَّاسِ فِيهِ، أَيَّدَكُمُ اللهُ، وَأَعَانَكُمُ اللهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «النَّجَاةُ بِالْعِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ، فَمَنْ تَعَلَّمَ عِلْمَ الدِّينِ ثُمَّ جَعَلَهُ أَمَامَهُ أَيِ الْتَزَمَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ فَهُوَ مِنَ الْفَائِزِينَ عِنْدَ اللهِ، وَأَمَّا الَّذِي يَتَعَلَّمُ عِلْمَ الدِّينِ ثُمَّ يَجْعَلُهُ خَلْفَ الظَّهْرِ أَيْ لَمْ يَتَّبِعْهُ فَصَارَ يَأْكُلُ الْمَالَ الْحَرَامَ وَيَظْلِمُ النَّاسَ وَنَحْوَهُ، فَهَذَا لَهُ الْوَيْلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْإِنْسانُ خُلِقَ لِيَعْبُدَ اللهَ، مَا خُلِقَ لِلْأَكْلِ وَالشُّرْبِ. عِبَادَةُ اللهِ كَيْفَ تَكُونُ؟ بِالتَّعَلُّمِ، بِتَعَلُّمِ عِلْمِ الدِّينِ، لَا عُذْرَ لِلْجَاهِلِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَدْرِيسُ دَرْسٍ فِي الْعَقِيدَةِ خَيْرٌ مِنَ التَّصَدُّقِ بِمِلْيَارِ لِيرةٍ ذَهَبِيَّةٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْيَوْمَ نَشْرُ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَبَيَانُ الْكُفْرِيَّاتِ أَفْضَلُ مِنْ بِنَاءِ مِلْيُونِ مَسْجِدٍ[1] الِاشْتِغَالُ بِالتَّعْلِيمِ هُوَ الْأَهَمُّ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عِلْمُ الدِّينِ هُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَعَلَيْكُمْ بِالِاسْتِمْرَارِ فِي التَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ لِأَهَالِيكُمْ وَأَصْدِقَائِكُمْ، لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ يَشِبُّونَ وَيَشِيخُونَ وَهُمْ جَاهِلُونَ بِالْعَقِيدَةِ، يَظُنُّونَ أَنَّ اللهَ جِسْمٌ قَاعِدٌ عَلَى الْعَرْشِ وَهَذَا كُفْرٌ، الْيَوْمَ أَكْثَرُ النَّاسِ يَعِيشُونَ مِنْ دُونِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا عِلْمَ التَّوْحِيدِ. اللهُ لَا يَقْبَلُ صَلَاةً وَلَا صِيَامًا وَلَا حَجًّا وَلَا قِرَاءَةَ قُرْءَانٍ إِلَّا مِمَّن عَرَفَ اللهَ».

---

[1] أَيْ إِنْ لَمْ تَدْعُ الضَّرُورَةُ لِبِنَائِهَا.

الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «سَيِّدُنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ جُمْلَةِ حِكَمِهِ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ تَعَلَّمَ وَعَلِمَ وَعَمِلَ بِمَا تَعَلَّمَ فَذَلِكَ يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ. قَبْلَ أَنْ يُعْرَفَ وَيُشْهَرَ بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ جِبْرِيلُ يُنَادِي فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ كُلِّهَا أَيْ مَلائِكَةِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ. هُنَا الْعَدَدُ الَّذِي يَعْرِفُهُ مِنَ الْبَشَرِ قَلِيلٌ، وَلَكِنْ هُنَاكَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ يَعْرِفُونَهُ، وَفِي الْأَرْضِ الْمُؤْمِنُونَ الْأَخْيَارُ يَعْرِفُونَهُ، اللهُ يُلْقِي مَحَبَّتَهُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَخْيَارِ وَلَوْ حَارَبَهُ الْفَاسِدُونَ. الْأَتْقِيَاءُ يُلْقِي اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مَحَبَّتَهُ، الْمَلَائِكَةُ هُمْ أَكْثَرُ خَلْقِ اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْعُلَمَاءُ لَهُمْ شُغْلٌ، لَهُمْ وَظِيفَةُ التَّعْلِيمِ وَالْعَمَلِ وَيَتَهَجَّدُونَ بِاللَّيْلِ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ أَوْ سَاعَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُيَسِّرْ لَهُ عِلْمَ الدِّينِ وَالْعَمَلَ بِهِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ هُمُ الَّذِينَ عَقِيدَتُهُمْ عَقِيدَةُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ، وَفِي الْأَحْكَامِ مُوَافِقٌ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ جَعَلَ حَيَاةً غَيْرَ هَذِهِ الْحَيَاةِ، حَيَاةً لَا نِهَايَةَ لَهَا، بِالنِّسْبَةِ لِهَذِهِ الْحَيَاةِ جَعَلَ أَعْمَارَهُمْ مُتَفَاوِتَةً، جَعَلَ بَعْضَهُمْ قِصَارَ الْعُمُرِ وَجَعَلَ بَعْضَهُمْ طِوَالَ الْعُمُرِ، ثُمَّ عَلَى حَسَبِ الْعَمَلِ، قَدْ يَكُونُ هَذَا عُمُرُهُ قَصِيرًا وَيَكُونُ رَبِحَ مِنَ الْحَسَنَاتِ أَكْثَرَ مِنَ الَّذِي عُمُرُهُ طَوِيلٌ بِسَبَبِ الْعَمَلِ، وَقَدْ يَكُونُ الْعَكْسُ، بَعْضُ النَّاسِ اللهُ يَجْمَعُ لَهُمْ بَيْنَ طُولِ الْعُمُرِ وَبَيْنَ حُسْنِ الْعَمَلِ، هَذَا أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي أَقْصَرُ عُمُرًا مِنْهُ وَأَقَلُّ عَمَلًا، ثُمَّ الْإِنْسَانُ يُسْأَلُ فِي الْآخِرَةِ: هَلْ تَعَلَّمْتَ عِلْمَ الدِّينِ؟ فَإِنْ كَانَ تَعَلَّمَ، يُسْأَلُ سُؤَالًا آخَرَ: هَلْ عَمِلْتَ بِمَا تَعَلَّمْتَ؟ مَا تَعَلَّمْتَ أَنَّهُ فَرْضٌ هَلْ أَدَّيْتَهُ؟ وَمَا تَعَلَّمْتَ أَنَّهُ حَرَامٌ هَلْ تَجَنَّبْتَهُ؟ يُسْأَلُ السُّؤَالَيْنِ، فَمَنْ تَعَلَّمَ عِلْمَ الدِّينِ وَعَمِلَ بِهِ، هَذَا مِنْ خِيَارِ عِبَادِ اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ تَعَلَّمَ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَثَبَتَ عَلَيْهَا وَدَافَعَ عَنْهَا الْمُخَالِفِينَ وَحَذَّرَ النَّاسَ مِنَ الْمُخَالِفِينَ لَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ. الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «**الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ**» هَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثٌ حَسَنٌ. هَذَا وَقْتُنَا يَنْطَبِقُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ لِأَنَّهُ كَثُرَ الدُّعَاةُ بِاسْمِ الدِّينِ إِلَى خِلَافِ الدِّينِ».

فَضْلُ تَعْلِيْمِ عِلْمِ أهلِ السُّنَّةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْعِلْمُ عِلْمُ الدِّينِ دَلِيلُ الْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ وَالنَّجَاةِ فِي الْآخرَةِ، وَبِهِ يُعْلَمُ شُكْرُ اللهِ تعَالَى لِأَنَّ شُكْرَ اللهِ تَعَالَى هُوَ طَاعَتُهُ، أَدَاءُ الْوَاجِبَاتِ وَاجْتِنَابُ الْمُحَرَّمَاتِ، هَذَا الشُّكْرُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «طَلَبُ الِازْدِيَادِ مِنَ الْعِلْمِ دَلِيلُ الْفَلَاحِ وَنَشْرُ عِلْمِ الدِّينِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلُ مِنْ تَوْزِيعِ الْمَالِ عَلَيْهِمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «بُشْرَى عَظِيمَةٌ لِمَنْ يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الدِّينِ، هَذَا أَفْضَلُ فِي هَذَا الزَّمَنِ مِنْ بِنَاءِ أَلْفِ مَسْجِدٍ، لِأَنَّ الْمَسْجِدَ يَكُونُ عَامِرًا بِالْمُصَلِّينَ الَّذينَ عَقِيدَتُهُمْ صَحِيحَةٌ، أَمَّا الْمَسجِدُ الَّذِي يَؤُمُّ فِيهِ مَنْ عَقِيدَتُهُ فَاسِدَةٌ مِنَ الْوَهَّابِيَّةِ أَوْ مِنْ حِزْبِ التَّحْرِيرِ أَوْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ كَالشَّاذِلِيَّةِ الْيَشْرُطِيَّةِ؛ الَّذِي يَؤُمُّ فِيهِ وَاحِدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ هَذَا خَرَابٌ، لَوْ كَانَ يَحْضُرُ فِيهِ مِائَةُ أَلْفِ إنسَانٍ كأَنَّهُ خَرَابٌ كَأَنَّهُ لَا يُصَلَّى فِيهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يَتَقَاعَسُ الْيَوْمَ عَنْ نَشْرِ عِلْمِ أهلِ السُّنَّةِ كَالْفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ، ذَنْبُهُ كَبِيرٌ، فَإِيَّاكُمْ وَالتَّوَانِيَ وَالتَّكَاسُلَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يقُومُ الْيَوْمَ بِحِمَايَةِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالدِّفَاعِ عَنْهَا وَنَشْرِهَا بَيْنَ النَّاسِ وبِمُحَارَبَةِ فِرَقِ الضَّلَالِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْ كُفْرِيَّاتِهِمْ وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ ويَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ويَلْتَزِمُ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي الْأَمْرِ

بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لِحَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَثَوَابُهُ أَكْبَرُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ حَجَّةٍ نَافِلَةٍ وَأَكْثَرُ مِنْ ثوَابِ مِائَتَيْ أَلْفِ رَكعَةٍ نَافِلَة ومِنْ بِنَاءِ خَمْسِمِائَةِ مَسْجِدٍ إِنْ لَمْ تَدْعُ الضَّرُورَةُ لِبِنَائِهَا وَأَكْثَرُ مِنْ ثوَابِ مِائَةِ خَتْمَةٍ مِنَ الْقُرءانِ وإِنْ مَاتَ وَلَوْ عَلَى فِرَاشِهِ لَهُ أَجْرُ شَهِيْدٍ وَلَهُ فِي الْجَنَّةِ مَسَافَةُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَلَوْ كَانَ مُرْتَكِبًا لِبَعْضِ الْكَبَائِرِ تُغْفَرُ لَهُ وَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ ومرتَبَةٌ عَالِيَةٌ فِي الْجَنَّةِ.

وَالَّذِينَ يُدَرِّسُونَ بِمَدَارِسِنَا [كَتَدْرِيسِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ] بِنِيَّةٍ حَسَنَةٍ كَيْ يَتَعَلَّمَ الأَوْلَادُ عِلْمَ الدِّينِ ويُحَذِّرُوا مِنَ الْكُفْرِ وَلِكَيْ لَا يَذْهَبُوا إِلَى أَهْلِ الضَّلَالِ دَاخِلُونَ فِي هَذَا أَيْضًا، وَكُلُّ الْعَامِلِينَ فِي مُؤَسَّسَاتِ الْجَمْعِيَّةِ إِنْ كَانُوا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ دَاخِلُونَ فِي هَذَا أَيْضًا، وَالَّذِينَ يُدَرِّسُونَ عَلَى هَذِهِ الآلَةِ الْكُومْبْيُوتِرِ الإِنْتِرْنَتْ وَيُحَذِّرُونَ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ دَاخِلُونَ فِي هَذَا أَيْضًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنِ اشْتَغَلَ بِالتَّحْذِيرِ مِنْ أَهْلِ الضَّلالِ بِجِدٍّ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِمِلْيُونِ دُولَارٍ مِنْ مَالٍ حَلَالٍ صَدَقَةَ تَطَوُّعٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «وَاجِبٌ عَلَى الَّذِينَ تَعَلَّمُوا الضَّرُورِيَّاتِ أَنْ يُعَلِّمُوا غَيْرَهُمْ حَسَبَ مَا أَخَذُوا مِنَ الْعِلْمِ، عَلَيْهِمْ فَرْضٌ أَنْ يُعَلِّمُوا الَّذِينَ لَمْ يَتَعَلَّمُوا، هَذَا مِنْ بابِ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ. إِذَا رَأَيْتَ شَخْصًا يُخِلُّ بِالْفَرْضِ وَاجِبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ يَا فُلانُ صلِّ صُمْ زَكِّ، وَاجِبٌ عَلَيْكَ. وَوَاجِبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَأْمُرَهُ بِالتَّعَلُّمِ بِتَعَلُّمِ الضَّرُورِيَّاتِ، ثُمَّ إِنْ كَانَ لَا يَتَعَلَّمُ مِنْ غَيْرِكَ أَنْتَ تُعَلِّمُهُ، وَاجِبٌ عَلَيْكَ أَنْ تُعَلِّمَهُ، تَدُلُّهُ عَلَى مَنْ يُعَلِّمُهُ أَوْ أَنْتَ تُعَلِّمُهُ، وَإِلَّا فَعَلَيْكَ ذَنْبٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. لَا يُسْأَلُ عَنْ نَفْسِهِ لِمَ لَمْ تَتَعَلَّمْ لِأَنَّهُ قَدْ تَعَلَّمَ، لَكِنْ يُسْأَلُ لِمَ لَمْ يُعَلِّمْ غَيْرَهُ أَوْ لِمَ لَمْ تَدُلَّهُ إِلَى مَنْ يُعَلِّمُهُ إِنْ كَانَ يَقْبَلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْ غَيْرِكَ. ثُمَّ عَلَى الْمُسلِمِ أَنْ يَنْظُرَ فِي الطَّرِيقَةِ الَّتِي تُقْبَلُ نَصِيحَتُهُ مِنْهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مُكَافَحَةُ الضَّلَالِ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَى أَنْ يَحْصُلَ الْقَدْرُ الَّذِيْ هُوَ فَرْضٌ. تَعْلِيمُ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْيَوْمَ جِهَادٌ يُكَافَحُ بِهِ كُفْرُ الْمُجَسِّمةِ الْمُشَبِّهَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الضَّالِّينَ. جِهَادُ هَؤُلَاءِ بِالْبَيَانِ مِنْ أَفْرَضِ الْفُرُوضِ، فَمَنْ تَكَاسَلَ عَنْ هَذَا فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ اسْتَحَقَّ عَذَابَ اللهِ. أَمَّا الْجِهادُ بِالسِّلَاحِ سَقَطَ عَنَّا لِأَنَّا لَا نَسْتَطِيعُ الْيَوْمَ. **وَلَا يَكفِي تَعْلِيمُ الْأَحْكَامِ الْفِقْهِيَّةِ بِدُونِ تَعْلِيمِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا الْكُفْرُ مِنَ الْإِيمَانِ**. وَنَحْنُ أَهْلُ الْحَقِّ فِي دُرُوسِنَا نُعَلِّمُ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّتِي هِيَ ضِدُّ التَّشْبِيهِ وَالِاعْتِزَالِ.

فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْذُلُوا جُهْدَكُمْ بِأَبْدَانِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ لِتَقْوِيَةِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ صِرْتُمْ دَاخِلِينَ تَحْتَ حَدِيثِ: «**الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ**»، وَالْيَوْمَ كَمَا هُوَ مُعَايَنٌ، صَارَ فَسَادٌ فِي الْأُمَّةِ. قِسْمٌ؛ الْمُشَبِّهَةُ يُشَبِّهونَ اللهَ بِخَلْقِهِ، وَقِسْمٌ؛ يَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ سَبَبٍ شَرْعِيٍّ، وَقِسْمٌ؛ تَرَكُوا التَّوْحِيدَ خَرَجُوا مِنَ التَّوْحِيدِ بِاعْتِقَادِهِمْ عَقِيدةَ الْحُلُولِ أَوْ عَقِيدَةَ الْوَحْدَةِ الْمُطْلَقَةِ. إِنَّ طُرُقَ الضَّلَالِ كَثِيرَةٌ. سُنَّةُ الرَّسُولِ هِيَ الشَّرِيعَةُ، الْعَقِيدَةُ مِنْ بَابِ أَوْلَى ثُمَّ الْأَحْكَامُ، وَهَذَا مُرَادُ الرَّسُولِ بِقَوْلِهِ: «**سُنَّتِي**»».

وَقَالَ رضي الله عنه: «فَالْمَطْلُوبُ مِنَّا أَنْ نَتَكَلَّمَ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَلَا سِيَّمَا فِي التَّنْزِيهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ نَرْجُو فِيهِ حُصُولَ الْفَائِدَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَعْلِيمُ دَرْسٍ فِي الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الصَّحِيحَةِ بِنِيَّةٍ صَحِيحَةٍ أَفْضَلُ مِنْ صِيَامِ سَنَةٍ وَقِيَامِهَا أَيْ مِنَ النَّوَافِلِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَدْرِيسُ دَرْسٍ أَوْ دَرْسَيْنِ فِي الْعَقِيدَةِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ نَافِلَةٍ، لِأَنَّ هَذَا فِيهِ حِفْظُ أَصْلِ الدِّينِ».

الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْعُلَمَاءُ الصَّالِحُونَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ».

وَقَالَ رضي الله عنه لِابْنِهِ: «إِذَا دَخَلْتَ عَلَى عَالِمٍ يَتَحَدَّثُ فَاحْرِصْ عَلَى أَنْ لَا تُقَاطِعَهُ وَتَعَلَّمْ حُسْنَ الْإِصْغَاءِ وَتَعَلَّمْ حُسْنَ الِاسْتِمَاعِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ وَحُسْنِ مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مِنْ آدَابِ الْمُعَلِّمِ وَالْمُتَعَلِّمِ التَّوَاضُعُ، الْمُعَلِّمُ يَتَوَاضَعُ لِمَنْ يُعَلِّمُهُمْ، لِا يَتَرَفَّعُ عَلَيْهِمْ، يَكُونُ رَحِيمًا بِهِمْ وَشَفِيقًا، وَالْمُتَعَلِّمُ يَكُونُ مُتَوَاضِعًا لِمُعَلِّمِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «السَّكِينَةُ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ فِي مَجَالِسِ الْعِلْمِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «طَالِبُ الْعِلْمِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ وَاعِيًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْعِلْمُ يَحْتَاجُ إِلَى قَلْبٍ وَاعٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَجْلِسُ الْعِلْمِ مِنْ ءَادَابِهِ الصَّمْتُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الدَّاعِي إِلَى الدِّينِ حَلِيمًا وَتَارِكًا لِلْغَضَبِ وَمُتَوَاضِعًا لِمَنْ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ وَلِمَنْ يُخَاطِبُهُمْ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ أَوِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَقَانِعًا بِالْيَسِيرِ مِنَ الرِّزْقِ وَتَارِكًا لِلْغَضَبِ إِلَّا للهِ.

الْحَلِيمُ: هُوَ الَّذِي لَا يَسْتَفِزُّهُ الْغَضَبُ.

التَّوَاضُعُ: تَرْكُ التَّرَفُّعِ عَلَى الْغَيْرِ».

الْعَالِمُ الْمُتَهَتِّكُ وَالْجَاهِلُ الْمُتَنَسِّكُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه:

«فَسَادٌ كَبِيرٌ عَالِمٌ مُتَهَتِّكُ وَأَكْبَرُ مِنْهُ جَاهِلٌ مُتَنَسِّكُ»
فَسَادُ النَّاسِ مِنْ هَذَيْنِ: الْجَاهِلِ الْمُتَنَسِّكِ الَّذِي يَدَّعِي الْمَشْيَخَةَ وَالطَّرِيقَةَ وَالتَّصَوُّفَ، وَالْعَالِمِ الْمُتَهَتِّكِ الَّذِي لَا يَعْمَلُ بِشَرِيعَةِ اللهِ، هَذَانِ فِتْنَتَانِ عَلَى الأُمَّةِ.

طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ : «الشَّافِعِيَّةُ طَبَقَاتٌ، الْمُجْتَهِدُ الْمُطْلَقُ ثُمَّ أَصْحَابُ الْوُجُوهِ ثُمَّ بَعْدَهُمْ أَصْحَابُ التَّرْجِيحِ ثُمَّ بَعْدَهُمُ الْمُفْتِي، الْمُفْتِي لَيْسَ شَرْطًا أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْوُجُوهِ وَمِنْ أَصْحَابِ التَّرْجِيحِ بَلْ يَكْفِي فِيهِ أَنْ يَحْفَظَ أَكْثَرَ مَسَائِلِ الْمَذْهَبِ».

فوائد متنوعة

اتِّبَاعُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مَن أَحَبَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقتَدِي بهِ، الرَّسُولُ كَانَ كَثِيرَ الصَّمْتِ فَاقْتَدُوا بِهِ وَإِلَّا فَإِنَّكُم عَلَى خَطَرٍ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَثُرَ كَلَامُهُ يَكْثُرُ سَقَطُهُ وَهَذَا السَّقطُ قَدْ يَكُونُ مَعْصِيَةً أَوْ كُفرًا، فَمَنْ أَطَالَ الصَّمْتَ حَفِظَ نَفْسَهُ مِنْ هَذَا وَمِنْ هَذَا. اشْفَقُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ وَعَلَى غَيْرِكُمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يُرِيدُ الْفَلَاحَ يَقْتَدِي بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ».

بَابُ الْجِهَادِ وَاسِعٌ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أَمَامَكُمْ بَابُ جِهَادٍ وَاسِعٌ فِي هَذَا الْبَلَدِ، تَعْرِفُونَ، أَكْثَرُ النَّاسِ يَجْهَلُون الضَّرُوْرِيَّاتِ مِنَ الْعَقِيدَة وَمِنَ الْأَحْكَامِ، حَتَّى بَعْضُ أَصْحَابِ الْعَمَائِمِ يَجهَلُونَ الضَّرُورِيَّاتِ، فِي هَذَا الْوَقْتِ الِاشْتِغَالُ بتَعْلِيمِ النَّاسِ الضَّرُوْرِيَّاتِ هَذَا أَهَمُّ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ الْوَاحِدُ يَقْرَأُ عَشْرَةَ آلَافِ، اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَلْفَ تَهْلِيْلَةٍ كُلَّ يَوْمٍ. فِي رَمَضَانَ كُلِّهِ رَكَعَاتُ التَّرَاوِيحِ لَا يَجِيْءُ عَدَدُهَا أَلْفَ رَكْعَةٍ، الَّذِي يَخْرُجُ لِيَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ ثَوَابُهُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ رَكَعَاتِ قِيَامِ رَمَضَانَ، لَوْ كَانَتْ تَبْلُغُ رَكَعَاتُ التَّرَاوِيحِ أَلْفَ رَكْعَةٍ، هَذَا الَّذِي يَذْهَبُ لِيَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعلْمِ أفْضَلُ عِنْدَ اللهِ، وَلَا سِيَّمَا فِي مِثْلِ هَذَا الزَّمَنِ الَّذِي كَثُرَ الْجَهْلُ بِالضَّرُوْرِيَّاتِ. أَوْقَاتُكُمُ اصْرِفُوْها فِي الْوَاجِبَاتِ بَدَلَ أَنْ تَصْرِفُوهَا فِي النَّوافِلِ، أَذْكُرُ كَذَا وَكَذَا، بَدَلَ أَنْ يَنْشَغِلَ بِهَذَا لِيَنْشغِلْ بِالضَّرُورِيَّاتِ، إِنْ كَانَ حَصَّلَ لِنَفْسِهِ الضَّرُوريّاتِ لِيَسْعَ لتَفْهِيمِ غَيْرِه، لتَعْلِيمِ غيرِهِ، لِإِنْقَاذِهِمْ مِنَ الْهَلَاكِ، هَذَا مِنْ بَابِ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ، لِأَنَّ الْجَهْلَ بِالضَّرُوريَّاتِ مُنْكَرٌ وَأَيُّ مُنْكَرٍ، هَذَا أَنْفَعُ مِنْ أَنْ تَنْشَغِلُوا بِالْأَوْرَادِ. هَذَا تَشَرَّبَ عَقِيدَةَ حِزْبِ الْإِخْوَانِ، وَهَذَا تَشَرَّبَ عَقِيدَةَ حِزْبِ التَّحْرِيرِ، الَّذِي يَقُولُ يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُقَبِّلَ

الْمَرأةَ الْأَجْنَبِيَّةَ بِشَهْوَةٍ وبِدُونِ شهوةٍ وَيُجَادِلُ عَلَى ذَلِكَ، كَسْرُ هؤلَاءِ بِالدَّليلِ أهَمُّ مِنْ أَنْ يُصَلِّيَ الْوَاحِدُ أَلْفَ رَكْعَةٍ تَطَوُّعًا. كَذلِكَ جَمَاعَةُ أَمِين شَيخُو يَقُوْلُوْنَ نَحْنُ نَقْشَبَنْدِيَّةٌ ويَقُولُونَ الْعِلْمُ يَأْتِي مِن قُلُوبِ مَشَايِخِنَا مِنَ الرَّسُولِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَمِنْ قَلْبِ أَبِي بَكْرٍ إِلَى فُلَانٍ ثُمَّ إِلَى فُلَانٍ ثُمَّ إِلَى فُلَانٍ إِلَى قَلْبِ شَيْخِنَا الْحَاضِرِ الْحَيِّ الْمَوْجُودِ الْآنَ. أَمِين شَيْخُو تُوُفِّيَ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً تَقْرِيبًا، ثُمَّ خَليفَتُه الَّذِي فِي الشَّامِ عَبْدُ الْهَادِي الْبَانِي الْآنَ، عِنْدَهُمْ مِن دُونِ دِرَاسَةٍ يَقُولُونَ الْعِلْمُ نُورٌ فَيْضٌ يَسري مِنْ قَلْبِهِ إِلَى قُلُوْبِنَا، مُجَاهَدَةُ هَؤُلَاءِ أَهَمُّ مِن أَنْ يَذْكُرَ الْوَاحِدُ كُلَّ يومٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَلْفَ تَسْبِيحَةٍ وَتَهْلِيلَةٍ وَمِنْ أَنْ يُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ كُلَّ يَوْمٍ. وَأَمَّا الَّذِي تَفَرَّغَ، إِذَا كَانَ يُوجَدُ غَيْرُهُ مَنْ يُعَلِّمُ بِقَدْرِ الْكِفَايَةِ، فَتَفَرَّغَ لِلذِّكْرِ بَعْدَ أَنْ حَصَّلَ لِنَفْسِهِ الضَّرُورِيَّ هَذَا يَتَرَقَّى، أَمَّا أَنْ يَتْرُك هَذَا الْبَابَ وَيَنْشَغِلَ بِالْوِرْدِ هَذَا غُرُورٌ. الذِّكْرُ وَأَنْتَ مَاشِي تَذْكُرُ، وَأَنْتَ مَعَ النَّاسِ جَالِسٌ، وَأَنْتَ تَسْمَعُ الدَّرْسَ الدِّينِيَّ تَذْكُرُ سِرًّا، التَّهْلِيلَ أَوِ التَّسْبِيحَ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، الذِّكْرُ وَلَوْ فِي حَالِ الِاضْطِجَاعِ إِلَى أَنْ يَأْخُذَكَ النَّوْمُ تَذْكُرُ، مَجَالُ الذِّكْرِ وَاسِعٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْجِهَادُ قِسْمَانِ: جِهَادٌ بِالسِّنَانِ أَيْ السِّلَاحِ وَجِهَادٌ بِالْبَيَانِ. الْجِهَادُ بِالسِّلَاحِ، هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ تَكَالَبُوا عَلَيْنَا فَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، أَمَّا الْجِهَادُ بِالْبَيَانِ الْيَوْمَ فِي إِمْكَانِنَا، الْجِهادُ بِالْبَيَانِ وَالْجِدَالِ لِإِحْقَاقِ الْحَقِّ فَرْضٌ وَلَا سِيَّمَا فِي هَذَا الزَّمَنِ الَّذِي كَثُرَ فِيهِ الْمُنْحَرِفُونَ عَنْ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ. فَتَعلُّمُ الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ لِإِبْطَالِ أَقْوَالِ هَؤُلَاءِ مِنْ أَفْرَضِ الْفُرُوضِ، أَهَمُّ مِنْ حَجِّ النَّفْلِ، وَفِي هَذَا فَلْيَرْغَبِ الرَّاغِبُونَ وَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْيَوْمَ مَنْ يَسَّرَ اللهُ لَهُ عِلْمَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالثَّبَاتَ عَلَيْهِ وَالدِّفاعَ عَنْهُ وَتَحْذِيرَ النَّاسِ مِمَّا يُخَالِفُ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ فَلْيَحْمَدِ اللهَ تَعَالَى وَلْيَسْتَبْشِرْ بِمَا وَعَدَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِفَاعِلِهِ مِنْ دَرَجَةِ الشَّهَادَةِ، ذَاكَ الشَّهِيدُ بَذَلَ نَفْسَهُ للهِ تَعَالَى

وَهَذَا يَمُوتُ عَلَى فِرَاشِهِ وَيَنَالُ دَرَجَةَ ذَلِكَ الشَّهِيْدِ الَّذِي بَذَلَ مُهْجَتَهُ لِإِرْضَاءِ اللهِ تَعَالَى وَنُصْرَةِ دِينِهِ، فَعَلَيْكُمْ بِاغْتِنَامِ هَذَا الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ».

الْجِهَادُ الْيَوْمَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «جِهَادُ الْعَصْرِ كَشْفُ الضَّالِّين وَإِحْقَاقُ الْحَقِّ. إِظْهَارُ الْحَقِّ وَكَشْفُ الضَّالِّين، هَذَا جِهَادُ الْعَصْرِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَنْتُمُ اشكُرُوْا اللهَ بِالازدِيَادِ بِالْعَمَلِ لِأَجْلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ بِأَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، هَذَا جِهَادٌ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَاهِدُوْا اللهَ فِي نُفُوْسِكُمْ عَلَى الْعَمَلِ بِالخَيْرِ وَالِاجْتِهَادِ فِي سَبِيْلِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْآنَ أَهَمُّ الْأُمُوْرِ نَشْرُ الْمَفَاهِيْمِ الصَّحِيحَةِ لِلْعَقِيدَةِ وَالْأَحْكَامِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كُلُّ فَرْدٍ لِيَشْتَغِلْ بِالتَّوْحِيدِ، فِي مَجَالِسِكُمْ وَفِي أَسْفَارِكُمْ انْشُرُوا التَّوْحِيْدَ، تَكَلَّمُوا بِالتَّوْحِيدِ أَيْنَمَا كُنْتُمْ فِي الْبُيُوتِ وَغَيْرِ الْبُيُوتِ، فِي رِحْلَةِ الْحَجِّ أَوِ الْعُمْرَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِصْلَاحُ الْفَسَادِ يَحْتَاجُ إِلَى بَذْلِ الْجُهْدِ، انْوُوْا أَنْ تُصْلِحُوا الْفَسَادَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يَذُبُّ(1) عَنْ دِينِ اللهِ، عَنْ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ فَهُوَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، لَوْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ يَمُوتُ شَهِيدًا، لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ فِي هَذَا الزَّمَنِ الَّذِي كَثُرَ فِيْهِ الْمُغَيِّرُونَ لِدِينِ اللهِ. مَنْ رَدَّ عَلَيْهِمْ كَأَنَّهُ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ الْكُفَّارَ بِالسِّلَاحِ إِنْ رَجَعَ سَالِمًا لَهُ أَجْرٌ كَبِيرٌ، وَإِنْ مَاتَ يَكُونُ شَهِيدًا، يَعْتَقِدُ عَقِيدَةَ أَهْلِ الْحَقِّ وَيُدَافِعُ

(1) أي يدافع.

عَنْهَا الْمُنْحَرِفِينَ هَذَا كَأَنَّهُ يُقَاتِلُ الْكُفَّارَ بِالسِّلَاحِ إِنْ رَجَعَ سَالِمًا فَهُوَ لَهُ أَجْرٌ كَبِيرٌ عِنْدَ اللهِ».

الدِّفَاعُ عَنِ الدِّينِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الَّذِي يَذُبُّ عَنْ دِينِ اللهِ عَنْ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ فَهُوَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، لَوْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ يَمُوتُ شَهِيدًا، لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ. فِي هَذَا الزَّمَنِ الَّذِي كَثُرَ فِيهِ الْمُغَيِّرُونَ لِدِينِ اللهِ مَنْ رَدَّ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ يُقَاتِلُ الْكُفَّارَ بِالسِّلَاحِ فَإِنْ رَجَعَ سَالِمًا لَهُ أَجْرٌ كَبِيرٌ وَإِنْ مَاتَ يَكُونُ شَهِيدًا، هَذَا مِثْلُ هَذَا.

الذي يَعْتَقِدُ عَقِيدَةَ أَهْلِ الْحَقِّ وَيُدَافِعُ عَنْهَا الْمُنْحَرِفِينَ هَذَا كَأَنَّه يُقَاتِلُ الْكُفَّارَ بِالسِّلَاحِ إِنْ رَجَعَ سَالِمًا فَلَهُ أَجْرٌ كَبِيرٌ عِنْدَ اللهِ، فِي الْجَنَّةِ اللهُ تَعَالَى أَعَدَّ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مِائَةَ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ دَرَجَةٍ وَدَرَجَةٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ.

هَذِهِ الْمِائَةُ دَرَجَةٍ لِلْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ الْكُفَّارَ بِالسِّلَاحِ وَالَّذِينَ يُدَافِعُونَ عَنْ دِينِ اللهِ فِي هَذَا الزَّمَنِ الَّذِي كَثُرَ فِيهِ الْمُفْسِدُونَ. لِأَنَّ الثُّبُوتَ عَلَى الْعَقِيدَةِ وَالدِّفَاعَ عَنْهَا وَالرَّدَّ عَلَى مَنْ يُحَرِّفُهَا كَالَّذِي يُجَاهِدُ الْكُفَّارَ بِالسِّلَاحِ».

الشَّهَادَةُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**مَنْ يَسْأَلِ اللهَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**»، عَلِّقُوا قُلُوبَكُمْ عَلَى طَلَبِ الشَّهَادَةِ.

كُلُّ وَاحِدٍ لِيَنْوِ أَنَّهُ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ لِيَمُوتَ شَهِيدًا لِيَسْتَشْهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ كُلُّ وَاحِدٍ. ثُمَّ مَنْ كَتَبَ اللهُ لَهُ أَنْ يَمُوتَ شَهِيدًا مِنْكُمْ مَاتَ شَهِيدًا وَقُتِلَ شَهِيدًا، وَمَنْ لَمْ يَشَأْ، مَنْ لَمْ يَكْتُبِ اللهُ لَهُ أَنْ يَمُوتَ شَهِيدًا كَتَبَ اللهُ لَهُ أَجْرَ شَهِيدٍ[1]».

الْمُتَمَسِّكُ فِيهِ بِالدِّينِ كَقَابِضٍ عَلَى جَمْرٍ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي أَخْبَرَ الرَّسُولُ بِأَنَّ الْمُتَمَسِّكَ فِيهِ بِالدِّينِ كَقَابِضٍ عَلَى جَمْرٍ، يُعَارِضُكَ قَرِيبُكَ وَالْأَبَاعِدُ يُعَارِضُونَكَ عَلَى قَوْلِ الحَقِّ، إِنْ أَرَدتَ أَنْ تُصْلِحَ لَهُمْ فَسَادَهُمْ يُقَابِلُونَكَ بِالإِنْكَارِ وَالسَّبِّ وَالْأَذَى، هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي قَالَ الرَّسُولُ [فِيهِ]: «**الْمُتَمَسِّكُ فِيهِ بِالدِّينِ كَقَابِضٍ عَلَى جَمْرٍ**» مَعْنَاهُ يُقَاسِي أَذًى مِنَ النَّاسِ وَبِشِدَّةٍ».

حُرَّاسُ الْعَقِيدَةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ١١١﴾** [سورة التوبة]. لَيْسَ هَذَا الِاشْتِرَاءُ مِثْلَ الِاشْتِرَاءِ الْعَادِيِّ، اللهُ تَعَالَى هُوَ مَالِكُ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، هُوَ خَلَقَهُمْ، هُوَ أَعْطَاهُمْ هَذِهِ الْجَوَارِحَ وَالْقُوَّةَ، كُلُّ نِعْمَةٍ هِيَ فِيهِمْ هِيَ مِنْهُ، وَمَعَ ذَلِكَ وَعَدَ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَدَهُمُ الْجَنَّةَ، هُوَ مُتَفَضِّلٌ مُتَكَرِّمٌ عَلَيْهِمْ، رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَصَّكُمْ بِعِنَايَتِهِ بِأَمْرٍ حُرِمَهُ الْيَوْمَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي كَثِيرٍ مِنَ النَّوَاحِي وَهُوَ أَنَّكُمْ تَعْتَقِدُونَ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا السَّلَفُ وَالْخَلَفُ وَتُدَافِعُونَ عَنْهَا وَتُنَاضِلُونَ بِبَيَانِ الْأَدِلَّةِ النَّاقِضَةِ لِأُصُولِ عَقَائِدِ الْمُخَالِفِينَ وَهَذَا

---

(1) المسلم الذي يثبت على عقيدة أهل السنة والجماعة ويعمل على نشرها ومكافحة المنكرات بأنواعها، لو مات في بيته على فراشه له أجرٌ يشبه أجر الشهداء ولو لم يُقتل في أرض المعركة ولو لم يمت شهيدا، بما هو عليه له ثوابٌ يشبه ثواب المجاهدين في سبيل الله الذين ينالون الشهادة.

مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ، وَقَدْ حَصَلَ أَمْرٌ يَشْهَدُ لِذَلِكَ وَهُوَ أَنَّ ثَلاثَةً مِنْ إِخْوَانِنَا قَبْلَ سَبْعِ سِنِينَ ذَهَبُوا إِلَى حِمْصَ وَقَصَدُوا رَجُلًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ فَاسْتَدَلُّوا عَلَيْهِ حَتَّى وَصَلُوا إِلَيْهِ فَبِمُجَرَّدِ مَا وَقَعَ نَظَرُهُمْ عَلَيْهِ قَالَ حُرَّاسُ الْعَقِيدَةِ حُرَّاسُ الْعَقِيدَةِ بِصَوْتٍ عَالٍ وَلَا يَعْرِفُونَهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا يَعْرِفُهُمْ، هَذِهِ بِشَارَةٌ كَبِيرَةٌ فَانْشُرُوهَا فِيمَا بَيْنَكُمْ».

الْأَشَاعِرَةُ وَالْمَاتُرِيدِيَّةُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**افْتَرَقَت الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي** - هَذِهِ الْأُمَّةُ - **عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**». الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنَّهُ سَيَحْصُلُ اخْتِلَافٌ فِي الْعَقِيدَة فِي أُمَّتِهِ فَقَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**». هَذِهِ الْوَاحِدَةُ الَّتِي عَقِيدَتُهَا مَقْبُولَةٌ عِنْدَ اللهِ الَّتِي تُوصِلُ إِلَى الْجَنَّةِ هِيَ فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الْفِرْقَةُ الَّتِي بَقِيَتْ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا كُلُّهُمْ عَلَى عَقِيدَةٍ وَاحِدَةٍ، مَا كَانَ بَيْنَهُمُ اخْتِلَافٌ فِي الْعَقِيدَةِ. وَهَذِهِ الْفِرقَةُ هِيَ الْأَكْثَرُ، أُولَئِكَ تَعَدَّدَتْ أَسَامِيهِمْ، مَعَ هَذَا هَذِهِ الْفِرْقَةُ الْوَاحِدَةُ الَّتِي قَالَ الرَّسُولُ إِنَّهَا الْجَمَاعَةُ أَكْثَرُ عَدَدًا وَالْحَمْدُ للهِ عَلَى ذَلِكَ، إِلَى يَوْمِنَا أَهلُ السُّنَّةِ هُمْ أَكْثَرُ الْأُمَّةِ. وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ [أَيِ الاثْنَتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةً] إِلَّا نَحْوَ أَرْبَعِ فِرَقٍ. هَذِهِ الْفِرقَةُ الْوَاحِدَةُ تُسَمَّى أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، ثُمَّ ظَهَرَ فِي أَوَّلِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ إِمَامَانِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ أَحَدُهُمَا أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ وَالْآخَرُ أَبُو مَنْصُورٍ الْمَاتُرِيدِيُّ كِلَاهُمَا أَهْلُ السُّنَّةِ، وَأَكْثَرُ الْفَرِيقَيْنِ الْأَشْعَرِيَّةُ، الْآنَ كَأَنَّ كُلَّ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ أَشْعَرِيَّةٌ».

الْفَهْمُ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْفَهمُ خَيْرُ مَا يُعْطَاهُ الْإِنْسَانُ، مَنْ أُعْطِيَ الْفَهْمَ الصَّحِيحَ فَهُوَ عَلَى خَيْرٍ عَظِيمٍ، أَمَّا مَنْ حُرِمَ الْفَهْمَ الصَّحِيحَ فَلَا يَنْفَعُهُ شَىْءٌ لَوْ حَفِظَ أَلْفَ مُجَلَّدٍ. ابْنُ تَيْمِيَةَ كَانَ يَحْفَظُ ءَالَافًا مُؤَلَّفَةً مِنَ الْحَدِيثِ وَمَعَ هَذَا اللهُ مَا رَزَقَهُ الْفَهْمَ، كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ جِسْمٌ بِقَدْرِ الْعَرْشِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مِنْ أَسْبَابِ الْخِذْلانِ وَالتَّدَهْوُرِ فِي أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا الْكَسَلُ أَيْ ضعْفُ الْهِمَّةِ عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَالْعَجْزُ أَيْ سُوْءُ الْفَهْمِ لِطُرُقِ الْمَصَالِحِ.

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُحِبُّ عِلْمَ الدِّينِ وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عِلْمُ الدِّيْنِ الْغَلَطُ فِيْهِ أَمْرٌ عَظِيْمٌ، أَمَّا عِلْمُ الدُّنْيَا مَنْ غَلِطَ فِيهِ لَيْسَ عَلَيْهِ كَبِيرُ غَلَطٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْمُعْجِزَاتُ لَا يَهْتَدِي بِهَا إِلَّا مَنْ هَدَى اللهُ قَلْبَهُ، فَمَنْ فَتَحَ اللهُ قَلْبَهُ لِلْخَيْرِ هُوَ الَّذِي يَهْتَدِي بِمُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، أَمَّا الَّذِينَ لَمْ يَفْتَحِ اللهُ قُلُوبَهُمْ بَلْ وَضَعَ عَلَيْهَا أَقْفَالًا كَمَا يُوضَعُ عَلَى الْأَبْوَابِ أَقْفَالٌ هَؤُلَاءِ لَا يَهْتَدُونَ، عَلَى الْقُلُوبِ أَقْفَالٌ مَعْنَوِيَةٌ، وَمَنِ الَّذِي يَضَعُ تِلْكَ الْأَقْفَالَ؟ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي يَضَعُهَا، أَمَّا هَذِهِ الْأَقْفَالُ الَّتِي نَسْتَعْمِلُهَا نَحْنُ بِقُدْرَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَبِالْمُبَاشَرَةِ نُرَكِّبُ عَلَيْهَا الْأَقْفَالَ، أَمَّا تِلْكَ أَيْ أَقْفَالُ الْقُلُوبِ لَا يَفْتَحُهَا إِلَّا خَالِقُهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «خَيْرُ مَا يُؤْتَاهُ الْإِنْسَانُ الْفَهْمُ».

عَمَى الْقَلْبِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «عَمَى الْقَلْبِ نَوْعَانِ الْجَهْلُ بِالْإِسْلَامِ، الْجَهْلُ بِحَقِّيَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْجَهْلُ بِالْحُقُوقِ الَّتِي هِيَ دُونَ ذَلِكَ، كُلٌّ يُقَالُ لَهُ عَمَى الْقَلْبِ».

التَّعَصُّبُ لِلظَّالِمِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْوَلَدُ إِنْ تَعَصَّبَ لِأُمِّه إِنْ كَانَتْ ظَالِمَةً فَيَا وَيْلَهُ، كَذَلِكَ إِنْ تَعَصَّبَ الْوَلَدُ لِأَبِيهِ الظَّالِمِ لِأُمِّهِ فَيَا وَيْلَهُ، لَا يَجُوزُ لِلْوَلَدِ أَنْ يَتَعَصَّبَ لِلظَّالِمِ مِنَ الْأَبِ أَوِ الْأُمِّ، فَالنَّجَاةُ أَنْ يَقُولَ إِنْ عَلِمَ أَنَّ أَبَاهُ هُوَ الظَّالِمُ لِأُمِّهِ أَنْ يَقُولَ: يَا أَبِي اتَّقِ اللهَ فِي أُمِّي، وَالْأُمُّ إِنْ كَانَتْ هِيَ تَظْلِمُ الْأَبَ يَقُولُ: يَا أُمِّي اتَّقِي اللهَ فِي أَبِي أَيْ كُفِّي عن ذلِكَ لَا تَظْلِمِيهِ، هَذَا يَنْجُو وَلَهُ ثَوَابٌ».

اللهُ تَعَالَى قَسَّمَ الْعُقُولَ بَيْنَ عِبَادِهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اللهُ تَعَالَى قَسَّمَ الْعُقُوْلَ بَيْنَ عِبَادِهِ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى، هَذَا عَقْلُهُ لَهُ غَايَةٌ يَنْتَهِي إِلَيْهَا، وَهَذَا عَقْلُهُ لَهُ غَايَةٌ يَنْتَهِي إِلَيْهَا، كَمَا جَعَلَ صُوَرَهُمْ فِيْهَا فُرُوْقٌ جَعَلَ عُقُوْلَهُمْ مُخْتَلِفَةً، العَقْلُ القَوِيُّ يَعْرِفُ أَنَّ خَالِقَ العَالَمِ لا يَكُوْنُ لَهُ حَجْمٌ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ للهِ حَجْمٌ لَكَانَ مِثْلَ غَيْرِهِ، لَكَانَ مَخْلُوْقًا».

تَضْيِيعُ الْوَقْتِ بِمَا لَا خَيْرَ فِيهِ خَسَارَةٌ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «تَضْيِيعُ الْأَوْقَاتِ عَنِ الْمُهِمِّ، عَنِ الِاسْتِفَادَةِ فِي الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ خَسَارَةٌ، فَاغْتَنِمُوْا أَوْقَاتَكُمْ، لَا تُضَيِّعُوهَا بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَوْقَاتُكُمُ اصْرِفُوْهَا فِي الْوَاجِبَاتِ بَدَلَ أَنْ تَصْرِفُوهَا فِي النَّوَافِلِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «فِي هَذَا الزَّمَنِ كَثُرَتِ الْغَفْلَةُ فِي النَّاسِ، قَدْ يَعِيشُ الْمُسْلِمُ مِنْ جَهْلِهِ بِعِلْمِ الدِّيْنِ وَغَفْلَةِ قَلْبِهِ لَا يَسْتَغْفِرُ لِأَبَوَيْهِ الْمُسْلِمَيْنِ، يَقْضِي أَوْقَاتَهُ فِي التِّلِفِزْيُونِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمُلْهِيَاتِ، هَذَا خِلَافُ ءَادَابِ الْإِسْلَامِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَضْيِيعُ الْأَوْقَاتِ عَنِ اسْتِفَادَةِ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ خَسَارَةٌ، فَاغْتَنِمُوا أَوْقَاتَكُمْ لَا تُضَيِّعُوهَا بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ».

الْغَفْلَةُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «بَعْضُ النَّاسِ تَأَسَّسَتْ مَحَبَّةُ الدُّنْيَا فِي نُفُوسِهِم، مَحَبَّةُ الدُّنْيَا انْغَرَزَتْ فِي نُفُوسِهِمْ فَيَتَأَثَّرُونَ لِأُمُورِ الدُّنْيَا، أَمَّا لِأُمُورِ الدِّينِ لَا يَتَأَثَّرُونَ، إِذَا سُبَّ اللهُ أَمَامَهُمْ قَدْ يَضْحَكُونَ لِلشَّخْصِ الَّذِي سَبَّ اللهَ».

الْخَمْرُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «وَرَدَ فِي وَعِيدِ شَارِبِ الْخَمْرِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ وَهُوَ: «**الْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ كَعَابِدِ وَثَنٍ**». مَعْنَاهُ ذَنْبُهُ كَبِيرٌ. الْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ أَي يُوَاظِبُ يُدَاوِمُ هَذَا ذَنْبُهُ كَبِيرٌ كَأَنَّهُ يَعْبُدُ الْوَثَنَ وَقَدْ يُبْتَلَى بِسُوءِ الْخَاتِمَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ، بَعْضُ النَّاسِ الشَّيْطَانُ يَتَخَبَّطُهُمْ يُحَرِّكُهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ، يَأْتِيهِمُ الشَّيْطَانُ بِخَوَاطِرَ خَبِيثَةٍ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَكْفُرُونَ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ، وإِنَ لَمْ يَنْطِقْ بِالْكُفْرِ فالنَّاسُ الَّذِينَ حَوْلَهُ كذلك لَا يَعْرِفُونَ.

الْخَمْرُ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ لَكِنْ هِيَ أَخَفُّ مِنَ الزِّنَى، بَعْدَ قَتْلِ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ أَشَدُّ الذُّنُوبِ الزِّنَى بَعْدَهُ الرِّبَا وَالْخَمْرُ وَتَرْكُ الصَّلَاةِ، هَذِهِ الْأَشْيَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ».

الْخَلْوَةُ الْمُحَرَّمَةُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الشَّرِيعَةُ كُلُّ أَحْكَامِهَا حِكْمَةٌ لَكِنْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يُدْرِكُونَ الحِكْمَةَ لِقُصُورِ أَفْهَامِهِمْ.

الشَّرْعُ مَا حَرَّمَ الْخَلْوَةَ بِأَقَارِبِ زَوْجِ الْمَرْأَةِ إِلَّا لِحِكْمَةٍ عَظِيمَةٍ. حَصَلَتْ حَادِثَةٌ فِي الْحَبَشَةِ غَرِيبَةٌ، رَجُلٌ تَاجِرٌ تَرَكَ ابْنَ أَخِيهِ فِي الْبَيْتِ وَالزَّوْجَةَ فِي الْبَيْتِ فَذَهَبَ إِلَى عَمَلِهِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْبَيْتِ، فَوَجَدَهُمَا عَلَى حَالَةٍ مُرِيبَةٍ، أَخَذَ ابْنَ أَخِيهِ وَفَصَلَ أُذُنَهُ بِالسِّكِّينِ، وَعَذَّبَ زَوْجَتَهُ، هُوَ السَّبَبُ.

الشَّيْطَانُ يَعْرِفُ أَنَّ هَذَا الْحَمْو، وَأَنَّ هَذَا غَيْرُ الْحَمْو، يُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا؟!

فَتَرَكَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ هَذَا الْعَارَ، النَّاسُ لَمَّا يَرَوْنَهُ، يَقُولُونَ: مَا سَبَبُ هَذَا؟ يُقَالُ عَمُّهُ قَطَعَ أُذُنَهُ لِكَذَا.

كَذَلِكَ الْمُصَافَحَةُ، الشَّرْعُ حَرَّمَهَا، مُصَافَحَةُ الْأَجْنَبِيَّةِ لِلْأَجْنَبِيِّ، حَرَّمَهَا لِحِكْمَةٍ، لِأَنَّ الشَّخْصَ قَدْ تَكُونُ نِيَّتُهُ، مَا فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الشَّهْوَةِ، يُصَافِحُ لِلْعَادَةِ ثُمَّ بَعْدَ لَمْسِ الْيَدِ لِلْيَدِ، يُحْدِثُ فِيهِ الشَّيْطَانُ نِيَّةً خَبِيثَةً فَيَنْجَرُّ لِلزِّنَا.

مَرَّةً قَالَ رَجُلٌ: يَا أُسْتَاذُ تَصْدِيقًا لِكَلَامِكَ ذَكَرَ لِي رَجُلٌ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَمِعُ بِامْرَأَةٍ وَيَرَاهَا، وَمَا يَحْصُلُ مِنْهُ تَحَرُّكٌ لَهَا، ثُمَّ مَرَّةً صَافَحَهَا فَانْجَرَّ إِلَى الْفَاحِشَةِ مَعَهَا، لِأَنَّ الْيَدَ قَدْ تَخْتَلِفُ، يَدٌ لَيِّنَةٌ طَرِيَّةٌ، وَيَدٌ خَشِنَةٌ، وَفَرْقٌ بَيْنَ لَمْسِ الْيَدِ الْخَشِنَةِ وَالْيَدِ اللَّيِّنَةِ.

حَدِيثٌ: «**الْحَمْو الْمَوْتُ**»، مَعْنَاهُ خَطَرُهُ أَعْظَمُ، أَقَارِبُ زَوْجِ الْمَرْأَةِ خَلْوَتُهُمْ بِزَوْجَتِهِ، أَشَدُّ خَطَرًا مِنْ خَلْوَةِ الْغَيْرِ، لِأَنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: هَذَا قَرِيبُ زَوْجِهَا، أَخُو زَوْجِهَا، أَوِ ابْنُ أَخِي زَوْجِهَا فَلَا يُفَكِّرُونَ فِي أَنَّ هَذِهِ الْخَلْوَةَ فِيهَا مَا فِيهَا، فَيَتَمَكَّنُ مَا لَا يَتَمَكَّنُ غَيْرُهُ. غَيْرُهُ يَخْشَى أَنْ يُتَّهَمَ، أَمَّا هَذَا عِنْدَ النَّاسِ لَا يُتَّهَمُ. يَقُولُونَ أَخُو زَوْجِهَا أَوِ ابْنُ أَخِي زَوْجِهَا.

الْحَمَاةُ أُمُّ الزَّوْجَةِ، إِنَّمَا الْحَمُو بِلَا تَاءٍ لِلذُّكُورِ. أَخُو الزَّوْجِ هُوَ الْحَمْو. ثُمَّ قَالَ الرَّسُولُ: «**لَا يَدْخُل أَحَدُكُمْ عَلَى امْرَأَةٍ مَغِيْبَةٍ**» أَيْ زَوْجُهَا لَيْسَ حَاضِرًا بِالْبَيْتِ فَقَالَ رَجُلٌ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ الرَّسُولُ: «**الْحَمْوُ الموت**» أَيْ هَذَا الْخَطَرُ الْعَظِيمُ. هَذَا لِلْخَلْوَةِ.

خَلْوَةُ الحَمْوِ بِزَوْجَةِ قَرِيبِهِ، هَذَا أَشَدُّ خَطَرًا لِأَنَّ النَّاسَ لَا يَتَّهِمُونَهُ فَيَتَمَكَّنُ، وَالشَّيْطَانُ يَقْوَى عَلَيْهِ».

الْمَبْطُونُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْمَبْطُونُ يَحْصُلُ فِيمَا يُسَمَّى بَطْنًا، الْمَعِدَةُ وَالْكَبِدُ وَالْأَمْعَاءُ وَالْكُلْيَةُ تَدْخُلُ فِي الْبَطْنِ، الْقَلْبُ لَا يَدْخُلُ، وَالرِّئَتَانِ لَا تَدْخُلَانِ، الْمَثَانَةُ تَدْخُلُ، الْبْرُوسْتَات هِيَ الْمَثَانَةُ تَدْخُلُ وَغُدَّةُ الْبْرُوسْتَات. الْقَضِيبُ لَا يَدْخُلُ، حَتَّى الْجُزْءُ الَّذِي فِي الدَّاخِلِ كُلُّ مَا اعْتُبِرَ مِنَ الْبَطْنِ مَنْ مَاتَ بِسَبَبِهِ يُعَدُّ شَهِيدًا مَبْطُونًا. لَيْسَ الْإِسْهَالُ فَقَطْ، وَالكَتْمُ الْقُولَنْجُ يَدْخُلُ».

أَنْتُمُ الْآنَ فِي سِنِّ الشَّبَابِ فَاغْتَنِمُوا هَذِهِ الْفُرْصَةَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أَنْتُمُ الْآنَ فِي سِنِّ الشَّبَابِ فَاغْتَنِمُوا هَذِهِ الْفُرْصَةَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اغْتَنِمُوا خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ**» هَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ «**وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ**» الْإِنْسَانُ يَعْجِزُ فِي الْهَرَمِ عَمَّا كَانَ يَستَطِيعُهُ فِي شَبَابِهِ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ. فَمَنِ اغْتَنَمَ شَبَابَهُ لَا يَنْدَمُ إِذَا جَاءَهُ الْهَرَمُ. لَكِنِ الْكَسَلُ دَاءٌ، الشَّابُّ إِذَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْكَسَلُ فَاتَتْهُ الْفُرْصَةُ. الْكَسَلُ اسْتَعَاذَ مِنْهُ الرَّسُولُ، مِن جُمْلَةِ دُعَاءِ الرَّسُولِ «**أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ**»».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ: «الْوَقْتُ أَعَزُّ الْأَشْيَاءِ عَلَيْكَ، فَاشْغَلْهُ بِأَعَزِّ الْأَشْيَاءِ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْوَقْتُ أَغلَى مِنَ الذَّهَبِ إِنْ لَمْ تَصْرِفْهُ فِي طَاعَةِ اللهِ ذَهَبَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ بِلَا كَسَلٍ، اغْتَنِمُوا هَذَا الْعُمُرَ، اغْتَنِمُوا الْوَقْتَ، لَا تُفَوِّتُوا الْفُرْصَةَ عَلَيْكُمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ بِخِدْمَة الدِّينِ وَالدَّعْوَةِ فَتَرَكَ ذَلِكَ بِلَا عُذْرٍ عَلَيْهِ ذَنْبٌ كَبِيْرٌ. مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي هَذَا الْبَلَدِ كَأَنَّهُ مَيِّتٌ. مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ لِإِحْيَائِهِ فَهُوَ خَاسِرٌ، أَمَّا مَنْ جَدَّ فَلَهُ أَجْرٌ كَبِيرٌ، مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ لِخِدْمَةِ الدَّعْوَةِ قَلْبُه مَيِّتٌ، هَذَا مِنْ مَوْتِ الْقُلُوْبِ، إِذَا لَمْ تَجتهِدُوْا الْآنَ وَأَنْتُمْ فِي سِنِّ الشَّبَابِ فَيَا حَسْرَتَكُمْ بَعْدَ أَنْ تَصِيْرُوا فِي سِنِّ الشَّيْخُوخَةِ عَلَى مَا فَوَّتُّمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ. الَّذِي يتْرُكُ خِدْمَةَ الدَّعْوَةِ بِلَا عُذْرٍ فَأَنَا غَاضِبٌ عَلَيْهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْفَرَاغُ إِذَا لَمْ تَشْغَلْهُ بِمَا يَعْنِي شَغَلَكَ بِمَا لَا يَعْنِي».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْغَفْلَةُ هِيَ سَبَبُ الْمَعَاصِي وَالْمَكْرُوْهَاتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَى الشَّبَابِ أَنْ يُقَيِّضَ لَهُمْ مَنْ يُعَلِّمُهُمْ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي مُقْتَبَلِ عُمُرِهِمْ».

الشَّبَابُ والفَرَاغُ والْغِنَى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مَفْسَدَةٌ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَهْ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَهْ

الشَّبَابُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مَفْسَدَةٌ وَكَذَلِكَ الْفَرَاغُ وَكَذَلِكَ الْغِنَى، مَنْ لَمْ يَحفَظْ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ الثَّلَاثِ يَهْلِكُ كَالَّذِينَ يَذْهَبُونَ إِلَى السِّينِمَا بَدَلَ أَن يَزُورُوا الْقُبُورَ أَوْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَكْسِبُوا خَيْرًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَكْثَرُ الشَّبَابِ الْيَوْمَ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ سَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ جِيفَةٍ بِاللَّيْلِ حِمَارٍ بِالنَّهَارِ عَارِفٍ بِأَمْرِ الدُّنْيَا جَاهِلٍ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ**». مَعْنَاهُ هَمُّهُ فِي اللَّيْلِ النَّوْمُ وَفِي النَّهَارِ الْأَكْلُ كَالْحِمَارِ يُكْثِرُ الْأَكْلَ، عَارِفٌ

بِأَمْرِ الدُّنْيَا يُتْقِنُهَا. أَمَّا أُمُورُ الْآخِرَةِ جَاهِلٌ بِهَا، هَؤُلَاءِ اللهُ يَكْرَهُهُمْ، أَهَمُّ شَىْءٍ الْيَوْمَ هُوَ عِلْمُ الدِّينِ، هَذَا الْعِلْمُ هُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «رَوَى الْبَيْهَقِيُّ والحَاكِمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**اِغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ، حَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ**». حَدِيثٌ صَحِيحٌ».

الدُّنيَا لِلزَّوَالِ:

لَمَّا قِيلَ للشيخِ أُقِيمَ عندَنا دَرسٌ، **فقال الإمام الهرري رضي الله عنه** لِمَنْ أُقِيمَ عندَها الدرس: «هذا خَيرٌ كبيرٌ، خَيرٌ مِنَ الدنيَا وما فيهَا. الدنيَا للزوالِ. كانَ في قومِ عادٍ ملكٌ اسْمُهُ شَدَّادُ بنُ عَادٍ، هذا حَكَمَ الدنيَا كلَّهَا. كانَ تحتَ يدِهِ مائتَانِ وستُّونَ مَلِكًا هُو يَحْكُمُهُم. شَدَّادُ ابنُ عَادٍ عاشَ تِسْعَمِائَةِ سنةٍ، كانَ كافرًا. لَمَّا سَمِعَ أنهُ تُوجَدُ الجنةُ وَصِفَتُهَا كَذَا وَكَذَا لَمَّ الجواهرَ والذهبَ وقالَ: «أنَا أَعْمَلُ مِثْلَهَا» ثُمَّ عِنْدَمَا انْتَهَى مِنْ بِنَائِهَا بَعْدَ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا. اللهُ أَرَادَ بِكِ خَيْرًا أَنْ يَسَّرَ لَكِ دَرْسًا فِي الْبَيْتِ. هَذَا خَيْرٌ كَثِيرٌ، احْمَدِي اللهَ، احْمَدِي اللهَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ مِثْلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ كُلَّمَا اقْتَرَبْتَ مِنْ وَاحِدَةٍ ابْتَعَدتَ عَنِ الْأُخْرَى».

الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اللهُ يُلْهِمُنَا الصَّبْرَ، الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ. لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَخْلُو مِنَ الْبَلَاءِ، كَانَ الْأَنْبِيَاءُ لَا يُصِيبُهُمْ شَيْءٌ لَكِنْ كَانَ الْبَلَاءُ عَلَيْهِمْ أَكْثَرَ. أَيُّوبُ كَانَ لَهُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ وَلَدًا، سَبْعُ ذُكُورٍ وَسَبْعُ بَنَاتٍ، إِبْلِيسُ هَدَمَ عَلَيْهِمُ الْبَيْتَ، أَبَادَهُمْ، وَأَتلَفَ لَهُ مَالَهُ، أَيُّوبُ كَانَ غَنِيًّا. لَمَّا مَرِضَ مِنْ شِدَّةِ صَبْرِهِ مَا كَانَ يَدْعُو بِالْعَافِيَةِ. ثُمَّ ذَاتَ يَوْمٍ اثْنَانِ مَرَّا بِجَانِبِهِ فقالَ أحدُهُما لِلْآخَرِ: «أَنَا أَظُنُّ أَيُّوبَ أَذنَبَ ذَنبًا مَا أَذنَبَهُ أَحدٌ» فسَمِعَ أَيُّوبُ. فلَمَّا سَمِعَ دَعَا فاستُجِيبَ دُعَاؤُهُ وَأَعْطَاهُ الله أَولَادًا بَدَلَ الَّذِينَ فَقَدَهُمْ وَعَوَّضَ عَلَيْهِ. أَعْطَاهُ ضِعْفًا مِنَ الْأَوْلَادِ أَربَعَةَ عَشَرَ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ، وَأَمْطَرَ لَهُ جَرَادًا مِنْ ذَهَبٍ وَجَرَادًا مِنْ فِضَّةٍ، كَوْمَةً مِنْ ذَهَبٍ وَكَوْمَةً مِنْ فِضَّةٍ. مَا كَانَ يَدعُو بالشِّفَاءِ لنفسِهِ ولا بالْمَالِ، لَكِنْ لَمَّا هَذَانِ الرَّجُلَانِ كَسَرَا قَلْبَهُ دَعَا. هَذِهِ حَالُ الدُّنْيَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ خَلَقَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، لِيَتَمَيَّزَ عِبَادُهُ الَّذِيْنَ يُطِيْعُونَهُ فَيَفُوْزُوا بِالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، عَنِ الَّذِيْنَ لَا يُطِيْعُونَهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ خَلَقَ الدُّنْيَا دَارَ بَلَاءٍ وَلَيْسَتْ دَارَ نَعِيْمٍ مَحْضٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْمُسْلِمُ عَلَى حَسَبِ قُوَّةِ دِينِهِ يُبْتَلَى، الْأَنْبِيَاءُ أَكْثَرُ النَّاسِ بَلَاءً، ثُمَّ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ يَكُونُ قُوَّةُ بَلَائِهِ أَشَدَّ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ كُلُّهُمْ كَانُوا كَثِيرِي الْبَلَاءِ بِالْإِصَابَةِ فِي أَجْسَامِهِمْ وَالْإِيْذَاءِ فِي أَنْفُسِهِم، وَبِالْإِيذَاءِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْفَاسِقِينَ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَبِتَلَفِ الْأَمْوَالِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الدُّنْيَا لِمَ تُسَبُّ؟ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ مَا يُلْهِي مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ اللهِ. وَرَدَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ الدُّنْيَا جِيفَةٌ وَطُلَّابُهَا كِلَابٌ، لَيْسَ حَدِيثًا وَيَجُوزُ رِوَايَتُهُ.

حَدِيثٌ: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكرَ اللهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمًا وَمُتَعَلِّمًا**».

يُقَالُ الدُّنْيَا غَرَّارَةٌ، الدُّنْيَا فَتَّانَةٌ يَجُوزُ مِثْلُ هَذَا، ﴿**وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥**﴾ [سورة ءال عمران]، **اللهُ ذَمَّهَا**.

هَذَا الْحَدِيثُ مَعْنَاهُ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ أَيْ لَا خَيْرَ فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللهِ أَيْ طَاعةُ اللهِ وَمَا وَالَاهُ أَيْ مَا يُسَاعِدُ عَلَى طَاعَةٍ كَطَلَبِ الْمَالِ الْحَلَالِ لِأَنَّهُ يُسَاعِدُ عَلَى طَاعَةِ اللهِ.

ذِكْرُ اللهِ وَالصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَكُلُّ الْحَسَنَاتِ وَمَا يُسَاعِدُ عَلَى الْحَسَنَاتِ.

وَالْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعُ مَا سِوَى هَؤُلَاء الْأَرْبَعِ مَا فِيهِ خَيْرٌ، الَّذِي لَا يَتَعَلَّمُ عِلْمَ الدِّينِ لَا هُوَ عَالِمٌ وَلَا مُتَعَلِّمٌ هَذَا لَا خَيْرَ فِيهِ، كَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا وما لَا يُعِينُ عَلَى طَاعَةِ اللهِ لَا خَيْرَ فِيهِ».

الدُّنيَا لَا تُغْنِي مِنَ الْآخِرَةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اتَّقُوا اللهَ فَالدُّنيَا لَا تُغْنِي مِنَ الْآخِرَةِ وَقَد قَالَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ أَخَذَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ بِهِ**». فَمَهْمَا جَمَعَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْمَالِ الْحَرَامِ وَتَنَعَّمَ بِهِ فَإِنَّهُ زَائِلٌ، فَعَلَيْكُم بِتَقْوَى اللهِ وَذِكْرِ الْآخِرَةِ وَذِكْرِ الْمَوْتِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ٧٧**﴾ [سورة النساء] فَمَهْمَا جَمَعَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْمَالِ وَتَنَعَّمَ بِأَنْوَاعِ الْمَلَذَّاتِ وَالْمُشْتَهَيَاتِ لَا بُدَّ أَنْ يُفَارِقَ ذَلِكَ بِالْمَوْتِ. أُذْكُرُوا مَا جَرَى لِمَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الَّذِينَ جَمَعُوا الْأَمْوَالَ كَقَارُونَ الَّذِي خَسَفَ اللهُ بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ وَالذَّهَبِ الْكَثِيرِ الَّذِي كَانَ جَمَعَهُ، وَكَانَ قَدْرُ ذَهَبِهِ مَا لَا يُوجَدُ الْيَوْمَ عِنْدَ دَوْلَةٍ مِنَ الدُّوَلِ. وَكَذَلِكَ مَا جَرَى

لِشَدَّادِ بنِ عَادٍ الَّذِي حَكَمَ الدُّنْيَا وَكَانَ تَحْتَ يَدِهِ مِائَتَانِ وَسِتُّونَ مَلِكًا وَكَانَ عَلَى الْكُفْرِ وَأَرَادَ أَنْ يَبْنِيَ مَدِينَةً أَوْصَافُهَا كَمَا سَمِعَهُ مِنْ أَوْصَافِ الْجَنَّةِ، فَجَمَعَ الذَّهَبَ وَالْجَوَاهِرَ مِنَ الدُّنْيَا وَبَنَى فِي ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ مَدِينَةً شَبَّهَهَا بِالْجَنَّةِ ثُمَّ دَمَّرَهُ اللهُ تَعَالَى وَقَوْمَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا وَكَانَ عُمُرُهُ تِسْعَمِائَةِ سَنَةٍ».

عُمُرُ الْإِنْسَانِ أَطْوَارٌ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «عُمُرُ الْإِنْسَانِ أَطْوَارٌ، بَعْضُ النَّاسِ اللهُ تَعَالَى يُصْلِحُهُمْ قَبْلَ الْمَوْتِ بِوَقْتٍ يَسِيرٍ يَرْزُقُهُمُ التَّوْبَةَ فَيَمُوتُونَ تَائِبِينَ بَعْدَ أَنْ قَضَوْا عَشَرَاتِ السِّنِينَ عَلَى الْفِسْقِ وَالْفُجُورِ، وَبَعْضُ النَّاسِ بَعْدَ أَنْ قَضَوْا عَلَى الْإِسْلَامِ عَشَرَاتِ السِّنِينَ يَكْفُرُونَ فَيَمُوتُونَ كَافِرِينَ».

الرُّوحُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الرُّوحُ يَرَى لَيْسَ كَرُؤْيَةِ الْعَيْنِ، الرُّوحُ يَهِيمُ، تَمْتَدُّ إِلَى الْخَارِجِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَنْقَطِعَ عَنِ الْجَسَدِ ثُمَّ تَعُودُ عِنْدَ الِاسْتِيقَاظِ[عِنْدَ رُؤْيَةِ الْمَنَامِ].

تَعُودُ كَالشُّعَاعِ [الَّذِي] يَمْتَدُّ، [تُشْبِهُ] الشَّمْسَ، الشَّمْسُ [تَكُونُ] بِمَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ لَكِنَّ ضَوْءَهَا يَتَّصِلُ بِالْأَرْضِ».

وَقَالَ رضي الله عنه فِي الْحَدِيثِ عَلَى الْحِكْمَةِ مِنْ خَلْقِ الرُّوحِ قَبْلَ الْجَسَدِ: الرُّوحُ هُوَ الْأَصْلُ، لَوْلَا الرُّوحُ لَمْ يَكُنْ لِلْجَسَدِ قِيمَةٌ، فَوُجُودُ الرُّوحِ قَبْلَ الْأَجْسَادِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الرُّوحَ هُوَ الْأَصْلُ، لِشَرَفِهَا خَلَقَهَا اللهُ قَبْلَ الْجَسَدِ وَلِذَلِكَ الْجَسَدُ قَدْ يَهْلِكُ بِأَيْدِي الْكُفَّارِ، كَمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَتَلَهُمُ الْكُفَّارُ، مِنْ جُمْلَتِهِمْ يَحْيَى، لَكِنْ هُمْ أَهَانُوا الْجَسَدَ أَمَّا الرُّوحُ فَهُوَ

عِنْدَ اللهِ عَزِيزٌ كَرِيمٌ عَلَى اللهِ مَهْمَا لَعِبَ الْكُفَّارُ بِأَبْدَانِ الْمُؤْمِنِينَ، فَالرُّوحُ لَا يَنْقُصُ شَرَفُهَا عِنْدَ اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَتْ تَبِعَهَا الْبَصَرُ، يَنْظُرُ إِلَيْهَا عِنْدَمَا يَخْرُجُ الرُّوحُ، يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَلَوْلَا أَنَّ النَّاسَ يُطْبِقُونَ عَيْنَيِ الْمَيِّتِ لَجَمَدَتْ عَلَى ذَلِكَ.

وَالرُّوحُ تَخْرُجُ مِنَ الرَّأْسِ مِنْ هُنَا أَوْ مِنَ الْيَافُوخِ مِنْ حَيْثُ دَخَلَتْ».

الْمَوْتُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الدُّنْيَا مَزرعَةُ الْآخِرَةِ. مَنْ زَرَعَ هُنَا خَيْرًا يَحْصُدُهُ فِي الْآخِرَةِ. الْمَعنَى أَنَّ مَنْ عَرَفَ اللهَ وءَامَنَ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَدَّى الْوَاجِبَاتِ وَاجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ هَذَا فَازَ فِي الْآخِرَةِ. فِي هَذِهِ الدُّنيَا أَخَذَ زَادًا عَظِيمًا، أَمَّا مَنْ فَاتَهُ ذَلِكَ فَهُو عَلَى خَطَرٍ. الَّذِي مَاتَ مِن غَيْرِ أَنْ يَعْرِفَ اللهَ وَيُؤْمِنَ بِنَبِيِّهِ هَذَا لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّكَدَ والعَذَابَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْمَوْتُ سَيْفٌ عَلَى رِقَابِ الْعِبَادِ، لَا نَدْرِي فِي أَيِّ سَاعَةٍ يَقْطَعُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أُوصِيكُم بِالْإِكْثَارِ مِنْ ذِكْرِ الْموتِ، الَّذِي يُكْثِرُ ذِكْرَ الْمَوْتِ تَضْعُفُ رَغْبَتُهُ بِالدُّنيا، يَخِفُّ تَعَلُّقُه بِالدُّنيَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْإِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، يُسَاعِدُ عَلَى تَرْكِ الْكَسَلِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْإِيْمَانِ فَقَدْ رَبِحَ خَيْرًا كَثِيرًا لِأَنَّهُ يَأْمَنُ الْخُلُودَ الْأَبَدِيَّ فِي النَّارِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنْ كَانَ الشَّخْصُ يُكْثِرُ ذِكْرَ الْمَوْتِ بِحَيْثُ لَا يَشْغَلُهُ عَنِ الْأُمُوْرِ الْمُهِمَّةِ، قِرَاءَةِ الْقُرْءَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبِرِّ فَهُوَ عَمَلٌ حَسَنٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا مَزْرَعَةً لِلْآَخِرَةِ، فَمَنْ زَرَعَ فِيْهَا مَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ وَيَكُوْنُ لَهُ ذُخْرًا بِاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي وَأَدَاءِ الطَّاعَاتِ فَمَزْرَعَتُهُ صَارَتْ خَيْرًا لَهُ وَنَجَاةً وَفَوْزًا فِي الْآخِرَةِ.

فَاغْتَنِمُوْا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْقَلَائِلِ لِتِلْكَ الْأَيَّامِ الطِّوَالِ مَا يَكُونُ ذُخْرًا لَكُمْ وَهُوَ الدُّؤُوْبُ عَلَى تَعَلُّمِ مَا فَرَضَ اللهُ تَعَالَى مِنْ عِلْمِ الدِّينِ مِنْ حَيْثُ الِاعْتِقَادُ وَمِنْ حَيْثُ الْأَحْكَامُ ثُمَّ الْعَمَلِ بِذَلِكَ.

اغْتَنِموا هَذَا الْفَرَاغَ، اغْتَنِمُوا شَبَابَكُمْ لِتَحْصِيْلِ هَذَا الذُّخْرِ الْعَظِيْمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغَفْلَةَ بِالتَّنَعُّمِ وَتَعَلُّقِ الْهِمَمِ بِتَكْثِيرِ الْمَالِ فَإِنَّ ذَلِكَ حِجَابٌ قَاطِعٌ لَكُمْ عَنِ اتِّخَاذِ هَذَا الذُّخْرِ الْعَظِيمِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «سَكَرَاتُ الْمَوْتِ هُوَ أَشَدُّ أَلَمٍ يَذُوقُهُ الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، هُوَ سَكْرَةُ الْمَوْتِ أَلَمُهُ كَأَلْفِ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ لَكِنْ تِلْكَ السَّاعَةَ الْإِنْسَانُ كَأَنَّ مَفَاصِلَهُ تَنْحَلُّ، كَأَنَّهَا لَيْسَتْ مُتَّصِلَةً بَعْضَهَا مَعَ بَعْضٍ، وَاللِّسَانُ يَرْتَبِطُ أَغْلَبُ النَّاسِ لَا يَتَكَلَّمُونَ، لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا، مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ تَتَفَكَّكُ أَجْسَامُهُمْ ثُمَّ لَا يُسَاعِدُهُ جِسْمُهُ عَلَى التَّجَوُّلِ فِي الْبَيْتِ أَوْ خَارِجَ الْبَيْتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ، الْمَيِّتُ الَّذِي يَعْرَقُ جَبِينُهُ عِنْدَ الْمَوْتِ هَذَا عَلَامَةُ خَيْرٍ، يَظْهَرُ عَرَقٌ هُنَا وَهُنَا، لَيْسَ الْجَبْهَةَ. اصْفِرَارُ الْوَجْهِ مَعَ الْعَرَقِ عَلَى الْجَبِينِ عَلَامَةُ خَيْرٍ، أَمَّا الَّذِي يَطْلُعُ مِنْهُ رَغْوَةٌ مِنْ فَمِهِ لَيْسَ عَلَامَةَ خَيْرٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كُلُّ شَيْءٍ يُحْزِنُ الْمُسْلِمَ، أَوْ يُؤْلِمُهُ، لَهُ فِيْهِ كَفَّارَةٌ وَلَهُ فِيْهِ أَجْرٌ، لَوْ صَدَعَ رَأْسُهُ لَهُ أَجْرٌ، وَلَوْ أَصَابَهُ زُكَامٌ لَهُ أَجْرٌ.

وَأَلَمُ الْمَوْتِ أَشَدُّ أَلَمٍ فِي الدُّنْيَا يُصِيبُ الإِنْسَانَ الْمُؤْمِنَ فَلَهُ أَجْرٌ بِأَلَمِ الْمَوْتِ، أَلَمُ الْمَوْتِ أَشَدُّ بِكَثِيْرٍ مِنَ الزَّوْبَعَةِ الَّتِي تُدَمِّرُ الْبُيُوتَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْمَوْتُ إِذَا خِيفَ مِنْهُ لَا يَضُرُّ الْعَقِيدَةَ إِنَّمَا الَّذِي يَضُرُّ الاِعْتِقَادُ أَنَّ الْمَوْتَ ضَرَرٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَيْ لَا خَيْرَ فِيهِ. الشُّهَدَاءُ يَسْتَرِيحُونَ مِنْ أَتْعَابِ الدُّنْيَا، كَذَلِكَ الْأَوْلِيَاءُ، كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِالْمَوْتِ يَسْتَرِيحُونَ؛ الْمَوْتُ رَاحَةٌ لَهُمْ».

الْقَبْرُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنَ الْمَزْبَلَةِ، الْقَبْرُ ظُلْمَةٌ وَضِيقٌ وَوَحْشَةٌ لَا تَرَى إِنْسَانًا يُؤْنِسُكَ عَلَى الْعَادَةِ، أَنْتَ وَعَمَلُكَ، عَمَلُكَ يُؤْنِسُكَ أَوْ يُهْلِكُكَ، الْقَبْرُ بَيْتُ الضِّيقِ وَبَيْتُ الْوَحْشَةِ وَبَيْتُ الْوَحْدَةِ وَبَيْتُ الدُّوْدِ وَبَيْتُ الظُّلْمَةِ، مَا يُفَكِّرُوْنَ فِي هَذَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «القَبْرُ يُنَوَّرُ بِصَلَاةِ التَّهَجُّدِ، الْمُتَهَجِّدُوْنَ عَلَى السُّنَّةِ قُبُوْرُهُمْ مُنَوَّرَةٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْقَبْرُ لِلصَّالِحِيْنَ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ لَكِنْ لَوْ كَشَفَ الشَّخْصُ هَذَا القَبْرَ نَبَشَهُ لَا يَرَى فِيْهِ هَذَا النَّعِيم. اللهُ حَجَبَ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ اتِّسَاعَ القَبْرِ وَتَنَوُّرَهُ وَأَشْيَاءَ مِنَ الخُضْرِ وَالنَّعِيْمِ لَكِن مَنْ يَفْتَحُ هَذَا القَبْرَ يَرَى مِثْلَ مَا كَانَ أَوَّلَ مَا حُفِرَ لَكِنِ الحَقِيْقَةُ غَيْرُ ذَلِكَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «بَعْضُ الْأَتْقِيَاءِ يُوَسَّعُ لَهُ الْقَبْرُ مَدَّ الْبَصَرِ وَبَعْضُهُمْ سَبْعِينَ ذِرَاعًا طُولًا وَسَبْعِينَ عَرْضًا، مِثْلُ هَذَا الصَّحَابِيِّ الَّذِي كَانَ سَائِرًا لِقِتَالِ الْكُفَّارِ، وَكَانَ قَائِدًا لِبَعْضِ الصَّحَابَةِ وَلِغَيْرِ الصَّحَابَةِ بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ عليهِ الصلاة والسلام، وَجَدَ العَدُوَّ قَدِ اجْتَازَ النَّهرَ فِي سَفِيْنَةٍ، هُوَ خَاضَ الْمَاءَ فَلَمْ يَبُلَّ رِجْلَهُ، اللهُ جَعَلَهُ لَهُ كَالأَرْضِ الْيَابِسَةِ فَاجْتَازَ، ثُمَّ الجَيْشُ أَيْضًا خَاضَ الْمَاءَ فَهَزَمَ الْعَدُوَّ، لَحِقُوا بِالْعَدُوِّ فَهَزَمُوهُ، لَمَّا مَاتَ هَذَا القَائِدُ، الْأَرْضُ الَّتِي كَانَ بِهَا بَعِيْدَةً عَنِ الْعُمْرَانِ دَفَنُوهُ هُنَاكَ، ثُمَّ بَعْدَمَا انْتَهَوْا مِنَ الدَّفْنِ

جَاءَ إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، قَالَ مَنْ هَذَا الَّذِي دَفَنْتُمُوهُ؟ قَالُوا لَهُ: هَذَا فُلانٌ، الْعَلاءُ بْنُ الحَضْرَمِيّ، وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ، قَالَ مَا جَزَاءُ صَاحِبِكُم أَنْ تَتْرُكُوهُ فِي هَذِهِ الأَرْضِ الَّتِي فِيْهَا سِبَاعٌ، فَأَعَادُوا فَتْحَ القَبْرِ وَنَزَلُوا فَوَجَدُوا القَبْرَ مُتَّسِعًا مَدَّ البَصَرِ وَجَدُوا القَبْرَ يَتَلاطَمُ نُورًا أَمَّا هُوَ فلَمْ يَجِدُوهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «هَذَا الْقَبْرُ الَّذِي أَوَّلَ مَا يُحْفَرُ يَكُونُ أَرْبَعَةَ أَذْرُعٍ طُولًا، الْأَتْقِيَاءُ لَا يَسْتَوْحِشُونَ فِيهِ. مِنْهُمْ مَنْ يُصَلِّي وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْءَانَ، لَا يَجِدُونَ فِيهِ وَحْشَةً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْرُجُ وَيَزُورُ الْأَمَاكِنَ الَّتِي يُرِيدُهَا فَكَيْفَ الْجَنَّةُ الَّتِي هِيَ دَارُ الْجَزَاءِ، مِنْ شِدَّةِ مَا يَجِدُونَ مِنَ الرَّاحَةِ فِي الْقُبُورِ لَوْ قِيلَ لَهُمْ أَتَرْضَوْنَ أَنْ نَرُدَّكُمْ إِلَى الدُّنْيَا فَتَحْكُمُونَ كُلَّ الدُّنْيَا لَا يَرْضَوْنَ مِنْ شِدَّةِ مَا يَجِدُونَ فِي الْقَبْرِ مِنَ الرَّاحَةِ وَانْشِرَاحِ الصَّدْرِ إِلَّا الشَّهِيدُ، الشَّهِيدُ لِمَا يَرَى مِنْ كَرَامَةِ الشُّهَدَاءِ يَتَمَنَّى أَنْ يَعُودَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ ثَانِيَةً لِأَنَّهُ رَأَى كَرَامَةَ الشُّهَدَاءِ، هَذَا فَقَطْ لِلشَّهِيدِ، أَمَّا غَيْرُ الشَّهِيدِ التَّقِيُّ لَا يَتَمَنَّى أَنْ يَعُودَ إِلَى الدُّنْيَا، النَّعِيمُ فِي الْقَبْرِ يَفُوقُ مَلَذَّاتِ الدُّنْيَا كُلَّهَا، يَأْتِيهِ رَائِحَةٌ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْقَبْرِ. قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ سَنَةٍ. رَائِحَةُ الْجَنَّةِ تَأْتِي، يَشَمُّهَا الْأَتْقِيَاءُ».

زِيَارَةُ الْقُبُورِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «فِي بِلَادِنَا النَّاسُ يَزُوْرُوْنَ الْقُبُوْرَ كُلَّ جُمُعَةٍ حَتَّى الصِّغَار يَنْبَغِي أَنْ يُعَوَّدُوا عَلَى زِيَارَةِ الْقُبُورِ».

وَقَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أَهْلُ الْقُبُوْرِ يُحِبُّونَ أَنْ يُهْدَى لَهُمْ صَدَقَاتٌ لَوْ خَتَمَاتٌ وَاسْتِغْفَارٌ، الْيَوْمَ أَكْثَرُ الْأَوْلَادِ هَمُّهُمُ الِاسْتِغْرَاقُ فِي التَّنَعُمِ، فِي الليْلِ يَسْهَرُونَ عَلَى التِّلِفِزْيُونِ وَلا يَسْتَيْقِظُونَ إِلَّا بَعْدَ الشُّرُوْقِ، هَؤُلَاءِ مَتَى يَسْتَغْفِرُونَ لِأَهْلِهِمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْمُسْلِمُ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ يَنْتَفِعُ إِنْ قُرِئَ لَهُ الْقُرْءَانُ، قَدْ يَكُونُ الشَّخْصُ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ وَمَاتَ قَبْلَ التَّوْبَةِ فَاسْتَغْفَرَ لَهُ مُؤْمِنٌ يَنْتَفِعُ، اللهُ تَعَالَى يُنْقِذُهُ مِنَ النَّكَدِ وَضِيقِ الْقَبْرِ بِدُعَاءِ هَذَا الْمُسْلِمِ، أَوْ يَنَالُونَ غَيْرَ هَذَا مِمَّا يَسُرُّهُمْ كَالْإِنْسَانِ الْحَيِّ إِذَا أَتَتْهُ هَدَايَا طَيِّبَةٌ أَلَا يَفْرَحُ؟، كَذَلِكَ أَهْلُ الْقُبُورِ يَفْرَحُونَ إِذَا قُرِئَ لَهُمُ الْقُرْءَانُ أَوِ اسْتُغْفِرَ لَهُمْ يَنْتَفِعُونَ أَوْ تُصُدِّقَ عَنْهُمْ يَنْتَفِعُونَ».

فِتْنَةُ الْقَبْرِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «فِتْنَةُ الْقَبْرِ مَعْنَاهُ الِامْتِحَانُ الَّذِي يَصِيرُ فِي الْقَبْرِ، الْمُسْلِمُ يُسْأَلُ، هَذَا امْتِحَانٌ وَالكَافِرُ يُسْأَلُ امْتِحَانًا لَهُ، أَمَّا عَذَابُ القَبْرِ أَشْيَاءُ عَدِيدَةٌ «**إِنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ**» هَذَا مَعْنَاهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ فِي الْقَعْرِ الْأَسْفَلِ، اللهُ تَعَالَى يُعَذِّبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، يُظْهِرُونَ لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْإِسْلَامَ غَيْرُ صَحِيحٍ فِي قُلُوبِهِمْ. فِي بَلَدٍ اسْمُهَا يَنْبُعُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ شَخْصٌ مَاتَ فَحُفِرَ لَهُ قَبْرٌ، بَعْدَمَا انْتَهَوْا فَإِذَا ثُعْبَانٌ، تَرَكُوا هَذَا، خَافُوا فَحَفَرُوا آخَرَ فَلَمَّا أَتَمُّوا حَفْرَهُ وَجَدُوا ثُعْبَانًا فَتَرَكُوهُ وَحَفَرُوا ثَالِثًا فَلَمَّا أَتَمُّوا وَجَدُوا ثُعْبَانًا فَكَرِهُوا هَذَا الْمَيِّتَ حَطُّوهُ فِيهِ وَتَرَكُوهُ، هَذَا لَعَلَّهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ نَحْنُ مُسْلِمُونَ لَكِنْ لَا يُصَدِّقُونَ.

يُوجَدُ بَيْنَ النَّاسِ مَنْ هَذَا حَالُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، يُكْشَفُ حَالُهُمْ، بَعْضُهُمْ يُحَوَّلُونَ عَنِ الْقِبْلَةِ، يُدْفَنُونَ مُتَوَجِّهِينَ إِلَى الْقِبْلَةِ ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ يُحَوِّلُونَهُمْ».

أَحْوَالُ أَهْلِ الْقُبُورِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْمَوْتَى الَّذِين هُمْ مِنْ عَوَامِّ النَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ تَتَفَسَّخُ أَجْسَامُهُمْ وَيَطْلُعُ مِنْهُمْ رُطُوبَاتٌ كَرِيهَةٌ مِنَ الْفَمِ وَالْأَنْفِ رَائِحَتُهَا أَشَدُّ مِنْ رَائِحَةِ مَيْتَةِ الْحَمِيرِ. فِي السُّودَانِ حَصَلَتْ كَرَامَةٌ عَجِيبَةٌ، شَيْخٌ مِنَ الْأَتْقِيَاءِ مَاتَ، ابْنَتُهُ صَارَتْ مِنْ شِدَّةِ حُزْنِهَا عَلَيْهِ تَتَرَدَّدُ إِلَى قَبْرِهِ وَكَانَتْ لَهَا زَمِيلَتُهَا تُرَافِقُهَا؛ زَمِيلَتُهَا قَالَتْ: أَبُوكِ يستحق كل هذا، فَانْكَسَرَ خَاطِرُهَا وَجَاءَتْ إِلَى أَبِيهَا وَقَالَتْ لَهُ مَا قَالَتْهُ لَهَا زَمِيلَتُهَا فَأَخْرَجَ رِجْلَهُ مِنَ الْقَبْرِ فَرَآهَا النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ النَّاسُ يَخْتَلِفُونَ إِلَى قَبْرِهِ، ثُمَّ جَاءَ شَيْخٌ آخَرُ وَلِيٌّ فَقَالَ لَهُ: يَا فُلَانُ حَصَلَ مَا أَرَدْتَ الْآنَ أَخْفِ فَأَخْفَى».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَهْلُ الْقُبُورِ أَحْوَالُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ، بَعْضُ أَهْلِهَا قَبْرُهُ مُنَوَّرٌ وَتَأْتِيهِ رَائِحَةُ الْجَنَّةِ الَّتِي هِيَ أَلَذُّ مِنْ كُلِّ لَذَّاتِ الدُّنْيَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، يُوَسَّعُ، وَبَعْضُ النَّاسِ يُسَلَّطُ عَلَيْهِمُ الثُّعْبَانُ، إِمَّا لِفَسَادِ عَقِيدَتِهِ أَوْ لِبَعْضِ الذُّنُوبِ الْكَبَائِرِ. حَكَى لِي الْحَاجُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ كَعْكِي وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: مَاتَ شَخْصٌ فِي أَرْضِ يَنبُع وَهِيَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحُفِرَ لَهُ الْقَبْرُ فَلَمَّا تَمَّ الْحَفْرُ وَجَدُوا ثُعْبَانًا لَيْسَ مِنْ خَارِجٍ جَاء، إِنَّمَا وَجَدُوهُ فِي الْحُفْرَةِ، قَالَ: تَرَكْنَا هَذَا وَحَفَرْنَا قَبْرًا ثَانِيًا، فَوَجَدُوا هَذَا الثُّعْبَانَ، ثُمَّ تَرَكْنَا هَذَا وَحَفَرْنَا قَبْرًا ثَالِثًا فَوَجَدُوا الثُّعْبَان فَحَطُّوه فِيهِ وَطَمُّوا عَلَيْهِ التُّرَابَ لِأَنَّهُمْ قَالُوا: لَوْ حَفَرْنَا مِائَةَ قَبْرٍ يَتْبَعُهُ هَذَا الثُّعْبَانُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الدُّنْيَا مَهْمَا طَالَ الْإِنْسَانُ عُمُرُهُ فِيهَا وَمَهْمَا تَقَلَّبَ فِي النَّعِيمِ فَإِنَّ نِهَايَتَهُ التُّرَابُ، ذَاكَ الْبَيْتُ الضَّيِّقُ، بَيْتُ الْوَحْشَةِ، بَيْتُ الظُّلْمَةِ، بَيْتُ الدُّودِ، بَعْدَ بِضْعَةِ أَيَّامٍ يَصِيرُ جِسْمُهُ يَتَنَاثَرُ مِنْهُ الدُّودُ، فَرَائِحَتُهُ تَكُونُ أَنْتَنُ مِنْ رَائِحَةِ الْجِيفَةِ، هَكَذَا الْإِنْسَانُ إِلَّا الْأَتْقِيَاءُ وَبَعْضُ الشُّهَدَاءِ، شُهَدَاءُ الْمَعْرَكَةِ لَا تَنْتُنُ رَائِحَتُهُمْ، لَوْ جُرِحَ بِحَدِيدَةٍ يَطْلُعُ دَمُ شُهَدَاءِ الْمَعْرَكَةِ لَوْ بَعْدَ أَلْفِ أَوْ أَلْفَيْ أَوْ عَشَرَةَ ءَالَافِ سَنَةٍ إِذَا جُرِحَ

بِحَدِيدَةٍ يَطْلُعُ دَمٌ. أَمَّا الشَّهِيدُ قَتِيلُ الظُّلْمِ الْمُسْلِمُ الَّذِي يُقْتَلُ بِالسَّمِّ أَوْ بِالرَّصَاصِ هَذَا شَهِيدٌ لَيْسَ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ شَىْءٌ، نَكَدٌ، وَلَا فِي الْآخِرَةِ، لَكِنِ التُّرَابُ يَأْكُلُهُ. لِأَجْلِ هَذَا الْجِسْمِ، لِأَجْلِ الْمَالِ، لِأَجْلِ التَّوَسُّعِ فِي الْمَعِيشَةِ يَدْرُسُونَ عُلُومَ الدُّنْيَا وَلَا يَلْتَفِتُونَ لِعِلْمِ الدِّينِ فَتَسُوءُ آخِرَتُهُمْ، تَسُوءُ عَاقِبَتُهُمْ، بَعْضُ النَّاسِ يَكْفُرُونَ لِأَجْلِ الْمَالِ».

الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْمَيِّتُ يَعْمَلُ بَعْدَ الْمَوْتِ لَكِنْ عَمَلُهُ لَيْسَ عَمَلًا تَكْلِيفِيًّا، فِي الدُّنْيَا الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ عَمَلٌ تَكْلِيفِيٌّ، مُكَلَّفٌ بِالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ، بَعْدَ الْمَوْتِ لَيْسَ مُكَلَّفًا، فَيَعْمَلُ أَعْمَالًا بِلَا تَكْلِيفٍ، يَقْرَأُ الْقُرْءَانَ، الْأَنْبِيَاءُ يُصَلُّونَ فِي قُبُورِهِمْ، اللهُ تَعَالَى يُحْيِيهِمْ، يَبْقُونَ أَحْيَاءً فِي قُبُورِهِمْ، وَغَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ أَيْضًا قَدْ يَقْرَأُ الْقُرْءَانَ فِي قَبْرِهِ وَيُصَلِّي أَيْضًا. الْوَهَّابِيَّةُ لَعَنَهُمُ اللهُ يَجْعَلُونَ الرَّسُولَ كَقِطْعَةِ خَشَبٍ، لَيْسَ لَهُ إِحْسَاسٌ وَلَا دُعَاءٌ لِلنَّاسِ وَهَذَا اعْتِقَادٌ فَاسِدٌ، هُوَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ**»، وَهَذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، هُمْ يَأْخُذُونَ هَذَا الْحَدِيثَ [حَدِيثًا] عَلَى ظَاهِرِهْ فَيُشَوِّشُونَ عَلَى النَّاسِ، هَذَا الْحَدِيثُ هُوَ إِذَا مَاتَ ابْنُ ءَادَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثٍ فَيَذْكُرُونَ هَذَا الْحَدِيثَ، يُشَوِّشُونَ عَلَى النَّاسِ.

لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَعْمَلُ بَعْدَ مَوْتِهِ وَلَا يَدْعُو لِغَيْرِهِ وَلَا يُصَلِّي وَلَا يَقْرَأُ الْقُرْءَانَ إِنَّمَا مَعْنَاهُ الْعَمَلُ الَّذِي كَانَ مُكَلَّفًا بِهِ وَيُثَابُ عَلَيْهِ يَنْقَطِعُ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ إِذَا صَلَّوْا فِي الْقَبْرِ وَقَرَؤُوا الْقُرْءَانَ لَيْسَ فِيهِ ثَوَابٌ لَكِنْ يَجِدُونَ لَذَّةً بِقِرَاءَتِهِمْ بِصَلَاتِهِمْ لَكِنْ لَا ثَوَابَ عَلَيْهِ. الرَّسُولُ قَالَ: «**إِذَا مَاتَ ابْنُ ءَادَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»، ذَكَرَ أَنَّ الْوَلَدَ الصَّالِحَ وَلَدَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ الَّذِي يَدْعُو لِأَبِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ هَذَا يَصِلُ إِلَيْهِ كَأَنْ قَرَأَ الْقُرْءَانَ وَدَعَا بِأَنْ يَصِلَ الثَّوَابُ إِلَى أَبِيهِ

يَنْفَعُهُ، كَذَلِكَ إِذَا عَلَّمَ عِلْمًا يَنْتَفِعُ بِهِ، الثَّوَابُ يَسْتَمِرُّ بَعْدَ الْمَوْتِ. عَمَلٌ عَظِيمٌ تَعَلُّمُ الْأَدِلَّةِ وَالرَّدُّ بِهَا عَلَى الْوَهَّابِيَّةِ الْأَنْجَاسِ الَّذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ وَلَيْسُوا مُسْلِمِينَ، تَعَلُّمُ الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ عَمَلٌ عَظِيمٌ عِنْدَ اللهِ».

الْآخِرَةُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْآخِرَةُ دَارُ الْعَجَائِبِ وَالْغَرَائِبِ، اللهُ تَعَالَى يَكْشِفُ ذَلِكَ الْيَوْمَ أُمُورًا كَانَتْ مَخْفِيَّةً عَنِ الْبَشَرِ فِي الدُّنْيَا، الْأَيْدِي تَتَكَلَّمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْأَرْجُلُ تَتَكَلَّمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْآخِرَةُ دَارُ الْعَجَائِبِ وَالْغَرَائِبِ، يُظْهِرُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَثِيرًا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي مَا كَانَتْ تُعْرَفُ فِي الدُّنْيَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «وَرَدَ فِي الْقُرْءَانِ ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ٣٦**﴾ [سورة عبس] صَاحِبَتِهِ أَيْ زَوْجَتِهِ وَبَنِيهِ حَتَّى مِنْ أَبْنَائِهِ يَفِرُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ كَانَ ظَلَمَهُمْ لِأَنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّ ذَلِكَ يَوْمُ عِقَابٍ وَقِصَاصٍ وَلَكِنْ أَيْنَ الْمَفَرُّ، كَذَلِكَ الزَّوْجَةُ إِنْ كَانَتْ ظَلَمَتْ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا تَفِرُّ لِئَلَّا يُطَالِبَهَا بِالْحَقِّ، الْوَلَدُ إِذَا ظَلَمَ أَبَاهُ فَالْأَمْرُ كَذَلِكَ أَوْ ظَلَمَ أُمَّهُ فَالْأَمْرُ كَذَلِكَ، أَمَّا الَّذِينَ عَاشُوا لَيْسَ بَيْنَهُمْ تَبِعَاتٌ وَظُلْمٌ، يَشْتَاقُونَ أَنْ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ٣٦**﴾ [سورة عبس] وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا يَرَى ذَلِكَ الْيَوْمَ الشَّخْصُ يَخْشَى أَنْ يُطَالِبَهُ أَبُوهُ أَوْ أَخُوهُ أَوْ أُمُّهُ أَوْ زَوْجَتُهُ بِمَظْلَمَةٍ بِحَقٍّ هُوَ أَضَاعَهُ عَلَيْهِمْ أَوْ ظَلَمَهُمْ

لِهَذَا يَفِرُّ ذَلِكَ الْيَوْمَ. التَّقِيُّ الَّذِي لَمْ يَظْلِمْ أَحَدًا مِنْ أَقْرِبَائِهِ، لَا أُمَّهُ وَلَا أَبَاه وَلَا زَوْجَتَهُ وَلَا أَخَاهُ هُوَ لَا يَفِرُّ مِنْهُمْ إِنَّمَا هُمْ يَفِرُّونَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُطَالَبُوا بِشَىْءٍ مِنْ حَقِّهِ».

الْفَضِيحَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ مَلَائِكَةٌ كَثِيرٌ، يُحِيطُونَ بِالْإِنْسِ وَالْجِنِّ بِسَبْعَةِ صُفُوفٍ، الْجِنُّ وَالْإِنْسُ ضِمْنَ هَذِهِ السَّبْعَةِ صُفُوفٍ، اللهُ تَعَالَى يُظْهِرُ عَجَائِبَ قُدْرَتِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. الْكَافِرُ فِي وَقْتٍ يُنْكِرُ أَنَّهُ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ مِنْ شِدَّةِ فَزَعِهِ، اللهُ تَعَالَى يَخْتِمُ فَمَهُ فَتَنْطِقُ أَعْضَاؤُهُ بِمَا فَعَلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. كَذَلِكَ الْأَرْضُ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الشَّخْصُ فِي الدُّنْيَا يَعْمَلُ عَلَيْهَا حَسَنَةً أَوْ مَعْصِيَةً، اللهُ تَعَالَى يُعِيدُهَا، تَشْهَدُ عَلَى الشَّخْصِ نُطْقًا: فُلَانٌ فَعَلَ عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا، مَا فَعَلَ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ تَشْهَدُ بِهِ.

ثُمَّ الَّذِي لَا يُزَكِّي الذَّهَبَ الَّذِي خَزَّنَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْفِضَّةَ، يَعُودَانِ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ حَجَرًا، يُحَمَّى الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ فِي جَهَنَّمَ، يُكْوَى بِهِمَا ظَهْرُهُ وَجَنْبُهُ وَجَبْهَتُهُ. الْمَلَائِكَةُ يَكْوُونَ ظَهْرَهُ وَجَنْبَهُ بِهِمَا وَجَبْهَتَهُ وَالَّذِي كَانَ لَا يُزَكِّي بَقَرَهُ وَغَنَمَهُ كَذَلِكَ يُسَلِّطُ اللهُ عَلَيْهِ الْبَقَرَ الَّتِي كَانَ لَا يُزَكِّي عَنْهَا، فَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا.

كَذَلِكَ الْإِبِلُ يَدُوسُ بِخُفِّهِ هَذَا الَّذِي مَا كَانَ يُزَكِّيهِ، ثُمَّ عَجَائِبُ أُخْرَى، هَذِهِ الْعَجَائِبُ تَظْهَرُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، الْقُرْءَانُ قَالَ عَنْهَا: ﴿**وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢**﴾ [سورة الفجر]، جَاءَ رَبُّكَ مَعْنَاهُ تَأْتِي عَجَائِبُ قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللهَ لَهُ حَجْمٌ يَنْتَقِلُ مِنْ فَوْقٍ إِلَى تَحْتٍ. ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ يَجُرُّونَ جُزْءًا كَبِيرًا مِنْ جَهَنَّمَ، سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ فِي سَبْعِينَ أَلْفَ سِلْسِلَةٍ يَجُرُّونَهَا، يُوصِلُونَهَا إِلَى حَيْثُ يَرَاهَا الْكُفَّارُ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذُوا إِلَى جَهَنَّمَ، لَوْ كَانَ هُنَاكَ مَوْتٌ لَمَاتُوا مِنَ الْفَزَعِ، لَكِنْ لَا يُوجَدُ مَوْتٌ. مَهْمَا تَضَايَقَ الْإِنْسَانُ فِي الْآخِرَةِ لَا يَمُوتُ، فِي الدُّنْيَا إِذَا تَضَايَقَ الْإِنْسَانُ وَتَأَلَّمَ غَايَتُهُ الْمَوْتُ،

فِي الْآخِرَةِ لَا مَوْتَ. فَأَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ [سورة الفجر] أَيْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَقُولُ ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [سورة الفجر] ظَهَرَتْ عَجَائِبُ قُدْرَتِهِ، لَا يَقُولُونَ إِنَّ اللهَ جِسْمٌ يَجِيءُ إِلَى الْأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

الْجَزَاءُ عَلَى الْعَمَلِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «إِنَّ اللهَ فَرَضَ فَرَائِضَ كَلَّفَ عِبَادَهُ بِهَا، فَمَنْ تَرَكَهَا فَهُوَ يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ وَمَنْ فَعَلَهَا فَلَهُ أَجْرٌ جَزِيلٌ، وَشَرَعَ أَعْمَالًا هِيَ لَيْسَتْ فَرَائِضَ عَلَى الْعِبَادِ إِنَّمَا هِيَ قُرُبَاتٌ إِلَى اللهِ، مَنْ فَعَلَهَا لَهُ أَجْرٌ وَمَنْ تَرَكَهَا فَلَيْسَ عَلَيْهِ عِقَابٌ، فِي الْآخِرَةِ لَا يُسْأَلُ لِمَ تَرَكْتَهَا، وِهِيَ- أَيْ وَمِنَ الْفَرَائِضِ - الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ السَّبْعَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، أَمَّا مَا سِوَى السَّبْعَ عَشْرَةَ ركعةً فَلَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ فَرْضًا. ثُمَّ هَذِهِ السُّنَنُ قِسْمٌ مِنْهَا ذَكَرَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَقِسْمٌ مِنْهَا الْعُلَمَاءُ الصَّالِحُونَ أَحْدَثُوهَا لِأَنَّهُمْ وَجَدُوهَا مُوَافِقَةً لِلْقُرْءَانِ وَالْحَدِيثِ غَيْرَ مُخَالِفَةٍ، فَمَنْ ذَلِكَ عَمَلُ الْمَوْلِدِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، هَذَا أَحْدَثَهُ مَلِكٌ عَالِمٌ تَقِيٌّ يُقَالُ لَهُ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ بَعْدَ أَنْ مَضَى مِنْ تَارِيخِ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ نَحْوُ سِتِّمِائَةِ سَنَةٍ فَوَافَقَهُ الْعُلَمَاءُ عَلَى ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ شَىْءٌ يُخَالِفُ الْقُرْءَانَ وَالْحَدِيثَ، هُوَ إِظْهَارُ الشُّكْرِ للهِ تَعَالَى عَلَى إِظْهَارِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِقِرَاءَةِ شَىْءٍ مِنَ الْقُرْءَانِ وَسِيرَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَتَقْدِيمِ الطَّعَامِ لِلْحَاضِرِينَ كَذَلِكَ».

الْجَنَّةُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: النَّوْمُ يَكُونُ مِن تَعَبِ الْفِكْرِ أَوْ مِنْ تَعَبِ الْجِسمِ، لِذَلِكَ أَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَنَامُونَ، لِذَلِكَ يَقُولُونَ: «النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْجَنَّةُ اللهُ تَعَالَى مَدَحَهَا وَشَوَّقَ الْمُؤْمِنِيْنَ إِلَيْهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «النَّاسُ مَرَاتِبُ فِي الْجَنَّةِ، هُنَاكَ يُرَى مَنْزِلُ هَذَا أَعْلَى مِنْ مَنْزِلِ هَذَا، لَيْسَتْ كُلُّ الْمَنَازِلِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ لَكِنْ لَيْسَ هُنَاكَ حَسَدٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ تَعَالَى يُطَهِّرُ قُلُوبَ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْبَغْضَاءِ وَالتَّحَاقُدِ وَالتَّحَاسُدِ وَ[قُلُوبَ] نِسَاءِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ مِنَ الْغَيْرَةِ يَمْحُو اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَلِكَ، يَعِيشُ عِيشَةً هَنِيئَةً لَيْسَ فِيهَا مُنَغِّصَاتٌ وَلَا مُكَدِّرَاتٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْحِكْمَةُ مِنْ خَلْقِ الْجَنَّةِ الْآنَ تَرْغِيبُ الْمُؤْمِنِيْنَ لِلِاسْتِعْدَادِ [لَهَا] بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ تَعَالَى يُخْرِجُ مِنْ قُلُوبِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْغَيْرَةَ لَا يُوجَدُ غَيْرَةٌ وَلَا تَحَاسُدٌ، اللهُ يُخْرِجُ مِنْ قُلُوبِهِمُ الْحِقْدَ وَالْبُغْضَ وَالْغَيْرَةَ وَالتَّحَاسُدَ مِنْ قُلُوبِ النِّسَاءِ وَمِنْ قُلُوبِ الرِّجَالِ قُلُوبُ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَلَذَّاتُ الدُّنْيَا كُلُّهَا بِالنِّسْبَةِ لِنَعِيمِ الْآخِرَةِ كَلَا شَىْءَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْمُؤْمِنُونُ فِي الْجَنَّةِ لَا يُصَلُّونَ إِنَّمَا يَقْرَؤُونَ الْقُرْءَانَ وَيَذْكُرُونَ اللهَ، فِي الجَنَّةِ تَسْبِيْحٌ وَتَقْدِيسٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «فِي الْجَنَّةِ اللهُ تَعَالَى أَعَدَّ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مِائَةَ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ دَرَجَةٍ وَدَرَجَةٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ. هَذِهِ الْمِائَةُ دَرَجَةٍ لِلْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ الْكُفَّارَ بِالسِّلَاحِ وَالَّذِي يُدَافِعُ عَنْ دِينِ اللهِ فِي هَذَا الزَّمَنِ الَّذِي كَثُرَ فِيْهِ الْمُفْسِدُونَ، لِأَنَّ الثُّبُوتَ عَلَى الْعَقِيْدَةِ وَالدِّفَاعَ عَنْهَا وَالرَّدَ عَلَى مَنْ يُحَرِّفُهَا كَالَّذِي يُجَاهِدُ الْكُفَّارَ بِالسِّلَاحِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْجَنَّةُ وَاسِعَةٌ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ سَعَتِهَا إِلَّا اللهُ، الْجَنَّةُ أَكْبَرُ مِنْ جَهَنَّمَ بِأَكْثَر مِنْ أَلْفِ مَرَّةٍ وَاللهُ يُحِبُّهَا لِأَنَّهَا دَارُ الْمُؤْمِنِينَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لَا يُوجَدُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِلَّا كِتَابٌ كَتَبَ اللهُ فِيهِ «**إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غضَبِي**» مَعْنَاهُ الشَيْءُ الَّذِي أُحِبُّهُ مِنَ الْمَخْلُوْقَاتِ أَكْثَرُ مِمَّا أَكْرَهُهُ، الْمَلَائِكَةُ أَكْثَرُ مِنَ الْإِنْسِ وَالجِنِّ وَأَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ وَرِمَالِ الْفَلَوَاتِ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ اللهُ يُحِبُّهُمْ لِأَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ يَفْعَلُونَ، ثُمَّ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْأَنْبِيَاءِ هَؤُلَاءِ اللهُ يُحِبُّهُمْ، وَالْجَنَّةُ اللهُ يُحِبُّهَا لِأَنَّهَا دَارُ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ أَوْسَعُ مِنْ جَهَنَّمَ بِمَرَّاتٍ عَدِيدَةٍ. أَقَلُّ شَخْصٍ هُنَاكَ لَهُ مِثْلُ الدُّنْيَا وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهَا، اللهُ يُعْطِي الْمُؤْمِنَ فِي الْجَنَّةِ قُوَّةَ نَظَرٍ يَرَى مَسَافَةَ أَلْفِ سَنَةٍ، يَرَى أَقْصَاهَا كَمَا يَرَى أَدْنَاهَا كَمَا يَرَى أَوَّلَهَا يَرَى ءَاخِرَهَا مِنَ قُوَّةِ النَّظَرِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «وَرَدَ أَنّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَذْهَبُونَ إِلَى سُوقٍ وَلَمَّا يَعُودُونَ يَزْدَادُونَ جَمَالًا، فَتَقُولُ لِلْوَاحِدِ زَوْجَتُهُ وَجَدْتُكَ ازْدَدْتَ جَمَالًا، فِي هَذَا السُّوقِ مَنْ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ كَانَ لَا يَعْرِفُهُ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «فِي الْجَنَّةِ يُوجَدُ خَرُوفٌ وَطُيُورٌ، أَمَّا الْحَشَرَاتُ فَلَا، الشَّيْءُ الَّذِي تَسْتَقْبِحُهُ الْعَيْنُ لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ. الطُّيُورُ حِسَانُ الصُّوَرِ وَالْخِرُوفُ وَالْخُيُولُ لَيْسَتْ كَخُيُولِ الدُّنْيَا، لَهَا أَجْنِحَةٌ. أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنَ الْبَشَرِ يَتَزَوَّجُونَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَمِنَ الْإِنْسِيَّاتِ مَعَ وُجُودِ زَوْجَتِهِ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ فِي الدُّنْيَا. اللهُ تَعَالَى جَعَلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ كَقَلْبِ شَخْصٍ وَاحِدٍ لَا حَسَدَ وَلَا تَغَايُرَ وَلَا تَبَاغُضَ؛ سَلَبَ اللهُ مِنْ قُلُوبِهِمُ الْغَيْرَةَ وَالْحَسَدَ وَالتَّبَاغُضَ، طَهَّرَهُمُ اللهُ. مَهْمَا كَان عِنْدَ الرَّجُلِ مَنَ الْحُورِ الْعِينِ. الْمُؤْمِنَاتُ كُلُّهُنَّ يَتَزَوَّجْنَ. الَّتِي مَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَتَزَوَّجَ، يُزَوِّجُهَا اللهُ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالَّتِي مَاتَتْ صَغِيرَةً تَكُونُ كَبِيرَةً فِي الْجَنَّةِ وَيُزَوِّجُهَا اللهُ بِمَنْ شَاءَ. وَمَنْ مَاتَتْ وَهِيَ فِي نِكَاحِهَا تَعُودُ لَهُ وَزَوْجُهَا لَهُ الْحُورُ الْعِينُ وَهِيَ مُكَافَأَتُهَا أَنْ جَمَعَهَا اللهُ بِزَوْجِهَا فِي هَذَا النَّعِيمِ الْمُقِيمِ. إِنْ كَانَتْ تَزَوَّجَتْ بِرَجُلٍ ثُمَّ مَاتَ عَنْهَا ثُمَّ تَزَوَّجَتْ بِرَجُلٍ آخَرَ ثُمَّ مَاتَ عَنْهَا وَلَمْ تَتَزَوَّجْ بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِهِ تَكُونُ لِلْأَخِيرِ. اللهُ

تَعَالَى بَنَى فِي الْجَنَّةِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مَنَازِلَ بِالْبِنَاءِ طُولُهُ سِتُّونَ مِيلًا ارْتِفَاعُهُ فِي السَّمَاءِ. قِسْمٌ مِنْ أَزْوَاجِهِ هُنَا وَقِسْمٌ فِي النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى يَعِيشُونَ. ثُمَّ إِنِ اشْتَاقَ شَخْصٌ لِيَرَى شَخْصًا إِمَّا أَنْ يَطِيرَ بِهِ سَرِيرُهُ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ إِلَى ذَلِكَ الشَّخْصِ الَّذِي اشْتَاقَ إِلَيْهِ أَوْ يَرْكَبَ الْخُيُولَ. لَيْسُوا مُنْقَطِعِينَ عَنْ بَعْضِهِمُ الْبَعْضِ يَتَزَاوَرُونَ، مُجَرَّدُ أَنْ يَشْتَاقَ الشَّخْصُ أَوْ يَرْكَبَ الْخُيُولَ. هُنَاكَ تَسْبِيحٌ وَقِرَاءَةُ الْقُرْءَانِ، لَا صَلَاةَ وَلَا صِيَامَ. الزَّكَاةُ لَا حَاجَةَ إِلَيْهَا لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ غَنِيٌّ وَالصِّيَامُ لَيسَ عَلَيْهِمْ وَالصَّلَاةُ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ. ذِكْرُ اللهِ، التَّسْبِيحُ وَالتَّمْجِيدُ وَالتَّهْلِيلُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْءَانِ، هَذَا الَّذِي يَشْتَغِلُونَ بِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ. ثُمَّ يُوجَدُ مَكَانٌ لِلاجْتِمَاعِ، شَجَرَةٌ ظِلُّهَا مَسَافَةُ مِائَةِ سَنَةٍ، يَمْتَدُّ، هُنَاكَ يَجْتَمِعُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الَّذِي يَعْرِفُهُ وَالَّذِي لَا يَعْرِفُهُ هُنَاكَ، يَرَاهُمْ، يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَى أَمَاكِنِهِمْ، نَعِيمٌ عَظِيمٌ. لَيْسُوا مَحْبُوسِينَ فِي مَنَازِلِهِمْ، اللِّقَاءُ هُنَاكَ أَسْهَلُ. هُنَا فِي الدُّنْيَا قَدْ يَمُوتُ الشَّخْصُ وَهُوَ مُشْتَاقٌ لِشَخْصٍ قَرِيبٍ لَهُ أَوْ غَيْرِ قَرِيبٍ قَدْ يَكُونُ صَدِيقًا وَيَمُوتُ قَبْلَ أَنْ يَلْقَاهُ.

يَذْكُرُونَ اللهَ بِلُغَتِهِمْ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ، أَمَّا التَّحَاوُرُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، اللهُ تَعَالَى يُلْهِمُ كُلَّ شَخْصٍ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ. أَمَّا لِلذِّكْرِ وَالْقِرَاءَةِ هَؤُلَاءِ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَيَذْكُرُونَ بِمَا كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ فِي الدُّنْيَا بِلُغَتِهِمْ. أَمَّا الحِوَارُ فبِالْعَرَبِيَّةِ والَّذِي كَانَ لَا يَعْرِفُهَا فِي الدُّنْيَا اللهُ يُعَلِّمُهُ إِيَّاهَا.

ءَادَمُ كَيْفَ تَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ؟ اللهُ أَفَاضَ عَلَى قَلْبِهِ؛ كَذَلِكَ لَمَّا يَدْخُلُون الْجَنَّةَ اللهُ يَفْتَحُ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْعَرَبِيَّةِ، يَفْهَمُونَ الْمَعْنَى وَالنُّطْقَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَهْلُ الْجَنَّةِ لَا حَاجَةَ فِيهِمْ إِلَى النَّوْمِ لِتَعَبِ الْفِكْرِ أَوْ لِتَعَبِ الْجِسْمِ، أَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَتْعَبُونَ، لَوْ كَانَتِ الْمَسَافَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يُرِيدُ عَشَرَةَ آلَافِ كِيلُو مِتْرًا أَوْ مِائَةَ أَلْفِ كِيلُو مِتْرًا بِسُهُولَةٍ سَرِيرُهُ يَطِيرُ. بِنْتٌ صَغِيرَةٌ عُمُرُهَا سِتُّ سَنَوَاتٍ، ذُكِرَ لِي فِي بَيْرُوتَ أَنَّهَا رَأَتْ رُؤْيَا فَاشْتَاقَتْ لِرُؤْيَةِ ذَلِكَ الشَّخْصِ فَطَارَتْ وَهِيَ عَلَى السَّرِيرِ

الَّذِي هِيَ عَلَيْهِ فِي الْجَنَّةِ. وَهَذَا شَاهِدٌ لِمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ. مَا كَانَتْ سَمِعَتْ بِالْحَدِيثِ إِنَّمَا اللهُ أَرَاهَا فِي الرُّؤْيَا هَذَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «**لِلشَّهِيدِ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ حَوْرَاءَ**» حَدِيثٌ صَحِيحٌ لَكِنْ لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ زِيَادَةٌ عَلَى ذَلِكَ بَلْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَطُوفُ فِي الْجَنَّةِ عَلَى مِائَةِ عَذْرَاءَ أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ عَلَى الإِسْلَامِ اللهُ يُزَوِّجُهَا فِي الْجَنَّةِ بِبَعْضِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى الْبِنْتُ الَّتِي مَاتَتْ بِنْتَ يَوْمِهَا. الْقَوْلُ الصَّحِيحُ أَنَّ كُلَّ شَخْصٍ إِنْ كَانَ مَاتَ طِفْلًا أَوْ كَبِيرًا، كُلُّ مُسْلِمٍ لَمَّا يَدْخُلِ الْجَنَّةَ يَكُونُ عَلَى صُورَةِ ءَادَمَ سِتِّينَ ذِرَاعًا طُولًا مَعَ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ عَرْضًا حَتَّى الطِّفْلُ اللهُ هَيَّأَ لَهُمْ شَجَرَةً. رَاكِبُ الْجَوَادِ لَوْ سَارَ مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا بِالظِّلِّ، مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ يَطْلُعُ ثَوْبُ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ دُونِ تَخْيِيطٍ، هَذِهِ عِنْدَمَا يَكُونُونَ دَاخِلِينَ. النَّاسُ أَقْسَامٌ، قِسْمٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ دُخُولِ الْجَنَّةِ مِنْ وَقْتِ الْخُرُوجِ مِنَ الْقَبْرِ يَكُونُونَ كَاسِينَ رَاكِبِينَ طَاعِمِينَ لَهُمْ شَرَابٌ وَأَكْلٌ، وَقِسْمٌ يَمْشُونَ حُفَاةً عُرَاةً لَيْسَ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ عِنْدَمَا يَخْرُجُونَ مِنَ الْقُبُورِ، أَكْثَرُ النَّاسِ هَكَذَا يَكُونُونَ، وَقِسْمٌ تَجُرُّهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى وُجُوهِهِمْ، الْأَتْقِيَاءُ يَكُونُونَ كَاسِينَ طَاعِمِينَ رَاكِبِينَ، لَا حِسَابَ عَلَى الْأَطْفَالِ إِلَّا عَلَى الْبَالِغِينَ، لَا يُسْأَلُونَ عَنْ شَيْءٍ. أَوْلَادُ الْكُفَّارِ مِنْ دُونِ حِسَابٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ لَكِنْ مَرْتَبَتُهُمْ أَقَلُّ مِنْ مَرْتَبَةِ الْمُؤْمِنِينَ. ءَادَمُ أَوَّلَ مَا خُلِقَ سِتُّونَ ذِرَاعًا وَعَرْضُهُ سَبْعَةٌ بَقِيَ كَمَا هُوَ هَذَا مَعْنَى خَلَقَ اللهُ ءَادَمَ عَلَى صُورَتِهِ أَيْ عَلَى الْهَيْئَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا لَيْسَ مِثْلَ أَبْنَائِهِ مُتَطَوِّرًا مِنْ طَوْرٍ إِلَى طَوْرٍ أَيْ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي ظَهَرَ عَلَيْهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، مَا تَطَوَّرَ مِثْلَ أَبْنَائِهِ. أَيَّامَ الرَّسُولِ لَا يُوجَدُ مَنْ طُولِهِ إِلَّا كَأَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ مِنْ حَيْثُ الطُّولُ كَأَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ. اللهُ تَعَالَى أَعْطَاهُمْ قُوَّةً، تَعَوَّدُوا عَلَى اسْتِعْمَالِ السَّيْفِ وَالرُّمْحِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، سُيُوفُهُمْ طِوَالٌ وَسِهَامُهُمْ طِوَالٌ، كَانُوا تَعَوَّدُوا عَلَى هَذَا، لَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَكُونَ بَعْضُهُمْ طِوَالُ الْأَكُفِّ دُوْنَ الْأَجْسَادِ وَأَنْ تَكُون الْأَجْسَادِ كَطُولِ أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ».

سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ غَيْرُ سَيْحُونَ وَجَيْحُونَ، أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ.

سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ نَهْرَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ مِنْ بِلَادِ الْعَجَمِ، بِلَادِ فَارِسٍ. أَمَّا سَيْحُونُ وَجَيْحُونُ يُمْكِنُ مِنْ تُرْكِيَّا. بِلَادُ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ هِيَ بِلَادُ فَارِسٍ خَارِجَ تُرْكِيَّا. يَنْزِلُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يَدْخُلُ فِي أَرْضٍ ثُمَّ يَطْلُعُ مِنْ أَرْضٍ أُخْرَى، النَّاسُ لَا يَرَوْنَ حِينَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَيَخْتَرِقُ هَذِهِ الْمَسَافَةَ الْبَعِيدَةَ، لَا يَرَوْنَ إِنَّمَا يَرَوْنَ الْمَكَانَ الَّذِي تَطْلُعُ مِنْهُ. الْفُرَاتُ يَنْزِلُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيَخْتَرِقُ هَذَا الْفَرَاغَ، يَدْخُلُ فِي الْأَرْضِ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاهُ النَّاسُ ثُمَّ يَطْلُعُ مِنْ تُرْكِيَّا، يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ وَقْعَةً وَاحِدَةً فَاخْتَزَنَتْهُ الْأَرْضُ، هَذِهِ الْأَرْضُ كَثَافَتُهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، بَطْنُ الْأَرْضِ وَاسِعٌ، تَحْمِلُ مَاءً كَثِيرًا. مَاءٌ مَخْزُونٌ، اللهُ يَعْلَمُ مَا قَدْرُهَا ﴿يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ٢١﴾ [سورة الزمر]، قَدْ يَجُوزُ أَنَّ الِاثْنَيْنِ يَكُونَانِ مِنْ مِيَاهِ الْجَنَّةِ».

حَظُّ جَهَنَّمَ مِنَ الْبَشَرِ أَكْثَرُ مِنْ حَظِّ الْجَنَّةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «حَظُّ جَهَنَّمَ مِنَ الْبَشَرِ أَكْثَرُ مِنْ حَظِ الْجَنَّةِ، وَالْجِنُّ بِالْأَوْلَى. يُوجَدُ خَلْقٌ يُقَالُ لَهُمْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، قَبِيلَتَانِ، وَوَرَاءَهُمْ ثَلَاثُ أُمَمٍ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ. بَشَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالنِّسْبَةِ لِأَهْلِ النَّارِ شَيْءٌ قَلِيلٌ كَوَاحِدٍ مِنْ أَلْفٍ، لَكِنْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ هُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ. ثَمَانُونَ صَفًّا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، وَأَرْبَعُونَ صَفًّا هُمْ أَتْبَاعُ مُوسَى وَأَتْبَاعُ عِيسَى وَإِبْرَاهِيمَ وَغَيْرُهُمْ. كُلُّ الْأَنْبِيَاءِ أُمَمُهُمْ بِالنِّسْبَةِ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثُلُثٌ وَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ ثُلُثَانِ».

الْحِسَابُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «رَوَى الطَّبَرَانِيُّ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ**». مَعْنَاهُ الَّذِي لَا يُصْلِحُ صَلَاتَهُ دَخَلَ الْفَسَادُ إِلَى سَائِرِ أَعْمَالِهِ. مَنْ كَانَتْ صَلَاتُهُ صَحِيحَةً مَقْبُولَةً، سَائِرُ أَعْمَالِهِ تَكُونُ صَحِيحَةً مَقْبُولَةً عَلَى التَّمَامِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَتْ صَلَاتُهُ غَيْرَ صَحِيحَةٍ يَدْخُلُ الْخَلَلُ إِلَى سَائِرِ أَعْمَالِهِ. وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ فِي أَعْمَالِهِ. مَنْ تَصَدَّقَ وَكَانَ تَارِكًا لِلصَّلَاةِ لَا تُكْتَبُ لَهُ كَامِلَةً كَالَّذِي يُقِيمُ الصَّلَاةَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «هَنِيئًا لِمَنْ قَدَّمَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِيَوْمِ الْمَعَادِ مَا يَنْفَعُهُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «فِي هَذَا الزَّمَنِ ظَهَرَتْ مُعَامَلَاتٌ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالشَّرِكَاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ لَا تُوَافِقُ الشَّرْعَ بَلْ هِيَ مُخَالِفَةٌ لِلشَّرْعِ، مُحَرَّمَةٌ. الْإِنْسَانُ فِي الْآخِرَةِ يُسْأَلُ عَنِ الْمَالِ مِنْ أَيْنَ حَصَلَ عَلَيْهِ وَفِي أَيِّ شَيْءٍ أَخْرَجَهُ، إِنْ حَصَلَ عَلَيْهِ بِطَرِيقٍ حَرَّمَهُ اللهُ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ، إِنْ أَخَذَهُ بِطَرِيقٍ حَلَالٍ وَصَرَفَهُ فِي الْحَرَامِ يُعَذَّبُ عَلَيْهِ، إِنَّمَا الَّذِي يَسْلَمُ مَنْ أَخَذَ الْمَالَ مِنْ حَلَالٍ وَصَرَفَهُ فِي الْحَلَالِ.

وَيَبْقَى عَلَيْهِ حِسَابٌ آخَرُ، عَنِ الصَّلَاةِ يُسْأَلُ وَعَنِ الزَّكَاةِ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ مَالٌ وَعَنِ الصِّيَامِ وَعَنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ. لِمَ لَمْ تَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ مَنْ كُنْتَ تَرْجُو أَنَّهُ يَسْمَعُ؟ لِمَ لَمْ تَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ مَنْ كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَكَ؟ أَنْ يَنْتَهِيَ إِنْ نَهَيْتَهُ؟ وَعَنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَأَعْمَالِ الْعَيْنِ وَأَعْمَالِ الْيَدِ وَأَعْمَالِ الرِّجْلِ.

الْآخِرَةُ أَمْرُهَا شَدِيدٌ. ثُمَّ عَنِ الْكَلَامِ، بَعْضُ الْعُلَمَاءِ قَالَ: لِسَانُكَ ثُعْبَانٌ إِنْ لَمْ تَحْفَظْهُ يَقْتُلْكَ كَمَا أَنَّ الثُّعْبَانَ إِذَا لَمْ تَتَجَنَّبْهُ يَقْتُلُكَ بِسُمِّهِ، الثُّعْبَانُ يَقْتُلُكَ بِسُمِّهِ، يَقْتُلُ جَسَدَكَ، أَمَّا هَذَا الْكَلَامُ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ قَدْ يُوقِعُكَ فِي جَهَنَّمَ».

اللَّوْحُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ كَتَبَ اللهُ فِيهِ كُلَّ شَىْءٍ يَصِيرُ إِلَى نِهَايَةِ الدُّنْيَا، أَمَّا مَا بَعْدَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَاللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ لَا يَحْوِيهِ لِأَنَّ الْحَيَاةَ الْآخِرَةَ لَا نِهَايَةَ لَهَا. وَوَرَدَ فِي الْأَثَرِ أَنَّ اللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ مَسَاحَتُهُ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ.

كِتَابَتُهُ لَيْسَ كَكِتَابَتِنَا، الْقَلَمُ بِقُدْرَةِ اللهِ جَرَى قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ الْمَلَائِكَةُ، لَمْ يَكُنْ يُوجَدُ إِلَّا هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ الْمَاءُ وَالْعَرْشُ وَاللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ وَالْقَلَمُ».

الزَّلَازِلُ وَالْبَرَاكِينُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الزَّلَازِلُ تَخْوِيفٌ مِنَ اللهِ، مَعْنَاهُ تُوبُوا إِلَى اللهِ».

وَسُئِلَ رضي الله عنه: هَلْ وَرَدَ عَنِ الْبُرْكَانِ شَىْءٌ؟

فَأَجَابَ: «مَا وَرَدَ، هَذِهِ آيَاتٌ يَخْلُقُهَا اللهُ لِيَتَذَكَّرَ عِبَادُهُ الْمَوْتَ وَأَنَّ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ وَأَنَّهُمْ لَا بُدَّ أَنْ يُنْقَلُوا مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَى بَاطِنِ الْأَرْضِ ثُمَّ يُحْيَوْنَ لِلْحَيَاةِ الثَّانِيَةِ الَّذِي يَعْتَبِرُ قَلِيلٌ وَالْآيَاتُ كَثِيرَةٌ لَكِنَّ الْمُعْتَبِرِينَ قِلَّةٌ».

خَلْقُ الْعَالَمِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اللهُ تَعَالَى أَوْجَدَ هَذَا الْعَالَمَ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، مَا أَوْجَدَهُ دُفْعَةً وَاحِدَةً، هُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ الْعَالَمَ كُلَّهُ دُفْعَةً وَاحِدَةً، الْمَاءُ وَالْعَرْشُ وَالْقَلَمُ وَاللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ وَالضَّوْءُ وَالظَّلَامُ وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ. كُلُّ شَيْءٍ قَادِرٌ أَنْ يَخْلُقَهُ دُفْعَةً وَاحِدَةً لَكِنْ خَلَقَ الْمَاءَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ثُمَّ الْعَرْشَ ثُمَّ الْقَلَمَ ثُمَّ اللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، النُّورَ وَالظَّلَامَ مَا كَانَا مَوْجُودَيْنِ، بِلَا نُورٍ وَلَا ظَلَامٍ وَقْتٌ طَوِيلٌ، ثُمَّ خَلَقَ اللهُ الظَّلَامَ ثُمَّ خَلَقَ النُّورَ ثُمَّ خَلَقَ الْخَلْقَ، بَعْضَهُمْ أَجْسَامًا صِغَارًا وَبَعْضَهُمْ أَجْسَامًا كِبَارًا».

الْخَلْقُ عَلَى قِسْمَيْنِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اللهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ شَاءَ أَنْ يَكُونَ الْخَلْقُ قِسْمَيْنِ، [قِسْمٌ] شَاءَ أَن يَكُونُوا هَادِينَ مُهْتَدِينَ، [يَكُونُونَ] فِي الدُّنْيَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَقِسْمٌ ءَاخَرُونَ عَلِمَ وَشَاءَ أَنْ يَعِيشُوا وَيَمُوتُوا كَافِرِينَ. اللهُ تَعَالَى لَهُ الْأَمْرُ وَالْحُكْمُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، لَا يُقَالُ لِمَ لَمْ يَخْلُقْ كُلَّ الْبَشَرِ هَادِيًا مَهْدِيًّا حَسَنَ الْخُلُقِ. فَمَنَ وَفَّقَهُ اللهُ لِلْإِيمَانِ وَالْهُدَى وَالرَّشَادِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّجَاةِ، وَأَمَّا مَنْ ضَلَّ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ وَاللهُ تَعَالَى لَا يَجُوزُ أَنْ يُعْتَرَضَ عَلَيْهِ، فَمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى لِأَنْ يَعِيشَ مُسْلِمًا وَيَمُوتَ مُسْلِمًا فَقَدْ فَازَ بِنِعْمَةِ اللهِ تَعَالَى فَلْيَحْمَدْ وَلْيَسْأَلِ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَهُ عَلَى الْإِيمَانِ. اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُقَاسُ عَلَى خَلْقِهِ».

حُبّ الصَّحَابَةِ لِلنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «عَنْ سِمَاكٍ قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بنِ سَمُرَةَ أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ؟ قَالَ: «نَعَمْ كَثِيرًا، كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي الصُّبحَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فيَضْحَكُونَ ويَتَبَسَّمُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ».

رَغْبَةُ الصَّحَابَةِ فِي الْآخِرَةِ وَإِخْلَاصُ الْعَمَلِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فِي الْخَلْقِ وَالْمَالِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّظَرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فِي الْمَالِ وَالْغِنَى يَزِيدُ الْإِنْسَانَ طَمَعًا فِي الدُّنْيَا وَبُعْدًا عَنِ الْآخِرَةِ وَنِسْيَانًا لَهَا، أَمَّا النَّظَرُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فِي الْمَالِ وَالرِّزْقِ وَقُوَّةِ الْجِسْمِ فَيَدْعُو إِلَى خِلَافِ ذَلِكَ، وَلْنَقْتَدِ بِالصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ لَوْ كَانُوا عَلَى مِثْلِ حَالِنَا الْيَوْمَ مِنْ تَتَبُّعِ الرَّاحَاتِ وَتَكْثِيرِ الْمَالِ مَا انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ إِلَى الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، وَكَانَ الْإِسْلَامُ مُقْتَصِرًا عَلَى الْحِجَازِ وَالْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ. كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه فِي جَيْشٍ مُوَجَّهًا إِلَى خَارِجِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَكَانَ الْعَدُوُّ الَّذِي يَقْصِدُونَهُ مَلِكُهُمْ أَرْسَلَ فِي جَيْشِهِ بِنْتًا لَهُ بَارِعَةَ الْجَمَالِ وَكَانَ أَلْبَسَهَا التَّاجَ وَالْجَوَاهِرَ وَقَالَ لِتَشْجِيعِ جَيْشِهِ عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ: مَنْ نَجَحَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ فَلَهُ بِنْتِي هَذِهِ، ثُمَّ كَانَ النَّصْرُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ قَائِدُ الْمُسْلِمِينَ وَعَدَ أَيْضًا بِأَنَّ مَنْ جَاءَنِي بِرَأْسِ هَذَا الْمَلِكِ فَلَهُ بِنْتُهُ هَذِهِ، ثُمَّ انْتَصَرَ الْمُسلِمُونَ فَقُتِلَ الْمَلِكُ وَأُسِرَتِ الْبِنْتُ فَقَالَ قَائِدُ الْمُسْلِمِينَ: مَنِ الَّذِي قَتَلَ الْمَلِكَ، فَعَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ مَا قَالَ أَنَا، فَأَخْفَى نَفْسَهُ، فَقَالَ قَائِدُ الْمُسْلِمِينَ: مَنِ الَّذِي قَتَل أَبَاكِ الْمَلِكَ أَتَعْرِفِينَهُ فَقَالَتْ نَعَمْ، فَتَصَفَّحَتِ الْوُجُوهَ حَتَّى أَشَارَتْ [إِلَيْهِ]، انْظُرُوا إِلَى رَغْبَةِ الصَّحَابَةِ فِي الْآخِرَةِ وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ للهِ.

وَمِنْ مَنَاقِبِهِ أَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ احْتَجَمَ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَعْطَى دَمَهُ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه وَقَالَ لَهُ: غَيِّبْهُ فِي أَخْفَى مَكَانٍ، فَشَرِبَهُ، فَقَالَ الرَّسُولُ: مَاذَا فَعَلْتَ بِالدَّمِ؟ قَالَ: غَيَّبْتُهُ فِي أَخْفَى مَكَانٍ، شَرِبْتُهُ.

فَكَانَ مِنْ بَرَكَةِ هَذَا الدَّمِ مِنْ أَقْوَى النَّاسِ قَلْبًا وَصَبْرًا عَلَى الْعِبَادَةِ.

كَانَ إِذَا قَامَ لِلصَّلَاةِ كَأَنَّهُ شَجَرَةٌ نَابِتَةٌ فِي مَكَانِهَا.

رَزَقَنَا اللهُ حُسْنَ اتِّبَاعِهِمْ وَالْفَوْزَ بِالنَّجَاةِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ... آمِينَ».

عَلَامَةُ حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ اتِّبَاعُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ**٣١﴾ [سورة ءال عمران]. عَلَامَةُ حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ اتِّبَاعُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنِ اتَّبَعَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا اتِّبَاعًا كَامِلًا فَهُوَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، مِنْ أَحْبَابِ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، سَوَاءٌ كَانُوا رِجَالًا أَوْ نِسَاءً.

جِبْرِيلُ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ أَنَّ فُلَانًا أَحَبَّهُ اللَّهُ فَأَحِبُّوهُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**مَنْ تَعَلَّمَ وَعَلَّمَ وَعَمِلَ بِمَا تَعَلَّمَ فَذَلِكَ يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ**». أَيْ يُثْنَى عَلَيْهِ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ، وَيُحِبُّونَهُ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ الْعَظِيمَةَ. الطَّيِّبُونَ فِي الْأَرْضِ قِلَّةٌ، عِنْدَمَا يَأْمُرُ اللَّهُ جِبْرِيلَ أَنْ يُنَادِيَ فِي السَّمَاءِ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ أَنَّ فُلَانًا أَحَبَّهُ اللَّهُ فَأَحِبُّوهُ، يَقُولُ جِبْرِيلُ: «رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ» وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ يَقُولُونَ: «رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ»، جِبْرِيلُ يُسَمِّيهِ بِاسْمِهِ وَكَذَلِكَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ».

خِيَارُ النَّاسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «حَدِيثُ: «**خِيَارُ النَّاسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا**»، الَّذِين يَكُونُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارَ النَّاسِ، مَعَ كُفْرِهِمْ يُطْعِمُونَ الْيَتِيمَ وَيَكْسُونَ الْعَارِيَ وَيُقْرُونَ الضَّيْفَ وَيُغِيثُونَ الْمَلْهُوفَ، هَؤُلَاءِ إِذَا أَسْلَمُوا يَكُونُونَ خِيَار النَّاسِ أَيْ يَزْدَادُونَ مِنْ الْعَمَلِ الصَّالِحِ».

إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ**»، رَوَاهُ الْحَافِظُ ابْنُ حِبَّانَ، الشَّامُ أَوَّلُهُ مِنْ عَرِيشِ مِصْرَ وَءَاخِرُهُ بَالِسُ، بَالِسُ هَذِهِ بَعْدَ حَلَبَ إِلَى جِهَةِ الْعِرَاقِ، هَذَا كُلُّهُ شَامٌ، مَعْنَى الْحَدِيثِ إِذَا صَارَ فَسَادٌ فِي الشَّامِ قَلَّ الْخَيْرُ فِي كُلِّ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْيَوْمَ كَثُرَ الْفَسَادُ فِي بَرِّ الشَّامِ».

وَمَا أَخْطَأْتُ وَمَا عَمَدْتُ وَمَا جَهِلْتُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «حَدِيثٌ: «**وَمَا أَخْطَأْتُ وَمَا عَمَدْتُ وَمَا جَهِلْتُ**» مَعْنَاهُ الْجَهْلُ الَّذِي فِيهِ تَرْكُ تَعَلُّمِ الضَّرُورِيَّاتِ، الَّذِي لَا يَتَعَلَّمُ وَيَبْقَى جَاهِلًا، هَذَا الَّذِي يَجْهَلُ مَسْئَلَةً ضَرُورِيَّةً، لَا يَتَعَلَّمُ، هَذَا عَاصٍ».

الدُّنْيَا حَلَالُهَا حِسَابٌ وَحَرَامُهَا عِقَابٌ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ: «**الدُّنْيَا حَلَالُهَا حِسَابٌ وَحَرَامُهَا عِقَابٌ**» مَعْنَاهُ الَّذِي يَجْمَعُ الْمَالَ بِالْحَلَالِ يُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَكِنْ لَا يُعَاقَبُ. الَّذِي جَمَعَ بِالْحَلَالِ لَا يَحصُلُ لَهُ انْزِعَاجٌ، أَمَّا الَّذِي جَمَعَ مِنْ حَرَامٍ فَيَسْتَحِقُّ أَنْ يُعَذَّبَ،

يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعَاقَبَ. اللهُ تَعَالَى خَلَقَ الْبَشَرَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى، خَلَقَ أُنَاسًا وَكَتَبَ لَهُمْ رِزقًا حَلاَلًا وَاسِعًا جِدًّا، وَخَلَقَ أُنَاسًا وَكَتَبَ أَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ الْمَالَ بِالْحَرَامِ وَيَصْرِفُونَهُ بِالْحَرَامِ. كَانَ فِي حَلَبَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عُثْمَان بَاشَا تُرْكِيٌّ، هَذَا رَزَقَهُ اللهُ الْمَالَ الْحَلاَلَ الْكَثِيرَ الْكَثِيرَ، بَنَى مَسْجِدًا لَعَلَّهُ أَيَّامَ السُّلْطَانِ عَبْدِ الْحَمِيدِ أَمْ قَبْلَهُ، بَنَى مَسْجِدًا كَبِيرًا كَأَنَّهُ قَلْعَةٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يُحَلِّلُ أَوْ يُحَرِّمُ بِغَيْرِ دَلِيلٍ شَرْعِيٍّ فَلَهُ الْوَيْلُ فِي الْآخِرَةِ فِي ذَلِكَ الْيَومِ الَّذِي يُسْأَلُ الْعَبْدُ عَنِ الْمَالِ مِنْ أَيْنَ أَخَذَهُ وَفِيمَا صَرَفَهُ، فَإِنْ أَخَذَهُ بِطَرِيقٍ أَحَلَّهُ اللهُ وَصَرَفَهُ بِطَرِيقٍ أَحَلَّهُ اللهُ سَلِمَ وَنَجَا وَإِلَّا فَهُوَ مُسْتَحِقٌّ عَذَابَ اللهِ. وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ الْعَبْدَ يُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قِبَلِ اللهِ: أَلَمْ أُصِحَّ جِسْمَكَ وَأُرْوِكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ، هَذَا مِنْ جُمْلَةِ النِّعَمِ الَّتِي يُسْأَلُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَذَا الْمَاءُ الْبَارِدُ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ بِشُرْبِهِ وَصِحَّةِ جِسْمِهِ، هَذَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِذَا كَانَ يُسْأَلُ عَنْ هَذَا فَفِيمَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا السُّؤَالِ أَوْلَى».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُفَكِّرُونَ فِيمَا يُقَالُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ أَيْنَ أَخَذْتَ هَذَا الْمَالَ؟ الْمَالُ إِنْ أَدْخَلَهُ مِنْ حَلَالٍ وَإِنْ أَخْرَجَهُ فِي حَلَالٍ مَا عَلَيْهِ عُقُوبَةٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه لِأَحَدِهِمْ فِيمَنْ يُصَاحِبُ: «تَجَنَّبْ مُعَامَلَةَ مَن لَا يَعْرِفُ الشَّرِيعَةَ، مَن لَا يَعْرِفُ الْمَالَ الْحَلَالَ مِنَ الْحَرَامِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِذَا إِنْسَانٌ رَغِبَ فِي جَمْعِ الْمَالِ الْكَثِيرِ مِنْ طَرِيقِ الْحَلَالِ لِيَنْفَعَ بِهِ أَقَارِبَهُ وَالْفُقَرَاءَ، وَيَعْمَلَ بِهِ مَبَرَّاتٍ لِبِنَاءِ مَسْجِدٍ أَوْ مَدْرَسَةٍ أَوْ تَكِيَّةٍ لِلْفُقَرَاءِ، مَنِ اشْتَغَلَ بِهَذَا فَلَيْسَ عَلَيْهِ حَرَجٌ عِنْدَ اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مِنَ الْمَعْلُومِ الظَّاهِرِ عِيَانًا الْيَوْمَ انْتِشَارُ الْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ الَّتِي يَكْفُرُ مُعْتَقِدُهَا، وَأَكْثَرُ النَّاسِ مُتَقَاعِدُونَ عَنْ إِنْكَارِهَا، فَلَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَتَقَاعَدَ عَنْ ذَلِكَ كَمَا تَقَاعَدَ الْأَكْثَرُ، وَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُحَقِّقَ ذَلِكَ».

الرِّزْقُ مَقْسُومٌ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الرِّزْقُ مَقْسُومٌ، الرِّزْقُ عَلَى حَسَبِ مَا كَتَبَهُ اللهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ. مَهْمَا تَعَلَّمَ مِنْ عُلُومِ الدُّنْيَا لَا يَأْتِيهِ إِلَّا مَا كَتَبَهُ اللهُ. رَجُلٌ كَانَ يَعْمَلُ مُشْرِفًا عَلَى الْبِنَاءِ فِي مَكَّةَ مِنْ قِبَلِ الدَّوْلَةِ، هَذَا الرَّجُلُ لَا يَعْرِفُ كِتَابَةَ اسْمِهِ، مَاتَ مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، اللهُ أَعْطَاهُ فَهْمًا بِالْهَنْدَسَةِ مِنْ دُونِ أَنْ يَدْخُلَ هَذِهِ الْمَدَارِسَ، ذِهْنُهُ صَارَ وَاسِعًا، بَنَى لِلْمَلِكِ بُيُوتًا فَدَخَلَهُ مَالٌ وَاسِعٌ، اغْتَنَى حَتَّى صَارَتِ الدَّوْلَةُ تَقْتَرِضُ مِنْهُ، رُزِقَ 54 وَلَدًا. كُلُّ وَلَدٍ نالَ مَلَايِينَ، يَعِيشُونَ كَالْمُلُوكِ، هَذَا مِنَ التَّرِكَةِ. الْأَبُ لَا يَعْرِفُ أَنْ يَكْتُبَ اسْمَهُ، اللهُ كَتَبَ لَهُ أَنَّهُ يَصِيرُ عِنْدَهُ هَذَا الْمَالُ الْوَاسِعُ وَهَذا الْمَالُ الْكَثِيرُ. وَلَدَ 54 وَلَدًا، ذُكُورًا وَإِنَاثًا. الرِّزْقُ لَيْسَ مُقَيَّدًا بِالدِّرَاسَةِ بَلْ يُوجَدُ مَنْ مَعَهُ شَهَادَتَانِ أَوْ ثَلَاثُ شَهَادَاتٍ وَلَا يَجِدُونَ عَمَلًا. الْمَطْلُوبُ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ بِأَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ وَاجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ. لَا بُدَّ أَنْ يَصِلَ الرِّزْقُ الَّذِي كَتَبَهُ اللهُ. مِنْ أَجْلِ كَثْرَةِ الْمَالِ النَّاسُ يُرْسِلُونَ أَوْلَادَهُمْ إِلَى بِلَادٍ بَعِيدَةٍ حَتَّى يَطْلُعَ وَلَدُهُ غَنِيًّا مِنْ دُونِ أَنْ يُعَلِّمُوهُمُ الدِّينَ، حَتَّى يَطْلُعُوا مُثَقَّفِينَ أَغْنِيَاءَ. هَذَا فَسَادُ النِّيَّةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الرِّزْقُ مَا يَنْفَعُ وَلَوْ مُحَرَّمًا. السُّمُومُ لَا تُسَمَّى رِزْقًا، الرِّزْقُ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْجِسْمُ، يَنْتَفِعُ بِهِ كَمَا لَوْ سَرَقَ دَجَاجَةً وَأَكَلَهَا».

حِفْظُ الْعَقْلِ وَالنَّسَبِ وَالْمَالِ وَاجِبٌ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اللهُ تَعَالَى فَرَضَ عَلَيْنَا حِفْظَ الْعَقْلِ وَحِفْظَ النَّسَبِ وَحِفْظَ الْمَالِ عَنِ الْإِتْلَافِ، الَّذِي يَرْمِي مَالًا فِي النَّارِ لِيَحْتَرِقَ أَوْ يُتْلِفُهُ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوْهِ حَرَامٌ عَلَيْهِ.

حِفْظُ الْمَالِ وَاجِبٌ وَحِفْظُ النَّفْسِ وَاجِبٌ وَحِفْظُ الْعَقْلِ وَاجِبٌ وَحِفْظُ النَّسَبِ وَاجِبٌ وَحِفْظُ الدِّينِ أَوْجَبُ مِنَ الْكُلِّ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كُلُّ شَيْءٍ حَلَالٍ لَهُ قِيمَةٌ إِتْلَافُهُ حَرَامٌ، إِمَّا أَنْ يَتَصَدَّقَ بِهِ أَوْ يَبِيعَهُ، أَمَّا إِتْلَافُهُ حَرَامٌ، أَمَّا أَنْ يَرْمِيَهُ لِأَجْلِ أَنْ يَأْخُذَهُ النَّاسُ لَيْسَ حَرَامًا.

كَذَلِكَ إِذَا تَرَكَ الْمَاءَ يَنْزِلُ مِنَ الْحَنفِيَّةِ لَيْسَ لِأَيِّ فَائِدَةٍ حَرَامٌ لِأَنَّهُ إِتْلَافُ مَالٍ».

الْعَقْلُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْقَلْبُ وَالدِّمَاغُ يَتَعَاوَنَانِ لَا يَسْتَغْنِي أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ فِي الْعَقْلِ، [الْإِنْسَانُ] أَلَيْسَ لَهُ هَذَا الْقَلْبُ الَّذِي هُو صَنَوْبَرِيُّ الشَّكْلِ، كَذَلِكَ لَهُ دِمَاغٌ لَكِنِ الْمَعْنَى الْقُوَّةُ الَّتِي فِي هَذَا الدِّمَاغِ فِي الْقَلْبِ إِنْ تَغَيَّرَتْ أَوْ فَسَدَتْ تذْهب بالْعَقْل أَوْ تُنْقِصُهُ، يُقَالُ يَعْقِلُ بِقَلْبِهِ بِمُعَاوَنَةِ الدِّمَاغِ، الْعَقْلُ فِي الْقَلْبِ لَكِنْ بِمُسَاعَدَةِ الدِّمَاغِ».

الْعَرْشُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «السَّمَاءُ الدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ لِلْعَرْشِ كَقَطْرَةٍ مِنْ بَحْرٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «هَذِهِ الْأَرَاضِي السَّبْعُ وَالسَّمَاوَاتُ السَّبْعُ بِجَنْبِ الْعَرْشِ كَقَطْرَةٍ بِجَنْبِ الْبَحْرِ».

السَّمَاءُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «السَّمَاءُ الْأُولَى هَذِهِ أَوْسَعُ مِنْ أَرْضِنَا هَذِهِ بِآلَافِ الْمَرَّاتِ، يُوجَدُ فِيهَا بَابٌ وَاحِدٌ يُسَمَّى بَابَ التَّوْبَةِ، خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ، وَلَا يَزَالُ مَفْتُوحًا إِلَى أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا وَهَذَا الْبَابُ عَرْضُهُ مَسِيرَةُ سَبْعِينَ سَنَةٍ، إِذَا كَانَ بَابٌ وَاحِدٌ عَرْضُهُ مَسِيرَةُ سَبْعِينَ سَنَةٍ فَكَيْفَ يَكُونُ جُمْلَةُ السَّمَاءِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «السَّمَاءُ قِبْلَةُ الدُّعَاءِ وَهَذَا مَعْلُومٌ لِأَنَّ الرَّسُولَ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ إِلَى السَّمَاءِ وَرَغَّبَ أَيْضًا أُمَّتَهُ بِأَنْ يَرْفَعُوا أَكُفَّهُمْ إِلَى السَّمَاءِ لِأَنَّهَا مَهْبِطُ الرَّحَمَاتِ وَالْبَرَكَاتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «السَّمَاءُ قِبْلَةُ الدُّعَاءِ لِذَلِكَ نَرْفَعُ أَيْدِينَا وَوُجُوهَنَا إِلَى السَّمَاءِ عِنْدَ الدُّعَاءِ. وَنَهَانَا الرَّسُولُ أَنْ نَرْفَعَ بَصَرَنَا إِلَى السَّمَاءِ فِي الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ، لِأَنَّ الصَّلَاةَ هِيَ مُنَاجَاةُ اللهِ لَكِنْ نَهَانَا فِي الصَّلَاةِ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى السَّمَاءِ وَفِي الدُّعَاءِ أَمَرَنَا. اللهُ أَقْفَلَ قُلُوبَهُمْ، لَا يَفْهَمُونَ».

فِي كُلِّ أَرْضٍ وَسَمَاءٍ بَيْتٌ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «فِي كُلِّ سَمَاءٍ بَيْتٌ بِحِيَالِ الْكَعْبَةِ تَسْتَقْبِلُهُ الْمَلَائِكَةُ فِي كُلِّ سَمَاءٍ. وَهَذِهِ الْأَرْضُ الَّتِي عَلَيْهَا الْكَعْبَةُ تَحْتَهَا بَيْتٌ بِحِيَالِ هَذِهِ الْكَعْبَةِ. وَالْأَرْضُ الثَّانِيَةُ كَذَلِكَ وَالْجُمْلَةُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ بَيْتًا غَيْرَ هَذِهِ الَّتِي فِي مَكَّةَ كُلٌّ بِحِيَالِ الْكَعْبَةِ مِنْ فَوْقُ وَمِنْ تَحْتُ».

السَّمَاوَاتُ وَالْأَرَضُون:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «بَيْنَنَا وَبَيْنَ السَّمَاءِ الْأُولَى خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَفْوَاجٌ وَيُوجَدُ مَاءٌ، بَحْرٌ مَكْفُوفٌ بِقُدْرَةِ اللهِ لَا يَنْزِلُ إِلَى الْأَرْضِ لَا يَنْكَبُّ عَلَى الْأَرْضِ مَمْسُوكٌ بِقُدْرَةِ اللهِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ هَذَا الْمَاءُ. أَمَّا السَّمَاءُ الْأُولَى الَّتِي نَرَاهَا بِلَوْنِ الزُّرْقَةِ لَمَّا يَكُونُ صَحْوٌ تَامٌّ لَيْسَتْ فَضَاءً بَلْ شَىْءٌ سَمِيكٌ مِثْلُ هَذِهِ الْأَرْضِ، وَفَوْقَهَا فَضَاءٌ وَاسِعٌ كَالْفَضَاءِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ السَّمَاءِ الْأُولَى ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ الْفَضَاءِ السَّمَاءُ الثَّانِيَةُ وَهَكَذَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ».

وَسُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ: هَلِ الْمَطَرُ يَنْزِلُ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الَّذِي هُوَ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ؟

فَأَجَابَ رضي الله عنه: «يُوجَدُ مَاءٌ غَيْرُهُ مِنْ فَوْقِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ تَحْتَ الْعَرْشِ، هَذِهِ الْكَوَاكِبُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فِي الْفَضَاءِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ السَّمَاءِ الْأُولَى النُّجُومُ كُلُّهَا زُحَلُ وَغَيْرُهَا فِي هَذَا الْفَضَاءِ، ضِمْنَ السَّمَاوَاتِ لَا يُوجَدُ نُجُومٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَرْضُنَا هَذِهِ تَحْتَهَا أَرْضٌ مُنْفَصِلَةٌ عَنْهَا، يَعِيشُ فِيهَا بَهَائِمُ وَفِيهَا أَشْجَارٌ وَأَنْهَارٌ مِثْلُ أَرْضِنَا هَذِهِ وَفِيهَا حَشَرَاتٌ إِلَّا ابنَ ءَادَم، بَنُو ءَادَمَ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ يَعِيشُونَ فِي الدُّنْيَا، أَمَّا فِي الْآخِرَةِ قِسْمٌ فِي الْجَنَّةِ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ هُنَاكَ يَعِيشُ الْمُؤْمِنُونَ وَقِسْمٌ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ وَهُمُ الْكُفَّارُ لِأَنَّ جَهَنَّمَ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ».

الْمَكَانُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْمَكَانُ هُوَ مَا يَمْلَأُهُ الْحَجْمُ مِنَ الْفَرَاغِ.

الْفَرَاغُ مَكَانٌ هَذَا الْفَرَاغُ الَّذِي بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَبَيْنَ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ وَبَيْنَ السَّمَاءِ وَالْكُرْسِيِّ وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْعَرْشِ، هَذَا كُلُّهُ مَكَانٌ.

النُّجُومُ مَكَانُهُمْ هَذَا الْفَرَاغُ مَعَ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُتَّصِلِينَ بِجِسْمٍ جَامِدٍ؛ أَمَّا الْبَشَرُ مَكَانُهُمْ هُوَ هَذِهِ الْأَرْضُ، فَالَّذِي يَقُولُ اللهُ فِي فَرَاغِ الْعَرْشِ كَالَّذِي يَقُولُ اللهُ قَاعِدٌ عَلَى الْعَرْشِ، هَذَا أَثْبَتَ لِلهِ الْمَكَانَ، كِلَا الْفَرِيقَيْنِ كُفَّارٌ لِأَنَّهُمْ شَبَّهُوا اللهَ بِخَلْقِهِ. النُّجُومُ مَكَانُهُمُ الْفَرَاغُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْتَمِدَ عَلَى شَىْءٍ جَامِدٍ تَحْتَهَا، وَالْإِنْسَانُ مَكَانُهُ هَذَا الْمَكَانُ مَعَ اتِّصَالِهِ بِالْأَرْضِ».

مَاءُ الْمَطَرِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مَاءُ الْمَطَرِ فِيهِ بَرَكَةٌ لَا سِيَّمَا أَوَّلَ مَرَّةٍ يَنْزِلُ فِيهَا الْمَطَرُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَاءُ الْمَطَرِ كُلُّهُ يَنْزِلُ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ أَنَّ الْمَطَرَ يَنْزِلُ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ لَكِنْ لَا يَنْزِلُ فَوْرًا مِنْ دُونِ أَنْ يَنْزِلَ فِي السَّحَابِ، يَنْزِلُ إِلَى السَّحَابِ ثُمَّ يَسْتَقِرُّ فِي السَّحَابِ إِلَى مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ تَصْرِفُهُ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلونَ بِالْمَطَرِ عَلَى حَسَبِ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ وَهَذَا الْمَاءُ يَكْفِي الْعِبَادَ، أَمَّا مَا يَقُولُهُ الْجُغْرَافِيُّونَ أَنَّ هَذَا الْمَاءَ يَتَبَخَّرُ فِي الْهَوَاءِ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ، هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْجَائِزِ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ هَذَا الْمَطَرِ مِنْ هَذَا التَّبَخُّرِ، أَمَّا الْمَطَرُ الْعَامُّ لَيْسَ مِنْ هَذَا».

وَقْتُ السَّحَرِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «وَقْتُ السَّحَرِ وَقْتُ الْأَسْرَارِ».

ضَوْءُ الشَّمْسِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «ضَوْءُ الشَّمْسِ يَمْنَعُ الْمَاءَ مِنَ التَّعَفُّنِ».

قِيَامُ اللَّيْلِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قِيَامُ اللَّيْلِ سِيرَةُ الصَّالِحِينَ، بَعْدَ النَّوْمِ أَنْ يَقُومَ الشَّخْصُ قَبْلَ الفَجْرِ يُصَلِّي قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا هَذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ فِي الدِّينِ لَكِنْ مَعَ صِحَّةِ الْعَقِيدَةِ وَمَعْرِفَةِ عِلْمِ الدِّينِ».

اللَّيْلُ نِعْمَةٌ وَالنَّهَارُ نِعْمَةٌ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اللَّيْلُ نِعْمَةٌ وَالنَّهَارُ نِعْمَةٌ، هَذَا يَنْفَعُنَا لِشَىْءٍ وَهَذَا يَنْفَعُنَا لِشَىْءٍ، النَّهَارُ لِلْمَعِيشَةِ وَاللَّيْلُ لِلرَّاحَةِ كُلٌّ نِعْمَةٌ لِذَلِكَ أَقْسَمَ اللهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، اللهُ أَقْسَمَ فِي الْقُرْءَانِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ».

الْحَرَمُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «لَيْسَ الْحَرَمُ مَحَلَّ الصَّلَاةِ فَقَطْ، كُلُّ مَكَّةَ حَرَمٌ، الصَّلَاةُ فِي مَكَّةَ كُلِّهَا فِي الْبُيُوتِ وَفِي الْمَسْجِدِ مُضَاعَفَةٌ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ. أَمَّا فِي الْمَدِينَةِ لَا تُضَاعَفُ الصَّلَاةُ إِنْ صُلِّيَتْ فِي الْبَيْتِ وَلَكِنْ ثَوَابُهَا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى أَفْضَلُ إِنَّمَا مِنْ حَيْثُ الْمُضَاعَفَةُ فِي الْعَدَدِ فِي الْمَسْجِدِ أَكْثَرُ. أَمَّا فِي الْمَدِينَةِ بَعْضُهُمْ قَالَ: الْمُضَاعَفَةُ لَا تَحْصُلُ إِلَّا فِي الْقَدْرِ الْأَصْلِيِّ الَّذِي كَانَ فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ فِي زَمَانِهِ أَمَّا فِي التَّوْسِعَةِ فَلَا مُضَاعَفَةَ، وَبَعْضُهُمْ قَالَ الْمُضَاعَفَةُ تَحْصُلُ فِي الْقَدْرِ الْأَصْلِيِّ وَفِي التَّوْسِعَةِ. فِي الْمَدِينَةِ فِي الْبُيُوتِ لَا مُضَاعَفَةَ»، فَالشَّيْخُ يُرَجِّحُ أَنَّهُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَصْلِيِّ وَفِي التَّوْسِعَةِ الْعُمَرِيَّةِ وَالْعُثْمَانِيَّةِ يُضَاعَفُ الثَّوَابُ.

إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ خَوْلَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». فَالَّذِي يَأْخُذُ مَالَ الزَّكَاةِ وَهُوَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ وَالَّذِي يَأْكُلُ مَالَ الْيَتِيمِ وَكَذَلِكَ الَّذِي أَكَلَ الرِّبَا كُلُّهُمْ يَدْخُلُونَ تَحْتَ هَذَا الْحَدِيثِ».

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اللهُ تَعَالَى يَرْحَمُنَا وَيَغْفِرُ لَنَا، أَمْرُ الْآخِرَةِ عَظِيمٌ، الَّذِي يَأْكُلُ مَالَ الْيَتِيمِ أَوَّلَ مَا يَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ يَخْرُجُ وَفَمُهُ يَتَأَجَّجُ نَارًا مِنْ جَوْفِهِ إِلَى الْفَمِ ثُمَّ زِيَادَةً عَلَى هَذَا يَدْخُلُ جَهَنَّمَ، لَيْسَ أَمْرًا هَيِّنًا، وَكَمْ مِنْ إِخْوَةٍ وَكَمْ مِنْ أَعْمَامٍ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى نَسُوا الْآخِرَةَ بَلْ يَعْتَبِرُوْنَهَا غَنِيمَةً، كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا مَاتَ أَخٌ لَهُمْ وَتَرَكَ أَيْتَامًا يَعْتَبِرُونَ مَالَ الْأَيْتَامِ غَنِيمَةً لِيَتَمَتَّعُوْا بِهَا».

الْمُعَامَلَةُ الزَّوْجِيَّةُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الزَّوْجَانِ إِذَا كَانَ أَحَدُهُمَا يَحْصُلُ مِنْهُ إِسَاءَةٌ أَوْ جَفَاءٌ، وَالطَّرَفُ الْآخَرُ لَزِمَ الْإِحْسَانَ وَحُسْنَ الْمُعَامَلَةِ وَلَمْ يُقَابِلْهُ بِالْمِثْلِ، هَذَا عِنْدَ اللهِ أَعْلَى».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْغَيْرَةُ عَلَى الزَّوجِ إِنْ عَصَى اللهَ مَطْلُوبَةٌ، أَمَّا عَلَى غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللهِ لَيْسَتْ مَطْلُوبَةً إِذَا كَانَ زَوْجُهَا يَذْهَبُ لِلْحَرَامِ هَكَذَا أَوْ هَكَذَا فَغَارَتْ لَهَا حَقٌّ، أَمَّا إِذَا تَزَوَّجَ امْرَأَةً أُخْرَى بِطَرِيقِ الشَّرْعِ هَذِهِ الْغَيْرَةُ لا يُحِبُّهَا اللهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تُعْتَبَرُ الزَّوْجَةُ نَاشِزًا إِنْ خَرَجَتْ بِلَا إِذْنِ زَوْجِهَا بِغَيْرِ عُذْرٍ، وَهُنَاكَ حَالَةٌ ثَانِيَةٌ وَهِيَ أَنْ تُخَشِّنَ الْكَلَامَ لَهُ بِمَا يُؤْذِيهِ وَيَدُلُّ عَلَى نُفُورِهَا مِنْهُ، وَهُنَاكَ ثَالِثَةٌ وَهِيَ إِنْ مَنَعَتْهُ الِاسْتِمْتَاعَ بِهَا. أَمَّا مُجَرَّدُ السَّبِّ لَيْسَ نُشُوزًا، لَوْ سَبَّتْهُ بِدُونِ تَخْشِينِ الْكَلَامِ لَا يُعَدُّ هَذَا نُشُوزًا، إِذَا كَانَ يُهْمِلُ تَرْبِيَةَ أَوْلَادِهِ بِدُونِ تَخْشِينِ الْكَلَامِ تُكَلِّمُهُ، يُوجَدُ طَرِيقَةٌ أُخْرَى غَيْرُ تَخْشِينِ الْكَلَامِ تَقُولُ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَنْتَ فَرْضٌ عَلَيْكَ أَنْ تُرَبِّيَ أَوْلَادَكَ عَلَى حَسَبِ مَا أَمَرَ اللهُ تَأْمُرُهُمْ بِالصَّلَاةِ تَنْهَاهُمْ عَنِ الْمَعَاصِي، تُعَلِّمُهُمُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الزَّوْجَةُ الَّتِي تُؤْذِي زَوْجَهَا بِالْكَلَامِ كَثِيرًا يُقَالَ لَهَا اتَّقِي اللهَ فِيَّ إِنَّ لِيَ عَلَيْكِ حُقُوقًا وَأَنْتِ لَكِ عَلَيَّ حُقُوقٌ، فَإِنْ تَوَقَّفَتْ عَنْ إِيذَائِهِ فَذَاكَ الْأَمْرُ وَإِلَّا إِنْ خَشَّنَتْ لَهُ الْكَلَامَ فَهِيَ نَاشِزَةٌ لَيْسَ لَهَا نَفَقَةٌ عَلَيْهِ حَتَّى تَعُوْدَ إِلَى الْحَالِ الْحَسَنِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «يَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَطْلُبَ الطَّلَاقَ مِنْ زَوْجِها إِذَا كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهَا مِنْ مَالٍ حَرَامٍ لَيْسَ لَهُ إِلَّا هَذَا الْمالُ الْحَرَامُ، أَمَّا إِذَا كَانَ لَهُ مَالٌ حَلَالٌ تُطَالِبُهُ عِنْدَ الْحَاكِمِ الشَّرْعِيِّ لِيُنْفِقَ عَلَيْهَا مِنَ الْمَالِ الْحَلَالِ، الْحَاكِمُ يُلْزِمُهُ. وَإِنْ لَمْ يُنْفِقْ، الْحَاكِمُ يَأْخُذُ قَهْرًا عَلَيْهِ وَيُنْفِقُ عَلَيْهَا مِنْ مَالِهِ. أَمَّا إِنْ كَانَ يَضْرُبُهَا أَيْضًا إِنْ كَانَ يُوجَدُ حَاكِمٌ شَرْعِيٌّ يَحْكُمُ بِشَرْعِ اللهِ تَرْفَعُ عَلَيْهِ دَعْوَى، الْحَاكِمُ يُعَالِجُ أَمْرَهُ، لَا تَقُولُ لَهُ طَلِّقْنِي. أَمَّا إِنْ كَانَ لَا يُوجَدُ حَاكِمٌ شَرْعِيٌّ يَحْكُمُ بِالشَّرْعِ لَهَا أَنْ تَقُولَ طَلِّقْنِي، وَإِنْ كَانَ تَارِكَ الصَّلَاةِ لَهَا أَنْ تَقُولَ، لِأَنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ فِي بَعْضِ الْمَذَاهِبِ كَافِرٌ، أَمَّا الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَأْتِيَ زَوْجَتَهُ فِي دُبُرِهَا تَشْكُوهُ إِلَى الْحَاكِمِ الشَّرْعِيِّ، أَوَّلَ مَرَّةٍ يَزْجُرُهُ، يُوَبِّخُهُ، أَمَّا إِنْ عَادَ، يَحْبِسُهُ أَوْ يَضْرِبُهُ حَتَّى يَنْزَجِرَ، أَمَّا إِنْ كَانَ لَا يُوجَدُ حَاكِمٌ شَرْعِيٌّ يَحْكُمُ بِالشَّرْعِ تُلِحُّ عَلَيْهِ أَنْ يُطَلِّقَهَا، أَمَّا إِنْ كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ النَّفَقَةَ بِالْمَرَّةِ، فَقِيرٌ، تَرْفَعُ دَعْوَى عَلَيْهِ عِنْدَ الْحَاكِمِ الشَّرْعِيِّ، تُثْبِتُ عَلَيْهِ شَاهِدَيْنِ أَنَّهُ فَقِيرٌ عِنْدَ الْحَاكِمِ، تُثْبِتُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَطْلُبُهُ الْحَاكِمُ فَيَقُولُ لَهُ: إِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ حَتَّى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ نَفْسَخْ عَلَيْكَ نِكَاحَكَ فَإِنْ أَتَى بِالنَّفَقَةِ خِلَالَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَذَاكَ الْأَمْرُ، وَإِلَّا يَفْسَخُ الْحَاكِمُ أَوْ يَقُولُ لَهَا افْسَخِي نِكَاحَهُ أَوْ تَقُولُ هِيَ: فَسَخْتُ نِكَاحَهُ، ثُمَّ بَعْدَ أَنْ تَقْضِيَ الْعِدَّةَ تَتَزَوَّجُ غَيْرَهُ مِمَّنْ تَشَاءُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْإِنْسَانُ الَّذِي لَا يَعْدِلُ فِي الْقَسْمِ وَالْمَبِيتِ هَذَا فَاسِقٌ، هَذَا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ نِصْفَ إِنْسَانٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «فَائِدَةٌ: إِنْجَابُ الْأَطْفَالِ يَنْوِي بِهَا نِيَّةً حَسَنَةً، الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «**تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». إِنْ نَوَى

الْعَمَلَ بِهَذَا الْحَدِيثَ لِهُ ثَوَابٌ، أَمَّا لِمُجَرَّدِ أَنْ يَفْرَحَ بِهِ مَا لَهُ ثَوَابٌ. إِنْ نَوَى أَنَّهُ إِنْ رَزَقَهُ اللهُ وَلَدًا، هَذَا الْوَلَدُ، يُعَلِّمُهُ أَحْكَامَ دِينِ اللهِ ثُمَّ إِنْ صَارَ جِهَادٌ يُرْسِلُهُ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، هَذَا لَهُ أَجْرٌ بِالزِّوَاجِ، أَمَّا لِمُجَرَّدِ الْفَرَحِ فَلَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ.

الْأَنْبِيَاءُ كُلٌّ مِنْهُمْ يَنْوُونَ نِيَّةً حَسَنَةً، سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، اللهُ أَحَلَّ لَهُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ مِائَةِ امْرَأَةٍ مِنْ شِدَّةِ رَغْبَتِهِ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، حَلَفَ لَيْلَةً أَنْ يُجَامِعَ مِائَةَ امْرَأَةٍ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى تَلِدَ كُلُّ وَاحِدَةٍ فَارِسًا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ هُوَ لَيْسَ لِأَجْلِ الشَّهْوَةِ، [إِنَّمَا] رَغْبَةً بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ. ثُمَّ الْأَنْبِيَاءُ لَهُمْ خَصَائِصُ، اللهُ يُعْطِيهِمْ خَصَائِصَ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِمْ، سُلَيْمَانُ جَامَعَ الْمِائَةَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا يَنْضَرُّ. النَّاسُ الْآخَرُونَ قَدْ يَنْضَرُّونَ لِثَلَاثٍ وَبَعْضُهُمْ لِخَمْسٍ، وَبَعْضُهُمْ لِسَبْعٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، الْأَنْبِيَاءُ لَا يَنْوُونَ بِالزِّوَاجِ الشَّهْوَةَ بَلْ يَنْوُونَ نِيَّةً تُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللهِ، الْأَنْبِيَاءُ قُلُوبُهُمْ لَا تَتَعَلَّقُ بِغَيْرِ اللهِ؛ لَا تَتَعَلَّقُ لَا بِالْمَالِ وَلَا بِالنِّسَاءِ وَلَا بِالْأَوْلَادِ فَيَا خَسَارَةَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ الَّذِينَ يَتْعَبُونَ لِأَوْلَادِهِمْ سِنِينَ عَدِيدَةً ثُمَّ كُلُّ تَعَبِهِمْ يَطْلُعُ هَبَاءً مَنْثُورًا، لَا يَنَالُونَ ذَرَّةً مِنَ الثَّوَابِ.

أَكْثَرُ النَّاسِ يُرِيدُونَ الْأَوْلَادَ لِلْفَخْرِ أَوْ لِيَخْدِمَهُ إِذَا كَبِرَ وَضَعُفَ أَوْ إِذَا أَصَابَهُ الْفَقْرُ لِيَخْدِمَهُ هَذَا الْوَلَدُ، لِهَذَا يَرْغَبُونَ بِالْأَوْلَادِ، مَا لَهُمْ ثَوَابٌ فِي تَعَبِهِمْ.

النِّيَّةُ الْحَسَنَةُ فِي الْعَمَلِ الْمُوَافِقِ لِلشَّرِيعَةِ مَهْمَا كَانَ قَلِيلًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ كَبِيرٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «حَدِيثٌ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ طَلَبَتِ الطَّلَاقَ مِنْ زَوْجِهَا مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبٍ لَمْ تُرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ**» أَيْ لَا تَشُمُّ رَائِحَتَهَا وَإِنْ دَخَلَتْهَا، نَعِيمُهَا يَكُونُ بِغَيْرِ شَمِّ الرَّائِحَةِ، لِأَنَّ طَلَبَ الطَّلَاقِ ذَنْبُهُ مِنَ الْكَبَائِرِ إِنْ كَانَ بِغَيْرِ سَبَبٍ شَرْعِيٍّ. وَإِنْ طَلَبَ أَنْ يُجَامِعَهَا فِي الدُّبُرِ وَيُلِحُّ وَيُؤْذِيهَا لِذَلِكَ تَتْرُكُهُ وَتَرْفَعُ دَعْوَى عَلَيْهِ عِنْدَ الْحَاكِمِ لِيَزْجُرَهُ عَنْ هَذَا الْفِعْلِ وَإِنْ كَانَ لَا يَرْجِعُ عَنْ ذَلِكَ لَهَا أَنْ تُلِحَّ عَلَيْهِ فِي طَلَبِ الطَّلَاقِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنْ تَرَكَ الزَّوْجُ جِمَاعَ زَوْجَتِهِ لَوْ عَشَرَاتِ السِّنِينَ لَيْسَ فِيهِ مَعْصِيَةٌ [هَذَا وَقَدْ سَبَقَ لَهُ أَنْ دَخَلَ عَلَيْهَا وَجَامَعَهَا] أَمَّا الْهَجْرُ بِالْكَلَامِ فَإِنْ كَانَتْ نَاشِزَةً تُخَشِّنُ لَهُ الْكَلَامَ أَوْ لَا تُطِيعُهُ فِي حَقِّهِ لَوْ هَجَرَهَا بِالْمَرَّةِ لَمْ يَرُدَّ لَهَا سَلَامًا وَلَمْ يُكَلِّمْهَا مَا عَلَيْهِ ذَنْبٌ حَتَّى تَتُوبَ، أَمَّا إِنْ هَجَرَهَا لِأَنَّهُ طَلَبَ مِنْهَا أَشْيَاءَ لَيْسَتْ وَاجِبَةً عَلَيْهَا، هَذَا فِيهِ إِيذَاءٌ لَا يَجُوزُ، أَمَّا لِيَوْمٍ وَاحِدٍ لَا تَتَأَذَّى».

وَسُئِلَ رضي الله عنه عَنِ الزَّوْجَةِ الَّتِي تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ لِتَعْلِيمِ الضَّرُورِيَّاتِ وَزَوْجُهَا يَمْنَعُهَا.

فَأَجَابَ رضي الله عنه: «إِنْ كَانَ عَرَفَ أَنَّهَا تُعَلِّمُ أَمْرًا، مَفْرُوضٌ تَعَلُّمُهُ، وَمَعَ هَذَا مَنَعَهَا فَهُوَ فَاسِقٌ، لَا تُطِيعُهُ.

الْمَرْأَةُ لَهَا أَنْ تَخْرُجَ بِدُونِ إِذْنِ زَوْجِهَا إِنْ كَانَتْ تُرِيدُ تَعَلُّمَ عِلْمٍ ضَرُورِيٍّ، كَذَلِكَ لِتَعْلِيمِهِ غَيْرَهَا إِنْ [كَانَ] ذَلِكَ الْغَيْرُ لَا يَتَعَلَّمُ إِلَّا أَنْ تُعَلِّمَهُ، لِذَلِكَ يَجُوزُ لَهَا أَنْ تَخْرُجَ بِغَيْرِ إِذْنِ الزَّوْجِ، لِهَذَا الْغَرَضِ يَجُوزُ.

فَإِنْ قَالَ لَهَا: أَنَا آتِيكِ بِمَنْ يُعَلِّمُكِ فِي الْبَيْتِ لَا تُخَالِفُهُ».

أَقْرَبُ مَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ مِنْ وَجْهِ رَبِّهَا إِذَا كَانَتْ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «النِّسَاءُ اللَّوَاتِي يُلْحِحْنَ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ أَنْ يَأْخُذُوهُنَّ لِلنُّزْهَةِ كُلَّ أَحَدٍ هَذَا لَا خَيْرَ فِيهِ إِلَّا إِذَا كَانَتْ تَحْتَاجُ لأَجْلِ صِحَّتِهَا أَو لِاسْتِفَادَةِ فَائِدَةٍ تَنْفَعُهَا فِي الدِّينِ، أَمَّا لِمُجَرَّدِ اللَّهْوِ وَالتَّنَزُّهِ وَالتَّفَرُّجِ لَا خَيْرَ فِيهِ، مَطْلُوبٌ أَنْ لَا يُوَافِقَهَا.

الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «**أَقْرَبُ مَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ مِنْ رَبِّهَا إِذَا كَانَتْ فِي قَعْرِ دَارِهَا**»، عَوِّدْنَ أَنْفُسَكُنَّ الْعَمَلَ بِالشَّرْعِ الْمُرْجِعِ إِلَى الْآخِرَةِ. هَذِهِ الدُّنْيَا أَيَّامٌ قَلَائِلُ بِالنِّسْبَةِ

لِلآَخِرَةِ؛ الرَّسُولُ قَالَ لِأَزْوَاجِهِ لَمَّا رَجَعَ مِنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ الَّتِي مَا عَاشَ بَعْدَهَا إِلَّا قَلِيلًا: «**هَذِهِ ثُمَّ ظُهُورَ الحُصُرِ**»، مَعْنَاهُ هَذِهِ أَيِ الْحَجَّةُ الَّتِي حَجَجْتُنَّهَا مَعِي اقْتَصِرْنَ عَلَى هَذِهِ ثُمَّ الْزَمْنَ الحُصُرَ أَيْ مُلَازَمَةُ الْبَيْتِ [مَعْنَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ ظُهُورَ الحَصِيرِ] مَا خَرَجْنَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا عَائِشَةُ، خَرَجَتْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْحَجِّ لِأَنَّهَا لَمْ تَفْهَمْ مِنْ هَذَا أَنَّهُ فَرْضٌ عَلَيْهِنَّ، فَهِمَتْ أَنَّهُ مَطْلُوبٌ أَيْ حَسَنٌ، مَا عَلَيْهَا مَعْصِيَةٌ بِخُرُوجِهَا لِلْحَجِّ لَكِنْ خَالَفَتِ الْأَوْلَى، الْأَوْلَى كَانَ أَنْ تَمْكُثَ كَمَا مَكَثَ غَيْرُهَا مِنْ أَزْوَاجِ الرَّسُولِ، هَذَا كَانَ الْأَفْضَلَ لَهَا.

إِذَا لَمْ تَجِدْ مَنْ يُعَلِّمُهَا فِي بَيْتِهَا كَمَا يَجِبُ عِلْمَ الدِّينِ قَدْرَ الْكِفَايَةِ مَاذَا تَفْعَلُ؟ أَتَبْقَى جَاهِلَةً فِي الْبَيْتِ؟ [لَا، بَلْ تَخْرُجُ لِطَلَبِ الْعِلْمِ]، أَمَّا لِأُمُورِ الدُّنْيَا، هَؤُلَاءِ لَا يُنْكِرْنَ الْخُرُوجَ. وَالرِّجَالُ الَّذِينَ أَعْمَى اللهُ قُلُوبَهُمْ يَقُولُونَ كَمَا تَقُولُ بَعْضُ النِّسَاءِ ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**٣٣﴾ [سورة الأحزاب]، لِشَرَفِ زَوجَاتِ الرسول هذا الْأَمْر، مُلَازَمَةُ الْبَيْتِ فِي حَقِّهِنَّ أَوْكَدُ، مُلَازَمَةُ الْبَيْتِ لِكُلِّ النِّسَاءِ مَطْلُوبٌ لَكِنْ لَهُنَّ أَوْكَدُ لِشَرَفِهِنَّ. ﴿**وَقَرْنَ**﴾ لِنِسَاءِ الرَّسُولِ يَعْنِي لَا تَخْرُجْنَ لِغَيْرِ مَصْلَحَةٍ دِينِيَّةٍ هَذَا مَعْنَى الْآية ﴿**وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ**٣٣﴾ [سورة الأحزاب]. أُولَئِكَ نِسَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ، كُنَّ يَلْبَسْنَ إِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ قَصِيرَةً، تَلْبَسُ حِذَاءَ خَشَبٍ طَوِيلًا حَتَّى إِذَا مَشَتْ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ لَا يَظْهَرُ قِصَرُهَا فَيَتَعَرَّضُ لَهَا الرِّجَالُ.

هَؤُلَاءِ لِجَهْلِهِمْ فِي سُورْيَا يَظُنُّونَ أَنَّ خُرُوجَ الْمَرْأَةِ كَاشِفَةَ الْوَجْهِ حَرَامٌ وَيَحْتَجُّونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ، أَيْنَ الْآيَةُ وَأَيْنَ كَلَامُهُمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «صَلَاةُ الْمَرْأَةِ فِي الْبَيْتِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنْ صَلَّتْ فِي الْبَيْتِ فِي مَكَّةَ يُضَاعَفُ لَهَا الثَّوَابُ لِأَنَّ كُلَّ مَكَّةَ حَرَمٌ.

حَدِيثٌ: الرَّسُولُ قَالَ لِامْرَأَةٍ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مَعَكَ، قَالَ: «**صَلَاتُكِ فِي الْبَيْتِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِكِ فِي الْمَسْجِدِ**» مَعْنَاهُ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِكِ مَعِي إِنْ صَلَّيْتِ فِي الْبَيْتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: ««**اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**» مَعْنَاهُ الشَّيْطَانُ يُحْدِقُ النَّظَرَ إِلَيْهَا حَتَّى يُوقِعَ النَّاسَ فِي الْمَعْصِيَةِ بِهَا، الْمَقْصُودُ يَهْتَمُّ بِهَا لِإِغْوَاءِ النَّاسِ بِهَا، يَقُولُ لَهُ: اُنْظُرْ إِلَى حُسْنِ عَيْنِهَا، اُنْظُرْ إِلَى حُسْنِ فَمِهَا، هُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ثُمَّ يُوَسْوِسُ لِلرِّجَالِ حَتَّى يَنْظُرُوا».

التَّسْوِيَةُ بَيْنَ الْأَوْلَادِ فِي الْقُبَلِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الرَّسُولُ قَالَ: «**سَوُّوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ وَلَوْ فِي الْقُبَلِ**» الرَّسُولُ أَمَرَ بِالتَّسْوِيَةِ بَيْنَ الْأَوْلَادِ حَتَّى فِي الْقُبَلِ. إِنْ تَرَكَ التَّسْوِيَةَ فِي الْقُبَلِ بَيْنَ الْأَوْلَادِ مَكْرُوهٌ».

الْفَقْرُ الْمَمْدُوحُ وَالْمَذْمُومُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أَوْلِيَاءُ اللهِ إِذَا أَصَابَهُمْ فَقْرٌ أَوْ مَرَضٌ يَفْرَحُونَ لِأَنَّهُ رَفَعَهُمْ عِنْدَ اللهِ دَرَجَاتٍ وَهَلْ كَانَ أَكْثَرُ الْأَوْلِيَاءِ إِلَّا فُقَرَاءَ. إِنَّمَا الْمَذْمُومُ الْفَقْرُ الَّذِي يُفْسِدُ صَاحِبَهُ، يُوقِعُهُ فِي أَكْلِ الْحَرَامِ، السَّرِقَةِ وَالْغَصْبِ وَالْخِيَانَةِ، هَذَا فِتْنَةٌ».

شِدَّةُ الْفَقْرِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فِي الْمَاضِي كَانَ مِنْ شِدَّةِ الْفَقْرِ وَالْبُؤْسِ كَانَ يَقْتُلُهُمُ الْقَمْلُ، لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ هَذَا، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ كِبَارٌ، أَهْلُ الْبَلَاءِ. قَبْلَ ثَلَاثِينَ سَنَةً فِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ كُنَّا نَشْتَرِي الْمَاءَ

الَّذِي هُوَ قَدْرُ كُوبَيْنِ بِرِيَالٍ لِلْوُضُوءِ، قَدْ لَا يَتَيَسَّرُ لِلشَّخْصِ هُنَاكَ الِاغْتِسَالُ فِي الْمَاضِي الْبَعِيدِ لِقِلَّةِ الْمَاءِ، الْمَاءُ الْآنَ كَثِيرٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «حَدِيثٌ: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَحْمِي أَحَدُكُمْ مَرِيضَهُ الطَّعَامَ**». أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ فُقَرَاءُ، لَوْ كَانَ الْفَضْلُ عِنْدَ اللهِ بِالْمَالِ مَا كَانَ يُوجَدُ نَبِيٌّ إِلَّا وَهُوَ مِنْ أَغْنَى الْأَغْنِيَاءِ وَمَا كَانَ يُوجَدُ وَلِيٌّ إِلَّا وَهُوَ مِنْ أَغْنَى الْأَغْنِيَاءِ، أَغْلَبُ الْأَنْبِيَاءِ فُقَرَاءُ، أَغْلَبُ الْأَوْلِيَاءِ كَذَلِكَ».

مَدْحُ الْفَقْرِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ، فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ قَالَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ مَعَ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ مَعَ أَنَّ الشَّمْسَ يَتَغَيَّرُ حَالُهَا. الْيَوْمَ تَغْرُبُ وَتَطْلُعُ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَبْقَى فِي مَكَانِهَا قَرِيبَةً مِنْ رُؤُوسِ النَّاسِ، تَبْقَى خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. أَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَدْخُلُ كُلُّهُمْ دُفْعَةً وَاحِدَةً، يَدْخُلُ قِسْمٌ أَوَّلًا ثُمَّ قِسْمٌ ثُمَّ قِسْمٌ، الرَّسُولُ يَقُولُ يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ، هَذَا مَدْحٌ لِلْفَقْرِ، الْفَقِيرُ الصَّابِرُ الَّذِي لَا يَمُدُّ يَدَهُ لِلْحَرَامِ بَلْ يَرْضَى بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ وَيَصْبِرُ هَذَا لَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ عِنْدَ اللهِ».

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ**»، لِأَنَّ الْفَقْرَ يُضِلُّ بَعْضَ النَّاسِ، يَسُوقُهُمْ إِلَى الْكُفْرِ وَالْحَرَامِ، وَبَعْضُ النَّاسِ

يَكُونُونَ صَابِرِينَ، لَهُمْ دَرَجَةٌ عَالِيَةٌ عِنْدَ اللهِ، لَا يَمُدُّوْنَ أَيْدِيَهُمْ إِلَى الحَرَامِ هَؤُلاءِ فَقْرُهُمْ مَمْدُوْحٌ، وَأُوْلَئِكَ فَقْرُهُمْ مَذْمُوْمٌ».

الْمُرَادُ بِالْفُقَرَاءِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ إِلَّا صُحْبَةُ الْفُقَرَاءِ، الْجَاهِلُ عِنْدَمَا يَسْمَعُ هَذَا يَظُنُّ الْفُقَرَاءَ العَادِيِّينَ، الْفَقِيرُ الصُّوفِيُّ الَّذِي قَلْبُهُ تَخَلَّى عَنِ التَّعَلُّقِ بِالدُّنْيَا، الَّذِي أَقْبَلَ بِقَلْبِهِ إِلَى الْآخِرَةِ».

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ. صَحِيحٌ، الرَّسُولُ عَلَّمَهُ أَصْحَابَهُ. مَعْنَى «**مِنْكَ**»: أَعُوذُ بِكَ أَيْ أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تُعِيذَنِي مِنْ شَرٍّ خَلَقْتَهُ أَنْتَ، لِأَنَّ الْخَيْرَ وُجِدَ بِخَلْقِهِ وَالشَّرَّ وُجِدَ بِخَلْقِهِ، هُوَ الَّذِي يُوجِدُ أَعْمَالَ الْخَيْرِ الْإِيمَانَ وَالطَّاعَةَ، وَهُوَ الَّذِي يُوجِدُ الْكُفْرَ وَالْمَعَاصِيَ مِنَ الْعِبَادِ، الْعِبَادُ لَيْسُوا هُمْ يَخْلُقُونَ هَذَا الْكُفْرَ وَالْمَعَاصِيَ وَلَا الطَّاعَاتِ، لَا يَخْلُقُ الْعَبْدُ شَيْئًا مِنْ أَفْعَالِهِ. أَفْعَالُ الْعَبْدِ كُلُّهَا مَخْلُوقَةٌ للهِ، النُّطْقُ وَالنَّظَرُ وَالتَّفْكِيرُ، كُلُّ ذَلِكَ هُوَ اللهُ خَالِقُهُ».

الْمُسْلِمُ عَلَى حَسَبِ قُوَّةِ دِينِهِ يُبْتَلَى:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْمُسْلِمُ عَلَى حَسَبِ قُوَّةِ دِينِهِ يُبْتَلَى. الْأَنْبِيَاءُ أَكْثَرُ النَّاسِ بَلَاءً. ثُمَّ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ يَكُونُ قُوَّةُ بَلَائِهِ أَشَّدَ. أَهْلُ مَكَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا اشْتَدَّ إِيذَاءُ الْمُشْرِكِينَ لَهُمْ هَاجَرُوا. مِنْ هَؤُلَاءِ صُهَيْبٌ الرُّومِيُّ. كَانَ سَيِّدُنَا صُهَيْبٌ الرُّومِيُّ مِنْ أَكْثَرِ أَهْلِ مَكَّةَ مَالًا. مُشْرِكُو مَكَّةَ لَمْ يُمَكِّنُوهُ مِنَ السَّفَرِ إِلَى الْمَدِينَةِ إِلَّا بِأَنْ

يَتَخَلَّى عَنْ أَمْوَالِهِ. قَالُوا لَا نُخَلِّيكَ تَأْخُذُ أَمْوَالَكَ، فَتَخَلَّى عَنْ مَالِهِ فَخَرَجَ بِدُونِ شَيْءٍ إِلَّا مَا يَلْبَسُهُ عَلَى جِسْمِهِ. كَانَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ. الْمُسْلِمُ يُبْتَلَى».

وَقَالَ رضي الله عنه: «ابْتِلاءُ اللهِ لِلمُؤْمِنِ رَحْمَةٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يَكُونُ مُصَابًا بِالْمَصَائِبِ وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي دِيْنِهِ نَقْصٌ هَذَا رِفْعَةُ دَرَجَاتٍ، مَا عَلَيْهِ نَقْصٌ، أَمَّا الَّذِي يَدْخُلُ فِي دِينِهِ نَقْصٌ كَأَنْ يَتْرُكَ صَلَاةً، كَهَؤُلاءِ الَّذِينَ يَذْهَبُونَ إِلَى الَّذِي يَضْرِبُ بَالْمَنْدَلِ، هَذَا نُقْصَانٌ فِي الدِّينِ. كَانَ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ الرَّبِيعُ ابْنُ خَيثمَ هَذَا أُصِيبَ بِالْفَالِجِ، كَانَ لِشِدَّةِ حَالِهِ بِالْمَرَضِ يَسِيلُ اللُّعَابُ مِنْ فَمِهِ، مِنْ أَثَرِ الْفَالِجِ صَارَ ارتِخَاءٌ فِي فَمِهِ، كَانَ اللُّعَابُ يَسِيلُ وَمَا ضَرَّهُ ذَلِكَ بَلِ ارْتَفَعَ دَرَجَاتٍ».

وُرُودُ الْفَاقَاتِ أَعْيَادُ الْمُرِيدِينَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ الصَّادِقِينَ: «وُرُودُ الْفَاقَاتِ أَعْيَادُ الْمُرِيدِينَ» مَعْنَاهُ وُرُودُ الْمَصَائِبِ عِيدٌ لِلْمُرِيدِينَ أَيْ لِطُلَّابِ الْآخِرَةِ الْمُقْبِلِينَ عَلَيْهَا، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ إِنْ بَلَغَهُمُ الْفَقْرُ بَعْدَ أَنْ كَانُوا بِحَالَةِ بَسْطٍ يَعْتَبِرُونَهُ عِيدًا فَيَزِيدُونَ فِي الطَّاعَةِ بَدَلَ أَنْ يَنْقَلِبُوا أَوْ يُخَفِّفُوا».

اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ: «**اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ**». وَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: «**وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ».

عَلَامَاتُ السَّاعَةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ وَعَلَى الْأَرْضِ مَنْ يَقُولُ: اللَّهُ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ: اللَّهُ اللَّهُ**» هَذِهِ أَيْضًا رِوَايَةٌ صَحِيحَةٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عِنْدَمَا يَقُولُ الدَّجَّالُ لِلسَّمَاءِ أَمْطِرِي وَيَنْزِلُ الْمَطَرُ هَذَا مَطَرٌ خَاصٌّ لِابْتِلَاءِ مَنْ شَاءَ اللهُ لَهُ الضَّلَالَ. هَذَا يَنْزِلُ بِدُونِ تَصَرُّفِ الْمَلَكِ الْمُوَكَّلِ بِالْمَطَرِ».

الْمُصِيبَةُ فِي الْمَالِ وَالْمُصِيبَةُ فِي الدِّينِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «إِنَّ الْمُصِيبَةَ فِي الْمَالِ وَالْمُصِيبَةَ فِي الْجِسْمِ، اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُعَوِّضُ الْمُؤْمِنَ بِهَا الثَّوَابَ وَتَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ وَرَفْعَ الدَّرَجَاتِ. أَمَّا الْمُصِيبَةُ فِي الدِّينِ فَتُوجِبُ لِصَاحِبِهَا الْهَلَاكَ فِي الْآخِرَةِ لِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُعَاءٍ كَانَ يَدْعُو بِهِ: «**وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا**». فَالْمُصِيبَةُ فِي الدُّنْيَا مَعَ سَلَامَةِ الدِّينِ يَسْتَفِيدُ بِهَا الْمُسْلِمُ تَكْفِيرَ السَّيِّئَةِ وَرَفْعَ الدَّرَجَةِ، وَأَمَّا الْمُصِيبَةُ فِي الدِّينِ فَيَخْسَرُ بِهَا الْإِنْسَانُ. مَثَلًا: مَرِضَ فَتَرَكَ الصَّلَاةَ أَوْ سَافَرَ فَتَرَكَ الصَّلَاةَ، مِنْ أَجْلِ خَاطِرِ إِنْسَانٍ ارْتَكَبَ مَعْصِيَةً مِنَ الْمَعَاصِي هَذِهِ مُصِيبَةٌ فِي الدِّينِ وَأَعْظَمُ مُصِيبَةٍ فِي الدِّينِ هُوَ الْكُفْرُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كُلُّ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُؤْمِنَ تُمْحَى لَهُ بِهَا خَطِيئَةٌ وَتُرْفَعُ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ.

هَذِهِ الْمَصَائِبُ الْأَمْرَاضُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ لِلْمُؤْمِنِ تَمْحُو بَعْضَ الذُّنُوبِ وَإِذَا تَوَضَّأَ وُضُوءًا شَرْعِيًّا تُذْهِبُ مَعَاصِي الْعَيْنِ، مَعَاصِي الْوَجْهِ تَذْهَبُ مَعَ الْمَاءِ، مَعَاصِي الْيَدِ أَيْضًا تَذْهَبُ مَعَ الْمَاءِ، كَذَلِكَ إِذَا مَسَحَ رَأْسَهُ تَذْهَبُ خَطَايَا رَأْسِهِ الصِّغَارُ مَعَ الْمَاءِ، وَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ مَعَاصِي رِجْلَيْهِ الصَّغَائِرُ مَعَ الْمَاءِ».

قَالَ رضي الله عنه: «الرَّسُولُ قَالَ: إِنَّ الصَّالِحِينَ يُشَدَّدُ عَلَيْهِمْ، الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ يُشَدَّدُ عَلَيْهِمْ فِي حَالِ الصِّحَّةِ وَقَبْلَ الْمَوْتِ وَعِنْدَ الْمَوْتِ لِيَعْظُمَ أَجْرُهُمْ لِأَنَّهُمْ يَصْبِرُونَ، ثُمَّ بَعْضُ النَّاسِ اللهُ تَعَالَى يُمِيتُهُمْ فَجْأَةً مِنْ دُونِ مَرَضٍ. الَّذِين هُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ فَأَمَاتَهُمُ اللهُ فَجْأَةً مِنْ دُونِ مَرَضٍ، مِنْ دُونِ أَنْ يُقَاسُوا ءَالَامًا، فَهَذَا رَحْمَةٌ بِهِمْ. وَأَمَّا أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ فُجَّارٌ مِنْ ذُنُوبِهِمْ مَنْ كَانَ مُسْلِمًا اللهُ تَعَالَى يُخَفِّفُ عَنْهُ الْعَذَابَ بِالشِّدَّةِ الَّتِي تُصِيبُهُ قَبْلَ الْمَوْتِ، يُكَفِّرُ عَنْهُ خَطَايَاهُ أَوْ بَعْضَ خَطَايَاهُ.

نَبِيُّ اللهِ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَاتَ فَجْأَةً مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ، وَوَالِدُهُ دَاوُدُ كَذَلِكَ مَاتَ فَجْأَةً، بَعْضُ النَّاسِ مِنَ الْجَهْلِ يَقُولُونَ: إِذَا مَاتَ الشَّخْصُ فَجْأَةً هَذَا غَضَبٌ مِنَ اللهِ، لَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ.

الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحُمَّى الَّتِي تُصِيبُهُ كَحُمَّى رَجُلَيْنِ لِأَنَّ مَرْتَبَتَهُ أَعْلَى، صَبْرُهُ أَقْوَى وَرِضَاهُ بِقَضَاءِ اللهِ أَقْوَى مِنْ غَيْرِهِ.

لَكِنْ بَعْضُ النَّاسِ إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ عِنْدَ الْمَوْتِ الْآلَامُ قَدْ يَكْفُرُونَ، قَدْ يَعْتَرِضُونَ عَلَى اللهِ أَوْ يَقْتُلُونَ أَنْفُسَهُمْ فَيَمُوتُونَ مِيتَةَ سُوءٍ، الَّذِينَ يَعْتَرِضُونَ عَلَى اللهِ يَمُوتُونَ كَافِرِينَ، هُنَاكَ عَنْدَ الْمَوْتِ امْتِحَانٌ، اللهُ يَمْتَحِنُ عِبَادَهُ، بَعْضُهُمْ يَصْبِرُونَ وَلَا يَخْرُجُ مِنْ أَلْسِنَتِهِمْ شَيْءٌ [يَكْرَهُهُ] اللهُ، يَتَحَمَّلُونَ الْأَذَى تِلْكَ السَّاعَةَ.

وَبَعْضُهُمْ لَا يَصْبِرُونَ وَالشَّيْطَانُ تِلْكَ السَّاعَةَ يَبْذُلُ جُهْدَهُ فِي إِغْوَاءِ هَذَا الشَّخْصِ، قَدْ يَظْهَرُ لَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَظْهَرَ لِغَيْرِهِ، بَعْضُ النَّاسِ يُصَابُونَ بِعَطَشٍ شَدِيدٍ وَحَرَكَاتُهُمْ ضَعِيفَةٌ مُنْهَارَةٌ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَنَاوَلَ بِيَدِهِ الْمَاءَ، الشَّيْطَانُ يُظْهِرُ لَهُ شَيْئًا عَلَى هَيْئَةِ شَرَابٍ، يَقُولُ لَهُ: أَنَا أَسْقِيكَ إِنْ كَفَرْتَ. الَّذِي يَمُوتُ فَجْأَةً خَرَجَ مِنْ هَذَا».

بِمَ قَدْ يَغْفِرُ اللهُ الْمَعْصِيَةَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْمَعْصِيَةُ الَّتِي يَعْصِيهَا الْمُسْلِمُ يَغْفِرُهَا اللهُ بِالصَّدَقَةِ، بِالِاسْتِغْفَارِ، بِالصِّيَامِ، بِالْوُضُوءِ، عِنْدَمَا يَغْسِلُ وَجْهَهُ يَخْرُجُ مَعَ الْمَاءِ الْمَعَاصِي الصَّغَائِرُ الَّتِي ارْتَكَبَهَا بِوَجْهِهِ وَعِنْدَمَا يَغْسِلُ يَدَيْهِ يَذْهَبُ بِالْمَاءِ ذُنُوبُ يَدَيْهِ الصَّغَائِرُ، وَعِنْدَمَا يَمْسَحُ رَأْسَهُ وَعِنْدَمَا يَغْسِلُ رِجْلَيْهِ يَخْرُجُ مَعَ الْمَاءِ الذُّنُوبُ الصَّغَائِرُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ رُوِّينَا فِي كِتَابِ الْأَدَبِ لِلْبَيْهَقِيِّ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ سَيِّئَةً فَلْيُتْبِعْهَا بِحَسَنَةٍ**» قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ أَمِنَ الْحَسَنَاتِ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ قَالَ: «**هِيَ أَحْسَنُ الْحَسَنَاتِ**» مِنْ فَضْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنَّ اللهَ يَغْفِرُ لَهُمُ الْكَبَائِرَ وَالصَّغَائِرَ بِبَعْضِ الْحَسَنَاتِ. الْكَبَائِرُ قَدْ تُغْفَرُ بِحَسَنَةٍ مِنَ الْحَسَنَاتِ كَمَا أَنَّ الصَّغَائِرَ تُمْحَى بِالْحَسَنَةِ مِنَ الْحَسَنَاتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْوُضُوءُ الْمَشْرُوعُ حَتَّى يَحْصُلَ بِهِ مَحْوُ الذُّنُوبِ الصَّغَائِرِ، هُوَ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ مَعَ التَّسْمِيَةِ عِنْدَ الْبَدْءِ فِي الْوُضُوْءِ، وَأَنْ تَكُونَ نِيَّتُهُ التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ، أَوْ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ فَرْضٌ أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَأَنْ لا يَتَكَلَّمَ بِكَلَامِ اللَّغْوِ وَهُوَ فِي الْوُضُوءِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْمُسْلِمُ، اللهُ يَغْفِرُ لَهُ بِالصَّدَقَةِ الصَّغِيرَةِ مَعْصِيَةً كَبِيرَةً. إِذَا إِنْسَانٌ تَصَدَّقَ بِشَيْءٍ قَلِيلٍ نِصْفَ حَبَّةِ تَمْرَةٍ عَلَى طِفْلٍ أَوْ عَلَى إِنْسَانٍ جَفَّ حَلْقُهُ مِنَ الْجُوْعِ وَالْعَطَشِ وَكَانَتْ مِنْ حَلَالٍ وَنَوَى بِهَذِهِ الصَّدَقَةِ التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ، اللهُ يَغْفِرُ لَهُ ذُنُوبًا كَبِيرَةً، أَمَّا الْكَافِرُ لَوْ كَانَ كُلَّ يَوْمٍ يَتَصَدَّقُ بِمِلْيُونِ دِينَارٍ ذَهَبًا اللهُ لا يَغْفِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ لَا تَنْفَعُهُ مَهْمَا عَمِلَ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالْإِحْسَانِ لِلمَنْكُوبِينَ.

«**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**» هَكَذَا قَالَ الرَّسُولُ. وَلَو بِشِقِّ تَمْرَةٍ بِالصَّدَقَةِ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ اطْلُبُوا مِنَ اللهِ الْعِتْقَ مِنَ النَّارِ، مَعْنَاهُ بِنِصْفِ تَمْرَةٍ قَدْ يُعْتِقُ اللهُ الْمُسْلِمَ مِنَ النَّارِ».

الْقَصَعَةُ تَسْتَغفِرُ لِلَاعِقِهَا:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الصَّحَابَةُ كَانُوا يَأْكُلُونَ فِي القَصْعَةِ، مَا كَانَ عِنْدَهُمْ صُحُونٌ. كَانَ عِنْدَهُمْ قَصْعَةٌ مِنْ خَشَبٍ سَمِيكٍ يَنحِتُونَهَا فَيَأكُلُونَ فِيهَا. كَانَ عِنْدَهُمْ كَبِيرٌ وَصَغِيرٌ. كَانُوا يَضَعُونَ الْكَبِيرَ فِي الْوَلَائِمِ. هَذِهِ الْقَصْعَةُ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «**تَستَغفِرُ لِلَاعِقِهَا**». لَوْ شَاءَ اللهُ لَهُم أَنْ يَسْمَعُوا لَسَمِعُوا اسْتِغْفَارَ الْقَصْعَةِ لِلَاعِقِهَا».

اللهُ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «بَعْضُ الْمَعَاصِي وَلَوْ كَانَتْ كَبِيرَةً اللهُ يَغْفِرُهَا لِمَنْ يَشَاءُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِحَسَنَةٍ مِنَ الْحَسَنَاتِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتُوبَ، هُوَ اللهُ يَغْفِرُ لَهُ لَكِنِ الشَّخْصُ مَا يُدْرِيهِ بِأَنَّ اللهَ غَفَرَ لَهُ بِتِلْكَ الصَّدَقَةِ هَذَا الذَّنْبَ الْكَبِيرَ أَوِ الصَّغِيرَ، عَلَيْهِ أَنْ يَتُوبَ مِنْ تِلْكَ الْمَعْصِيَةِ وَيَنْوِيَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَيْهَا مَعَ اعْتِقَادِهِ أَنَّ اللهَ يَجُوزُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ بِحَسَنَةٍ مِنَ الْحَسَنَاتِ صَدَقَةٍ أَوْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَوْ أَسْتَغْفِرُ اللهَ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحَسَنَاتِ، اللهُ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الذَّنْبَ الْكَبِيرَ بِالصَّدَقَةِ لَكِنِ الشَّخْصُ مَا يُدْرِيهِ أَنْ اللهَ غَفَرَ لَهُ، الْوَحْيُ لَا يَنزِلُ عَلَيْنَا إِنَّمَا يَنزِل على الْأَنْبِيَاءِ، لِذَلِكَ الرَّسُولُ قَالَ: «**لَا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ**» أَيِ الْحَسَنَاتِ لَا يَحْقِرْهَا.

مَا يُدْرِيهِ بِأَنَّ اللهَ غَفَرَ لَهُ بِهَذِهِ الْحَسَنَةِ ذَنْبًا كَبِيرًا لَهُ: «**لَا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِقٍ**» يَعْنِي التَّبَسُّمَ فِي وَجْهِ الْمُسْلِمِ هَذِهِ حَسَنَةٌ فِيهَا فَائِدَةٌ كَبِيرَةٌ، لَا تَحْقِرْهَا.

الْمُسْلِمُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْتَقِرَ أَيَّ حَسَنَةٍ، لِيُحَسِّنَ ظَنَّهُ، يَقُولُ: لَعَلَّ اللهَ يَغْفِرُ لِي بِهَذِهِ الْحَسَنَةِ ذَنْبًا مِنَ الذُّنُوبِ الْكَبِيرَةِ لَكِنِ التَّوْبَةُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي عَلَى حَسَبِ الشَّرْعِ هِيَ الَّتِي تَمْحُو الذَّنْبَ، أَمَّا بِغَيْرِ التَّوْبَةِ قَدْ يَغْفِرُ اللهُ لِبَعْضٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا لِلْكُلِّ».

التَّاجِرُ الصَّدُوقُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «التُّجَّارُ أَغْلَبُهُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمُوا ـ هَذَا يَسْتَحِقُّ الزَّكَاةَ وَهَذَا لَا يَسْتَحِقُّ الزَّكَاةَ ـ يُوَزِّعُونَ الزَّكَاةَ. التَّاجِرُ إِنْ كَانَ أَمِينًا صَادِقًا وَتَعَلَّمَ عِلْمَ الدِّينِ وَتَجَنَّبَ الْمَعَاصِيَ وَعَمِلَ الْوَاجِبَاتِ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَإِلَّا فَهُوَ مِنَ الْفُجَّارِ، يُحْشَرُونَ فُجَّارًا.

سُئِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَا مَعْنَى يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ؟

فَأَجَابَ رضي الله عنه: مَعْنَاهُ يَوْمَ الْحَشْرِ مُرْتَاحٌ، مَا عَلَيْهِ شَيْءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. الْإِنْسَانُ يُجْمَعُ مَعَ أَشْكَالِهِ، الْفَاجِرُ مَعَ الْفُجَّارِ وَالتَّقِيُّ مَعَ الْأَتْقِيَاءِ. الْأَتْقِيَاءُ لَا يُصِيبُهُمْ حَرُّ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ يَكُونُونَ. إِنَّ التُّجَّارَ مَبْعُوثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا إِلَّا مَنِ اتَّقَى اللهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ، الَّذِي يَصْدُقُ فِي قَوْلِهِ وَلَا يَغُشُّ وَلَا يَكْذِبُ وَيَتَجَنَّبُ الْمَالَ الْحَرَامَ وَيُؤَدِّي الْفَرَائِضَ هَذَا مِنَ الْآمِنِينَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَجَنُّبُ مَعْصِيَةٍ صَغِيرَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَكْعَةٍ مِنَ النَّوَافِلِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَنْ سَهْلِ بنِ معاذٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ قَعَدَ فِي مُصَلَّاهُ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى يُسبِّحَ رَكْعَتَيِ الضُّحَى لَا يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا غُفِرَتْ لَهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحرِ**» رَوَاهُ أَحمدُ وَأَبُو دَاوُدَ».

مَعْنَى الْعِيَالِ فِي حَدِيثٍ ضَعِيفٍ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «كَلِمَةُ الْعِيَالِ التي ذُكِرَت فِي حَدِيثٍ ضَعِيفٍ لَيْسَت صَحِيحَة عَنْ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ مَعْنَاهَا الْأَوْلَادَ، الْعِيَالُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ الْقُدَمَاءِ لَيْسَ مَعْنَاهُ الْأَوْلَادَ، فِي هَذَا الزَّمَنِ صَارُوا يُفَسِّرُونَ الْعِيَالَ بِالْأَوْلَادِ. ذَاكَ الْحَدِيثُ الَّذِي هُوَ

ضَعِيفٌ لَيْسَ ثَابِتًا عَنِ الرَّسُولِ لَكِنْ رَوَاهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي كُتُبِهِمُ: الْخَلْقُ كُلُّهُم عِيَالُ اللهِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ. الْعِيَالُ لَيْسَ مَعْنَاهُ الْأَوْلَادَ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ الْأَصْلِيَّةِ فِي اللُّغَةِ الفُصْحَى، إِنَّمَا إِذَا قِيلَ عِيَالُ فُلَانٍ مَنْ يَكْفِيهِمْ نَفَقَاتِهِمْ أَكْلَهُمْ وَشُرْبَهُمْ وَلِبَاسَهُمْ، حَتَّى لَوْ كَانَ الرَّجُلُ هُوَ يُشْرِفُ عَلَى أَبِيْهِ وَأُمِّهِ أَوْ جَدِّهِ أَوْ جَدَّتِهِ أَوْ يُنْفِقُ عَلَيْهِمْ يُقَالُ لَهُمْ عِيَالُ فُلَانٍ، كُلُّ مَنْ يُنْفِقُ عَلَيْهِ الشَّخْصُ لَوْ كَانَ جَدَّهُ أَوْ جَدَّتَهُ عِيَالُهُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ، لَيْسَ كَمَا يَفْهَمُ النَّاسُ كَلِمَةَ الْعِيَالِ بِمَعْنَى الأَوْلَادِ. هَذَا الْحَدِيْثُ الَّذِي هُوَ غَيْرُ ثَابِتٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ إِنَّمَا يَرْوِيهِ بَعْضُ النَّاسِ فَيَقُوْلُ قَالَ رَسُولُ اللهِ: الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ. بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ أَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ لَمَّا شَرَحُوا هَذَا الْحَدِيْثَ قَالُوا الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ أَيْ فُقَرَاؤُهُ لِأَنَّ الْخَلْقَ الْغَنِيَّ مِنَّا وَالْفَقِيرَ مِنَّا فُقَرَاءُ اللهِ مُحْتَاجُونَ إِلَى اللهِ هَذَا مَعْنَاهُ، لَكِنْ فَسَادُ اللُّغَةِ ـ تُغَيِّرُ لُغَةَ الْعَرَبِ ـ أَوْهَمَ بَعْضَ النَّاسِ أَنَّ هَذَا حَدِيثُ رَسُولِ اللهِ وَفَسَّرَهُ بِالْأَوْلَادِ هَذَا كُفْرٌ، مَنْ فَسَّرَ هَذَا الْحَدِيْثَ بِالْأَوْلادِ كَفَرَ وَلَا عُذْرَ لَهُ».

حَدِيثُ النُّزُولِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «هَذَا الْحَدِيثُ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**» مَعْنَاهُ يَأْمُرُ الْمَلَائِكَةَ بِالنُّزُولِ فَيَنْزِلُونَ مَسَافَةَ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، أَكْثَرَ مِنْ مَسِيْرَةِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، لَكِنِ الْمَلَائِكَةُ لَوْ كَانَ أَحَدُهُمْ عِنْدَ الْعَرْشِ سَهْلٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَنْزِلُوا فِي دَقِيْقَةٍ إِلَى الْأَرْضِ، اللهُ تَعَالَى جَعَلَ أَجْسَادَهُمْ لَطِيْفَةً أَرَقَّ مِنَ الْهَوَاءِ، الْهَوَاءُ إِذَا لَمَسَكَ تَشْعُرُ بِأَنَّهُ لَمَسَكَ، أَمَّا الْمَلَائِكَةُ قَدْ لَا تَشْعُرُ أَنَّهُمْ لَمَسُوكَ مِنْ شِدَّةِ لَطَافَةِ أَجْسَامِهِمْ وَلا يَتْعَبُونَ، مَا خَلَقَ اللهُ فِيْهِمُ التَّعَبَ.

أَبُو مُسْلِمٍ الدَّارَانِيُّ الْخَوْلَانِيُّ مَرَّةً كَانَ فِي غَزْوَةٍ ثُمَّ افْتَرَقَ عَنِ الْجَيْشِ هُوَ وَأُنَاسٌ، ثُمَّ أَهَمَّهُ أَمْرُ الْجَيْشِ مَاذَا صَارَ مِنْ أَمْرِهِمْ، قَلِقَتْ نَفْسُهُ لِأَجْلِ أُولَئِكَ الْجَيْشِ، خَافَ أَنْ يَكُونَ

الْكُفَّارُ اصْطَلَمُوهُمْ، جَاءَ مَلَكٌ بَشَّرَهُ قَالَ: الْجَيْشُ فِي أَمَانٍ وَقَعَدَ بِصُورَةِ طَيْرٍ، هَذَا الْمَلَكُ عَلَى رَأْسِ الرُّمْحِ مَكَانَ النَّصْلِ عَلَى رَأْسِهَا، قَعَدَ فَبَشَّرَهُ هَذَا الْمَلَكُ، وَهَذَا الْمَلَكُ ظَهَرَ لِبَعْضِ الْأَشْخَاصِ بِصُورَةِ شَابٍّ جَمِيلٍ لَابِسٍ أَخْضَرَ وَكَانَ ذَاكَ مَهْمُومًا أَيْضًا، اللهُ فَرَّجَ هَمَّهُ، زَالَ عَنْهُ الْكَرْبُ لَمَّا كَلَّمَهُ هَذَا الْمَلَكُ، هَذَا مِنْ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ، وَقَفَ عَلَى رَأْسِ الرُّمْحِ بِصُورَةِ طَيْرٍ، بَعْضَ الْمَرَّاتِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ يَزُورُونَ بَعْضَ الْأَوْلِيَاءِ».

إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ: «**إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ**»، مَعْنَاهُ إِذَا كَانَ أُنَاسٌ فِي سَفَرٍ فَتَنَاجَى اثْنَانِ انْفَرَدَ اثْنَانِ وَتَرَكَا الثَّالِثَ يَقْلَقُ هَذَا الثَّالِثُ، يَقُولُ لَعَلَّ هَذَانِ يَمْكُرَانِ بِي.

وَفِي غَيْرِ السَّفَرِ كَذَلِكَ يَسْتَأْذِنَانِهِ يَقُولَانِ: بِإِذْنِكَ. تَنْفَرِدَانِ وَفُلَانٌ يَنْكَسِرُ خَاطِرُهُ؟!!».

الْكَذِبُ عَلَى الرَّسُولِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «بَعْضُ النَّاسِ كَذَبُوا كَثِيرًا عَلَى الرَّسُولِ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: لَعَنَ اللهُ الْفُرُوجَ عَلَى السُّرُوجِ، وَجَعَلُوهُ حَدِيثًا، هَذَا الَّذِي افْتَرَى هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى الرَّسُولِ كَفَرَ لِأَنَّ مَعْنَاهُ تَكْذِيبٌ لِلشَّرْعِ لِأَنَّ رُكُوبَ الْفَرَسِ جَائِزٌ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «يُوجَدُ حَدِيثٌ مَا لَهُ أَصْلٌ: «مَنْ قَبَّلَ يَدَ غَنِيٍّ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِيْنِه» مَا لَهُ أَصْلٌ، الرَّسُولُ مَا قَالَهُ.

كَذَّبُوا عَلَى الرَّسُولِ، بَعْضُ النَّاسِ كَذَبُوا عَلَى الرَّسُولِ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَكْذِبُونَ عَلَى الرَّسُولِ لِغَرَضٍ فِي أَنْفُسِهِمْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الرَّسُولَ لَمْ يَقُلْهُ، كَالَّذِينَ يَقُولُونَ: قَالَ

رَسُولُ اللهِ: مَنْ تَرَكَ سُنَّتِي لَمْ تَنَلْهُ شَفَاعَتِي، يُرِيدُونَ بِهِ مِثْلَ السِّوَاكِ أَوْ لُبْسِ الْعَمَامَةِ وَسُنَّةِ الظُّهْرِ أَوْ سُنَّةِ الْعِشَاءِ أَوْ سُنَّةِ الصُّبْحِ أَوْ سُنَّةِ الْعَصْرِ أَوْ سُنَّةِ الْمَغْرِبِ.

عَلَى زَعْمِهِمُ الرَّسُولُ قَالَ: مَنْ تَرَكَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ لَا أَشْفَعُ فِيهِ، هَذَا كَذِبٌ؛ مَنْ أَدَّى الْفَرْضَ كَمَا أَمَرَ اللهُ بِشُرُوطِهِ وَأَرْكَانِهِ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَنَحْوَ ذَلِكَ، لَا يُؤَاخِذُهُ اللهُ إِنْ تَرَكَ السُّنَنَ، أَمَّا مَنْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: مَنْ تَرَكَ سُنَّتِي لَمْ تَنَلْهُ شَفَاعَتِي وَفَسَّرَهُ بِالْعَقِيدَةِ هَذَا كَلَامُهُ صَحِيحٌ لِأَنَّهُ مَنْ تَرَكَ عَقِيدَةَ الرَّسُولِ لَمْ تَنَلْهُ شَفَاعَتُهُ مِثْلُ التَّحْرِيرِيَّةِ وَحِزْبِ الْإِخْوَانِ، لِأَنَّ مَنْ تَرَكَ عَقِيدَةَ الرَّسُولِ لَمْ تَنَلْهُ شَفَاعَةُ الرَّسُولِ. أَمَّا مَنْ ثَبَتَ عَلَى الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَأَهْمَلَ الْفَرَائِضَ وَارْتَكَبَ الْفَوَاحِشَ، الرَّسُولُ يَشْفَعُ فِيهِ. أَمَّا الْأَتْقِيَاءُ لَيْسُوا بِحَاجَةٍ لِشَفَاعَةِ الرَّسُولِ، الَّذِي يَمُوتُ تَائِبًا لَيْسَ عَلَيْهِ كَبِيرَةٌ لَا يَحْتَاجُ لِلشَّفَاعَةِ إِنَّمَا يَحْتَاجُ لِلشَّفَاعَةِ الْمُتَلَوِّثُونَ بِالْمَعَاصِي. أَمَّا هَؤُلَاءِ الْجُهَّالُ فِي سُورْيَا قَالُوا عَنِ الرَّسُولِ أَنَّهُ قَالَ: التَّارِك لسنتي ليس له شفاعتي. يَكْفُرُونَ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا مِثْلَ قَرِيبِ عَهْدٍ بِإِسْلَامٍ. بَعْضُ الْحَنَفِيَّةِ مَاذَا يَقُولُ: عَلَيْهِ عِتَابُ الرَّسُولِ، يُعَاتِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَتْرُكُ سُنَّةَ الظُّهْرِ وَمَا أَشْبَهَ ذَاكَ، وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، الرَّسُولُ مَا ثَبَتَ أَنَّهُ قَالَ هَذَا الشَّيْءَ فِي الدُّنْيَا. مَا عَتَبَ عَلَى الشَّخْصِ الَّذِي حَلَفَ أَنَّهُ يَفْعَلُ مَا فَرَضَ اللهُ وَلَا يَزِيدُ قَالَ لَا أَتَطَوَّعُ، حَلَفَ أَمَامَ الرَّسُولِ، الْتَزَمَ أَدَاءَ الْوَاجِبِ وَاجْتِنَابَ الْمُحَرَّمِ ثُمَّ حَلَفَ أَنَّهُ لَا يَتَطَوَّعُ ثُمَّ الرَّسُولُ قَالَ: «**أَفْلَحَ الرَّجُلُ إِنْ صَدَقَ**» أَوْ «**دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ**».

مَعْنَاهُ إِنْ أَدَّى الْفَرَائِضَ وَاجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ وَلَمْ يَعْمَلْ شَيْئًا مِنَ السُّنَنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ مَا عَتَبَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ، مَا قَالَ لَهُ كَيْفَ تَحْلِفُ أَنَّكَ لَا تَفْعَلُ النَّوَافِلَ إِلَّا الْفَرْضَ.

مَا قَالَ لَهُ أَنْتَ كَيْفَ تَحْلِفُ أَنَّكَ لَا تَفْعَلُ إِلَّا الْفَرْضَ، مَا قَالَ لَهُ».

رُؤْيَةُ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم فِي الْمَنَامِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مَنْ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المنَامِ فَقَدْ عَبَرَ حَافَةَ الخَطَرِ».

الرُّؤْيَا ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «جَاءَ فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ أَنَّ الرُّؤْيَا ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: رُؤْيَا تَأْوِيلٍ مِنَ الشَّيْطَانِ وَرُؤْيَا أَضْغَاثِ أَحْلَامٍ وَرُؤْيَا الشَّخْصِ الصَّالِحِ التَّقِيِّ إِذَا رَأَى رُؤْيَا أَوْ رَأَى غَيْرُهُ لَهُ رُؤْيَا فَتِلْكَ الْبُشْرَى لَهُ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ لِهَذَا الْمُؤْمِنِ التَّقِيِّ إِذَا رَأَى غَيْرُهُ لَهُ رُؤْيَا صَالِحَةً فَهَذَا بُشْرَى مِنَ اللهِ، كَذَلِكَ هَذَا الْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ إِنْ رَأَى لِغَيْرِهِ تَكُونُ بُشْرى».

الْمَلَائِكَةُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْمَلَائِكَةُ عَدَدُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ حَبَّاتِ الرِّمَالِ، وَأَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ قَطَرَاتِ الْمَطَرِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ إِنْ حَضَرُوا وَلَمْ يَرَهُمُ الشَّخْصُ يُحِسُّ بِآثَارِهِمْ، بِبُرُودَةٍ أَوْ رَعْشَةٍ أَوْ بِشَمِّ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْمَلَائِكَةُ بِمَا أَنَّهُمْ خُلِقُوا مِنْ نُورٍ أَجْسَامُهُمْ لَطِيْفَةٌ، الْأَجْسَامُ اللَّطِيفَةُ تَقْبَلُ الِانْضِمَامَ وَالِافْتِرَاقَ لَوْ كَانُوا مُتَزَاحِمِينَ فِي الْأَوَّلِ، أَفْسَحُوْا مَكَانًا لِيَلْقَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ فِي السَّمَوَاتِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ لِأَنَّ خِلْقَتَهُمْ لَيْسَتْ كَخِلْقَتِنَا. الْمَلَائِكَةُ لَيْسُوا مِثْلَ الْبَشَرِ، الْبَشَرُ يَبْقَى كَمَا هُوَ عَلَى مَا خُلِقَ عَلَيْهِ يَعْنِي جِسْمُهُ كَثِيفٌ، أَمَّا أُولَئِكَ أَجْسَامٌ نُورَانِيَّةٌ، أَجْسَامٌ تَقْبَلُ الِانْزِوَاءَ وَالْعَكْسَ، انْطِوَاءَ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ وَالِانْبِسَاطَ».

وَقَالَ **رضي الله عنه**: «يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَنْزِلُ مَلَائِكَةٌ كَثِيرُونَ عَلَى خِلَافِ الْعَادَةِ فِي الدُّنْيَا، يَنْزِلُ كَثِيرٌ. لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَلَائِكَةٌ يَنْزِلُونَ الْعَصْرَ وَيَبْقَوْنَ مَعَ الْإِنْسَانِ إِلَى الْفَجْرِ، إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ، ثُمَّ الْآخَرُونَ يَنْزِلُونَ عِنْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ فَيَبْقَوْنَ مَعَ هَذَا الْإِنْسَانِ إِلَى الْعَصْرِ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا. وَيُوجَدُ غَيْرُ هَؤُلَاءِ يَدُورُونَ فِي الْأَرْضِ، يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، هَؤُلَاءِ غَيْرُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِالنَّبَاتِ، لَهُمْ وَظِيفَةٌ فِي النَّبَاتِ الَّذِي تُنْبِتُهُ الْأَرْضُ، هَؤُلَاءِ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنَ الَّذِينَ يَكُونُونَ مَعَ النَّاسِ، أَمَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْزِلُونَ كَثِيرٌ، عَدَدٌ كَثِيرٌ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَا كَانُوا يَنْزِلُونَ فِي الدُّنْيَا يُحِيطُونَ بِالْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ بِسَبْعِ صُفُوفٍ، لَا أَحَدَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْتَرِقَ هَذِهِ الصُّفُوفَ لَا الْإِنْسُ وَلَا الْجِنُّ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى. هَذَا ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ [سورة الفجر] **جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ فِيهَا أَنَّ الْأَرْضَ تُدَكُّ دَكًّا** ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا٢٢﴾ [سورة الفجر]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [سورة الفجر] لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللهَ بِذَاتِهِ يَتَحَرَّكُ وَيَأْتِي إِلَى الْأَرْضِ لِيُدَبِّرَ أُمُورَ الْخَلْقِ ذَلِكَ الْيَوْمَ، إِنَّمَا مَعْنَى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ قُدْرَتُهُ أَيْ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ تَدُلُّ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ الْعَظِيمَةِ مِنْ جُمْلَةِ مَا يَحْدُثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَجُرُّونَ قِطْعَةً مِنْ جَهَنَّمَ، جَهَنَّمُ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ بِسَبْعِينَ أَلْفَ سِلْسِلَةٍ إِلَى حَيْثُ يَرَاهَا النَّاسُ، هَذَا شَيْءٌ، ثُمَّ هُنَاكَ الْأَرْضُ الَّتِي كَانَ الْإِنْسَانُ يَعْمَلُ عَلَيْهَا الْحَسَنَاتِ وَالْمَعَاصِيَ، كَذَلِكَ كُلُّ قِطْعَةٍ اللهُ تَعَالَى يَأْتِي بِهَا فَتَشْهَدُ، تَنْطِقُ: فُلَانٌ عَمِلَ عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا، الْأَرْضُ تَنْطِقُ، قِطْعَةٌ مِنَ الْأَرْضِ الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي بُدِّلَتْ [تُعَاد]، الْقِطْعَةُ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا يَتَجَوَّلُ عَلَيْهَا، تَشْهَدُ بِمَا عَمِلَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ، الْمَعَاصِي الَّتِي تِيبَ مِنْهَا لَا تَشْهَدُ بِهَا، الْمَعَاصِي الَّتِي لَمْ يَتُبْ مِنْهَا الْإِنْسَانُ تَشْهَدُ عَلَيْهِ بِهَا، هَذَا مِنْ جُمْلَةِ الْأُمُورِ الْغَرِيبَةِ، هَذَا بَعْدَ أَنِ انْدَكَّتِ الْأَرْضُ لَا يَبْقَى عَلَيْهَا [وَادٍ] وَلَا جَبَلٌ، تَصِيرُ كَالْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ، النَّاسُ يُعَادُونَ

إِلَيْهَا، بَعْدَ هَذَا يَبْعَثُ اللهُ بِقَاعًا مِنَ الْأَرْضِ فَتَتَكَلَّمُ هَذِهِ الْقِطْعَةُ فَتَشْهَدُ بِمَا فَعَلَهُ هَذَا الْإِنْسَانُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ مِنْ آيَاتِ قُدْرَتِهِ. ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ مَعْنَاهُ اللهُ تَعَالَى يُظْهِرُ ذَلِكَ الْيَوْمَ أُمُورًا عَظِيمَةً.

بَعْضُ النَّاسِ يَظُنُّونَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَكْفُرُ لِمُجَرَّدِ كَلِمَةِ الْكُفْرِ إِلَّا أَنْ يَنْوِيَ وَيَعْتَقِدَ، هَؤُلَاءِ إِنْ لَمْ يَعْرِفُوا فِي الدُّنْيَا أَنْفُسَهُمْ أَنَّهُمْ كُفَّارٌ عِنْدَ الْمَوْتِ يَعْرِفُونَ.

الْمَلَكُ الَّذِي هُوَ مُوَكَّلٌ، كَاتِبُ السَّيِّئَاتِ يَعْلَمُ مَا يَفْعَلُ الْإِنْسَانُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَأْتُونَ إِلَى الْإِنْسَانِ عِنْدَمَا يَحْضُرُهُ الْمَوْتُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ عَزْرَائِيلُ تَأْتِي مَلَائِكَةٌ لِلْمُؤْمِنِ، مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وَجْهَهُمُ الشَّمْسُ، حِسَانُ الْوُجُوهِ، يُبَشِّرُونَهُ. عِنْدَئِذٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ قَبْلَ ذَلِكَ وَعَزْرَائِيلُ يُبَشِّرُهُ. أَمَّا الْكُفَّارُ تَأْتِيهِمْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، مَنْظَرُهُمْ غَيْرُ مَنْظَرِ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ، مثلُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، وَهَؤُلَاءِ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ الَّذِينَ يَحْضُرُونَ الشَّخْصَ الْكَافِرَ عِنْدَ مَوْتِهِ، مَنْظَرُهُمْ مُخَوِّفٌ، عِنْدَئِذٍ يَعْرِفُ أَنَّهُ كَافِرٌ. هَذَا الَّذِي الْيَوْمَ يَظُنُّ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ وَيَقُولُ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ كُفْرٌ عِنْدَئِذٍ يَعْرِفُ. أَمَّا إِنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُقَيِّضُ لَهُ مَنْ يُعَلِّمُهُ أَنَّ مَا قَالَهُ كُفْرٌ فَيَقُولُ لَهُ تَشَهَّدْ فَيَتَشَهَّدُ. أُولَئِكَ هُنَاكَ يَعْرِفُونَ الَّذِينَ لَمْ يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ إِلَى أَنْ يَحْضُرَهُمُ الْمَوْتُ. هُنَاكَ يَعْرِفُونَ أَنْفُسَهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مُسْلِمِينَ، لَمَّا الْمَلَائِكَةُ يُبَشِّرُونَهُمْ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ النَّارِ، تِلْكَ السَّاعَةَ بَعْدَ أَنْ يَرَى الشَّخْصُ مِنَ الدُّنْيَا لَو تَشَهَّدَ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ؛ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَلَائِكَةَ الْعَذَابِ الَّذِينَ يَحْضُرُونَهُ إِنْ تَشَهَّدَ تَنْفَعُهُ الشَّهَادَةُ. الَّذِي يَتَشَهَّدُ بَعْدَمَا يَرَاهُمْ فَاتَ الْأَوَانُ، لَا تُقْبَلُ لَهُ لِأَنَّهُ تِلْكَ السَّاعَةَ لَيْسَ عَنِ اخْتِيَارٍ مَحْضٍ يَتَشَهَّدُ بَلْ عَنْ شِدَّةِ الْقَلَقِ كَمَا فَعَلَ فِرْعَوْنُ، فِرْعَوْنُ بَقِيَ عَلَى كُفْرِهِ. مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَاهُ مُعْجِزَاتٍ لَمْ يَقْتَنِعْ، بَقِيَ عَلَى كُفْرِهِ ثُمَّ لَمَّا هُوَ وَجَيْشُهُ دَخَلُوا الْبَحْرَ الَّذِي مُوسَى وَجَمَاعَتُهُ اجْتَازُوهُ، اللهُ جَعَلَ لَهُمُ الْبَحْرَ مَكَانًا يَمْضُونَ فِيهِ أَرْضًا يَابِسَةً، هُمَ نَجَوْا، قَطَعُوا الْبَحْرَ ثُمَّ فِرْعَوْنُ جَاءَ بِجَيْشٍ جَرَّارٍ اجْتَازَ

هُوَ، دَخَلَ هُوَ لِيَقْتُلَ مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَمَا دَخَلَ هُوَ وَكُلُّ جَيْشِهِ الْتَطَمَ الْمَاءُ عَلَيْهِمْ، مَاءُ الْبَحْرِ كَانَ صَارَ اثْنَيْ عَشَرَ فِرْقًا. هُنَا جَبَلٌ مِنَ الْمَاءِ وَهُنَا وَهُنَا وَبَيْنَ هَذَا وَهَذَا أَرْضٌ يَابِسَةٌ، لَمَّا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ: ءَامَنْتُ بِالَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ لِأَنَّهُ يَئِسَ مِنَ الْحَيَاةِ، أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ فَقَالَهَا، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ الْيَوْمَ بَيْنَ النَّاسِ يَعِيشُونَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ وَلَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا، هَذَا يَقُولُ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ كَفَرَ لِيَتَشَهَّدَ. بَعْضُ النَّاسِ يَعْمَلُونَ فِي الْمَطَابِعِ، هُنَا فِي الْبَسْطَةِ مَطْبَعَةٌ، كُتُبُ الشَّرْعِ وَالْمَصَاحِفِ، الْأَوْرَاقُ عَلَى الْأَرْضِ مُبَعْثَرَةٌ يَدُوسُهَا الْعُمَّالُ وَهُمْ يَعْمَلُونَ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا، هَؤُلَاءِ لَمْ يُهَيِّئِ اللهُ لَهُمْ مَنْ يَدُلُّهُمْ أَنَّهُمْ كَفَرُوا وَيَأْمُرُهُمْ بِالتَّشَهُّدِ فَإِنْ بَقَوْا إِلَى تِلْكَ السَّاعَةِ فَتَشَهَّدُوا لَمَّا أَيْقَنُوا أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْمَلَائِكَةُ لَا يَدْخُلُونَ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ الصَّحِيحَةُ وَكَذَلِكَ الْكَلْبُ، الْبَيْتُ لَيْسَ الدَّارَ، الدَّارُ إِنْ كَانَ فِيهَا يُوجَدُ حُجَرٌ، فِي [حُجْرَةٍ] فِيهَا كَلْبٌ وَفِي حُجْرَةٍ لَيْسَ فِيهَا يَدْخُلُونَ إِلَى الْحُجْرَةِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْمَلَائِكَةُ لَيْسُوا إِنَاثًا وَلَا ذُكُورًا لَكِنْ يَتَشَكَّلُونَ بِأَشْكَالِ الذُّكُورِ مِنْ بَنِي ءَادَمَ، أَمَّا أَصْلُ خِلْقَتِهِمْ لَيْسَ بِصُورَةِ الْبَشَرِ.

لَهُمْ أَجْنِحَةٌ كُلُّهُمْ، هَذَا لَهُ جَنَاحَانِ، هَذَا لَهُ أَرْبَعَةٌ، هَذَا لَهُ أَكْثَرُ، وَيُقَالُ لَهُمْ أَرْجُلٌ وَلَهُمْ [أَيْدٍ] وَلَهُمْ وُجُوهٌ، لَهُ رِجْلَانِ وَيَدَانِ اثْنَتَانِ.

وَقَدْ يَتَشَكَّلُ الْمَلَكُ بِشَكْلِ طَيْرٍ، لَا يَظُنُّ الَّذِي رَءَاهُ إِلَّا أَنَّهُ طَيْرٌ مِنَ الطُّيُورِ.

نُقِلَ أَنَّ طِفْلًا سَقَطَ مِنَ الطَّابِقِ الثَّانِي أَوِ الرَّابِعِ وَمَا أَصَابَهُ شَيْءٌ، وَقَالَ هَذَا الطِّفْلُ حَمَلَنِي طَائِرٌ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ أَنَّهُ مَلَكٌ.

جَائِزٌ أَنْ يَرَى الْمُسْلِمُ مَلَكًا عَلَى صُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ، بَعْضُ الْأَوْلِيَاءِ تَزُورُهم الملائكة».

مَلَكُ الرَّعْدِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مَلَكُ الرَّعْدِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ بِالْوَحْيِ لِيَضْرِبَ السَّحَابَ، لَا يَسْمَعُ كَلَامَ اللهِ، الْمَلَائِكَةُ لَا يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ إِلَّا سَيِّدُنَا جِبْرِيلُ هُوَ يَسْمَعُ كَلَامَ اللهِ وَيُبَلِّغُ الْأَوَامِرَ وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ مَنْ يُبَلِّغُهُمُ الْأَمْرَ بِالْوَحْيِ».

الشَّيَاطِينُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الشَّيَاطِينُ قِسْمٌ مَرَدَةٌ وَقِسْمٌ غَيْرُ مَرَدَةٍ، الشَّيَاطِيْنُ الْمَرَدَةُ يُصَفَّدُونَ فِي رَمَضَانَ، الْمَلَائِكَةُ يُصَفِّدُونَهُمْ وَيُقَيِّدُونَهُمْ بِقُيُودٍ، أَمَّا الْآخَرُونَ يَكُونُونَ مُنْفَلِتِينَ يَشْتَغِلُونَ كَالْعَادَةِ يُؤْذُونَ النَّاسَ وَيَتَصَرَّفُونَ تَصَرُّفَاتِهِمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الشَّيَاطِينُ لَهُمْ فُنُونٌ فِي إِغْوَاءِ النَّاسِ».

الْجِنُّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْجِنُّ الْمُسْلِمُونَ فِيهِمْ أَوْلِيَاءُ، فِيهِمْ عُلَمَاءُ وَزُهَّادٌ وَالْأَصْلُ [فِي الْجِنِّ] إِبْلِيسُ، اللهُ تَعَالَى أَخْرَجَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مُؤْمِنِينَ لَكِنْ لَيْسَ فِيهِمْ أَنْبِيَاءُ، أَنْبِيَاءُ الْبَشَرِ هُمْ أَنْبِيَاءُ الْجِنِّ[1]، أَيَّامَ عِيسَى كَانَ جِنٌّ ءَامَنُوا بِعِيسَى وَأَيَّامَ مُوسَى كَذَلِكَ وَأَيَّامَ إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ وَأَيَّامَ نُوحٍ كَذَلِكَ ثُمَّ لَمَّا بُعِثَ الرَّسُولُ صَارَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْجِنِّ أَكْثَرَ وَمِنَ الْإِنْسِ أَكْثَرَ، بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ مَا تَبِعَهُمْ إِلَّا اثْنَانِ. اللهُ تَعَالَى يَحْمِي الْأَنْبِيَاءَ مِنْ إِبْلِيسَ، إِبْلِيسُ أَكْرَهُ النَّاسِ إِلَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَوْلِيَاءُ وَمَعَ ذَلِكَ اللهُ يَحْفَظُهُمْ مِنْ شَرِّهِ. مَرَّةً إِبْلِيسُ فِي مَكَّةَ قَعَدَ فِي مَكَانٍ وَالرَّسُولُ فِي مَكَانٍ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، قَالَ إِبْلِيسُ: لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَةِ مُحَمَّدٍ، فَإِبْلِيسُ تَحَرَّكَ لِيُؤْذِيَ الرَّسُولَ، جِبْرِيلُ رَفَسَهُ بِرِجْلِهِ، رَمَاهُ فِي الْعِرَاقِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْعِرَاقِ، هُوَ - إِبْلِيسُ - أَكْرَهُ النَّاسِ إِلَيْهِ الرَّسُولُ. إِبْلِيسُ لَهُ جُنُودٌ عَفَارِيتُ كِبَارٌ وَمَعَ ذَلِكَ اللهُ حَفِظَ

[1] أي بعثوا للإنس والجن ولا يوجد نبيٌّ في الجن، أي ليس هناك نبيٌّ جنيٌّ.

مِنْهُ الرَّسُولَ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ. وَالَّذِي يُنْكِرُ وُجُودَ الْجِنِّ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ أَنَّ الْجِنَّ لَهُمْ وُجُودٌ فِي اعْتِقَادِ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ كَافِرٌ. الْمَلَائِكَةُ أَقْوَى مِنَ الْجِنِّ، الْمَلَائِكَةُ اللهُ تَعَالَى أَعْطَاهُمْ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. جِبْرِيلُ قَلَبَ أَرْبَعَ مُدُنٍ إِلَى أَنْ وَصَلَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ رَدَّهَا مَقْلُوبَةً عَالِيَهَا سَافِلَهَا، اللهُ أَمَرَهُ بِإِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ لَمَّا كَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ وَعَمِلُوا هَذِهِ الْفَاحِشَةَ، اللهُ تَعَالَى سَلَّطَهُ عَلَيْهِمْ، أَرْبَعُ مُدُنٍ أَبَادَهُمْ».

الْقَرِينُ الْكَافِرُ مِنَ الْجِنِّ وَالْقَرِينُ الْمُسْلِمُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْقَرِينُ الْكَافِرُ مِنَ الْجِنِّ يُوَكَّلُ بِالشَّخْصِ بَعْدَ وِلَادَتِهِ وَالْقَرِينُ مِنَ الْمَلَكِ يُوَكَّلُ بِالشَّخْصِ بَعْدَ وِلَادَتِهِ لَكِنِ الْقَرِينُ الَّذِي هُوَ مُوَكَّلٌ بِغَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ يَدْخُلُ فِي صَدْرِهِمْ وَلَا يَشْعُرُوا بِهِ، هُوَ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَلَا يَشْعُرُ بِهِ الْإِنْسَانُ لِأَنَّهُ لَمَّا يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ يَكُونُ جِسْمًا لَطِيفًا كَالْهَوَاءِ، الشَّخْصُ لَا يَشْعُرُ بِهِ، أَمَّا إِذَا تَشَكَّلَ بِصُورَةِ إِنْسَانٍ أَوْ غَيْرِهِ يُحِسُّ بِهِ أَمَّا الْأَنْبِيَاءُ لَا يَدْخُلُ فِي قُلُوبِهِمْ فِي صُدُورِهِمْ، لَا يَسْتَطِيعُ».

الْآيَة ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ٦﴾ [سورة الجن]:

قَالَ الْإِمَامُ الْـهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ٦﴾ [سورة الجن]، بِالْمَاضِي الْمُشْرِكُونَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ كَانُوا يَسْتَنْجِدُونَ بِالْجِنِّ، كَانُوا إِذَا سَافَرُوا سَفَرًا وَنَزَلُوا بِأَرْضٍ بَرِّيَّةٍ لَيْسَ فِيهَا بُيُوتٌ لِيَسْتَرِيحُوا يَسْتَنْجِدُونَ بِجِنِّ تِلْكَ الْأَرْضِ، يَقُولُ أَحَدُهُمْ يُنَادِي: يَا عَظِيمَ

هَذَا الْوَادِي اسْتَجَرْتُ بِكَ، مَعْنَاهُ احْفَظْنِي يَا شَيْطَانَ هَذَا الْوَادِي، احْفَظْنِي أَنَا مُسْتَجِيرٌ بِكَ، هَذَا ذَمَّهُ اللهُ، هَذَا الْفِعْلُ الَّذِي كَانُوا يَفْعَلُونَهُ يُقَدِّسُونَ الْجِنَّ، يَتَحَصَّنُونَ بِهِمْ».

يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَوْمُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تَارِيخُهُمْ قَدِيمٌ قَدِيمٌ قَدِيمٌ، الَّذِي ثَبَتَ أَنَّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ، أَمَّا تَارِيخُ انْفِصَالِهِمْ إِلَى تِلْكَ الْأَرْضِ هَذَا لَيْسَ مَعْلُومًا، هَذَا ذُو الْقَرْنَيْنِ كَانَ وَلِيًّا، اللهُ تَعَالَى أَعْطَاهُ كَرَامَةً بَاهِرَةً، كَانَتِ الرِّيحُ تَحْمِلُهُ إِلَى الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ حَيْثُ يُرِيدُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ. اللهُ رَزَقَهُ عُمُرًا طَوِيلًا، عَاشَ مَلِكًا أَلْفَي سَنَةٍ، هُوَ الَّذِي بَنَى السَّدَّ، حَجَزَ هَؤُلَاءِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ عَنِ الْبَشَرِ».

الْوَسْوَسَةُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْوَسْوَسَةُ فِي الصَّدْرِ تَكُونُ، لَيْسَ فِي الْأُذُنِ، وَالْمَلَكُ كَذَلِكَ فِي الصَّدْرِ يَأْمُرُهُ بِالخَيْرِ، عِنْدَمَا يَنَامُ الْإِنْسَانُ الشَّيْطَانُ يُرِيدُ أَنْ يَخْتِمَ يَقَظَتَهُ بِالْمَعْصِيَةِ وَالْمَلَكُ يَأْمُرُهُ: اخْتِمِ بِخَيْرٍ، هَذَا يَعْرِضُ عَلَيْهِ الْخَيْرَ وَهَذَا يَعْرِضُ عَلَيْهِ الشَّرَّ، فَإِمَّا أَنْ يَتَّبِعَ الْمَلَكَ وَإِمَّا أَنْ يَتَّبِعَ الشَّيْطَانَ، وَعِنْدَمَا يَسْتَيْقِظُ كَذَلِكَ، هَذَا يَأْمُرُهُ بِخَيْرٍ وَهَذَا يَأْمُرُهُ بِشَرٍّ، هَذَا يَقُولُ اخْتِمْ بِخَيْرٍ وَهَذَا يَقُوْلُ اخْتِمْ بِشَرٍّ، وَهَكَذَا عِنْدَ النَّوْمِ وَعِنْدَ الِاسْتِيقَاظِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الشَّخْصُ الَّذِي يُفَكِّرُ بِالْمَوْتِ كَثِيرًا وَيَخَافُ مِنْهُ بِحَيْثُ يَشْغَلُهُ عَنِ الْمُهِمَّاتِ هَذَا وَسْوَاسٌ، أَمَّا إِذَا كَانَ يُكْثِرُ ذِكْرَ الْمَوْتِ لَكِنْ بِحَيْثُ لَا يَشْغَلُهُ عَنِ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ كَقِرَاءَةِ الْقُرْءَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ فَهُوَ عَمَلٌ حَسَنٌ».

مَعْنَى «وَقِنَا شَرَّ مَا قَضَيْتَ»:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: ««**وَقِنَا شَرَّ مَا قَضَيْتَ**» أَيْ شَرَّ مَا خَلَقْتَ، الْمُرَادُ بِهِ الْمَقْضِيُّ لَيْسَ قَضَاءَ اللهِ الَّذِي هُوَ صِفَتُهُ، الْمَقْضِيُّ مَعْنَاهُ الشَّيْءُ الَّذِي قَضَاهُ اللهُ، كُلُّ مَا دَخَلَ فِي الْوُجُودِ يُقَالُ لَهُ مَقْضِيٌّ للهِ، هُوَ قَضَى بِوُجُودِهِ، قَضَاءُ اللهِ لِلشَّرِّ لَا يَكُونُ شَرًّا مِنَ اللهِ، خَلْقُ اللهِ لِلشَّرِّ لَيْسَ قَبِيحًا مِنَ اللهِ، فَلَا يُعْتَرَضُ عَلَى اللهِ فِي ذَلِكَ. الْإِيمَانُ مَقْضِيٌّ حَسَنٌ، أَمَّا الْكُفْرُ مَقْضِيٌّ شَرٌّ لَيْسَ حَسَنًا، أَمَّا قَضَاءُ اللهِ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ حَسَنٌ مِنْهُ لَيْسَ شَرًّا، إِنَّمَا هَذَا الَّذِي خَلَقَهُ فِي عِبَادِهِ مِنْهُ حَسَنٌ وَمِنْهُ قَبِيحٌ، أَمَّا الشَّرُّ فِي نَفْسِهِ قَبِيحٌ».

﴿سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [سورة الأنبياء]:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧**﴾ [سورة الأنبياء] مَعْنَاهُ ظَلَمْتُ نَفْسِي، لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنِّي ظَلَمْتُ النَّاسَ بِأَخْذِ أَمْوَالِهِمْ أَوْ إِلْحَاقِ الضَّرَرِ بِأَجْسَامِهِمْ».

الْخَنَازِيرُ وَالْقِرَدَةُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «سَائِرُ الْبَهَائِمِ تَغَارُ مَا عَدَا الْخَنَازِيرَ. الْإِبِلُ أَشَدُّ غَيْرَةً وَالْقُرُودُ أَيْضًا، حَتَّى إِنَّ الْقُرُودَ إِذَا عَلِمُوا أَنَّ وَاحِدَةً زَنَتْ مَعَ وَاحِدٍ مِنَ الْقُرُودِ يَرْجُمُونَهَا بِالْحَصَى وَالْخَشَبِ حَتَّى تَمُوتَ هَذِهِ الَّتِي زَنَتْ، أَمَّا الْخِنْزِيرُ فَلَا، بِحُضُورِ زَوْجِهَا هَذَا يَرْكَبُهَا ثُمَّ هَذَا ثُمَّ هَذَا. الَّذِي يُدَاوِمُ عَلَى أَكْلِ الْخِنْزِيرِ تَصِيرُ فِيهِ هَذِهِ الْخَصْلَةُ، تَذْهَبُ هَذِهِ الْغَيْرَةُ أَوْ تَضْعُفُ، هَذَا غَيْرُ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تَنْشَأُ مِنْ لَحْمِهَا حَتَّى إِنَّ مِنْ أَسْبَابِ السَّرَطَانِ الْأَطِبَّاءُ يَقُولُونَ السِّيجَارَةُ وَأَكْلُ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَالْإِدْمَانُ عَلَى الْخَمْرِ. سَيِّدُنَا عِيسَى لَمَّا يَنْزِلُ

يَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ وَالْقِرْدَ. الْقِرْدُ خَبِيثٌ، لَكِنْ خُبْثُ الْقِرْدِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. فِي الْبِلَادِ الَّتِي يَكْثُرُ فِيهَا الْقِرْدُ إِذَا وَجَدُوا إِنْسَانًا مُنْفَرِدًا قَدْ يُؤْذُونَهُ».

الثُّؤْمُ وَالْبَصَلُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مَعْنَى خَبِيثٍ كَرِيهُ الرَّائِحَةِ لَا يَتَنَافَى هَذَا مَعَ هَذَا. قَالَ: هَذَا الطَّعَامُ طَيِّبٌ بِمَعْنَى لَذِيذٌ لِأَنَّ فِيهِ ثُؤْمًا لَيْسَ فِيهِ مُعَارَضَةٌ لِلْحَدِيثِ.

وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الثُّؤْمُ وَالْبَصَلُ وَالكُرَّاثُ رَائِحَتُهُنَّ قَبِيحَةٌ.

الْبَصَلُ وَالثُّؤْمُ إِنْ كَانَا فِي الطَّعَامِ لَا يُقَالُ سَمٌّ بَطِيءٌ، كَذِبٌ. أَمَّا إِذَا طُبِخَ طَبْخًا جَيِّدًا ذَهَبَتْ تِلْكَ الْعِلَّةُ، يَأْكُلُ فَيَذْهَبُ إِلَى الْمَسْجِدِ، أَمَّا مَنْ أَكَلَهُ نِيئًا يُؤْذِي مَنْ حَوْلَهُ لِذَلِكَ الرَّسُولُ ذَمَّهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يَكْرَهُونَ الرَّائِحَةَ الْكَرِيهَةَ، يَتَأَذَّوْنَ مِنْهَا، لِذَلِكَ الرَّسُولُ قَالَ: «**لَا يَقْرَبَنَّ مَسَاجِدَنَا مَنْ أَكَلَ مِنْ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ**». فَلَا يَقْرَبْ فِي رِوَايَةٍ بِفَتْحِ الرَّاءِ».

الْكَاهِنُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْكَاهِنُ هُوَ الَّذِي يَتَعَاطَى الْأَخْبَارَ عَنِ الْحَوَادِثِ وَيَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأَسْرَارِ وَمُطَالَعَةَ عِلْمِ الْغَيْبِ. وَيُسَمَّى هَذَا الْأَخِيرُ مُنَجِّمًا، أَوِ اعْتَمَدَ عَلَى أَسْبَابٍ وَمُقَدِّمَاتٍ هُمْ يَدَّعُونَهَا فِيمَا بَيْنَهُمْ، كُلُّ هَؤُلَاءِ تَصْدِيقُهُمْ حَرَامٌ».

الْوَلِيُّ وَالتَّقِيُّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْمَيِّتُ إِنْ كَانَ وَلِيًّا يُسْمِعُهُ اللهُ صَوْتَ مَنْ كَانَ عِنْدَ قَبْرِهِ، وَصَوْتَ مَنْ هُوَ بَعِيدٌ مِنْ قَبْرِهِ لِأَنَّ كَرَامَةَ الْوَلِيِّ لَا تَنْقَطِعُ بِالْمَوْتِ، أَمَّا

غَيْرُ الْوَلِيِّ فَيَسْمَعُ السَّلَامَ عِنْدَ الْقَبْرِ، الرُّوحُ جَائِزٌ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَ النَّاسِ الَّذِينَ يُشَيِّعُونَ الْجِنَازَةَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «بَعْضُ الْأَوْلِيَاءِ عِنْدَ الْوَفَاةِ يَرَوْنَ بَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «النَّوْمُ الَّذِي يَنَامُهُ الْعَبْدُ التَّقِيُّ فِي القَبْرِ هُوَ نَوْمٌ حَقِيقِيٌّ».

الطَّرِيقَةُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مَنْ دَاوَمَ عَلَى الطَّرِيقَةِ يَجِدُ مِنَ اللهِ لُطْفًا فِي الدُّنْيَا وَعِنْدَ مُفَارَقَةِ الدُّنْيَا، وَفِي الْبَرْزَخِ، وَفِي الْآخِرَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ ثَبَتَ عَلَى الطَّرِيقَةِ عَلَى حَسَبِ أُصُولِهَا اللهُ يَلْطُفُ بِهِ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «طُرُقُ أَهْلِ اللهِ كُلُّهَا قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ نَحْوُ أَرْبَعِينَ طَرِيقَةً، كُلُّهَا تُقَرِّبُ إِلَى اللهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَعَلَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكِنْ تُوَافِقُ الْقُرْءَانَ وَالْحَدِيثَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «طُرُقُ أَهْلِ اللهِ كُلُّهَا تُوَافِقُ الْقُرْءَانَ وَالْحَدِيثَ لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ أَيْ مُبَايَعَةٌ عَلَى دَوَامِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى لِلْوُصُولِ إِلَى التَّقْوَى أَوِ التَّمَكُّنِ مِنَ التَّقْوَى».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الطَّرِيقَةُ أَخْذُ الْعَهْدِ عَلَى الشَّيْخِ لِلثَّبَاتِ عَلَى الذِّكْرِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ دَاوَمَ عَلَى الطَّرِيقَةِ يَكُونُ لَهُ خَيْرٌ وَنَفَحَاتٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُ لُطْفٌ مِنَ اللهِ عِنْدَ الْمَوْتِ وَيَحْمِيهِ اللهُ مِنْ أَنْ يَتَخَبَّطَهُ الشَّيْطَانُ وَفِي الْآخِرَةِ يَكُونُ لَهُ نَجَاةٌ وَفَوْزٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ ثَبَتَ عَلَى الطَّرِيقَةِ مَعَ مَعْرِفَةِ عَقِيْدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا لُطْفٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَعِنْدَ الْمَوْتِ لَهُ حَالَةٌ خَاصَّةٌ وَفِي الْآخِرَةِ لَهُ فَضْلٌ كَبِيرٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الطَّرِيقَةُ الرِّفَاعِيَّةُ هِيَ أَفْضَلُ الطُّرُقِ لِأَنَّ مُؤَسِّسَهَا الشَّيْخُ أَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ أَفْضَلُ الْأَوْلِيَاءِ فِي زَمَانِهِ. كَانَ لَهُ خَالٌ وَلِيٌّ كَبِيرٌ اسْمُهُ الشَّيْخُ مَنْصُورٌ الْبَطَائِحِيُّ رَأَى الرَّسُولَ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ لَهُ: بَشِّرْ أُخْتَكَ بِأَنَّهَا سَتَحْمِلُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً بِوَلَدٍ يَكُونُ سَيِّدَ الْأَوْلِيَاءِ [أَيْ فِي زَمَانِهِ] كَمَا أَنَا سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ فَحَمَلَتْ بِهِ أُمُّهُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ وَلَدَتْهُ فَأَنْشَأَهُ اللهُ نَشْأَةً طَيِّبَةً حَتَّى صَارَ أَفْضَلَ أَوْلِيَاءِ زَمَانِهِ».

صُحْبَةُ التَّقِيِّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَدْ يَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا مُسِيْئًا بِصُحْبَتِهِ لِعَبْدٍ تَقِيٍّ».

حَمْدُ اللهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اللهُ تَعَالَى يُحْمَدُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ أَي عَلَى النِّعْمَةِ وَالْمَصَائِبِ وَالْفَرَحِ وَالتَّرَحِ، إِنْ أَصَابَنَا نِعْمَةٌ نَحْمَدُهُ، وَإِنْ أَصَابَنَا مُصِيبَةٌ نَحْمَدُهُ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ الْأَوَّلِينَ. أُمَّةُ مُحَمَّدٍ يُسَمَّوْنَ الْحَمَّادِيْنِ لِأَنَّهُم يَحْمَدُونَ اللهَ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ».

حَدِيثٌ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «حَدِيثٌ: «**مَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ**»».

وَقَالَ رضي الله عنه: «حَدِيثٌ: «**الْجَلِيْسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَالْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ**»».

الصَّلَاةُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اهْتِمَامُ الْإِنْسَانِ بِالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ دَلِيلُ الْخَيْرِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ هِيَ أَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْعِبَادَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى شَرْعًا لَا صَلَاةَ فِيهِ، كُلُّ الشَّرَائِعِ فِيهَا صَلَاةٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ**». حَدِيثٌ صَحِيحٌ وَمَعْنَاهُ الِاخْتِلَافُ فِي الصُّفُوفِ يُسَبِّبُ تَنَافُرًا، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يُعْجِبُهُ ذَلِكَ فَيُشَوِّشُ عَلَيْهِمْ. تَسْوِيَةُ الصَّفِّ يُقَوِّي تَآلُفَ الْقُلُوبِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ أَهَمَّ مَا يَعْتَنِي بِهِ الْإِنْسَانُ بَعْدَ صِحَّةِ الْإِيمَانِ أُمُورُ الصَّلَاةِ، أَهَمُّ شَيْءٍ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ لَهَا مِفْتَاحٌ، مِفْتَاحُهَا الطَّهَارَةُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الصَّلَاةُ ذِكْرٌ، فِيهَا تَوْحِيدُ اللهِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِيهَا التَّكْبِيرُ، وَفِيهَا التَّسْبِيحُ، وَأَفْضَلُ الذِّكْرِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلَا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، أَفْضَلُ مَا يُقَالُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتُ الْأَرْبَعُ، أَهَمُّ شَيْءٍ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا يُسْلِمُ الْكَافِرُ يُعَلِّمُهُ الصَّلَاةَ قَبْلَ غَيْرِهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»، مَعْنَاهُ عِنْدِي مَيْلٌ طَبِيعِيٌّ إِلَى النِّسَاءِ وَالْعِطْرِ، لَيْسَ أَنَا مُتَعَلِّقٌ بِهِمَا، الْمَيْلُ الطَّبِيعِيُّ مِنْ طَبِيعَةِ الْبَشَرِ أَنْ يَمِيلَ إِلَى الطِّيبِ وَالنِّسَاءِ لَيْسَ

مَعْنَاهُ أَنَا أُحِبُّ مَحَبَّةَ تَعَلُّقٍ النِّسَاءَ وَالطِّيبَ، وَقَالَ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**» مَعْنَاهُ أَكْثَرُ رَاحَتِي الْقَلْبِيَّةِ وَلَذَّتِي فِي الصَّلَاةِ، الصَّلَاةُ أَحَبُّ إِلَيَّ وَأَسَرُّ لِقَلْبِي مِنَ النِّسَاءِ وَالطِّيبِ وَالْمَالِ وَكُلِّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، الصَّلَاةُ أَفْرَحُ لِقَلْبِي».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَأْخِيرُ الصَّلَاةِ إِلَى وَقْتٍ لَا يَسَعُ الصَّلَاةَ كَبِيرَةٌ يَدْخُلُ تَحْتَ الْوَعِيدِ فِي الْآيَةِ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٤﴾ [سورة الماعون]، إِنْ كَانَ لَهُ عُذْرٌ يَجُوزُ الْجَمْعُ. فِي بَعْضِ الْمَذَاهِبِ يَجُوزُ الْجَمْعُ فِي الْبَلَدِ لِعُذْرٍ مِنَ الْأَعْذَارِ، مَرَضٍ أَوْ شُغْلٍ كَالَّذِي يَعْمَلُ فِي شُرْطَةِ السَّيْرِ يَجْمَعُ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ إِمَّا تَقْدِيمًا وَإِمَّا تَأْخِيرًا. وَالَّذِي يَعْمَلُ فِي الْقُرَى كَذَلِكَ إِذَا كَانَ يَخْشَى أَنْ يَحْتَرِقَ الْخُبْزُ لَهُ أَنْ يُؤَخِّرَ؛ وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ السَّائِقُ الَّذِي يَسُوقُ السَّيَّارَاتِ بِالنَّاسِ هَذَا أَحْيَانًا لَا يَتَمَكَّنُ أَنْ يَنْزِلَ مِنَ السَّيَّارَةِ فَيُصَلِّي الظُّهْرَ فِي وَقْتِهَا وَالْعَصْرَ فِي وَقْتِهَا إِنْ صَادَفَتْهُمُ الزَّحْمَةُ وَالشُّغْلُ فِي وَقْتِ الظُّهْرِ يُؤَخِّرُونَ الظُّهْرَ إِلَى الْعَصْرِ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ يُصَلُّونَهُمَا، وَإِنْ كَانَ زَحْمَةٌ وَقْتَ الْعَصْرِ يُقَدِّمُونَ الْعَصْرَ إِلَى الظُّهْرِ، الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ كَذَلِكَ، الْمَغْرِبُ تُجْمَعُ مَعَ الْعِشَاءِ وَتُجْمَعُ الْعِشَاءُ مَعَ الْمَغْرِبِ بِحَسَبِ الْعُذْرِ. الْمَرِيضُ إِذَا كَانَ وَقْتَ الظُّهْرِ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ الْمَرَضُ يُؤَخِّرُ إِلَى الْعَصْرِ، وَإِنْ كَانَ وَقْتَ الْعَصْرِ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ الْمَرَضُ كَالْحُمَّى مَثَلًا يُقَدِّمُ إِلَى الظُّهْرِ، هَذَا يَجُوزُ عِنْدَ مَالِكٍ وَعِنْدَ بَعْضِ الشَّافِعِيَّةِ إِنْ كَانَ يَشُقُّ عَلَيْهِ فِي وَقْتٍ وَيَخِفُّ فِي وَقْتٍ، الْحُمَّى يَظُنُّ تَخِفُّ وَقْتَ الْعَصْرِ، وَقْتَ الظُّهْرِ تَشْتَدُّ، هُوَ يَعْرِفُ حَالَهُ. كَذَلِكَ الَّذِي يَمْرَضُ مَرَضًا لَهُ هَذَا الْعُذْرُ، هَذَا يَدْخُلُ فِي أَحْوَالٍ شَتَّى؛ يَجْمَعُ مِنْ غَيْرِ قَصْرٍ. وَالطَّبِيبُ إِذَا كَانَ يَعْمَلُ الْعَمَلِيَّةَ وَإِنْ قَطَعَ مِنْ أَجْلِ الصَّلَاةِ الْعَمَلِيَّةَ، يَنْضَرُّ الْمَرِيضُ يُؤَخِّرُ، يَجْمَعُ. الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ أَجَازَ لِلْمَرَضِ، أَمَّا مَالِكٌ لِلْمَرَضِ وَغَيْرِهِ لِلْعُذْرِ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُمْ. الصَّلَاةُ أَمْرُهَا عَظِيمٌ».

الْآيَةُ ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ ٤٥﴾ [سورة العنكبوت]:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الذِّكْرُ الَّذِي فِي الصَّلَاةِ أَكْبَرُ مِنْ سَائِرِ أَعْمَالِ الصَّلَاةِ، الصَّلَاةُ فِيهَا أَفْضَلُ الذِّكْرِ، فِيهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّسْبِيحُ وَالْحَمْدُ، الصَّلَاةُ جَمَعَتْ أَفْضَلَ الذِّكْرِ.

الرَّسُولُ قَالَ: أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، الصَّلَاةُ جَمَعَتْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ، هَذَا مَعْنَى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ٤٥﴾ [سورة العنكبوت] أَيْ ذِكْرُ اللهِ الَّذِي تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ أَكْبَرُ مِنْ سَائِرِ أَعْمَالِهَا أَيْ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ أَعْمَالِهَا لِأَنَّ الصَّلَاةَ أَقْوَالٌ وَأَفْعَالٌ، هَذِهِ الْأَقْوَالُ أَفْضَلُ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي فِيهَا، هَذَا مَعْنَى الْآيَةِ ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ٤٥﴾ [سورة العنكبوت] الْخُشُوعُ بَعْدَ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ، أَهَمُّ شَيْءٍ الْخُشُوعُ، خَوْفُ اللهِ بِالْقَلْبِ وَسُكُونُ الْجَوَارِحِ».

الْجَمَاعَةُ مُلَازِمَتُهَا فِيهَا سِرٌّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْجَمَاعَةُ مُلَازَمَتُهَا فِيهَا سِرٌّ، كَانَ فِي هَرَرَ عَالِمٌ جَلِيلٌ اسْمُهُ الشَّيْخُ إِبرَاهِيمُ بَدَا رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، قَالَ: «مَا فَاتَتْنِي صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ فِي كُلِّ عُمُرِي إِلَّا إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً»، هَذَا كَانَ وَلِيًّا صَالِحًا كَانَ يَذْهَبُ إِلَى مَشْهَدِ وَلِيٍّ مَشْهُورٍ فِي هَرَرَ اسْمُهُ الشَّيْخُ أَبَادِرُ يَجْلِسُ وَيَتَحَدَّثُ مَعَهُ فِي قَبْرِهِ».

الْمُؤَذِّنُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْمُؤَذِّنُ فِي الْأَذَانِ يَسْكُتُ قَدْرَ سَكْتَةِ التَّنَفُّسِ. الْإِقَامَةُ يُسَنُّ فِيهَا الْإِدْرَاجُ يَعْنِي الْإِسْرَاعَ، أَمَّا الْأَذَانُ قَدْرُ سَكْتَةِ التَّنَفُّسِ بَيْنَ الْجُمَلِ لَكِنِ الْإِطَالَةُ مَطْلُوبَةٌ إِلَى حَدٍّ يَتَمَكَّنُ مَنْ يَسْمَعُهُ مِنَ التَّرْدِيدِ خَلْفَهُ».

الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْمُصَلَّى:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «إِنْ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ يَؤُمُّ الثِّقَةُ وَفِي الْمُصَلَّى الثِّقَةُ يُقَدَّمُ فِي الْمَسْجِدَ، فِي الْمَسْجِدِ أَثْوَبُ، فَرْقٌ كَبِيرٌ».

فَضْلُ صَلَاةِ الصُّبْحِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «عَنْ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بَعْثًا قِبَلَ نَجْدٍ فَغَنِمُوا غَنَائِمَ كثيرةً وَأَسْرَعُوا الرَّجْعَةَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَّا لَمْ يَخْرُجْ مَا رَأَيْنَا بَعْثًا أَسْرَعَ رَجْعَةً وَلَا أَفْضَلَ غَنِيمَةً مِنْ هَذَا البَعْثِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى قَوْمٍ أَفْضَلَ غَنِيمَةً وَأَسْرَعَ رَجْعَةً قَوْمٌ شَهِدُوا صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ جَلَسُوا يَذْكُرُونَ اللهَ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ أُولَئِكَ أَسْرَعُ رَجْعَةً وَأَفْضَلُ غَنِيمَةً**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «حَدِيثٌ: «**مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ فَانْظُرْ يَا ابْنَ ءَادَمَ لَا يَطْلُبَنَّكَ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَىْءٍ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ مَعْنَاهُ لَهُ عَهْدٌ مِنَ اللهِ، مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي وَقْتِهَا وَجَمَاعَةً إِنِ اسْتَطَاعَ يَكُونُ لَهُ عَهْدٌ مِنَ اللهِ فَالَّذِي يُؤْذِيهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ اللهُ يَنْتَقِمُ مِنْهُ».

كَيْفَ يُصَلِّي مَنْ لَمْ يَعْرِفِ اتِّجَاهَ الْقِبْلَةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ أَيْنَ الْقِبْلَةُ [كَأَنْ لَمْ يَجِدْ] مَسْجِدًا صَلَّى فِيهِ الْمُسْلِمُونَ زَمَانًا طَوِيلًا فَقَالَ: إِنِ اشْتَغَلْتُ الْآنَ بِالِاجْتِهَادِ أَيْ بِالتَّفْتِيشِ عَلَى عَلَامَاتِ الْقِبْلَةِ خَرَجَ الْوَقْتُ، هَذَا الرَّجُلُ يُصَلِّي قَبْلَ خُرُوجِ الْوَقْتِ ثُمَّ يُعِيدُ تِلْكَ الصَّلَاةَ. وَمَنِ احْتَارَ فَلَمْ يَدْرِ كَيْفَ يَسْتَدِلُّ عَلَى جِهَةِ الْقِبْلَةِ وَلَا وَجَدَ مَنْ يَعْرِفُ يُصَلِّي كَيْفَمَا كَانَ ثُمَّ يُعِيدُ».

تَأْخِيرُ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ وَالْعِشَاءِ إِلَى ءَاخِرِ الْوَقْتِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «تَأْخِيرُ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ عَمْدًا بِلَا عُذْرٍ إِلَى ءَاخِرِ الْوَقْتِ مَكْرُوهٌ بِالْإِجْمَاعِ. أَمَّا الظُّهْرُ وَالْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ فَلَا كَرَاهَةَ فِي تَأْخِيرِهَا».

النِّيَّةُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «النِّيَّةُ لَهَا اعْتِبَارٌ كَبِيرٌ عِنْدَ اللهِ. الشَّخْصُ إِذَا صَمَّمَ فِي قَلْبِهِ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً مِنَ الْحَسَنَاتِ فَإِنْ عَمِلَهَا فَذَاكَ الْأَمْرُ وَإِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ ثَوَابَ الْحَسَنَةِ. لَوْ وَاحِدٌ تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ مَالٌ حَلَالٌ كَثِيرٌ وَيَصْرِفَهُ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ فِيمَا يُرْضِي اللهَ تَعَالَى، يَكْتُبُ اللهُ لَهُ حَسَنَاتٍ بِهَذِهِ لَوْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ مُرَادُهُ، لَوْ مَاتَ فَقِيرًا يَكْتُبُ اللهُ لَهُ ثَوَابَ مَنْ صَرَفَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً فِي سَبِيلِ اللهِ وَهَكَذَا مَا أَشْبَهَ هَذَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ هِيَ الَّتِي لَا تَكُونُ مَحْسُوبَةً مُعْتَبَرَةً إِلَّا مَعَ النِّيَّةِ، الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالْحَجُّ وَالزَّكَاةُ وَالصَّدَقَاتُ وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَالنَّفَقَةُ عَلَى الْأَطْفَالِ وَالنَّفَقَةُ عَلَى الزَّوْجَةِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ [وَ]قِرَاءَةُ الْقُرْءَانِ وَالذِّكْرُ هَذِهِ الْأَعْمَالُ الْحَسَنَةُ مَنْ لَمْ يَنْوِ لَيْسَ لَهُ فِيهَا ثَوَابٌ. نَفَقَةُ الزَّوْجَةِ إِذَا كَانَ الزَّوْجُ يُنْفِقُ عَلَيْهَا لِأَنَّ عَادَةَ النَّاسِ جَرَتْ عَلَى هَذَا وَنَفَقَةُ الْأَطْفَالِ يَفْعَلُ هَذَا وَيُرَبِّيهِمْ لِأَنَّ النَّاسَ يَفْعَلُونَ هَذَا لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ فِي نَفَقَتِهِ وَتَعَبِهِ، لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ إِلَّا أَنْ يَنْوِيَ بِذَلِكَ نِيَّةً حَسَنَةً، يَعْقِدُ فِي قَلْبِهِ: أَنَا أُنْفِقُ عَلَى أَطْفَالِي وَعَلَى زَوْجَتِي لِأَنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِذَلِكَ مَا دَامَ عَلَى هَذِهِ النِّيَّةِ يَكُونُ لَهُ ثَوَابٌ عَلَى تَعَبِهِ وَإِنْفَاقِهِ، أَمَّا إِذَا لَمْ يَنْوِ لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ مَهْمَا تَعِبَ. كَذَلِكَ قَارِئُ الْقُرْءَانِ إِذَا لَمْ يَنْوِ التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ بِقِرَاءَةِ الْقُرْءَانِ لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ، كَذَلِكَ لِلذَّاكِرِ كَذَلِكَ الَّذِي يَتَهَجَّدُ بِاللَّيْلِ إِذَا لَمْ يَنْوِ التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ بِدُونِ رِيَاءٍ لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ،

كَذَلِكَ الصَّائِمُ إِذَا لَمْ يَنْوِ التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ بِنِيَّةٍ، هَذَا الصِّيَامُ مَا اسْتَفَادَ شَيْئًا إِلَّا الْجُوعَ وَالْعَطَشَ، هَذَا نَتِيجَتُهُ إِنَّمَا الْأَجْرُ لَا يَنَالُهُ. حَتَّى الَّذِي يَذْهَبُ إِلَى الْجِهَادِ لِيُقَاتِلَ الْكُفَّارَ إِنْ لَمْ يَنْوِ بِجِهَادِهِ هَذَا التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ إِنْ قُتِلَ، لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ، وَإِنْ رَجَعَ سَالِمًا لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ، هَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»، لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ مَنْ نَطَقَ بِالْكُفْرِ لَا يُعَدُّ كَافِرًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كُلُّ الْحَسَنَاتِ لَا يُكْتَبُ لِفَاعِلِهَا ثَوَابٌ إِلَّا أَنْ يَنْوِيَ التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ بِدُونِ رِيَاءٍ بِدُونِ أَنْ يَقْصِدَ مَحْمَدَةَ النَّاسِ لَهُ، أَمَّا مَنْ عَمِلَ أَيَّ حَسَنَةٍ لِيَحْمَدَهُ النَّاسُ وَلَمْ يَنْوِ نِيَّةَ التَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ لَيْسَ لَهُ حَسَنَةٌ. الثَّوَابُ لِمَنْ يَنْوِي التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ مِنْ دُونِ نِيَّةِ مَحْمَدَةِ النَّاسِ لَهُ هُنَا الثَّوَابُ يَحْصُلُ. الَّذِي يَبْنِي الْمَسْجِدَ لِيُقَالَ عَنْهُ فُلَانٌ فَاعِلُ خَيْرٍ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْءَانَ لِيُقَالَ عَنْهُ فُلَانٌ فَاعِلُ خَيْرٍ لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ. مَنْ لَهُ ثَوَابٌ مَنْ فَعَلَ الْحَسَنَةَ بِنِيَّةِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ مِنْ دُونِ أَنْ يَنْوِيَ طَلَبَ مَحْمَدَةِ النَّاسِ، أَمَّا طَلَبُ مَحْمَدَةِ النَّاسِ بِعَمَلِ الْخَيْرِ مِنَ الذُّنُوبِ الْكَبِيرَةِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْءَانَ لِيُقَالَ عَنْهُ: فُلَانٌ قَارِئٌ، مَا أَقْوَاهُ، مَا أَحْسَنَ صَوْتَهُ، لَيْسَ لَهُ إِلَّا الذَّنْبُ، لَيْسَ لَهُ ذَرَّةٌ مِنَ الثَّوَابِ. إِذَا كَانَ الْمُجَاهِدُ هُوَ الَّذِي يُقَاتِلُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ الْكُفَّارَ، إِنْ قَاتَلَ مِنْ دُونِ هَذِهِ النِّيَّةِ نِيَّةِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ خَالِصَةً لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ إِلَّا الذَّنْبَ فَكَيْفَ قَارِئُ الْقُرْءَانِ وَالْمُصَلِّي. [الْمُجَاهِدُ] هَذَا إِذَا بَذَلَ نَفْسَهُ قُتِلَ أَوْ رَجَعَ سَالِمًا هَذَا لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ إِنْ لَمْ يَنْوِ التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ أَوْ نَوَى التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ وَمَحْمَدَةَ النَّاسِ كَيْ يُقَالَ: فُلَانٌ مُجَاهِدٌ، فُلَانٌ بَطَلٌ، لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ فِي هَذَيْنِ الْحَالَيْنِ فَكَيْفَ قَارِئُ الْقُرْءَانِ وَالْمُصَلِّي وَالْمُزَكِّي كُلُّ الْحَسَنَاتِ لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ مَنْ يَفْعَلُهَا إِلَّا بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ. إِذَا كَانَ الَّذِي يُنْفِقُ عَلَى أَوْلَادِهِ وَيَتْعَبُ عَلَيْهِمْ مِنَ الطُّفُولَةِ إِلَى سِنِّ الْبُلُوغِ، سِنِّ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً مَثَلًا لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ بِكُلِّ تَعَبِهِ وَنَفَقَتِهِ وَسَهَرِهِ عَلَيْهِمْ بِاللَّيْلِ، إِذَا لَمْ يَنْوِ هَذِهِ النِّيَّةَ الْخَالِصَةَ أَيْ أَنَّ اللهَ أَمَرَ بِتَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ وَالنَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ وَرِعَايَتِهِمْ

وَحَضَانَتِهِمْ لِهَذَا أَنْفَقَ مِنْ غَيْرِ أَنْ [يُضِيفَ] إِلَى ذَلِكَ طَلَبَ مَحْمَدَةِ النَّاسِ لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ، هَذَا مَعْنَى: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**». رَجُلٌ قَالَ لِلرَّسُولِ: الرَّجُلُ يَخْرُجُ لِلْجِهَادِ لِلْأَجْرِ وَمَحْمَدَةِ النَّاسِ، قَالَ الرَّسُولُ: «**لَا شَيْءَ لَهُ**» أَيْ لِأَنَّهُ أَدْخَلَ الرِّيَاءَ فِي عَمَلِهِ، أَمَّا لَوْ نَوَى التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ فَقَطْ لَكَانَ لَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ. الَّذِي يُجَاهِدُ عَلَى النِّيَّةِ الصَّحِيحَةِ الْخَالِصَةِ لَهُ دَرَجَةٌ. الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِالنِّيَّةِ الْخَالِصَةِ اللهُ أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، كُلُّ دَرَجَةٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، هَذِهِ الْمِائَةُ دَرَجَةٍ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ نِيَّتُهُمْ خَالِصَةٌ، نَوَوْا للهِ وَلَمْ يَخْلِطُوا فِي نِيَّاتِهِمْ طَلَبَ مَحْمَدَةِ النَّاسِ لَهُمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْإِنْسَانُ الَّذِي يَعْمَلُ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ مِنَ الْحَسَنَاتِ يَحْتَاجُ إِلَى نِيَّتَيْنِ إِنْ كَانَ مِنَ الْفَرَائِضِ، نِيَّة الْفِعْلِ، يَعْقِدُ فِي قَلْبِهِ أَنَّهُ يُصَلِّي الظُّهْرَ أَوْ يُصَلِّي الْمَغْرِبَ أَوْ غَيْرَهَا مِنَ الَّتِي يُرِيدُهَا، هَذِهِ النِّيَّةُ الَّتِي يَصِحُّ بِهَا الْعَمَلُ. وَالنِّيَّةُ الثَّانِيَةُ شَرْطٌ لِحُصُولِ الثَّوَابِ وَهِيَ أَنْ يَقُولَ فِي نَفْسِهِ: أَفْعَلُ هَذَا تَقَرُّبًا إِلَى اللهِ أَوْ لِأَنَّ اللهَ أَمَرَ بِهِ أَفْعَلُهُ، هَذِهِ النِّيَّةُ الثَّانِيَةُ شَرْطُ الثَّوَابِ، أَمَّا الْأُولَى شَرْطُ صِحَّةِ الْعَمَلِ وَإِسْقَاطِ الْفَرْضِ، لِأَنَّ مِنَ الْفَرَائِضِ كَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ، هَذِهِ تَصِحُّ بِالنِّيَّةِ الْأُولَى وَهِي ضَرُورِيَّةٌ لِصِحَّةِ الْعَمَلِ، أَمَّا النِّيَّةُ الثَّانِيَةُ لَيْسَتْ شَرْطًا لِصِحَّةِ الْعَمَلِ إِنَّمَا هِيَ شَرْطٌ لِحُصُولِ الثَّوَابِ، مَثَلًا إِنْسَانٌ أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ مَعْرُوفًا مَعَ شَخْصٍ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي غَيْرُ فَرْضٍ عَلَيْهِ هَذَا تَكْفِيهِ نِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، أَنَا أُحْسِنُ إِلَى هَذَا الْإِنْسَانِ لِأَنَّ اللهَ أَمَرَ بِالْإِحْسَانِ أَوْ يَقُولُ فِي قَلْبِهِ: تَقَرُّبًا إِلَى اللهِ أَفْعَلُ هَذَا الشَّيْءَ، بِهَذَا يَحْصُلُ الثَّوَابُ.

ثُمَّ مِنْ شَرْطِ الثَّوَابِ أَنْ لَا يَدْخُلَ النِّيَّةَ الرِّيَاءُ، أَيْ لَا يَقْصِدُ بِعَمَلِهِ أَنْ يَحْمَدَهُ النَّاسُ أَوْ يَذْكُرُوهُ بِأَنَّ فُلَانًا فَعَلَ كَذَا، أَمَّا مِثْلُ النَّفَقَةِ عَلَى الزَّوْجَةِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَبَوَيْنِ الْفَقِيرَيْنِ فَشَرْطُ الثَّوَابِ نِيَّةُ التَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، الَّذِي يُنْفِقُ عَلَى أَوْلَادِهِ مِنْ أَوَّلِ مَا

يُولَدُونَ إِلَى أَنْ يَصِيرُوا كِبَارًا لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ بِتَعَبِهِ هَذَا كُلِّهِ إِذَا لَمْ يَقْصِدْ بِقَلْبِهِ أَنَا أَفْعَلُ هَذَا الشَّيْءَ لِأَنَّ اللهَ أَمَرَ [بِهِ]، كُلُّ تَعَبِهِ سِنِينَ طِوَالًا يَذْهَبُ سُدًى إِنْ لَمْ يَنْوِ.

مِثَالُ النِّيَّةِ الَّتِي هِيَ شَرْطٌ لِصِحَّةِ الْعَمَلِ الَّتِي إِذَا فُقِدَتْ لَا يَصِحُّ ذَلِكَ الْعَمَلُ بَلْ يَجِبُ إِعَادَتُهُ: رَجَلٌ أَقْرَضَ مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ شَخْصًا ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَرَادَ أَنْ يُزَكِّيَ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: جَعَلْتُ ذَلِكَ الْقَرْضَ زَكَاةً، هَذَا لَا يَكْفِي، لَا بُدَّ أَنْ يُزَكِّيَ بِمَالٍ جَدِيدٍ أَوْ يَسْتَرِدَّ ذَلِكَ الْقَرْضَ وَيَدْفَعَهُ زَكَاةً، فَإِنْ قَالَ: أَنَا أَعْطَيْتُ ذَلِكَ الْفَقِيرَ قَرْضًا، وَالْآنَ جَعَلْتُهُ زَكَاةً لَا يَكْفِي».

الْجَذْبَةُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْجَذْبَةُ الرَّبَانِيَّةُ هَذَا شَيْءٌ عَظِيمٌ، يَنْخَطِفُ قَلْبُهُ للهِ يُحِبُّ مَا هُوَ طَاعَةٌ وَيَكْرَهُ مَا هُوَ مَعْصِيَةٌ. الْغَافِلُ أَحْيَانًا تَأْتِيهِ هَذِهِ الْجَذْبَةُ فَيَتَرَقَّى حَتَّى يَصِيرَ وَلِيًّا يَسْهُل عَلَيْهِ الْوُصُولُ إِلى الْوِلَايَةِ. الَّذِي تَأْتِيهِ هَذِهِ الْجَذْبَةُ إِنْ كَانَ كَسْلَان فِي بَادِئِ الْأَمْرِ يَصِيرُ عِنْدَهُ نَشَاطٌ عَظِيمٌ فَيَجِدُّ فِي الطَّاعَةِ فَيَصِلُ إِلَى الْوِلَايَةِ بِسُهُولَةٍ».

الِاسْتِيقَاظُ بَاكِرًا:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «التَّبْكِيرُ بِالِاسْتِيقَاظِ نَافِعٌ للدِّينِ وَالدُّنْيَا».

الدَّفِينُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الدَّفِينُ الَّذِي هُوَ مِنْ وَقْتِ الْعُثْمَانِيِّينَ، هَذَا لَا يُعْرَفُ أَصْحَابُهُ، هَذَا حُكْمُهُ [حُكْمُ] الْمَالِ الضَّائِعِ، يُصْرَفُ فِي الْمَصَالِحِ».

قَوْلُ «أُشْهِدُ اللهَ»:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أُشْهِدُ اللهَ لَيْسَ حَلِفًا، وَقَوْلُ «اللهُ شَهِيدٌ» لَيْسَ حَلِفًا، إِذَا قَالَ «أَشْهَدُ بِاللهِ» حَلِفٌ. قَوْلُ «اللهُ شَهِيدٌ» فِيهِ نِسْبَةُ الْعِلْمِ بِهَذَا الشَّيْءِ إِلَى اللهِ. وَ«أُشْهِدُ اللهَ» وَ«اللهُ شَهِيدٌ» مَعْنَاهُ اللهُ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ هَكَذَا، أَمَّا أَشْهَدُ بِاللهِ مَعْنَاهُ أُقْسِمُ بِاللهِ».

النَّذْرُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «إِذَا قَالَ: نَذَرْتُ أَنْ أَذْبَحَ خَرُوفًا لِلشَّيْخِ الْأَوْزَاعِيِّ أَوْ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ أَوْ لِلشَّيْخِ أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ، صَارَ فَرْضًا عَلَيْهِ أَنْ يَذْبَحَ خَرُوفًا وَيُطْعِمَهُ لِلْمَسَاكِينِ، يُوَزِّعُهُ عَلَى الْفُقَرَاءِ مَعْنَاهُ أَنَّ هَذِهِ الذَّبِيحَةَ صَدَقَةُ النَّذْرِ أَوْجَبْتُ عَلَى نَفْسِي هَذَا، عَلَى نَفْسِي هَذَا مَعْنَاهُ الثَّوَابُ يَكُونُ لِلْأَوْزَاعِيِّ. إِذَا قَالَ نَذَرْتُ أَنْ أَذْبَحَ خَرُوفًا لِلشَّيْخِ الْأَوْزَاعِيِّ مَعْنَاهُ ثَوَابُ الصَّدَقَةِ يَكُونُ لَهُ، لَا يَنْوِي تَعْظِيمَ ضَرِيحِ ذَلِكَ الْوَلِيِّ، لَا يَنْوِي تَعْظِيمَ الْقَبْرِ بَلْ يَنْوِي أَنْ يَتَصَدَّقَ عَنْ رُوحِ هَذَا الْوَلِيِّ وَيَكُونَ لَهُ ثَوَابُ هَذِهِ الذَّبِيحَةِ وَهُوَ النَّاذِرُ، يَكُونُ لَهُ ثَوَابُ هَذَا النَّذْرِ، أَمَّا ثَوَابُ التَّصَدُّقِ بِالذَّبِيحَةِ يَكُونُ لِلْوَلِيِّ، أَمَّا إِذَا نَوَى أَنْ يَذْبَحَ تَعْظِيمًا لِلضَّرِيحِ لَا يَجُوزُ، النَّذْرُ لَا يُقْصَدُ بِهِ تَعْظِيمُ هَذَا الْوَلِيِّ إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ التَّقَرُّبُ إِلَى اللهِ بِالتَّصَدُّقِ عَنْ رُوحِ هَذَا الْوَلِيِّ؛ الَّذِي لَا يَفْهَمُ هَذَا إِلَّا أَنَّهُ يَظُنُّ أَنَّهُ إِنْ نَذَرَ عَنْ رُوحِ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ يَدْفَعُ عَنْهُ الْبَلَاءَ وَلَا يَنْوِي التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ هَذَا عَمَلٌ بَاطِلٌ؛ بَعْضُ الْجُهَّالِ لَا يَنْوُونَ إِلَّا تَعْظِيمَ هَذَا الْقَبْرِ حَتَّى تَنْدَفِعَ عَنْهُ الْمُصِيبَةُ أَوْ تُقْضَى لَهُ حَاجَتُهُ، لَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ التَّقَرُّبُ إِلَى اللهِ بِالتَّصَدُّقِ عَنْ رُوحِ هَذَا الْوَلِيِّ فَهَؤُلَاءِ عَمَلُهُمْ بَاطِلٌ.

كَثِيرٌ مِنَ النِّسَاءِ يَنْذُرُونَ نَذْرًا لِمَشَاهِدِ بَعْضِ الْأَوْلِيَاءِ وَلَا يَنْوُونَ التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ، يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ بِتَعْظِيمِ هَذَا الْمَشْهَدِ يَنْدَفِعُ عَنْهُمُ الْمُصِيبَةُ وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِمُ التَّقَرُّبُ إِلَى اللهِ، هَؤُلَاءِ عَلَيْهِمْ ذَنْبٌ.

النَّذْرُ هُوَ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ، النَّذْرُ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ هُوَ مَا يُعْمَلُ بِنِيَّةِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ. مَنْ نَذَرَ لِوَلِيّ فَإِنْ كَانَ قَصْدُهُ أَنْ يَكُونَ ثَوَابُ هَذَا النَّذْرِ إِلَى هَذَا الْوَلِيّ وَهُوَ يَرْجُو مِنَ اللهِ أَنْ يَقْضِيَ حَاجَتَهُ بِبَرَكَةِ هَذَا الْوَلِيّ هَذَا صَحِيحٌ. وَهَذَا الشَّيْخُ الْأَوْزَاعِيُّ مَضَى عَلَيْهِ أَلْفٌ وَثَلَاثُمِائَةِ سَنَةٍ قَرِيبٌ مِنْ زَمَنِ الرَّسُولِ أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ بَيْرُوتَ أَذَّنَ سِتِّين سَنَةً فِي الْمَسْجِدِ، تَقِيٌّ، قَالَ: كُنَّا مَرَّةً فِي مَقَامِ الْأَوْزَاعِيِّ نَذْكُرُ اللهْ اللهْ اللهْ اللهْ قَالَ فَظَهَرَ الْأَوْزَاعِيُّ مِنَ الْقَبْرِ فَنَحْنُ مِنْ شِدَّةِ الْهَيْبَةِ غِبْنَا ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ اخْتَفَى، دَخَلَ الْقَبْرَ، الْأَوْلِيَاءُ يَسْتَطِيعُونَ بِإِذْنِ اللهِ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الْقَبْرِ وَيَذْهَبُوا إِلَى مَكَانٍ ثُمَّ يَعُودُوا».

الرُّقْيَةُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «**حَدِيثٌ**: «**مَنِ اكْتَوَى وَاسْتَرْقَى فَقَدْ بَرِئَ مِنَ التَّوَكُّلِ**»، صَحِيحٌ، مَعْنَاهُ الَّذِي يَسْتَرْقِي أَوْ يَرْقِي بِرُقْيَةٍ بَاطِلَةٍ لَيْسَ الرُّقْيَةَ الْحَقَّةَ، الرُّقْيَةَ بِالْقُرْءَانِ وَذِكْرِ اللهِ، كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ رُقًى يَذْكُرُونَ فِيهَا الشَّيْطَانَ يَسْتَعِينُونَ فِيهَا بِالشَّيْطَانِ؛ وَالْآنَ يُوجَدُ نَاسٌ يَقُولُونَ: دَعْوَةُ فُلَانٍ مِنْ رُؤُوسِ الْجِنِّ، دَعْوَةُ مَيْمُونٍ دَعْوَةُ فُلَانٍ هَذِهِ أَيْضًا حَرَامٌ، هَذِهِ بَاطِلَةٌ.

الرُّقى إِمَّا أَنْ تَكُونَ بِالْقُرْءَانِ أَوْ بِذِكْرِ اللهِ وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يُوجَدُ [فِي] اللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ أَسْمَاءٌ للهِ مِنْ طَرِيقِ ثِقَةٍ يَجُوزُ أَنْ يَرْقِيَ بِهَا، أَمَّا إِذَا كَانَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ هَذَا مِنْ ثِقَةٍ، هُوَ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهُ، هُوَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ اللُّغَةِ، قَدْ يَكُونُ اسْمًا لِصَنَمٍ كَبِيرٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِشَخْصٍ تَقِيٍّ، اللهُ تَعَالَى نَوَّرَ قَلْبَهُ لِيَحْذَرَ شَرَّهُمْ وَيَنْتَفِعُوا بِهِ؛ الْخَلَوَاتُ الَّتِي تَكُونِ لِذِكْرِ اللهِ لِتَطْهِيرِ الْقَلْبِ تَنْفَعُ، أَمَّا الْخَلَوَاتُ الَّتِي تَكُونُ لِاسْتِحْضَارِ الْجِنّ خَطَرُهَا أَكْبَرُ».

الْخُشُوعُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْخُشُوعُ الْخَوْفُ مِنَ اللهِ وَيَتْبَعُهُ سُكُونُ الْجَوَارِحِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مَاتُوا عِنْدَ سَمَاعِ بَعْضِ الْآيَاتِ الْقُرْءَانِيَّةِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «يَكْفِي لِلْخُشُوعِ خَوْفُ اللهِ بِالْقَلْبِ، مَنْ صَلَّى وَهُوَ يَسْتَشْعِرُ بِالْخَوْفِ مِنَ اللهِ هَذَا هُوَ الْخُشُوعُ. يَظَلُّ مُسْتَشْعِرًا بِالْخَوْفِ مِنَ اللهِ إِمَّا كُلَّ الصَّلَاةِ أَوْ بَعْضَ الصَّلَاةِ لَكِنْ هَذَا يَسْتَلْزِمُ سُكُونَ الْجَوَارِحِ».

تَغْمِيضُ الْعَيْنِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «تَغْمِيضُ الْعَيْنِ يُسَاعِدُ عَلَى حُضُورِ الْقَلْبِ لِأَنَّ الْعَيْنَ إِذَا كَانَتْ مَفْتُوحَةً قَدْ تَنْشَغِلُ بِبَعْضِ مَا تَرَاهُ، أَمَّا إِذَا غَمَّضْتَ عَيْنَكَ لَا تَنْشَغِلُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَغْمِيضُ الْعَيْنِ لَهُ أَصْلٌ عِنْدَ الذِّكْرِ لِأَنَّهُ يَجْمَعُ الْفِكْرَ، عِنْدَمَا يُغَمِّضُ الْوَاحِدُ عِنْدَ الذِّكْرِ أَعْوَنُ لَهُ عَلَى التَّدَبُرِ بِمَعْنَى الذِّكْرِ، فِيْهِ جَمْعُ الْخَاطِرِ، عِنْدَمَا يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ قَدْ يَنْشَغِلُ بِشَىْءٍ يَرَاهُ، قَلْبُهُ يَنْشَغِلُ، أَمَّا عِنْدَمَا يُغَمِّضُ إِنْ كَانَ هَمُّهُ أَنْ يَذْكُرَ اللهَ يَنْجَمِعُ خَاطِرُهُ عَلَى الذِّكْرِ، فِيهِ سِرٌّ».

لُغَةُ الْعَرَبِ وَاسِعَةٌ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ٥٤﴾ [سورة الأعراف]. الْأَمْرُ هُنَا مَعْنَاهُ الْكَلَامُ الْأَزَلِيُّ، هُوَ يَخْلُقُ وَهُوَ الَّذِي يَأْمُرُ. أَلَا لَهُ الْخَلقُ وَالْكَلَامُ الْأَزَلِيُّ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الدُّنْيَا لَهَا عِدَّةُ مَعَانٍ، الدُّنْيَا تُطْلَقُ عَلَى مَا تَحْتَ السَّمَاءِ، وَبِمَعْنَى مَا قَبْلَ ٱلآخِرَةِ وَتُطْلَقُ عَلَى الْمَالِ وَنَحْوِهِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «السَّمَاءُ تُطْلَقُ عَلَى عِدَّةِ مَعَانٍ، هَذَا الجَوُّ وَالفَرَاغُ مِنْ هُنَا إِلَى السَّمَاءِ هَذَا يُسَمَّى سَمَاءً، وَالسَّمَاءُ الْأُولَى كَذَلِكَ تُسَمَّى سَمَاءً، وَالثَّانِيَةُ وَالثَّالِثَةُ كُلُّهَا إِلَى السَّابِعَةِ وَهَذَا السَّقْفُ أَيْضًا يُسَمَّى سَمَاءً سَقْفُ البَيْتِ، هَذَا الْفَرَاغُ أَيْضًا يُسَمَّى سَمَاءً».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كَلِمَةُ خَيْرٍ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ تُطْلَقُ عَلَى الْمَالِ الْكَثِيرِ، وَعَلَى الرَّخَاءِ وَالبَسْطِ، وَعَلَى الْحَسَنَاتِ، كُلُّ هَذَا يُقَالُ لَهُ خَيْرٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «فِي لُغَةِ الْعَرَبِ كُلُّ مَا سِوَى الْأَحْمَرِ وَالْأَبْيَضِ يُقَالُ لَهُ أَخْضَرُ حَتَّى الْإِنْسَانُ الْأَسْوَدُ يُقَالُ لَهُ أَخْضَرُ».

الْحَيَوَانُ هُوَ الْحَيَاةُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اللُّغَةُ الْقَدِيمَةُ كَثِيرٌ مِنْهَا ضَاعَ الْيَوْم بَيْنَ النَّاسِ فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ ضَاعَ، الْحَيَاةُ يُقَالَ لَهَا الْحَيَوَانُ، فِي الْقُرْءَانِ الْكَرِيْمِ ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ ٦٤﴾ [سورة العنكبوت] أَيِ الْحَيَاةُ الْهَنِيئَةُ الدَّائِمَةُ، الْحَيَاةُ اسْمُهَا حَيَوَانٌ، وَالشَّيْءُ الَّذِي فِيهِ رُوحٌ حَيَوَانٌ، الْحَيَوَانُ لَهُ مَعْنَيَانِ، الْحَيَاةُ يُقَالُ لَهَا حَيَوَانٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِيهِ رُوحٌ يُقَالُ لَهُ حَيَوَانٌ، الْإِنْسَانُ وَالْبَقَرُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْجِنُّ وَنَحْوُ ذَلِكَ، هُنَا الْيَوْمَ الْحَيَوَانُ الْبَهَائِمُ.

الْحَيَوَانُ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَا فِيهِ رُوحٌ، الْإِنْسَانُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْجِنُّ وَالْبَهَائِمُ، وَيُطْلَقُ بِمَعْنَى الْحَيَاةِ، فِي الْقُرْءَانِ بِمَعْنَى الْحَيَاةِ ذُكِرَ الْحَيَوَانُ، الآخِرَةُ الَّتِي اللهُ تَعَالَى سَمَّاهَا الْحَيَوَانَ أَيِ الْحَيَاةَ الدَائِمَةَ الْهَنِيئَةَ الَّتِي لا انْقِطَاعَ لَهَا ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ٦٤﴾ [سورة العنكبوت] أَيِ الْكُفَّارُ، الْكُفَّارُ لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُونَ لَعَلِمُوا أَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ الْحَيَوَانُ أَيِ الْحَيَاةُ الْهَنِيْئَةُ الدَّائِمَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ، أَمَّا لِلْكَافِرِينَ فعَذَابٌ أَلِيمٌ.

الْكُفَّارُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ الْحَيَوَانُ أَيِ الْحَيَاةُ الْهَنِيئَةُ الدَّائِمَةُ لَآمَنُوا بِالْبَعْثِ وَالْآخِرَةِ حَتَّى يَنْتَفِعُوا بِتِلْكَ الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ بِالنَّعِيمِ الدَّائِمِ لَكِنْ مَا ءَامَنُوا لِذَلِكَ فَحُرِمُوا تِلْكَ الْحَيَاةَ. كُفَّارُ الْعَرَبِ الْمُشْرِكُونَ كَانُوا يَقُولُونَ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ بَعْدَ أَنْ نَمُوتَ وَنَصِيرَ تُرَابًا لَا يَصِيرُ رُجُوعٌ إِلَى الْحَيَاةِ بَعْدَ ذَلِكَ، الْقُرْءَانُ يُكَذِّبُهُمْ وَيُوَبِّخُهُمْ».

كَلِمَةُ مَوْلَى فِي لُغَةِ الْعَرَبِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «كَلِمَةُ الْمَوْلَى فِي لُغَةِ الْعَرَبِ لَهَا وَاحِدٌ وَعُشْرُونَ مَعْنًى، الصَّدِيقُ يُقَالُ لَهُ مَوْلَايَ مَوْلَانَا وَالَّذِي يُحِبُّكَ تَقُولُ لَهُ مَوْلَانا وَالْقَرِيبُ ابْنُ الْعَمِّ وَالْمُتَصَرِّفُ فِي شُؤُونِ النَّاسِ الْقَاضِي مَثَلًا أَوِ الْوَزِيرُ يُقَالُ لَهُ مَوْلًى، أَمَّا الْمَوْلَى الْمُطْلَقُ هُوَ اللهُ لِأَنَّهُ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِ الْخَلْقِ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ٤﴾ [سورة التحريم]».

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ سَهْلَةٌ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ نَقُولُ سَهْلَةٌ، لَكِنَّ الْعَجَمَ وَالْعَرَبَ الَّذِينَ صَارُوا كَالْعَجَمِ لَيْسَتْ سَهْلَةً عَلَيْهِمْ كَمَا كَانَتْ سَهْلَةً عَلَى الْعَرَبِ الَّذِينَ كَانُوا أَيَّامَ

الرَّسُولِ، أُولَئِكَ كَانُوا بِالسَّلِيقَةِ يَعْرِفُونَ، يَتَكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا أَحْكَامَ التَّجْوِيدِ، ثُمَّ تَغَيَّرَتِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ بِاسْمِ اخْتِلَاطِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ الْأَفَارِقَةِ وَالْحَبَشَةِ فَصَارَتِ اللُّغَةُ كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ يَغْلَطُونَ فِيْهَا فَصَارُوا بِحَاجَةٍ إِلَى تَقْوِيمِ اللِّسَانِ عَلَى الْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ، صَارُوا يَحْتَاجُونَ إِلَى تَمْرِينٍ لِإِخْرَاجِ الْحُرُوفِ. اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ هِيَ أَسْهَلُ اللُّغَاتِ بِحَسَبِ الْأَصْلِ، أَوَّلُ لُغَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا ءَادَمُ لَمَّا تَمَّ تَكْوِينُهُ هِيَ اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ، قَالَ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ أَوَّلَ مَا نَطَقَ بِهَا».

أَجْمَلُ كَلِمَةٍ عَرَبِيَّةٍ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أَجْمَلُ كَلِمَةٍ عَرَبِيَّةٍ هِيَ لَفْظُ الْجَلَالَةِ اللهُ».

مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْمُؤْمِنُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اللهُ مُؤْمِنٌ مَعْنَاهُ مُصَدِّقٌ لِأَنْبِيَائِهِ، اللهُ صَدَّقَ أَنْبِيَاءَهُ، أَمَّا مُسْلِمٌ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْءَانِ تَسْمِيَةُ اللهِ بِالْمُسْلِمِ إِلَّا بِالْمُؤْمِنِ، إِنَّمَا الْمُسْلِمُ مَعْنَاهُ الْمُنْقَادُ، اللهُ لَا يَنْقَادُ بَلْ يُنْقَادُ لَهُ فَلَا يُقَالُ لَهُ الْمُسْلِمُ. أَمَّا الْمُؤْمِنُ مَعْنَاهُ الْمُصَدِّقُ، اللهُ يُصَدِّقُ أَنْبِيَاءَهُ، فَيُقَالُ يَا مُؤْمِنُ ارْزُقْنِي، يَا مُؤْمِنُ ارْحَمْنِي لِأَنَّهُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ، أَمَّا الْمَخْلُوقُ إِذَا قِيلَ لَهُ الْمُؤْمِنُ مَعْنَاهُ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ».

الْمُزَّمِّلُ هُوَ الرَّسُولُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مَعْنَى «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُزَّمِّلْ»، الْمُزَّمِّلُ الرَّسُولُ كَانَ فِي أَوَائِلِ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ ازَّمَلَ أَيْ تَغَطَّى بِثِيَابِهِ مِنْ أَثَرِ الْوَحْيِ، لَهُ ثِقَلٌ يَتَأَثَّرُ فَتَزَمَّلَ، تَغَطَّى بِالثَّوْبِ فِي الْبَدْءِ فِي أَوَائِلِ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ».

تَقْوِيمُ اللِّسَانِ أَمْرٌ مُهِمٌّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مَعْنَى اللَّهُمَّ سَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ تَسْلِيَةً مَا لَهُ مَعْنَى، كَذَلِكَ الَّذِي يَقْرَأُ السَّالِحِينَ بِالسِّينِ لَهُ مَعْنَيَانِ أَحَدُهُمَا الَّذِينَ لَهُمْ سِلَاحٌ، عِبَادُ اللهِ الَّذِينَ لَهُمْ سِلَاحٌ، وَالْآخَرُ الْمُتَغَوِّطِينَ، الْعَرَبُ يَقُولُونَ سَلَحَ الطَّيْرُ أَيْ تَغَوَّطَ فَهُوَ سَالِحٌ وَلِلْإِنْسَانِ يَقُولُونَ سَلَحَ فُلَانٌ أَيْ تَغَوَّطَ فُلَانٌ، سَالِحٌ أَيْ مُتَغَوِّطٌ. بِالْحَرْفِ الْوَاحِدِ يَتَغَيَّرُ الْمَعْنَى، لِذَلِكَ تَقْوِيمُ اللِّسَانِ أَمْرٌ مُهِمٌّ. الَّذِي يَقُولُ: اللَّهُمَّ سَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ مَلْيُونَ مَرَّةٍ لَيْسَ لَهُ ذَرَّةٌ مِنَ الْأَجْرِ، أَتْعَبَ نَفْسَهُ. كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ: أَنَا صَلَّيْتُ عَلَى الرَّسُولِ كَذَا وَكَذَا أَلْفَ مَرَّةٍ وَهُمْ يَقُولُونَ سَلِّ بِالسِّينِ، مَا لَهُمْ أَجْرٌ، يَا لَطِيفُ يَا لَطِيفُ.

وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُونَ صَلِّي مَعَ الْيَاءِ، هَؤُلَاءِ لَوْ كَانُوا يَفْهَمُونَ مَعْنَاهُ بِالْعَرَبِيَّةِ لَكَفَرُوا لِأَنَّ صَلِّ مَا فِيهِ تَأْنِيثٌ، يُقَالُ لِلرِّجَالِ صَلِّ مَا فِيهِ تَأْنِيثٌ، أَمَّا لِلنِّسَاءِ يُقَالُ صَلِّي بِالْيَاءِ. الَّذِي يَقُولُ اللَّهُمَّ صَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ كَأَنَّهُ يَقُولُ لله أَنْتِ، كَذَلِكَ إِذَا أُرِيدَ أَنْ يُقَالَ لِلرَّجُلِ صَلِّ يُقَالُ لَهُ صَلِّ بِلَا يَاءٍ، أَمَّا الْمَرْأَةُ يُقَالُ لَهَا صَلِّي يَا فُلَانَةُ، صَلِّي بِالْيَاءِ.

تَقْوِيمُ اللِّسَانِ أَمْرٌ مُهِمٌّ، أَمْرٌ عَظِيمٌ تَقْوِيمُ الْحُرُوفِ».

النَّوْمُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «النَّومُ يَكُونُ مِن تَعَبِ الْفِكْرِ أَوْ مِنْ تَعَبِ الْجِسمِ، لِذَلِكَ أَهلُ الْجَنَّةِ لَا يَنَامُونَ، لِذَلِكَ يَقُولُونَ: «النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ»».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يَنَامُ خَمْسَ سَاعَاتٍ لَا يُسَمَّى مِنْ أَحْبَابِ الدُّنْيَا، لَا يُذَمُّ وَلَوْ كَانَتْ عَادَتُهُ أَنْ يَنَامَ سِتَّ سَاعَاتٍ، لَا يُذَمُّ، هَذَا عَلَى حَسَبِ الْجِسْمِ، بَعْضُ الْأَجْسَامِ تَكْتَفِي بِسِتٍّ وَبَعْضُ الْأَجْسَامِ لَا تَكْتَفِي بِسِتٍّ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ أَنْ أَمَاتَنَا، النَّوْمُ شَبِيهُ الْمَوْتِ، أَخُو الْمَوْتِ مَعْنَاهُ لَمْ يُمِتْنَا وَنَحْنُ نَائِمُونَ بَلْ جَعَلَنَا نَسْتَيْقِظُ مِنْ نَوْمِنَا وَنَعِيشُ. بَعْضُ النَّاسِ قُبِضَتْ أَرْوَاحُهُمْ وَهُمْ نَائِمُونَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «النَّوْمُ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ لِغَيْرِ حَاجَةٍ وَرَدَ فِي حَدِيثٍ ضَعِيفٍ أَنَّهُ مَكْرُوهٌ».

لِلْوَاحِدِ مِنَّا ثَلَاثَةُ أَعَدَاء:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْإِنْسَانُ بَيْنَ الْحَذَرِ مِنْ شَرِّ نَفْسِه، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ، وَمِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، نَحْنُ الْوَاحِدُ مِنَّا لَهُ [ثَلَاثَةُ أَعَدَاء]، نَفْسُهُ الْخَبِيْثَةُ الَّتِي تُحَرِّكُهُ لِلسُّوْءِ، وَالشَّيْطَانُ، وَأُنَاسٌ مِنَ الْبَشَرِ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، فَمَنْ سَلِمَ مِنْ شَرِّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثِ فَهَذَا هُوَ الرَّجُلُ الْعَاقِلُ فِي أَمْرِ الدِّينِ، الْعَاقِلُ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ، أَمَّا مَنْ لَا يَحْذَرُ شَرَّ هَؤُلَاءِ فَهُوَ عَلَى الْهَلَاكِ».

الْكُتُبُ الْمُنَزَّلَةُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «فِي ابْنِ حِبَّانَ أَنَّ الْكُتُبَ الْمُنَزَّلَةَ عَلَى شِيثٍ خَمسُونَ، وَعَلَى إِدْرِيسَ ثَلَاثُونَ، وَإِبْرَاهِيمَ عَشَرَةٌ، وَمُوسَى أَحَدَ عَشَرَ، وَدَاوُدَ وَاحِدٌ، وَعِيسَى وَاحِدٌ، وَمُحَمَّدٌ وَاحِدٌ».

عِلْمُ النَّحْوِ وَالصَّرْفِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه لِأَحَدِ تَلَامِيذِهِ: «قُلْ لِوَلَدِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَا تَمَلَّ مِنْ عِلْمِ النَّحْوِ، اقْرَإِ الْكِتَابَ وَلَوْ مِائَةَ مَرَّةٍ، أَحْيَانًا الشَّخْصُ يُرِيدُ أَنْ يَطْلُبَ عِلْمًا فَيَجِدَهُ كَأَنَّهُ بَابٌ مُقْفَلٌ فَإِذَا صَبَرَ يُفْتَحُ لَهُ الْبَابُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي لَا يَعْرِفُ النَّحْوَ وَالصَّرْفَ قِرَاءَةُ الْحَدِيثِ حَرَامٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ يَكْذِبُ عَلَى الرَّسُولِ دُوْنَ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّهُ كَذِبٌ. النَّحْوُ وَحْدَهُ لَا يَكْفِيْ، النَّحْوُ يُبَيِّنُ أَوَاخِرَ الْكَلِمَةِ، أَمَّا أَمْرُ الْحُرُوفِ فَلَا بُدَّ مِنَ الصَّرْفِ، إِلَّا إِذَا أَخَذَهُ مِنْ فَمِ ثِقَةٍ أَوْ وَجَدَهُ مَشْكُولًا بِضَبْطِ ثِقَةٍ، وَجَدَهُ فِي كِتَابٍ، فِي هاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ يَجُوزُ لَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَرَأَ النَّحْوَ وَالصَّرْفَ، أَمَّا أَنْ يَأْخُذَ مِنْ كِتَابٍ وَغَيْرِ مَضْبُوْطٍ بِضَبْطٍ فَهَذَا عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْهَلَاكِ».

وَقَالَ رضي الله عنه:

«النَّحْوُ وَالصَّرْفُ كِلَاهُمَا شُرِطْ ... لِقَارِئِ الْحَدِيثِ خَشْيَةَ الْغَلَطْ

لَكِنَّ هَذَا فِي السَّلِيقِيِّ سَقَطْ ... لِأَمْنِهِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْغَلَطْ

عِلْمُ النَّحْوِ لَمْ يَكُنْ أَيَّامَ الصَّحَابَةِ، لَمْ يَكُنْ مَشْرُوْحًا مُوَسَّعًا، الصَّحَابَةُ مَا كَانُوا يَحْتَاجُونَ لِلنَّحْوِ لِأَنَّ لُغَتَهُمْ مُوَافِقَةٌ لِلنَّحْوِ بِدُونِ دِرَاسَةِ النَّحْوِ، الَّذِينَ كَانُوا أُمِّيِّينَ مِنَ الصَّحَابَةِ كَانَ نُطْقُهُمْ بِلُغَتِهِمْ مُوَافِقًا لِلنَّحْوِ مِنْ دُونِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا النَّحْوَ، مِنْ طَبِيعَتِهِمْ كَانَ كَلَامُهُمْ مُوَافِقًا لِلنَّحْوِ. ثُمَّ لَمَّا اخْتَلَطَ الْعَرَبُ بِالْعَجَمِ تَغَيَّرَتِ اللُّغَةُ فَصَارَ اللَّحْنُ شَائِعًا فِي أَفْوَاهِ الْمُسْلِمِينَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ وَصَارَ تَعَلُّمُ النَّحْوِ فَرْضًا عَلَى الْكِفَايَةِ. وَأَمَّا مَنْ يَقْرَأُ الْحَدِيثَ فَمَعْرِفَتُهُ بِالنَّحْوِ فَرْضُ عَيْنٍ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَعْرِفِ النَّحْوَ وَأَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ حَدِيثًا مِنْ أَحَادِيثِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ كِتَابٍ قَدْ يَقْرَأُهُ عَلَى مَا يُفْسِدُ مَعْنَى الْحَدِيثِ، عَلَى مَا

يُغيّرُ مَعْنَى الحَدِيثِ، فَيَكُونُ كَذَبَ عَلَى الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم. الَّذِي لَمْ يَتَعَلَّمِ النَّحْوَ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَقْرَأَ الحَدِيثَ إِلَّا أَنْ يَجِدَ كِتَابًا مَضْبُوطًا حُرُوفُهُ وَشَكْلُهُ الضَّمَّةُ وَالْفَتْحَةُ وَالْكَسْرَةُ وَالسُّكُونُ، وَالَّذِي ضَبَطَهُ يَكُونُ عَالِمًا ثِقَةً، فَإِنْ حَصَلَ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ مِنْ كُتُبِ الحَدِيثِ يَجُوزُ قِرَاءَتُهُ فَيَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ كَذَا كَذَا، لِأَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ تَكُونُ مَضْمُومَةً وَمَفْتُوحَةً وَمَجْرُورَةً عَلَى حَسَبِ الْمَعَانِي، هَذَا لَا يُوجَدُ فِي غَيْرِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ».

الزَّمَخْشَرِيُّ لَا يَجُوزُ الِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أَبُو عَلِيٍ السَّكُونِيُّ الْإِشْبِيلِيُّ ذَكَرَ الزَّمَخْشَرِيَّ فِي تَأْلِيفٍ لَهُ وَكَفَّرَهُ. الزَّمَخْشَرِيُّ لَا يَجُوزُ الِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ كَانَ مُعْتَزِلِيًّا كَافِرًا. كَانَ يَقُولُ: «الْقُرْءَانُ مَخْلُوقٌ» وَيُرِيدُ بِهِ الْكَلَامَ الذَّاتِيَّ لِأَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ كَلَامٌ إِلَّا هَذَا اللَّفْظُ الْمَخْلُوقُ. هُوَ لَيْسَ مِنْ عَرَبِ الْجَاهِلِيَّةِ، أُولَئِكَ الْقُدَمَاءُ يُنْقَلُ عَنْهُمْ فِي إِثْبَاتِ الْعَرَبِيَّةِ. أَبُو عَلِيٍ السَّكُونِيُّ مِنْ قَبِيلَةِ سَكُونٍ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ فِي رِسَالَةِ «لَحْنِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ»: «وَأَمَّا تَفْسِيرُ الزَّمَخْشَرِيِّ فَأَكْثَرُهُ اعْتِزَالٌ وَفِيهِ مَوَاضِعُ انْتَهَى فِيهَا إِلَى الْكُفْرِ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ».

رُؤْيَةُ اللهِ فِي الْمَنَامِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مَنْ رَأَى اللهَ فِي الْمَنَامِ بِلَا كَيْفٍ يَمُوتُ عَلَى الْإِيمَانِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَقَدْ يَكُونُ بُشْرَى لَهُ بِالْوِلَايَةِ».

رُؤْيَةُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم قَبْلَ الْمَوْتِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مِنَ النَّاسِ مَنْ يَرَى رَسُولَ اللهِ قَبْلَ الْمَوْتِ عِيَانًا يَقَظَةً وَهُمْ فِي أَمَاكِنِهِم وَالرَّسُولُ فِي قَبْرِهِ، اللهُ تَعَالَى يَجْعَلُ هَذِهِ الْحُجُبَ هَذِه الْجِبَالَ وَالتِّلَالَ الَّتِي بَيْنَ مَكَانِ هَذَا الشَّخْصِ الْمَرِيضِ الَّذِي هُوَ [فِي] حَالِ النِّزَاعِ وَالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، يَجْعَلُ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ كَأَنَّهُ بِلَّوْرٌ فَيَرَى الرَّسُولَ، وَالرَّسُولُ يَضْحَكُ إِلَيْهِ وَيُبَشِّرُهُ».

حَدِيثٌ: «مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي»:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِي رضي الله عنه: «**«مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي»** مَنْ زَارَهُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بُشْرَى لَهُ بِالْوَفَاةِ عَلَى الْإِيمَانِ. الَّذِي يَرَاهُ فِي الْمَنَامِ مَضْمُونٌ لَهُ أَنْ يَمُوتَ عَلَى الْإِيمَانِ. الَّذِي رَءَاهُ فِي حَيَاتِهِ فِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَغْلَبُهُمْ مَاتُوا عَلَى الْإِيمَانِ إِلَّا الْقَلِيلُ».

الْخَيْرُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْخَيْرُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ يُطْلَقُ عَلَى الْعَمَلِ الْحَسَنِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ، ويُطْلَقُ عَلَى الْمَالِ الْكَثِيرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ۩ ٧٧**﴾ [سورة الحج] الْخَيْرُ هُنَا بِمَعْنَى الطَّاعَاتِ. وَفِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ فِي الْقُرْءَانِ يُرَادُ بِهِ ـ أَيْ لَفْظِ الْخَيْرِ ـ الْمَالُ الْكَثِيرُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ٨﴾ [سورة العاديات] هُنَا الْخَيْرُ مَعْنَاهُ الْمَالُ الْكَثِيرُ، فِي وَصْفِ الْكَافِرِ وَرَدَ هَذَا».

الْقُرْءَانُ الْكَرِيمُ فِيهِ مَا فِيهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْقُرْءَانُ فِيهِ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فِيهِ مَا ذَكَرَهُ الْأَنبِيَاءُ وَمَا حَصَلَ لِأُمَمِهِمْ، فِيهِ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، فِيهِ بَيَانُ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فِيهِ بَيَانُ مَا يُصْلِحُ النُّفُوسَ وَمَا يُفْسِدُهَا وَفِيهِ بَيَانُ مَا أُنزِلَ عَلَى بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْقُرْءَانُ فِيهِ سِرٌّ عَظِيمٌ وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْقَارِئُ تَقِيًّا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْقُرْءَانُ كَالشَّمْسِ فَالشَّمْسُ يَرَاهَا الْبَصِيرُ دُونَ الْأَعْمَى، كَذَلِكَ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ نُورٌ، لَكِنْ لَا يَهْتَدِي بِهَا إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ لَهُ، أَمَّا الَّذِي أَقْفَلَ اللهُ قَلْبَهُ فَهُوَ كَالْأَعْمَى الَّذِي لَا يُبْصِرُ الشَّمْسَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «خَيْرُ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ الْقُرْءَانُ الْكَرِيمُ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ أَيْ خَيْرُ السِيرَةِ سِيرَةُ مُحَمَّدٍ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَضَّلَهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَجَعَلَ شَرِيعَتَهُ أَيْسَرَ الشَّرَائِعِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَفْضَلُ مُعْجِزَةٍ لِلرَّسُولِ الْقُرْءَانُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْقُرْءَانُ ءَايَاتُهُ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ: قِسْمٌ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللهَ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا، وَقِسْمٌ ظَاهِرُهُ أَنَّ اللهَ لَهُ جَسَدٌ وَأَعْضَاءٌ وَيَتَحَرَّكُ يَنْزِلُ وَيَطْلُعُ وَلَكِنْ لَيْسَ مَعْنَاهَا هَذِهِ الظَّوَاهِرَ، وَقِسْمٌ مِنَ الْآيَاتِ ظَاهِرُهَا أَنَّ اللهَ تَحْتُ وَلَكِنْ هَذِهِ أَيْضًا لا تُفَسَّرُ عَلَى الظَّاهِرِ كَمَا أَنَّ سَابِقَاتِهَا لا تُفَسَّرُ عَلَى الظَّاهِرِ، إِنَّمَا تُفَسَّرُ عَلَى مَا يُوَافِقُ ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ**١١﴾ [سورة الشورى]. أَهْلُ السُّنَّةِ مَنِ اتَّبَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَهَلُمَّ جرًّا، وَالصَّحَابَةُ هَكَذَا كَانُوا لا يُفَسِّرُونَ تِلْكَ الْآيَاتِ الَّتِي ظَوَاهِرُهَا عَلَى أَنَّ اللهَ فِي جِهَةِ فَوْقٍ عَلَى ظَوَاهِرِهَا. اللهُ تَعَالَى شَاءَ السَّعَادَةَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَوَفَّقَهُمْ لِفَهْمِ الْقُرْءَانِ الْفَهْمَ الصَّحِيحَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْقُرْءَانُ بَرَكَةٌ إِنْ قُرِئَ عَلَى الْأَحْيَاءِ وَإِنْ قُرِئَ عَلَى الْأَمْوَاتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «النَّظَرُ فِي الْقُرْءَانِ إِنْ أَرَادَ بِهِ التَّبَرُّكَ أَوْ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُسَاعِدًا لَهُ بَعْدَمَا يُتْقِنُ لَهُ ثَوَابٌ لِلتَّقَوِي لِلْمُسْتَقْبَلِ عِنْدَمَا يَأْخُذُ بِالتَّلَقِّي التَّجْوِيدَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كَانَ الْعَرَبُ يَتَبَارَوْنَ بِالْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، كُلُّهُمْ عَجَزُوا عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ الْقُرْءَانِ، التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ لَيْسَ فِيهِمَا الْبَلَاغَةُ الْمَوْجُودَةُ فِي الْقُرْءَانِ، إِنَّمَا الْقُرْءَانُ مَخْصُوصٌ بِذَلِكَ، الْقُرْءَانُ فِي أَعْلَى طَبَقَاتِ الْبَلَاغَةِ الَّتِي لَيْسَ يفُوقُهَا بَلَاغَةٌ، التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ لَيْسُوا كَذَلِكَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ تَعَالَى أَنْزَلَ الْقُرْءَانَ قِسْمًا مِنْهُ مُحْكَمًا أَيْ مَعْنَاهُ وَاضِحٌ ظَاهِرٌ وَقِسْمًا مِنْهُ أَنْزَلَهُ غَيْرَ وَاضِحِ الْمَعْنَى. الْقِسْمُ الَّذِي غَيْرُ وَاضِحِ الْمَعْنَى يُرَدُّ إِلَى الَّذِي مَعْنَاهُ وَاضِحٌ. اللهُ تَعَالَى أَنْزَلَ ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ** ١١﴾ [سورة الشورى] فِي الْقُرْءَانِ، هَذِهِ الْآيَةُ مُحْكَمَةٌ يَجِبُ أَنْ تُرَدَّ كُلُّ الْآيَاتِ الَّتِي ظَوَاهِرُهَا تُخَالِفُ هَذِهِ الْآيَةَ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ، مَاذَا يُقَالُ؟ يُقَالُ هَذِهِ الْآيَاتُ مَعَانِيهَا لَيْسَت كَظَوَاهِرِهَا بَلْ لَهَا مَعَانٍ أُخْرَى حَتَّى تَتَّفِقَ مَعَ هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي هِيَ الْأَصْلُ وَالْمَرْجِعُ، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ** ١١﴾ [سورة الشورى] مَعْنَاهَا أَنَّ اللهَ لَيْسَ جِسْمًا كَثِيفًا وَلَيْسَ جِسْمًا لَطِيفًا وَلَا يَتَّصِفُ بِصِفَاتِ الْجِسْمِ الْكَثِيفِ وَلَا الْجِسْمِ اللَّطِيفِ، أَمَّا بَعْضُ الْآيَاتِ ظَوَاهِرُهَا تُوهِمُ أَنَّ اللهَ جَسَدٌ وَأَنَّهُ يَنْزِلُ بِذَاتِهِ، هَذِهِ الْآيَاتُ لَا يَجُوزُ تَفْسِيرُهَا عَلَى ظَوَاهِرِهَا لِأَنَّ مَنِ اعْتَقَدَ ظَوَاهِرَهَا فَقَدْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ، لِذَلِكَ سَيِّدُنَا أَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ قَالَ بِأَنَّ الَّذِي يَحْمِلُ هَذِهِ الْآيَاتِ عَلَى ظَوَاهِرِهَا يَكْفُرُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «وَإِنَّ عَلَيْهِ حَلَاوَةً مَعْنَاهُ الْقُرْءَانُ لَهُ لَذَّةٌ. الَّذِينَ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُمْ يَسْتَطِيعُ أَحَدُهُمْ أَنْ يَبْقَى وَاقِفًا يَخْتِمُ الْقُرْءَانَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى ءَاخِرِهِ مِنْ شِدَّةِ اللَّذَّةِ اللهُ سَهَّلَ عَلَيْهِ الْفَرَحَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ الْقُرْءَانِيَّةِ، ففي القرءان مَرَّةً ذِكْرُ الْجَنَّةَ وَمَرَّةً ذِكْرُ جَهَنَّمَ وَمَرَّةً ذِكْرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَرَّةً ذِكْرُ الْكُفَّارَ وَمَرَّةً ذِكْرُ الْأَحْوَالَ الْعَالِيَةَ وَمَرَّةً ذِكْرُ الْأَحْوَالَ الْخَسِيسَةَ لِلتَّحْذِيرِ مِنْهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْقُرْءَانُ فِيهِ مُعْجِزَاتٌ عَدِيدَةٌ مِنْ جُمْلَتِهَا بِأَنَّهُ تَحَدَّى الْيَهُودَ بِأَنْ يَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنَ كَانُوا صَادِقِينَ مَعْنَاهُ قُولُوا: نَحْنُ نَتَمَنَّى الْمَوْتَ، اللَّهُمَّ أَمِتْنَا، فَبَلَغَهُمْ هَذَا التَّحَدِّي فَمَا تَجَرَّأَ أَحَدٌ مِنْهُمْ».

سُمِّيَ الْقُرْءَانُ قُرْءَانًا:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «سُمِّيَ الْقُرْءَانُ قُرْءَانًا لِأَنَّهُ يَجْمَعُ أُمُورَ الدِّينِ، وَسُمِّيَتِ السُّورَةُ سُورَةً لِأَنَّهَا جُزْءٌ مَخْصُوصٌ».

تَدَبُّرُ مَعَانِي الْقُرْءَانِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «حَدِيثٌ: الرَّسُولُ قَالَ: «**لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْءَانَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**» مَعْنَاهُ لَا يَتَدَبَّرُ مَعَانِيَهُ. الْقِرَاءَةُ مَعَ تَدَبُّرِ الْمَعَانِي أَحْسَنُ».

الْقُرْءَانُ حُجَّةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ وخَصْمٌ لِمَنْ لَمْ يَتبَعْهُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «إِذَا شَخْصٌ حَفِظَ الْقُرْءَانَ لَكِنْ لَا يَتَّبِعُهُ، لَا يَجْتَنِبُ مَا حَرَّمَهُ الْقُرْءَانُ وَلَا يَفْعَلُ مَا فَرَضَهُ الْقُرْءَانُ، هَذَا الْقُرْءَانُ حُجَّةٌ عَلَيْهِ، خَصْمٌ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، أَمَّا الَّذِي قَرَأَهُ وَاتَّبَعَهُ الْقُرْءَانُ يَكُونُ حُجَّةً لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، شَاهِدًا لَهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْقُرْءَانُ لَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يَنْتَفِعُونَ بِهِ، إِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِهِ مَنْ يَفْهَمُهُ عَلَى وَجْهِهِ وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ، أَمَّا مَنْ يَفْهَمُهُ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ هَؤُلَاءِ يَضِلُّونَ بِالْقُرْءَانِ بَدَلَ أَنْ يَهْتَدُوا بِهِ، يَضِلُّونَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْقُرْءَانُ لَيْسَ كُلُّ مَنْ قَرَأَهُ يَهْتَدِي بِهِ، إِنَّمَا يَهْتَدِي بِهِ مَنْ قَرَأَهُ وَاعْتَقَدَ الْمَعْنَى الَّذِي يَلِيقُ بِاللهِ تَعَالَى وَلَمْ يُفَسِّرْ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ عَلَى الظَّوَاهِرِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْقُرْءَانُ إِمَّا شَاهِدٌ لِلشَّخْصِ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا شَاهِدٌ عَلَيْهِ، مَنْ عَمِلَ بِهِ وَاعْتَقَدَ عَقِيْدَتَهُ وَعَمِلَ بِهِ فِي أَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ وَاجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ شَاهِدُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُوَ يُدَافِعُ عَنْهُ، أَمَّا مَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَهُوَ خَصْمُهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْقُرْءَانُ هُدًى لِبَعْضٍ وَخَسَارٌ وَضَلَالٌ لِبَعْضٍ، هُوَ اللهُ قَالَ ﴿**يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ ٢٦**﴾ [سورة البقرة]، مَنْ فَهِمَهُ عَلَى وَجْهِهِ سَعِدَ وَمَنْ فَهِمَهُ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ هَلَكَ وَضَلَّ».

الْمُصْحَفُ كَتَبَهُ الرِّجَالُ مِنَ الصَّحَابَةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْمُصْحَفُ كَتَبَهُ الرِّجَالُ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَا يُعْرَفُ عَنْ صَحَابِيَّةٍ أَنَّهَا كَتَبَتْ شَيئًا مِنَ الْقُرْءَانِ. وَلَمْ يُنقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ امْرأَةً مِنَ الصَّحَابَةِ كَانَ لَهَا مُصْحَفٌ. وأَمَّا أَنَّ فَاطِمَةَ كَانَ عِنْدَهَا مُصْحَفٌ فَلَا أَسَاسَ لَهُ، فَاطِمَةُ مَا كَانَتْ تَحْضُرُ لِتَكتُبَ الْمُصْحَفَ مِنْ رَسُولِ اللهِ إِنَّمَا الرِّجَالُ كَانُوا يَحْضُرُونَ».

تَوْرِيثُ الْمُصْحَفِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه لِبَعْضِ مُرِيدَاتِهِ: «إِنْ أَرَدتِ صَدَقَةً جَارِيَةً ضَعِيْ الْمُصْحَفَ فِي مَسْجِدٍ مِنَ الْمَسَاجِدِ حَتَّى يُقْرَأَ بِهِ هَكَذَا، يُوْجَدُ حَدِيثٌ أَنَّ الَّذِيْ يُوَرِّثُ مُصْحَفًا ثَوَابُهُ لا يَنْقَطِعُ إِلَى مَا بَعْدَ الْمَوْتِ يَبْقَى، تَوْرِيثُ الْمُصْحَفِ فِيهِ ثَوَابٌ».

قَبْلَ نُزُولِ الْفَاتِحَةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ الْفَاتِحَةُ [كَانُوا] يَقْرَؤُونَ مَا تَيَسَّرَ مِمَّا نَزَلَ مِنَ الْقُرْءَانِ لِأَنَّ الْقُرْءَانَ نَزَلَ شَيْئًا فَشَيْئًا. الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ قَبْلَهُ كَانَ لَهُمْ قِيَامُ اللَّيْلِ لَكِنْ بِغَيْرِ الْقُرْءَانِ، يَقُومُونَ بِمَا شَرَعَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ. أَيَّامَ مُوسَى كَانَ لَهُمْ شَىْءٌ يَقْرَؤُونَهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ، وَأَيَّامَ عِيسَى كَانَ لَهُمْ شَىْءٌ بَالسُّرْيَانِيَّةِ يَقْرَؤُونَهُ».

سِرُّ قِرَاءَةِ سُورَةِ يَس:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «سِرُّ قِرَاءَةِ يَسِ أَرْبَعِينَ مَرَّةً أَقْوَى إِنْ كَانَ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ، وَلَوْ وَزَّعَهُ عَلَى عَشَرَةِ أَشْخَاصٍ كُلُّ وَاحِدٍ أَرْبَعًا، أَمَّا فِي مَجَالِسَ مُتَفَرِّقَةٍ فِيهِ سِرٌّ لَكِنْ أَقَلُّ.

فِي بِلَادِ الصُّومَالِ أَيُّ مَرَضٍ مُسْتَعْصٍ يَجْتَمِعُ عَدَدٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْءَانَ فَيَتَعَافَى، هَذَا قَبْلَ نَحْوِ خَمْسِينَ سَنَةً، أَمَّا فِي هَذَا الْوَقْتِ الْمَالُ الْحَرَامُ كَثُرَ لَا يَظْهَرُ سِرُّهُ كَمَا كَانَ فِي الْمَاضِي».

مَعْنَى ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ١﴾ [سورة الفلق]:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «**﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ٢﴾** [سورة الفلق] مَعْنَاهُ أَسْتَعِيذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَمِنَّ الشَّرِّ الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ، أَطْلُبُ مِنَ اللهِ أَنْ يُعِيذَنِي مِنَ الشَّرِّ الَّذِي خَلَقَهُ، مَعْنَاهُ أَطْلُبُ مِنَ اللهِ أَنْ يَحْفَظَنِي مِنَ الشَّرِّ، هَذَا بَعْدَ الِاعْتِرَافِ أَنَّ اللهَ هُوَ يَخْلُقُ الشَّرَّ».

اسْتِنْسَاخُ الْكُتُبِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ كَانُوا إِذَا أَلَّفُوا تَأْلِيفًا، هَذَا التَّأْلِيفُ يُعْطُونَهُ مجَّانًا أَوْ يُؤَجِّرُونَهُ لِلشَّخْصِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ مُدَّةً بِأُجْرَةٍ مَعْلُومَةٍ وَلَا يَقُولُونَ هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي أَلَّفْتُهُ مَنِ اسْتَنْسَخَ مِنْهُ نُسْخَةً بِدُونِ إِذْنِي فَإِنِّي أُقَاضِيهِ عِنْدَ الْحُكَّامِ[1]، مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ هَذَا. مَنْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ نُسْخَةٌ يَسْتَنْسِخُ مِنْهَا نُسَخًا كَثِيرَةً أَوْ قَلِيلَةً إِمَّا لِلتَّوْزِيعِ وَإِمَّا لِلْبَيْعِ. كَانَ يُقَالُ لَهُمُ الْوَرَّاقُونَ، بَعْضُهُمْ كَتَبَ خَمْسَمِائَةِ مُصْحَفٍ لِلِاسْتِفَادَةِ إِمَّا لِيَبِيعَ أَوْ يَكُونُ هُوَ يَكْتُبُ بِأُجْرَةٍ وَهَكَذَا كُتُبُ الْعِلْمِ غَيْرُ الْقُرْءَانِ».

الْحِكْمَةُ مِنَ التَّارِيخِ بِالْهِجْرَةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْهِجْرَةُ هِيَ سَبَبُ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ وَانْتِشَارِهِ. لَمَّا كَانَ [الرَّسُولُ] فِي مَكَّةَ كَانَ الْكُفَّارُ يُؤْذُونَهُ وكانَ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ أُنَاسًا عَدَدًا قَلِيلًا، ثُمَّ فِي الْمَوَاسِمِ الَّتِي تَجْتَمِعُ فِيهَا الْعَرَبُ كَعَادَتِهِمْ يَدُورُ فِيهِمْ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا، وَيَقُولُ: أَنَا رَسُولُ اللهِ فَاتَّبِعُونِي. ثُمَّ أَكْثَرُ الَّذِينَ يُسْمِعُهُمْ لَا يَتَّبِعُونَهُ ثُمَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَسُبُّونَهُ.

مَا بَعْدَ الْهِجْرَةِ قَوِيَ الْإِسْلَامُ، صَارَ النَّاسُ يَأْتُونَ مِنْ خَارِجٍ إِلَيْهِ فَيُسْلِمُونَ، كَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهِمْ، كَانُوا قَبْلَ الْهِجْرَةِ اجْتَمَعُوا بِهِ فَأَسْلَمُوا فَصَارُوا أَنْصَارًا لَهُ فَلَمَّا جَاءَ سَاعَدُوهُ، نَاصَرُوهُ وَأَعَانُوهُ عَلَى نَشْرِ الْإِسْلَامِ».

السَّعَادَةُ وَالشَّقَاوَةُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «السَّعِيْدُ مَنْ كَتَبَ اللهُ لَهُ السَّعَادَةَ، كَثْرَةُ الْعِبَادَةِ لَا تَضْمَنُ السَّعَادَةَ».

---

[1] كما يفعل المؤلفون هذه الأيام، يمنعون نسخ العلم من كتاب بدون إذن المصنّف.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْزَلَ دِينَهُ لِيَسْعَدَ بِهِ السَّعَادَةَ الأَبَدِيَّةَ مَنْ شَاءَ اللهُ لَهَ تِلْكَ السَّعَادَةَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عِلْمُ الدِّينِ سَبَبُ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، السَّعَادَةِ الدَّائِمَةِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْفَائِزُ السَّعِيدُ الَّذِي فِي ءَاخِرَتِهِ سَالِمٌ وَنَاجٍ وَيَكُونُ فِي الْآخِرَةِ كَالْمُلُوكِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «السَّعَادَةُ الْأُخْرَوِيَّةُ هِيَ أَنْ يَمُوتَ الْإِنْسَانُ عَلَى الْإِيْمَانِ، وَالشَّقَاوَةُ الْأُخْرَوِيَّةُ هِيَ أَنْ يَمُوتَ الإِنْسَانُ عَلَى الكُفْرِ».

وَقَالَ رضي الله عنه فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ١٠٧**﴾ [سورة هود]: «قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أَيْ قَدْرَ مُدَّةِ سَمَاوَاتِ الدُّنْيَا وَأَرْضِهَا إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ أَيْ مِنَ الزِّيَادَةِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا، مَعْنَاهُ يَبْقَونَ قَدْرَ مُدَّةِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّتِي مَضَتْ وَزِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ لَا نِهَايَةَ لَهَا إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ أَيْ مِنَ الزِّيَادَةِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْعِبْرَةُ بِآخِرِ حَالِ الْإِنْسَانِ، إِنْ كَتَبَهُ اللهُ مِنَ السُّعَدَاءِ يَمُوتُ عَلَى الْإِيمَانِ لَوْ مَضَى فَتْرَةً زَمَنَ حَيَاتِهِ عَلَى الْكُفْرِ لَا بُدَّ أَنْ يُؤْمِنَ وَيَمُوتَ عَلَى الْإِيمَانِ إِنْ كَتَبَهُ اللهُ مِنَ السُّعَدَاءِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «بَعْضُ النَّاسِ يَعِيشُونَ مُنْتَسِبِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ زَمَانًا ثُمَّ قَبْلَ الْمَوْتِ يَحْصُلُ لَهُمْ كُفْرٌ فَيَمُوتُونَ كَافِرِينَ، وَكُلُّ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي سَبَقَتْ تَتَلَاشَى، تَصِيرُ هَبَاءً مَنْثُورًا، وَبَعْضُ النَّاسِ يَعِيشُونَ عَلَى الْفِسْقِ زَمَانًا ثُمَّ قَبْلَ الْمَوْتِ يَتُوبُونَ مِنَ الْفِسْقِ.

لِذَلِكَ أَهْلُ اللهِ يَخَافُونَ مِنَ السَّابِقَةِ أَيْ مَاذَا كُتِبَ لَهُمْ، هَلْ كُتِبَ لَهُمْ أَنْ يَمُوتُوا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْحَالِ الْحَسَنِ أَمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالْحَالِ السَّيِّئِ. يُقَالُ لِذَلِكَ السَّابِقَةُ وَمِنَ الْخَاتِمَةِ يَخَافُونَ كَمَا يَخَافُونَ مِنَ السَّابِقَةِ يَخَافُونَ مِنَ الْخَاتِمَةِ، لِأَنَّهُ إِنْ صَلَحَتِ السَّابِقَةُ لَا بُدَّ أَنْ تَصْلُحَ الْخَاتِمَةُ، الْعِبْرَةُ بِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ.

رَجُلٌ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ خَرَجَ مَعَ قَوْمِهِ، قَوْمُهُ لَمَّا خَرَجُوا لِلْغَزْوِ مَعَ الرَّسُولِ خَرَجَ مَعَهُمْ وَهُوَ يُسَايِرُ قَوْمَهُ مُسَانَدَةً لِقَوْمِهِ **[وَلَمْ يَكُنْ]** أَسْلَمَ ثُمَّ لَمَّا حَضَرَ أَرْضَ الْمَعْرَكَةِ قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ الْقِتَالُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُ أَمْ أُسْلِمُ، تَحَرَّكَ خَاطِرُهُ إِلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ، إِمَّا الْإِسْلَامُ أَوِ الْقِتَالُ مِنْ دُونِ أَنْ يُسْلِمَ فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ: «**أَسْلِمْ**»، فَأَسْلَمَ ثُمَّ قَاتَلَ ثُمَّ فَوْرًا قُتِلَ شَهِيدًا؛ هَذَا كُلُّ عُمُرِهِ كَانَ عَلَى الْفَسَادِ، عَلَى الْكُفْرِ وَالْفَسَادِ قَضَى عُمُرَهُ لَكِنْ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ فِي ءَاخِرِ حَيَاتِهِ اللهُ أَلْهَمَهُ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ فَقَالَ الرَّسُولُ: «**عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا**» مَعْنَاهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ تَشَهَّدَ ثُمَّ قَاتَلَ، هَذَا عَمَلُهُ الَّذِي عَمِلَهُ مِنَ الْخَيْرِ. قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَقُتِلَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَمْضِيَ عَلَيْهِ يَوْمٌ كَامِلٌ، هَذَا سَابِقَتُهُ كَانَتْ مُوَافِقَةً لِخَاتِمَتِهِ، خَاتِمَتُهُ وَسَابِقَتُهُ اتَّفَقَتَا».

عَواقِبُ الْأُمُورِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ الَّذِي يَجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى، الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ فِي الْآخِرَةِ وَلَمْ يَجْعَلْ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ فِي الدُّنْيَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْأَعْمَالُ أَيِ الطَّاعَاتُ الَّتِي نَفْعَلُهَا وَالْمَعَاصِي الَّتِي يَفْعَلُهَا الْعِبَادُ عَلَامَاتٌ عَلَى أَنَّ هَذَا يُثَابُ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَهَذَا يُجَازَى بِالْعَذَابِ الْمُقِيمِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «هَؤُلاءِ المؤْمِنُوْنَ اللهُ تَعَالَى لَهُ الفَضْلُ عَلَيْهِمْ، فِي الدُّنْيَا وَفَّقَهُمْ وَأَلْهَمَهُمْ هَذِهِ الطَّاعَاتِ وَخَلَقَهَا فِيْهِمْ، وَفِي الآخِرَةِ ءَاتَاهُمْ فَضْلًا مِنْهُ الثَّوَابَ الجَزِيْلَ النَّعِيْمَ المقِيْمَ الَّذِي لا يَنْفَدُ وَلا يَنْقَطِعُ، كُلٌّ فَضْلٌ مِنْهُ عَلَيْهِمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَجَّلَ لَهُ عُقُوْبَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِذَا لَمْ يُرِدْ بِعَبْدٍ خَيْرًا أَمْسَكَ عَنْهُ ذُنُوبَهُ حَتَّى يُوَافَى بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْعِبَادُ إِذَا أَطَاعُوْا رَبَّهُمْ فَذَلِكَ يَنْفَعُهُمْ فِي الْآخِرَةِ فِي الْحَيَاةِ الثَّانِيَةِ، الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ الَّتِي لَا انْقِطَاعَ لَهَا، وَمَنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَوَامِرَهُ يُعَاقَبُ فِي الْآخِرَةِ، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي ذَلِكَ حَكِيمٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَعَبُكُمْ فِي الْخَيْرِ رَاحَةٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَعَبُ الْأَبْدَانِ فِي الدُّنْيَا فِي الْخَيْرِ رَاحَةٌ فِي الْآخِرَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يَفْعَلُ خَيْرًا لِنَفْسِهِ لَهُ أَجْرُ عَمَلِهِ، وَالَّذِي يَدُلُّ غَيْرَهُ عَلَى الْخَيْرِ يَكُونُ لَهُ [أَجْرٌ]، هَكَذَا فَاجْتَهِدُوا».

الْإِنْسَانُ يُمْدَحُ أَوْ يُذَمُّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْإِنْسَانُ يُمْدَحُ أَوْ يُذَمُّ عَلَى حَسَبِ شَرِيْعَةِ اللهِ، بِمِيزَانِ شَرِيعَةِ اللهِ، يُمْدَحُ إِنْ وَافَقَ مِيزَانَ الشَّرِيعَةِ، وَيُذَمُّ عَلَى حَسَبِ مِيزَانِ الشَّرِيعَةِ».

الْعَيْبُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «هَذَا شَىْءٌ مُقَرَّرٌ فِي الشَّرْعِ، الْعَيْبُ قِسْمَانِ عَيْبٌ شَرْعًا بِمَعْنَى شَىْءٍ يَكْرَهُهُ اللهُ وَعَيْبٌ عُرْفًا أَيْ شَىْءٌ تَنْفِرُ مِنْهُ النُّفُوسُ وَلَيْسَ فِيهِ مَعْصِيَةٌ عِنْدَ اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْعَيْبُ مَا يُسْتَقْبَحُ فِي عُرْفِ النَّاسِ الْمُعْتَدِلِينَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْعَيْبُ قِسْمَانِ، عَيْبٌ شَرْعًا بِمَعْنَى شَيْءٍ يَكْرَهُهُ اللهُ. وَعَيْبٌ عُرْفًا أَيْ شَيْءٌ تَنْفِرُ مِنْهُ النُّفُوسُ وَلَيْسَ فِيهِ مَعْصِيَةٌ عِنْدَ اللهِ. الشَّخْصُ إِذَا أَصَابَهُ بَرَصٌ عِنْدَ اللهِ لَا يُنْقِصُهُ هَذَا لَكِنْ هَذَا عِنْدَ النَّاسِ عَيْبٌ».

أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْجَمَاعَةُ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّذِينَ تَبِعُوا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ فِي الْعَقِيدَةِ وَأُصُولِ الْأَحْكَامِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ هُمْ أَكْثَرُ الْأُمَّةِ مِنْ حَيْثُ الْعَدَدُ فِي كُلِّ زَمَنٍ مُنْذُ أَيَّامِ الصَّحَابَةِ إِلَى الْآنَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**فَمَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ**». مَعْنَى الْحَدِيثِ مَنْ أَرَادَ الْأَمَاكِنَ الَّتِي [هِيَ] أَفْضَلُ فِي الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ لَا يَتْرُكْ جُمْهُورَ الْأُمَّةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَهْلُ السُّنَّةِ هُمْ أَهْلُ النَّظَرِ الصَّحِيحِ، وَهُمْ أَهْلُ التَّفْكِيرِ الصَّحِيحِ، هُمُ الَّذِينَ فَسَّرُوا الْقُرْءَانَ كَمَا يَجِبُ، هُمْ فَهِمُوا الْقُرْءَانَ عَلَى الْمُرَادِ بِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَنْتُمُ احْمَدُوا اللهَ أَنْ هَيَّأَ لَكُمْ مَنْ يَأْخُذُ بِكُمْ إِلَى مَذْهَبِ الْجُمْهُورِ فِي الْعَقِيدَةِ، جُمْهُورُ الْأُمَّةِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَلَى عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّتِي هِيَ عَقِيدَةُ الصَّحَابَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يَنْزِلَ فِي الْآخِرَةِ الْمَكَانَ الْأَحْسنَ مِنَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ زَاغَ عَنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ فَهُوَ هَالِكٌ خَاسِرٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «احْمَدُوْا اللهَ عَلَى أَنْ جَعَلَنَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ الْمُوَافِقِينَ لِلسَّلَفِ وَالْخَلَفِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «احْمَدُوْا اللهَ عَلَى أَنْ هَيَّأَ لَكُمْ تَعَلُّمَ عِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الرَّسُولُ وَأَصْحَابُهُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «احمَدُوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ هَيَّأَ لَكُمْ مَنْ يُعَلِّمُكُمْ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي سِنِّ الشَّبِيبَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يَتَعَلَّمُ عِلْمَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، ثُمَّ يُكَافِحُ هَذِهِ الْعَقَائِدَ الْمُنْحَرِفَةَ وَيُنَاضِلُ عَنْ عَقِيْدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، هَذَا، اللهُ يُعْطِيهِ أَجْرَ شَهِيدٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يَسْعَى لِنُصْرَةِ عَقِيْدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْيَوْمَ مَنْ يَسَّرَ اللهُ لَهُ عِلْمَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالثَّبَاتَ عَلَيْهِ وَالدِّفَاعَ عَنْهُ وَتَحْذِيرَ النَّاسِ مِمَّا يُخَالِفُ عَقِيْدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَلِيَسْتَبْشِرْ بِمَا وَعَدَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَاعِلَهُ مِنْ دَرَجَةِ الشَّهَادَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرُبَاتِ وَأَوْجَبِ الْوَاجِبَاتِ وَجُودَ أُنَاسٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُقِيمُوا الْأَدِلَّةَ لِنُصْرَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ ضِدَّ مُخَالِفِيهِمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَهْلُ السُّنَّةِ فِي هَذَا الْبَلَدِ صَارُوا كَغَنَمٍ بِلَا رَاعٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الكَذِبُ، حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَاهِدُ وَلَا يُسْتَشهَدُ، أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلزَمِ الْجَمَاعَةَ**».

الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوْصَى بِاتِّبَاعِ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ أَيِ التَّابِعُونَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ أَيْ أَتْبَاعُ التَّابِعِينَ، هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْمِئَاتِ الثَّلَاثِ مَنْ كَانَ فِي الْمِائَةِ الْأُولَى وَهِيَ الْمِائَةُ الَّتِي كَانَ فِيهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَالْمِائَةِ الثَّانِيَةِ وَالْمِائَةِ الثَّالِثَةِ، هَؤُلَاءِ أَفْضَلُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ لَيْسُوا مِثْلَهُمْ وَفِي كُلٍّ الْخَيْرُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مَأْوَاهُ فِي الْآخِرَةِ تِلْكَ الْجَنَّةَ الْوَاسِعَةَ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ، لَا يَتْرُكْ، لَا يُفَارِقْ. ثُمَّ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَعَنَ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، عَقِيدَةَ الْجَمَاعَةِ، عَقِيدَةَ الْجُمْهُورِ، قَالَ الرَّسُولُ: «**سِتَّةٌ لَعَنْتُهُمْ وَلَعَنَهُمْ كُلُّ نَبِيٍّ مُجَابٍ**» ثُمَّ سَمَّى هَؤُلَاءِ السِّتَّةَ، فَذَكَرَ فِيهِمْ مَنْ تَرَكَ سُنَّتَهُ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ أَيْ فَارَقَ الْجُمْهُورَ، عَدَّ فِيهِمُ التَّارِكَ لِسُنَّتِهِ الْمُفَارِقَ لِلْجَمَاعَةِ».

الشَّيْخُ عُمَرُ الشَّاذِلِيُّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «شَيْخٌ يُقَالُ لَهُ الشَّيْخُ عُمَرُ الشَّاذِلِيُّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ شَهَرَ الْبُنَّ فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ. كَانَ لَهُ جَمَاعَةٌ يَسْتَعِينُونَ بِالْبُنِّ عَلَى السَّهَرِ عَلَى الطَّاعَةِ، أَوَّلُ مَا ظَهَرَ فِي الْحَبَشَةِ وَمِنْهَا انْتَشَرَ إِلَى غَيْرِهَا. فِي بِلَادِنَا إِذَا شَرِبُوا الْبُنَّ يَتَرَحَّمُونَ عَلَى الشَّيْخِ عُمَرَ الشَّاذِلِيِّ وَيَقْرَؤُونَ لَهُ الْفَاتِحَةَ. لَمَّا شَمَمْتُ رَائِحَةَ الْبُنِّ تَذَكَّرْتُهُ».

الشَّافِعِيُّ رضي الله عنه:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنِ الشَّافِعِيِّ: هُوَ كَالْعَافِيَةِ لِلْبَدَنِ وَكَالشَّمْسِ لِلنَّاسِ».

جَعْفَرٌ الصَّادِقُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «جَعْفَرٌ الصَّادِقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ بْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ابْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أُمُّهُ مِنْ ذُرِّيَةِ أَبِي بَكْرٍ. جَعْفَرٌ الصَّادِقُ هَذَا رَضِيَ اللَّهُ عنهُ كَانَ يَفْتَخِرُ وَيَعْتَزُّ بِأَبِي بَكْرٍ فَيَقُولُ: «وَلَدَنِي أَبُو بَكْرٍ مَرَّتَيْنِ» مَا مَعْنَاهُ؟ مَعْنَاهُ يَعتَزُّ بِأَبِي بَكْرٍ لِأَنَّ أُمَّهُ بَكْرِيَّةٌ مِنْ ذُرِّيَةِ أَبِي بَكْرٍ، أُمُّهُ حَفِيدَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أُمُّهُ اسْمُهَا «أُمُّ

فَروَةَ بِنْتُ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ»، ثُمَّ جَدَّتُهُ أُمُّ أُمِّهِ تُسَمَّى «أَسْمَاءُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ». ثُمَّ جَعْفَرٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، تَعَلَّمَ مِنْ جَدِّهِ لِأُمِّهِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ. هَذَا جَدُّهُ الْقَاسِمُ كَانَ عَالِمًا كبيرًا، أَخَذَ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ».

أَبَا الْحَسَنَيْنِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه مِمَّا نَنْقُلُهُ عنهُ: «أَبَا الْحَسَنَيْنِ مَوْلَانَا عَلِيًّا. عَلَيْكَ سَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَا، يَا مَنْ حُبُّهُ إِيمَانٌ وَبُغْضُهُ نِفَاقٌ، عَلَيْكَ سَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَا، يَا أَسَدَ اللهِ مَوْلَانَا عَلِيًّا عَلَيْكَ سَلامُ رَبِّ الْعَالَمِينَا».

التَّوَكُّلُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه مِمَّا نَنْقُلُهُ أَيْضًا:

تَوَكَّلْتُ فِي رِزْقِي عَلَى اللهِ خَالِقِي ... وَأَيْقَنْتُ أَنَّ اللهَ لَا شَكَّ رَازِقِي

وَمَا يَكُ مِنْ رِزْقِي فَلَيْسَ يَفُوتُنِي ... وَلَوْ كَانَ فِي قَاعِ الْبِحَارِ الْغَوَامِقِ

سَيَأْتِي بِهِ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ ... وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنِّي اللِّسَانُ بِنَاطِقِ

فَفِـــي أَيِّ شَـــىْءٍ تَـــذْهَبُ الـــنَّفْسُ وَقَـــدْ قَسَّـــمَ الـــرَّحْمَنُ رِزْقَ الْخَلَائِـــقِ حَسْـــــــــــــــرَةً

يُرْشِدُ بِنَظْرَةٍ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْمُرْشِدُ الْكَامِلُ يُقَرِّبُ الشَّخْصَ، إِنْ كَانَ كَسْلَان يَصِيرُ فِي هِمَّةٍ عَالِيَةٍ بِنَظْرَةٍ مِنْهُ».

لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا عَلَى أَوْلَادِكُمْ فَتُوَافِقُوا سَاعَةً يُسْتَجَابُ فِيهَا الدُّعَاءُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لَا يَنْبَغِي لِلشَّخْصِ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ أَوْلَادِهِ إِذَا غَضِبَ الشَّخْصُ، اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ».

ءَادَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «ءَادَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ عَلَّمَ الطِبَّ وَالْحِدَادَةَ وَالْحِيَاكَةَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، كُلُّ ذَلِكَ عَلَّمَهُ ثُمَّ الْبَشَرُ زَادُوا عَلَى مَا عَلَّمَهُمْ ءَادَمُ بِالتَّجْرِبَةِ».

الْمُنتَسِبُونَ إِلَى الطُّرُقِ بَعْضُهُمْ أَصْحَابُ أَغْرَاضٍ نَفْسَانِيَّةٍ وَهَوَى:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الرَّسُولُ مَا سَلِمَ مِنَ الْافْتِرَاءِ عَلَيْهِ فَكَيْفَ الرِّفَاعِيُّ؟! الْمُنتَسِبُونَ إِلَى الطُّرُقِ بَعْضُهُمْ أَصْحَابُ أَغْرَاضٍ نَفْسَانِيَّةٍ وَهَوى لَيْسُوا مُخْلِصِينَ، بَعْضُهُمْ هَمُّهُمْ تَجْمِيعُ النَّاسِ حَوْلَهُمْ وَتَكْثِيرُ الْجَمْعِ بَدَلَ أَنْ يَتَعَلَّمُوا عِلْمَ الدِّينِ، بَعْضُهُمْ

هَمُّهُمُ الضَّرْبُ بِالدُّفِّ وَالصَّنْجِ وَالتَّرَنُّمُ بِقَصَائِدَ بَعْضُهَا لَا مَعْنَى لَهَا وَيَنْتَسِبُونَ لِلرِّفَاعِيِّ. بَعْضُهُمْ يَنْفُخُونَ السَّجَائِرَ وَيَقُولُونَ الْقَصَائِدَ مُتَرَنِّمِينَ كَأَنَّهَا أَصْلُ الدِّينِ، هَذِهِ عَادَةُ الْكُسَالَى لَيْسَتْ عَادَةَ أَهْلِ الطُّرُقِ. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

نَفَقَةُ الْأَوْلَادِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْحَاجَاتُ الْأَصْلِيَّةُ لِنَفَقَةِ الْأَوْلَادِ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَاللِّبَاسُ وَالْمَأْوَى».

قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: بَعْضُ النَّاسِ اللَّهُ إِذَا أَكْرَمَهُمْ يَسَّرَ لَهُمُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ الَّذِي يَعْجِزُ عَنْهُ الْعَدَدُ الْكَثِيرُ مِنْ أَهْلِ عَصْرِنَا».

مَقَامُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَعْلَى مِنْ مَقَامِ كُلِّ الْأَنْبِيَاءِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «كَانَتْ إِحْدَى الصَّالِحَاتِ يُقَالُ لَهَا فَاطِمَةُ قَامَتْ لِتُصَلِّيَ فِي اللَّيْلِ وَهِيَ عَمْيَاءُ فَتَزَحْلَقَتْ، فَكَسَرَتْ ضِلَعَيْنِ، فَعَصَّبَتْهُمَا ثُمَّ قَامَتْ وَصَلَّتْ ثُمَّ نَامَتْ، فَرَأَتْ فِي مَنَامِهَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَاقِفًا قُرْبَ الْكَعْبَةِ، وَكَانَ بَيْتُهَا قَرِيبًا مِنَ الْكَعْبَةِ، رَأَتْهُ جَاءَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. فَالرَّسُولُ بَلَّ طَرَفَ رِدَائِهِ بِرِيقِهِ وَقَالَ لَهَا: «**امْسَحِي عَلَى عَيْنَيْكِ وَضِلَعَيْكِ الْمَكْسُورَيْنِ**». فَفَعَلَتْ ذَلِكَ فَأَبْصَرَتْ فِي الْحَالِ، وَتَعَافَتْ. ثُمَّ انْتَشَرَ خَبَرُهَا فِي الْآفَاقِ فَصَارَ بَعْضُ الْمَشَايِخِ يَتَأَكَّدُ مِنْ صِحَّةِ هَذَا الْخَبَرِ يَكْتُبُونَ لَهَا رَسَائِلَ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَا رَأَتْ فِي مَنَامِهَا أَنَّ الرَّسُولَ قَالَ لَهَا فِي مَنَامِهَا عَنْ عَالِمَيْنِ كَانَا فِي زَمَانِهَا: «**هَذَانِ فِي زَمَانِهِمَا مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ**

وَعُمَرَ فِي زَمَانِهِمَا» وَقَالَ لَهَا عَنْ عَالِمَيْنِ ءَاخَرَيْنِ كَانَا فِي زَمَانِهَا أَيْضًا: «**هَذَانِ فَاسِقَانِ**». فَهَذَا الَّذِي حَصَلَ لَهَا كَرَامَةٌ لَهَا وَمُعْجِزَةٌ لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَشْفِي الْعُمْيَانَ بِالْمُوَاجَهَةِ، أَمَّا سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ شَفَاهُمْ فِي الْمَنَامِ أَيْضًا، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَقَامَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَعْلَى مِنْ مَقَامِ كُلِّ الْأَنْبِيَاءِ».

شَرِيعَةُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم أَيْسَرُ الشَّرَائِعِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «شَرِيعَةُ مُحَمَّدٍ أَيْسَرُ الشَّرَائِعِ، لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ مَا فِي الشَّرَائِعِ السَّابِقَةِ مَا قَالَ هَذَا أَحَدٌ. نَحْنُ عِنْدَنَا أَيْنَمَا أَدْرَكَتْنَا الصَّلَاةُ نُصَلِّيهَا وَغَيْرُ هَذَا مِمَّا فِيهِ مَشَقَّةٌ شَدِيدَةٌ عِنْدَ غَيْرِنَا».

الرَّسُولُ لَا يَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الرَّسُولُ لَيْسَ لَهُ أَشْبَاحٌ جِسْمُهُ الْأَصْلِيُّ لَا يَتَغَيَّرُ فِي حَيَاتِهِ وَلَا بَعْدَ مَمَاتِهِ، لَكِنْ بَعْضُ النَّاسِ الَّذِينَ أَرَادَ اللهُ لَهُمْ أَنْ يَرَوْهُ يَقَظَةً بِالْعَيْنِ يَرَاهُ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُفَارِقَ قَبْرَهُ، يَرَاهُ هَذَا الشَّخْصُ لَوْ كَانَ فِي أَقْصَى الْأَرْضِ يَرَاهُ، هَذِهِ الْحَوَاجِزُ الْجِبَالُ وَالْبُيُوتُ كُلُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ لَا تَمْنَعُهُ الرُّؤْيَةَ، اللهُ يَجْعَلُهَا كَأَنَّهَا غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فَيَرَى الرَّسُولَ بِعَيْنِهِ».

الْأَنْبِيَاءُ لَا يُسَاوِيهِمْ فِي الدَّرَجَةِ أَحَدٌ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيهِ السَّلامُ فِي صِفَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ: «**عُلَمَاءُ حُلَمَاءُ بَرَرَةٌ أَتقِيَاءُ كَأَنَّهُمْ مِنَ الْفِقْهِ أَنْبِيَاءُ**»، عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَفَ

أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَمَدَحَهُمْ قَالَ: «**كَأَنَّهُمْ مِنَ الْفِقْهِ أَنْبِيَاءُ**». يَعْنِي فِي الْعِلْمِ فِي الْفِقْهِ عُلَمَاءُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ كَأَنَّهُم أَنْبِيَاءُ، عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَدَحَ عُلَمَاءَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، هَذَا تَشْبِيهٌ صَحِيحٌ، لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ يُسَاوُونَ الْأَنْبِيَاءَ فِي الدَّرَجَةِ، الْأَنْبِيَاءُ لَا يُسَاوِيهِمْ فِي الدَّرَجَةِ أَحَدٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ، مَقَامُ النُّبُوَةِ أَعْلَى مَقَامٍ مِنْ أَلْفِ وَلِيٍّ يَعْنِي أَلْفَ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ وَأَلْفَ أَبِي بَكْرٍ وَأَلْفَ عمَرَ وَأَلْفَ عُثْمَانَ لَا يَلْحَقُونَ نَبِيًّا وَاحِدًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْأَنْبِيَاءُ جَامِعُونَ لِأَوْصَافِ الْكَمَالِ مِنَ الرِّقَّةِ وَلِينِ الْجَانِبِ، وَالدُّؤُوبِ عَلَى السَّعْيِ فِي مَصَالِحِ النَّاسِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِاتِّبَاعِ عَادَاتِ السَّادَاتِ، السَّادَاتُ هُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «نَحْنُ الْمَطْلُوبُ مِنَّا أَنْ نَقْتَدِيَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ، سِيَرَتُهُم هِيَ خَيْرُ السِّيَرِ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ. الْأَنْبِيَاءُ هُمْ سَادَاتُ الْخَلْقِ ثُمَّ بَعْدَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ. هَؤُلَاءِ سَادَاتُ الْخَلْقِ، فَعَادَاتُ الْأَنْبِيَاءِ هِيَ سَادَاتُ الْعَادَاتِ، كَذَلِكَ الْأَوْلِيَاءُ عَادَاتُهُمْ خَيْرُ الْعَادَاتِ، فَالْعَاقِلُ يَقْتَدِي بِهِمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِالِاقْتِدَاءِ بِسَادَاتِ خَلْقِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَوْلِيَاءُ، وَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ، وَالْفَلَاحُ كُلُّ الْفَلَاحِ فِي ذَلِكَ، أَمَّا مَنْ تَرَكَ هَذَا وَظَنَّ أَنَّهُ يَصِلُ إِلَى الْمَطْلُوبِ إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى مِنَ الْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ بِمُجَرَّدِ الْإِكْثَارِ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْءَانِ أَوْ بِإِكْثَارِ الْأَوْرَادِ كَبَعْضِ النَّاسِ الَّذِينَ يَقُولُونَ نَحْنُ أَخَذْنَا الطَّرِيقَةَ الْفُلَانِيَّةَ فَنَحْنُ اسْتَغْنَيْنَا تَكْفِينَا هَذِهِ لِآخِرَتِنَا فَنَحْنُ صِرْنَا سُعَدَاءَ ثُمَّ لَا يُحَسِّنُونَ خُلُقَهُمْ لَا يَعْمَلُونَ بِأَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ بَلْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُم مَعَ أَهْوَائِهِم فَهَؤُلَاءِ أَهْلُ الْهَلَاكِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْأَنْبِيَاءُ مِنْ حَيْثُ الطَّبِيعَةُ الْبَشَرِيَّةُ مِنْ شِدَّةِ الْبَلَاءِ يُصِيبُهُم تَأَلُّمٌ لَكِنْ فِي قُلُوبِهِمْ شَىْءٌ يَجْعَلُهُمْ يَتَحَمَّلُونَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْأَنْبِيَاءُ لَهُمْ مُعْجِزَاتٌ، أُمُورٌ خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ.

عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَحْيَا مَوْتَى بَعْدَ أَنْ دُفِنُوا، وَكَانَ يُبْرِئُ الْإِنْسَانَ الَّذِي وُلِدَ أَعْمَى مِنْ دُونِ عَمَلِيَّةٍ، مِنْ دُونِ إِجْرَاءِ عَمَلِيَّةٍ يَفْتَحُ بَصَرَهُ. الْكُفَّارُ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ، الْيَهُودُ. هَلْ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَفْعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ؟! لَا يَسْتَطِيعُونَ.

وَهَكَذَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ، اللهُ أَعْطَاهُ مُعْجِزَاتٍ، لَمْ يَسْتَطِعِ الْكُفَّارُ أَنْ يَتَحَدَّوْهُ. الْمُهِمُّ هُوَ حِفْظُ الْإِيمَانِ أَيْ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ الشَّخْصُ مِنَ النُّطْقِ بِأَيِّ شَىْءٍ فِيهِ اسْتِخْفَافٌ بِاللهِ أَوْ بِدِينِهِ أَوْ بِأَنْبِيَائِهِ أَوْ مَلَائِكَتِهِ».

عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «هُوَ خَيْرُ الْعَادَاتِ عَادَاتُ السَّادَاتِ، مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ الْأَوَّلُوْنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، تِلْكَ الْعَادَاتُ هِيَ الْمُسْتَحْسَنَةُ، أَمَّا الَّتِي تَتَغَنَّى مِنْها نِسَاءُ هَذَا الْعَصْرِ لَا خَيْرَ فِيها».

تَقْبِيلُ يَدِ أَهْلِ الْفَضْلِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الصَّحَابَةُ كَانَ عِنْدَهُمُ التَّقْبِيلُ. عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ كَانَ صَغِيرًا قَبَّلَ يَدَهُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ. كَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ، عَبْد اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ كَانَ صَغِيرًا، زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ قَبَّلَ يَدَ عَبْد اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ. الرَّسُولُ كَانَ لَمَّا يَكُونُ فِي بَيْتِهِ فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ فَاطِمَةُ كَانَ يَقُومُ لَهَا يُقَبِّلُهَا وَيُجْلِسُهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَلَمَّا كَانَ هُوَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا تَقُومُ لَهُ وَتُقَبِّلُهُ، وَتُجْلِسُهُ فِي مَجْلِسِهَا. تَقْبِيلُ يَدِ أَهْلِ

الْفَضْلِ مَعْرُوفٌ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مَرَّةً قَبَّلَ يَدَ الْعَبَّاسِ وَرِجْلَهُ وَقَالَ: يَا عَمِّ ارْضَ عَنِّي، وَعَلِيٌّ أَفْضَلُ مِنْ دَرَجَةِ الْعَبَّاسِ بِمَرَّاتٍ كَثِيرَةٍ، لِأَنَّ التَّبَرُّكَ بِالْمُسْلِمِينَ جَائِزٌ، الْكَبِيرُ يَتَبَرَّكُ، يُقَبِّلُ يَدَ مَنْ كَانَ أَصْغَرَ مِنْهُ لِلتَّبَرُّكِ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى وَالصَّغِيرُ يَتَبَرَّكُ بِمَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى».

شَرَابُ الْمَحَبَّةِ الْإِلَهِيَّةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه:

«مَـــنْ ذَاقَ طَعْـــمَ شَـــرَابِ الْقَـــوْمِ يَدْرِيـــهِ   وَمَـــــنْ دَرَاهُ بَـــــدَا بالـــــرُّوحِ يَشْـــــرِيهِ

شَرَابُ الْمَحَبَّةِ الْإِلَهِيَّةِ هَذَا أَمْرٌ مَعْنَوِيٌّ لَيْسَ شَرَابًا حِسِّيًّا، مَعْنَاهُ هَذَا أَمْرٌ ذَوْقِيٌّ يَعْرِفُ أَنَّ هَؤُلَاءِ حَصَلَتْ لَهُمْ مَحَبَّةُ اللهِ الْخَاصَّةُ، الْمَحَبَّةُ عَلَى وَجْهَيْنِ: مَحَبَّةٌ عَامَّةٌ وَمَحَبَّةٌ خَاصَّةٌ، أَمَّا الْجُزْءُ الْأَخِيرُ وَمَنْ دَرَاهُ بَدَا بالرُّوحِ يَشْرِيهِ مَعْنَاهُ هَذِهِ الْمَحَبَّةُ أَعَزُّ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ».

سُئِلَ الشَّيْخُ: هَذَا كَمَالُ الْإِيمَانِ؟

فَأَجَابَ رضي الله عنه: «هَذَا لِأَهْلِ الْقُلُوبِ الْخَاصَّةِ، الْأَوْلِيَاءُ هُمْ بِذَلِكَ إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمْ فِي الصَّلَاةِ يَرْتَاحُ بِالصَّلَاةِ يَجِدُ رَاحَةً، أَمَّا الَّذِينَ غَلَبَتْهُمُ الْغَفْلَةُ يَنْتَظِرُونَ مَتَى يَنْتَهُونَ مِنْهَا».

التُّرَابُ الَّذِي ضَمَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «التُّرَابُ الَّذِي ضَمَّ النَّبِيَّ أَفْضَلُ مِنَ الْعَرْشِ».

التَّبَرُّكُ لَا يَكُونُ بِمَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «التَّبَرُّكُ لَا يَكُونُ بِمَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ، الَّذِي يُرِيدُ التَّبَرُّكَ بِمَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ يَكْفُرُ[1]».

الْعُثْمَانِيُّونَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْعُثْمَانِيُّونَ كَانُوا يُحِبُّونَ الْمُحَافَظَةَ عَلَى ءَاثَارِ الرَّسُولِ لِذَلِكَ اللهُ تَعَالَى مَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ، كَانُوا يَحْكُمُونَ بِشَرِيعَةِ اللهِ تَعَالَى، حَكَمُوا زَمَنًا طَوِيلًا وَفَتَحُوا بُلْدَانًا كَثِيرَةً، تَحَقَّقَ فِيهِمْ حَدِيثُ رَسُولِ اللهِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي الْمُسْنَدِ بِإِسْنَادٍ قَوِيٍّ «**لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ وَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ**» الَّذِي فَتَحَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ مُحَمَّدٌ الْفَاتِحُ أَحَدُ سَلَاطِينِ الْعُثْمَانِيِّينَ، الرَّسُولُ مَدَحَ الْفَاتِحَ الَّذِي هُوَ عُثْمَانِيٌّ وَمَدَحَ جَيْشَهُ، هَؤُلَاءِ لَهُمْ فَضْلٌ، إِلَى الْآنَ يُوجَدُ ءَاثَارٌ فِي إِسْطَنْبُولَ، يُوجَدُ ثَوْبٌ مِنْ ثِيَابِ الرَّسُولِ وَغَيْرُ ذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبُلْدَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ يُوجَدُ شَىْءٌ مِنْ شَعَرِ الرَّسُولِ لِأَنَّ الرَّسُولَ أَوَّلَ مَا حَلَقَ رَأْسَهُ قَالَ لِلْحَلَّاقِ ـ وَهُوَ أَبُو طَلْحَةَ ـ: «**اقْسِمْ بَيْنَ النَّاسِ الشَّعَرَ**»، وَكَانُوا خَلْقًا كَثِيرًا الَّذِين حَجُّوا مَعَهُ فِي ذَلِكَ الْعَامِ نَحْوَ مِائَةِ أَلْفِ نَفْسٍ لَكِنْ لَمَّا حَلَقَ شَعَرَهُ مَا كَانُوا كُلُّهُمْ مُجْتَمِعِينَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ إِنَّمَا بَعْضٌ مِنْهُمْ عَدَدٌ كَثِيرٌ كَانُوا مَعَهُ فَوُزِّعَ الشَّعَرُ عَلَيْهِمْ فَصَارَ كُلُّ وَاحِدٍ يَحْتَفِظُ بِهَذَا الشَّعَرِ لِلتَّبَرُّكِ، الرَّسُولُ بِهَذَا عَلَّمَنَا أَنَّ التَّبَرُّكَ بِآثَارِهِ شَىْءٌ يُحِبُّهُ اللهُ، لَيْسَ كَمَا يَزْعُمُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ وَثَنِيَّةٌ، بَلْ هُوَ

[1] كل ما هو كفر أو معصية وفعله الإنسان معتقدًا فيه البركة يكون كذَّب وعاند الدين ويكون كافرًا ولا تحصل له البركة بما يخالف الدين كالذبح للشياطين أو الشمس أو السجود للقبور أو التمسّح بالأصنام أو ما شابه.

قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ وَهَذَا الْحَدِيثُ قَسْمُ شَعْرِ الرَّسُولِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُمَا خَلَائِقُ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ».

الدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِ عَمَلِ الْمَوْلِدِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أَخْرَجَ الْحَافِظُ السيوطي فِي كِتَابِهِ الْحَاوِي لِلْفَتَاوَى: رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ وَجَدَ الْيَهُودَ يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَسُئِلُوا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالُوا: «هُوَ الْيَومُ الَّذِي أَظْهَرَ اللهُ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى فِرْعَوْنَ وَنَحْنُ نَصُومُهُ تَعْظِيمًا لَهُ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى**». وَأَمَرَ بِصَوْمِهِ أَمْرَ اسْتِحْبَابٍ. يُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْحَديثِ فِعْلُ الشُّكْرِ للهِ تَعَالَى عَلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ فِي يَوْمٍ مُعَيَّنٍ مِن حُصُولِ نِعْمَةٍ أَوْ رَفْعِ نِقْمَةٍ، وَيُعَادُ ذَلِكَ فِي نَظِيرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ، والشُّكْرُ للهِ يَحْصُلُ بِأَنْواعِ الْعِبَادَةِ كَالسُّجُودِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ وَالتِّلَاوَةِ، وَأَيُّ نِعْمَةٍ أَعْظَمُ مِنْ نِعْمَةِ بُرُوزِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي ارْتَضَى لِعِبَادِهِ دِينَ الْإِسْلَامِ وَأَكْرَمَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَيْرِ الْأَنَامِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَبَعْدُ فَإِنَّ مِنَ السُّنَّةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي رَغَّبَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ مِنْ قَوْلِهِ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ**» الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ عَمِلَ الْمَوْلِدَ لَمْ يَسْبِقْهُ بِذَلِكَ أَحَدٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ هَذَا الْمَلِكُ مَلِكًا عَادِلًا تَقِيًّا حَسَنَ السِّيرَةِ، وَوَافَقَهُ الْعُلَمَاءُ عَلَى عَمَلِهِ هَذَا، وَصَارَ الْمُسْلِمُونَ الْأُمَرَاءُ وَالْمُلُوكُ وَالْعَامَّةُ يَهْتَمُّونَ بِذَلِكَ اهْتِمَامًا شَدِيدًا وَلَا سِيَّمَا أَهْلُ مَكَةَ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ وَأَهْلُ مِصْرَ، وَمَا طَعَنَ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الِاعْتِبَارِ بِالْعِلْمِ وَالتَّقْوَى وَقَدْ أَقَرَّهُ حُفَّاظُ الْحَدِيثِ مِنْهُمُ الْحَافِظُ ابْنُ دِحْيَةَ، قَدْ أَلَّفَ رِسَالَةً فِي عَمَلِ الْمَوْلِدِ سَمَّاهَا

«التَّنْوِيرُ فِي مَولْدِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ» فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ اغْتَنِمُوا بَرَكَةَ هَذَا الْمَوْلِدِ، وَاهْتَمُّوا بِهِ فَإِنَّهُ خَيْرٌ عَظِيمٌ».

الْبِدْعَةُ الْحَسَنَةُ أَوِ السَّيِّئَةُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «كُلُّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَاعْتِقَادٍ لَا يُوَافِقُ شَرِيعَةَ الرَّسُولِ، أَيْ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فَهُوَ غَيْرُ مَقْبُولٍ عِنْدَ اللهِ، أَمَّا الْعَمَلُ الَّذِي يُوَافِقُ الشَّرِيعَةَ، قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا مَعَ النِّيَّةِ الصَّحِيحَةِ فَهُوَ مَقْبُولٌ عِنْدَ اللهِ، وَبَعْدَ هَذَا أَذْكُر لَكُمْ حَدِيثًا نَبَوِيًّا صَحِيحًا وَهُوَ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَّةً حسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِم شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَمِلَ بَعْضُ التَّابِعِينَ عَمَلًا، لَمْ يَعْمَلْهُ الرَّسُولُ وَلَا الصَّحَابَةُ. وَهُوَ أَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَ الْمِحْرَابَ. مَسْجِدُ الرَّسُولِ مَا كَانَ لهُ مِحْرَابٌ وَلَا مَسَاجِدُ الْمَدِينَةِ كُلُّهَا لَمْ يكنْ لَهَا مِحْرَابٌ كَهَذَا، عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَمِلَ مِحْرَابًا بَعْدَ تِسْعِينَ سنةً مِنْ وَفَاةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَتَجَدَّدُ لَهُ الثَّوَابُ كُلَّمَا إِنْسَانٌ عَمِلَ مِحْرَابًا لِمَسْجِدٍ يَتَجَدَّدُ لَهُ الْأَجْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

خَلْقُ ءَادَمَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «ءَادَمُ بَعْدَ أَنْ جُمِعَ التُّرَابُ وَعُجِنَ بِمَاءِ الْجَنَّةِ صَارَ كَالتِّمْثَالِ فَتْرَةً، أَوَّلًا تَغَيَّرَ ثُمَّ تَغَيَّرَتْ رَائِحَتُهُ عَنْ رَائِحَةِ التُّرَابِ إِلَى حَالَةٍ أُخْرَى ثُمَّ صَارَ يَابِسًا فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ فَلَمَّا رَءَاهُ أَجْوَفَ عَرَفَ أَنَّهُ خَلْقٌ لَا يَتَمَالَكُ، ءَادَمُ قَبْلَ أَنْ

يَتِمَّ تَكْوِينُهُ عَرَفَ إِبْلِيسُ أَنَّهُ أَجْوَفُ لَيْسَ كَمَا يَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ، يَقُولُونَ: دَخَلَ فِيهِ ثُمَّ خَرَجَ. وَقَوْلُهُ: لَقَدْ خُلِقْتَ لِأَمْرٍ عَظِيمٍ مَعْنَاهُ لَكَ شَأْنٌ غَيْرُ الَّذِي أَعْرِفُهُ».

سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ كَانَ مِنْ صِفَتِهِ أَنَّهُ كَانَ مُنْقَطِعًا لِلْعِبَادَةِ وَكَانَ رَحِيمَ الْقَلْبِ، [قَلِيلٌ مَنْ هُمْ بِهَذِهِ] الصِّفَةِ.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ٧٥﴾ [سورة هود] أَوَّاهٌ أَيْ رَحِيمُ الْقَلْبِ.

خَلِيلُ اللهِ أَيْ بَلَغَ الْغَايَةَ فِي الاِنْقِطَاعِ إِلَى اللهِ وَهَذِهِ صِفَةُ الرَّسُولِ وَسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، لَمْ يَبْلُغْهَا أَحَدٌ سِوَاهُمَا، يُقَالُ لَهُ مَقَامُ الْخُلَّةِ».

اللهُ أَنْطَقَ عِيسَى وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اللهُ تَعَالَى أَنْطَقَ عِيسَى وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا شَهْرٍ وَعَشَرَةِ أَيَّامٍ، اللهُ أَنْطَقَهُ بِالْكَلامِ الفَصِيحِ. وَمَعْنَى وَسَلَامٌ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا، مَعْنَاهُ أَنَا وُلِدْتُ وَأَنَا عَلَى حَالَةٍ طَيِّبَةٍ لَيْسَ عَلَى حَالَةٍ خَبِيثَةٍ وَأَحْيَا عَلَى حَالَةٍ طَيِّبَةٍ وَأُبْعَثُ عَلَى حَالَةٍ حَسَنَةٍ، أَنْطَقَهُ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ وَغَيْرِهَا، وَءَاتَانِيَ الْكِتَابَ تَكَلَّمَ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ ثُمَّ تَوَقَّفَ عَنِ الْكَلَامِ كَالْأَطْفَالِ الْعَادِيِّينَ الَّذِينَ لَا يَنْطِقُونَ ثُمَّ لَمَّا بَلَغَ السِّنَّ الَّذِي يَنْطِقُ فِيهِ الْأَطْفَالُ عَادَةً نَطَقَ، هَذَا لِتَخْفِيفِ الْأَذَى عَنْ أُمِّهِ لِأَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ قَالَ وَلَدَتْهُ مِنْ زِنًى هِيَ كَانَتْ مَكْرُوبَةً جِدًّا مِنْ أَذَى النَّاسِ».

الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْخَضِرُ يَعِيشُ فِي الْبَحْرِ، اللهُ جَعَلَ لَهُ الْبَحْرَ كَالْأَرْضِ وَيَجْتَمِعُ بِهِ بَعْضُ الصَّالِحِينَ، بَعْضُ الْأَوْلِيَاءِ يَجْتَمِعُ بِهِ لَكِنَّهُ أَمْرٌ قَلِيلٌ، قَلَّ مَنْ يَجْتَمِعُ بِهِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْخَضِرُ مَا مَاتَ، يُمْكِنُ [أَنْ يَكُونَ] مَضَى عَلَيْهِ سِتَةُ ءَالَافِ سَنَةٍ أَوْ عَشَرَةُ ءَالَافِ سَنَةٍ، اللهُ أَعْلَمُ، هُوَ لَا يَسْكُنُ فِي الْبَرِّ عَلَى الْبَحْرِ، الْبَحْرُ لَهُ كَالْأَرْضِ، فِي الْأَوَّلِ كَانَ يَسْكُنُ فِي أَوَّلِ عُمُرِهِ إِلَى زَمَانٍ وَاسِعٍ، كَانَ يَسْكُنُ الْبَرَّ كَغَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ ثُمَّ اللهُ تَعَالَى جَعَلَ لَهُ خُصُوصِيَّةً أَنْ يَعِيشَ فِي الْبَحْرِ، جَعَلَهُ اللهُ لَهُ كَالْأَرْضِ الْيَابِسَةِ، قَدْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْأَكْلِ، اللهُ يُغْنِيهِ عَنِ الْأَكْلِ لَكِنْ مِنْ أَجْلِ الصِّيَامِ دَلْوَ مَاءٍ يَأْخُذُ عِنْدَ الْإِفْطَارِ لِأَنَّهُ عَلَى شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ يَصُومُ رَمَضَانَ وَيُصَلِّي مِثْلَنَا الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ يُصَلِّي عَلَى الْمَاءِ. قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ شَرِبَ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ حَتَّى عَمَّرَ طَوِيلًا. وَإِبْلِيسُ أَيْضًا لَهُ عَرْشٌ عَلَى الْمَاءِ، جَمَاعَتُهُ يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ، الْعَفَارِيتُ الشَّيَاطِينُ الْكِبَارُ يَأْخُذُونَ مِنْهُ الْأَوَامِرَ ثُمَّ يُرْسِلُهُمْ، هَذَا يُرْسِلُهُ إِلَى هَذِهِ النَّاحِيَةِ وَهَذَا يُرْسِلُهُ إِلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ لِيَرْمُوا النَّاسَ فِي الْمَعَاصِي وَالْكُفْرِ، أَمَّا هُوَ مَرْكَزُهُ فِي الْمَاءِ فِي نَاحِيَةٍ بَعِيدَةٍ لَيْسَ النَّاحِيَةَ الَّتِي فِيهَا الْخَضِرُ».

الْأَوْلِيَاءُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ تَعَالَى عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ بِذَلِكَ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ**». أَهْلُ السَّمَاءِ هُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «**ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ**» الْمَعْنَى أَنَّ خِيَارَ الْمُؤْمِنِينَ أَيِ الَّذِينَ هُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا لَيْسَ الْمُتَشَبِّهِينَ

بِالْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّونَهُ، يَصِيرُ له عندهم قَبُولٌ أَيْ كُلُّ عَبْدٍ صَالِحٍ وَوَلِيٍّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ وَأَحْبَابِ اللهِ يَلْقَى مَحَبَّةَ هَذَا الْإِنْسَانِ فِي قَلْبِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَكْثَرُ الْأَوْلِيَاءِ النَّاسُ لَا يَعْرِفُونَهُمْ، قَلِيلٌ مِنْهُمْ يَكُونُ لَهُمْ ظُهُورٌ. كَثِيرٌ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عِنْدَ الْمَوْتِ يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ، تُبَشِّرهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، يَقُولُونَ لَهُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى قَبْلَ ذَلِكَ الرَّسُولَ فَيُبَشِّرُهُ. الْأَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ فِي الْبِدَايَةِ الرَّسُولُ يُبَشِّرُهُ فِي الْمَنَامِ، أَمَّا فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ مَنْ يَلْقَى الرَّسُولَ يَقَظَةً فَيَقُولُ لَهُ أَنْتَ وَلِيُّ اللهِ، أَمَّا بَعْضُ النَّاسِ يُوهِمُونَ النَّاسَ أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ فَيَتَصَنَّعُونَ فَيُصَدِّقُهُمُ النَّاسُ فَيَتَّبِعُونَهُمْ وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ».

تَلَذُّذُ الْأَوْلِيَاءِ بِقِرَاءَةِ الْقُرْءَانِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الثَّوَابُ فِيمَا يَعْمَلُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْحَسَنَاتِ قَبْلَ الْمَوْتِ، الْوَلِيُّ لِلتَّلَذُّذِ يَعْمَلُ حَسَنَاتٍ، الْأَوْلِيَاءُ فِي قُبُورِهِمْ بَعْضُهُمْ يُصَلُّونَ فَيَقْرَؤُونَ الْقُرْءَانَ لِلتَّلَذُّذِ، كَذَلِكَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ يَذْكُرُونَ اللهَ، تَهْلِيلٌ وَتَحْمِيدٌ وَتَكْبِيرٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ، يَذْكُرُونَ اللهَ بِلِسَانِهِمْ فِي الْآخِرَةِ فِي الْجَنَّةِ لَكِنْ بِلَا ثَوَابٍ إِنَّمَا يَتَلَذَّذُونَ بِذِكْرِ اللهِ، يَسْتَأْنِسُونَ مَا عَلَيْهِمْ مَلَلٌ لَكِنْ بِذِكْرِ اللهِ يَتَلَذَّذُونَ. فِي بَلَدِنَا أُرِيدَ حَفْرٌ لِمَيِّتٍ فِي الْجَبَّانَةِ وَفِي أَثْنَاءِ الْحَفْرِ انْفَتَحَ عَلَيْهِمْ قَبْرٌ، صَاحِبُ الْقَبْرِ قَاعِدٌ يَقْرَأُ الْقُرْءَانَ فَقَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ رُدُّوا عَلَيَّ فَرَدُّوا عَلَيْهِ كَمَا كَانَ، قَبْرٌ قَدِيمٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «فِي بِلَادِنَا جَبَّانَةٌ قَدِيمَةٌ أَرَادُوا أَنْ يَدْفِنُوا مَيِّتًا جَدِيدًا فَحَفَرُوا، انْفَتَحَ عَلَيْهِمْ قَبْرُ شَخْصٍ فَوَجَدُوهُ يَقْرَأُ الْقُرْءَانَ فَقَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ رُدُّوا عَلَيَّ. بَعْضُ أَوْلِيَاءِ اللهِ يُمْكِنُهُمْ أَنْ يُصَلُّوا فِي الْقُبُورِ وَيَقْرَؤُوا».

مِمَّا يُكْشَفُ لِبَعْضِ الْأَوْلِيَاءِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اللهُ تَعَالَى يَحْجُبُ أَغْلَبَ الْبَشَرِ عَنْ أُمُورِ الْقَبْرِ وَأُمُورِ الْمَلَائِكَةِ وَبَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ يُكْشَفُ لَهُمْ، بَعْضُ الْأَتْقِيَاءِ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ يَأْتُونَ إِلَى قُبُورِ بَعْضِ الْأَتْقِيَاءِ فَيَرَوْنَهَا عِيَانًا مَدَّ الْبَصَرِ وَبَعْضٌ مُتَّسَعُهُ سَبْعِينَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ذِرَاعًا وَمُمْتَلِئٌ كَنُورِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ كَنُورِ الشَّمْسِ وَيَرَوْنَ الْقَبْرَ مُمْتَلِئًا خُضْرَةً، أَمَّا غَيْرُهُمْ اللهُ يَحْجُبُ عَنْهُمْ. اللهُ تَعَالَى يَحْجُبُ بَعْضَ الْأَشْخَاصِ عَنِ الْأُمُورِ الْوَاقِعَةِ وَيَرَى غَيْرُهُمْ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ عَلَى حَقِيقَتِهَا. كَمَا يَرَى بَعْضُ الْأَشْخَاصِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، بَعْضُ الْأَشْخَاصِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، يَرَوْنَ النُّورَ فِي الدَّاخِلِ وَالْخَارِجِ وَالَّذِينَ حَوْلَهُمْ لَا يَرَوْنَ».

اللهُ يُبَارِكُ بِالْوَقْتِ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اللهُ تَعَالَى يُوَسِّعُ الْوَقْتَ لِمَنْ يَشَاءُ، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُعْرَضُ عَلَيْهِ مِائَةُ مِلْيُونٍ، ثَلَاثُمَائة مِلْيُونِ سَلَامٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ وَيَرُدُّ السَّلَامَ لِلْكُلِّ، جَائِزٌ اللهُ يُبَارِكُ بِالْوَقْتِ، الْوَقْتُ الْقَلِيلُ يَجْعَلُهُ وَاسِعًا إِنْ شَاءَ وَالْأَعْمَالُ كَذَلِكَ، السَّلَامُ أَلَيْسَ مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ، يُقَالُ الْمَلَائِكَةُ يَقُولُونَ لَهُ: الْيَوْمَ حَصَلَ كَذَا مِنْ فُلَانٍ مِنْ أُمَّتِكَ وَحَصَلَ كَذَا مِنْ فُلَانٍ، إِنِ بُلِّغَ خَيْرًا يَحْمَدُ اللهَ وَإِنْ بُلِّغَ غَيْرَ ذَلِكَ يَسْتَغْفِرُ لِأُولَئِكَ الْأَشْخَاصِ.

بِعْضُ النَّاسِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ يَخْتِمُونَ الْقُرْءَانَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ. بِحَسَبِ الْعَادَةِ مَهْمَا أَسْرَعَ الْإِنْسَانُ لَا يَخْتِمُ الْقُرْءَانَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ، اللهُ يُكَثِّرُ الْقَلِيلَ وَيُقَلِّلُ الْكَثِيرَ إِنْ شَاءَ».

الْبُوقُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «صَوْتُ الْبُوقِ الَّذِي يَنْفُخُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ أَشَدُّ مِنَ الصَّاعِقَةِ عَلَى الْكُفَّارِ يَمُوتُونَ مِنْ شِدَّةِ هَذَا الصَّوْتِ».

التِّلِفِزْيُونُ يُعَلِّمُ الْفَسَادَ الْيَوْمَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أَكْثَرُ النَّاسِ هَذِهِ الْأَيَّامَ يَسْهَرُونَ عَلَى التِّلِفِزْيُون، هَذَا شَىْءٌ لَا خَيْرَ فِيهِ. لَوْ كَانُوا يَسْهَرُونَ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْءَانِ وَالذِّكْرِ كَانَ خَيْرًا، لَكِنْ يَسْهَرُونَ عَلَى التِّلِفِزْيُون. هَذَا التِّلِفِزْيُونُ يُعَلِّمُ الْفَسَادَ الْيَوْمَ لِأَنَّهُ تُعْرَضُ فِيهِ أَشْيَاءُ قَبِيحَةٌ. الشَّابُّ الصَّغِيرُ يَفْسُدُ إِنْ أَكْثَرَ النَّظَرَ إِلَيْهِ، لَا تُكْثِرُوا النَّظَرَ إِلَيْهِ. الْخَيْرُ الَّذِي فِيهِ النَّاسُ يُخْبِرُونَكُمْ عَنْهُ كَتَحْذِيرٍ مِنْ شَرٍّ جَدِيدٍ، أَوْ يَتَعَلَّمُ الشَّخْصُ شَيْئًا جَدِيدًا لِيَنْفَعَ النَّاسَ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُمْ. أَمَّا النَّظَرُ إِلَى هَذَا الْفَسَادِ فَشَرُّهُ أَعْظَمُ. بَعْضُ النَّاسِ بِسَبَبِ مَا يَرَوْنَهُ فِي التِّلِفِزْيُون، نُفُوسُهُمْ تَفْسُدُ، قُلُوبُهُمْ تَفْسُدُ فَيَنْجَرُّونَ إِلَى هَلَاكٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «هَذَا التِّلِفِزْيُونُ وَالرَّادْيُو قَطَعَ النَّاسَ مِنْ خَيْرٍ كَثِيرٍ».

الصُّوَرُ الْمُجَسَّمَةُ الَّتِي تُوضَعُ فِي الْبُيُوتِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «إِذَا وُضِعَتِ الْأَلْعَابُ الَّتِي هِيَ صُوَرٌ مُجَسَّمَةٌ فِي الْخِزَانَةِ أَوْ صُنْدُوقَةٍ أَوْ فِي السُّدَّةِ. مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ لَا يَدْخُلُونَ إِلَّا إِذَا وُضِعَتْ خَارِجَ الْغُرْفَةِ، الشُّرْفَةُ إِذَا كَانَ لَهَا بَابٌ مُسْتَقِلٌّ يَفْصِلُهَا إِنْ وُضِعُوا فِيهَا يَدْخُلُونَ الْبَيْتَ وَلَوْ وُضِعَتْ فِي غُرْفَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ لَهَا بَابٌ وَأُغْلِقَ الْبَابُ تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى بَقِيَّةِ الْبَيْتِ وَلَوْ لَمْ تُوضَعْ فِي خِزَانَةٍ، الظَّاهِرُ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُهُمْ».

مَا هَمَّتْ لِي حَاجَةٌ إِلَّا قَصَدْتُ قَبْرَ أَبِي حَنِيفَةَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الشَّافِعِيُّ قَالَ: «مَا هَمَّتْ لِي حَاجَةٌ إِلَّا قَصَدْتُ قَبْرَ أَبِي حَنِيفَةَ». قَالَ: «كُلَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ قَصَدْتُ أَبَا حَنِيفَةَ فَتُقْضَى لِي حَاجَتِي»».

الْعَشَرَةُ الْمُبَشَّرُونَ بِالْجَنَّةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «فِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ وعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ ابْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْجَنَّةِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ**»».

الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أُصِيبَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ بِالْعَيْنِ فَاغْتَمَّ لِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ وَعَلَّمَهُ أَنْ يَرقِيَهُمَا بِهَذِهِ الرُّقْيَةِ: «**اللَّهُمَّ ذَا السُّلْطَانِ الْعَظِيمِ وَالْمَنِّ الْقَدِيمِ ذَا الرَّحْمَةَ الْكَرِيمِ وَلِيَّ الْكَلِمَاتِ التَّامَّاتِ وَالدَّعَوَاتِ الْمُسْتَجَابَاتِ عَافِ حَسَنًا وَحُسَيْنًا مِنْ أَنْفُسِ الْجِنِّ وَأَعْيُنِ الْإِنْسِ**»».

الصَّلَاةُ الْإِبْرَاهِيمِيَّةُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الصَّلَاةُ الْإِبْرَاهِيمِيَّةُ لَوْلَا أَنَّهَا هِيَ أَفْضَلُ صِيغَةٍ كَانَ اللهُ عَلَّمَ الرَّسُولَ غَيْرَهَا. بَعْضُ الْمَشَايِخِ أَلَّفُوا صِيَغًا وَمَدَحُوهَا عَلَى أَنَّهَا أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ. نَحْنُ لَا نُوَافِقُهُمْ، نَقُولُ الصَّلَاةُ الْإِبْرَاهِيمِيَّةُ هِيَ الْأَفْضَلُ».

يَطْوِيَ ثِيَابَهُ وَيُسَمِّيَ اللهَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «يُسْتَحَبُّ إِذَا أَرَادَ النَّوْمَ أَنْ يَطْوِيَ ثِيَابَهُ وَيُسَمِّيَ اللهَ لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَفعَلْ وَتَرَكَهَا مَنشُورَةً قَدْ يَلْبَسُهَا الجِنُّ، ثُمَّ يُعِيدُونَهَا أَحْيَانًا وَأَحْيَانًا لا يُعِيدُونَهَا. أَمَّا إِنْ طَوَاهَا وَقَالَ: «بِسْمِ اللهِ» لَا يَلْبَسُهَا الجِنُّ».

صِيَامُ النَّفْلِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «بِالنِّسْبَةِ لِصِيَامِ النَّفْلِ فَمِنَ الْمُؤَكَّدِ مِنْهُ صِيَامُ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ وَصِيَامُ السَّبْتِ وَالْأَحَدِ، وَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، الْأَيَّامِ الْبِيضِ الثَّالِثَ عَشَرَ وَالرَّابِعَ عَشَرَ وَالْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ قَمَرِيٍّ. هَذِهِ الْأَيَّامُ الثَّلَاثَةُ لَيَالِيهَا بِيضٌ، الْقَمَرُ أَعْظَمُ مَا يَكُونُ فِي هَذِهِ اللَّيَالِي الثَّلَاثَةِ. كَذَلِكَ صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَصِيَامُ عَاشُورَاءَ مِنَ الصِّيَامِ الْمُؤَكَّدِ، عَاشِرُ الشَّهْرِ الْمُحَرَّمِ هَذَا عَاشُوراءُ. هُوَ مُحَرَّمٌ كُلُّهُ لَوْ صِيمَ كَانَ فِيهِ أَجْرٌ كَبِيرٌ فِيهِ مَزِيدُ ثَوَابٍ لِمَا وَرَدَ، كَذَلِكَ رَجَبٌ إِذَا صِيمَ كُلُّهُ أَوْ بَعْضُهُ كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ الصِّيَامِ، وَكَذَلِكَ ذُو الْقَعْدَةِ».

اكْتَحِلُوا بِالْإِثْمِدِ فَإِنَّهُ يَجْلُو الْبَصَرَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اكْتَحِلُوا بِالْإِثْمِدِ فَإِنَّهُ يَجْلُو الْبَصَرَ وَيُنْبِتُ الشَّعَرَ**». ثَلَاثًا ثَلَاثًا يُكْتَحَلُ. الِاكْتِحَالُ [تَرَكَتْهُ] النِّسَاءُ إِلَّا لِلزِّينَةِ. أَمَّا الرِّجَالُ كَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَعْمِلُونَ، يُقَوِّي الْبَصَرَ وَيُنْبِتُ الشَّعَرَ لَكِنَّ الرِّجَالَ الْيَوْمَ غَالِبًا تَرَكُوهُ».

الْجُوعُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْجُوعُ مِنْهُ مَا هُوَ شَرٌّ، وَمِنْهُ مَا هُوَ لَيْسَ بِشَرٍّ، الْجُوعُ الَّذِي يَسُوقُ صَاحِبَهُ إِلَى طَلَبِ الْمَالِ بِالْحَرَامِ وَالْوُقُوعِ بِالْكُفْرِ هَذَا شَرٌّ، أَمَّا الْجُوعُ الَّذِي لَيْسَ يُؤَدِّي بِهِ إِلَى مَعْصِيَةٍ هَذَا مَحْمُودٌ. الْأَنْبِيَاءُ كَانُوا يَجُوعُونَ لِشِدَّةِ انْشِغَالِهِمْ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ وَالْأَوْلِيَاءُ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ فَرَحُهُمْ وَسُرُورُهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَوْفَرُ مِنْ غَيْرِهِمْ».

مَعْصِيَةُ ءَادَمَ وَحَوَّاءَ وَتَوْبَتُهُمَا:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «يَوْمُ عَاشُورَاءَ هُوَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنَ الْمُحَرَّمِ وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تَابَ اللَّهُ فيهِ عَلَى ءَادَمَ. كَانَ ءَادَمُ وَحَوَّاءُ يَعِيشَانِ فِي الْجَنَّةِ جَنَّةِ الْخُلْدِ وَقَدْ سَمَحَ اللَّهُ لَهُمَا أَنْ يَأْكُلَا مِمَّا فِي الْجَنَّةِ إِلَّا شَجَرَةً وَاحِدَةً، لَكِنَّ إِبْلِيسَ اللَّعِينَ وَسْوَسَ لَهُمَا لِيَأْكُلَا مِنْهَا فَقَالَ لَهُمَا لِيُغرِيَهُمَا عَلَى ذَلِكَ: «هَذِهِ شَجَرَةُ الْخُلْدِ إِنْ أَكَلْتُمَا مِنْهَا تَعِيشَانِ إِلَى غَيْرِ نِهَايَةٍ بِلَا مَوْتٍ»، فَأَكَلَا مِنْهَا ثُمَّ نَدِمَا وَتَابَا فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا، وَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الْمَعْصِيَةُ مَعْصِيَةً صَغِيرَةً لَيْسَتْ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَقَدْ أَلْهَمَهُمَا اللَّهُ أَنْ يَقُولَا: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [سورة الأعراف]. وَهَذَا الْأَمْرُ حَصَلَ وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ بَشَرٌ سِوَاهُمَا ولَمْ يَكُنْ قَدْ نَزَلَ الْوَحْيُ بِالنُّبُوَّةِ عَلَى ءَادَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

إِذَا اجْتَمَعُوا فِي مَجْلِسٍ ثُمَّ فَارَقُوهُ وَلَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا اجْتَمَعُوا فِي مَجْلِسٍ ثُمَّ فَارَقُوهُ وَلَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ يَكُونُ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ**». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ. وَلَو كَانَ الشَّخْصُ فِي مَجْلِسِ عِلْمِ دِينٍ لَا يُفَارِقُهُ مِنْ دُونِ ذِكْرِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ. فِي الْآخِرَةِ يَقُولُ: «يَا لَيْتَنِي مَا فَوَّتُّ ذَلِكَ» وَلَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَجِدَ نَكَدًا، لَكِنْ عِنْدَمَا يَرَى مِنْ عُظْمِ الثَّوَابِ يَقُولُ: «يَا لَيْتَنِي مَا فَوَّتُّ ذَلِكَ»».

الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ: «**الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ**». مَعْنَاهُ الْمُؤمِنُ عِنْدَمَا يَمُوتُ يَنْزِلُ عَرَقٌ مِنْ جَبِينِهِ، هَذَا عَلَامَةُ خَيْرٍ».

سَبَقَ دِرْهَمٌ مائةَ أَلْفِ دِرْهمٍ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهمٍ**» قِيلَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «**رَجُلٌ لَهُ دِرْهَمَانِ** (أَيْ لَا يَمْلِكُ غَيْرَهُمَا) **فَتَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِمِائَةِ أَلْفٍ مِنْ عُرْضِ مَالِهِ**» فَبِمَا أَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ لَا يَمْلِكُ مِنَ النُّقُودِ إِلَّا دِرْهَمَيْنِ أَخْرَجَ دِرْهَمًا وَاحِدًا ابْتِغَاءَ الْفَضْلِ مِنَ اللَّهِ كَانَ ثَوَابُ هَذَا الدِّرْهَمِ الْوَاحِدِ أَعْظَمَ مِنْ ثَوَابِ هَذَا الْغَنِيِّ الَّذِي تَصَدَّقَ بِمِائَةِ أَلْفٍ. وَالْمِائَةُ أَلْفٍ بِالنِّسْبَةِ لِمَالِهِ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ».

اللَّهُ خَلَقَ النَّاسَ لِيُظْهِرَ لَهُمْ مَنْ هُوَ مُطِيعٌ لَهُ وَمَنْ هُوَ غَيْرُ مُطِيعٍ لَهُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ النَّاسَ لِيَبْتَلِيَهُمْ أَيْ لِيُظْهِرَ لَهُمْ مَنْ هُوَ مُطِيعٌ لَهُ وَمَنْ هُوَ غَيْرُ مُطِيعٍ لَهُ، هُوَ عَالِمٌ فِي الْأَزَلِ أَنَّ عَدَدًا مِنْهُمْ يَصِيرُونَ مُؤْمِنِينَ مُطِيعِينَ وَأَنَّ عَدَدًا مِنَ الْبَشَرِ يَكُونُونَ عَاصِينَ، هُو عَالِمٌ فِي الْأَزَلِ لَكِنْ أَرَادَ أَنْ يَظْهَرُوا فِي عَالَمِ الْوُجُودِ».

الْمُخْتَارُ أَبُو بَكْرٍ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «هَذا مَقَام الإِمَام أبو بَكر الهَوارِي شَرق حَلَب، الشَّيْخُ مُحَمُود سُلَيْمَانُ حَكَى لِي قَالَ: مُخْتَارُ تِلْكَ الْقَرْيَةِ، قَرْيَةِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ أَخَذَ دَجَاجَتَيْنِ، أَدْخَلَ وَاحِدَةً إِلَى الْمَقَامِ إِلَى قَرْيَةِ الشَّيْخِ وَالْأُخْرَى مَا أَدْخَلَهَا ثُمَّ ذَبَحَ هَذِهِ وَذَبَحَ هَذِهِ، وَضَعَهَا عَلَى النَّارِ، الَّتِي أَدْخَلَهَا الْمَقَامَ مَا كَانَتْ تَسْتَوِي أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ سَاعَةً، وَضَعُوهَا عَلَى النَّارِ مَا كَانَتْ تَسْتَوِي وَالْأُخْرَى اسْتَوَتْ، أَرَادَ أَنْ يُجَرِّبَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّارِيخِ أَنَّهُ دَعَا اللهَ أَنَّ مَنْ زَارَ مَقَامَهُ لَا تَمَسُّهُ النَّارُ، عَظِيمٌ هَذَا الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ، السِّرُّ يَحْصُلُ عِنْدَهُ فِي أَيِّ يَوْمٍ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؛ مَكْتُوبٌ فِي التَّارِيخِ تَارِيخِ الشَّيْخِ أَنَّهُ دَعَا اللهَ».

نُور حُسَيْن:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «فِي الْحَبَشَةِ يُوجَدُ وَلِيٌّ مُتَوَفًّى مِنْ نَحْوِ سِتِّمِائَةِ سَنَةٍ اسْمُهُ نُور حُسَيْن هَذَا مِنْ أَفْرَادِ الرِّجَالِ. مِنْ كَرَامَاتِهِ أَنَّهُ مَرَّةً كَانَ فِي مَكَانٍ فِي الْجَبَلِ، لَيْسَ فِيهِ مَاءٌ احْتَاجَ لِلْوُضُوءِ وَتَحْتُ فِي الْوَادِي يُوجَدُ مَاءٌ، اللهُ تَعَالَى أَجْرَى لَهُ الْمَاءَ إِلَى فَوْقٍ إِلَى الْجَبَلِ، إِلَى يَوْمِنَا هَذَا الْمَاءُ عَلَى هَذَا الْحَالِ يَطْلُعُ مِنْ أَسْفَلَ إِلَى فَوْق كَذَلِكَ

أُنَاسٌ كُفَّارٌ هَجَمُوا عَلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ وَهُمْ عَلَى الْخَيْلِ وَحَامِلُو الرِّمَاحِ اللهُ تَعَالَى مَسَخَهُمْ حِجَارَةً إِلَى الْآنَ مَوْجُودُونَ هَؤُلَاءِ أَجْسَامُهُمُ الْمَمْسُوخَةُ. يُقَالُ لَهُ نُور حُسَيْن يَأْتِي لِمَوْسِمِ زِيَارَتِهِ مِئَاتُ الْأُلُوفِ مِنَ النَّاسِ.

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الْكُفَّارِ هُنَاكَ عِنْدَ مَقَامِهِ يَأْتُونَ فَيَقُولُونَ يَا نُور حُسَيْن إِنْ قَضَى اللهُ حَاجَتَنَا سَنَزُورُكَ وَنَحْمِلُ هَدِيَّةً ثُمَّ اللهُ تَعَالَى يَقْضِي لَهُمْ حَاجَتَهُمْ فَيَأْتُونَ فِي السَّنَةِ الْقَابِلَةِ وَيُعْلِنُونَ إِسْلَامَهُمْ نَحْوُ ثَلَاثِمِائَةٍ يُسْلِمُونَ فِي السَّنَةِ. قُبُورُ الْأَوْلِيَاءِ اللهُ تَعَالَى جَعَلَ فِيهَا بَرَكَةً، الَّذِي يَذْهَبُ إِلَيْهِمْ يَدْعُو اللهَ هُنَاكَ، اللهُ يَقْضِي حَاجَاتِهِ وَيُفَرِّجُ كُرُوبَهُ، هَذَا شَىْءٌ قَدِيمٌ لَيْسَ فِي هَذَا الزَّمَنِ فَقَطْ، أَيَّامَ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ وَقَبْلَهُ بَلْ بَعْضُ الصَّحَابَةِ الْكِبَارِ أَبُو أَيُّوبَ جَاءَ إِلَى قَبْرِ الرَّسُولِ لِلتَّبَرُّكِ».

السَّيِّدَةُ نَفِيسَةُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «سَيِّدَتُنَا نَفِيسَةُ، كَانَتْ حَفَرَتْ قَبْرًا فِي دَارِهَا لِنَفْسِهَا وَخَتَمَتْ فِيهِ الْقُرْءَانَ سِتَّةَ ءَالَافِ خَتْمَةٍ. وَكَانَ لَهَا كَرَامَاتٌ، أَهْلُ مِصْرَ فِي حَيَاتِهَا كَانُوا يَتَبَرَّكُونَ بِهَا وَرَأَوْا مِنْ كَرَامَاتِهَا الْكَثِيرَ الْكَثِيرَ وَبَعْدَ وَفَاتِهَا إِلَى الْآنَ أَكْثَرُ مَزَارَاتِ أَهْلِ مِصْرَ زَائِرِينَ هُوَ مَشْهَدُ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ. مِنْ ذُرِّيَّةِ الْحَسَنِ، هِيَ بِنْتُ ابْنِ ابْنِهِ الْحَسَنِ الْأَنْوَرِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ، وَزَوْجُهَا ابْنُ سَيِّدِنَا جَعْفَرٍ الصَّادِقِ إِسْحَاقُ الْمُؤْتَمَنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. فِي حَيَاتِهَا أَرَادَتْ أَنْ تَعُودَ إِلَى الْمَدِينَةِ، أَهْلُ مِصْرَ مَا وَافَقُوا، مَنَعُوهَا لَمَّا رَأَوْا مِنْ بَرَكَتِهَا. كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الشَّافِعِيِّ وُدٌّ كَبِيرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَلَاقَةٌ فِي الدِّينِ كَانَتْ تَعْتَقِدُهُ وَهُوَ يَعْتَقِدُهَا.

وَالشَّافِعِيُّ أَيْضًا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، مُطَّلِبِيٌّ، بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا مِنْ هَؤُلَاءِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ لَا تَحِلُّ لَهُ الزَّكَاةُ. الْمَنْسُوبُ الَّذِي هُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ عَلِيٍّ وَالَّذِينَ

هُمْ ذُرِّيَّةُ إِخْوَتِهِ كَذَلِكَ وَكُلُّ مَنْ كَانَ نَسَبُهُ هَاشِمِيًّا أَوْ مُطَّلِبِيًّا لَا تَحِلُّ لَهُمُ الزَّكَاةُ، لَهُمْ حَقٌّ فِي الْغَنِيمَةِ، [لَكِنِ] الْيَوْمَ انْقَطَعَتْ».

بِلَالٌ الْحَبَشِيُّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مَقَامُ سَيِّدِنَا بِلَالٍ الْحَبَشِيِّ إِنَّه مَدْفُونٌ فِي دَارَيَّا ضَعِيفٌ، الْأَقْوَى أَنَّه فِي دِمَشْقَ. بَعْضُ إِخْوَانِنَا بَدَلَ أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى بَعْضِ الْمَشَاهِدِ لَوْ ذَهَبُوا إِلَى بِلَالٍ كَانَ خَيْرًا لَهُمْ، الدُّعَاءُ مُسْتَجَابٌ عِنْدَ قَبْرِ سَيِّدِنَا بِلَالٍ».

مُحَمَّدٌ طُوقَانُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قِلَّةُ الْأَكْلِ إِذَا كَانَ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ قَدْ تُضْعِفُ الْبُنْيَةَ. الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ يُقَلِّلُونَ الْأَكْلَ. يُوجَدُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ أُنَاسٌ لَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً. كَانَ شَيْخٌ فِي سُورْيَا يُقَالُ لَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ طُوقَانُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ وَهُوَ نَشِيطٌ فِي صِحَّتِهِ. جَاءَ إِلَى مَدِينَةِ حَلَبَ فَبَلَغَ الْمُحَافِظَ أَنَّهُ جَاءَ شَيْخٌ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ فَقَالَ هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، احْبِسُوهُ فِي بَيْتٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، لَا تُدْخِلُوا عَلَيْهِ شَيْئًا؛ فَحَبَسُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ يُدْخِلُوا عَلَيْهِ شَيْئًا ثُمَّ وَجَدُوهُ صَحِيحًا فَأَخْلَى سَبِيلَهُ، كَانَ فِي الْأَوَّلِ مَا صَدَّقَ أَنَّ إِنْسَانًا يَعِيشُ بِلَا أَكْلٍ وَلَا شُرْبٍ».

أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «هَذَا الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ قَبْلَ أَلْفٍ وَمِائَةِ سَنَةٍ لَهُ كِتَابٌ مَشْهُورٌ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، النَّاسُ يَتَدَاوَلُونَهُ لِلْقِرَاءَةِ لِلدِّرَاسَةِ، يَقُولُ فِيهِ: «تَعَالَى ـ أَيِ اللهُ ـ عَنِ الْحُدُودِ»، اللهُ لَيْسَ لَهُ كَمِّيَّةٌ، لَيْسَ شَيْئًا لَهُ كَمِّيَّةٌ صَغِيرَةٌ وَلَا

كَبِيرَةٌ، لِأَنَّ الشَّيْءَ الَّذِي لَهُ كَمِّيَّةٌ يَحْتَاجُ إِلَى خَالِقٍ خَلَقَهُ عَلَى تِلْكَ الْكَمِّيَّةِ، وَاللهُ تَعَالَى مَوْجُودٌ بِلَا حَدٍّ وَلَا جِهَةٍ وَلَا مَكَانٍ وَلَا شَكْلٍ، لَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَصَوَّرَهُ لِأَنَّه لَا شَبِيهَ لَهُ، لَا يُشْبِهُ الْأَشْيَاءَ الَّتِي رَأَيْنَاهَا، وَلَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي لَمْ نَرَهَا، وَلَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْجَنَّةِ وَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُحَاوِلَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَمَثَّلَهُ وَيَتَصَوَّرَهُ، هَذَا مَعْنَى: تَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ، مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَعْضَاءٌ، وَجْهٌ كَجِسْمٍ وَيَدٍ وَعَيْنٍ بِمَعْنَى الْجِسْمِ، مُنَزَّهٌ عَنْ هَذَا».

السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ الْأَيُّوبِيُّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ الْأَيُّوبِيُّ، كَانَ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْأَحْكَامِ. كَانَ أَشْعَرِيًّا شَافِعِيًّا فِي الْفِقْهِ، جَمَعَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالسَّلْطَنَةِ، مَا كَانَ سُلْطَانًا بِلَا عِلْمٍ بَلْ كَانَ عَالِمًا، قَبْلَ أَنْ يَكُونَ سُلْطَانًا كَانَ عَالِمًا، حَفِظَ الْقُرْءَانَ وَكِتابَ التَّنْبِيهِ فِي الْفِقْهِ الشَّافِعِيِّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ، وَكِتَابَ الْحَمَاسَةِ».

أَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الشَّيْخُ أَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كانَ شَدِيدُ الاِهْتِمَامِ بِالْعَقِيدَةِ وَالتَوْحِيدِ، أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُشْبِهُ شَيْئًا، لَيْسَ جِسْمًا كَثِيفًا وَلَا جِسْمًا لَطِيفًا، أَيْ لَيْسَ كَالْجِسْمِ الَّذِي يُمْسَكُ بِالْيَدِ وَلَا كَالْجِسْمِ الَّذِي لَا يُمْسَكُ بِالْيَدِ كَالْهَوَاءِ وَالضَّوْءِ وَالظَّلَامِ، لَيْسَ كَشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، كَانَ يُؤَكِّدُ تَعْلِيمَ هَذَا. لِذَلِكَ قَالَ: «غَايَةُ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ الْإِيقَانُ بِوُجُودِهِ تَعَالَى بِلَا كَيْفٍ وَلَا مَكَانٍ».

الشَّيخُ أَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «غَايَةُ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ الْإِيقَانُ بِوُجُودِهِ تَعَالَى بِلَا كَيْفٍ وَلَا مَكَانٍ». مَعْنَاهُ مَعْرِفَةُ اللهِ اعْتِقَادُ أَنَّهُ لَيْسَ جِسْمًا لَطِيفًا وَلَا جِسْمًا كَثِيْفًا.

وَلَا هُوَ حَجْمٌ صَغِيرٌ وَلَا هُوَ حَجْمٌ كَبِيرٌ. لَا يُوصَفُ بِكِبَرِ الْحَجْمِ وَلَا بِصِغَرِ الْحَجْمِ. الْمَخْلُوقُ يُوصَفُ. الْمَخْلُوقُ مِنْهُ مَا هُوَ صَغِيرٌ جِدًّا مِثْلُ حَبَّةِ الْخَرْدَلِ، وَمِنْهُ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا كَحَبَّةِ السِّمْسِمِ، ثُمَّ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنَ ذَلِكَ إِلَى أَنِ انْتَهَى كِبَرُ الْحَجْمِ فِي الْمَخْلُوقِ إِلَى الْعَرْشِ. مَا خَلَقَ اللهُ أَكْبَرَ حَجْمًا مِنَ الْعَرْشِ. وَالْعَرْشُ خَلَقَهُ لِيَكُونَ كَعْبَةً لِلْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ هُنَاكَ حَوْلَ الْعَرْشِ، كَمَا نَحْنُ نَسْتَقْبِلُ الْكَعْبَةَ الَّتِي بِمَكَّةَ وَنَطُوفُ بِهَا، كَذَلِكَ هُمْ يَطُوفُونَ بِالْعَرْشِ. مِنْ كَثْرَتِهِمْ يُحِيطُونَ بِالْعَرشِ، مِنْ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ.

الشَّيْخُ أَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ رضي الله عنه كَانَ بِالْعِرَاقِ هُوَ رضي الله عنه كَانَ شَافِعِيَّ الْمَذْهَبِ كَانَ مُحَدِّثًا مُفَسِّرًا كَانَ يُدَرِّسُ كُلَّ يَوْمٍ أَوَّلَ النَّهَارِ وَءَاخِرَ النَّهَارِ فِي الْعِلْمِ، عِلْمِ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالتَّوْحِيدِ ثُمَّ كَانَ يَعْقِدُ يَوْمَ الْخَمِيسِ مَجْلِسَ الْوَعْظِ، كَانَ يَحْضُرُهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ لَمَّا بَدَأَ سَيِّدُنَا أَحْمَدُ بِالْوَعْظِ نَزَلَتْ الرَّحْمَةُ وَرَقَّتِ الْقُلُوبُ، تَابَ إِلَى اللهِ مِنْ عَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ أَرْبَعُونَ أَلْفًا فِي الْمَجْلِسِ.

الشَّيْخُ أَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ وَالشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيُّ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ الْهِجْرِيِّ عَمِلَ كُلٌّ مِنهُمَا طَرِيقَةً وَبَعْدَهُمَا مَلِكٌ عَادِلٌ تَقِيٌّ عَالِمٌ شُجَاعٌ كَانَ مَلِكَ إِرْبِلَ هُوَ عَمِلَ مَوْلِدًا وَقَبْلَهُ مَا كَانَ النَّاسُ يَعْمَلُونَ مَوْلِدًا فِي شَهْرِ رَبِيعٍ، شُكْرًا للهِ عَلَى إِظْهَارِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الشَّهْرِ، شُكْرًا للهِ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعُظْمَى، كَذَلِكَ يَتَجَدَّدُ الثَّوَابُ لِلشَّيْخِ أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ وَالشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ عَلَى عَدَدِ مَنِ اتَّبَعَهُمَا فِي ذَلِكَ، كَذَلِكَ يَتَجَدَّدُ الثَّوَابُ لِهَذَا الْمَلِكِ مَلِكِ إِربِلَ، الثَّوَابُ كُلَّمَا عَمِلَ إِنْسَانٌ الْمَوْلِدَ فَرَحًا بِرَسُولِ اللهِ فَرَحًا بِوُجُودِهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ يَتَجَدَّدُ لَهُ الثَّوَابُ إِلَى نِهَايَةِ الدُّنْيَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الطَّرِيقَةُ الرِّفَاعِيَّةُ أُنْشِئَتْ فِي أَثْنَاءِ الْقَرْنِ السَّادِسِ الْهِجْرِيِّ، كَذَلِكَ الْقَادِرِيَّةُ.

الشَّيْخُ أَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ بِالْعِرَاقِ وَالشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ كَذَلِكَ.

الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ بِبَغْدَادَ، وَالشَّيْخُ أَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ بِمُحَافَظَةٍ يُقَالُ لَهَا وَاسِطٌ، كَانَ أَوْلِيَاءُ ذَلِكَ الْعَصْرِ يَقُولُونَ: الشَّيْخُ أَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ أَجَلُّ الْأَوْلِيَاءِ قَدْرًا، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ خَالٌ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ يُقَالُ لَهُ: الشَّيْخُ مَنْصُورٌ الْبَطَائِحِيُّ، رَأَى رَسُولَ اللهِ فِي الْمَنَامِ قَالَ: قَالَ لِي بَشِّرْ أُخْتَكَ بِأَنَّهَا سَتَحْمِلُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً بِوَلَدٍ يَكُونُ سَيِّدَ الْأَوْلِيَاءِ فَحَمَلَتْ بِهِ أُمُّهُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ بَعْدَ أَنْ وَلَدَتْهُ اهْتَمَّ بِهِ خَالُهُ هَذَا الْوَلِيُّ الْكَبِيرُ وَنَشَأَ نَشْأَةً طَيِّبَةً ثُمَّ تَرَقَّى فِي الْعُلُوِّ وَمَرَاتِبِ الْوِلَايَةِ، نَالَ الْمَرْتَبَةَ الْغَوْثِيَّةَ مَرَّتَيْنِ، لِذَلِكَ الْأَوْلِيَاءُ يُسَمُّونَهُ أَبَا الْعَلَمَيْنِ، أَخَذَ عَلَمَ الْغَوْثِيَّةِ مَرَّتَيْنِ.

وَقَالَ رضي الله عنه: «الطَّرِيقَةُ الرِّفَاعِيَّةُ وَالْقَادِرِيَّةُ وَالطُّرُقُ الَّتِي أُحْدِثَتْ بَعْدَهُمَا كَالطَّرِيقَةِ الشَّاذِلِيَّةِ وَالنَّقْشَبَنْدِيَّةِ وَالْبَدَوِيَّةِ طَرِيقَةِ سَيِّدِنَا أَحْمَدَ الْبَدَوِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، كُلُّ هَذِهِ الطُّرُقِ وَغَيْرُهَا وَهِيَ نَحْوُ أَرْبَعِينَ طَرِيقَةً أَحْدَثَهَا عُلَمَاءُ أَوْلِيَاءُ يَتَجَدَّدُ لَهُمُ الثَّوَابُ عَلَى عَدَدِ مَنْ يَتَّبِعُهُمْ، الطَّرِيقَةُ طَرِيقَةُ أَهْلِ اللهِ كُلُّها قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ، سُنَّةٌ حَسَنَةٌ لَيْسَتْ بِدْعَةً مَذْمُومَةً».

مُصْطَفَى نَجَا:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الشَّيْخُ مُصْطَفَى نَجَا كَانَ أَخَذَ الطَّرِيقَةَ مِنَ الشَّيْخِ الْيَشْرُطِيِّ لَكِنْ هُوَ اسْتَقَامَ عَلَى شَرِيعَةِ اللهِ، مَا انْحَرَفَ كَهَؤُلَاءِ.

وَكَانَ هُوَ عَالِمًا وَانْتَسَبَ إِلَيْهِ بِالطَّرِيقَةِ فَاسْتَفَادَ وَتَرَقَّى لِأَنَّهُ أَخَذَ الطَّرِيقَةَ عَلَى عِلْمٍ. أَمَّا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ضَلُّوا أَخَذُوا الطَّرِيقَةَ عَلَى جَهْلٍ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ الصَّحِيحَ».

عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «يُذْكَرُ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ بَلَغَهُ مَقْدَمُ النَّبِيِّ الْمَدِيْنَةَ فَأَتَاهُ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ؟ وَمَا بَالُ الْوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيْهِ وإِلَى أَمِّهِ؟ قَالَ: «**أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ ءَانِفًا**»، فَقَالَ ابْنُ سَلَامٍ: ذَلِكَ عَدُوُّ اليَهُوْدِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. قَالَ: «**أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ المشْرِقِ إِلَى المغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ الحُوْتِ** . قِطْعَةٌ مِنَ اللَّحْمِ طَعْمُهَا لَذِيْذٌ جِدًّا تَكُونُ زِيَادَةً عَنْ كَبِدِ الحُوْتِ . **وَأَمَّا الوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتِ الْوَلَدَ**». قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ».

الشَّيْخُ أَبُو الْيُسْرِ عَابِدِينَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مُفْتِي سُورْيَا الْأَسْبَقُ: قَالَ فِي كِتَابِهِ الْإِيجَازِ فِي ءَايَاتِ الْإِعْجَازِ مَا نَصُّهُ: «اعْلَمْ أَنَّهُ تَقَرَّرَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا مَكَانَ لَهُ وَلَا زَمَانَ، وَهُوَ رَبُّ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَإِنَّمَا الْأَمْكِنَةُ الَّتِي تُضَافُ إِلَيْهِ تَعَالَى إِنَّمَا تُضَافُ لِلتَّشْرِيفِ لِأَنَّهُ شَرَّفَهَا فَإِنَّهُ يُقَالُ: بَيْتُ اللَّهِ»».

النَّسَائِيُّ مِنْ أَهْلِ الْإِنْصَافِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «النَّسَائِيُّ مِنْ أَهْلِ الْإِنْصَافِ عَمِلَ لسَيِّدِنَا عَلِيٍّ خَصَائِصَ. جَاءَ إِلَى دِمَشْقَ مِنْ بِلَادِ الْعَجَمِ، الْمُتَعَصِّبُونَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ قَالُوا لَهُ: «اعْمَلْ لِمُعَاوِيَةَ خَصَائِصَ»، قَالَ: مَاذَا أَعْمَلُ لَهُ؟! قَالَ: «**لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ**» غَضِبُوا.

فَصَارُوا يَرْفُسُونَهُ، قَتَلُوهُ. مَرِضَ مِنْ هَذَا الَّذِي فَعَلُوهُ ثُمَّ مَاتَ. بَنُو أُمَيَّةَ شَرُّهُم شَرٌّ. قَوْلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ**» هَذَا دُعَاءٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ لَيْسَ دُعَاءً لَهُ[1]. الْمُؤمِنُ مَطْلُوبٌ أَنْ يَكُونَ أَكْلُهُ خَفِيفًا».

التَّصَوُّفُ الْإِسْلَامِيُّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «التَّصَوُّفُ الْإِسْلَامِيُّ مَبْنِيٌّ عَلَى أَسَاسٍ هُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ اتِّبَاعُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا جَاءَ بِهِ، بِأَدَاءِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَاجْتِنَابِ الْمُنكَرَاتِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَتَقلِيلِ الْأَكْلِ وَالشَّرَابِ، وَتَقلِيلِ النَّوْمِ إِلَى حَيْثُ لَا يَنْضَرُّ جِسْمُهُ، وَتَقلِيلِ الْكَلَامِ، وَتَرْكِ الْمَأْلُوفَاتِ وَالْمُسْتَحْسَنَاتِ الَّتِي لَا يَعُودُ مِنْهَا نَفْعٌ لِآخِرَةِ الشَّخْصِ، هَذَا التَّصَوُّفُ الْإِسْلَامِيُّ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي لَمْ يَشَأِ اللهُ لَهُ أَنْ يَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ لَا يَكُونُ لَهُ مِنْزِلَةٌ عَالِيَةٌ، لَيْسَ الشَّأْنُ بِالِانْتِسَابِ إِلَى طَرِيقَةٍ، الشَّأْنُ بِالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ مَعَ الْعَمَلِ بِهِ، مَنْ فَقَّهَهُ اللهُ فِي دِينِهِ وَعَمِلَ بِمَا تَعَلَّمَ هَذَا لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ عِنْدَ اللهِ، الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَتَصَوَّفَ يَتَفَقَّهُ فِي الدِّينِ، هَكَذَا كَانَ الْمُتَفَقِّهُونَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ مِنْ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ إِلَّا بَعْدَ إِتقَانِ الشَّرْعِ، بَعْدَ أَنْ يَعْلَمَ الشَّرْعَ وَيُتْقِنَهُ وَيَعْمَلَ بِهِ، عِلْمُ الْحَقِيقَةِ عِلْمٌ وَهْبِيٌّ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَهَمُّ الْعِلْمِ مَعْرِفَةُ اللهِ، كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَتْرُكُونَ هَذَا وَيَشْتَغِلُونَ بِأَوْرَادِ الطَّرِيقَةِ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمُوا تَنْزِيهَ اللهِ، يَشْتَغِلُونَ بِالطَّرِيقَةِ وَالْأَذْكَارِ وَهُمْ عَلَى جَهْلٍ بِخَالِقِهِمْ، مَاذَا تُفِيدُهُمُ الْأَوْرَادُ وَالذِّكْرُ؟ لا تُفِيدُهُمْ شَيْئًا، الشَّأْنُ فِي الْعِلْمِ: عِلْمِ الْعَقِيدَةِ ثُمَّ

---

(1) انظر كتابنا: البيان والتوضيح في أن قول النبي في معاوية «**لا أشبع الله بطنه**» ليس منقبة له ولا فضيلة بل دعاء عليه وذم صريح.

عِلْمِ الْأَحْكَامِ، مَنْ أَتْقَنَ الْعَقِيدَةَ ثُمَّ تَعَلَّمَ فَرَائِضَ اللهِ وَمَا حَرَّمَ اللهُ وَعَمِلَ بِذَلِكَ هَذَا يَصِيرُ وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ، أَمَّا بِغَيْرِ هَذَا مُسْتَحِيلٌ أَنْ يَكُونَ إِنْسَانٌ وَلِيًّا، لَوْ دَخَلَ الْخَلْوَةَ وَانْقَطَعَ عَنِ النَّاسِ وَقَلَّلَ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ وَالنَّوْمَ وَأَتْعَبَ بَدَنَهُ لا يَصِيرُ وَلِيًّا وَلَوْ كَانَ يُهَلِّلُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ أَلْفِ تَهْلِيلَةٍ لَا يَصِيرُ وَلِيًّا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْإِنْسَانُ مَهْمَا تَعَبَّدَ، مَهْمَا أَكْثَرَ مِنَ الصِّيَامِ مَهْمَا أَكْثَرَ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، مَهْمَا أَكْثَرَ مِنَ الذِّكْرِ وَالتَّهْلِيلِ، وَأَخَذَ الطَّرِيقَةَ بِدُونِ أَنْ يَتَعَلَّمَ عِلْمَ الْعَقِيدَةِ لَا يُفْلِحُ، لَا يُفْلِحُ، مَهْمَا أَتْعَبَ نَفْسَهُ بِالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالذِّكْرِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْءَانِ لَا يُفْلِحُ، لَا فَلاحَ لَهُ لِأَنَّ بَاطِنَهُ خَرَابٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ التَّصَوُّفَ هُوَ الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ بِهِ كَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَكَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فَإِنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، أَمَّا مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ فَلَا يَكُونُ صُوفِيًّا وَإِنْ تَصَدَّرَ لِلنَّاسِ بِاسْمِ الصُّوفِيِّ فَهُوَ دَجَّالٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ.

يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْذُلُوا جُهْدَكُمْ بِأَبْدَانِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ لِتَقْوِيَةِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ صِرْتُمْ دَاخِلِينَ فِي حَدِيثِ: «**الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ**». الْيَوْمَ كَمَا هُوَ مُعَايَنٌ صَارَ فَسَادٌ فِي الْأُمَّةِ، قِسْمٌ وَهَّابِيَّةٌ يُشَبِّهُونَ اللهَ بِخَلْقِهِ، تَرَكُوا قَوْلَ اللهِ: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ**ۖ ١١﴾ [سورة الشورى]، وَقِسْمٌ يَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ سَبَبٍ شَرْعِيٍّ، وَقِسْمٌ يَدَّعُونَ التَّصَوُّفَ هُمْ خَرَجُوا عَنِ التَّوْحِيدِ إِلَى عَقِيدَةِ الْحُلُولِ وَعَقِيدَةِ الْوَحْدَةِ الْمُطْلَقَةِ أَيِ اعْتِقَادِ أَنَّ اللهَ هُوَ هَذَا الْعَالَمُ أَنَّ اللهَ جُمْلَةُ الْعَالَمِ. فَمَنْ نَظَرَ فِي حَالِ مُتَصَوِّفَةِ هَذَا الزَّمَانِ الْمُدَّعِينَ أَنَّهُمْ صُوفِيَّةٌ عَرَفَ حَالَهُمْ بِهَذَا الْوَصْفِ فَصَارَ قَلَّمَا يُرَى صُوفِيٌّ حَقِيقِيٌّ فَاحْذَرُوا هَؤُلَاءِ».

شَرْطُ الْوِلَايَةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «بَعْضُ النَّاسِ مِنْ صِغَرِهِمْ يَكُونُونَ مُسْتَعِدِّينَ لِلْوِلَايَةِ ثُمَّ بِسُرْعَةٍ يَصِيرُونَ أَوْلِيَاءَ مِثْلَ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ وَالشَّيْخِ أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ، اللهُ يُسَهِّلُ عَلَيْهِمْ تَحَمُّلَ الْمَشَاقِّ مَشَاقِّ الْعِبَادَاتِ وَاجْتِنَابَ الشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَاتِ، يُعِينُهُمْ فَيَصِيرُونَ أَوْلِيَاءَ بِسُرْعَةٍ. وَبَعْضُ النَّاسِ يَقْضِي أَحَدُهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى يَصِيرَ وَلِيًّا وَهُوَ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ حَتَّى يَتَحَمَّلَ مَشَقَّاتِ الْعِبَادَةِ، أَمَّا لِمُجَرَّدِ إِكْثَارِ الذِّكْرِ لَا يَصِيرُ لَوْ عَاشَ أَلْفَ سَنَةٍ لَا يَصِيرُ وَلِيًّا إِذَا لَمْ يَكُنِ الذِّكْرُ مَعَ حُضُورِ الْقَلْبِ وَصِحَّةِ النِّيَّةِ وَصَفَائِهَا. شَرْطُ الْوِلَايَةِ الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ إِلَى الْقَدْرِ الضَّرُورِيِّ وَلَوْ بِدُونِ قِرَاءَةٍ فِي كِتَابٍ بَلْ بِالسَّمَاعِ وَالتَّلَقِّي مِنْ فَمِ عَالِمٍ ثِقَةٍ، لَا يُشْتَرَطُ أَنْ يَقْرَأَ فِي كُتُبِ الْعِلْمِ، الشَّرْطُ أَنْ يَسْمَعَ قَدْرَ الْكِفَايَةِ. ثُمَّ إِنْ هُوَ جَدَّ فَصَارَ قَوِيًّا فِي طَاعَةِ اللهِ قَطَعَ نَفْسَهُ عَنِ الْمَعَاصِي وَأَكْثَرَ مِنَ الْعِبَادَةِ، اللهُ يُسَهِّلُ عَلَيْهِ. أَمَّا مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ عِلْمَ الدِّينِ الضَّرُورِيَّ فَمُسْتَحِيلٌ أَنْ يَكُونَ وَلِيًّا، وَيُشْتَرَطُ أَيْضًا أَنْ يَعْمَلَ بِهِ، أَنْ يَعْمَلَ بِالْقَدْرِ الَّذِي تَعَلَّمَهُ».

الْوِلَايَةُ قِسْمَانِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْوِلَايَةُ قِسْمَانِ: وِلَايَةٌ عَامَّةٌ وَوِلَايَةٌ خَاصَّةٌ. الْوِلَايَةُ الْعَامَّةُ كُلُّ مُسْلِمٍ يُقَالُ: وَلِيُّ اللهِ، بِمَعْنَى أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُدْخِلُهُ جَنَّتَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ مَعْنَاهُ اللهُ تَعَالَى تَوَلَّاهُمْ بِإِنْعَامٍ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَحَفِظَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ، بِهَذَا الْمَعْنَى كُلُّ الْمُسْلِمِينَ أَوْلِيَاءُ. أَمَّا الْوِلَايَةُ الْخَاصَّةُ فَهِيَ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مُطِيعًا للهِ تَعَالَى طَاعَةً كَامِلَةً بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابِ الْمَنَاهِي وَالْإِكْثَارِ مِنَ السُّنَنِ. فَبِالْمَعْنَى الْأَوَّلِ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ فِي كِتَابِهِ الْعَقِيدَةِ الْمَشْهُورَةِ: وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ. مَا قَرَأْتُنَّ فِي الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ هَذَا؟ هَذِهِ الْوِلَايَةُ الْعَامَّةُ».

الْجَذْبُ الْحَقِيقِيُّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْجَذْبُ الْحَقِيقِيُّ يَكُونُ لِمَنْ تَعَلَّمَ عِلْمَ الدِّينِ الْحَقِيقِيَّ وَعَمِلَ بِهِ، أَمَّا مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ عِلْمَ الدِّينِ الْحَقِيقِيَّ لَا يَصِحُّ لَهُ جَذْبٌ إِلَّا التَّجَاذُبَ [بِهِمْ] يَتَشَبَّهُ فَقَطْ.

الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ شَلَبِيٌّ أَخَذَ الْعِلْمَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، ثُمَّ سَلَكَ حَتَّى صَارَ مَجْذُوبًا. لَا يَصِحُّ الْجَذْبُ إِلَّا بَعْدَ تَلَقِّي عِلْمِ الدِّينِ الضَّرُورِيِّ مِنْ هُنَا إِذَا عَمِلَ بِهَذَا الَّذِي تَعَلَّمَهُ طَبَّقَهُ تَطْبِيقًا تَامًّا يَصِيرُ وَلِيًّا، ثُمَّ يَبْقَى صَاحِيًا أَوْ يُجْذَبُ، إِمَّا أَنْ يَبْقَى صَاحِيًا أَوْ يُجْذَبَ».

جَعْفَرٌ الطَّيَّارُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «جَعْفَرٌ الطَّيَّارُ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ سُمِّي بالطَّيَّارِ لأنَّهُ بعدما قُتِلَ في معركةٍ تُسمَّى «غزوةَ مُؤْتَةَ» جاءَ جعفرٌ مع جبريلَ وميكائيلَ إلى النّبِيِّ فسلَّمُوا عليهِ فرَدَّ عليهِمُ السلامَ وكانَتْ زوجةُ جعفرٍ بالقربِ من رسولِ اللَّهِ فقال لَهَا رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَسْمَاءُ، هَذَا جَعْفَرٌ مَعَ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ سَلَّمُوا عَلَيَّ، فَرَدَدْتُ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أُصِيبَ فِي مُقَدَّمِ جَسَدِهِ بِسَبْعِينَ إِصَابَةً أَوْ سَبْعِينَ وَنَيِّفٍ وأَنَّهُ قُطِعَتْ يَدُهُ الْيُمْنَى ثُمَّ يَدُهُ الْيُسْرَى فَلَمَّا قُطِعَتْ يَدَاهُ عَوَّضَهُمَا اللَّهُ عَلَيْهِ بِجَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ**». هَذَا إِخبارُ رسولِ اللَّهِ كانَ بِوحْيٍ مِنَ اللَّهِ قبلَ أَنْ يأتيَهُ الخبَرُ عن الجيشِ ثُم جاءَ الخبرُ عن الجيشِ بِما يوافِقُ ما قالَهُ رَسولُ اللَّهِ أنَّه قُطِعَتْ يَدُهُ اليُمْنَى فَحَمَلَ الرَّايَةَ بيدِهِ اليسرى ثم قُطِعَتْ يَدُهُ الْيُسْرَى، فأخذَهَا زيدُ ابْنُ حارِثَةَ ثُمَّ قُتلَ فأخذَها عبدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ».

صَاحِبُ سِرِّ رسولِ اللَّهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عنهُم كانُوا يَشتَغِلُونَ بأمورِ الإِيمَانِ، كَانَ عندَهُم أَهمُّ الأُمُورِ أنْ يعرِفُوا تَوحِيدَ اللَّهِ تَعالى كمَا يَجِبُ وَسَائرَ أُصُولِ الْعَقِيدَةِ قَبْلَ أَنْ يَحْفَظُوا الْقُرْءَانَ. قَالَ حُذَيفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ: «نَحْنُ قومٌ أُوتِينَا الْإِيمَانَ قبلَ الْقُرْءَانِ وَإِنَّكُمْ أُوتِيتُمُ الْقُرْءَانَ قبلَ الْإِيمانِ»».

جَمْعِيَّةُ الْمَشَارِيعِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «نَحْنُ فِئَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا نَتَّبِعُ مَنْهَجًا جَدِيدًا وَلَا فِكْرَةً مُسْتَحْدَثَةً مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً، وَلَا فِكْرَةً مُسْتَحْدَثَةً مُنْذُ مِائَتَيْ سَنَةٍ، وَلَا فِكْرَةً مُسْتَحْدَثَةً مُنْذُ سِتِّمِائَةِ سَنَةٍ، وَهذِه الأَفْكَارُ: الأُولَى لِسيّد قُطْب وَتَقِيّ الدِّينِ النَّبَهَانِيِّ، وَالثَّانِيَةُ لِمحمّدِ ابنِ عبدِ الوهَّابِ، وَالثَّالِثَةُ لابْنِ تَيْمِيَةَ ومِنْهَا أخَذَ ابنُ عبدِ الوهَّابِ بَعْضَ أفْكَارِه.

إِنَّمَا نَحْنُ عَلَى الْمَنْهَجِ الَّذِي يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ مِئَاتُ الْمَلَايِينِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَشْعَرِيَّةٌ شَافِعِيَّةٌ. أَشْعَرِيَّةٌ مِنْ حَيْثُ العَقِيدَة، وَهِيَ عقِيدَة مِئَاتِ الْمَلَايِينِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَمِنْ حَيْثُ الأَحْكَامُ العَمَلِيّةُ نَحْنُ شَافِعِيَّةٌ. والإِمَامُ الأَشْعَرِيُّ هُوَ إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّذِي لَخَّصَ عَقِيدَةَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، كَانَ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهِجْرِيِّ، وَتُوُفِّيَ فِي أَوَائِلِ الْقَرْنِ الرَّابعِ، لَمْ يَأْتِ إِلَّا بِإِيرَادِ الأَدِلَّةِ العَقْلِيّةِ وَالنَّقْلِيَّة. وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيّ مَضَى عَلَيْهِ أَلْفٌ وَمِائَتَا سَنَةٍ.

وَلَا نَسْتَحِلُّ اغْتِيَالَ رِجَالِ الحُكومَاتِ لأَجْلِ أَنَّهُمْ يَحْكُمُونَ بِالقَانُونِ، نَحْنُ بَرِيئُونَ مِنْ هذِه الفِئَةِ.

وَأَمَّا مَسْأَلَةُ بَيَانِ الْمُكَفِّرَاتِ فِي الأَلْفَاظِ الكُفْرِيَّةِ، نَحْنُ لَا نَحْمِلُ مَذْهَبًا جَدِيدًا إِنَّمَا اتَّبَعْنَا فِي ذلِكَ أَئِمَّةً مِنَ الْمَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ كَمَا يَقُولُ الحَافِظُ مُرْتَضَى الزَّبِيدِيُّ فِي شَرْحِ إِحْيَاءِ علومِ الدِّينِ: «**فَقَدْ أَلَّفَ أَئِمَّةٌ مِنَ الْمَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ فِي بَيَانِ الأَلْفَاظِ الكُفْرِيَّةِ**».

وَلَسْنَا مُسَخَّرِينَ لِدَوْلَةٍ مِنَ الدُّوَلِ مِنْ أَجْلِ الإِمْدَادِ الْمَالِيّ وَاللهُ أَعْلَمُ، وَمَنْ نَسَبَ إِلَيْنَا غَيْرَ ذلِكَ فَاللهُ حَسِيبُهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «وَاكِبُوا المشاريعَ فِي مَشَارِيعِهَا، قدْ تَحصُلُ لَكُم فَوَائِدُ حِسِّيَّةٌ ومَعنويةٌ، فقدْ حَصَلَ لأَحَدِ جَمَاعَتِنَا أَنَّهُ اجتَمَعَ بالسَّيّدِ أَحمَدَ الرِّفَاعِيّ يَقَظَةً».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ سَاعَدَ هَذِهِ الجَمْعِيَّةَ [الْمَشَارِيعَ] بِمَالِهِ أَوْ بَدَنِهِ فطُوبَى لَهُ، فَطُوبَى لَهُ، ثُمَّ طُوبَى لَهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «جَمْعِيَّتُنَا أُقِيمَتْ لِمُكَافَحَةِ الإِلْحَادِ، وَنَشْرِ ضَرُورِيَّاتِ عِلْمِ الدِّينِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «ظُهُورُ جَمَاعَتِنَا انْتِصَارٌ لِلدِّينِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَنْتُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ البَيْضَاءِ فَالْمَطْلُوبُ الاِسْتِمْرَارُ بِالْجِدِّ فِي ذَلِكَ. نَحْنُ فِي زَمَنٍ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهِ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرُ خَمْسِينَ، قَالُوا: مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ، قَالَ: مِنْكُمْ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَهْمَا حَاوَلَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يُضَيِّعُوا الجَمْعِيَّةَ اللهُ لا يُضَيِّعُ جَمْعِيَّتَنَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْجَمْعِيَّةُ الْيَوْمَ تَقُومُ بِأَهَمِّ أَمْرَيْنِ: صِيَانَةِ أَصْلِ الدِّينِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالَّذِي مِنْ جُمْلَتِهِ التَّحْذِيرُ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ، الَّذِي يَقُومُ بِهَذَا الْيَوْمَ لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «نَحْنُ جَمَاعَةٌ مِنَ أَهْلِ السُّنَّةِ نَتَّبِعُ مَنْ قَبْلَنَا مِنَ السَّلَفِ وَالخَلَفِ، نَحْنُ مَعَ مِئَاتِ الملايينِ مِنَ المسْلِمِينَ، مِئَاتُ الملايينِ مِنَ المسْلِمِينَ يَنْتَسِبُونَ إِلَى الإِمَامِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِي، وَنَحْنُ فِي الفِقْهِ نَنْتَسِبُ إِلَى الإِمَامِ الشَّافِعِيّ، لَيْسَ عِنْدَنَا أَفْكَارٌ جَدِيدَةٌ نَدْعُو إِلَيْهَا النَّاسَ، مَنْ عَرَفَنَا فَقَدْ عَرَفَنَا، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنَا فَلْيَعْرِفْنَا مِنَ الآنَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اُتْرُكُوا كُلَّ أَسْبَابِ إِضْعَافِ سَعْيِ الْجَمْعِيَّةِ مِنْ غِيبَةٍ وَنَمِيمَةٍ وَسُوءِ ظَنٍّ وَقِيلٍ وَقَالٍ. وَأَدْعُوكُمْ إِلَى الِالْتِفَافِ حَوْلَ مَجَالِسِ الْعِلْمِ وَتَكْثِيرِ سَوَادِ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْالْتِزَامِ بِالصُّفُوفِ فَإِنَّ قُوَّةَ الْجَمْعِيَّةِ بِقُوَّةِ طُلَّابِ صُفُوفِهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ جَمْعِيَّتَنَا هِيَ أَفْضَلُ جَمْعِيَّةٍ مَوْجُودَةٍ الْيَوْمَ بَيْنَ كُلِّ الْجَمَاعَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي السَّاحَةِ، وَالْأَعْمَالُ الَّتِي تَقُومُ بِهَا الْجَمْعِيَّةُ لَا أَحَدَ بَيْنَ الْجَمَاعَاتِ يَقُومُ بِمِثْلِهَا، فَالْمَطْلُوبُ مِنْ كُلِّ شَخْصٍ عِنْدَهُ طَاقَةٌ فِي مَجَالٍ مِنَ الْمَجَالَاتِ أَنْ يُقَدِّمَهَا لِلْجَمْعِيَّةِ بِمَا فِيهِ مَصْلَحَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْعُمُومِ فِي أَيِّ مَجَالٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْدُمَ لِلْمُسْلِمِينَ لِأَنَّ هَذِهِ الْجَمْعِيَّةَ بُنِيَتْ عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ وَعَمَلُهَا عَلَى هَذَا الْخَطِّ.

فَإِيَّاكُمْ وَالْكَسَلَ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ مِنْ جُمْلَةِ دُعَائِهِ: «**وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ**» وَالْمُرَادُ بِالْعَجْزِ ضَعْفُ الْهِمَّةِ فِي أَمْرِ الدِّينِ، فَهَذَانِ يُؤَخِّرَانِ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى الْمَعَالِي.

فَيَلْزَمُكُمْ أَنْ تَصْبِرُوا وَتَدُومُوا عَلَى مَا يُرْضِي اللهَ مِنَ الْعَمَلِ نَحْوَ الدَّعْوَةِ إِلَى دِينِ اللهِ وَمُكَافَحَةِ الْمُنْكَرِ الَّذِي هُوَ مِنْ نَوْعِ الْكُفْرِ وَلَا يَخْفَى عَلَيْكُم أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ جَاهِلُونَ بِأُصُولِ الْعَقِيدَةِ يَتَخَبَّطُونَ بِالْجَهَالَاتِ الَّتِي هِيَ مُهْلِكَاتٌ فَإِذَا لَمْ تَجِدُّوا كَيْفَ تَكُونُ مُكَافَحَتُكُمْ لِهَذِهِ الضَّلَالَاتِ.

فَالصَّحَابَةُ كَانُوا يُكَابِدُونَ الْمَشَاقَّ مَشَاقَّ الْأَسْفَارِ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ لِنَشْرِ دِينِ اللهِ فَفَلَاحُ مَنْ بَعْدَهُمْ بِالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ حَالُ هَذِهِ الْجَمْعِيَّةِ وَالْعَمَلِ فِيهَا فَمَاذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَالُ الْعَامِلِينَ فِيهَا وَهُمْ أَنْتُمْ، وَمَاذَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَعَدَمُ الْخَوْضِ فِيهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْجَمْعِيَّةُ حِصْنٌ يَلْتَجِئُ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ فَسَادِ الْعَقِيدَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «هذِه الجَمْعِيَّةُ هِيَ الحِصْنُ الَّذِي يَحْتَمِي إِلَيْهِ مَنْ يُرِيدُ الْبَقَاءَ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «هذِه الجَمْعِيّةُ حِصْنٌ يُحْتَمَى بِهَا مِنْ عَقَائِدِ الضّالِّينَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «نَحنُ ما أَتَينَا بدينٍ جديدٍ، نَحنُ وَالحَمْدُ للهِ عَلَى الخَطِّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَمَن تَبِعَهُم إلى يَومِنَا هَذَا مِنْ عُلَمَاءِ الإِسلاَمِ ما فَتَحنَا للنَّاسِ خَطًّا جَدِيدًا يَعلَمُ ذَلِكَ مَنْ يَعلَمُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَوْجِيهَاتُ الجَمْعِيَّةِ تَوْجِيهَاتِي».

وَقَالَ رضي الله عنه:

«يَقُولُ عَبْدُ اللهِ هُوَّ الْهَرَرِيّ ... الأَشْعَرِيُّ الشَّافِعِيُّ الْعَبْدَرِي

الأَمْرُ بِالْوَاجِبِ وَاجِبٌ عَلَى ... مَنْ ظَنَّ تَأْثِيرًا وَإِلَّا قُلْ فَلَا

وَمِثْلُهُ النَّهْيُ عَنِ الْحَرَامِ ... قَدْ نَقَلَ الإِجْمَاعَ فِي الْمَقَامِ

مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْبِصْرِيُّ ... وَمِثْلُهُ الْجَمَالُ الإِسْنَوِيُّ

الْبَيْهَقِيُّ أَشْعَرِيُّ الْمُعْتَقَدْ ... وَابْنُ عَسَاكِرَ الإِمَامُ الْمُعْتَمَدْ

قَدْ كَانَ أَفْضَلَ الْمُحَدِّثِينَا ... فِي عَصْرِهِ بِالشَّامِ أَجْمَعِينَا

كَذلِكَ الْغَازِي صَلَاحُ الدِّينِ ... مَنْ كَسَرَ الكُفَّارَ أَهْلَ الْمَيْنِ

جُمْهُورُ هذِي الأُمَّةِ الْأَشَاعِرَةْ ... حُجَجُهُمْ قَوِيَّةٌ وَسَافِرَةْ

أَئِمَّةٌ أَكَابِرٌ أَخْيَارُ ... لَمْ يُحْصِهِمْ بِعَدَدٍ دَيَّارُ

قُولُوا لِمَنْ يَذُمُّ الاشْعَرِيَّةْ ... نِحْلَتُكُمْ بَاطِلَةٌ رَدِيَّةْ

وَالْمَاتُرِيدِيَّةُ مَعْهُمْ فِي الأُصُولْ ... وَإِنَّمَا الْخِلَافُ فِي بَعْضِ الفُصُولْ

كَـــالْخُلْفِ مِـــنْ عَائِشَـــةٍ لِلْحَـــبْرِ لِرُؤْيَـــــةِ النَّـــــبِيِّ رَبَّ الفَجْـــــرِ

لَيْلَـــــةَ مِعْـــرَاجِ النَّـــبِيِّ الطَّـــاهِرِ الصَّـــــادِقِ الْمَصْـــــدُوقِ بِالأَوَامِـــــرِ

فَهَـــــؤُلَاءِ الْفِرْقَـــــةُ النَّاجِيَـــــةُ عُمْـــــدَتُهُم أَلسُّـــــنَّةُ الْمَاضِـــــيَةُ

قَـــدْ جَمَعُـــوا الإِثْبَـــاتَ وَالتَّنْزِيهَـــا وَنَفَـــــوُا التَّعْطِيـــــلَ وَالتَّشْـــــبِيهَا

فَالأَشْـــــعَرِيُّ مَاتُرِيـــــدِيْ أَشْـــــعَرِيُّ الْمَاتُرِيـــــدِيُّ وَقُـــــلْ لَا تُبَـــــلْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْيَوْمَ هذهِ الجَمعيَّةُ هِيَ تُكافِحُ الضَّلَالَاتِ، ضَلَالَةَ الوَهَّابِيَّةِ، ضَلَالَةَ حِزبِ الإِخْوَانِ، ضَلَالَةَ حِزْبِ التَّحْرِيرِ، وَضَلَالَاتٍ أُخْرَى. هِيَ القَائِمَةُ اليومَ بِإِحْيَاءِ علمِ أَهْلِ السُّنَّةِ، العَقِيدَةِ الأَشْعَرِيَّةِ الْمَاتُرِيدِيَّةِ، وَتُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَلْفَاظَ الكُفرِ وَمَا هُوَ الكُفْرُ الاعتِقَادِيُّ وَمَا هُو الكُفرُ الفِعْلِيُّ، هذَا أَهَمُّ الْمُهِمَّاتِ اليَوْمَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «هذهِ الجَمْعيَّةُ هِيَ اليومَ الفِئَةُ الَّتِي تُقاوِمُ العَقَائِدَ الفَاسِدَةَ والأَحْكَامَ الفاسِدَةَ. هذِهِ سُورْيَا مَعرُوفَةٌ بِأَنَّهَا بلَدُ علمِ الدِّينِ فِي الْمَاضِي، اليومَ هذَا هو حَالُهَا، وَفِي مِصر هكذَا الْحَالُ، نَحنُ فِي هذَا العصرِ جَمْعِيَّتُنَا . الْحَمْدُ لله . الصَّغِيرُ منَّا يُنْكِرُ الكفرَ، يَقُولُ لِمَنْ يكْفُرُ كَفَرْتَ تَشَهَّدْ. مُساعَدَةُ هذهِ الجَمعِيَّةِ عَلَى أَعْمَالِهَا الَّتِي تَقُومُ بِهَا مِنْ نَشْرِ الدِّينِ وَمُكَافَحَةِ الكُفْرِ نَشْرِ عقيدَةِ أَهلِ السُّنَّةِ مِنْ أَفْرَضِ الفُرُوضِ، لأَنَّ هذِهِ الجَمْعِيَّةَ لَيْسَ وَرَاءَهَا مَلِكٌ يُسَاعِدُهَا وَلَا الأَغْنِيَاءُ يُساعِدُونَهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الطَّرِيقُ فِي مُكافَحَةِ ضلَالَاتِ هؤلَاءِ الفرَقِ الثَّلَاثِ[1] بِنَشْرِ عقيدَةِ أهلِ السُّنَّةِ يَحْتَاجُ إِلَى الرِّفْقِ واسْتِعْمَالِ طرِيقِ الْحِكْمَةِ، وذلِكَ بِأَنْ يَذكُرَ كلُّ واحِدٍ مِن جَماعَتِنَا دعْوَتَنَا، أَنْ يُبَيِّنَ دَعْوَتَنَا أَنَّهَا دعوةٌ إِلَى مَا كانَ عليه أصحابُ رسولِ اللهِ ومَنْ تَبِعَهُمْ إِلَى هذَا العَصْرِ، لَيْسَتْ دَعْوَةً جَدِيدَةً كَمَا يَتَصَوَّرُ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ. لأَنَّ أعدَاءَنَا

---

[1] الوهابية وحزب الإخوان وحزب التحرير.

يُوهِمُونَهُمْ ذَلِكَ، يُوهِمُونَهُمْ أَنَّنَا أَتَيْنَا بدَعْوَةٍ جَدِيدَةٍ، نَحْنُ لَا نَدْعُو إِلَى عقيدَةٍ جَدِيدَةٍ وَإِلَى مَذْهَبٍ جَدِيدٍ، إِنَّمَا نَدْعُو إِلَى مَا كانَ عليه الْمُسلِمُونَ قَبْلَنَا، فَيَذْكُرُ لِمَن لَمْ يفهَمْ أمْرَنا أنَّ هذِه طريقَتُنَا وهذِهِ دَعْوَتُنَا، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ أنَّ أعداءَنا الَّذِينَ يُحَذِّرُونَ مِنَّا لَمَّا عجَزُوا عَنْ مُقَاوَمَتِنَا بِالأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ لَجَؤُوا إِلَى الافْتِرَاءَاتِ والأَكَاذِيبِ. عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنَّا أن يُبَيِّنَ ذلِكَ. مَثَلًا تَذكُرُونَ لَهُمْ أَنَّ العقيدَةَ الَّتِي نَحْنُ نَدْعُو إِلَيْهَا كانَ علمَاءُ هذهِ البلَادِ علَيْهَا، فَهُنَاكَ الشيخُ عبْدُ البَاسِطِ الفَاخُورِيُّ مُفْتِي لُبْنَانَ الْأَسْبَقُ ذَكَرَ بِكِتَابِهِ ذلِكَ، والشيْخُ أبو الْمَحَاسِنِ القَاوُقْجِيُّ الطَّرَابُلُسِيُّ لَهُ تأليفٌ يَذكُرُ فِيهِ مَا نَحْنُ نُعَلِّمُهُ لِلنَّاسِ، وكذلِكَ الشيخُ وَهيب البارُودِيُّ، هؤلَاءِ الثَّلَاثَةُ كانُوا مِنْ أبرزِ العُلماءِ فِي لُبْنَانَ. وَالدَّلِيلُ علَى أنَّ أعْدَاءَنا لَجَؤُوا إِلَى الافتِرَاءَاتِ لأَنَّهُمْ لَيْسَ عندَهُمْ أدِلَّةٌ شَرْعِيَّةٌ لِيُثْبِتُوا أنَّ مَا نَحْنُ عليه بَاطِلٌ، أنَّ جَمَاعَتَنَا طَلَبُوا فِي لُبنانَ وفِي غيرِ لبنانَ هؤلَاءِ الْمُخَالِفِينَ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ علَيْنَا لِلمُنَاظَرَةِ فَتَهَرَّبُوا. هذَا سَعيدٌ البُوطِيُّ الَّذِي هُوَ اليومَ مُدرِّسُ العقيدَةِ فِي جامعَةِ دِمَشْقَ طَلَبَهُ جَمِيل حَلِيم للمناظَرَةِ قَالَ أَنَا أُنَاظِرُ شَيْخَكُمْ، وهكَذَا القَرَضَاوِيُّ طَلَبَهُ جَمِيل حَلِيم فَقَالَ تلَامِيذُ تلَاميذِي يُنَاظِرُونَكُمْ، هذَا أَمْرٌ ظَاهِرٌ لِلْعِيَانِ. وَالشَّيخُ أَحْمَدُ بْنُ الشيخِ مُحمّد نور سَيْف الْمَكِّيُّ الْمُقِيمُ حَالًا فِي دُبَيْ قَالَ: هؤُلَاءِ لَا يَخَافُونَ إِلَّا مِنْ جَمَاعَتِكُمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «هؤلَاءِ مَا عِنْدَهُم تَمْيِيزٌ، يَدَّعُونَ العِلْمَ وَيَخُوضُونَ فِيمَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ، هؤلَاءِ كُلُّهُمْ جُهَّالٌ، وَالوَهَّابِيَّةُ مَا عِنْدَهُمْ عُلَمَاءُ، لَا يَسْكُتُونَ عَنَّا لأَنَّنَا لَا نَسْكُتُ لَهُمْ، لَوْ سَكَتْنَا كَانُوا سَكَتُوا عَنَّا».

وَقَالَ: «فَاحْذَرُوا هؤلَاءِ الدَّجَّالِينَ، أَكْثَرُهُمْ يَحْمِلُونَ اسْمَ الدُّكْتُورَاه مثلُ هذَا البُوطِيِّ الَّذِي تَخَرَّجَ مِنْ مِصْرَ، كذلِكَ هذَا عُثْمَان صَافِي الَّذِي مِنْ أَبِي سَمْرَاء مِنَ الأَزْهَرِ تَخَرَّجَ وَيَحْمِلُ عَقِيدَةً كُفْرِيَّةً، كأَنَّهُمْ مَا دَرَسُوا علمَ الدِّينِ يُقَلِّبُونَ الكلَامَ تَقْلِيبًا فَيَظُنُّهُمْ مَنْ لَا يَعْرِفُ حَقِيقَتَهُمْ عُلَمَاءَ فُقَهَاءَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يَكْذِبُ عَلَى جَمْعِيَّتِنَا إِنْ سُكِتَ لَهُ يَحصُل ضَرَرٌ كَبِيرٌ، لأنَّ هذَا الافْتِرَاءَ قَدْ يُنَفِّرُ بَعْضَ النَّاسِ مِنَ الِانْدِمَاجِ مَعَ الجَمْعِيَّةِ فيذْهَبُ هذَا الشخصُ إِلَى فِرْقَةٍ مِنْ فِرَقِ الضَّلَالِ فَيُعَلِّمُونَهُ الكُفْرَ، لذَلِكَ فِي مثلِ هذَا لَا يُسْكَتُ. الَّذِي يَطْعَنُ فِي الجَمعِيَّةِ يُقَالُ لَهُ: كَذَبْتَ. الجَمْعِيَّةُ بَرِيئَةٌ مِنْ مِثلِ هَذَا. دَفْعُ الأَكَاذِيبِ عَنِ الجَمْعِيَّةِ مِنْ أَفْرَضِ الفُرُوضِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الِانْتِسَابُ إِلَى جَمْعِيَّتِنَا شَرَفٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مُسَاعَدَةُ جَمَاعَتِنَا بِكُلِّ مَا يُمْكِنُ أَمْرٌ عَظِيمٌ، الشَّخْصُ بِنَفْسِهِ إِذَا كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسَاعِدَ بِمَالِهِ، بِنَفْسِهِ بِبَدَنِهِ يُسَاعِدُ، وَالَّذِي لَهُ مَالٌ بِبَدَنِهِ وَمَالِهِ يُسَاعِدُ، إِن لم تَفْعَلُوا هذَا فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُؤَاخَذُونَ فِي الآخِرَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي قَلْبُهُ أَعْمَى لا يَعْرِفُ لِجَمَاعَتِنَا مَزِيَّتَهُمْ، أَمَّا الَّذِي فَتَحَ اللهُ قَلْبَهُ فَيَعْرِفُ لَهُمْ مَزِيَّتَهُم».

أَبُو حَنِيفَةَ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ يَذْهَبُ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى البَصْرَةِ هَذِهِ المسَافَةَ الطَّوِيلَةَ. لَعَلَّهُ كَانَ يَمْشِي مَشْيًا أَوْ يَرْكَبُ عَلَى الدَّابَّةِ تَحْتَ حَرِّ الشَّمْسِ. أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً ذَهَبَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى البَصْرَةِ لِيُحَارِبَ الَّذِينَ يَدَّعُونَ الإِسْلامَ وَهُمْ مُنْحَرِفُونَ. وَكَذَلِكَ بَعْضُ الملاحِدَةِ الَّذِينَ يُثِيرُونَ شُبُهَاتٍ لأَجْلِ هَذَا لِيُقِيمَ الدَّلِيلَ الشَّرْعِيَّ وَالدَّلِيلَ العَقْلِيَّ لِيَكْسِرَهُمْ».

السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الدَّائِمِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «عَصْرُنَا هَذَا صَارَ فَقِيرًا، فَقِيرًا مِنَ العِلْمِ، فَقِيرٌ هَذَا العَصْرُ، قَبْلَ مِائَةِ سَنَةٍ كَانَ يُوجَدُ فُقَهَاءُ مِنَ الرِّجَالِ وَفَقِيهَاتٌ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَبْلَ مِائَتَيْ سَنَةٍ كَانَتْ فِي مَكَّةَ شَيْخَةٌ يُقَالُ لَهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الدَّائِمِ أَصْلُهَا مِنَ العِرَاقِ، تَعَلَّمَتِ العِلْمَ فِي بَلَدِهَا ثُمَّ جَاءَتْ إِلَى الحَجِّ حَجَّتْ وَزَارَتْ فَنَوَتْ أَنْ تُقِيمَ بِمَكَّةَ فَأَقَامَتْ بِمَكَّةَ مُدَّةً وَاسِعَةً ثُمَّ عَمِيَتْ سَنَتَيْنِ، ذَاتَ لَيْلَةٍ خَادِمَتُهَا ذَهَبَتْ إِلَى بَيْتِ أَهْلِهَا اسْتَأْذَنَتْهَا، ثُمَّ هِيَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ كَعَادَتِهَا قَامَتْ لِقِيَامِ اللَّيْلِ فَتَزَحْلَقَتْ عَلَى الدَّرَجِ فَانْكَسَرَ ضِلَعَانِ مِنْ أَضْلاعِهَا ثُمَّ صَلَّتْ مَعَ تَحَمُّلِ الأَلَمِ الشَّدِيدِ صَلَّتْ قِيَامَ اللَّيْلِ ثُمَّ غَفَتْ فَرَأَتِ الرَّسُولَ وَسَيِّدَنَا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ قَادِمِينَ مِنَ الكَعْبَةِ وَبَيْتُهَا يُوَاجِهُ الكَعْبَةَ فَقَالَ لَهَا الرَّسُولُ بَعْدَ أَنْ بَصَقَ فِي طَرَفِ رِدَائِهِ: امْسَحِي بِهِ عَيْنَيْكِ، فَمَسَحَتْ عَيْنَيْهَا وَوَضَعَتْهَا عَلَى مَحَلِ الْكَسْرِ فَأَبْصَرَتْ فِي الحَالِ، ثُمَّ لَمَّا جَاءَتْ خَادِمَتُهَا رَأَتْهَا مُبْصِرَةً فَقَصَّتِ الشَّيْخَةُ عَلَيْهَا القِصَّةَ، ثُمَّ انْتَشَرَ خَبَرُهَا فِي مَكَّةَ وَفِي [نَوَاحٍ] بَعِيدَةٍ.

هَذِهِ فَاطِمَةُ وَلِيَّةٌ، كَثِيرٌ مِنَ النِّسَاءِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ اسْتَفَدْنَ مِنْهَا بِالزُّهْدِ وَالتَّقْوَى وَهِيَ حَنْبَلِيَّةٌ، قَالَتْ: إِنَّ الرَّسُولَ قَالَ لِي هَذَانِ الشَّيْخَانِ مِنْ عُلَمَاءِ مَكَّةَ هَذَانِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فِي زَمَانِهِمَا وَأَرَاهَا شَيْخَيْنِ ءَاخَرَيْنِ وَقَالَ لَهَا: هَذَانِ فَاسِقَانِ، ثُمَّ لَمَّا قَصَّتْ عَلَى ذَيْنِكَ العَالِمَيْنِ الطَّيِّبَيْنِ قَالا لَهَا مَا دُمْنَا فِي الحَيَاةِ أَخْفِي الخَبَرَ، يَخَافُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمُ الفِتْنَةَ وَالرِّيَاءَ، أَوْلِيَاءُ اللهِ يَخَافُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنْ يَقَعُوا فِي الفِتْنَةِ».

الشَّيْخُ أَحْمَدُ البَدَوِيُّ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الشَّيْخُ أَحْمَدُ البَدَوِيُّ عَالِمٌ زَاهِدٌ جَاءَ مِنَ المَغْرِبِ فَسَكَنَ فِي مَكَّةَ وَهُوَ عَالِمٌ يَتْلُو القُرْءَانَ بِالقِرَاءَاتِ السَّبْعَةِ. ثُمَّ سَكَنَ مِصْرَ، أَهْلُ مِصْرَ عَرَفُوا قَدْرَهُ وَكَانُوا يَتَبَرَّكُونَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ، أَشْهَرُ وَلِيّ فِي مِصْرَ، وَهُوَ عَالِمٌ

زَاهِدٌ مَا تَزَوَّجَ، قَالَ: أَتَزَوَّجُ مِنَ الحُورِ العِينِ. لَوْ أَرَادَ الزَّوَاجَ لَكَانَ أَهْلُ مِصْرَ يُزَوِّجُونَهُ مِنْ أَرْبَعَةٍ فِي ءانٍ وَاحِدٍ.

هَذَا أَحْمَدُ البَدَوِيُّ لَهُ كَرَامَةٌ عَظِيمَةٌ، أُنَاسٌ مِنَ المجَاهِدِينَ المسْلِمِينَ أَخَذَهُمُ الكُفَّارُ إِلَى أَورُوبَّا أَسْرَى، اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعْطَاهُ قُوَّةً مَعْنَوِيَّةً جَرَّ أُوْلَئِكَ الأَسْرَى رَدَّهُمْ إِلَى بَلَدِهِمْ مِنْ أَورُوبَّا إِلَى مِصْرَ بِطَرِيقِ الكَرَامَةِ، رَدَّهُمْ، هَذَا شَىءٌ قَلِيلٌ مِنْ كَرَامَاتِهِ».

الشَّيْخُ سَلِيمٌ البِشْرِيُّ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الشيخُ سليمٌ البشريُّ شيخُ الجامعِ الأزهرِ قالَ ما نصُّهُ: «اعلمْ أيّدَك اللَّهُ بتوفيقِهِ وسَلَكَ بِكَ وبنَا سواءَ طريقِه أَنَّ مَذهبَ الفرقةِ الناجيةِ وما عليهِ أَجْمَعَ السُّنِّيُّونَ أنَّ اللَّهَ مُنزّهٌ عن مُشابَهَةِ الحوادثِ، مُخَالِفٌ لَهَا في جَميعِ سِماتِ الحُدوثِ، ومن ذلكَ تنزّهُهُ عن الجهةِ والمكانِ كمَا دلَّتْ على ذلكَ البراهينُ القَطعيةُ»».

الشَّيْخُ نِزَارٌ الحَلَبِيُّ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الشَّيْخُ نِزَارٌ واحِدٌ كَأَلْفٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كَثِيرٌ مِنَ النِّعَمِ لَا يُعْرَفُ قَدْرُهَا إِلَّا بَعْدَ فَقْدِهَا، وَالشَّيْخُ نِزَارٌ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيْكُمْ».

الشَّيْخُ حُسَامُ الدِّينِ قَرَاقِيرَة:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «عَقْلُهُ نَيِّرٌ، ثِقَةٌ عَدْلٌ، مِنْ أَهْلِ الفَهْمِ وَالْمَشُورَةِ».

وقَالَ رضي الله عنه: «أَنَا عَرَفْتُ الشَّيْخَ حُسَامًا زَاهِدًا قَبْلَ أَنْ أُوَلِّيَهُ رِئَاسَةَ الْجَمْعِيَّةِ وَهُوَ الآنَ كَمَا عَرَفْنَاهُ زَاهِدًا».

وقَالَ رضي الله عنه: «لَا يُوجَدُ بَيْنَ جَمَاعَتِنَا مَنْ هُوَ أَوْلَى بِعَمَلِ رِئَاسَةِ الْجَمْعِيَّةِ مِنْهُ».

مَدِينَةُ حِمْصَ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «حِمْصُ مَدِينَةُ العِلْمِ كَانَتْ، اليَوْمَ شِبْهُ خَالِيَةٍ. قَبْلَ نَحْوِ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي حِمْصَ الوَاحِدُ مِنْ أَهْلِ البَلَدِ إِذَا لَقِيَ غَرِيبًا فِي الطَّرِيقِ يَبَشُّ فِي وَجْهِهِ وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَيَسْأَلُهُ: مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ وَمَا اسْمُكَ؟ ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي هَذَا، وَيَدُهُ بِيَدِ هَذَا الغَرِيبِ. هَكَذَا كَانُوا أَهْلُ حِمْصَ. أَمَّا بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ حِزْبُ الإِخْوَانِ صَارَ الأَخُ يَخَافُ مِنْ أَخِيهِ وَالجَارُ يَخَافُ مِنْ جَارِهِ مِنْ كَثْرَةِ مَا أَحْدَثُوا مِنَ الفِتَنِ وَالبَلَابِلِ. هَذَا الحِزْبُ، نَعُوذُ بِاللهِ مَاذَا أَحْدَثَ مِنَ الشَّرِّ فِي الْمُسْلِمِينَ، شَرٌّ كَبِيرٌ. الشَّخْصُ يَخَافُ مِمَّنْ يَلْقَاهُ يَقُولُ لَعَلَّهُ مِنْ أُولَئِكَ، تَنَافَرَتِ القُلُوبُ بِسَبَبِهِمْ. فِي كُلِّ الدُّنْيَا صَارَ هَكَذَا فِي كُلِّ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَغْرِبِ وَفِي مِصْرَ صَارَ الأَخُ يَخَافُ مِنْ جَارِهِ لِأَنَّ العَقَائِدَ اخْتَلَفَتْ [هَذَا يَعْتَقِدُ عَقِيدَةَ] هؤلاء، وَهَذَا يَعْتَقِدُ عَقِيدَةَ هَؤُلَاء. القُلُوبُ صَارَتْ مُتَنَافِرَةً فَإِنْ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَا ذَنْبُنَا وَنَحْنُ نَسْمَعُ مِن هَؤُلَاء، ذَنْبُهُم أَنَّهُمْ يَجْلِسُونَ إِلَى مَنْ لَا يَعرِفُونَ أَنَّه ثِقَةٌ لِمُجَرَّدِ أَنَّهُ يَظْهَرُ بِمَظْهَرِ الْمَشَايِخِ، يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ لِيَسْأَلُوا، لِمُجَرَّدِ الْمَظْهَرِ لَا يَكْفِي، لِأُمُورِ الدُّنْيَا يَحْتَاطُونَ».

جَبَلُ الطَّائِفِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «جَبَلُ الطَّائِفِ الَّذِي هُوَ بِقُرْبِ مَكَّةَ، جِبْرِيلُ قَلَعَهُ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ إِلَى قُرْبِ مَكَّةَ حَطَّهُ هُنَاكَ؛ مَكَّةُ حَارَّةٌ صَيْفًا وَشِتَاءً وَمَا فِيهَا ثِمَارٌ. إِبرَاهِيمُ دَعَا أَنْ يُرْزَقَ أَهْلُ الحِجَازِ الثِّمَارَ، هَذَا الجَبَلُ فِيهِ رُمَّانٌ مِنْ أَحْسَنِ الرُّمَّانِ وَبِرْد في الشِّتَاءِ يَلْبَسُونَ، فِي الصَّيْفِ يَلْبَسُونَ ثِيَابًا كَثِيفَةً كَبَعْضِ جِبَالِ لُبْنَانَ، هُنَاكَ [يَصْطَافُ] أَهْلُ مَكَّةَ الأَغْنِيَاءُ. لَكِنِ الرَّسُولُ مَا ذَهَبَ لِلِاصْطِيَافِ، يَصْبِرُ عَلَى حَرِّ الْمَدِينَةِ وَبَرْدِهَا».

الحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ مَحَبَّةِ المَالِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ بَعْضُ التَّابِعِينَ مِنَ السَّلَفِ: «**إِذَا رَأَيْتَ العَالِمَ يُحِبُّ الْمَالَ فَاتَّهِمْهُ عَلَى دِينِكَ**» مَعْنَاهُ خَفْ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ مِنْهُ، لَا تَأْمَنْهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْمَحَبَّةُ الَّتِيْ تَجُرُّ إِلَى الغَوَايَةِ لَيْسَ مُطْلَقَ الْمَحَبَّةِ. مَحَبَّةُ الْمَالِ لِصَرْفِهِ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ أَوْ لِسَدِّ حَاجَاتِ أَهْلِهِ بِنِيَّةٍ حَسَنَةٍ لَيْسَ مَذْمُومًا وَلَا بَأْسَ بِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ: «**يَا صَفْرَاءُ وَيَا بَيْضَاءُ غُرِّي غَيْرِي**» معناه يَا ذَهَبُ وَيَا فِضَّةُ، أَنْتُمَا لَا تَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَغُرَّانِي مَعْنَاهُ يَا دُنْيَا أَنْتِ لَا تَسْتَطِيعِينَ أَنْ تَفْتِنِينِي».

وَقَالَ رضي الله عنه: «حُبُّ المالِ فِتْنَةٌ، كَم مِنْ أُنَاسٍ كَفَرُوا لِلمَالِ وَكَم مِنْ أُنَاسٍ فَسَقُوا لِلمَالِ».

صَرْفُ الْمَالِ فِي الضَّرُورَاتِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِالقَنَاعَةِ بِالقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ فَإِنَّ القَنَاعَةَ بِاليَسِيرِ مِنَ الرِّزْقِ سَلَامَةُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَعَلَيْكُمْ بِإِكْثَارِ ذِكْرِ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ يُسَاعِدُ عَلَى القَنَاعَةِ بِاليَسِيرِ مِنَ الرِّزْقِ وَالاسْتِعْدَادِ للآخِرَةِ وَإِيْثَارِ الآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا. إِيَّاكُمْ وَالتَّمَادِيَ عَلَى الخُرُوجِ إِلَى الصَّيْدِ فِي فَتَرَاتٍ مُتَقَارِبَةٍ كَمَا اعْتِيدَ عِنْدَكُمْ فَإِنَّهُ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ اتِّبَاعَ الصَّيْدِ يُسَبِّبُ الغَفْلَةَ فِي القُلُوبِ،[1] وَالغَفْلَةُ هِيَ سَبَبُ الْمَعَاصِي وَالْمَكْرُوهَاتِ. وَاجْعَلُوا مَا يُصْرَفُ لذلِكَ ولِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْتَهَيَاتِ كَشُرْبِ السِّيجَارَةِ الجَدِيرُ بِكُمْ أَنْ تَصْرِفُوهُ فِيمَا هُوَ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ كَالقِيَامِ بِنَشْرِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالأَحْكَامِ الضَّرُورِيَّةِ الَّتِي

(1) قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **«من اتّبع الصيد غفل، ومن اقترب من أبواب السلطان افتتن»** رواه أبو داود في سننه والبيهقيّ وغيرهما.

أَعْرَضَ اليوْمَ الأَغْنِيَاءُ وَأَهْلُ الْمَقْدِرَةِ عَنِ القِيَامِ بِهَا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ذلِكَ وَهَلْ هُنَاكَ أَغْنِيَاءُ يَقُومُونَ بِهَا، فَلِمَنْ تَتْرُكُونَهَا؟! فَالوَاجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَسْعَوْا لذلِكَ بِقَدْرِ جُهْدِكُمْ لَا فَوْقَ الْجُهْدِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ٢٨٦﴾ [سورة البقرة]. هذَا وَإِنَّ الكَثِيرَ مِنْ مُوَظَّفِي الْجَمْعِيَّةِ يَكْتَفُونَ بِالقَلِيلِ، مُرَتَّبَاتُهُمْ لَا تَفِي مَا يَصْرِفُهُ النَّاسُ عَادَةً لِنَفَقَاتِهِمْ، ءاثَرُوا العَمَلَ فِي الْجَمْعِيَّةِ بذلِكَ القَلِيلِ رَغْبَةً فِي الآخِرَةِ حَتَّى إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَا يُوقَدُ فِي بَيْتِهِمْ لِلطَّبْخِ مُدَّةً بَلْ يَقْتَصِرُونَ عَلَى اللَّبَنِ وَنَحْوِهِ مِنَ القِلَّةِ. وَقَدْ سَبَقَ لِبَعْضِ أَفْرَادِ الْجَمْعِيَّةِ أَنْ ذَهَبَ إِلَى كَنَدَا فَعَمِلَ عَمَلًا فَجَمَعَ مِنْ غَلَّتِهِ فَرَجَعَ إِلَى لُبْنَانَ لِيَشْتَرِيَ مَسْكَنًا فَرَأَى حَاجَةَ الْجَمْعِيَّةِ فَآثَرَ الآخِرَةَ فقَالَ أَنَا شَابٌّ سَأَتَبَرَّعُ وَأَكْتَسِبُ غَلَّةً أُخْرَى لأَجْلِ مَعِيشَتِي فَدَفَعَ هَذَا لِلْجَمْعِيَّةِ. فَالتَّسَابُقُ فِي مِثْلِ هذَا يَكُونُ مَرْغُوبًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «وَلِنَقْتَدِ بِالصَّحَابَةِ رضوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ لَوْ كَانُوا عَلَى مِثْلِ حَالِنَا اليَوْمَ مِنْ تَتَبُّعِ الرَّاحَاتِ وَتَكْثِيرِ الْمَالِ مَا انْتَشَرَ الإِسْلَامُ إِلَى الشَّرْقِ وَالغَرْبِ، وَكَانَ الإِسلَامُ مُقْتَصِرًا عَلَى الحِجَازِ وَالْجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَرْكُ التَّنَعُّمِ خَيْرٌ عِنْدَ اللهِ لِأَنَّ التَّنَعُّمَ إِذَا الْتَزَمَهُ الشَّخْصُ لَا يُواسِي غَيْرَهُ مِنَ الْمُحْتَاجِينَ لِأَنَّهُ يَسْعَى لِلمُحَافَظَةِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ التَّنَعُّمِ. ثُمَّ مَنْ يُلَازِمُ التَّنَعُّمَ يُخْشَى عَلَيْهِ إِذَا قَلَّ مَالُهُ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى الْحَرَامِ لِئَلَّا يَفُوتَهُ ذَلِكَ التَّنَعُّمُ. لِذَلِكَ الرَّسُولُ لَمَّا وَجَّهَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى جِهَةٍ لِيَدْعُوَ إِلَى الدِّينِ قَالَ لَهُ: «**إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ فَإِنَّ عِبَادَ اللهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ**». فَإِنَّ عِبَادَ اللهِ أَيِ الأَتْقِيَاءَ الزَّاهِدِين لَا يَتَنَعَّمُونَ حَتَّى لَوْ كَانَ الوَاحِدُ فِي بَادِئِ أَمْرِهِ عَاشَ فِي تَنَعُّمٍ كَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ كَانَ فِي رَفَاهِيَةٍ ثُمَّ لَمَّا اسْتَلَمَ الخِلَافَةَ تَرَكَ التَّنَعُّمَ وَصَارَ مِنَ الزَّاهِدِينَ الصَّالِحِينَ، كَانَ لَا يُغَيِّرُ ثِيَابَهُ حَتَّى تَتَّسِخَ مِنْ شِدَّةِ شُغْلِهِ وَانْشِغَالِهِ بِمُرَاعَاةِ أَحْوَالِ الْمُحْتَاجِينَ.

إِنَّمَا الأَمْرُ الْمَطْلُوبُ هُوَ مُرَاعَاةُ نَظَافَةِ البَدَنِ وَمُرَاعَاةُ نَظَافَةِ الثِّيَابِ ثُمَّ الرَّجُلُ إِذَا جَمَعَ الْمَالَ الْكَثِيرَ مِنَ الْحَلَالِ بِنِيَّةٍ أَنْ يَنْفَعَ الْمُحْتَاجِينَ وَيَعْمَلَ بِهِ الْعَمَلَ الَّذِي يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ فَهَذَا مَرْغُوبٌ فِيهِ وَكَذَلِكَ إِذَا إِنْسَانٌ جَمَعَ الْمَالَ لِأَوْلَادِهِ إِلَى حَدِّ أَنَّهُمْ لَا يَحْتَاجُونَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لِلتَّعَرُّضِ لِلنَّاسِ مِنَ الفَاقَةِ فَهَذَا مَطْلُوبٌ. أَمَّا أَنْ يَتْرُكَ لَهُمْ مَلَايِينَ الدُّولَارَاتِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مَا هُوَ بِحَاجَةٍ فَهَذَا أَمْرٌ لَا يُحِبُّهُ اللهُ. لِيَتْرُكْ لِأَوْلَادِهِ قَدْرَ مَا يَحْفَظُهُمْ مِنَ الفَقْرِ وَالفَاقَةِ بِحَيْثُ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الِاسْتِعْطَاءِ مِنَ النَّاسِ. أَمَّا إِنْ تَرَكَ لَهُمُ الْمَلَايِينَ هَذَا شَيْءٌ لَا يُحِبُّهُ اللهُ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنَّهُ يُوجَدُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ هُمْ أَهْلُ الفَاقَةِ وَالأَرَامِلُ وَالأَيْتَامُ، نَظَرُهُ لِهَذِهِ الْجِهَةِ خَيْرٌ لَهُ أَنْ يُمَتِّعَ أَوْلَادَهُ بِهَذِهِ الْمَلَايِينِ.

ثُمَّ كَثِيرٌ مِنَ الأَوْلَادِ يَطْلُعُونَ فَاسِقِينَ، إِذَا مَاتَ وَالِدُهُمْ لَا يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ.

الأَوْلَادُ مَطْلُوبٌ عَلَى الدَّوَامِ أَنْ يَتَرَحَّمُوا عَلَى وَالِدِهِمْ وَوَالِدَتِهِمْ وَيَسْتَغْفِرُوا لَهُمَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [سورة الإسراء]. قَلِيلٌ اليَوْمَ مَنْ إِذَا فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ بِالنَّهَارِ يَذْكُرُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ البَرْزَخِ مِنْ أَهْلِهِ وَيَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ. أَكْثَرُهُمُ اليَوْمَ إِذَا انْتَهَوْا مِنْ أَعْمَالِهِمْ يَشْتَغِلُونَ بِالتِّلِفِزْيُون بَدَلًا مِنْ أَنْ يَشْتَغِلُوا بِمَا يَنْفَعُهُمْ لِآخِرَتِهِمْ. وَأَمَّا لَوْ ترَكَ الوَالِدُ لِوَلَدِهِ مَا يَشْتَرِي بِهِ بَيْتًا فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ، فَلَوْ تَرَكَ الوَالِدُ لِكُلِّ وَلَدٍ مِائَتَي أَلْفِ دُولَارٍ فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا يَمْنَعُهُ لِلْوَلَدِ مِنَ الطَّمَعِ فِي النَّاسِ، يَكْفِي لِشِرَاءِ بَيْتٍ وَعَمَلِ مِهْنَةٍ تَكْفِيهِ، أَمَّا لَوْ تَرَكَ لِلْوَلَدِ الْوَاحِدِ عِدَّةَ مَلَايِينَ فَهَذَا لَا خَيْرَ فِيهِ. لَيْسَ أَمْرًا مَرْغُوبًا فِيهِ شَرْعًا وَلَكِنَّهُ لَيْسَ حَرَامًا، لَكِنْ إِنْ عَلِمَ مَنْ هُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي حَالِ الضَّرُورَةِ وَخَزَّنَ هَذَا الْمَالَ الْكَثِيرَ بِنِيَّةٍ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ أَوْلَادُهُ لَا يَجُوزُ لَهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْتُ الْمَالِ يَكْفِي حَاجَاتِ أَهْلِ الضَّرُورَةِ، الْأَغْنِيَاءُ فَرْضٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يُنْقِذُوا أَهْلَ الضَّرُورَةِ الَّذِينَ هُمْ فِي فَقْرٍ شَدِيدٍ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤﴾ [سورة المعارج].

لَيْسَ الْفَرْضُ الزَّكَاةَ فَقَط، أَمَّا إِذَا كَانَ لَا يُوجَدُ أَهْلُ الضَّرُورَاتِ فَمَنْ دَفَعَ الزَّكَاةَ وَاقْتَصَرَ عَلَيْهَا لَيْسَ عَلَيْهِ إِثْمٌ. حَتَّى لَوْ كَانَ أَهْلُ الضَّرُورَةِ فِي نَاحِيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْهُ وَعَلِمَ بِهِمْ يَجِبُ عَلَيْهِ مُسَاعَدَتُهُمْ بِبَيْتِ الْمَالِ لَوْ كَانَ يَقُومُ بِذَلِكَ.

الْآنَ مِنَ الضَّرُورَةِ تَزْوِيجُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَلَغُوا الثَّلَاثِينَ أَوْ [خَمْسًا] وَعِشْرِينَ وَلَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنَ الزَّوَاجِ، وَتَأْمِينِ نَفَقَاتِ الزَّوَاجِ مَعَ حَاجَتِهِمْ لِلزَّوَاجِ، لَوْ كَانَ فِينَا خَلِيفَةٌ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ كَانَ يُزَوِّجُهُمْ لِأَنَّ هَذَا مِنَ الضَّرُورَاتِ.

فِي بِلَادِ الْعَجَمِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَلَفٍ كَانَ حَاكِمًا عَدْلًا كَرِيمًا فِي إِيرَانَ، كَان زَوَّجَ مِائَةَ رَجُلٍ وَكَفَاهُمْ مُؤَنَهُمْ مِنْ مَالِهِ. مِنْ شِدَّةِ مَا أَحَبُّوهُ سَمَّوْهُ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ؛ لِأَنَّ قَبْلَهُ كَانَ خَمْسَةٌ اسْمُهُمْ طَلْحَةُ كُرَمَاءُ. طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ كَانَ كَرِيمًا لِلْغَايَةِ، مَعْرُوفٌ بِالكَرَمِ. طَلْحَةُ الطَّلَحَاتِ يَعْنِي مُبَرَّزٌ بَيْنَ الطَّلَحَاتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عِلْمُ الدِّينِ هُوَ الْأَسَاسُ فِي مُكَافَحَةِ هَؤُلَاءِ الْوَهَّابِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْمَالُ يُسَاعِدُ عَلَى ذَلِكَ.

لَكِنْ مِنْ حَيْثُ الْمَالُ، الْأَغْنِيَاءُ الْجَهْلُ هُوَ الَّذِي أَسْكَتَهُمْ، لَوْ كَانَ عِنْدَهُمْ تَمْيِيزٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ كَانُوا هُمْ سَاعَدُوا أَهْلَ الْحَقِّ لِيُضْعِفَ أُولَئِكَ لَكِنِ الْأَسَاسُ هُوَ الْعِلْمُ. فِي سُورْيَا يُوجَدُ أَغْنِيَاءُ أَسْخِيَاءُ لِبِنَاءِ الْجَامِعِ وَمُسَاعَدَةِ الْمَعَاهِدِ يَبْذُلُونَ الْمَالَ الْكَثِيرَ لَكِنْ مَعَهُمْ جَهْلٌ، تَلْكَ الضَّلَالَاتُ بَعْدُ مَوْجُودَةٌ فِيهِمْ وَالْمَشَايِخُ الَّذِينَ فِيهِمْ لَا يُظْهِرُونَ لِلنَّاسِ الْحَقَّ كَمَا يَجِبُ بَلْ يَسْكُتُونَ عَنِ التَّحْذِيرِ مِنْ هَؤُلَاءِ الضَّالِّينَ فَيُدَاهِنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى أَدَاءِ فَرْضٍ مِنْ أَهَمِّ الْفُرُوضِ الدِّينِيَّةِ وَهُوَ إِنْشَاءُ مَدْرَسَةٍ، وَالتَّقَاعُسُ عَنِ الْمُسَاعَدَةِ فِي هَذَا الْأَمْرِ مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ، فَيَجِبُ عَلَى الْكُلِّ أَنْ يَدْفَعَ مِنَ الْمَالِ مَا يَزِيدُ عَنْ حَاجَاتِهِ الْأَصْلِيَّةِ وَلَا يَدَّخِرَ مِنَ الْمَالِ شَيْئًا مِمَّا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ، أَجِيبُوا رَحِمَكُمُ اللهُ، وَفَّقَكُمُ اللهُ وَلَا تَتوانَوْا، إِنَّ التَّوَانِيَ يُقَوِّي أَهْلَ الضَّلَالِ وَأُذَكِّرُكُمْ

الْقَاعِدَةَ الْفِقْهِيَّةَ: «مَنْ شَغَلَهُ الْفَرْضُ عَنِ النَّفْلِ فَهُوَ مَعْذُورٌ وَمَنْ شَغَلَهُ النَّفْلُ عَنِ الْفَرْضِ فَهُوَ مَغْرُورٌ» فَالْعَمَلُ بِالْفَرْضِ يُقَرِّبُ إِلَى اللهِ أَكْثَرَ مِنَ الْعَمَلِ بِالنَّوَافِلِ فَعَلَيْكُمْ بِتَقْدِيمِ الْفَرْضِ عَلَى النَّفْلِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ نَشْرَ عِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ بِمُكَافَحَةِ الضَّلَالِ الْمُنْتَشِرِ الْيَوْمَ عِنْدَ مَنْ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ دُعَاةٌ إِلَى الدِّينِ مِنْ أَهَمِّ الْفُرُوضِ فَعَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَتَكَاسَلُوا بِالْعَمَلِ فِي ذَلِكَ وَأَنْ لَا تَبْخَلُوا عَنِ الْمُسَاعَدَةِ بِأَمْوَالِكُمُ الَّتِي تَزِيدُ عَنْ حَاجَاتِكُمُ الْأَصْلِيَّةِ وَلَا يَمْنَعْكُمْ عَنْ ذَلِكَ الْمَصَارِيفُ لِلزَّوَائِدِ كَتَجْمِيلِ أَثَاثِ الْبَيْتِ، مَا يَصْرِفُهُ الْوَاحِدُ مِنْكُمْ لِلدَّعْوَةِ أَفْضَلُ مِنْ حَجِّ النَّفْلِ وَقَدْ نَصَحْنَاكُمْ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ فَلْيُحَاسِبْ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ».

الرِّئَاسَةُ صَعبَةٌ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أَبُو ذَرٍّ الغِفَارِيُّ كَانَ تَقِيًا وجَرِيئًا لكنَّهُ كانَ ضَعِيفًا. الرسولُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لهُ: «**يا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا فلَا تَوَلَّيَنَّ على اثنينِ ولَا تَوَلَّين مالَ يتيمٍ**». الرئاسةُ صَعْبَةٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الدُّنْيَا غَرَّارَةٌ، الرِّئَاسَةُ تَغُرُّ، الدُّنْيَا تَغُرُّ، المُلْكُ وَالرِّئَاسَةُ يَسْتَوْلِي عَلَى القُلُوبِ، عَلَى قُلُوبِ بَعْضِ النَّاسِ يَسْتَوْلِي، يَقْطَعُونَ الأَرْحَامَ وَيَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ مِنْ أَجْلِ الوُصُولِ لِلرِّئَاسَةِ، حُبُّ الرِّئَاسَةِ أَمْرٌ صَعْبٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «القَاضِي إِذَا لَمْ يَكُنْ عَدْلًا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ مَغْلُولًا، يَدَاهُ مَرْبُوطَةٌ إِلَى عُنُقِهِ، القُضَاةُ وَالمفَاتِي يُنَصَّبُونَ لِحِفْظِ دِينِ اللهِ لَيْسَ لَيُخَرِّبُوا دِينَ اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «حُبُّ الدُّنْيَا وَالرِّئَاسَةِ قَد يَجُرونَ إِلَى الذَّنْبِ الْكَبِيرِ، حُبُّ الْمَالِ فِتْنَةٌ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ. مِنَ النَّاسِ مَنْ يَكْفُرُونَ لِلْمَالِ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْصُونَ اللَّهَ تَعَالَى أَكْبَرَ مَعْصِيَةٍ مِنْ كَبَائِرِ الْمَعَاصِي، كَذَلِكَ حُبُّ الرِّئَاسَةِ قَدْ يُؤَدِّي إِلَى الْكُفْرِ،

بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَجْلِ الرِّئَاسَةِ يَكْفُرُونَ وَبَعْضُهُمْ يَرْتَكِبُونَ ذُنُوبًا كَبِيرَةً. الْمَالُ فِتْنَةٌ وَحُبُّ الزَّعَامَةِ فِتْنَةٌ، «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِيَ الْمَالُ**» قَالَ الرَّسُولُ، مَعْنَاهُ أَكْثَرُ فِتْنَةُ أُمَّتِيَ بِالْمَالِ».

الْمُفْتِي:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**» عِلْمُ الدِّينِ قِسْمَانِ، قِسْمٌ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ عَلَى كُلِّ بَالِغٍ عَاقِلٍ. أَمَّا غَيْرُ البَالِغِ وَالْمَجْنُونُ لَيْسَ عَلَيْهِمَا مَسْؤُولِيَّةٌ لَكِنِ الطِّفْلُ فَرْضٌ عَلَى الْأَهْلِ أَنْ يُعَلِّمُوهُ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ الْأَوَّلِيَّاتِ ثُمَّ بَعْدَ أَنْ يَبْلُغَ صَارَ فَرْضًا عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ كُلَّ الْعِلْمِ الضَّرُورِيِّ أَيِ الْعِلْمَ الَّذِي لِكُلِّ بَالِغٍ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ بِحَيْثُ إِنْ لَمْ يَتَعَلَّمْهُ يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ فِي الْآخِرَةِ بِتَرْكِ التَّعَلُّمِ.

هَذَا أَحَدُ الْقِسْمَيْنِ مِنْ عِلْمِ الدِّينِ، الْقِسْمُ الْآخَرُ فَرْضٌ عَلَى بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ الْعِلْمُ الزَّائِدُ عَلَى الْعِلْمِ الضَّرُورِيِّ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ لِأَنَّ مَسَائِلَ الصَّلَاةِ مُتَشَعِّبَةٌ وَمَسَائِلَ الصِّيَامِ وَمَسَائِلَ الزَّكَاةِ وَمَسَائِلَ النِّكَاحِ. فَرْضٌ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ أَنْ يَعْرِفُوا، وَذَلِكَ بِأَنْ يُوجَدَ مَنْ هُوَ يَصْلُحُ لِاسْتِخْرَاجِ أَحْكَامِ الشَّرْعِ لِمَا يَحْدُثُ فِي النَّاسِ، فِي كُلِّ بَلَدٍ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ يَجِبُ أَنْ يُوجَدَ مَنْ هُوَ بَلَغَ هَذِهِ الدَّرَجَةَ، أَيْ صَارَ عِنْدَهُ عِلْمٌ فَوْقَ هَذِهِ الدَّرَجَةِ. الْمُفْتِي هُوَ مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ الضَّرُورِيَّ وَتَعَلَّمَ فَوْقَ مَا هُوَ كَذَلِكَ مِمَّا يَحْتَاجُهُ النَّاسُ، هَذَا هُوَ الْمُفْتِي وَهُوَ أَيْ مَرْتَبَةُ الْمُفْتِي عَالِيَةٌ فِي عِلْمِ الدِّينِ لَيْسَ كُلَّ مَنْ لَفَّ لَفَّةً إِذَا بَلَغَ دَرَجَةً خَاصَّةً فِي عِلْمِ الدِّينِ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ مُفْتِيًا، لَيْسَ كُلُّ عَالِمٍ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ مُفْتِيًا.

ثُمَّ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ: «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»، مَعْنَاهُ التَّعَلُّمُ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ لَيْسَ مَعْنَاهُ مُطَالَعَةَ الْكُتُبِ، مُطَالَعَةُ الْكُتُبِ لَا تَكْفِي. بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْ شَخْصٍ عَارِفٍ ثِقَةٍ تَعَلَّمَ مِمَّنْ قَبْلَهُ وَذَلِكَ الَّذِي يَكُونُ قَبْلَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ هَذَا التَّسَلْسُلُ إِلَى

الصَّحَابَةِ. الصَّحَابَةُ لَمْ يَكُنْ كُلُّ فَرْدٍ مِنْهُمْ عَالِمًا بِمُسْتَوًى وَاحِدٍ مَعَ غَيْرِهِ بَلْ كَانَ فِيهِمْ عُلَمَاءُ وَمَنْ دُونَ الْعُلَمَاءِ.

الْحَاصِلُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ عِلْمُ الدِّينِ أُخِذَ مِنْ ثِقَةٍ أَخَذَ مِنْ غَيْرِهِ، أَمَّا الَّذِي لَا يَأْخُذُ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ إِنَّمَا يَشْتَرِي كُتُبًا فَيُطَالِعُ فِيهَا هَذَا لَا يَكْفِيهِ لِنَجَاةِ نَفْسِهِ، هَذَا مَا أَسْقَطَ الْفَرْضَ، إِنْ بَقِيَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ يَكُونُ عَاصِيًا فَاسِقًا.

فِي هَذَا الزَّمَنِ كَثِيرُ أُنَاسٍ يُطَالِعُونَ وَلَا يَتَعَلَّمُونَ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ عِلْمَ الدِّينِ إِنَّمَا يَشْتَرُونَ الْكُتُبَ وَعَلَى حَسَبِ فَهْمِهِمْ يَتَصَوَّرُونَ الْمَسَائِلَ ثُمَّ يُفْتُونَ لِغَيْرِهِمْ، هَذَا كَثِيرٌ فِي هَذَا الزَّمَنِ».

الْحَاجَةُ إِلَى الْمُقَدَّمِ وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الاسْتِبْدَادِ وَحُبِّ الرِّئَاسَةِ وَالزَّعَامَةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه:«حُبُّ الاسْتِبْدَادِ يَضُرُّ، يُحِبُّونَ الرِّئَاسَةَ وَالزَّعَامَةَ «**العَرَافَةُ حَقٌّ وَالعُرَفَاءُ فِي النَّارِ**» مَعْنَاهُ أَغْلَبُ العُرَفَاءِ فِي النَّارِ، لكنَّ العَرَافَةَ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ. العَرِيفُ مُقَدَّمُ القَوْمِ، كُلُّ نَاحِيَةٍ تَحْتَاجُ إِلَى مُقَدَّمٍ يُدَبِّرُ لَهُمْ شُؤُونَ مَعِيشَتِهِمْ ومصَالِحَ دِينِهِمْ. هذهِ الوَظِيفَةُ حَقٌّ وَلكِنَّ أَغْلَبَ الَّذِينَ يَسْتَلِمُونَهَا فِي النَّارِ أَيْ لَا يَخَافُونَ اللهَ، يَقَعُونَ فِي الْمَعْصِيَةِ؛ إِمَّا حُبًّا للاسْتِبْدَادِ يَعْنِي أَنْ يَكُونَ النَّاسُ تَابِعِينَ لَهُ وَلَا يَكُونُ هُوَ تَابِعًا لِرَأْيِ غَيْرِهِ، وَإِمَّا يَظْلِمُهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وغَيْرِ ذلِكَ، الرَّسُولُ قَالَ: «**ولكِنَّ العُرَفَاءَ فِي النَّارِ**»، أَمَّا هِيَ أي هذِهِ الوَظِيفَةُ حَقٌّ لأَنَّهَا مصالِحُ الْمَعِيشَةِ تَقُومُ عَلَيْهَا، لأَنَّ الفَوْضَى لَا تَصْلُحُ، لَوْ كَانَ كلُّ واحدٍ مُتَوَلِّيًا شُؤُونَ نفسِهِ ولَا ينظُرُ إِلَى مَصَالِحِ الغَيْرِ، هذَا لَا يصلُحُ. بعضٌ مِنْ جَمَاعَةِ الإِمَامِ الشَّافِعِيّ كانَ يَطْمَعُ أَنْ يَطْلُعَ خَلِيفَةً لِلشَّافِعِي ولكنَّ الإِمامَ مَا قَدَّمَ إِلَّا الَّذِي رَءَاهُ أَهْلًا، اخْتَارَ شخصًا ءاخَرَ. فَقَالَ: كَيْفَ تَرَكَنِي وَقَدَّمَ غَيْرِي؟، فصَارَ يَعْمَلُ ضِدَّ الشَّافِعِيّ، عَمِلَ كِتَابًا يَقُولُ: أَخْطَاءُ الشَّافِعِيّ لأَنَّهُ مَا وَجَدَ مَا

كَانَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الشَّافِعِيّ. حُبُّ الزَّعَامَةِ وَالرِّئَاسَةِ كَثِيرًا مَا تُهْلِكُ أَصْحَابَهَا. خَالِدُ بنُ الوليدِ كَانَ قَائِدًا سَلَّمَ إِلَيْهِ عُمَرُ القِيَادَةَ، ثُمَّ بَعْدَ أَنْ قَطَعَ وَقْتًا قَائِدًا، سَيِّدُنَا عُمَرُ وَلَّى أَبَا عُبَيْدَةَ قَائِدًا، خَالِدٌ مَا صَارَ فِي نَفْسِهِ شَىءٌ مِنَ التَّرَفُّعِ وَالاسْتِبْدَادِ، صَارَ مُطِيعًا لأَبِي عُبَيْدَةَ، كانَ واحِدًا مِنَ الْجُنْدِ، مَا نَقَصَ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ شَيْئًا، لأَنَّهُ للهِ يَعْمَلُ لَيْسَ لِوَجْهِ عُمَرَ. وكذلِكَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ فِي حَرْبِ الْمُرْتَدِّينَ، أَبُو بَكْرٍ وَلَّى خَالِدَ بنَ الوليدِ رضي الله عنه، مَا وَلَّى سَيِّدَنَا عَلِيًّا مَعَ أَنَّهُ أَشْجَعُ، أَشْجَعُ الصَّحَابَةِ[1] وَأَعْلَمُ الصَّحَابَةِ وَأَزْهَدُ النَّاسِ طَلَّقَ الدُّنْيَا، وَكَانَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ مُطِيعًا مُطَاوِعًا مَشَى تَحْتَ قِيَادَةِ خَالِدٍ، حَارَبُوا الكُفَّارَ فَكَسَرُوهُمْ أَيْ الْمُرْتَدِّينَ، وَقُتِلَ مِنَ الصَّحَابَةِ سَبْعُونَ. مَا قَالَ أَنَا ابنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ وَأَنَا أَعْلَمُ الصَّحَابَةِ وَأَنَا أَشْجَعُ الصَّحَابَةِ كَيْفَ أَكُونُ فِي قِيَادَةِ هذَا الرَّجُلِ الَّذِي أَسْلَمَ قَبْلَ وَفَاةِ الرَّسُولِ بِثَلَاثِ سَنَوَاتٍ تَقْرِيبًا خَالِدٌ كان هَكَذَا، مَا تَرَفَّعَ عَلَى خَالِدٍ مَعَ أَنَّهُ أَعْلَمُ الصَّحَابَةِ فِي العِلْمِ وأَزْهَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، مَشَى فِي قِيَادَةِ خَالِدٍ إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى دِيَارِ الْمُرْتَدِّينَ قَاتَلُوهُمْ وَقُتِلَ مِنَ الصحابَةِ سَبْعُونَ، كَانُوا أَشِدَّاءَ أُولَئِكَ الْمُرْتَدُّونَ، عَلِيٌّ كَانَ كَواحِدٍ مِنْ غَيْرِهِ كَوَاحِدٍ مِنَ الْجَيْشِ تَحْتَ قِيَادَةِ خَالِدٍ. الصَّحَابَةُ بِهَذَا فَازُوا ذلكَ الفَوْزَ الكَبِيرَ، فَتَحُوا البِلَادَ وَكَسَرُوا الكُفَّارَ، لأَنَّهُمْ كَانُوا مُتَطَاوِعِينَ لَا يَتَرَفَّعُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، لَا يقولُ هذَا أَنَا مِنْ بَنِي فُلَانٍ، أَنَا مَنْزِلَتِي أعلى أَسْلَمْتُ قَبْلَ غَيْرِي، كَيْفَ يُقَدِّمُ خَالِدًا؟ كَيْفَ يُعَيِّنُ قَائِدًا مَنْ هُوَ مَا مَضَى عَلَيْهِ مُنْذُ أَسْلَمَ فِي أَيَّامِ الرَّسُولِ إِلَّا ثَلَاثُ سَنَوَاتٍ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ وَلَازَمَ الرَّسُولَ فِي مكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، مَا كَانُوا يَقُولُونَ، مَا كَانُوا يَتَرَفَّعُونَ، بِهَذَا تَمَّ أَمْرُهُمْ وَكَثُرَ نَفْعُهُمْ وَانْتَشَرَ الإِسْلَامُ عَلَى أَيْدِيهِمْ».

---

[1] أي من أشجع الصحابة.

الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قالَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ**» حَدِيثٌ صَحِيحٌ. وَمَعْنَاهُ مطلوبٌ منهُ أن يُنَاصِحَ مَنْ اسْتَشَارَهُ، لا يَدُلُّهُ إلا عَلَى ما يَرَاهُ خَيرًا لَهُ. إن دَلَّهُ على خِلَافِ ما يراهُ مَصْلَحَةً لَهُ فَقَدْ خَانَ».

إِكْرَامُ الْخُبْزِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**أَكْرِمُوا الْخُبْزَ**» مَعْنَاهُ مَطْلُوبٌ إِكْرَامُ الْخُبْزِ، إِكْرَامُ الْخُبْزِ يَعْنِي أَنْ لَا يُرْمَى بِحَيْثُ يُشْعِرُ بِالْإِزْرَاءِ بِهِ وَالْإِهَانَةِ، وَأَنْ لَا يُرْمَى عَلَى الْمَزَابِلِ، رَمْيُهُ عَلَى الْمَزَابِلِ خِلافُ الْإِكْرَامِ، لَا يَنْبَغِي إِهَانَتُهُ بَلِ الْمَطْلُوبُ أَنْ يُكْرَمَ وَلَا يُهَانَ، ثُمَّ إِنَّ الْخُبْزَ إِنْ كَانَ ضَخْمًا قَوِيًا مُتَمَاسِكًا فَدَاسَ عَلَيْهِ شَخْصٌ بِحَيْثُ لَا يَخْرُجُ عَنْ كَوْنِهِ مَالًا لَا يَكُونُ حَرَامًا، إِنَّمَا هُوَ مَكْرُوهٌ، أَمَّا إِذَا كَانَ رَقِيقًا يَذْهَبُ بِالدَّوْسِ عَنْ كَوْنِهِ مَالًا، يَصِيرُ تَالِفًا لَا يُبَاعُ فَهَذَا حَرَامٌ دَوْسُهُ».

النَّارُ عَدُوٌّ لَكُمْ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «حَدِيثٌ: «**إِنَّمَا هَذِهِ النَّارُ عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإِذَا نِمْتُمْ، فَأَطْفِئُوهَا**». حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

مَعْنَى (عَدُوٌّ لَكُمْ): تُسَبِّبُ لَكُمْ ضَرَرًا. فِي الْمَاضِي كَانُوا يُشْعِلُونَ الشَّمْعَ إِذَا تُرِكَتْ هَكَذَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُطْفَأَ يُخْشَى أَنْ تُسَبِّبَ ضَرَرًا حَرِيقًا، أَمَّا الْيَوْمَ هَذِهِ الْكَهْرَبَاءُ لَا يُخْشَى مِنْهَا ذَلِكَ».

فَوَائِدُ طِبِّيَّةٌ

الْمَشْيُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «المشْيُ فِيهِ سِرٌّ، أَكْثَرُ مَا يُفِيدُ لِلتَّنْحِيفِ المشْيُ السَّرِيعُ».

الزَّبِيبُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الزَّبِيبُ صَدِيقُ المعِدَةِ».

الزَّعْتَرُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الزَّعْتَرُ الْمُغْلَى أَنْفَعُ فِي إِزَالَةِ المغْصِ مِنَ النَّعْنَعِ وَالكَمُّونِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لِتَقْوِيَةِ الذَّاكِرَةِ يُؤْخَذُ كُلَّ لَيْلَةٍ مِلْعَقَةٌ كَبِيرَةٌ [مِنْ] مُرَبَّى الزَّعْتَرِ بِالْعَسَلِ عِنْدَ النَّوْمِ، الزَّعْتَرُ الَّذِي أَوْرَاقُهُ دَقِيقَةٌ هَذَا أَحْسَنُ. الْبَقَرُ الَّذِي يَرْعَى مِنْ هَذَا حَلِيبُهُ أَجْوَدُ الْحَلِيبِ فِي نَاحِيَةِ بِلَادِنَا».

الشَّايُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أَهْلُ الشَّامِ يَقُولُونَ: «الشَّايُ فَاكِهَةُ الشِّتَاءِ». فِي الْحِجَازِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ كَانَ الْمُطَوِّفُونَ يُقَدِّمُونَ الشَّايَ لِلْحُجَّاجِ، الشَّايُ يُسَاعِدُ عَلَى تَخْفِيفِ الْحَرِّ وَكَذَلِكَ يُدْفِئُ فِي الشِّتَاءِ».

الزَّعْفَرَانُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الزَّعْفَرَانُ يُفْرِحُ الْقَلْبَ الْمَحْزُونَ إِذَا اسْتَعْمَلَهُ يَعُودُ فَرِحًا، يَضَعُ أَرْبَعَ أَوْ ثَلَاثَ غرَامَاتٍ أَمَّا إِنْ زَادَ إِلَى عَشْرِ غرَامَاتٍ [قَدْ] يَظَلُّ يَضْحَكُ إِلَى أَنْ يَمُوتَ».

أَلْيَةُ الْخَرُوفِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أَلْيَةُ الخَرُوفِ فِي بِلَادِنَا يُذِيبُونَهَا وَيَشْرَبُونَ مِنْهَا كُوبًا أَوْ كُوبَيْنِ، هِيَ تُسْهِلُ لَكِنْ بِلا ضَرَرٍ، تَشْفِي مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ».

الْحِمَّصُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْحِمَّصُ الأَسْوَدُ يُفَتِّتُ حَصَى الكُلْيَةِ بِقُوَّةٍ، يُنْقَعُ وَيُشْرَبُ مُاؤُهُ الْمَنْقُوعُ فِيهِ وَيَمْنَعُ الْبَوْلَ عَلَى الْفِرَاشِ. يُنْقَعُ بِاللَّيْلِ ثُمَّ صَبَاحًا يُشْرَبُ مَاؤُهُ وَيُؤْكَلُ الْحَبُّ».

الْحَلِيبُ الْأَصْلِيُّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحَلِيبُ الأَصْلِيُّ مِثْلُ الخُبْزِ يَعِيشُ بِهِ الشَّخْصُ، فِي الصُّومَالِ يَقْضُونَ مُدَّةً عَلَى الحَلِيبِ الأَصْلِيِّ وَهُمْ أَصَحُّ مِنَّا أَجْسَامًا يَجْرُونَ كَالرِّيحِ وَأَسْنَانُهُمْ إِلَى بَعْد السِّتِينَ وَإِلى السَّبْعِينَ تَبْقَى كَمَا هِيَ».

البُنُّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مَا كَانَتْ قَهْوَةُ البُنِّ مَعْرُوفَةً فِي بِلَادِ العَرَبِ أَمَّا فِي الحَبَشَةِ هَذَا البُنُّ يُقَالُ إِنَّهُ مُنْذُ ثَلاثَةِ ءالافِ سَنَةٍ عُرِفَ استِعْمَالُهُ، أَمَّا فِي بِلَادِ العَرَبِ فَعُرِفَ مُنْذُ ستِمِائَةِ سَنَةٍ، شَخْصٌ مِنَ الأَوْلِيَاءِ مِنْ أَهْلِ الذِّكْرِ فِي اليَمَنِ كَانَ لَهُ مُرِيدُونَ يَسْهَرُونَ لِذِكْرِ اللهِ فِي اللَّيْلِ، اللهُ أَلْهَمَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ شَجَرِ البُنِّ وَيَعْمَلَ مِنْهُ شَرَابًا فَصَارُوا يَسْتَعِينُونَ بِهِ، يَسْتَعْمِلُونَهُ لِلسَّهَرِ، مِنْ ذَلِكَ الوَقْتِ عُرِفَ فِي البِلادِ العَرَبِيَّةِ».

السَّنَامُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «السَّنَامُ: الْإِبِلُ أَلَيْسَ عَلَى ظَهْرِهِ قِطْعَةٌ نَاتِئَةٌ، هَذَا عِنْدَ الْعَرَبِ طَعَامٌ مِنْ أَفْضَلِ الْأَكْلِ، هِذِهِ الْقِطْعَةُ الَّتِي عَلَى ظَهْرِ الجَمَلِ هَذِهِ كُلُّهَا أَبْيَضُ يُحِبُّهَا الْعَرَبُ الْقُدَمَاءُ».

عَجْوَةُ الْمَدِينَةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «حَدِيثٌ: «**مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ لَمْ يُصِبْهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ**». عَجْوَةُ الْمَدِينَةِ عَلَامَتُهَا أَنَّ فِيهَا خُطُوطًا بِيضًا. هَذَا لِمَا يَنْبُتُ بَيْنَ الحَرَّتَيْنِ الحَرَّةِ الشَّرْقِيَّةِ وَالْحَرَّةِ الْغَرْبِيَّةِ، أَمَّا مَا يَنْبُتُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ لَيْسَ فِيهِ ذَلِكَ السِّرُّ».

القَاتُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «القَاتُ مَنْ أَكْثَرَ مِنْهُ وَلَيْسَ عِنْدَهُ غِذَاءٌ قَوِيٌّ قَدْ يُؤْذِيهِ، يَخْتَلُّ فِكْرُهُ سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى صَحْوِهِ، بَعْضُ النَّاسِ يُحْضِرُ الْحَلِيبَ

مَعَهُ يَبْلَعُونَهُ يَدُقُّونَهُ مَعَ السُّكَّرِ وَيَبْلَعُونَهُ. ظَهَرَ مُنْذُ نَحْوِ سِتِّمِائَةِ سَنَةٍ فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ، أَوَّلًا عُرِفَ فِي الْيَمَنِ ثُمَّ انْتَشَرَ إِلَى بَعْضِ الْبِلَادِ وَالَّذِي اكْتَشَفَهُ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ مِنْ أَهْلِ الذِّكْرِ بِإِلْهَامٍ مِنَ اللهِ أَخَذَ مِنْهُ أَوْرَاقًا فَصَارَ يَأْكُلُهُ فَصَارَ يُسَاعِدُهُ عَلَى السَّهَرِ فِي ذِكْرِ اللهِ».

الشَّمْسُ حَمَّامُ العَرَبِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنهُ: «الشَّمْسُ حَمَّامُ العَرَبِ» مَعْنَاهُ أَنَّ الْعَجَمَ يَتَدَاوَوْنَ بالحَمَّامِ[1] لِأَنَّ عِنْدَهُم حَمَّامَاتٍ، أمَّا العَرَبُ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُم حَمَّامَاتٌ. فإذا مَشَوْا فِي الشَّمْسِ يَعْرَقُون يَتَدَاوَوْنَ بِهذا كما أَنَّ الْعَجَمَ يَتَدَاوَوْنَ فِي الحَمَّامِ الذي فِيهِ مَاءٌ سَاخِنٌ ويَجلِسُونَ على شَيْءٍ سَاخِنٍ فيَعْرَقُونَ. أن يَمْشِيَ الإنْسَانُ حَتَّى يَحْصُلَ لَهُ عَرَقٌ، هذا فيهِ نَفْعٌ كَبِيرٌ».

الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «حَدِيثٌ: «**الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ**» صَحِيحٌ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ.

مِنَ الْمَنِّ أَيْ تُشْبِهُ الْمَنَّ الَّذي أُنْزِلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ [مِنْ حَيْثُ كَوْنُهَا نِعْمَةً] وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ وَمَاؤُهَا دَوَاءٌ لِلْعَيْنِ، هَذَا شَيْءٌ مَعْرُوفٌ عِنْدَ النَّاسِ، يُقَوِّي النَّظَرَ. بَعْضُ النَّاسِ عَمِيَ فَاسْتَعْمَلَهَا فَأَبْصَرَ فِي الْمَاضِي».

---

[1] أي مكان الاستحمام.

الْعَقِيقُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْعَقِيقُ يُقَوِّي الْقَلْبَ عِنْدَ الْخُصُومَةِ[1]».

خِصَالٌ حَمِيدَةٌ

الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم كانَ يَعِيشُ الشَّهرَ والشَّهرَينِ على التمرِ والماء:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الرَّسُولُ كانَ يَعِيشُ الشَّهرَ والشَّهرَينِ على التَّمرِ والماءِ، تَمرٌ ومَاءٌ فقط لا يَكونُ في بيتِهِ طبيخٌ. أَحيانًا في خلالِ هذهِ المدةِ بعضُ الجِيرانِ كانُوا يُهْدُونَهُ الحَلِيبَ، وإلَّا فَالتَمرُ والماءِ كانَ أَكلُهُ فَقَط ».

ثَلَاثَ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «حديث: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَقَعَ فِي الكُفرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**» مَعْنَاهُ الإِيمَانُ يَكُونُ قَوِيًّا إِذَا كَانَ الشَّخْصُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ وَيَكْرَهُ الكُفْرَ كَرَاهِيَةً شَدِيدَةً، لا يَكُونُ الرَّجُلُ مَؤْمِنًا كَامِلًا وَلِيًّا حَتَّى يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ، مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ عِنْدَئِذٍ يَكُونُ مُؤْمِنًا كَامِلًا، ثُمَّ يُحِبُّ النَّاسَ المسْلِمِينَ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى لَيْسَ لِلمَالِ، لَيْسَ لِلجَاهِ، لإِيمَانِهِ عِنْدَمَا تَحْصُلُ هَذِهِ الصِّفَاتُ الثَلاثُ يَكُونُ مُؤْمِنًا كَامِلًا لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّ المسْلِمَ لأَنَّهُ مُسْلِمٌ مُؤْمِنٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ هَذَا اللهُ تَعَالَى يُظِلُّهُ بِظِلِّ

[1] أي يثبت الشخص من قوّة قلبه.

العَرْشِ عِنْدَمَا يَكُونُ حَرُّ شَمْسِ يَوْمِ القِيَامَةِ شَدِيدًا وَلا يَكُونُ شَجَرٌ وَلا بِنَاءٌ بَلْ تَكُونُ الأَرْضُ مُسْتَوِيَةً، الجِبَالُ تُدَّكُ كَالغُبَارِ النَّاعِمِ تَصِيرُ تَطِيرُ».

السِّوَاكُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ كَانُوا لا يَلبسُونَ القَمِيصَ إِلَّا الإِزارَ والرِّدَاءَ كَالْمُحرِمِ فكانُوا يَضَعُونَ السِّوَاكَ بَينَ الأُذُنِ والرَأسِ، لو لَمْ يَكُن فيهِ إِلَّا الفَائدةُ لِلْأَسْنانِ واللِّثَةِ لَكَفَى. طَبِيبٌ حِمصِيٌّ قالَ: «لَو كُنتُم تَلتزِمُونَ هَذا ما كُنَّا نَسْتَفْتِحُ»».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَوَّلَ مَا يَسْتَيْقِظُ الشَّخْصُ مِنَ النَّومِ يَسْتَاكُ ويَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى، إِمَّا تَهلِيلٌ أَو تَسبِيحٌ أَو استِغفَارٌ أَو نَحوُ ذَلِكَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَقْلِيلُ الأَكْلِ خَيرٌ للدِّينِ والدُّنْيَا. الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَمَرَ بتَقلِيلِ الأَكْلِ».

كَانَ رَسُولُ اللهِ رَحِيمًا لِلْمُؤْمِنِينَ:

وَقَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ شِدَّةِ شَفَقَتِهِ وَرَحْمَتِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ إِذَا لَم يَرَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَنِ يَتَفَقَّدُهُ حَتَّى إِنَّهُ قيلَ لَهُ عن رَجُلٍ غَرِيبٍ مُؤْمِنٍ فَقِيرٍ حِينَ سَأَلَ عَنْهُ قِيلَ لَهُ: إِنَّهُ تُوُفِّيَ فَذَهَبَ إِلَى قَبْرِهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ، سَأَلَ عَنْ قَبْرِهِ أَيْنَ دُفِنَ فَدُلَّ عَلَيهِ فصَلَّى عَلَيْهِ. إِلَى هَذَا الحَدِّ كَانَ يُحِبُ الْمَسَاكِينَ وَيَعْتَنِي بِهِم، وَهَذَا ما كَانَ إِلَّا رَجُلًا مُؤمِنًا غَرِيبًا مِسْكِينًا».

خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ:

قال الإمام الهرري رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**» رواهُ الترمذيُّ ومعناهُ الذي يُحسِنُ مُعامَلَةَ زَوجَتِهِ، يُعامِلُها بِالتَّواضُعِ والعَطْفِ والرحمة والإحسانِ والعفوِ إذا هي أساءَتْ هو مِن أفضلِ الرجالِ، لأنَّ الذي يكونُ مع امرأتِهِ هكذا يكونُ معَ الغيرِ هكذا. كثيرٌ من الرجالِ على خِلافِ هذا الحديثِ يُعاملونَ نِساءَهُمْ، لا يَتَواضَعُ معَها، يَتَرَفَّعُ عليهَا هذا لا ينبَغِي، ينبَغِي أن يَتَواضَعَ معها ويُحْسِنَ إليها ويَصْفَحَ ويعفوَ عن سَيِّئَاتها، لا يُقَابِلُ الإساءَةَ بِالإساءَةِ.».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كَلِمَةُ الأَهْلِ فِي اللغَةِ تُطْلَقُ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ مَعْنًى. الزَّوْجَة يُقَالُ لَهَا أَهْلٌ، وَالأَقْرِبَاءُ يُقَالُ لَهُمْ أَهْلٌ. الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ**» مَعْنَاهُ الزَّوْجَةُ، قَالَ: «**وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**» أَيْ أَنَا أَفْضَلُكُمْ فِي مُعَامَلَةِ أَزْوَاجِي. هَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ تَوْصِيَةٌ بِحُسْنِ مُعَامَلَةِ الأَزْوَاجِ. الرَّسُولُ مَا كَانَ يُعَامِلُهُنَّ مُعَامَلَةَ التَّرَفُّعِ عَلَيْهِنَّ، كَانَ يَدُورُ عَلَيْهِنَّ، يَأْتِي إِلَى بَابِ هَذِهِ وَيَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَعَلَى هَذِهِ، وَعَلَى هَذِهِ، وَعَلَى هَذِهِ، مِنْ شِدَّةِ تَوَاضُعِهِ. أَكْثَرُ النَّاسِ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا جَبَّارِينَ عَلَى الزَّوْجَاتِ مُتَرَفِّعِينَ؛ هَذَا خِلَافُ الشَّرِيعَةِ، خِلَافُ مَا يَرْضَاهُ اللهُ. فِي أُورُوبَّا النِّسَاءُ اللَّاتِي أَسْلَمْنَ ثُمَّ تَزَوَّجَهُنَّ بَعْضُ الْجَزَائِرِيِّينَ وَالْمَغَارِبَةِ وَاللُّبْنَانِيِّينَ كُنَّ يَشْكُونَ فَظَاظَةَ وَسُوءَ خُلُقٍ فِي مُعَامَلَتِهِنَّ، هذا لَا يَنْبَغِي. هَذِهِ الَّتِي أَسْلَمَتْ تَزَوَّجَتْ بِهَذَا الْمُسْلِمِ فَإِنْ عَامَلَهَا مُعَامَلَةً حَسَنَةً تَقْوَى فِي الدِّينِ، أَمَّا إِذَا عَامَلَهَا مُعَامَلَةً سَيِّئَةً قَدْ يُنَفِّرُهَا مِنَ الدِّينِ. بَعْضُ النَّاسِ فِيهِمْ قَسَاوَةٌ وَفَظَاظَةٌ، وَهَذَا لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ. لَا يَتَرَفَّعِ الشَّخْصُ عَلَى زَوْجَتِهِ بَلْ يَكُونُ مُتَوَاضِعًا مَعَهَا، لَكِنْ مَعَ مُرَاعَاةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، يَكُونُ مُتَوَاضِعًا مَعَ زَوْجَتِهِ، لَكِنْ يَأْمُرُهَا بِمَا فَرَضَ اللهُ وَيَنْهَاهَا عَنِ الْمَعَاصِي.

مَوَالِي أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ أَعْتَقُوهُمْ أَلَيْسَ كَانَ لَهُمْ أَرِقَّاءُ أَعْتَقُوهُمْ، كَثِيرًا أُعْتِقُوا، هَذَا إِذَا قُرِئَ بِفَتْحِ الْمِيمِ. أَمَّا الْمُوَالِي مَعْنَاهُ الَّذِي يُنَاصِرُ أَهْلَ الْبَيْتِ، كُلُّ مَنْ يُنَاصِرُ أَهْلَ البَيْتِ، كُلُّ مَنْ يُنَاصِرُهُمْ يُقَالُ لَهُ: مُوَالِي أَهْلِ الْبَيْتِ. أَهْلُ البَيْتِ هُمْ أَزْوَاجُ الرَّسُولِ وَءَالُ عَلِيٍّ وَءَالُ عَقِيلٍ وَءَالُ جَعْفَرٍ وَءَالُ الْعَبَّاسِ هَؤُلَاءِ يُقَالُ لَهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ. الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوْصَى بِإِكْرَامِهِمْ بِإِكْرَامِ أَهْلِ الْبَيْتِ، أَكَّدَ عَلَى ذَلِكَ قَالَ: «**أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**».

بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ وَفَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ظَلَمُوهُمْ، بَنُو أُمَيَّةَ ظَلَمُوهُمْ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ، إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

أَضَاعُوا وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ أَغْلَبُ حُكَّامِهِمْ، هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْبَيْتِ هَاشِمِيُّونَ، وَبَنُو أُمَيَّةَ لَيْسُوا مِنْ هَاشِمٍ. الرَّسُولُ هَاشِمِيٌّ. فَالْهَاشِمِيُّونَ يُقَدَّمُونَ عَلَى الْأُمَوِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ كُلِّ قَبَائِلِ الْعَرَبِ».

وَدِدْتُ أَنْ لَو رَأَيْتُ إِخوَانِي:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم: «**وَدِدْتُ أَنْ لَو رَأَيْتُ إِخْوَانِي**» قِيلَ: «أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» قَالَ: «**أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانِي الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ أَنْ لَوْ رَءَانِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ**» رواهُ مسلمٌ ورَوَاهُ القشيريُّ فِي الرسالةِ بلفظِ «**أحبابِي**».

الْحِفْظُ قَبْلَ الْفَجْرِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْحِفْظُ قَبْلَ الْفَجْرِ بِشَىْءٍ مِنَ الْوَقْتِ، يُبْكِرُ بِالنَّوْمِ قَبْلَ انْتِصَافِ اللَّيْلِ تَنَامُ تُصَلِّي الْعِشَاءَ ثُمَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَمَامَكَ أَمْرٌ مُهِمٌّ بَعْدَ سَاعَةٍ

أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ تَنَامُ ثُمَّ قَبْلَ الْفَجْرِ بِسَاعَتَيْنِ تَقُومُ، تَبْقَى مُسْتَيْقِظًا تُطَالِعُ. فِي هَذَا الزَّمَنِ تَغَيَّرَتِ الْعَادَاتُ الْحَسَنَةُ، أَكْثَرُ أَهْلِ الْمُدُنِ الْيَوْمَ لَا يَنَامُونَ قَبْلَ نِصْفِ اللَّيْلِ، التِّلِفِزْيُون شَغَلَ النَّاسَ».

الدَّالُ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الذي يَفْعَلُ خَيْرًا لِنَفْسِهِ له أَجْرُ عَمَلِهِ والذي يَدُلُّ غَيْرَهُ على الخَيْرِ يكُونُ له أَجرُ نفسِهِ أجرُ عمَلِهِ وأجرُ مَن يَدُلُّهُمْ على الخيرِ، هكذَا فاجْتَهِدُوا».

الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْمُتحابونَ في اللهِ يَجلِسُونَ يومَ القيامةِ تَحتَ العرشِ على كَرَاسيَّ من يَاقُوت، اللهُ يَجعَلُنَا مِن أولئكَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُونَ مَتَعَامِلِينَ فِيْمَا بَيْنَهُمْ عَلَى التَّغَاضِي وَالعَفْوِ وَالسَّمَاحِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْمُسْلِمُونَ إِذَا تَحَاسَدُوا وَتَبَاغَضُوا يَتَقَاعَسُونَ عَنِ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى».

وَقَالَ رضي الله عنه: «النَّاسُ الَّذِينَ فِي الدُّنْيَا يَتَحَابُّونَ لِوَجْهِ اللهِ لَيْسَ لِلمَالِ وَلا لِلهَوَى وَلا لِلقَرَابَةِ بَلْ حُبًّا فِي اللهِ، اللهُ تَعَالَى يُسَلِّمُهُمْ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكْتَسِبُهُ الإِنْسَانُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَنْفَعِهِ فِي الآخِرَةِ مَحَبَّةُ المسْلِمِ لأَخِيهِ المسْلِمِ، المحَبَّةُ الَّتِي فِيهَا تَعَاوُنٌ عَلَى مَا يُرْضِي اللهَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مِنْ دَاءِ القَلْبِ الحَسَدُ وَالبُغْضُ وَضَرَرُهُ كَبِيرٌ، لأَنَّ المسْلِمِينَ إِذَا تَحَاسَدُوا وَتبَاغَضُوا، يَتَقَاعَسُونَ عَنِ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَهَذَا خِلافُ التَّعَاوُنِ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى».

وَقَالَ رضي الله عنه: «التَّحَابُّ فِي اللهِ عِبَارَةٌ عَنْ أَنْ يَكُونَ المؤْمِنُ مُعَامِلًا لإِخْوَانِهِ بِالنَّصِيحَةِ، يُحِبُّ لَهُمْ مِنَ الخَيْرِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَيَكْرَهُ لَهُمْ مِنَ الشَّرِّ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْمُؤْمِنُ يَنْبَغِي أن يكونَ لأَخِيهِ الْمُؤمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بعْضُهُ بَعْضًا وَأَنْ يكونَ مُحِبًّا لِلمُؤْمِنِ للهِ تَعَالَى، فَقَدْ قَالَ الرسولُ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «**لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا**»، وَفِي صَحِيحِ ابنِ حبّانَ: «**لَا تبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**». وَمَعْلُومٌ أَنَّ النفسَ مَجْبُولَةٌ عَلَى حُبِّ التَّعَالِي عَلَى الغَيْرِ، وَاللهُ يُحِبُّ مِنْ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يكونَ مُتَوَاضِعًا. وَالتَّحَابُّ فِي اللهِ فِيهِ سِرٌّ عَظِيمٌ لأنَّ التَّنَافُرَ يُؤَدِّي إِلَى الغِيبَةِ وَالقَطِيعَةِ، هذَا يَغْتَابُ هذَا وهذَا يَغْتَابُ هذَا. ثُمَّ كَثِيرًا مَا يَنْخَدِعُ الْمَرْءُ لِنَفْسِهِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ فَيَظُنُّ أَنَّهُ إِنْ رَدَّ الإِسَاءَةَ بِمِثْلِهَا يكونُ مُكْرِمًا لِنَفْسِهِ وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ مُخْطِئٌ وَفِي هذَا قَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رُبَّ مُكْرِمٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مُهِينٌ**» فَالتَّوَاضُعُ سِرٌّ عَظِيمٌ وَمُخَالَفَةُ النَّفْسِ هِيَ طَرِيقُ التَّرَقِّي لِلْمَعَالِي».

الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «يُقَالُ إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ، وَلَا يُقَالُ لَا حَيَاءَ فِي الدِّينِ، اللهُ أَمَرَ بِالْحَيَاءِ، يُحِبُّ الْحَيَاءَ. أَمَّا الِاسْتِحْيَاءُ مِنَ الْحَقِّ لَا يُحِبُّهُ اللهُ كَأَنْ يَتْرُكَ الشَّخْصُ تَعَلُّمَ مَا فَرَضَهُ اللهُ مِنْ أَجْلِ الِاسْتِحْيَاءِ مِنَ النَّاسِ. الرَّسُولُ قَالَ: «**الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ**» مَعْنَاهُ الْإِنْسَانُ إِذَا تَرَكَ الشَّيْءَ الَّذِي لَا يَهُمُّهُ هَذَا يُحِبُّهُ اللهُ مَثَلًا لَهُ دَيْنٌ عَلَى شَخْصٍ يَسْتَحِي أَنْ يَقُولَ لَهُ: أَعْطِنِي حَقِّي يَسْكُتُ هَذَا يُحِبُّهُ اللهُ. هُوَ [الْمَدِينُ] فَرْضٌ

عَلَيْهِ إِنْ طَالَبَهُ [الدَّائِنُ]، يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَدْفَعَ فَوْرًا إِذَا حَلَّ الْأَجَلُ، لَا يُمَاطِلْ، إِنْ مَاطَلَ حَرَامٌ لَكِنْ هُوَ لَهُ دَيْنٌ عَلَى الشَّخْصِ يَسْتَحِي أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَا فُلَانُ رُدَّ لِي، يَسْكُتُ حَيَاءً، هَذَا مَطْلُوبٌ».

الْمُحْتَسِبُونَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «فِي الْمَاضِي الْبَعِيدِ أَيَّامَ الْخُلَفَاءِ كَانَ مُحْتَسِبُونَ، الْخُلَفَاءُ يُوَظِّفُونَ نَاسًا يُقَالُ لَهُمُ الْمُحْتَسِبُونَ مَعْنَاهُ أُنَاسٌ يَدُورُونَ فِي النَّاسِ. إِذَا رَأَى إِنْسَانًا يَتَكَلَّمُ بِالْحَرَامِ أَوْ يَفْعَلُ فِعْلَ حَرَامٍ يُؤَدِّبُونَ. الْيَوْمَ لَا يُوجَدُ، أُولَئِكَ يَضْرِبُونَ وَيُؤَدِّبُونَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْمُنْكَرَ، يَدُورُونَ، الْآنَ انْقَطَعَ، إِخْوَانُنَا الْيَوْمَ نَعَمْ يَقُومُونَ بِهَذِهِ الْوَظِيفَةِ لَيْسَ مِنْ قِبَلِ الدَّوْلَةِ، جَمَاعَتُنَا الْحَمْدُ للهِ كَثُرَتْ فيهم الْمَرَائي مِنْ قِبَلِ الرَّسُولِ وَمِنْ غَيْرِ قِبَلِ الرَّسُولِ لِأَنَّ جَمَاعَتَنَا يَنْشُرُونَ الْحَقَّ، يَنْشُرُونَ الدِّينَ».

التَّشَارُكُ الْمَمْدُوحُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «وَرَدَ فِي حَدِيثٍ قُدْسِيٍّ: «**أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ**» مَعْنَاهُ الاثْنَانِ إِذَا تَشَارَكَا وَكَانَا يَتَعَامَلَانِ بِالْعَدْلِ وَالصِّدْقِ اللهُ يُعِينُهُمَا».

التَّحَابُّ فِي اللهِ فيه سِرٌّ عَظِيمٌ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «النَّفْسُ مَجْبُولَةٌ على حُبِّ التَعَالِي على الْغَيْرِ. التَّحَابُّ فِي اللهِ فيه سِرٌّ عظيمٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أُوصِيكُمْ بِالتَّحَابِّ فِي اللهِ وَالتَّزَاوُرِ فِيهِ فَإِنَّ لِلمُتَحَابِّينَ دَرَجَةً عَظِيمَةً».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**لَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا**» معناهُ الإِيمَانُ شَرْطٌ لدُخُولِ الْجَنَّةِ وَلَا يَكْمُلُ الإِيمَانُ إِلَّا بِالتَّحَابِّ فِي اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أوصِيكُمْ بالتحابِّ والتَّوَادِّ والتَّنَاصُحِ والتزاورِ والتباذلِ ولو بشيءٍ قليلٍ. يبذلُ هذا لأخيهِ سِوَاكًا أو شَيئًا سَهْلًا ثُمَّ الآخرُ يَبْذُلُ ما تَيَسَّرَ لهُ، إنَّ التَّبَاذُلَ يقوي المحبةَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**تَصَافَحُوا تَذْهَبِ الشَّحْنَاءُ وَتَهَادَوْا تَحَابُّوا وَيَذْهَبُ الْغِلُّ**». فالتَّحَابُ فِي اللهِ فيهِ سِرٌّ عظيمٌ لأنَّ التَّنافُرَ يُؤَدِّي إِلَى الغِيبَةِ، هذا يَغْتَابُ هَذَا وَهَذَا يَغْتَابُ هَذَا وفِي الْآخِرَةِ الْجَزَاءُ يَكُونُ عَلَى حَسَبِ الْعَمَلِ. ففِي صَحِيحِ البخاريِ: «**لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا**». فالتَّحَابُّ فِي اللهِ من صِفَاتِ الْمُؤْمِنِ الْكَامِلِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أُوصِيكُمْ بِالتَّحَابِّ وَالتَّوَاصُلِ وَالتَّزَاوُرِ وَالتَّبَاذُلِ، وَالتَّبَاذُلُ هُوَ أَنْ يَبْذُلَ الأَخُ لأَخِيهِ مَا يَسْتَطِيعُ وَلَوْ كَانَ شَيْئًا حَقِيرًا لأَنَّ الهَدِيَّةَ تُؤَلِّفُ القُلُوبَ. ثُمَّ بِاحْتِرَامِ الكَبِيرِ فِيكُم سِنًّا وَرَحْمَةِ الصَّغِيرِ، فَإِذَا عَمِلْتُمْ بِهَذِهِ الوَصِيَّةِ يُرْجَى أَنْ تَكُونُوا بِازْدِيَادٍ إِلَى الرُّقِيِّ إِلَى الْمَعَالِي».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أُوصِيكُمْ بِالتَّحَابِّ فِي اللهِ والتَّطَاوُعِ وَالتَّزَاوُرِ والتَّنَاصُحِ وَتَحَمُّلِ الْأَذَى مِنْ بَعْضِكُمْ وَكَفِّ الْأَذَى عَنِ الْغَيْرِ وَهَكَذَا كَانَ حَالُ سَيِّدِنَا أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ».

وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلمُتَحَابِّينَ فِيَّ[1]:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «وَرَدَ فِي الحَدِيثِ أَنَّ المؤمِنَ إِذَا خرجَ لزيارةِ أخيهِ المؤمنِ يقولُ لَهُ مَلَكٌ من مَلَائِكَةِ الرَّحمةِ هو لا يَسمعُهُ وقدْ يَسْمَعُهُ: «**طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ**» أَوْ «**بَوَّأَكَ اللهُ نُزُلًا فِي الجَنَّةِ**». معناهُ مَشَيتَ لِخيرٍ عظيمٍ ولكَ في الجنةِ بيتٌ. وَوَرَدَ فِي الحديثِ القدسِيّ: «**وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلمُتَحَابِّينَ فِيَّ ووَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ ووَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ووَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ ووَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ**». التَّوَاصُلُ بالزِّيارةِ فيهِ خَيْرٌ عَظِيمٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «فِي الحَدِيثِ: «**إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ**»؛ مَعْنَاهُ لِيَقُلْ لَهُ إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخوَانًا مُتَنَاصِحِينَ كَمَا أَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ، وَلْيَتَفَقَّدْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، بِهَذَا تَقْوَى الدَّعْوَةُ وَبِهَذَا يَقْوَى تَآلُفُ الْقُلُوبِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ يَجعَلُنَا مُتَحَابِّينَ فِي اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ خيرَ ما يُتَواصَى بِهِ تقوى اللهِ والتعاونُ على البرِّ والتَّنَاهِي عَنِ الْمُنْكَرِ، فاغتَنِمُوا مِنْ حَيَاتِكُم الحَسَنَاتِ وَالمبرَّاتِ، واعْمَلُوا بِحَدِيثِ: «**حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ**»، وبِحَدِيثِ: «**إِنَّكُمْ لَتَغْفُلُونَ عَنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَةِ التَّوَاضُعُ**»».

---

[1] الْمُتَحَابِّينَ: أي أن يحبَّ المسلمُ أخَاهُ المحبَّةَ الحقيقية، وهي المحبةُ في الله، وهي أن يحبَّ المسلمُ لأخيهِ ما يحبُّهُ لنفسِهِ من الخير ولا يغُشُّهُ لا بالفِعْلِ ولا بالْقَوْلِ ويصَافِيَهُ المحبةَ، بمعنى أنه إن رآه على الخير يُسَرُّ بهِ يفرحُ له بهِ وإن رآه على خِلَافِ ذلك يكرهُ له ذلك ويحاول أن يخلِّصَهُ منه.

لَا يَكمُلُ الإيمانُ إلَّا بالتَحابِّ فِي اللهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّم: «**لَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا**»؛ معناهُ الإيمانُ شرطٌ لِدُخُولِ الجنةِ ولَا يَكمُلُ الإيمانُ إلَّا بالتَحابِّ فِي اللهِ».

التَّعَاوُنُ عَلَى الخَيْرِ والبِرّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «تعاونُوا على الخَيْرِ تَعَاوَنُوا على البِرّ، مَن يَتَعَاوَنُونَ عَلَى البِرِّ فِي الدُّنيا وَيَتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ تَعَالَى، يَوْمَ القِيَامَةِ اللَّهُ تَعَالَى يُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّ العَرْشِ وَالنَّاسُ يُلَاقُونَ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ مِن حَرِّ الشَّمْسِ ذَلِكَ اليَوْمَ. ذَلِكَ اليَوْمَ لا يُوجَدُ مَكَانٌ يَستَظِلُّ الإِنْسَانُ تَحتَهُ، لا جِدَارٌ وَلا شَجَرَةٌ وَلا صَخْرَةٌ، لا يُوجَدُ ظِلٌّ إِلَّا ظِلُّ العَرْشِ. مَنْ أَرَادَ اللَّهُ لَهُ النَّجَاةَ يَجعَلُهُ هُنَاكَ».

لا يُؤمِنُ أحدُكُم حتَّى يُحِبَّ لأخيهِ مَا يُحِبُّ لنفسِهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «تَعَوَّدُوا التَّعَافِي فِيمَا بَيْنَكُمْ، أَمَّا الْحِقْدُ عَمَّا هُوَ إِسَاءَةٌ مِنْ أَحَدِكُمْ هَذَا لَيْسَ فِيهِ خَيْرٌ. لِمَ لَا تَعْمَلُونَ بِحديثِ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**». أَلَيْسَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ الْعَفْوُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ؟ وَمُقَابَلَتُهُ بِالْإِحْسَانِ بَدَلَ الْإِسَاءَةِ؟ تَنْصَحُهُ بِهَذَا، إِنْ شَاءَ اللهُ يَحْصُلُ خَيْرٌ».

الدَعْوَةُ إلى اللهِ تَحْتَاجُ إِلَى التَّوَاضُعِ وَالتَّوَافُقِ وَالتَّحَابِّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ تَحْتَاجُ إِلَى أُمُورٍ، مِنْهَا التَّوَاضُعُ وَالتَّحَابُّ وَالْحِلْمُ وَالتَّطَاوُعُ. أَمَّا التَّوَاضُعُ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى التَّآلُفِ. الرَّسُولُ سَمَّاهُ أَفْضَلَ الْعِبَادَةِ

«**إِنَّكُمْ لَتغْفُلُونَ عَنْ أَفْضَلِ الْعِبادَةِ التَّوَاضُعُ**»، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ تَوَاضَعَ للهِ دَرَجَةً رَفَعَهُ اللهُ دَرَجَةً حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى عِلِّيِّينَ**»، وَقَالَ: «**مَنْ تَكَبَّرَ دَرَجَةً خَفَضَهُ اللهُ دَرَجَةً حَتَّى يَبْلُغَ أَسْفَلَ سَافِلِينَ**». مَن استمَرَّ عَلَى التكبُّرِ يَصِلُ إِلَى أسفلِ السَّافِلِينَ فِي الانْحِطَاطِ الْمَعْنَوِيِّ وهو الْخُسرانُ معناه هو أَخْسَرُ الْخَاسِرِينَ. وَأَهْلُ العلمِ يَكْثُرُ الاسْتِفَادَةُ مِنْهُمْ عَلَى حَسَبِ تَوَاضُعِهِمْ، وبِفَقْدِ التَّوَاضُعِ أهْلُ العِلْمِ يَقِلُّ الانتفاعُ بِهِمْ. وَأَمَّا التَّحَابُّ وَالتَّوَادُّ فَهُوَ أَسَاسُ النَّفْعِ وَالِانتفاعِ، فَقَدْ قَالَ رسولُ اللهِ: «**لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا**» معناهُ وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَيْ لَا يَكُونُ إِيْمَانُ الْمَرْءِ كَامِلًا حَتَّى يُحِبَّ إِخْوَانَهُ، يُحِبَّ لَهم الْخَيْرَ ويَكْرَهَ لَهم الشَّرَّ، يَفْرَحَ لفَرَحِ إخوانِه وَيَحْزَنَ لِحُزْنِهِمْ، مَعْنَى الْحَدِيثِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَعَ الأَوَّلِينَ إِلَّا إِذَا كَانَتْ فِيهِ هذِهِ الْمَحَبَّةُ. وَأَمَّا التَّطَاوُعُ فَهُوَ مَطْلُوبٌ لأَنَّ الِاسْتِفَادَةَ بَيْنَ الإِخْوَانِ لَا تَتِمُّ بدُونِهِ، وَمَعْنَى التَّطَاوُعِ هو التَوَافُقُ عَلَى مَا فِيهِ خَيْرٌ، يَسْتَضِيءُ الْمُؤْمِنُ بِمَا عندَ أخِيهِ مِنَ الفَهْمِ وَالْمَعْرِفَةِ ويستفِيدُ الآخَرُ مِنْهُ ذلِكَ. وَأَمَّا الْحِلْمُ فَهُوَ الصَّبْرُ عَلَى الْمُتعَلِّمِينَ خُصُوصًا وعَلَى غَيْرِهِمْ عُمُومًا، لأَنَّ الْمُعَلِّمَ إِذَا عَوَّدَ نفسَه الْحِلْمَ تكونُ إفادَتُهُ أَكْثَرَ، وذلِكَ لأنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُعَلِّمِينَ يضجَرُونَ مِنْ كَمَالِ الْإِفَادَةِ وَيُحْرَمُونَ خَيْرًا كَثِيرًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَخْلِصُوا النِّيَّةَ للهِ، اللهُ تَعَالَى لاْ يَقْبَلُ عَمَلًا إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا لَهُ، أَخْلِصُوا النِّيَّةَ للهِ وتَوَاضَعُوا، كُلٌّ مِنْكُمْ يَتَوَاضَعُ ويُعَامِلُ أخَاهُ بِمَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِه، لا يَذهَبْ أَحَدُكُمْ مَذْهَبَ الِاسْتِبْدَادِ والتَّرَفُّعِ، هَذَا خَرَابٌ، هَذَا لا يُنَاسِبُ الدَّعْوَةَ إلى اللهِ، الدَّعْوَةُ إلى اللهِ تحتاجُ إلى التَّواضُعِ والتَّوَافُقِ والتَّحَابِّ، اسْلُكُوا هذا المَسْلَكَ حَتَّ تَنْجَحُوا فِي عَمَلِ الدَّعْوَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أُوصِيكُمْ بِالحِلْمِ والتَّوَاضُعِ، أَنْ يَتَوَاضَعَ المُعَلِّمُ لِمَن يُعَلِّمُ والمُتَعَلِّمُ يَتَوَاضَعُ لِمَنْ يُعَلِّمُهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «التَّوَاضُعُ مَطْلُوبٌ مَعَ الكِبَارِ وَالصِّغَارِ وَالأَغْنِيَاءِ وَالفُقَرَاءِ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لِيَكُنْ يَوْمُكُمْ خَيْرًا مِنْ أَمْسِكُمْ وَتَوَاصَوْا فِيمَا بَيْنَكُمْ بِالْحِلْمِ، وَفَّقَكُمُ اللهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كُونُوا مُتَحَابِّينَ نَاصِحِينَ مُتَشَاوِرِين مُتَزَاوِرِينَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ تَعَالى يُحِبُّ لِعِبَادِهِ أَنْ يَكُونُوا مُتَوَاضِعِينَ فَلا يُحِبُّ أَهْلَ الفَخْرِ وَالعُجْبِ وَالكِبْرِيَاءِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِيَّاكُمْ وَالتَّرَفُّعَ عَلَى الْإِخْوَانِ الَّذِينَ يَجْمَعُكُمْ وَإِيَّاهُمُ التَّوْحِيدُ وَالتَّنْزِيهُ، فَلَا يَعْقِدْ أَحَدُكُمْ قَلْبَهُ عَلَى التَّرَفُّعِ عَنْ قَبُولِ رَأْيِ غَيْرِهِ نَظَرًا لِكَوْنِهِ أَكْبَرَ سِنًّا مِنْهُ أَوْ لِكَوْنِهِ أَعْلَمَ مِنْهُ. تَأَسَّوْا بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ الَّذِينَ جَرَّدُوا نِيَّاتِهِمْ عَنْ ذَلِكَ وَلْيَكْفِكُمْ فِي ذَلِكَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه أَمَّرَ عَلَى الْجَيْشِ الَّذِي أَرْسَلَهُ لِمُحَارَبَةِ الْمُرْتَدِّينَ مِنَ الْعَرَبِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ. مَا أَمَّرَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي هُوَ أَعْلَمُ الصَّحَابَةِ وَالَّذِي هُوَ أَشْهَرُ الشُّجْعَانِ فِيمَا بَيْنَ الصَّحَابَةِ فَلَمْ يَتَلَكَّأْ عَنِ الْكَوْنِ تَحْتَ إِمَارَةِ خَالِدٍ وَالْعَمَلِ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ بَلْ قَامَ حَقَّ الْقِيَامِ مِنْ غَيْرِ تَقْصِيرٍ وَلَا تَوَانٍ. وَلَا يَعْقِدْ أَحَدُكُمْ قَلْبَهُ عَلَى أَنْ لَا يُطِيعَ إِلَّا مَنْ هُوَ كَامِلُ الْأَوْصَافِ فَإِنَّ كَامِلَ الْأَوْصَافِ نَادِرٌ فِي النَّاسِ. يَقُولُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**النَّاسُ كَإِبِلٍ مِائَةٍ، لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً**». وَأَلْزِمُوا أَنْفُسَكُمُ التَّوَاضُعَ فَإِنَّ التَّوَاضُعَ مِرْقَاةٌ إِلَى الْكَمَالِ. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّكُمْ لَتَغْفُلُونَ عَنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَةِ التَّوَاضُعُ**»، تَوَاضَعُوا لِمَنْ فَوْقَكُمْ وَلِمَنْ دُونَكُمْ. فَالَّذِي لَا يَتَوَاضَعُ لَا يَتَرَقَّى لِأَنَّ تَرْكَ التَّوَاضُعِ حَاجِزٌ بَيْنَ الشَّخْصِ وَبَيْنَ التَّرَقِّي».

الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ**». فَمَنْ عَمِلَ بِهَذَا الْحَدِيثِ رَفَعَهُ اللهُ درجَاتٍ. مَنْ أَرَادَ التَّرَقِّيَ وَحُسْنَ الْحَالِ عِنْدَ اللهِ فلْيَعْمَلْ بِهذَا الحَدِيثِ وَلْيَتَوَاضَعْ لِأَخيهِ وَلْيُحَسِّنِ الظَّنَّ بهِ، إنَّ تَحسِينَ الظَّنِّ بينَ المؤمنينَ يُوصِلُ إلى الْمُعَامَلَةِ الحَسَنَةِ بَينَ المسلمينَ، فيَحصُلُ لَهُ حُسْنُ الخُلُقِ وهو عَمَلُ المعروفِ وكَفُّ الأذَى عن الْغَيْرِ وتَحَمُّلُ أذَى الغيرِ، هَذِهِ سِيرةُ الأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ، وَأَمَّا قولُهُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**وَلَا يُسْلِمُهُ**» فَمَعْنَاهُ لا يتركُهُ يُظْلَمُ وَهُوَ يَسْتَطِيعُ دَفْعَ الظُّلْمِ عَنْهُ».

إنَّ اللهَ يُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أُوصِيكُم بالتَّوَاضُعِ وتَركِ التَرَفُّعِ على الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ عَليكُم بالرِّفقِ فيمَا بينَكُم وتركِ الغلظَةِ، والإِحْسَانِ إِلَى مَنْ أساءَ إليكُم، واعْمَلُوا بِحَدِيثِ: «**إنَّ اللهَ يُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ**» ثُمَّ اتركُوا الْمُزَاحَ الَّذِي لَا خَيْرَ فيهِ، وَتَعَامَلُوا فِيمَا بَيْنَكُم بِالرِّفْقِ والْمَحَبَّةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «التَزِمِ الرِّفْقَ بِالنَّاسِ وَالشَّفَقَةَ، الرِّفْقُ زَيْنٌ وَالعُنْفُ شَيْنٌ فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ الزَّيْنَ، وَعُدْ إِلَى مُعَامَلَةِ مَنْ عَامَلْتَهُمْ بِغَيْرِ الرِّفْقِ إِلَى المُعَامَلَةِ بِالرِّفْقِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أُوْصِيكُمْ بِالرِّفْقِ فِي مُعَامَلَةِ النَّاسِ الْمُحِبِّينَ وَالْمُبْغِضِينَ، وَلَا تُعَامِلُوهُمْ مُعَامَلَةً إِلَّا بَعْدَ أَنْ تُفَكِّرُوا فِي عَوَاقِبِ تِلْكَ الْمُعَامَلَةِ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهَا سَالِمَةً أَقْدَمْتُمْ وَإِلَّا أَحجَمْتُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَالشَّتَائِمَ بِكَلِمَاتٍ تُثِيرُ زِيَادَةَ العَدَاوَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ فَلْيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ومَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَلْيَنْهَ بِالْمَعْرُوفِ، لأنَّ بعضَ النَّاسِ إِذَا كُلِّمُوا فِي النَّهْيِ عن الْمُنْكَرِ يَزِيدُونَ شَرًّا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لِيَكُنْ تَكْلِيمُكُمْ لِمَنْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْصَحُوهُ عَلَى وَجْهِ الإِشْفَاقِ عَلَيْهِ لا عَلَى وَجْهِ التَّهْشِيمِ، لأَنَّ الإِنْسَانَ قَدْ لا يَقْبَلُ النّصِيحَةَ إِذَا وُجِّهَتْ لَهُ عَلَى وَجْهِ التَّهْشِيمِ وَيَقْبَلُ إِذَا وُجِّهَتْ عَلَى وَجْهِ الرِّفْقِ مَعَ الإِشْعَارِ بِأَنَّ القَصْدَ مِنَ النَّصِيحَةِ الإِشْفَاقُ عَلَيْهِ».

الَّذِي لَا يَتَواضَعُ لا يَتَرَقَّى:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أُوصِيكُم بتقوَى اللهِ، وإيثارِ الآخِرَةِ على الدُّنيَا، والرِّضَا بالقَلِيلِ من الرِّزْقِ، وَتَرْكِ الغَضَبِ، وتَحْسِينِ الظَّنِ بالإخوانِ، والتَّواصلِ، والتَّحَابِ، والتَّواضُعِ، لَا يَتَرَفَّعْ أَحَدٌ عَلَى أَخِيهِ وَإِنْ كَانَ أقلَّ منهُ علمًا، وَلَا يَأْنَفْ أنْ يَنْقَادَ لأخيهِ الذي هو دونَهُ في العلمِ والعملِ ما دامَ هو يَدعُوهُ إلى خيرٍ. وليَكُنْ أَحدُكُم كَمَا فَعَلَ سيدُنَا عليٌّ رَضِيَ اللهُ عنهُ، كانَ في جَيْشِ خَالِدِ بنِ الوليدِ في حربِ الرِّدَّةِ، كانَ خالدٌ هُو قَائِدُهُم مع ما بينَهُمَا بينَ خالدٍ وسيدِنَا عَلِيٍّ في رِفعَةِ القَدْرِ. الَّذِي لَا يَتَوَاضَعُ لا يَتَرَقَّى، لِأَنَّ تَرْكَ التَّوَاضُعِ حَاجِزٌ بَيْنَ الشَّخْصِ وَبَيْنَ التَّرَقِّي. وأُؤَكِّدُ عَليكُم تَقْلِيلَ التَّنَعُّمِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قالَ الشافعيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالَى: «**مَنْ ظَنَّ نَفسَهُ فوقَ ما يُسَاوِي رَدَّهُ اللهُ إلى قيمتِهِ**» مَعْنَاهُ يَكْشِفُهُ، يَكْشِفُ حقيقتَهُ للنَّاسِ».

الْحِلْمُ وَالتَّوَاضُعُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «عَلَيْكُم بالعَمَلِ بِحَدِيثِ: «**إنكُم لَتَغْفُلُونَ عن أَفْضَلِ العِبَادَةِ التَّوَاضُعُ**» الرَّسُولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يَقُولُ التَّوَاضُعُ هُوَ أَفْضَلُ

العبادةِ، ثُمَّ قالَ إنَّ أكثرَ النَّاسِ يَغفُلُونَ عَنْ ذلكَ أَيْ لَا يَعْمَلُونَ بِهذَا الأمرِ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ العِبَادَةِ، لِذَلِكَ مِنْ ءادابِ المُعَلِّمِ وَالْمُتعَلِّمِ التَّوَاضُعُ، المُعَلِّمُ يَتَوَاضَعُ لِمَنْ يُعَلِّمُهُ لَا يَتَرَفَّعُ وَالْمُتَعَلِّمُ يتواضعُ لِمُعَلِّمِهِ لَا يَتَرَفَّعُ. الْزَمُوا هَذَا الْحَدِيثَ، اعْمَلُوا بهِ. ومِن توابعِ ذلكَ الحِلمُ، المُعَلِّمُ يَنْبَغِي أنْ يَكُونَ حَلِيمًا، قد يَكُونُ الطَّالبُ جَافِيًا فإذَا لَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهِ يَنفِرْ وَيَنْقَطِعْ عن تَمَامِ الاِسْتِفَادَةِ، أمَّا بالحِلْمِ فَيَسْتَفِيدُ حتَّى يَصِلَ إِلَى الْقَدْرِ الْمَطْلُوبِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «التَّوَاضُعُ وَالحِلْمُ مَقْرُونَانِ، قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ: الحِلْمُ زَيْنُ الْعِلْمِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الحَلِيمُ هُوَ الشَّخْصُ العَاقِلُ الصَّبُورُ، فَفِي الزَّمَانِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ يُصْبِحُ الحَلِيمُ فِيهِ حَيْرَانَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَدْ يَكُونُ الجَاهِلُ حَلِيمًا، لَكِنِ الحِلْمُ مَعَ الْإِيمَانِ إِنِ اجْتَمَعَا يَكُونُ شَرَفًا كَبِيرًا، أَمَّا مُجَرَّدُ الحِلْمِ فَقَدْ يَحْصُلُ مِنْ كُفَّارٍ. إِذَا اجْتَمَعَ الحِلْمُ مَعَ التَّقْوَى هَذَا شَرَفٌ كَبِيرٌ عِنْدَ اللهِ. قَالَ سَيِّدُنا عِيسَى فِي صِفَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ: عُلَمَاءُ حُلَمَاءُ بَرَرَةٌ أَتْقِيَاءُ كَأَنَّهُمْ مِنَ الفِقْهِ أَنْبِيَاءُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ كَانَ هُوَ القَائِدَ قَائِدَ الجَيْشِ وَسَيِّدُنَا عَلِيٌّ مَعَهُ، سَيِّدُنَا عَلِيٌّ مَا تَرَفَّعَ عَلَيْهِ، لَمْ يَقُلْ: كَيْفَ أَنَا أَخْرُجُ مَعَ هَذَا الَّذِي لا يُسَاوِينِي لا فِي العِلْمِ وِلا فِي النَّسَبِ وَلا فِي الشَّرَفِ وَلا فِي الشَّجَاعَةِ. انْظُرْ إِلَى حُسْنِ حَالِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ كَانُوا وَصَلُوا إِلَى مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنَ الخَيْرِ العَمِيمِ وَالفَضْلِ العَظِيمِ بِالتَّحَابِّ وَالتَّوَاضُعِ وَالتَّنَاصُحِ وَالتَّوَاصُلِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِالْحِلْمِ وَالصَّبْرِ عَلَى الدَّعْوَةِ وَتَحَمُّلِ أَذَى النَّاسِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أُوصِيكُمْ بِالْحِلْمِ وَالصَّبْرِ وَمُلَاطَفَةِ التَّلَامِيذِ وَتَرْكِ الضَّجَرِ [الَّذِي تَضِيقُ نَفْسُهُ بِسُرْعَةٍ] وَمَنْ أَرَادَ الْفَلَاحَ وَالنَّجَاحَ فَلْيَبِرَّ أَبَوَيْهِ فَإِنَّ مَنْ بَرَّ أَبَوَيْهِ تَكُونُ عَاقِبَتُهُ حَمِيدَةً».

مَنْ تَوَاضَعَ للهِ رَفَعَهُ اللهُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: «**مَنْ تَوَاضَعَ للَّهِ درجةً رفعَهُ اللَّهُ درجةً حتَّى يكونَ في أعلَى عليّينَ ومَنْ تكبَّرَ على اللَّهِ دَرَجةً وَضَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً حتَّى يَكُونَ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ**»».

لَا تَحْقِرُوا أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ:

قَال الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «لا تَحْقِرُوا أَحَدًا مِنَ المسْلِمِيْنَ لَوْ وَجَدْتمُوهُمْ مُقَصِّرِيْنَ فِي العِبَادَاتِ، لا تَقُولُوا فِي أَنْفُسِكُم هَذَا لَيْسَ لَهُ شَىءٌ عِنْدَ اللهِ، مَا يُدْرِيكُم قَدْ يُميتُ الله هذا الإنسان عَلَى الإِيمَانِ وَيَرْزُقُهُ نَوْعَ شَهَادَةٍ، الشَّهَادَاتُ كَثِيرَةٌ.

كَثِيرٌ مِنَ المسْلِمِينَ وَإِنْ كَانُوا عِنْدَ النَّاسِ لَيْسُوا مُعْتَبَرِينَ، لَهُم عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَنْزِلَةٌ عَالِيَةٌ بِأَنْ يُرْزَقُوا نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الشَّهَادَةِ، فَلا يَنْبَغِي أَنْ يُسَاءَ الظَّنُّ بِالْمُسْلِمِ، إِذَا قِيلَ لَنَا أَنَّ فُلانًا تُوُفِّيَ وَكُنَّا نَعْرِفُ عَنْهُ التَّقْصِيرَ فِي العِبَادَاتِ لا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نَحْتَقِرَهُ فِي أَنْفُسِنَا وَنَقُولَ: هَذَا لَيْسَ لَهُ شَىءٌ عِنْدَ اللهِ، نَقُولُ: هَذَا لَعَلَّهُ مَاتَ عَلَى الإِيْمَانِ وَرُزِقَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الشَّهَادَةِ فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَالِمٌ نَاجٍ فِي قَبْرِهِ وَفِي ءَاخِرَتِهِ لَيْسَ عَلَيْهِ نَكَدٌ».

التَّوَاضُعُ أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أُوْصِيكُمْ بِالتَّرَاحُمِ فِيْمَا بَيْنَكُمْ والِانْكِسَارِ وَالتَّوَاضُعِ وحُسْنِ الْخُلُقِ وَسَمَاعِ النَّصِيحَةِ مِمَّنْ دُونَكُمْ أو فَوْقَكُمْ وتَقْلِيلِ الكَلَامِ إِلَّا فِي الْخَيْرِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: « قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّكُمْ لَتَغْفُلُونَ عَنْ أَفْضَلِ العِبَادَةِ التَّوَاضُع**» يَعْنِي أَنَّ التَّوَاضُعَ مِنْ أَفْضَلِ الْحَسَنَاتِ، قَالَ الْحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ: حديثٌ حَسَنٌ. التَّوَاضُعُ يَجْلِبُ التَّآلُفَ وَالتَّحَابَّ وتَرْكَ التَّنَافُرِ، أَمَّا تَرْكُهُ يُسَبِّبُ خِلَافَ ذلِكَ، الأَنبِيَاءُ لَوْلَا التَّواضُعُ الَّذِي خلقَه اللهُ فيهم ما تَبِعَهم النّاسُ فِي الاقْتِدَاءِ بِهِمْ. ثُمَّ التَّوَاضُعُ يكونُ سَبَبًا لِلتَّحَابِّ بَيْنَ الإِخْوَةِ ويكونُ سَبَبًا لِلتَّوَاصُلِ ويكونُ سَبَبًا لِلتَّزَاوُرِ ويكونُ سَبَبًا لِلتَّبَاذُلِ ويكونُ سَبَبًا لِلصَّبْرِ عَلَى أَذَى النَّاسِ. وقد ورَدَ فِي فضائِلِ التحابِّ فِي اللهِ ما يدُلُّ على عُظْمِ ثَوَابِهِ. ثُمَّ التَّحَابُّ فِي اللهِ لَا يكونُ إِلَّا بالتَّوَاضُعِ، لأَنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يَرَى الإنسَانُ مِن أخِيهِ فِي غَالِبِ الأَحْوَالِ شَيْئًا يُزْعِجُهُ إِمَّا إزعَاجًا خَفِيفًا وَإِمَّا إِزْعَاجًا شديدًا. ثُمَّ إِنَّ التَّحَابَّ فِي اللهِ لَهُ ثَمَرَاتٌ، مِنْهَا التَّطاوُعُ. وَمَعْنَى التَّطاوُعِ أَنْ يَكُونَ مُطِيعًا لأَخِيهِ فِي كُلِّ مَا هُوَ خَيْرٌ، بِالتَّطاوُعِ يَحْصُلُ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وقليلٌ معَ التطاوعِ يُثْمِرُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَمَّا تَرْكُ التَّطَاوُعِ يُؤَدِّي إِلَى فُقْدَانِ الْخَيْرِ أَوْ قِلَّتِهِ. كذلِكَ التَّزَاوُرُ مِمَّا يُؤَكِّدُ الْمَحَبَّةَ وَيَغْرِسُ الْوُدَّ فِي القلوبِ، إِذَا عَلِمَ المسلمُ مِنْ أخِيهِ أَنَّهُ يَزُورُهُ تَزْدَادُ الْمَحَبَّةُ فِي قلبِهِ، وَإِذَا قابَلَهُ الآخَرُ بِالمثلِ كذلِكَ تزدادُ مَحَبَّتُهُ للآخَرِ وَفِي ذلِكَ كلِّهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ. تَخَلَّقُوا بِذلِكَ حَتَّى يَنْمُوَ عَمَلُ البِرِّ الَّذِي أَنْتُمْ بِصَدَدِ تَحْصِيلِهِ وطَلَبِهِ، وتَجَنَّبُوا أن تتعامَلُوا بِخِلافِ ذلِكَ وَلْيُحَاسِبْ نَفْسَه كلٌّ مِنْكُمْ عَلَى العَمَلِ بِهَذَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِيَّاكُم والترفعَ، عليكُم بالتَّوَاضُعِ، التَّواضعُ أَفْضَلُ العبادةِ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**إِنَّكُمْ لَتَغْفُلُونَ عَنْ أَفْضَلِ العِبَادَةِ التَّوَاضُعُ**».

لَوْلَا تَوَاضُعُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ أَيْنَ يَسْتَفِيدُ مِنْهُمُ الْبَشَرُ هَذهِ الفَائدةَ الَّتِي هِيَ السَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ؟! يُسَبُّونَ فيُقَابِلُونَ الإِسَاءَةَ وَالإِهَانَةَ بِالْإِحْسَانِ، هَذَا بِتَوَاضُعِهِمْ».

الْإِكْرَامُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الإِكْرَامُ لَهُ مَعْنَيَانِ، الإِكْرَامُ بِمَعْنَى عُلُوّ الدَّرَجَةِ عِنْدَ اللهِ، وَالآخَرُ الإِحْسَانُ. أَكْرَمْتَنِي أَحْسَنْتَ إِلَيَّ، وَأَكْرَمْتَنِي بِمَعْنَى عَظَّمْتَنِي عَلَى حَسَبِ مُرَادِ الشَّخْصِ إِذَا قِيلَتْ لِكَافِرٍ عَلَى حَسَبِ المعْنَى الَّذِي يَقْصِدُهُ الشَّخْصُ. ﴿**فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ ١٥**﴾ [سورة الفجر]، أَكْرَمَهُ مَعْنَاهُ أَحْسَنَ إِلَيْهِ. كَذَلِكَ يُوجَدُ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ: «**أَكْرِمُوا الضَّيْفَ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا**» أَكْرِمُوا الضَّيْفَ أَيْ أَحْسِنُوا إِلَيْهِ، قَدِّمُوا لَهُ الأَكْلَ وَالشُّرْبَ وَأَمِّنُوا لَهُ الرَّاحَةَ لَيْسَ مَعْنَاهُ عَظِّمُوهُ، هذا إِنْ كَانَ هَذَا الضَّيْفُ كَافِرًا، أَمَّا إِنْ كَانَ مُسْلِمًا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ فِي حَقِّهِ الإِكْرَام بِمَعْنَى التَّعْظِيمِ».

الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «رَوَى البَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ الْأَدَبِ وَهُوَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: «**الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ، إِنْ قِيدَ انْقَادَ وإِنْ اسْتُنِيخَ عَلَى صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ**» الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شَبَّهَ الْمُؤْمِنَ بِالْجَمَلِ الْأَنِفِ أَيِ الَّذِي فِي أَنْفِهِ قَرْحَةٌ. فَهَذَا الْجَمَلُ مَعَ ضَخَامَتِهِ وَقُوَّتِهِ إِنْ قَادَهُ إِنْسَانٌ كَبِيرٌ أَوْ طِفْلٌ صَغِيرٌ يُطِيعُهُ، إِنْ تابَعَ السَّيْرَ يُوافِقُهُ يُطِيعُهُ، وَإِنْ أَبْرَكَهُ عَلَى أَرْضٍ صَخْرِيَّةٍ يَبْرُكُ. مَعْنَى الحديثِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ ينبغِي أَنْ يَكُونَ لَيِّنًا مَعَ أَخِيهِ لَا يَتَكَبَّرُ عَلَيهِ وَلَا يَسْتَعْصِي عليهِ، يُطِيعُهُ فِيمَا لَيْسَ فِيهِ مَعْصِيَةٌ للهِ، أَمَّا فِي أَمْرٍ مُنْكَرٍ لَا يطيعُهُ. هَكَذَا ينبغِي أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُونَ مُتطاوعِينَ لَيِّنِي الجَانِبِ، لَا يَتَكَبَّرُ أَحَدُهُم عَلَى أَخِيهِ وَلَا يَسْتَعْصِي عَلَيْهِ كَشَأْنِ هَذَا الْجَمَلِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ يَجْعَلُنَا مِنَ الْمُتَحَابِّينَ فِي اللهِ».

مِنْ كَمَالِ التَّوَاضُعِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الرَّسُولُ كَانَ يَعمَلُ فِي البَيْتِ كما يَعْمَلُ الناسُ، كانَ يَخدِمُ نفسَهُ كانَ يَحْلِبُ شَاتَهُ بِيَدِهِ، ويَخصِفُ نعلَهُ بيدِهِ ويَرْقَعُ ثوبَهُ وهذَا مِنْ كَمَالِ التَّوَاضُعِ».

اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسكينًا وأَمِتْنِي مِسكينًا:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أَهْلُ اللهِ لا يُحِبُّونَ المتكبِرينَ، بل يُحِبُّونَ أنْ يكونُوا مع المؤمنينَ الْمُتَوَاضِعِينَ الَّذِينَ قلوبُهُم مُنْكَسِرةٌ للهِ تعالى. الرَّسُولُ طَلَبَ مِنْ رَبِّهِ: «**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ**». الْمِسْكِينُ يُطْلَقُ على مَعنَيَيْنِ: الفَقِيرُ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ يَكْفِيهِ وَالْمُتَوَاضِعُ الَّذِي لَيْسَ فيهِ تَكبُّرٌ، وَلَوْ كَانَ غَنِيًّا لَا يَنْظرُ إِلَى الْفُقَرَاءِ نَظْرَةَ احْتِقَارٍ وَلَا يُهِينُهُم أَوْ يَسْخَرُ مِنْهُمْ. وَهَذَا الأَخِيرُ هُوَ الَّذِي طَلَبَ رسولُ اللهِ أَنْ يَكُونَ بِصِفَتِهِ وَذَلِكَ لأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَنْظُرُونَ إلى أنَّ العِبَادَ كلَّهُم تَحتَ مَجارِي أَقْدَارِ اللهِ تعالى، فالضَّعِيفُ وَالْقَوِيُّ لا يَتَجَاوَزُ ما قَدَّرَ اللهُ تَعَالَى لَهُ. أولادُ رجلٍ واحدٍ من أُمٍّ واحدةٍ هذا يَطلُعُ نشيطًا قويَّ الحركةِ وهذا يَطلُعُ ضَعِيفًا بَلِيدَ الذِّهْنِ، لِمَاذَا؟ ذلكَ لِأَنَّ اللهَ تعالَى هو الْمُتَصَرِّفُ بعبادِهِ كَيْفَمَا شاءَ، فالأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ يَعْرِفُونَ أنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَكُونُ تَحْتَ تَصَرُّفِ اللهِ تَعَالَى فَإِنْ رَأَوْا إِنْسَانًا نَشِيطًا ذكيًّا كانَ ذَلِكَ بعونِ اللهِ تَعَالى والَّذِينَ تَكُونُ حَالتُهُمْ بِعَكْسِ ذلكَ يَعْلَمُونَ أنَّ اللهَ تَعَالَى قَسَمَ لَهُم هَذهِ الصِّفَةِ».

الزُّهْدُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أُوصِيكُم بأنْ تكونُوا قدوةً لغيرِكُم بِتَرْكِ التنعمِ. مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضيَ اللهُ عنهُ لَمَّا وَجَّهَهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لهُ: «**إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ؛ فَإِنَّ عِبَادَ اللهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ**». التَّنَعُّمُ عَقَبَةٌ فِي طَرِيقِ طَالِبِ الْآخِرَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَعَوَّدُوا تَقْلِيلَ التَّنَعُّمِ، فَإِنَّ فِيهِ خَيْرَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لا تَرْكَنُوا إِلَى التَّنَعُّمِ وَالرَّفَاهِيَةِ، فَالسَّلَفُ الصَّالِحُ إِنَّمَا نَشَرُوا الدِّينَ بِتَرْكِهِمُ التَّنَعُّمَ، لَوْ لَمْ يَكُونُوا كَذَلِكَ لَمَا انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا وَأَقْبِلْ عَلَى أَعْمَالِ الْآخِرَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كَمْ مِنْ عُلُمَاءَ فَسَقُوا بِسَبَبِ طَلَبِ الرَّفَاهِيَةِ، وَعَدَمِ الرِّضَى بِالقَنَاعَةِ بِاليَسِيرِ مِنَ الرِّزْقِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ رَفَاهِيَةٌ، مَا قَنِعَتْ أَنْفُسُهُمْ حَتَّى امتَدَّتْ أَيْدِيهِمْ إِلَى الْحَرَامِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَرْكُ التَّنَعُّمِ يُسَاعِدُ عَلَى الاسْتِعْدَادِ لِلآخِرَةِ، التَّنَعُّمُ يَمْنَعُ عَنْ كَمَالِ الاسْتِعْدَادِ لِلآخِرَةِ، يَأْخُذُ وَقْتًا لَوْ صَرَفَهُ بِتَرْكِ التَّنَعُّمِ لِلْآخِرَةِ لَكَانَ لَهُ دَرَجَةٌ عَالِيَةٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِذَا إِنْسَانٌ رَأَى مَنْ هُوَ أَغْنَى مِنْهُ، مَنْ هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ مَالا، أَوْ أَقْوَى مِنْهُ صِحَّةً، لا يَنْظُرُ إِلَى هَذَا، بَلْ يَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، حَتَّى لا يَزْدَرِيَ نِعْمَةَ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ، حَتَّى لا يَحْتَقِرَهَا فَبِذَلِكَ يَكُونُ شَاكِرًا لَهُ تَعَالَى، أَمَّا إِذَا عَلَّقَ قَلْبَهُ بِمَا عِنْدَ النَّاسِ، مِنْ كَثْرَةِ المالِ، مِمَّنْ هُمْ فَوْقَهُ فِي المالِ، أَوْ فِي الصِّحَّةِ، فِي صِحَّةِ الجِسْمِ وَالقُوَّةِ، يَنْسَى بَعْضَ الشُّكْرِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مِمَّا يُعِينُ عَلَى سَلامَةِ الدِّينِ، الرِّضَا بِالقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ، وَمَنْ لا يَرْضَى بِالقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ يَقَعُ فِي المهَالِكِ، إِمَّا أَنْ يَأْكُلَ الحَرَامَ، وَإِمَّا أَنْ يَبْخَلَ عَنْ دَفْعِ مَا هُوَ وَاجِبٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ قَنَعَ بِالقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ الحَلالِ فَهَذَا يَدْعُوهُ إِلَى الادِّخَارِ إِلَى ءَاخِرَتِهِ بِتَقْدِيمِ مَبَرَّاتٍ وَصَدَقَاتٍ وَتَكْثِيرِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أُوصِيكُمْ بِتَرْكِ التَّنَعُّمِ، وَعَلَيْكُمْ بِالاِقْتِصَادِ فِي النَّفَقَةِ، وَرَدَ حديثٌ عَن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**الاِقْتِصَادُ فِي النَّفَقَةِ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ**» رواهُ السُّيُوطِيُّ. وَتَرْكُ التَّنَعُّمِ يُسَاعِدُ عَلَى تَجَنُّبِ الْحَرَامِ عِنْدَ قِلَّةِ الْمَالِ».

وَقَالَ: «تَرْكُ التَّنَعُّمِ انْطِلَاقٌ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَالْمَعَالِي وَالْمَكَارِمِ، السَّلَفُ الصَّالِحُ بِهَذَا وَصَلُوا إِلَى مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ، وَإِلَّا لَكَانُوا مِثْلَنَا مُتَأَخِّرِينَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِالقَنَاعَةِ بِالقلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ فَإِنَّ القَنَاعَةَ بِاليَسِيرِ مِنَ الرِّزْقِ سَلَامَةُ الدّينِ والدُّنْيَا وَعَلَيْكُمْ بِإِكْثَارِ ذكرِ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ يُسَاعِدُ عَلَى القنَاعَةِ بِاليسِيرِ مِن الرِّزْقِ والاِسْتِعْدَادِ لِلْآخرَةِ وَإِيْثَارِ الْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ الإِمَامُ الرِّفَاعِيُّ رضي الله عنه: «الزُّهْدُ أَوَّلُ قَدَمِ الْقَاصِدِينَ إِلَى اللهِ». لَا يَكُونُ الْمَرْءُ وَلِيًّا إِلَّا بِزُهْدٍ، وَالزُّهْدُ هُوَ قَطْعُ النَّفْسِ عَنِ اتِّبَاعِ الْمُسْتَلَذَّاتِ وَالْمُسْتَحْسَنَاتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «حُبُّ الْمَالِ فِتْنَةٌ كَبِيرَةٌ، كثيرٌ مِنَ النَّاسِ كَفَرُوا لأَجْلِ الْمَالِ، كَفَرُوا بِاللهِ لأَجْلِ الْمَالِ، وَبَعْضُ النَّاسِ حُبُّ الْجَاهِ، لِحُبِّ الْجَاهِ كَفَرُوا، لِلرِّئَاسَةِ لِرِئَاسَةِ النَّاسِ، وَبَعْضُ النَّاسِ لأجلِ النِّساءِ كفَرُوا، هذَا الْمَلِكُ الَّذِي قَتَلَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَتَلَ يَحْيَى لِإِرْضَاءِ امْرَأَةٍ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَتَنَعَّمُ وهكَذَا كُلُّ الْأَنْبِيَاءِ، كَانَ يُطْعِمُ النَّاسَ لُبَّ الْقَمْحِ الصَّافِيَ، كُلَّ يومٍ يُطعِمُ مِائَةَ أَلْفِ شَخْصٍ، وَأَحْيَانًا سِتِّينَ أَلْفًا، وَكانَ يَذْبَحُ كلَّ يَوْمٍ مِائَةَ أَلْفِ شَاةٍ، أَمَّا هُوَ لِنَفْسِهِ يَأْكُلُ اللَّبَنَ الْحَامِضَ. اَلتَّنَعُّمُ جَائِزٌ لَكِنَّ أَهْلَ اللهِ يَترَفَّعُونَ عَنْهُ، الَّذِي يَتْرُكُ التَّنَعُّمَ يُوَاسِي غَيْرَهُ، إِذَا رأَى فَقِيرًا يُوَاسِي غَيْرَهُ. أَمَّا الَّذِي يَتَنَعَّمُ يَخْشَى إِنْ تَصَدَّقَ أن يَذْهَبَ عليه تَنَعُّمُهُ، لِذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ لَا يَتَنَعَّمُونَ حَتَّى لَا يَقْتَدِيَ بِهِمْ أُمَمُهُمْ فِي ذَلِكَ، هَذَا احْفَظُوهُ وَأَفِيدُوهُ غَيْرَكُمْ».

وَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالقَنَاعَةِ بِالْقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ، فَمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ فَإِنَّهُ يَهْلِكُ. كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ سَبَبُ دُخُولِهِمُ السُّجُونَ وَمُكَابَدَةِ العُقُوبَاتِ عَدَمَ الْقَنَاعَةِ بِالْقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ. وَالَّذِي يُسَاعِدُ عَلَى الْقَنَاعَةِ بِالْقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ تَرْكُ التَّرَفُّهِ. مَنْ لَازَمَ التَّرَفُّهَ فَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ الْحَالُ يُحَاوِلُ أَنْ لَا يَزُولَ عَنْهُ ذلكَ التَّرَفُّهُ فَيَتَعَاطَى الْمَالَ الْحَرَامَ، كَثِيرٌ مِنَ الْقُضَاةِ يَأْكُلُونَ الرِّشَا يَأْكُلُونَ مَالَ الْأَيْتَامِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقْنَعُوا بِالْقَلِيلِ، نُفُوسُهُمْ طَامِحَةٌ إِلَى الرَّفَاهِيَّةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لَا يَجْتَمِعُ كَمَالُ الإِيمَانِ وَالتَّنَعُّمُ، الْمُسْلِمُ لَمَّا يَصِيرُ كَامِلَ الإِيمَانِ يَبْتَعِدُ مِنَ التَّنَعُّمِ إِلَّا إِذَا كَانَ مَرِيضًا يَتَدَاوَى بِالتَّنَعُّمِ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ بِقَدْرِ الْعِلَاجِ يَتَدَاوَى يَتَنَعَّمُ، قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ فَإِنَّ عِبَادَ اللهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ**»».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨﴾ [سورة التكاثر].

وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ يُقَالُ لِلعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَمْ أُصِحَّ جِسْمَكَ وَأَرْوِكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ.

فَإِذَا كَانَ هذَا مِمَّا يُسْأَلُ عَنْهُ فَكَيْفَ مَا زَادَ عَلَى ذلِكَ. حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَإِيَّاكُمْ وَتَعَوُّدَ التَّنَعُّمِ فَإِنَّ مَنْ تَعَوَّدَ التَّنَعُّمَ فَاتَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ لآخِرَتِهِ. اَلتَّنَعُّمُ بِالْحَلَالِ

لَيْسَ حَرَامًا إِذَا لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ ضَرُورَاتٌ، لكِنْ إِذَا كانَتْ هُنَاكَ ضَرُورَاتٌ لَا تُسَدُّ إِلَّا بِتَرْكِ التَّنَعُّمِ كَانَ التَّنَعُّمُ مَحْظُورًا. وَالضَّرُورَاتُ لَيْسَ الْجُوعَ وَالعُرْيَ وَفَقْدَ الْمَأْوَى فَقَطْ، بَلْ مِنْ أَهَمِّ الضَّرُورَاتِ تَعْلِيمُ عَقَائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالذَّبُّ عَنْهَا وَمُكَافَحَةُ مُخَالِفِيهَا بِالتَّعْلِيمِ وَالبَيَانِ وهذَا يَحْتَاجُ إِلَى عَمَلٍ بِالْمَالِ وَالبَدَنِ. الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ القِيَامَ بِهذَا الفَرْضِ بِمَالِهِ عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِعَمَلٍ بَدَنِهِ، وَالَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ بِذلِكَ بِمَالِهِ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِذلِكَ بِمَالِهِ وَبَدَنِهِ. فَلَوْ تَرَكَ جَمَاعَتُنَا التَّنَعُّمَ لَاسْتَطَاعُوا أَنْ يَقُومُوا بِعَمَلٍ عَظِيمٍ لِدِينِهِمْ، لكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ تَعَوَّدُوا التَّنَعُّمَ، فَحَالَ التَّنَعُّمُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ كَمَالِ أَدَاءِ الوَاجِبَاتِ، وَقَدْ أَوْصَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ فَإِنَّ عِبَادَ اللهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ**».

الْعَاقِلُ حَقُّ الْعَاقِلِ لَا يَخْتَارُ مَا يَفْنَى عَلَى مَا يَبْقَى، فَمَا يُقَدِّمُهُ الْمَرْءُ لِآخِرَتِهِ هُوَ الْبَاقِي، وَأَمَّا مَا يَصْرِفُهُ لِلتَّنَعُّمِ فَإِنَّمَا مَآلُهُ يَعُودُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنَ الْإِنْسَانِ، مِنَ القَذَرِ، وَمَا يَلْبَسُهُ نِهَايَتُهُ بَعْدَ الْبِلَى إِلَى الْمَزَابِلِ وَنَحْوِهَا، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى. يَنْظُرُ إِلَى مَا يُوافِقُ الِاسْتِمْرَارَ عَلَى هذَا السَّيْرِ. سَدُّ الضَّرُورَاتِ لَيْسَ الآنَ فَقَطْ، لأَنَّ بَعْضَ أُمُوْرِ الدِّينِ أَمْرٌ حَالِيٌّ وَبَعْضٌ لِلحَالِ وَالْمُسْتَقْبَلِ، وَالنَّظَرُ الصَّحِيحُ يَكُونُ بِالنَّظَرِ لِمَصْلَحَةِ الْحَالِ وَمَصْلَحَةِ الْمُسْتَقْبَلِ. وَمِنْ أَشَدِّ الغَفْلَةِ عَنِ الآخِرَةِ عَدَدٌ كَثِيرٌ مِنْ جَمَاعَتِنَا يَصْرِفُونَ لِلسِّيجَارَةِ مَا لَوْ صَرَفُوهُ لِلضَّرُورَاتِ الدِّينِيَّةِ مَا يَكْفِي لِنَفَقَاتِ مِائَةِ دَاعٍ وَغَيْرِ ذلِكَ، فَمَا أَعْظَمَ هَذِهِ الْخَسَارَةَ. نَحْنُ فِي الْجَمْعِيَّةِ كَالَّذِينَ فِي الْمَعْرَكَةِ، مَنْ فَرَّ مِنَ الْمَعْرَكَةِ يُعَدُّ فَارًّا مِنَ الزَّحْفِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يَكُونُ هَمُّهُ الأَكْلَ والشُّرْبَ واللِّبَاسَ لَا يكونُ فِي الآخرةِ مِنْ أهلِ الدَّرَجَاتِ العُلَى. ويَدْخُلُ فِي العملِ بالعِلْمِ تَرْكُ التَّعَلُّقِ بِالْمُسْتَلَذَّاتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «ثَبَتَ حَدِيثُ: «**لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَى حَتَّى يَذَرَ مَا لَيْسَ فِيهِ بَأْسٌ حَذَرًا مِمَّا فِيهِ بَأْسٌ**» وَاشْتَهَرَ عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام أَنَّ أكلَه الشَّجَرُ وَلِبَاسَهُ الشَّعْرُ، وَكَانَ دَأْبُهُ ودَأْبُ غَيْرِهِ من الأَنْبِيَاءِ التَّقَشُّفَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الشَّيْخُ مُصْطَفَى نَجَا كَانَ زَاهِدًا وَلِيًّا، كَانَ لَا يَأْكُلُ الرَّاتِبَ الَّذِي تُعْطِيهِ الدَّوْلَةُ يُوَزِّعُهُ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَكَانَ لَهُ دُكَّانٌ صَغِيرٌ يَتَقَوَّتُ مِنْهُ. الْحَاكِمُ الْإِفْرَنْجِيُّ جَاءَهُ بِصُرَّةٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ لَهُ: نَحْنُ مُسْتَغْنُونَ، لَا حَاجَةَ لَنَا بِهِ، مَا أَخَذَهُ. اَلشَّيْخُ مُصْطَفَى نَجَا كَانَ مُفْتِيًا لِبَيْرُوتَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «**مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى**» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ. مَعْنَاهُ الرِّزقُ القليلُ الْحَلالُ الَّذِي يَكْفِي الشَّخْصَ خَيْرٌ مِنَ الكَثِيرِ الَّذِي يُلْهِي عَنْ طَاعَةِ اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «**يَا دُنْيَا مَنْ خَدَمَنِي فَاخْدُمِيهِ، وَمَنْ خَدَمَكِ أَتْعِبِيهِ**». مَعْنَاهُ اللهُ يَسَّرَ الرِّزْقَ لِمَنِ اتَّقَى اللهَ وَاشْتَغَلَ بِطَاعَتِهِ، وَمَعْنَى خَدَمَنِي أَطَاعَنِي».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي لا يُقَلِّلُ مِنَ التَّنَعُّمِ يَقَعُ فِي الحَرَامِ أَوْ يَقَعُ فِي الغَفْلَةِ، لا بُدَّ أَنْ يَقَعَ فِي أَحَدِ الأَمْرَيْنِ».

وَقَالَ رضي الله عنه لِبَعْضِ النِّسَاءِ: «عَلَيْكُنَّ بِتَرْكِ التَّنَعُمِ، أَنْبِيَاءُ اللهِ مَا كَانُوا يَتَنَعَّمُونَ مَعَ مَقْدِرَتِهِمْ، النَّبِيُّ اللهُ تَعَالَى عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْلبَ لَهُ بَطْحَاءَ مَكَةَ ذَهَبًا، كَانَ يَأْكُلُ الخُبْزَ وَالخَلَّ، يُمْضِي زَمَانًا عَلَى التَّمْرِ وَالماءِ، وَسُلَيْمَانُ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ سَعَةِ الرِّزْقِ أَنَّهُ كَانَ يَذْبَحُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ أَلْفِ شَاة وَثَلاثِينَ أَلْف بَقَرَةٍ لِيُطْعِمَ خَلْقَ اللهِ، أَمَّا عَنْ نَفْسِهِ كَانَ يَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ وَيُطْعِمُ النَّاسَ القَمْحَ الصَّافِيَ.

وَعَلَيْكُنَّ بِتَقْلِيلِ الكَلَامِ وَتَرْكِ الغَضَبِ وَتَرْكِ التَّنَعُمِ وَالقَنَاعَةِ بِالْقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الرَّسُولُ حَثَّ أُمَّتَهُ عَلَى أَنْ يَثْبُتُوا فِي الْمَدِينَةِ، يَصْبِرُوا عَلَى حَرِّهَا وَبَرْدِهَا. هَذَا حَالُ الْأَنْبِيَاءِ، تَرْكُ الرَّفَاهِيَةِ، الَّذِي يَذُمُّ تَرْكَ الرَّفَاهِيَةِ كَذَّبَ الْأَنْبِيَاءَ، لِأَنَّ تَرْكَ التَّرَفُّهِ يُسَاعِدُ عَلَى الِاسْتِعْدَادِ لِلْآخِرَةِ، وَيُقَوِّي الْقَلْبَ لِلْعَطْفِ عَلَى الْفُقَرَاءِ، وَيُسَاعِدُ عَلَى الصَّبْرِ بِالرِّزْقِ الْقَلِيلِ حَتَّى لَا تَمْتَدَّ يَدُهُ إِلَى الْمَالِ الْحَرَامِ. كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ مَشَايِخَ وَغَيْرِهِمْ ضَلُّوا لِأَنَّهُمْ لَا يَرْضَوْنَ بِتَرْكِ الرَّفَاهِيَةِ. هَذَا يَكُونُ قَاضِيًا يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى أَمْوَالِ الْأَيْتَامِ وَأَمْوَالِ الْوَقْفِ بِغَيْرِ حَقٍّ، لِأَنَّ نَفْسَهُ الْتَزَمَتِ الرَّفَاهِيَةَ، تَعَوَّدَتِ الرَّفَاهِيَةَ، لِذَلِكَ يَأْكُلُونَ الْحَرَامَ وَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْأَيْتَامِ، هَذَا إِرْثُ الْأَيْتَامِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «حُبُّ الْمَالِ يُوصِلُ إِلَى مَهَالِكَ. حُبُّ الْمَالِ كَثُرَ فِي النَّاسِ. وَالْمَالُ لِمَاذَا يُحِبُّهُ النَّاسُ؟ لِلرَّفَاهِيَةِ، لِلتَّوَسُّعِ فِي الْمَلْبَسِ وَالْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَسْكَنِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

التَّرَفُّهُ لَيْسَ حَرَامًا إِنْ كَانَ مِنَ الْحَلَالِ، لَكِنْ تَرْكُهُ أَحْسَنُ. لَوْ أَكَلَ مِائَةَ صِنْفٍ وَاتَّخَذَ مِائَةَ صِنْفٍ مِنَ الثِّيَابِ لَيْسَ حَرَامًا لَكِنْ تَرْكُهُ أَحْسَنُ. إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْكِبْرِ لَيْسَ حَرَامًا.

فِي التَّوَارِيخِ يُذْكَرُ أَنَّ الْمَأْمُونَ كَانَ يَحْضُرُ عَلَى مَائِدَتِهِ ثَلَاثُمِائَةِ صِنْفٍ مِنَ الطَّعَامِ. هَذَا إِذَا كَانَ مِنَ الْمَالِ الْحَلَالِ لَيْسَ لِلْفَخْرِ لَيْسَ حَرَامًا لَكِنْ تَرْكُهُ خَيْرٌ.

الثَّوْبُ الْجَمِيلُ إِذَا كَانَ بِنِيَّةِ الْفَخْرِ مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ، وَالْبَيْتُ أَيْضًا. الَّذِي يَبْنِي بِنَاءً فَخْمًا حَتَّى يُقَالَ: مَا أَجْمَلَ بَيْتَ فُلَانٍ ذَنْبُهُ كَبِيرٌ. اللهُ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْفَخْرَ فِي الثِّيَابِ وَفِي الْأَثَاثِ وَفِي الْمَسْكَنِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. الَّذِي يَعْمَلُ لِلْفَخْرِ يَلْبَسُ الثَّوْبَ الْجَمِيلَ وَيَتَّخِذُ أَثَاثًا جَمِيلًا فَاخِرًا لِلْفَخْرِ ذَنْبُهُ كَبِيرٌ، حَتَّى إِذَا كَانَ لَبِسَ ثَوْبًا فَاخِرًا لِيَرَاهُ النَّاسُ وَيَقُولُوا مَا أَجْمَلَ ثَوْبَ فُلَانٍ مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ. كَذَلِكَ الَّذِي يَتَكَبَّرُ فِي مِشْيَتِهِ يَمْشِي مِشْيَةَ الْمُتَكَبِّرِ هَذَا أَيْضًا ذَنْبُهُ كَبِيرٌ».

بِحَسْبِ ابْنِ ءادمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مَعْرُوفٌ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَعَنِ الْأَوْلِيَاءِ أَنَّهُمْ يَحْرِصُونَ عَلَى قِلَّةِ الْأَكْلِ أَيْ بِحَيْثُ لَا تَنْضَرُّ أَجْسَادُهُمْ؛ لِأَنَّ قِلَّةَ الْأَكْلِ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى ضَرَرِ الْجِسْمِ حَرَامٌ، أَمَّا الْقَدْرُ الَّذِي لَا يُؤَدِّي إِلَى ضَرَرِ الْجِسْمِ فَهُوَ مَحْمُودٌ عِنْدَ اللهِ، هَذِهِ سِيرَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي أُمَمِهِم. سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْعَامِلِينَ بِهَذِهِ الْخَصْلَةِ الشَّرِيفَةِ كَانَ يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَا مَلَأَ ابْنُ ءَادَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، بِحَسْبِ ابْنِ ءَادَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ**». فقولُهُ صلى الله عليه وسلم: « **مَا مَلَأَ ابْنُ ءَادَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، بِحَسْبِ ابْنِ ءَادَمَ لُقَيْمَاتٌ**» أَيْ لَا تَتَجَاوَزُ العَشَرَةَ، «**لُقَيْمَاتٌ**» هذا جَمْعُ قلةٍ، جَمْعُ القِلَّةِ مَا دُونَ الْأَحَدَ عَشَرَ، الْعَشَرَةُ فَمَا دُونَهَا، قالَ عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**بِحَسْبِ ابْنِ ءَادَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ**» أي تَحْفَظُهُ مِنْ سُقُوطِ قوتِهِ «**فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ**». هَذَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ الَّذِي كَانَ يَحُضُّ عَلَى تَقْلِيلِ الْأَكْلِ، وَكَانَ هُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْعَامِلِينَ بِهَذِهِ الْخَصْلَةِ الشَّرِيفَةِ. وَقَدِ افْتَرَى بَعْضُ النَّاسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِمَّن يدَّعُونَ الوِلَايةَ وَالتَّصَوُّفَ وَقَدِ ادَّعَى أَنَّهُ نَبِيٌّ مُصَغَّرٌ، هَذَا الرَّجُلُ افْتَرَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «كَانَ الرسولُ يُكثِرُ مِن أَكلِ الحلوَى، يُكثِرُ مِنَ الأَكلِ حتَّى صَارَ لَهُ عَكَفَاتٌ في بَطنِهِ وفِي رَقبَتِهِ طيَّاتٌ». هَذَا الرَّجُلُ يَفتَرِي على رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي هو أَكْمَلُ الأنبياءِ خَلْقًا وخُلُقًا بِهَذَا الافْتِرَاءِ البَشِعِ الشَنِيعِ أَنَّهُ مِن كَثرَةِ الأَكلِ صارَتْ لَهُ طيَّاتٌ، لأنَّ هَذَا الرَّجُلَ مَعْرُوفٌ بِكَثْرَةِ الْأَكْلِ وَالْإِكْثَارِ مِنَ الْحَلَوِيَّاتِ وَالدُّسُومَاتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «هُوَ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ: «**مَا مَلَأَ ابْنُ ءَادَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، بِحَسْبِ ابْنِ ءَادَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

هَذَا الَّذِي يَقُولُهُ الْأَطِبَّاءُ الْيَوْمَ أَنَّهُ لَازِمٌ أَنْ يَشْرَبَ الْإِنْسَانُ كُلَّ يَوْمٍ لِتْرَيْنِ مِنْ مَاءٍ وَغَيْرِهِ مِنَ السَّوَائِلِ لَا يَتَّفِقُ مَعَ الْحَدِيثِ وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الشَّخْصُ لَا يُعَانِي عَمَلًا شَاقًّا، يَكُونُ قَلِيلَ الْحَرَكَةِ هَذَا لَا يُنَاسِبُهُ أَنْ يَشْرَبَ كُلَّ يَوْمٍ لِتْرَيْنِ. أَمَّا أَصْحَابُ الْكدِّ الفَلَّاحُونَ الَّذِينَ يُكْثِرُونَ التَّنَقُّلَ إِلَى مَسَافَاتٍ وَاسِعَةٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ قَد يُنَاسِبُ، لَكِنْ هَؤُلَاءِ الْأَطِبَّاءُ جَعَلُوهُ نِظَامًا عَامًّا، لَوْ تَجَنَّبَ الْإِنْسَانُ مَلْءَ بَطْنِهِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ لَسَلِمَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ، كَثِيرٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ سَبَبُهَا مَلْءُ الْبَطْنِ».

الَّذِي لَا يَعرِفُ الحَلالَ والحَرَامَ كَيفَ يَزهَدُ؟

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «بَعْضُ النَّاسِ يقولونَ بِمُجَرَّدِ الزُّهْدِ يَصِلُ الإنسانُ إلى العلمِ هذا جهلٌ. يقولُونَ ليس شرطًا أن يتعلمَ الْعِلْمَ. قال بَعْضُهم: «مَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا عَلَّمَهُ اللهُ بِلَا تَعَلُّمٍ» هذا جهلٌ. الزُهد كيفَ يُمْكِنُ بلَا علمٍ؟ ما معنى الزهدِ؟ الزُّهْدُ تركُ الأشْيَاءِ الَّتِي هي مُبَاحَةٌ. الَّذِي لا يَعرِفُ الحَلالَ والحَرَامَ كيفَ يَزْهَدُ؟ على زعمِهِم التَّقْوَى صُورَةُ الصَّلَاةِ وَالصِّيامِ وَالْحَجِّ، يَظنُّونَ أنَّ هَذَا يَكْفِي لِلْعِلْمِ اللَّدُنِّيِّ. مَن لَمْ يتعلَّمِ الحَلَالَ وَالحَرَامَ مِنَ الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ وَمَا تَهْوَاهُ النَّفْسُ كَيْفَ يَزْهَدُ؟ لا يَصِحُّ زُهدُهُ. لِقطْعِ الطَّرِيقِ يَقُولُونَ: «نَحْنُ أَهْلُ البَاطِنِ وَأَنْتُمْ أَهْلُ الظَّاهِرِ لَا نَتَّفِقُ»».

كَثْرَةُ الْأَكْلِ لَيْسَ مَرْغُوبًا فِي الشَّرْعِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «كَثْرَةُ الْأَكْلِ لَيْسَ مَرْغُوبًا بِهَا فِي الشَّرْعِ، كَانَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم يَأْخُذُ الطَّعَامَ بِثَلَاثَةِ أَصَابِعَ فَقَطْ وَبِهَذَا يَكُونُ مَا يَحمِلُهُ مِن الطَّعَامِ بِهَا قَلِيلًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَقْلِيلُ الْأَكلِ خَيرٌ للدِّينِ والدُّنيَا؛ الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَمَرَ بتَقلِيلِ الأَكلِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اترُكُوا هَذِهِ العادةَ، كُلَّ يومٍ طَبيخٌ طَبِيخٌ مَا هَذَا؟ قُلْ لَهُم: لا طَبِيخ بَعْدَ الْيَوْمِ، نَبدَأُ مِنَ الآن. الرَّسُولُ عليهِ السَّلامُ كانَ يَمُرُّ عليهِ الشّهرُ والشَّهْرانِ ولا يُوقَدُ فِي بَيتِهِ نارٌ. الرَّسُول عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَمْضِي عَلَيْهِ الشَّهرُ والشَّهْرَانِ ولا يُوجَدُ فِي بَيْتِهِ شَيْءٌ سَاخِنٌ، تَمْرٌ ومَاءٌ تَمْرٌ ومَاءٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَربِيةُ الوَلَدِ عَلَى تَقلِيلِ الأَكلِ هَذَا ما يُحِبُّهُ اللَّهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يَكُوْنُ هَمُّهُ الأَكْلَ وَالشُّرْبَ وَاللِبَاسَ لا يَكُونُ فِي الآخِرَةِ مِنْ أَهْلِ الدَّرَجَاتِ العُلَا».

قَلِيلُ الْكَلَامِ عِنْدَ الطَّعَامِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ الْفُقَهَاءُ: يُسْتَحَبُّ قَلِيلُ الْكَلَامِ عَلَى الطَّعَامِ. وَعِنْدَ الْمَجُوسِ الْكَلَامُ مَمْنُوعٌ عَلَى الطَّعَامِ».

الزُّهَّادُ عُلَمَاءُ الآخرةِ قَد يهربون من القضاء:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «هذهِ الأيامَ كَثيرٌ مِمَّنْ يَتَوَلَّى القَضَاءَ مَنْ لَيْسَ أَهْلًا لذلكَ، مِنْ أَجْلِ المالِ يَسعَوْنَ لِلْوُصُولِ لِلْقَضَاءِ. أَمَّا الزُّهَّادُ عُلَمَاءُ الآخرةِ فقَد يَهْرُبُون

مِنَ الْقَضَاءِ. الشَّيْخُ مُحَمَّد عبدُ السلامِ رَضِيَ اللهُ عنهُ طُلِبَ لِلْقَضَاءِ وكَانَ أعلمَ أهلِ هَرَرَ فِي عَصرِهِ، لَكِنْ لِيَدْفَعَ عَن نَفسِهِ هذهِ الوَظِيفةَ لَبِسَ قَمِيصًا مَقْلُوبًا فَتَرَكُوهُ أَعرَضُوا عنهُ، تَرَكُوهُ قَالُوا لَعَلَّهُ اخْتَلَّ».

تَرْكُ التَّنَعُّمِ وَتَرْكُ الْغَضَبِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أُوصِي بِثَلَاثٍ: تَقْلِيلِ الكَلَامِ، وَتَرْكِ التَّنَعُّمِ؛ التَنَعُّمُ هو الإِكْثَارُ مِنَ الْمُبَاحَاتِ، وتَرِكِ الغَضَبِ أي لغيْرِ اللهِ. تَرْكُ التَنَعُّمِ هَذَا عَمَلُ الأَنبِيَاءِ والأَولِيَاءِ، هَذَا مَقَامٌ كبيرٌ يَصعُبُ على النَّفْسِ. كَانَ عيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلبَسُ الشَّعَرَ أَيِ الصُّوفَ الَّذي يَخرُجُ من الغَنَمِ من غيرِ أن يُنْسَجَ وغيرَ ذلكَ، كانَ يأكُلُ الشَّجرَ أي مِنْ بُقُولِ الأَرضِ مِنْ نَحوِ المُلُوخِيَّةِ والهِنْدُبَاءِ من دُونِ طَبْخٍ، كَانَ يَبِيتُ حَيثُ يدركُهُ المساءُ، كانَ يَبِيتُ فِي الْمَسْجدِ وكانُوا يسمونَهُ «بيعةً» أو يَبِيتُ فِي البَرِّيَّةِ، فعليكُم بتقليلِ التَنَعُّمِ. السَبَبُ فِي تَرِكِ الأنبياءِ والأولياءِ التَنَعُّمَ أَنَّهُم يَنْظُرُونَ إلى رَاحَةِ مُستَقبَلِهِم، ثُمَّ يُسَاعِدُ تَرْكُ التَنَعُّمِ على مُوَاسَاةِ الغَيْرِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِتَقْلِيلِ الكَلامِ وَتَقْلِيلِ التَّنَعُّمِ وَتَرْكِ الْغَضَبِ وَالقَنَاعَةِ بِالقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ وَتَرْكِ الكَذِبِ وَتَرْكِ الْمَزْحِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الغَضَبُ هَلاكٌ، يُفْسِدُ عَلَى الشَّخْصِ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُم بِتَرْكِ الغَضَبِ، الغَضَبُ يَهْدِمُ الدِّينَ، بَعْضُ النَّاسِ بِسَبَبِ الغَضَبِ يَكْفُرُونَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَن مَلَكَ نفسَه عندَ الاستشعارِ من نَفْسِهِ بالغَضَبِ سَلِمَ وَنَجَا منَ الهلاكِ. لأنَّ الغضبَ يُسَبِّبُ الكفرَ.

كثيرٌ منَ النَّاسِ يكفرونَ عندَ الغَضَبِ يَسُبُّونَ خَالقَهُم أو يسبُونَ شعائرَ الإسلامِ كالصَّلَاةِ ونحوِ ذلكَ. وقد يُوصِلُ الغضبُ إلى القَتْلِ ظلمًا إلى قتلِ شخصٍ ظلمًا وإلى قَطِيعَةِ الرَّحمِ وإلى غَيْرِ ذلكَ منَ المفاسدِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكَ تَرْكُ التَّنَعُمِ، التَّنَعُمُ جرَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ إِلَى الهَلاكِ، مَنْ تَعَوَّدَ التَّنَعُمَ إِذَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ الحَالُ يَنْجَرُّ إِلى الحَرَامِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَرْكُ التَّنَعُمِ أَقْرَبُ لِلاسْتِعْدَادِ لِلآخِرَةِ، وَأَبْعَدُ عَنْ مَدِّ اليَدِ لِلحَرَامِ».

الصَّبْرُ قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ:

قَالَ رضي الله عنه: «الصَّبْرُ بِأَنْوَاعِهِ الثَّلاثَةِ فِيهِ قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ وَسَلامَةٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ ءَافَاتِ الدُّنْيَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كَفُّ النَّفْسِ عَنِ الْمَعَاصِي هَذَا أَشَدُّ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الحِلْمُ مِنْ أَفْضَلِ الخِصَالِ، الأَنْبِيَاءُ لَوْلا أَنَّهُمْ حُلَمَاءُ مَا نَفَعُوا أَقْوَامَهُمْ لَكِنِ التَزَمُوا الحِلْمَ وَالصَّبْرَ فَنَفَعُوا أُمَمَهُمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الصَّبْرُ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَفِيهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اصْبِرْ عَلَى مَشَقَّاتِ العِبَادَةِ، العِبَادَةُ فِيهَا مَشَقَّةٌ، وَخِدْمَةُ النَّاسِ فِيهَا مَشَقَّةٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «المسْلِمُ بِالصَّبْرِ يَبْلُغُ الأَمَلَ، يَبْلُغُ مَقْصُودَهُ، العِبَادَاتُ وَالعِلْمُ تَحْتَاجُ إِلى الصَّبْرِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يُرِيدُ الدَّرَجَاتِ العُلا فِي الآخِرَةِ عِنْدَ اللهِ لا بُدَّ لَهُ مِنَ الصَّبْرِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي أَرَادَ اللهُ لَهُ دَرَجَةً عَالِيَةً تُصِيبُهُ فِي الدُّنْيَا مَصَائِبُ وَبَلاءٌ، فَلْيُوَطِّنِ المؤْمِنُ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ رَاضِيًا بِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَى».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ لِعَبْدِهِ المؤْمِنِ دَرَجَةً عَالِيَةً يُنْزِلُ عَلَيْهِ مَصَائِبَ الدُّنْيَا، يَحْمِيهِ مِنْ مَصَائِبِ الدِّينِ وَيُكَثِّرُ عَلَيْهِ مَصَائِبَ الدُّنْيا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ أَحَبَّهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ عِبَادِهِ مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ يُكَثِّرُ عَلَيْهِ المصَائِبَ الدُّنْيَوِيَّةَ وَيَحْمِيْهِ مِنْ مَصَائِبِ الدِّينِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الإِنْسَانُ تَعْلُو دَرَجَتُهُ عِنْدَ اللهِ بِحَسَبِ صَبْرِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يَفْقِدُ إِنْسَانًا يَعِزُّ عَلَيْهِ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ أَوْ أَخَاهُ أَوْ أُخْتَهُ أَوْ زَوْجَتَهُ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ الأَجْرَ عَلَى اللهِ فَجَزَاؤُهُ الجَنَّةُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ أَخَذَ بِقَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَغْضَبْ**» فَمَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ سَلِمَ مِنَ الْمَهَالِكِ، سَلِمَ مِنْ مَهَالِكِ الدُّنْيَا وَمِنْ مَهَالِكِ الآخِرَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «المُسْلِمُ لَهُ أَجْرٌ عَلَى كُلِّ شَىءٍ يُحْزِنُهُ، عَلَى كُلِّ مَرَضٍ، حَتَّى المرَضُ الخَفِيفُ لَهُ فِيهِ فَائِدَةٌ، إِمَّا أنْ يُكَفَّرَ عَنْهُ ذَنْبٌ، وَإِمَّا أنْ تُرْفَعَ لَهُ دَرَجَةٌ، وَإِنْ لَمْ يكُنْ لَهُ في ذَلكَ الوَقْتِ ذَنْبٌ تُرْفَعُ لَهُ دَرَجَةٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي تُثْنِيهِ المصَائِبُ عَنِ المضِيِّ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ خَاسِرٌ، وَالفَائِزُ مَنْ يَصْبِرُ وَلا تُثْنِيهِ عَنِ المضِيّ في سَبِيلِ اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كَثْرَةُ المصَائِبِ عَلَى المؤْمِنِ مَعَ سَلامَةِ الدِّينِ هَذَا دَرَجَةٌ عَالِيَةٌ، أَمَّا كَثْرَةُ المصَائِبِ مَعَ فَسَادِ الدِّينِ فَهَذَا نُقْصَانٌ، فَالمسْلِمُ الَّذِي تَكْثُرُ عَلَيْهِ المصَائِبُ مَعَ سَلامَةِ الدِّينِ خَيْرٌ مِنَ المسْلِمِ الَّذِي يَعِيشُ مُتَقَلِّبًا فِي الرَّاحَةِ فَلا تُصِيبُهُ المصَائِبُ إِلا فِيمَا نَدَرَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «المسْلِمُ الَّذِي لا تُصِيبُهُ المصَائِبُ حَظُّهُ قَلِيلٌ عِنْدَ اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى قَصَّ عَلَيْنَا مَا جَرَى لِلأَنْبِيَاءِ مِنَ المصَائِبِ، لِنَتَأَسَّى بِهِم أَيْ لِنَقْتَدِيَ بِهِم فِي الصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ عَلَى العَزِيمَةِ، فَلَوْلا ثَبَاتُ الصَّحَابَةِ مَعَ كَثْرَةِ مَا أَصَابَهُم مِنَ المصَائِبِ مِنَ الكُفَّارِ لَمَا انْتَشَرَ الدِّينُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى خَارِجِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ، كَانَ بَقِيَ فِي الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ لَكِنَّهُم صَبَرُوا وَتَحَمَّلُوا الشَّدَائِدَ فَنَشَرُوا الْإِسْلامَ فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «هذِهِ عَادَةُ الدُّنْيَا، الْمُسلِمُونَ يَفْرَحُونَ بِنَكَبَاتِ الْكُفَّارِ، الكُفَّارُ كَذَلِكَ، هَذَا حَالُ الدُّنْيَا. الَّذِي يَسْعَى لِلْخَيْرِ لاَ بُدَّ أَنْ تُصِيبَهُ الْمَصَائِبُ وَلْيَصْبِرْ. أصْحَابُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَا نَشَرُوا هذَا الدّينَ إِلَّا بَعْدَ أن أصَابَهم ما أصَابَهُمْ من الكفّارِ مِن القَتْلِ والأَذَى، مَا نَشَرُوا الدِّينَ وهُمْ قَاعِدُونَ فِي بُيُوتِهِم مَبْسُوطِينَ. الْمَصَائِبُ مَعَ سَلاَمَةِ الدِّينِ غَنيمَةٌ كَبيرَةٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الأَنْبِيَاءُ والأَوْلِيَاءُ كلُّهُمْ كانُوا كَثِيري البلَاءِ بِالإِصَابَةِ فِي أجسادِهم والإيذَاءِ فِي أنفُسِهِمْ، وبِالإيذاءِ مِنَ الكُفَّارِ والفَاسِقِينَ بألسِنَتِهِمْ، وبِتَلَفِ الأمْوَالِ. الَّذِيْ تُثْنِيهِ الْمَصَائِبُ عن الْمُضِيّ فِي سبيلِ اللهِ فَهُوَ خَاسِرٌ، والفائِزُ من يَصْبِرُ ولَا تُثْنِيهِ الْمَصَائِبُ عَنِ الْمُضِيّ فِي سبيلِ اللهِ.

وَقالَ رضي الله عنه: «مَنْ عَرَفَ قَدْرَ الآخِرَةِ هَانَ عَلَيْهِ التَّعَبُ»، وقَالَ: «أُوْصِيكُمْ بِشَدِّ العزيمَةِ وَالصَّبْرِ عَلَى التَّعَبِ، التَّعَبُ فِي الْخَيْرِ رَاحَةٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْمُسْلِمُ الَّذِي لَا تُصِيبُهُ الْمَصَائِبُ حَظُّهُ قَلِيلٌ، أَمَّا الْمُسلِمُ الَّذِي تَكْثُرُ عَلَيْهِ الْمَصائِبُ هذَا أَعْلَى دَرَجَةً، لذلِكَ الأَنْبِيَاءُ هُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ بَلَاءً».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لا يَكْمُلُ دِينُ المرْءِ إلا بِالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مِنْ جُمْلَةِ الصَّبْرِ عَلَى المصِيبَةِ الَّذِي فِيهِ كَفَّارَةُ خَطَايَا وَرَفْعُ دَرَجَاتٍ الصَّبْرُ عَلَى الفَقْرِ، الَّذِي لا يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى الحَرَامِ مِنْ أَجْلِ الفَقْرِ وَالَّذِي كَانَ فِي سَعَةٍ وَغِنًى ثُمَّ افْتَقَرَ إِنْ صَبَرَ وَلَمْ يَمُدَّ يَدَهُ لِطُرُقِ الحَرَامِ لِجَلْبِ المالِ بِالحَرَامِ هَذَا أَيْضًا لَهُ أَجْرٌ كَبِيرٌ وَيَمْحُو اللهُ عَنْهُ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ لَهُ دَرَجَاتٍ.

لَكِنْ بَعْضُ النَّاسِ إِذَا أَصَابَهُمْ الفَقْرُ يَمُدُّونَ أَيْدِيَهُمْ إِلَى الحَرَامِ هَؤُلاءِ هَلَكُوا. الصَّبْرُ أَمْرٌ عَظِيمٌ فِيهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ. الصَّبْرُ عَنِ المعَاصِي هَذَا شَدِيدٌ وَالصَّبْرُ عَلَى المشَقَّاتِ، الصَّبْرُ عَلَى مَشَقَّاتِ العِبَادَاتِ وَمَشَقَّاتِ الفَقْرِ وَعَلَى أَذَى النَّاسِ هَذَا أَيْضًا فِيهِ فَائِدَةٌ لِلْمُسْلِمِ».

فَرَحُهُم بالبَلَاءِ أَشدُّ من فَرَحِ النَّاسِ بالعَطَاءِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ مَنْ فَرَحُهُم بالبَلاءِ أَشدُّ من فَرَحِ النَّاسِ بالعَطَاءِ**» مِنْ شِدةِ ما تَمَكَّنَ فِي نُفُوسِهِم الرِّضَا عَنِ اللهِ يَفرحُونَ بالبلاءِ أكثرَ من فَرَحِ النَّاسِ بِالعَطَاءِ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ مِنَ الَّذين قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ١٠٠﴾ [سورة التوبة] **مَعْنَاهُ** يُسَلِّمونَ للهِ تَسلِيمًا كَامِلًا، مَهْمَا أَصَابَهُم مِنَ الْمَصَائبِ فإِنَّهُم لا يَخرجُونَ عَنِ الرِّضَا عَنِ اللهِ، الرِّضَا عَنِ اللهِ مَرْتَبَةٌ عَالِيَةٌ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْ عِبَادِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ الصَّادِقِينَ: «وُرُودُ الفَاقَاتِ أَعْيَادُ الْمُرِيدِينَ» مَعْنَاهُ وُرُودُ الْمَصَائِبِ عِيدٌ لِطُلَّابِ الآخِرَةِ الْمُقْبِلِينَ عَلَيْهَا، يَعْتَبِرُونَهُ عِيدًا فَيَزِيدُونَ فِي الطَّاعَةِ بَدَلَ أَنْ يَنْقَلِبُوا أَوْ يُخَفِّفُوا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلامَةُ المؤْمِنِ الَّذِي لَهُ خَيْرٌ عِنْدَ اللهِ أَنْ يَكُونَ كَثِيرَ البَلَاءِ مَعَ المحَافَظَةِ عَلَى الدِّينِ، أَمَّا الَّذِي إِذَا أَصَابَهُ البَلاءُ لا يُحَافِظُ عَلَى الدِّينِ هَذَا لا خَيْرَ لَهُ عِنْدَ اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ البَلاءِ، فِي الآخِرَةِ يَتَمَنَّى أَنْ لَوْ كَانَ بَلاؤُهُ أَكْثَرَ لِمَا يَرَى مِنْ عُظْمِ ثَوَابِ البَلَاءِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَى حَسَبِ كَوْنِ الشَّخْصِ مُتَمَسِّكًا بِدِينِهِ صُلْبًا فِي دِينِهِ يَكُونُ بَلَاؤُهُ أَكْثَرَ فِي الدُّنْيَا. بَعْضُ النَّاسِ الَّذِينَ غَطَّى قُلُوبَهُمُ الجَهْلُ يَقُولُونَ اللهُ أَحَبَّنِي لِقِلَّةِ بَلائِهِم فِي الدُّنْيَا. مِنْ عَلَامَةِ حُبِّ اللهِ لِعَبْدِهِ كَثْرَةُ بَلَائِهِ فِي الدُّنْيَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كَثْرَةِ الْبَلَاءِ عَلَيْهِمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهِمْ خَطِيئَةٌ، اللهُ يُطَهِّرُهُمْ مِنْ كُلِّ خَطَايَاهُمْ بِهَذِهِ الْبَلَايَا، لَيْسَ عَلَيْهِمْ شَىْءٌ فِي قُبُورِهِمْ وَلَا فِي ءَاخِرَتِهِمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «امْرَأَةٌ عَرَضَتْ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنْتَهَا فَصَارَتْ تَمْدَحُهَا لِلرَّسُولِ بِالْجَمَالِ وَأَنَّهَا تَامَّةُ الصِّحَّةِ وَأَنَّهَا لَمْ يَحْصُلْ لَهَا صُدَاعٌ، فَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا**». لِمَاذَا؟ لِأَنَّ الَّذِي يَكُونُ فِي الدُّنْيَا مُتَقَلِّبًا فِي الرَّاحَاتِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُصَابَ بِالْبَلَاءِ فَهُوَ قَلِيلُ الْخَيْرِ عِنْدَ اللهِ، وَلَا يُصِيبُهُ مَرَضٌ، قَلِيلُ الْخَيْرِ عِنْدَ اللهِ، الرَّسُولُ أَعْرَضَ عَنْهَا مَا تَزَوَّجَهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ لِعَبْدِهِ المؤْمِنِ دَرَجَةً عَالِيَةً يُنْزِلْ عَلَيْهِ مَصَائِبَ الدُّنْيَا، يَحْمِيْهِ مِنْ مَصَائِبِ الدِّيْنِ وَيُكَثِّرْ عَلَيْهِ مَصَائِبَ الدُّنْيَا».

الِابْتِلَاءُ عَلَى الْمَعَاصِي فِي الدُّنْيَا:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «بَعْضُ النَّاسِ اللهُ تَعَالَى يَبْتَلِيهِمْ عَلَى مَعَاصِيهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَالْأَكْثَرُ يُؤَخِّرُ لَهُمْ عُقُوبَاتِهِمْ إِلَى الْآخِرَةِ، وَلَوْ عَمِلُوا أَعْمَالًا مِنْ أَفْحَشِ الذُّنُوبِ؛ الَّذِي يُجَازِيهِ اللهُ فِي الدُّنْيَا يَكُونُ أَحْسَنَ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمَعَاصِي وَلَا يُعَاقَبُ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا. هَذَا الَّذِي يُبْتَلَى فِي الدُّنْيَا يُجَازَى عَلَيْهَا أَحْسَنَ مِنْ ذَاكَ. لَا

يُؤَخِّرُ لَهُ عَذَابُهُ إِلَى الْآخِرَةِ، أَمَّا هَذَا [الَّذِي عُوقِبَ] فِي الدُّنْيَا تَسْقُطُ عَنْهُ الْعُقُوبَةُ عُقُوبَةُ الْآخِرَةِ بِهَذِهِ الْمَصَائِبِ تَسْقُطُ عَنْهُ. الرَّسُولُ أَعْلَمَهُ قَالَ لَهُ: «**أَنْتَ أَرَادَ اللهُ بِكَ خَيْرًا**» لِهَذَا الرَّجُلِ.

ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كَثْرَةِ الْبَلَاءِ عَلَيْهِمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهِمْ خَطِيئَةٌ؛ اللهُ يُطَهِّرُهُمْ مِنْ كُلِّ خَطَايَاهُمْ بِهَذِهِ الْبَلَايَا، لَيْسَ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ فِي قُبُورِهِمْ وَلَا فِي ءَاخِرَتِهِمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «وَاحِدٌ مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ جَاءَ إِلَى الرَّسُولِ: يَا رَسُولَ اللهِ أَقِمْ عَلَيَّ حَدًّا. قَالَ: إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى امْرَأَةٍ أَعْجَبَتْنِي فَأَتْبَعْتُهَا بَصَرِي فَاصْطَدَمْتُ بِالْجِدَارِ فَدَمِيَ وَجْهِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللهَ أَرَادَ بِكَ خَيْرًا، اللهُ عَاقَبَكَ فِي الدُّنْيَا**». إِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ خَيْرًا عَاقَبَهُ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّ الَّذِي مَا أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُؤَخِّرُ عُقُوبَتَهُ إِلَى الْآخِرَةِ. مَهْمَا غَرِقَ فِي الْمَعَاصِي يَبْقَى مُتَنَعِّمًا، هَذَا مَا أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا. أَمَّا الَّذِي أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصَابُ بِالْكَسْرِ وَالْجُرْحِ، إِذَا [كَانَ] بِالدُّنْيَا ابْتَلَاهُ اللهُ بِالْمَصَائِبِ، أَمَّا الَّذِي لَمْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُؤَخِّرُ لَهُ الْعِقَابَ إِلَى الْآخِرَةِ. هَذَا الَّذِي نَظَرَ إِلَى الْمَرْأَةِ فَأَعْجَبَتْهُ فَأَتْبَعَهَا بَصَرَهُ فِي هَذَا الِاصْطِدَامِ بِالْجِدَارِ حَتَّى خَرَجَ مِنْهُ الدَّمُ، اللهُ أَرَادَ أَنْ يُطَهِّرَهُ مِنْ هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا، مَعْنَاهُ هَذَا جَزَاءُ هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ.

كَثْرَةُ الْمَصَائِبِ فِي الدُّنْيَا:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اللهُ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا كَفَّرَ عَنْ ذُنُوبِهِ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ شَرًّا أَمْسَكَ عَنْهُ حَتَّى يُوَافِيَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِذُنُوبِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي تَكْثُرُ عَلَيْهِ المصَائِبُ فِي الدُّنْيَا لَوْ كَانَ لَهُ ذُنُوبٌ إِنْ صَبَرَ فَبِهَذِهِ المصَائِبِ يَمْحُو اللهُ عَنْهُ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ لَهُ دَرَجَاتٍ وَيُعْطِيهِ أَجْرًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ لا يُصِيبُ اللهُ مِنْهُ أَيْ لا يَبْتَلِيهِ بِبَلَاءٍ وَيُخَلِّيهِ يَتَقَلَّبُ فِي الرَّاحَاتِ وَالنَّعِيمِ هَذَا لَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ دَرَجَةٌ عَالِيَةٌ، الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ يُصِيبُ مِنْهُ أَي يَبْتَلِيهِ بِبَلاءٍ إِمَّا فِي جِسْمِهِ بِكَثْرَةِ الأَمْرَاضِ وَإِمَّا بِمَرَارَةِ الفَقْرِ أَي يُسَلِّطُ عَلَيْهِ الفَقْرَ الشَّدِيدَ فَيَذُوقُ مَرَارَاتِهِ، وَإِمَّا بِفِقْدَانِ مَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ مِنَ الأَهْلِ وَالأَصْحَابِ وَالأَصْدِقَاءِ، البَلاءُ أَنْوَاعٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «بَعْضُ النَّاسِ مِنْ شِدَّةِ الجَهْلِ إِذَا كَانُوْا يَعِيشُونَ فِي رَفَاهِيَةٍ وَلا تُصِيبُهُمْ مَصَائِبُ أَمْرَاضٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ، يَقُولُونَ اللهُ أَحَبَّنِي، هَؤُلاءِ يَفْهَمُونَ الأُمُورَ عَلَى العَكْسِ، لا بُدَّ للأَتْقِيَاء أَنْ يُصَابُوا بِمَصَائِبَ إِمَّا بِأَمْرَاضٍ وَإِمَّا بِأَذَى النَّاسِ لَهُمْ وَإِمَّا بِفِقْدَانِ الوَلَدِ، مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَأُصِيبَ بِبَلَاءٍ كَبِيرٍ حَتَّى ءَادَمُ أُخْرِجَ مِنَ الجَنَّةِ نَزَلَ إِلَى هَذِهِ الدُّنْيَا فَقَاسَى المَتَاعِبَ، ثُمَّ هَؤُلَاءِ المصَابُونَ بِالبَلَاءِ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو وَمِنْهُمْ مَنْ لا يَدْعُو يُرْفَعُ البَلاءُ عَنْهُمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي لَهُ عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ، يُبْتَلَى فِي الدُّنْيَا. بَعْضُ النَّاسِ مِنْ شِدَّةِ الْجَهْلِ يَكُونُونَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، يَعِيشُونَ مُتَرَفِّهِينَ وَلَا يُقَاسُونَ أَمْرَاضًا وَلَا يُصَابُونَ بِبَلَايَا أُخْرَى، فَمِنْ شِدَّةِ غُرُورِهِمْ يَقُولُونَ: «أَنَا اللهُ يُحِبُّنِي». عَكْسُ الْحَقِيقَةِ هَذَا، لَوْ كَانَ اللهُ يُحِبُّهُمْ كَانَ سَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءَ.

ثُمَّ الْبَلَاءُ أَنْوَاعٌ: الأَوْجَاع الجَسَدِيَّةُ بَلَاءُ وَأَذَى النَّاسِ كَذَلِكَ بَلَاءٌ، وَالْفَقْرُ الشَّدِيدُ كَذَلِكَ بَلَاءٌ. وَمِنَ الْجَهْلِ الْفَظِيعِ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُقْبِلُونَ إِلَى الطَّاعَةِ ثُمَّ تُصِيبُهُمُ الْمَصَائِبُ فَيَتَشَاءَمُونَ، يَقُولُونَ: نَحْنُ كُنَّا فِي رَاحَةٍ لَكِنْ مُنْذُ بَدَأْنَا بِالْإِقْبَالِ عَلَى الطَّاعَةِ أَصَابَتْنَا الْمَصَائِبُ فَيَنْفُرُونَ مِنَ الْتِزَامِ الْعِبَادَةِ يَتَشَاءَمُونَ[1]، يَقُولُونَ: مَا نَفَعَتْنَا، فَيَعُودُونَ إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ، يُعْرِضُونَ عَنِ الْعِبَادَةِ».

---

(1) التشاؤم من الصلاة وقراءة القرءان والصيام كفرٌ لأنهم يعتقدون أنَّ هذه العبادات مصدرٌ للشؤم والوبال عليهم أي أنهم يرونها بزعمهم تجلب لهم الفقر والتعاسة وهذا استخفافٌ بشعائر الإسلام، والحقيقة أنَّ هذه العبادات نورٌ وبركة ورحمة وخير، قال

الْبَلِيَّةُ قِسْمَانِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «البَلِيَّةُ قِسْمَانِ: بَلِيَّةٌ شَرُّهَا عَظِيمٌ، وبَلِيَّةٌ مَا فِيهَا مَعْصِيَةٌ مَا فِيهَا ضَرَرٌ بَلْ فِيهَا أَجْرٌ لِلمُسْلِمِ، لَهُ أَجْرٌ وَتَكْفِيرُ خَطَايَا وَرَفْعُ دَرَجَةٍ، أَيُّ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المسْلِمَ مِنْ حُزْنٍ وَهَمٍّ وَغَمٍّ وَصُدَاعٍ، وَأَيُّ وَجَعٍ فِي جَسَدِهِ يُصِيبُهُ وَأَذَى النَّاسِ الَّذِي يَتَأَلَّمُ مِنْهُ وَيَنْزَعِجُ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ وَتَكْفِيرُ خَطِيئَةٍ مِنَ الخَطَايَا وَرَفْعُ دَرَجَةٍ. المسْلِمُ بِخَيْرٍ، المصَائِبُ الَّتِي تُصِيبُهُ لا تَذْهَبُ عَلَيْهِ سُدًى بَلْ يُكْتَبُ لَهُ أَجْرٌ وَتُمْحَى عَنْهُ خَطِيئَةٌ وَتُرْفَعُ لَهُ دَرَجَةٌ، فَإِنْ أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ غَمٌّ أَوْ خَدْشٌ خَفِيفٌ فِي جِسْمِهِ كُلُّ ذَلِكَ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ هَذَا إِذَا لَمْ يَتَسَخَّطْ عَلَى قَضَاءِ اللهِ، أَمَّا إِنْ تَسَخَّطَ عَلَى قَضَاءِ اللهِ فَهُوَ مَحْرُومٌ مِنَ الخَيْرِ، إِنْ تَسَخَّطَ عَلَى قَضَاءِ اللهِ وَغَضِبَ عَلَى اللهِ كَفَرَ. بَعْضُ النَّاسِ عِنْدَمَا تُصِيبُهُمْ مَصَائِبُ يَكْفُرُونَ يَعْتَرِضُونَ عَلَى اللهِ، أَمَّا الَّذِي لا يَعْتَرِضُ عَلَى اللهِ وَيَرْضَى بِقَضَاءِ اللهِ يَسْتَفِيدُ مِنَ المصَائِبِ، أَمَّا الَّذِي يَغْضَبُ عَلَى اللهِ يَكْفُرُ ثُمَّ لا يَنْفَعُهُ غَضَبُهُ كَرَجُلٍ فِي العَرَبِ الأُوَلِ مِنْ قَوْمِ عَادٍ عَاشَ عَلَى الإِسْلامِ أَرْبَعِينَ سَنَةٍ ثُمَّ ذَاتَ يَوْمٍ خَرَجَ أَبْنَاؤُهُ لِلصَّيْدِ فَأَرْسَلَ اللهُ صَاعِقَةً فَقَتَلَتْهُمْ فَغَضِبَ عَلَى اللهِ غَضَبًا شَدِيدًا، فَقَالَ: لا أَعْبُدُهُ لأَنَّهُ قَتَلَ أَبْنَائِي فَصَارَ يَقُولُ لِمَنْ يَأْتِي إِلَى النَّاحِيَةِ الَّتِي هُوَ يَحْكُمُهَا: اكْفُرْ بِاللهِ وَإِلا قَتَلْتُكَ. ثُمَّ مَا مَكَثَ طَوِيلا سَلَّطَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ الوَادِي الَّذِي هُوَ رَئِيسٌ فِيهِ نَارًا فَأَكَلَتِ النَّارُ ذَلِكَ الوَادِي، هُوَ ذَهَبَ فِيهَا وَالزُّرُوعُ وَالمتَاعُ كُلُّ الَّذِي فِيهَا حَتَّى الأَشْجَارُ صَارَتْ سَوْدَاءَ، تِلْكَ الأَرْضُ صَارَتْ سَوْدَاءَ، هَذَا لَوْ سَلَّمَ لِقَضَاءِ اللهِ كَانَ جَزَاؤُهُ الجَنَّةَ، الَّذِي يَفْقِدُ وَلَدًا أَوْ زَوْجَةً أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوْ أَخًا جَزَاؤُهُ عِنْدَ اللهِ الجَنَّةُ إِنْ صَبَرَ، هَذَا كَفَرَ بَدَلَ أَنْ يَصْبِرَ وَيَصِيرَ لَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ كَفَرَ وَمَا نَفَعَهُ كُفْرُهُ».

مَنْ صَبَرَ هذهِ الأيامَ القلائلَ:

تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [سورة الرعد]، وقال ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [سورة الحج].

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «يَا هَنَاءَةَ وَيَا سَعَادَةَ مَن صَبَرَ على بأسِ الدنيَا ولأوَائِهَا، وكانَتْ هِمَّتُهُ مَصْرُوفةً إِلَى حَيْثُ يُحِبُّ اللَّهُ ورسولُهُ صلّى اللَّهُ عليه وسلّم، فمَنْ صَبَرَ هذهِ الأيّامَ القلائلَ فِي الْفَانِيَةِ، رَبِحَ تلكَ الأيّامَ الطِّوَالَ فِي البَاقِيةِ».

الصَّبرُ عَلَى الْمُصِيبَةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «إنَّ مِن جُملةِ الصَّبرِ الصَّبرَ على الْمُصِيبةِ الَّذِي فيهِ كفّارةُ خطايَا وَرَفْعُ دَرَجَاتٍ، كالصَّبرِ على الفقرِ. فالذي لا يَمُدُّ يدَهُ إلى الحرامِ من أَجْلِ الْفَقْرِ بَلْ يَصْبِرُ فلَهُ أجرٌ عظيمٌ، وَالَّذِي كانَ فِي سعةٍ وغنًى ثُمَّ افتَقَرَ إنْ صَبَرَ ولَمْ يَمُدَّ يدَهُ لجَلْبِ الْمَالِ مِن حرامٍ لهُ أجرٌ كبيرٌ، يَمْحُو اللَّهُ عنهُ الخطايا ويرفعُهُ درجاتٍ. لَكِنَّ بعضَ الناسِ إنْ أَصَابَهُم الفقرُ يَمُدُّونَ أيْدِيَهُم إلى الحرامِ هؤلاءِ هلكُوا، الصَّبرُ أمرٌ عظيمٌ وفيهِ خيرٌ كثيرٌ، الصَّبرُ عن الْمَعَاصِي هَذَا شَدِيدٌ، والصَّبرُ على مَشَقَّاتِ العِبَادَاتِ ومشقّاتِ الفقرِ وعلى أَذَى النَّاسِ هَذَا أَيْضًا فيهِ فائدةٌ لِلْمُسْلِمِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى، عِنْدَ أَوَّلِ الْمُصِيبةِ. صَبرُ الصَّابِرِ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يَكُونُ فِي الدُّنْيَا مُتَقَلِّبًا فِي الرَّاحَاتِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُصَابَ بِالبَلَاءِ قَلِيلُ الخَيْرِ فِي الآخِرَةِ عِنْدَ اللهِ، فَالَّذِي أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُبْتَلَى فِي الدُّنْيَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قالَ: «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصبرِ» معناهُ الصبرُ عطاءٌ عظيمٌ عندَ اللهِ تباركَ وتعالَى لأنَّ الصبرَ بابُهُ واسِعٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنِ اقتَفَى أَثَرَ الأَنْبِيَاءِ بِالعَفْوِ عَنِ الإسَاءَةِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَشَقَّاتِ وَأَذَى النَّاسِ عِنْدَ اللهِ يَتَرَقَّى فِي الخَيْرِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كَثرَةُ الْمَصَائِبِ عَلَى المُؤْمِنِ مَعَ سَلامَةِ الدِّينِ هَذَا دَرَجَةٌ عَالِيَةٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «المسْلِمُ المصَابُ بِالمصَائِبِ مَعَ الصَّبْرِ يَكُونُ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ، عِنْدَ اللهِ أَعْظَمُ دَرَجَة مِنَ المسْلِمِ الَّذِي يَتَقَلَّبُ فِي النِّعَمِ حَتَّى يَمُوتَ، هَذَا حَظُّهُ مِنَ الآخِرَةِ قَلِيْلٌ، المصَائبُ لِلمُؤْمِنِ فِيهَا فَوَائِدُ، تَكْفِيرُ سَيِّئَاتٍ وَرَفْعُ دَرَجَاتٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُم بِالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ، مَهْمَا لاقَى مِنْ أَذَى النَّاسِ، مِنْ أَذَى الجَاهِلِينَ، الجَاهِلُونَ يُعَادُونَ المتَمَسِّكِينَ بِالدِّينِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الصَّبْرُ أَنْ لا يَعْتَرِضَ عَلَى قَضَاءِ اللهِ وَلا يَمْضِيَ إِلَى مَعْصِيَةٍ. بَعْضُ النَّاسِ إِذَا مَرِضُوا أَوْ فُقِدَ لَهُمْ غَرَضٌ يَذْهَبُونَ إِلَى هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَتَكَهَّنُونَ هَؤُلاءِ لَيْسَ لَهُمْ أَجْرٌ لأَنَّهُمْ بَدَلَ أَنْ يَرْضَوْا بِقَضَاءِ اللهِ وَيَصْبِرُوا عَصَوْا رَبَّهُمْ لأَجْلِ المصِيبَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «بَعْضُ النَّاسِ إِذَا أُصِيبُوا بِمُصِيبَةٍ يَكْفُرُونَ حَتَّى إِذَا مَاتَ لَهُمْ رَجُلٌ عَلَى الْفِرَاشِ بَعْضُهُمْ يَكْفُرُونَ.

حَتَّى بَعْضُ النِّسَاءِ إِذَا لَمْ تُرْزَقْ وَلَدًا تَقُولُ: اللهُ لَيْسَ عَادِلًا يَرْزُقُ غَيْرِي وَلَا يَرْزُقُنِي، إِنَّمَا الْأَجْرُ الْعَظِيمُ لِلَّذِي يَثْبُتُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَلَا يَعْصِي رَبَّهُ لِأَجْلِ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ.

كَذَلِكَ الْإِنْسَانُ الَّذِي كَانَ غَنِيًّا ثُمَّ افْتَقَرَ فَإِنْ كَفَّ عَنِ الْحَرَامِ وَلَمْ يَتَسَخَّطْ عَلَى رَبِّهِ رَضِيَ بِالْحَلَالِ، لَمْ يَطْلُبِ الرِّزْقَ مِنْ مَكْسَبٍ حَرَامٍ إِلَّا مِنْ مَكْسَبٍ حَلَالٍ؛ هَذَا أَيْضًا لَهُ ذَلِكَ الْأَجْرُ الْعَظِيمُ. كَذَلِكَ الَّذِي يَصْبِرُ عَلَى مَشَقَّاتِ الْعِبَادَةِ وَيُؤَدِّيهَا، لَيْسَ كَبَعْضِ النَّاسِ، بَعْضُ النَّاسِ إِذَا مَرِضُوا يَتْرُكُونَ الصَّلَاةَ إِذَا دَخَلُوا الْمُسْتَشْفَى. كَذَلِكَ الصَّبْرُ عَلَى أَذَى النَّاسِ. الْأَنْبِيَاءُ، الْكُفَّارُ يَسُبُّونَهُمْ يَشْتِمُونَهُمْ وَمَعَ ذَلِكَ يَصْبِرُونَ، يَتَمَادَوْنَ فِي دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الْخَيْرِ».

لَوْ صَبَرَ كانَ جزاؤُهُ الجنةَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «بَعْضُ النَّاسِ اللَّهُ تعالى يُصلِحُهُم، قَبْلَ الموتِ بوقتٍ قصيرٍ يَرزُقُهُم التوبةَ، بعدَ أَنْ قَضَوا عشرَاتِ السنِينَ في الفسادِ والفجورِ يتوبُونَ قبلَ الموتِ بوقتٍ قصيرٍ. وبعضُ النَّاسِ بعدَ أَنْ قَضَوا على الإِسْلَامِ عَشرَاتِ السِّنِينَ يَكفُرُونَ فيموتُونَ على الْكُفْرِ. كانَ رَجُلٌ مُسلمٌ اسمهُ حِمارُ بنُ مالكٍ عاشَ أربعينَ سنةً على الإسلامِ، ثُمَّ اللَّهُ تعالَى أَهلَكَ أبناءَهُ كانُوا خرجُوا للصيدِ أنزلَ اللهُ صاعقةً فَقتَلَتْهُم. هذا حمارٌ غَضِبَ مِنْ رَبِّهِ فقالَ: «لَا أعبدُهُ بعدَ ذلكَ لأَنَّهُ قَتَلَ أبنائِي» هذا كُفْرٌ. ثُمَّ مَا عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ طويلًا، اللَّهُ تعالَى أرسلَ نَارًا في أَسْفَلِ الْوَادِي أَحرقَتِ الوَادِي ومَنْ فيهِ، هُو ومَنْ معَهُ. هو كانَ زَعِيمًا على تلكَ النَّاحِيَةِ. أَحرقَتْهُ النارُ هو ومَنْ معَهُ والأَشْجَارَ والزَّرْعَ. أَكَلَتِ النارُ كُلَّ الوادِي. لَوْ صَبَرَ كانَ جزاؤُهُ الجنّةَ لَكِنْ بسببِ الغَضَبِ كَفَرَ، غَضِبَ عَلَى ربِهِ لأَنَّهُ قَتَلَ أبناءَهُ، بِسَبَبِ هَذَا الغَضَبِ كَفَرَ. هذا الرَّجُلُ سَمَّاهُ العربُ: «حِمارَ الجوفِ». هو اسْمُهُ حِمارُ ابنُ مالكٍ لكِنْ هُم سَمَّوْهُ: «حِمَارَ الجَوفِ»، من شِدَّةِ كُفرِهِ صارَ مَثَلًا، صارُوا يقولُونَ: «أَكْفَرُ مِنْ حِمَارِ الجَوْفِ»، الجوْفُ بلدةٌ في الجزيرةِ العَرَبِيَّةِ هذَا قبلَ الرسولِ بآلافِ السِّنِينَ».

وَقَال رضي الله عنه: «أُمُورُ الآخِرَةِ أَحْوَجُ إِلَى الصَّبْرِ».

الرِّجَالُ أَقْوَى فِي الصَّبْرِ وَقُوَّةِ الْجِسْمِ وَقُوَّةِ الْعَقْلِ مِنَ النِّسَاءِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اللهُ فَضَّلَ الرِّجَالَ عَلَى النِّسَاءِ، الَّذِي لا يَحْفَظُ لِسَانَهُ وَيَنْطِقُ بِمَا يَخْطُرُ لَهُ مِنْ غَيْرِ مُبَالاةٍ يَقَعُ فِي الهَلاكِ إِمَّا فِي الكُفْرِ أَوْ فِي المعْصِيَةِ أَوْ فِي المكْرُوهَاتِ، بِالعَقْلِ الرِّجَالُ أَقْوَى، وَفِي القُوَّةِ الجَسَدِيَّةِ الرِّجَالُ أَقْوَى، وَفِي الصَّبْرِ الرِّجَالُ أَقْوَى صَبْرًا، مَرْيَمُ عَلَيْهَا السلام مَعَ مَا لَهَا مِنَ الدَّرَجَةِ العَالِيَةِ لمَّا اتَّهَمَهَا النَّاسُ بِأَنَّهَا وَلَدَتْ

عِيسَى مِنْ زِنًى قَالَتْ: ((يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا))، الرِّجَالُ أَقْوَى فِي الصَّبْرِ وَقُوَّةِ الجِسْمِ وَقُوَّةِ العَقْلِ، هَذَا الَّذِي يَشْهَدُ بِهِ القُرْءَانُ وَأَهْلُ الفِكْرِ الصَّحِيحِ مِنَ البَشَرِ».

صِلَةُ الرَّحِمِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ: «**أَرْحَامَكُمْ أَرْحَامَكُمْ**» مَعْنَاهُ صِلُوهُمْ، هَذَا تَأْكِيدٌ».

لَا يُصلِحُنَا إَلَّا اتِّبَاعُ سَلفِنَا الصَّالِحِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أَكْثِرُوا من الزِّيَارات، الوُجَهَاءَ وَنَحْوَهُمْ. تَقْرَأُ الفَاتِحَةَ قبلَ الزيارةِ. ثُمَّ في الزِيَارةِ يُذكَرُ لَهُم صَلَاحُ الدِّينِ الأَيُّوبيُّ وأنَّهُ أشعرِيٌّ وأنَّهُ واجبٌ عَلَيْنَا أَنْ نُقَوِّيَ العَقِيدَةَ الأَشْعَرِيَّةَ. صَلَاحُ الدِّينِ كَانَ فَقِيهًا عَالِمًا مُحَدِّثًا. يُقالُ لَهُم: لَا يُصْلِحُنَا إِلَّا اتِّبَاعُ سَلفِنَا الصَّالِحِ مِنَ الخُلَفَاءِ وَالسَّلَاطِينِ كَصَلَاحِ الدِّينِ الأَيُّوبِيِّ. لَا يُصْلِحُنَا إِلَّا هَذَا. لَا يُصْلِحُنَا إِلَّا هَذَا».

صِدْقُ الْهِمَّةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «فِي هذهِ البِلَادِ الهِمَّةُ خَفَّتْ، ضَعُفَتْ الهِمَمُ. فيمَا مضَى كانَتْ الهِمَمُ قويةً. فِي هَرَر الماءُ يؤخذُ من العينِ من خارجِ البلدِ ومع هذا يُصَلُّونَ النَّوَافِلَ ويقومُونَ الليلَ حتَّى إنَّ شَيخًا كَبيرًا قالَ: «فاتَتْنِي الجماعةُ إحدى عَشْرَةَ مرةً فِي حياتِي» كان على التقوَى. أمَّا هُنَا فالماءُ مُتَيَسِّرٌ ضمنَ البيتِ، لا يَخْرُجُونَ إِلَى النَّهْرِ، فِي هَرَرَ يَخْرُجونَ إلى النَّهرِ، إلى خَارِجِ الْمَدِينَةِ وَمَعَ هَذَا يَقُومُونَ اللَّيْلَ، اللهُ يُيَسِّرُ.

فِي مَكَّةَ قبلَ خَمسِينَ سَنَةً كُنَّا نَشْتَرِي الْمَاءَ لِلْوُضُوءِ ولِلشُّرْبِ، السَّقَّاءُ يَدُورُ بهِ، هُو يَحْمِلُ قِرْبَةً عَلَى ظَهْرِهِ ويَدُورُ على الْحُجَّاجِ حَيْثُ نَزَلُوا، كُنَّا نَشْتَرِي مِنْهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَن صَدَقَتْ عَزِيمَتُهُ يَقضِي فِي اليومِ مِائَةَ صلاةٍ، كانَ فِي الماضِي شخصٌ لَهُ أَلْفُ نَخلةٍ مِن أَهلِ البَصرَةِ تَحتَ كُلِّ نَخلةٍ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ في اليومِ الواحدِ. سبحانَ اللهِ بعضُ الناسِ لَهُم سُرْعَةُ حَرَكَةٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِصْلَاحُ الفَسَادِ يَحْتَاجُ إِلَى بَذل الْجهدِ. انْوُوا أَنْ تُصْلِحُوا الْفَسَادَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «هَنِيئًا لِمَنْ تَمَسَّكَ بِعَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَكَافَحَ مَا يُخَالِفُهَا بِنَفْسِهِ أَوْ بِمُسَاعَدَةِ مَنْ يُكَافِحُوهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «العَاقِلُ هُوَ الَّذِي يَسْعَى لِتَأْيِيدِ مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ وَمِنْ أَهَمِّ مَا فَرَضَ اللهُ عَلَى العِبَادِ تَأْيِيدُ عَقِيْدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّتِي أَوْصَى بِهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الـمُؤْمِنُ دَائِبًا فِي طَلَبِ المزِيدِ مِنْ عَمَلِ البِرِّ وَعِلْمِ الدِّينِ إِلَى الْمَمَاتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قُوَّةُ الإِيْمَانِ تُجَرِّئُ عَلَى إِنْكَارِ المنْكَرِ وَالجِهَادِ وَلَوْ كَانَ ضَعِيفَ الجِسْمِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «صَادِقُ الهِمَّةِ فِي طَلَبِ العِلْمِ لا يَمَلُّ مِنْ تَكْرَارِ مَا أَخَذَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «العَجْزُ الَّذِي اسْتَعَاذَ منه الرَّسُولُ لَيْسَ الضَّعْفَ الجِسْمَانِيَّ، بَلْ ضَعْفُ الْهِمَّةِ وَالفِكْرِ وَالنِّيَّةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْهِمَّةُ القَوِيَّةُ تُقَرِّبُ البَعِيدَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لَوْ كَانَ الصَّحَابَةُ مُتَعَلِّقِينَ بِالرَّفَاهِيَةِ مَا انْتَشَرَ الإِسْلامُ».

شُدُّوا هِمَمَكُم وَلَا تَتَكَاسَلُوا:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «عَمَلُ الخَيْرِ مَهْمَا أَكْثَرَ مِنْهُ الإِنْسَانُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ: «شَبِعْتُ»، ويَتمادَى في فِعْلِ الْحَسَنَاتِ لِأَنَّ الآخِرَةَ دَارٌ لا نِهَايَةَ لَهَا، لأَنَّهُ مَهْمَا عَمِلَ من خيرٍ يَكُونُ لَهُ مَنْفَعَةٌ فِي الْآخِرَةِ. إيَّاكُم وَالكَسَلَ وَلَا سِيَّمَا فِي تَعْلِيمِ الضَّرُورِيَّاتِ وَتَعَلُّمِهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اِحْرِصُوا عَلى أَنْ يَكُونَ مُستَقبَلُكُمْ أَحسَنَ مِن مَاضِيكُمْ وارْفُضُوا الكَسَلَ فإِنَّ الكَسَلَ استَعَاذَ منهُ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم».

وَقَالَ رضي الله عنه: «ابذُلْ جُهْدَكَ لِقَضَاءِ حَاجَاتِ النَّاسِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ أَرَادَ الرِّفْعَةَ وَالرُّقِيَ إِلَى المقَامَاتِ السَّنِيَةِ يَتْعَبْ ويَعْمَلْ وَيَكُنْ فِي ازدِيَادٍ لِعَمَلِ الآخِرَةِ وَيَطْرَحِ الْكَسَلَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، هَذَا دَلِيلُ المفْلِحِينَ».

وَقَالَ رضي الله عنه:

«ومَنْ طَلَبَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ   أَضَاعَ العُمْرَ فِي طَلَبِ المحَالِ

الَّذِي يَطْلُبُ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا، أَنْ يَصِلَ إِلَى الدَّرَجَاتِ الْعُلَا لا بُدَّ أَنْ يَتْعَبَ وَيَتَحَمَّلَ المشَاقَّ وَإِلا فَهُوَ كَطَالِبِ المحَالِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كُونُوا فِي ازْدِيَادٍ مِنَ الرَّغْبَةِ بِالعِلْمِ فِي تَعَلُّمِهِ وَتَعْلِيمِهِ وَنَشْرِهِ بَيْنَ النَّاسِ وَإِيَّاكُمْ وَالكَسَلَ فَإِنَّ الكَسَلَ سَبَبُ الحِرْمَانِ وَفَوَاتِ المقْصُودِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا يَكُونُ قَوِيَّ الهِمَّةِ فِي العِلْمِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يَتَقَاعَسُ اليَوْمَ عَنْ نَشْرِ عِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ كَالفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ ذَنْبُهُ كَبِيرٌ فَإِيَّاكُمْ وَالتَّوَانِيَ وَالتَّكَاسُلَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لِيَكُفَّ كُلُّ وَاحِدٍ نَفْسَهُ عَنِ الِاتِّكَالِ عَلَى غَيْرِهِ لِيَبْذُلْ أَقْصَى جُهْدِهِ لِلعَمَلِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَتَحَ لَكُمْ بَابَ خَيْرٍ عَظِيمٍ أَرْشَدَكُمْ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الحَقّ، فَاغْتَنِمُوا الْعَمَلَ فِيهِ بِلا تَوَانٍ».

وقال رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِالِازْدِيَادِ مِنْ بَذْلِ الْجُهْدِ مِنْ عَمَلِ البِرّ وَمِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْبِرّ الْيَوْمَ نَشْرُ عِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ لأَنَّ الجَهْلَ بِهَذَا العِلْمِ فَشَا، عَلَيْكُمْ بزِيَادَةِ الهِمَّةِ فِي ذَلِكَ وَلا تَلْهُوْا وَلَا تَفْتُرُوا، اللهُ يُجَنِّبُكُمُ الكَسَلَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ عَرَفَ قَدْرَ الْآخِرَةِ هَانَ عَلَيْهِ التَّعَبُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكَ بِالْجِدّ فِي الْعَمَلِ بالدَّعْوَةِ وَإِيَّاكَ والْكَسَلَ والتَّوَاكُلَ وَإِيَّاكَ والغِيَابَ عَن الِاجْتِمَاعِ. وَعَلَيْكُمْ بِالتَّطَاوُعِ وَتَرْكِ التَّوَاكُلِ فيَتَوَانَى أحَدُكُمْ فِيْ تَحْقِيقِ الْمُهِمَّاتِ، لَا يَقُلْ أحَدُكُمْ إِنْ لَمْ أَفْعَلْ هذَا فَغَيْرِي يفعَلُهُ، واستَحْضِرُوا دَائِمًا هَذَا الْحَدِيثَ: «**الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ**»».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِتَرْكِ الكَسَلِ فَإِنَّ الكَسَلَ اسْتَعَاذَ مِنْهُ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم فِي دُعَائِهِ؛ كَانَ يَقُوْلُ: «**وَأَعُوْذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالكَسَلِ**» وَالعَجْزُ مَعْنَاهُ سُوءُ الْفَهْمِ، سُوءُ الفَهْمِ يُقَالُ لَهُ عَجْزٌ، لَيْسَ مَعْنَاهُ ضَعْفَ البَدَنِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِالجِدّ وَتَرْكِ الْكَسَلِ فَإِنَّ الْكَسَلَ اسْتَعَاذَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ. الْكَسَلُ يَحْرِمُ صَاحِبَهُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْخَيْرِ وَيُؤَدّي بِهِ إِلَى تَرْكِ كَثِيرٍ مِنَ الْوَاجِبَاتِ فَيَهْلِكُ فِي الْآخِرَةِ. وَعَلَيْكُمْ بِتَرْكِ التَّنَعُّمِ فَإِنَّ مَنْ لَزِمَ التَّنَعُّمَ يُخْشَى عَلَيْهِ مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ إِذَا تَغَيَّرَتْ حَالُهُ إِلَى الْقِلَّةِ، أَمَّا مَنْ عَوَّدَ نَفْسَهُ تَرْكَ التَّنَعُّمِ فَإِنَّهُ مَأْمُونٌ مَحْفُوظٌ مِنْ ذَلِكَ وَهَذَا حَالُ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ».

صَدُّ الشَّيْطَانِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مِنَ النَّاسِ مَنْ يأتِيهِمُ الشَّيْطَانُ بِطَرِيقِ الْمَالِ فيَعصُونَ رَبَّهُم مِنْ أَجْلِ الْمَالِ. الْمَالُ مَصْيَدَةُ الشَّيْطَانِ يَصِيدُ بِهَا بنِي ءادمَ إلا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ. كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ من حبِّ المالِ يَكفُرُونَ باللَّهِ، كَثِيرٌ منهُم يَعْصُونَ اللَّهَ من أجلِ المالِ. أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَترُكُونَ الصَّلَوَاتِ إلى مَا بَعْدَ الغُرُوبِ؟ يَتْرُكُونَ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ مِنْ غيرِ عذرٍ، مِنْ غيرِ أنْ يكونَ نائِمًا أو ناسِيًا، مِنْ أجْلِ عَمَلِ دُنْيَاهُم فَيَعْصُونَ رَبَّهُمْ، يَقَعُونَ فِي ذَنْبٍ كَبِيرٍ. تَرْكُ فَرِيضَةٍ وَاحِدَةٍ عندَ اللَّهِ ذنبٌ كبيرٌ. كما يفعلُ كَثِيرٌ مِنَ التُّجَّارِ مِنْ شِدَّةِ حِرْصِهِمْ عَلَى المالِ وَجَمْعِهِ يَتْرُكُونَ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ يَقُولُونَ نُصَلِّي بِاللَّيْلِ، فِي الْبَيْتِ نُصَلِّي. وبعضُ النَّاسِ يَأْتِيهِم مِنْ طريقِ أولادِهِم، كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَعْصُونَ رَبَّهُمْ من أجلِ أَوْلَادِهِمْ. أليسَ هناكَ كَثِيرٌ مِنَ النِّسَاءِ يَتْرُكْنَ بعضَ الصَّلَوَاتِ مِنْ أَجْلِ بُكاءِ الطفلِ؟ أو تَهْيِئَةِ الطعامِ لهُ؟ هَذَا مِنْ جُمْلَةِ مَصَائِدِ الشَّيْطَانِ لِلنِّسَاءِ، مِنْ هُنَا يَصْطَادُهُنَّ. فالذي أرادَ اللَّهُ لَهُ الخيرَ يَصْبِرُ، يَصْبِرُ عَلَى مَشَقَّاتِ الْعِبَادَاتِ فلا يعصِي ربَّهُ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ، ولا مِنْ أَجْلِ الولدِ وَلَا مِنْ أَجْلِ الْقَرَابَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يَعِيشُ فِي هَذِهِ البِلادِ يَجِدُ فِي البَيْتِ الماءَ السَّاخِنَ وَإِنْ شَاءَ البَارِدَ وَيَتْرُكُ الصَّلاةَ، مَنْ يُضَيّعُ فَرْضًا وَاحِدًا هَذَا الشَّيْطَانُ اتَّخَذَهُ حِمَارًا يُصَرِّفُه كَيْفَ يَشَاءُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِذَا رَأَيْتُمْ إِنْسَانًا كَانَ عَلَى حَالَةٍ سَيِّئَةٍ وَإِعْرَاضٍ عَنِ الطَّاعَةِ ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى الطَّاعَةِ عَلِّمُوهُمْ أَنَّ الَّذِي يُقْبِلُ عَلَى الطَّاعَةِ قَدْ تُصِيبُهُ مَصَائِبُ مَا كَانَتْ تُصِيبُهُ قَبْلُ، لَا يَغُرَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ قَدْ يَقُولُ لَكُمْ: «أَنْتَ كُنْتَ فِي رَاحَةٍ وَبَسْطٍ قَبْلَ أَنْ تُقْبِلَ عَلَى الطَّاعَةِ، الطَّاعَةُ هَذِهِ صَارَتْ شُؤْمًا عَلَيْكَ » لِتَعُودَ إِلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الانْغِمَاسِ فِي الْمَعْصِيَةِ وَالبُعْدِ عَنِ الطَّاعَةِ فَإِيَّاكَ أَنْ تَنْخَدِعَ بِالشَّيْطَانِ».

مُحَارَبَةُ الشَّيْطَانِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قالَ السَّيِّدُ أحمدُ الرِّفَاعِيُّ رَضِيَ اللهُ عنهُ: «حَارِبُوا الشَّيطانَ بِبَعْضِكُم، بنَصِيحَةِ بَعضِكُم، بِخُلُقِ بَعضِكُم، بِحَالِ بَعضِكُم، بقَالِ بَعضِكُم»».

حُسْنُ الْخُلُقِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «حُسْنُ الْخُلُقِ معناهُ بَذْلُ الْمَعْرُوفِ للنَّاسِ أي الْإِحسانُ إلى الناسِ وكفُّ الأَذَى عن الناسِ وتَحَمُّلُ أَذَى الغيرِ، فَمَنْ تَمَسَّكَ بِهَذِهِ الْوَصَايَا فهو مِنَ الْأَعْلَيْنَ درجةً عندَ اللهِ، لو كانَ لَا يَصومُ إلا رمضانَ ولا يُصَلِّي إِلَّا الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فَهُوَ كَالرَّجُلِ الَّذِي يَقُومُ اللَّيْلَ يُصَلِّي والنَّاسُ نِيَامٌ، ويَصُومُ صِيَامًا مُتَتَابِعًا، هذا وهذا دَرَجَتُهُمَا سَوَاءٌ هذا بِحُسنِ خُلُقِهِ وذَاكَ بكثرَةِ الصَّلَاةِ والصِّيَامِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَكْمَلُ المؤْمِنِينَ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ كَانَ خُلُقُهُ حَسَنًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «حُسْنُ الخُلُقِ مَعَ الإِيْمَانِ هَذِهِ دَرَجَةٌ عَالِيَةٌ».

لَا تُسِئِ الظَّنَّ بِأَخِيكَ الْمُسْلِمِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مِنَ الخِصَالِ القَبِيحَةِ أَنْ يَظُنَّ الْمُسْلِمُ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ فَمِ أَخِيهِ المسْلِمِ سُوءًا وَهُوَ يَجِدُ لَهَا فِي الخَيْرِ مَحملًا».

مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**». حَديثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذيُّ وَغَيْرُهُ. من عَلامةِ قُوَّةِ الرَّجُلِ فِي دينِهِ أَنْ يَتْرُكَ ما لا فائدةَ فيهِ من كلامٍ وغيرِ ذلك. روى ابنُ حِبَّانَ أَنَّ فِي صُحُفِ إِبرَاهِيمَ عليه السلامُ: على الْمَرْءِ العَاقِلِ أَنْ لا يَشتَغِلَ إلا بِمَا يَعنِيهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «طُوبَى لِمَن شَغَلَهُ عَيبُهُ عَن عُيوبِ النَّاسِ. الْمُؤمِنُ يُهَذِّبُ نفسَهُ قبلَ أَن يَشتَغِلَ بالتَّنقِيبِ عَن عُيُوبِ غَيرِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخوَانًا مُتَنَاصِحِينَ كَمَا أَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ، وَلْيَتَفَقَّدْ بَعضُكُم بَعضًا، بِهذا تَقوَى الدَّعوَةُ وبِهَذَا يَقْوَى تَآلُفُ القُلُوبِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِيَّاكُم أَنْ تَنْسَوْا تَقلِيلَ الكَلامِ وتَركَ الغَضَبِ، ءَافَاتٌ كَثِيرَةٌ تَتْبَعُ كَثرَةَ الكَلَامِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِذَا تَرَكَ الإِنْسَانُ مَا لَا يَعْنِيْهِ، يُعِينُهُ هَذَا عَلَى تَقْوَى اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الطَّمَعُ بِالمالِ هُوَ أَسَاسُ الخَرَابِ، وَلا تَحَسَّسُوا، التَّحَسُّسُ هُوَ التَّفْتِيشُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ بِالعَيْنِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**خَصْلَتَانِ مَا إِنْ تَجَمَّلَ الخَلَائِقُ بِمِثْلِهِمَا حُسْنُ الْخُلُقِ وَطُوْلُ الصَّمْتِ**» رَوَاهُ عبدُ اللهِ بن محمد أبو بكر بن أَبِي الدُّنْيَا القُرَشِيُّ فِي كِتَابِ الصَّمْتِ.

حُسْنُ الْخُلُقِ المذْكُورُ فِي هذا الحَديثِ عِبَارَةٌ عَنْ ثلاثَةِ أُمُورٍ: كَفُّ الأَذَى عَنِ النَّاسِ، وتَحَمُّلُ أَذَى النَّاسِ، وأَنْ يَعْمَلَ الْمَعْرُوفَ معَ الَّذِي يَعْرِفُ لَهُ إِحْسَانَه ومَعَ الَّذِي

لَا يَعْرِفُ لَهُ. وَمَنْ نَالَ حُسْنَ الْخُلُقِ فقَدْ نَالَ مَقَامًا عَالِيًا، فقَدْ يَبْلُغُ الرَّجُلُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الْقَائِمِ الصَّائِمِ، أَي الَّذِي لَا يَتْرُكُ الْقِيَامَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَلَا يَتْرُكُ صِيَامَ النَّفْلِ.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ الْآدَابِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ**».

قَوْلُهُ: «**وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ**» مَعْنَاهُ أَنَّ الرَّسُولَ كَافِلٌ وَضَامِنٌ بِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلقَهُ. وَحُسْنُ الْخُلُقِ هُوَ أَنْ يُحْسِنَ إِلَى النَّاسِ، فَيَبْذُلَ مَعْرُوفَهُ مَعَ النَّاسِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ له مَعْرُوفَهُ وَالَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ لَهُ، لَا يَجْعَلُ مَعْرُوفَهُ خَاصًّا بِالَّذِينَ يُعَامِلُونَهُ بِالْمِثْلِ، فَيَعُمُّ بِخَيْرِهِ مَنْ يعْرِفُ لَهُ وَمَنْ لَا يعْرِفُ. لِأَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثَةِ أُمُورٍ: أَنْ يَبْذُلَ مَعْرُوفَهُ أيْ إِحْسَانَهُ لِمَنْ يَعْمَلُ مَعَهُ بِالْمِثْلِ ومَنْ لَا يَعْمَلُ مَعَهُ بِالْمِثْلِ، هَذَا الَّذِي لَهُ هَذَا الْفَضْلُ عِنْدَ اللهِ أَنْ يُعْطِيَهُ اللهُ بَيْتًا فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ. وَالْأَمْرُ الثَّانِي أَنْ يَتَحَمَّلَ أَذَى النَّاسِ أَيْ يَصْبِرَ عَلَى أَذَاهُمْ. وَالْأَمْرُ الثَّالِثُ هُوَ أَنْ يَكُفَّ أَذَاهُ عَنِ النَّاسِ وَلَا يُؤْذِيهِمْ. وَهَذِهِ الْخِصَالُ كُلُّهَا كَانَتْ مَوْجُودَةً فِي أَنْبِيَاءِ اللهِ تبَارَكَ وَتَعَالَى الَّذِينَ كَانُوا قُدْوَةً لِلنَّاسِ، فَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى حُسْنَ الِاقْتِدَاءِ بِهِمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «وَأُوْصِيكُمْ بِالْحِلْمِ وَالْعَفْوِ وَأَنْ يُعَامِلَ أَحَدُكم أخَاه بِمَا يُحِبُّ أن يُعَامِلَهُ بِهِ أَخُوهُ مِنَ الصَّفْحِ والعَفْوِ ومُقَابَلَةِ الْإِسَاءَةِ بالْإِحْسَانِ، وَكُونُوا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَأُعْطِيَ فَشَكَرَ، وَظُلِمَ فَغفَرَ، وَظَلَمَ فَاسْتَغْفَرَ، أُولئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**» حديثٌ رواهُ السُّيُوطِيُّ صحيحُ الإسنادِ».

مَنْ نَفَّسَ عَن مُؤْمِنٍ كُربَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنيَا:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «عَن أَبِي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ: «**مَنْ نَفَّسَ عَن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عنهُ كُرْبَةً من كُرَبِ يومِ القيامةِ، ومَنْ سَترَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ في الدنيَا والآخرةِ، واللهُ في عَوْنِ العبدِ مَا كانَ العبدُ في عَوْنِ أخيهِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ».

تَوْقِيرُ الْكَبِيرِ وَرَحْمَةُ الصَّغِيرِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مِنْ ءَادَابِ الإِسْلامِ الَّتِي حَضَّ عَلَيْهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحْمَةُ الصَّغِيرِ وَتَوْقِيرُ الكَبِيرِ فِي السِّنِّ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «فِي الحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ: «**ليسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرحَمْ صَغِيرَنَا ويُوَقِّرْ كَبِيرَنَا ويَعرِفْ لِعَالِمِنَا حقَّهُ**» أي ليْسَ على طَرِيقَتِنَا الكَامِلَةِ أي لا يكونُ كامِلًا في دينِ الإِسْلَامِ من لا يَرحَمُ الصَّغيرَ ويُوَقِّرُ الكبيرَ. الإِسْلَامُ يأمُرُ بتوقِيرِ الكبِيرِ، تعظيمُهُ حقٌّ. الأخُ الكبيرُ بِمنزلَةِ الأَبِ، الأخُ الصغيرُ يَحتَرِمُ أخاهُ الكبيرَ كأنَّهُ أبوهُ. هَذِهِ التربيةُ الإِسلاميةُ التِي يُحِبُّهَا اللهُ تعالَى أمَّا الذي لا يَحتَرِمُ الكبيرَ لا يكونُ مِنَ الكَامِلِينَ. كُلٌّ منكُم يُوَقِّرُ أبَاهُ وأمَّهُ. كَذَلِكَ أَخُوكُم الأكبَرُ تُوَقِّرُونَهُ. إن سَلَكْتُمْ هذا الطرِيقَ تكونُ عاقبَتُكُم حسنَةً وإلا تكونُ وخيمَةً. التزمُوا هذا الأمرَ الشَّرعِيَّ تَوقِيرَ الْكَبِيرِ ورَحْمَةَ الصغيرِ. أمَّا الوَالِدَانِ أمرهُمَا أَعظَمُ. فِي طَرَابُلُسَ رجلٌ أهانَ أمَّهُ وضربَهَا برجلِهِ ثم صارَتْ رجلُهُ كالفِيلِ ويَخرُجُ منهَا رائِحَةٌ، لا تَقْدِرُ أَنْ تُجَالِسَهُ. اللهُ ابتلاهُ في الدنيَا. أَنَا مَا أَطَقْتُ رَائِحَتَهُ في المكانِ الذِي كُنَّا فيهِ، ثُمَّ بعدَ أَنْ خَرَجتُ ذَكَرُوا لِي قِصَّتَهُ. احترِمُوا أُمَّكُم أَكثَرَ واحترِمُوا أَبَاكُم. لا تُكَلِّمُوا أُمَّكُمْ إلا بكلامٍ مَخْفُوضٍ، كَلِّمُوهُمَا بكَلَامٍ لطيفٍ وإلا تَخْسَرُونَ.

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يَتَحَمَّلُ أَذَى النَّاسِ وَيَكُفُّ أَذَاهُ عنهُم مَثَلُهُ كمَثَلِ الْمُتَنَفِّلِ بطاعةِ اللهِ بِلا فُتُورٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يُدَافِعُ عَنْ حُقُوقِ المسْلِمِينَ عِنْدَ اللهِ لَهُ مَقَامٌ عَالٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مِنْ ءَادَابِ الْإِسْلَامِ الَّتِي حَضَّ عَلَيْهَا الرَّسُولُ رَحْمَةُ الصَّغِيرِ وَتَوْقِيرُ الْكَبِيرِ فِي السِّنِّ، الرَّسُولُ أَخْبَرَ بِأَنَّ الَّذِي لَا يَفْعَلُ هَذَا لَا يَكُونُ كَامِلًا، بَيَّن هَذَا بِقَوْلِهِ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَا يَرْحَمُ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرُ كَبِيرَنَا**» مَعْنَاهُ لَا يَكُونُ كَامِلًا، لَيْسَ مِنَ الْكَامِلِينَ فِي دِينِنَا مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ وَهِيَ رَحْمَةُ الصَّغِيرِ وَتَوْقِيرُ الْكَبِيرِ أَيِ احْتِرَامُ الْكَبِيرِ. احْتِرَامُ الْكَبِيرِ مَطْلُوبٌ فِي الْمَجْلِسِ وَفِي الْمُخَاطَبَةِ. فِي هَذَا الزَّمَنِ قَلَّ هَذَا فِي كَثِيرٍ مِنَ النَّوَاحِي، أَمَّا فِي الْأَكْرَادِ بَعْدُ هَذَا مَوْجُودٌ. أَمَّا فِي اللُّبْنَانِيِّينَ صَارُوا فِي إِغْفَالٍ شَدِيدٍ، لَيْسَ فِي الْأَطْفَالِ الصِّغَارِ فقط، لَا، بَلْ فِي الْبَالِغِينَ لَا يُرَاعُوْن تَوْقِيرَ الْكَبِيرِ. هَذَا الْأَمْرُ مُهِمٌّ مَطْلُوبٌ فَاعْمَلُوا بِهِ. حَدِيثٌ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَعَلَى ءالِه وَشَرَّفَ وَكَرَّم: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**» مَعْنَاهُ أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ كَانَ خُلُقُهُ حسَنًا؛ مَا مَعْنَى ذَلِكَ؟ يَصْبِرُ عَلَى أَذَى النَّاسِ لَهُ، يَتَحَمَّلُ مِنَ النَّاسِ الْأَذَى وَيَكُفُّ أَذَاه عَنْ غَيْرِهِ وَيَعْمَلُ الْمَعْرُوف مَعَ الذَّي يَعْرِفُ لَهُ وَمَعَ الَّذِي لَا يَعْرِفُ لَهُ. هَذِهِ الْخَصْلَةُ لَوْ كَانَ الشَّخْصُ عِبَادَتُهُ قَلِيلَةٌ يَكُونُ مُسَاوِيًا لِلَّذِي عِبَادَتُهُ قَوِيَّةٌ لَوْ كَانَ وَاحِدٌ يَصُومُ الدَّهْرَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ أَيْ يَجْتَهِدُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ وَيَصُومُ كَثِيرًا غَيْرَ الْفَرْضِ غَيْرَ رَمَضَانَ، يُتَابِعُ الصِّيَامَ لَا يُفْطِرُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ أَيَّامِ السَّنَةِ، هَذَا وَهَذَا الَّذِي لَا يُصَلِّي إِلَّا الْفَرَائِضَ وَيَتَجَنَّبُ الْحَرَامَ، ذَاكَ الَّذِي يَتَجَنَّبُ الْحَرَامَ وَيُصَلِّي الْفَرَائِضَ وَيَكُونُ عِنْدَهُ اجْتِهَادٌ كَبِيرٌ فِي النَّوَافِلِ وَهَذَا الَّذِي لَا يَقُومُ وَلَا يُصَلِّي إِلَّا الْفَرْضَ وَلَا يَصُومُ إِلَّا الْفَرْضَ سَوَاءٌ. هَذَا وَهَذَا الَّذِي يَصُومُ وَيكثرُ السَّنَةِ يُتَابِعُ الصِّيَامَ وَيَتَهَجَّدُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ بِحُسْنِ خُلُقِهِ سَاوَاهُ، فَمَطْلُوبٌ أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ يَعْمَلُ الْحَسَنَاتِ مَعَ الَّذِي يَعْرِفُ لَهُ

وَالَّذِي لَا يَعْرِفُ لَهُ. لَا يَقُلْ فُلَانٌ لَا يَزُورُنِي لِمَ أَزُورُهُ؟ فُلَانٌ لَا يُحْسِنُ إِلَيَّ لِمَ أُحْسِنُ إِلَيْهِ؟ لَا يَقُلْ أَنَا أُكْرِمُ فُلَانًا إِذَا لَقِيتُهُ هُوَ لَا يُكْرِمُنِي فإِنْ كَانَ يُحْسِنُ إِلَيْهِ وَيَزُورُهُ وَلَا يُعَامِلُهُ بِالْمِثْلِ هَذَا مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ. لَكِنِ الْخُلُقُ بِلَا إِيمَانٍ لَا يَنْفَعُ. كَثِيرٌ مِنَ الْكُفَّارِ عِنْدَهُمْ بَشَاشَةٌ وَإِحْسَانٌ لِلنَّاسِ وَصَبْرٌ عَلَى النَّاسِ لَكِنَّهُمْ كُفَّارٌ لَا يَنْفَعُهُمْ هَذَا فِي الْآخِرَةِ شَيْئًا، لَكِنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُمْ وَيُقْبِلُونَ عَلَيْهِمْ. حُسْنُ الْخُلُقِ مَعَ الْإِيمَانِ هَذِهِ دَرَجَةٌ عَالِيَةٌ، اللهُ يَجْعَلُنَا مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ».

الْإِحْسَانُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْمَطْلُوبُ عِنْدَ اللَّهِ أنْ يُقَابِلَ الْإِنْسَانُ الإِسَاءَةَ بالإِحْسَانِ. فِي التَّوْرَاةِ الْأَصْلِيَّةِ وَرَدَ وصفُ سيدِنَا مُحمّدٍ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم بأنَّهُ لَا يجزي السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، هَذِهِ سِيرَةُ الْأَنْبِيَاءِ يُقَابِلُونَ الْإِسَاءَةَ بِالْإِحْسَانِ. زَيْنُ العَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ هَذَا مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ الْبَيْتِ، رَجُلٌ سَبَّهُ حَتَّى شَبِعَ وهُو ما رَدَّ عليهِ فقَالَ لهُ الرَّجُلُ: «إِيّاكَ أَعنِي» يَعْنِي ما تَفْهَمُ أنا أَسبُّكَ؟! كأَنَّهُ يقولُ: ما فَهِمْتَ؟ فقالَ له: «**وَعنكَ أُغْضِي**» وَمَعَ هَذَا أَحْسَنَ إِلَيْهِ بِالْمالِ فَضلًا عن أَنَّهُ ما قَابَلَ السبَّ بالسبِّ فذاكَ صَلُحَ حالُهُ، هذهِ حالُ الأولياءِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لا يَنْبَغِي لِلوَاحِدِ مِنَّا أَنْ يَتَتَبَّعَ عَوْرَاتِ أَخِيهِ بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُسَامِحَهُ إِنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ، وَإِنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ يُعَامِلُهُ بالإِحْسَانِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «العَاقِلُ مَنْ يَغْلِبُ نَفْسَهُ وَيَكُفُّ أَذَاهُ عَنِ الغَيْرِ وَيَتَحَمَّلُ أَذَى الغَيْرِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أُوْصِيكُمْ بِالحِلْمِ وَالعَفْوِ، وَأَنْ يُعَامِلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامِلَهُ بِهِ أَخُوهُ مِنَ الصَّفْحِ وَالعَفْوِ وَمُقَابَلَةِ الإِسَاءَةِ بِالإِحْسَانِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الأَفْضَلُ أَنْ يَعْفُوَ الإِنْسَانُ عَمَّنْ يُعَيِّرُهُ وَيَشتِمُهُ فَلا يَرُدُّ عَلَيْهِ بِالمِثْلِ إِنِ افْتَرَى عَلَيْهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «حُسْنُ الخُلُقِ أَمْرٌ عَظِيمٌ، إِذَا كَانَ الإِنْسَانُ يَعْمَلُ المعْرُوفَ مَعَ النَّاسِ، مَعَ الَّذِي يَعْرِفُ لَهُ إِحْسَانَهُ وَالَّذِي لا يَعْرِفُ لَهُ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَى النَّاسِ، وَيَكُفُّ أَذَاهُ عَنْهُمْ هَذَا عِنْدَ اللهِ لَهُ دَرَجَةٌ عَالِيَةٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى أَذَى النَّاسِ وَكُفَّ أَذَاكَ عَنْهُمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ تَعَالَى يُحِبُّ الإِحْسَانَ إِلَى مَنْ يَعْرِف الإِحْسَانَ، وَالذي يُكَافِئُ الإِحْسَانَ بِالإِحْسَانِ وَإِلَى مَنْ لا يُكَافِئُ الإِحْسَانَ بِالإِحْسَانِ، بَلْ هَذَا أَفْضَلُ الَّذِي يُحْسِنُ إِلَى مَنْ لا يُعَامِلهُ بِالمِثْلِ. وَكَذَلِكَ الصِّلَةُ الَّذِي يَصِلُ الَّذِي لا يَزُورُهُ هَذَا أَفْضَلُ لأَنَّ هَذَا كَسَرَ نَفْسَهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الإِحْسَانُ إِلَى الخَادِمِ وَالمخْدُومِ مَطْلُوبٌ شَرْعًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِحْسَانُ الْمُسْلِمِ إِلَى مَنْ يُسِيءُ إِلَيْهِ بِنِيَّةٍ حَسَنَةٍ لَيْسَ لِلرِّيَاءِ بَلْ لِأَنَّ اللهَ يُحِبُّ الْإِحْسَانَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ هَذَا مَنْ جَعَلَهُ عَيْبًا يَكْفُرُ.

الْأَنْبِيَاءُ يُرِيدُونَ أَنْ يُنْقِذُوا الْكُفَّارَ مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِسْلَامِ، ثُمَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ يُقَابِلُونَهُمْ بِالْأَذَى وَالشَّتْمِ وَالضَّرْبِ، هُمْ يُحْسِنُونَ إِلَيْهِمْ وَالْكُفَّارُ يُقَابِلُونَهُمْ بِالْإِسَاءَةِ، فَمَنْ قَالَ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ لِمَاذَا يَسْتَمِرُّونَ يَدْعونَهُمْ إِلَى الْخَيْرِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ لَهُمْ بَلْ يُقَابِلُونَهُمْ بِالتَّكْذِيبِ وَالشَّتْمِ وَالْأَذَى؟ لِمَاذَا هَذَا؟ لَمْ يَعْتَبِرْ هَذَا صَوَابًا بَلْ رَءاهُ ضَعْفَ تَفْكِيرٍ ضَعْفَ فَهْمٍ هَذَا كُفْرٌ. بَعْضُ النَّاسِ يَعْتَبِرُونَ هَذَا غَبَاوَةً، اسْتِمْرَارُ الْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ يُسِيءُ يَعْتَبِرُونَهُ غَبَاوَةً، هَذَا كُفْرٌ، بَلِ الْإِحْسَانُ إِلَى مَنْ يُسِيءُ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ يَعْرِفُ لَكَ الْإِحْسَانَ وَيُقَابِلُ الْإِحْسَانَ بِالْإِحْسَانِ لِأَنَّ هَذَا فِيهِ كَسْرُ النَّفْسِ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ وَلِأَنَّهُ سِيرَةُ الْأَنْبِيَاءِ. يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَام إِخْوَتُهُ الَّذِينَ ءَاذَوْهُ وَفَعَلُوا مَا فَعَلُوا مِنَ الْجَرَائِمِ الْكَبِيرَةِ لَمَّا

جَاؤُوا إِلَى مِصْرَ مَا أَهَانَهُمْ بَلْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ، مَا انْتَقَمَ مِنْهُمْ لَا بِالشَّتْمِ وَلَا بِالْأَذَى. حَتَّى لَوْ كَانَ الْمُسِيءُ مُرْتَدًّا فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، مَطْلُوبٌ لِوَجْهِ اللهِ بِنِيَّةٍ حَسَنَةٍ. لَكِنِ الْإِحْسَانُ إِلَى الْمُسِيءِ إِنْ كَانَ يَزِيدُهُ هَذَا الْإِحْسَانُ تَمَادِيًا بِالْفَسَادِ هَذَا لَيْسَ مَحْبُوبًا إِلَى اللهِ، أَمَّا إِذَا كَانَ لَا يَزِيدُهُ فَسَادًا فَالِاسْتِمْرَارُ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ هَذَا أَمْرٌ يُحِبُّهُ اللهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الرَّسُولُ قَالَ: « **وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، وَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ**» مَنْ أَسْدَى إِلَيْكُم مَعْرُوفًا فَكَافِئوه فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئونَ بِهِ فَادْعُوا لَهُ بِخَيْرٍ، فَمَنْ قَالَ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا فَقَدْ وَفَى. أَيُّ إِنْسَانٍ يَعْمَلُ مَعَكَ مَعْرُوفًا أَمْرًا حَسَنًا وَاجِبًا أَوْ غَيْرَ وَاجِبٍ مُكَافَأَتُهُ مَطْلُوبَةٌ؛ وَمَنْ قَالَ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا هَذَا يَكُونُ عَمِلَ عَمَلًا حَسَنًا، مُكَافَأَةٌ جَيِّدَةٌ».

إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما كانَ الرِفقُ في شيءٍ إلا زانَهُ**» وفِي لفظٍ ءاخرَ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِفقَ فِي الأمرِ كلِّهِ**». فِي التَّعْلِيمِ، فِي مُعَامَلَةِ النَّاسِ، فِي كُلِّ شَىءٍ الرِّفْقُ مَطْلُوبٌ، الأَخْذُ بِطَرِيقِ الْحِكْمَةِ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَحَرَّ اللُّطْفَ فِي مُعَامِلَتِكَ وَفِي الخِطَابِ وَالحَرَكَاتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كُنْ مُحْتَاطًا فِي الكَلامِ مَعَ النَّاسِ، قَدْ تَظُنُّ أَنَّ بَعْضَ الكَلامِ لا يُثِيرُ النَّفْسَ وَهُوَ فِي حَقِيقَةِ الأَمْرِ يُثِيرُهَا».

خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَمَعْنَاهُ الَّذِي يُحْسِنُ مُعَامَلَةَ زَوْجَتِهِ،

يُعَامِلُهَا بِالتَّوَاضُعِ وَالْعَطْفِ وَالرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالْعَفْوِ إِذَا هِيَ أَسَاءَتْ هُوَ مِنْ أَفْضَلِ الرِّجَالِ، لِأَنَّ الَّذِي يَكُونُ مَعَ امْرأتِهِ هكذَا، يَكُونُ مَعَ الْغَيْرِ هكذَا. كَثِيرٌ مِنَ الرِّجَالِ عَلَى خِلَافِ هَذَا الْحَدِيثِ يُعَامِلُونَ نِسَاءَهُم، لَا يَتَوَاضَعُ معهَا، يَتَرَفَّعُ عَلَيْهَا، هَذَا لَا يَنْبَغِي، يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَاضَعَ مَعَهَا وَيُحسِنَ إِلَيْهَا ويَصفَحَ وَيَعْفُوَ عَنْ سَيِّئَاتِهَا، لَا يُقَابِلُ الْإِسَاءَةَ بِالْإِسَاءَةِ».

تَقْلِيلُ الْكَلَامِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أُوصِيكُم بِحِفْظِ اللِّسَانِ. الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَكَّدَ على أُمَّتِهِ حِفظَ اللِّسَانِ، فإِنَّ أَكْثَرَ الْمَعَاصِي مِنَ اللِّسَانِ فقَلِّلُوا الْكَلَامَ. قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا فَكِّرُوا، هذا الْكَلَامُ مَا مَعْنَاهُ؟ إِلَى مَاذَا يُؤَدِّي؟ فَإِنْ كَانَ يُؤَدِّي إِلَى شَرٍّ لِيَتْرُكْهُ لَا يَقُلْهُ. كَثِيرٌ مِنَ الْأَشْخَاصِ بِسَبَبِ كَثْرَةِ الْكَلَامِ أَحَدُهُم يَقَعُ فِي الكُفْرِيَّةِ ثُم يَسْأَلُ. عندَ الفَرَحِ لِيَحْفَظِ الشَّخْصُ نفسَهُ وعندَ الضِّيقِ لِيَحْفَظْ نفسَهُ، لِيُفَكِّرْ فِي كَلَامِهِ إلى أينَ يؤدِّي؟ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَتَكَلَّمُونَ بِكَلَامِ كُفرٍ ثُمَّ لَا يَظُنُّون أَنَّهُم تَكَلَّمُوا بِعَكْسِ الشَّرِيعَةِ، هَؤُلَاءِ يَمُوتُونَ على الْكُفْرِ إِنِ اسْتَمَرُّوا عَلَى هَذَا، ءافَاتُ اللِّسَانِ كَثِيرَةٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عليكُم بتقليلِ الكلامِ إلا مِن خَيرٍ، عليكُم بتقليلِ الرَّفَاهِيةِ وتَركِ الغَضَبِ. تَركُ الغَضَبِ أَمرٌ مُهِمٌّ، الغَضَبُ يُؤَدِّي إلى المهالِكِ، وعليكم بكَفِّ النفسِ عن المعاصِي بتركِ الهوَى، وإخلاصِ النِّيَّةِ في الأعمالِ في الصلاةِ والصيامِ والزكاةِ والحجِ والذِّكرِ في كُلِّ هذا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُم بِتَقْلِيلِ الْكَلَامِ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ وَعَلَيْكُم بِتَقْلِيلِ الرَّفَاهِيةِ وتَركِ الغَضَبِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِيَّاكُم أَنْ تَنْسَوْا تَقْلِيلَ الْكَلَامِ وَتَركَ الغَضَبِ، ءَافَاتٌ كَثِيرَةٌ تَتْبَعُ كَثرَةَ الكَلَامِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «حِفْظُ اللِسَانِ مَطْلُوبٌ لأَنَّ اللِسَانَ إِنْ لَمْ يَحْبِسْهُ صَاحِبُهُ يُورِدُهُ الموَارِدَ المهْلِكَةَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَكْثَرُ النِّسَاءِ جَاهِلَاتٌ، وَأَكْثَرُ الرِّجَالِ جُهَّالٌ يَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ مِثْل مَا يَخْرُجُ مِنْ أَدْبَارِهِمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مِنْ عَلامَةِ قُوَّةِ الرَّجُلِ فِي دِينِهِ، أَنْ يَتْرُكَ مَا لا فَائِدَةَ فِيهِ مِنْ كَلامٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «ءافَاتُ اللِّسَانِ أَهْلَكَتْ كَثِيرًا مِنَ الْخَلْقِ. لِمَاذَا لَا يَصْمُتِ الْإِنْسِانُ عَنِ الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَعْلَمُ؟ مَا يُجْبِرُهُمْ عَلَى أَنْ يَقُولُوا؟ لِيَسْكُتْ إِلَّا عَنْ شَىْءٍ صَحِيحٍ مَا فِيهِ خَطَرٌ شَرْعًا».

وَقَالَ رضي الله عنه لِبَعْضِ النِّسَاءِ: «أُوصِيكُنَّ كَمَا أَوْصَيْتُ الْجَمِيعَ قَبْلَ هَذَا بِتَقْلِيلِ الْكَلَامِ، أَكْثَرُ الْكُفْرِ يَكُونُ بِسَبَبِ كَثْرَةِ الْكَلَامِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِتَقْلِيلِ الْكَلَامِ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ وَعَلَيْكُم بِتَقْلِيلِ الرَّفَاهِيةِ وتَركِ الغَضَبِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «طُولُ الصَّمْتِ يُنْجِي صَاحِبَهُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ المهَالِكِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، لأَنَّ كَثْرَةَ الكَلامِ يَجُرُّ إِلى المهَالِكِ فِي الدِّينِ وَفِي الدُّنْيَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «حِفْظُ اللِّسَانِ مِنْ أَهَمِّ الأُمُورِ، حِفْظُ اللسَانِ يُسَاعَدُ الإِنْسَانَ عَلَى حِفْظِ الدِّينِ، يُسَاعِدُ عَلَى التَّحَفُّظِ وَالسَّلامَةِ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ ءَافَاتِ اللسَانِ، لأَنَّ كَثِيرًا مِنْ ءَافَاتِ الدُّنْيَا سَبَبُهَا اللسَانُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللِّسَانُ يُوقِعُ الإِنْسَانَ بِالْمَهَاوِي وَالْمَهَالِكِ، فِي حَالِ الغَضَبِ لِيَشْفِيَ غَيْظَهُ قَدْ يَتَكَلَّمُ بِمَا يَضُرُّهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ أَوْ فِي دِينِهِ فَقَطْ، ضَرَّهُ فِي ءَاخِرَتِهِ فَقَطْ إِنْ لَمْ يَضُرَّهُ فِي الدُّنْيَا، وَأَحْيَانًا يَتَكَلَّمُ بِمَا يَضُرُّهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ أَرَادَ النَّجَاةَ يُقَلِّلُ الكَلامَ إِلا مِنْ خَيْرٍ، أَمَّا مِنَ الخَيْرِ فَيُكْثِرُ، مَا عَلِمَهُ خَيْرًا قَبْلَ النُّطْقِ بِهِ يُكْثِرُ أَمَّا مَا لَمْ يَعْلَمْهُ خَيْرًا فَيَكُفَّ عَنْهُ، وَلا يَسْتَحِي الشَّخْصُ المسْلِمُ مِنْ إِطَالَةِ السُّكُوتِ. بَعْضُ النَّاسِ إِذَا رَأَوْا شَخْصًا لا يَتَكَلَّمُ يَقُولُونَ عَنْهُ غَبِيٌّ لَوْ كَانَ يُحْسِنُ الكَلامَ كَانَ تَكَلَّمَ، لا يَنْبَغِي أَنْ يُرَاعِيَ هَذَا بَلْ هُوَ يَلْتَزِمُ السُّكُوتَ إِلا بِمَا يَرَاهُ خَيْرًا يَتَكَلَّمُ، هَذَا يَنْجُو، وَأَمَّا الَّذِي يَتَكَلَّمُ وَيَتَكَلَّمُ حَتَّى لا يُقَالَ عَنْهُ غَبِيٌّ، حَتَّى لا يُقَالَ لَوْ كَانَ عِنْدَهُ فَهْمٌ كَانَ تَكَلَّمَ، إِنْ قَالُوا لَهُ غَبِيٌّ مَاذَا عَلَيْهِ؟ مَا عَلَيْهِ ضَرَرٌ. كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَتَكَلَّفُونَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا حَتَّى لا يُقَالَ عَنْهُمْ هَذَا مَا عِنْدَهُ فَهْمٌ، لَوْ كَانَ عِنْدَهُ فَهْمٌ كَانَ تَكَلَّمَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كَثِيرٌ مِنَ الخَلْقِ إِنَّمَا يَهْلِكُونَ بِسَبَبِ المزْحِ الخَبِيثِ، فَطَرِيقُ السَّلامَةِ مِنْ هَذَا كُلِّهِ هُوَ تَقْلِيلُ الكَلَامِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ كَانَ مِنْ جَمَاعَتِنَا فَإِنِّي أُوْصِيهِ بِهَذِهِ الوَصِيَّةِ وَهِيَ تَقْلِيلُ الْكَلَامِ، مَنِ الْتَزَمَ تَقليلَ الْكَلَامِ حَفِظَ نَفْسَهُ لِأَنَّ اللِّسَانَ ثُعْبَان، الثُعبانُ إِنْ لَمْ تَتَحَفَّظْ مِنْهُ يُهْلِكْكَ، كذلِكَ اللسانُ إِن لَمْ تَحْفَظْهُ يُهلِكْكَ. تَوَاصَوْا بتقليلِ الكلامِ، أَكثَرُ الْمَعَاصِي مِنَ اللِّسَانِ. قَالَ بعضُ العلمَاءِ: «**احْفَظْ لِسَانَكَ إِنَّهُ ثُعْبَانُ**»، اللهُ يَحْفَظُنَا اللهُ يَحْفَظُنَا اللهُ يَحْفَظُنَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الإِمَامُ الرِّفَاعِيُّ كَانَ مِنْ دَأْبِهِ طُولُ الصَّمْتِ، كَانَ قَلِيلَ الكلامِ فِي الأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَكَانَ شَدِيدَ الشَّفَقَةِ عَلَى خَلْقِ اللهِ، فَعَلَيْكُمْ بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ فِي تَقْلِيلِ الْكَلَامِ وَفِي الشَّفَقَةِ عَلَى عِبَادِ اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَقْلِيلُ الكَلامِ مَطْلُوبٌ، يُعِينُ الشَّخْصَ عَلَى أَمْرِ الدِّينِ، شَيْطَانُ الشَّخْصِ إِنْ وَجَدَ الإِنْسَانَ قَلِيلَ الكَلامِ يَنْزَعِجُ، وَإِنْ وَجَدَهُ كَثِيرَ الكَلَامِ يَفْرَحُ، يَقُولُ أُوقِعُهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ أَخَذَ لِسَانَهُ وَقَالَ: هَذَا أَوْرَدَنِي المَوَارِدَ مَعَ أَنَّهُ أَفْضَلُ الأَوْلِيَاءِ فِي البَشَرِ كَانَ يَخَافُ شَرَّ اللِّسَانِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «حَدِيثٌ رَوَاهُ ابْنُ حِبَّان قَالَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ قَالَ لَهُ: «**عَلَيْكَ بِطُولِ الصَّمْتِ إِلا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّهُ مَطْرَدَةٌ لِلشَّيْطَانِ عَنْكَ وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِيْنِكَ** ».

وَلَو عَمِلَ النَّاسُ بِهَذَا الحَدِيثِ كُفُوا شَرًّا كَثِيرًا، نَجَوْا مِنْ شَرٍّ كَثِيرٍ، مَنْ لَزِمَ طُولَ الصَّمْتِ نَجَا مِنَ الهَلاكِ. الشَّيْطَانُ إِذَا رَأَى المسْلِمَ قَلِيلَ الكَلامِ يَتْرُكُهُ، أَمَّا إِذَا رَآهُ كَثِيرَ الكَلَامِ يَشْتَغِلُ بِهِ حَتَّى يُوقِعَهُ فِي كُفْرٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ أَوْ شَيءٍ، مَنْ أَرَادَ السَّلامَةَ يُطِيلُ الصَّمْتَ وَيُطِيلُ السُّكُوتَ، ولا يُبَالِ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ فِيهِ: هَذَا لَيْسَ لَهُ فَهْمٌ لَوْ كَانَ لَهُ فَهْمٌ لَتَكَلَّمَ. مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ فَلا يُبَالِ بِكَلامِ النَّاسِ. اليَوْمَ إِذَا جَلَسَ إِنْسَانٌ فِي مَجْلِسٍ فَأَطَالَ الصَّمْتَ يَقُولُ النَّاسُ فِيهِ: لَوْ كَانَ صَاحِبَ فَهْمٍ لَتَكَلَّمَ كَثِيرًا، فَلا يُبَالِ بِأَنْ يَرْمُوهُ بِهَذَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أُوصِيكُمْ أَيْضًا بِتَقْلِيلِ الكَلامِ إِلا مِمَّا هُوَ خَيْرٌ، قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**مَنْ كَثُرَ كَلامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ**»، وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ طَوِيلَ الصَّمْتِ قَلِيلَ الضَّحِكِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَتَوَرَّطُونَ بِكَثْرَةِ الْكَلَامِ، اللهُ يَحْفَظُنَا».

وَقَالَ رضي الله عنه لِأَحَدِ تَلَامِيذِهِ: «أَلْزِمْهُمْ أَنْ يُقَلِّلُوا مِنَ الْكَلَامِ تَقْلِيلًا بَالِغًا بِحَيْثُ يَجْعَلُوا أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ فَائِدَتَهُ لِأَنَّهُ يُخَلِّصُهُمْ مِنَ الْمَشَاكِلِ، فَالْتِزَامُ الصَّمْتِ يُخَلِّصُهُمْ. يَقُولُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ صَمَتَ نَجَا**»».

إِنَّكَ مَا تَزالُ سَالِمًا مَا سَكَتَّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلم: «**إنَّكَ ما تَزالُ سالِمًا ما سَكَتَّ فإذَا تَكَلَّمْتَ كُتِبَ عليكَ أو لكَ**» رَوَاهُ ابنُ أَبِي الدُّنْيَا في كِتَابِ الصَّمْتِ. مَعْنَاهُ مَا دَامَ الإِنْسَانُ سَاكِتًا عَنِ الْكَلامِ فهو سالِمٌ فإذا تَكَلَّمَ فإمَّا أنْ يُكتَبَ عليهِ إنْ كانَ شَرًّا أو لَهُ إنْ كانَ خَيْرًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُسَاعِدُ المسْلِمَ عَلَى حِفْظِ نَفْسِهِ مِنَ الكُفْرِ وَالكَبَائِرِ وَكُلِّ مَا يَجُرُّ إِلى المهَالِكِ حِفْظَ اللسَانِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ أَرَادَ السَّلامَةَ مِنَ الكُفْرِ، مِنْ قَوْلِ الكُفْرِ وَغَيْرِهِ مِنَ المعَاصِي فَلْيَغْلِبْ نَفْسَهُ بِتَقْلِيلِ الكَلامِ لأَنَّ النَّفْسَ تَشْتَهِي أَنْ تَتَكَلَّمَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مِنْ عَلامَةِ قُوَّةِ الرَّجُلِ فِي دِينِهِ أَنْ يَتْرُكَ مَا لا فَائِدَةَ فِيهِ مِنْ كَلامٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «طُولُ السُّكُوتِ فِيهِ حِفْظُ الدِّينِ، فِيهِ سَلامَةٌ مِنْ مَعَاصِي اللِّسَانِ، ثُمَّ المسْلِمُ إِذَا كَانَ طَوِيلَ السُّكُوتِ شَيْطَانُهُ يَغْضَبُ، لأَنَّ شَيْطَانَهُ يُحِبُّ لَهُ أَنْ يَكُونَ كَثِيرَ الكَلَامِ لأَنَّهُ إِنْ أَكْثَرَ مِنَ الكَلَامِ قَدْ يَرْمِيهِ فِي الكُفْرِ أَوْ فِي مَعْصِيَةٍ كَبِيرَةٍ أَوْ فِي مَعْصِيَةٍ صَغِيرَةٍ لِذَلِكَ طُولُ الصَّمْتِ مُهِمٌّ وَلا تُبَالِ إِنْ عَيَّرَكَ النَّاسُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللِّسَانُ إِذَا لَمْ يَحْفَظْهُ صَاحِبُهُ يُوقِعُهُ فِي المهَالِكِ إِمَّا فِي الكُفْرِ وَإِمَّا فِي المعْصِيَةِ أَوْ فِي الكَلَامِ الَّذِي لا فَائِدَةَ فِيهِ لِذَلِكَ الرَّسُولُ أَمَرَنَا بِطُولِ الصَّمْتِ. وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ جَابِرُ بنُ سَمُرَةَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ طَوِيلَ الصَّمْتِ أَي طَوِيلَ السُّكُوتِ. إِنِ انْشَغَلَ بِذِكْرِ اللهِ أَوْ بِقِرَاءَةِ القُرْءَانِ أَوْ بِتَعْلِيمِ النَّاسِ دِينَ اللهِ هَذَا خَيْرٌ لَهُ، أَمَّا إِنْ شَغَلَهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ قَدْ يَقَعُ فِي كَلامٍ فِيهِ مَعْصِيَةٌ أَوْ لا خَيْرَ فِيهِ، وَقَدْ

يَقَعُ فِي الكُفْرِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكَ بِطُولِ الصَّمْتِ إلا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّهُ مَطْرَدَةٌ لِلشَّيْطَانِ عَنْكَ وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ**».

مَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وإنْ كَانَ مُحِقًّا:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «روَى البيهقيُّ أنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قَالَ: «**أنَا زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وإنْ كَانَ مُحِقًّا**» أي أنَّ الرسولَ ضامِنٌ وكافِلٌ بيتًا في طَرَفِ الجنةِ لِمَنْ تَرَكَ المِراءَ وهو الْجِدَالُ الذي لا يَعُودُ لِمصلحةٍ دينيةٍ أي لا يُرَادُ بِهِ إحقاقُ حَقٍّ ولا إبطالُ باطلٍ».

احْفَظُوا أَلسِنَتَكُم كَمَا تَحفَظُونَ قُلُوبَكُم:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ العَبدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ لا يَرَى بِهَا بَأسًا يَهوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبعِينَ خَرِيفًا**» مَعنَاهُ احفَظُوا أَلسِنَتَكُم كَمَا تَحفَظُونَ قُلُوبَكُم أَي لا يَكفِي أَن تَحفَظُوا قُلُوبَكُمْ فَقَطْ».

الْوَرَعُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «هذهِ الأيامُ كَثيرٌ مِمَّنْ يَتَوَلَّى القضاءَ لَيسَ أَهلًا لذلكَ، مِنْ أَجلِ المالِ يَسعَوْنَ للوصولِ للقَضَاءِ. أَمَّا الزُّهَّادُ عُلَمَاءُ الآخرةِ فقَد يهربون من القضاء. الشَّيْخُ مُحَمَّد عبدُ السَّلامِ رَضِيَ اللهُ عنهُ طُلِبَ للقضاءِ وكَانَ أعلمَ أهْلِ هَرَرَ فِي عَصرِهِ، لَكِنْ لِيَدْفَعَ عَن نَفسِهِ هذهِ الوَظِيفةَ لَبِسَ قَمِيصًا مَقْلُوبًا فَتَرَكُوهُ أَعْرَضُوا عنهُ، تَرَكُوهُ قَالُوا لَعَلَّهُ اخْتَلَّ».

بِرُّ الْوَالِدَيْنِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أُوصِيكُمْ بِأَنْ تُطِيعُوا ءابَاءَكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ، وَتَحْتَرِمُوْا مُعَلِّمِيكُمْ، وَتَحْتَرِمُوا إِخْوَتَكُمْ وَإِخْوَانَكُمُ الَّذِينَ أَكْبَرُ مِنْكُمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ أَرَادَ الفَلاحَ وَالنَّجَاحَ فَلْيَبَرَّ أَبَوَيْهِ، فَإِنَّ مَنْ بَرَّ أَبَوَيْهِ تَكُونُ عَاقِبَتُهُ حَمِيدَةً لأَنَّ بِرَّ الوَالِدَينِ بَرَكَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الأَوْلادُ مَطْلُوبٌ عَلَى الدَّوَامِ أَن يَتَرَحَّمُوا عَلَى وَالِدِهِمْ وَوَالِدَتِهِمْ وَيَسْتَغْفِرُوا لَهُمَا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [سورة الإسراء].

وَقَالَ رضي الله عنه: «بِرُّ الوَالِدَيْنِ وَالجَدِّ وَالجَدَّةِ بَرَكَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اكْتَسِبْ رِضَى وَالِدَيْكَ قَبْلَ خُرُوجِهِمَا مِنَ الدُّنْيَا لأَنَّهُمَا إِمَّا أَنْ يَسْبِقَاكَ أَوْ تَسْبِقَهُمَا، كَثِيرٌ يَتَنَدَّمُونَ عَلَى فَوَاتِ بِرِّ الوَالِدَيْنِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَمْرُ الوَالِدَيْنِ عَظِيمٌ فِي شَرْعِ اللهِ، لَوْ أَمَرَاهُ بِالمكْرُوهِ لَهُ ثَوَابٌ أَنْ يُنَفِّذَ رَغْبَتَهُمَا، هَذَا مِنْ شِدَّةِ أَمْرِ الوَالِدَيْنِ، لِعُظْمِ أَمْرِ الوَالِدَيْنِ إِذَا أَمَرَا الوَلَدَ بِالمكْرُوهِ يُطِيعُهُمَا لَهُ ثَوَابٌ، أَمَّا فِي الحَرَامِ فَلا يُطِيعُهُمَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «يُقَالُ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مُرْضِيًا لَكَ وَلِوَالِدَيَّ أَو أَسْأَلُكَ اللهُمَّ رِضَاكَ وَرِضَا وَالِدَيَّ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ تَعَالَى أَمَرَ فِي حَقِّ الأَبَوَيْنِ إِنْ كَانَا مُسْلِمَيْنِ أَنْ نَدْعُوَ لَهُمَا بِالمغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [سورة الإسراء]، هَذَا لِلوَالِدَيْنِ».

وقال رضي الله عنه: «يَجِبُ عَلَى الأَبْنَاءِ الذُّكُورِ وَالإِنَاثِ الإِنْفَاقُ عَلَى الوَالِدَيْنِ المحْتَاجَيْنِ، هَذَا مِنْ برِّ الوَالِدَيْنِ وَلَوْ كَانَتْ المرْأَةُ مُتَزَوِّجَةً، تَشْتَغِلُ فِي بَيْتِهَا بِالخِيَاطَةِ وَنَحْوِهَا لِتُنْفِقَ عَلَى وَالِدَيْهَا، وَإِنْ كَانَتْ لا تَعْرِفُ عَمَلًا إِلَّا بِالخُرُوجِ تَخْرُجُ وَالزَّوْجُ الَّذِي يَمْنَعُهَا فَاسِقٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِرضَاءُ الأُمِّ فِي غَيرِ مَعصِيَةِ اللهِ فيهِ أَجْرٌ كبيرٌ، يُقَرِّبُ العَبْدَ مِنَ اللهِ تَعالى. إِرضَاءُ الأُمِّ إِذَا لَم يَكُنْ فيهِ معصيةٌ للهِ تعالى يُقَرِّبُ مِنَ الجَنَّةِ. مَنْ بَرَّ وَالِدَتَهُ مِن غيرِ معصيةِ اللهِ مع الإِيمَانِ باللهِ ورَسُولِهِ وتَجَنُّبِ الكفرَ هذا يُقَرِّبُ إلى الجنَّةِ. إِذَا إنسانٌ أَطَاعَ أُمَّهُ فِي كُلِّ شيءٍ إِلَّا فِي معصيةِ اللهِ هذا يُقَرِّبُ الْعَبْدَ مِنَ اللهِ تعالى. وَلَوْ كَانَتْ كَافِرَةً الإِحْسَانُ إِلَيْهَا فيهِ ثَوَابٌ لَكِنْ لَا تُطَاعُ فِي مَعصيةِ اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الوَالِدَانِ إِذَا أَمَرَا الوَلَدَ بِالمكْرُوهِ لَهُ ثَوَابٌ أَنْ يُنَفِّذَ رَغْبَتَهُمَا مِنْ شِدَّةِ أَمْرِ الوَالِدَيْنِ، لِعُظْمِ أَمْرِ الوَالِدَيْنِ إِذَا أَمَرَا الوَلَدَ بِالمكْرُوهِ يُطِيعُهُمَا لَهُ ثَوَابٌ، أَمَّا فِي الحَرَامِ فَلا يُطِيعُهُمَا. بِرُّ الوَالِدَيْنِ فِيمَا لَمْ يُحَرِّمِ اللهُ حَتَّى فِي المكْرُوهِ أَمَّا فِيمَا حَرَّمَ اللهُ لَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يُطِيعَ أَحَدًا لا أَبًا وَلا أُمًّا وَلا زَوْجًا وَلا زَوْجَةً وَلا أَمِيرًا لأَنَّ حَقَّ اللهِ مُقَدَّمٌ عَلَى حَقِّ الخَلْقِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ فِي غَيْرِ الْمَعْصِيَةِ مِنْهُ مَا هُوَ وَاجِبٌ فَرْضٌ وَمِنْهُ مَا هُوَ سُنَّةٌ، النَّفَقَةُ عَلَيْهِمَا إِنْ كَانَا فَقِيرَيْنِ مِنْ أَبَرِّ الْوَاجِبِ وَكَذَلِكَ حِفْظُهُمَا مِنَ الضَّيَاعِ وَعَدَمُ إِيذَائِهِمَا مِنَ الْبِرِّ الْوَاجِبِ، أَمَّا فِي الْمَكْرُوهَاتِ هَذِهِ الْمَكْرُوهَاتُ فيُسَنُّ بِرُّهُمَا وَطَاعَتُهُمَا فَتَكُونُ هَذِهِ الْمَكْرُوهَاتُ بِالنِّسْبَةِ لِلْوَلَدِ سُنَّةً، أَمَّا فِي غَيْرِ الْوَالِدَيْنِ فَالطَّاعَةُ فِي الْمَكْرُوهِ مَكْرُوهَةٌ، الطَّاعَةُ فِي الْمَكْرُوهَاتِ مَكْرُوهَةٌ وَالْمُرَادُ بِالْوَالِدَيْنِ [الْوَالِدَانِ الْمُسْلِمَانِ]».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْوَلَدُ الْفَاسِقُ إِنْ دَعَا لِأَبِيهِ يَنْفَعُ لَكِنْ أَقَلَّ مِنْ دُعَاءِ الْوَلَدِ الصَّالِحِ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْمُسْلِمِينَ لَيْسُوا صُلَحَاءَ، نَحْوُ عُشْرِ الْمُسْلِمِينَ يُمْكِنُ أَنْ يَطْلُعُوا صَالِحِينَ أَمَّا تِسْعَةُ أَعْشَارِهِمْ لَيْسُوا صَالِحِينَ وَمَعَ هَذَا يَنْفَعُ دُعَاؤُهُ لِأَبِيهِ، يَنْفَعُ لَكِنْ لَيْسَ كَنَفْعِ الْوَلَدِ الصَّالِحِ».

الْحَذَرَ مِنْ عُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه عَنِ امْرَأَةٍ عَقَّتْ وَالِدَيْهَا وَقَدْ مَاتَا: «مَعْصِيَةُ الْعُقُوقِ اللهُ تَعَالَى يَغْفِرُهَا إِنْ شَاءَ فِي الْآخِرَةِ، هِيَ عَلَيْهَا أَنْ تَنْدَمَ عَلَى عُقُوقِهَا، هَذَا يَكْفِيهَا فِي الدُّنْيَا، أَمَّا فِي الْآخِرَةِ إِنْ كَانَتْ ءَاذَتْهُمَا إِمَّا أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَسَنَاتِهَا لَهُمَا وَإِمَّا أَنْ يُؤَدِّيَ اللهُ عَنْهَا حَقَّهُمَا».

سُئِل رضي الله عنه: أَلَا تَفْعَلُ شيئا لِتُكَفِّرَ؟

فَأَجَابَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَلَيْسَ نَدِمَتْ؟ يَكْفِيهَا. هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلْعُقُوقِ، أَمَّا تَكْثِيرُ الْحَسَنَاتِ لَهُمَا بِإِهْدَاءِ الْقِرَاءَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُمَا يَنْفَعُهُمَا. وَالِدَاهَا إِذَا بَلَغَهُمَا تَوْبَتُهَا وَمَا فَعَلَتْهُ لِأَجْلِهِمَا قَدْ لَا يُطَالِبَانِهَا فِي الْآخِرَةِ، قَدْ يَرْضَيَانِ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَنَّهُمَا عَلِمَا أَنَّهَا كَانَتْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمَا، الْمَلَائِكَةُ يُبَلِّغُونَهُمَا فِي مُدَّةِ الْقَبْرِ يُبَلِّغُونَهُمَا.

فَجَائِزٌ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِ التَّقِيِّ مَا حَالُ أَبِيهِ، الْمُؤْمِنُ لَمَّا يُصْعَدُ بِرُوحِهِ يَتَلَقَّاهُ أَرْوَاحُ أَهْلِهِ الَّذِين كَانُوا مَاتُوا؛ أَبُوهُ وَأُمُّهُ، أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ مَاتُوا قَبْلُ يَأْتُونَ. الْمَلَائِكَةُ يُخْبِرُونَهُمْ بِأَنَّ فُلَانًا يَمُوتُ الْيَوْمَ فَيَسْتَقْبِلُونَهُ، يُقَالُ لَهُ: مَا فَعَلَ فُلَانٌ وَمَا فَعَلَتْ فُلَانَةُ، فَإِنْ قَالَ: مَاتَ فُلَانٌ مَاتَتْ فُلَانَةُ يَحْزَنُونَ[1]، يَقُولُونَ: هَذَا حِصَّةُ جَهَنَّمَ، لَوْ كَانَ مَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ

---

[1] وهذا قبل قيام الساعة، أما بعدما يدخل الأتقياء الجنة بأجسادهم وأرواحهم فلا يصيبهم انزعاجٌ ولا حزنٌ ولا ألمٌ بعد ذلك إلى أبد الآبدين.

كَانُوا أَتَوْا بِهِ إِلَيْنَا عِنْدَهُمْ خَبَرٌ، اللهُ تَعَالَى يُعْلِمُهُمْ، تَكُونُ أَرْوَاحُهُمْ فِي الْجَنَّةِ. الْجَنَّةُ فِيهَا فَرَاغٌ وَاسِعٌ مُنْطَلَقٌ غَيْرُ الْمَكَانِ الَّذِي يَسْتَقِرُّ الْمُؤْمِنُونَ فِيهِ فِي الْآخِرَةِ، يَنْزِلُ فِيهِ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ وَتَسْرَحُ فِيهِ، يَصِيرُونَ بِشَكْلِ طَائِرٍ فَيَأْكُلُونَ مِنَ الْأَشْجَارِ الَّتِي فِيهِ، لَكِنِ الْمَكَانُ الَّذِي فِي الْآخِرَةِ يَنْزِلُونَ فِيهِ هَذَا يُؤَخَّرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

يُنْشَرُ بَينَ تَلَامِيذِ المَدَارِسِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُمَا بعدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ ٢٣﴾ [سورة الإسراء] يريدُ البِرَّ بِهِمَا مَع اللُّطْفِ وَلِينِ الجَانِبِ فلَا يُغَلِّظُ لَهُمَا فِي الجوابِ ولا يُحِدُّ النَظَرَ إليهِمَا ولا يَرفَعُ صَوتَهُ عليهِمَا بَل يكونُ بَينَ يَدَيْهِمَا مِثْلَ الْعَبْدِ بَينَ يَدَيِ السَّيِّدِ تَذَلُّلًا لَهُمَا».

التَّنَاصُحُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «كُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخوَانًا مُتَنَاصِحِينَ كَمَا أَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ، وَلْيَتَفَقَّدْ بَعْضُكُم بَعْضًا، بِهذا تَقوَى الدَّعوَةُ وبِهَذَا يَقْوَى تَآلُفُ الْقُلُوبِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَنْتُمُ الكِبَارُ كُونُوا مَثَلًا قُدْوَةً لِغَيْرِكُمْ فِي هَذِهِ الخِصَالِ المَحْمُودَةِ تَبْلُغُوا الْمُنَى إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى».

وَقَالَ رضي الله عنه: «المسْلِمُ يُعَامِلُ المُسْلِمَ بِالنَّصِيحَةِ، أَيْ بِمَا يَرَاهُ لَهُ خَيْرًا، إِنِ استَشَارَهُ وَإِنْ لَمْ يَسْتَشِرْهُ لا يُشِيرُ لَهُ إِلا بِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ فِي دِينِ اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لِيَنْصَحْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالرِّفْقِ وَالحِكْمَةِ، وَلْيَتَفَقَّدْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَلا سِيَّمَا إِذَا طَالَتْ غَيْبَةُ أَخِيكَ أَوْ نَزَلَتْ بِهِ مُصِيبَةٌ أَوِ اشتَدَّ بِهِ مَرَضٌ».

التَّطَاوُعُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أُوْصِيكُم بِالتَّطَاوُعِ، وَالتَّطَاوُعُ أَنْ يُوَافِقَ كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ، وَلا يَتَرَفَّعَ عَلَيْهِ، وَلا يُسِيءَ الظَّنَّ بِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَهَمَّنِي فِقْدَانُ التَّطاوُعِ فِيمَا بَيْنَكُم وأَحُثُّكُمْ عَلَى الِالْتِزَامِ بِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ مِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ حِفْظَ الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ أَهَمُّ مِنْ حِفْظِ المصَالِحِ الخَاصَّةِ، وَكَذَلِكَ دَفْعُ الْمَفَاسِدِ العَامَّةِ أَهَمُّ مِنْ دَفْعِ الْمَفَاسِدِ الْخَاصَّةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لا تُوَطِدُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى التَّعَامُلِ فَقَطْ مَعَ الكُمَّلِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُتَّبَعَ مَنْ عَلِمَ الحَقَّ وَعَمِلَ بِهِ الْعَالِمُ العَامِلُ وَالمتَعَلِّمُ العَامِلُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَطَاوَعُوا عَلَى نَشْرِ هَذَا الدِّينِ، وَتَطَاوَعُوا مَعَ مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَى التَّقْوَى وَأَعْلَمُ مِنْكُمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِالتَّطَاوُعِ وَالتَّوَاضُعِ لِأَنَّ التَّوَاضُعَ مِنْ أَحْسَنِ الْأَعْمَالِ جَاءَ ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ، وَتَحْسِينِ الظَّنِّ بِالْإِخْوَانِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كُنْ أَرْضًا تَكُنْ لِلَّهِ أَرْضى».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ والصَّلاةُ والسَّلامُ على سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ سيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى جَميعِ إخوانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وعَلَى ءَالِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْصَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَكُونُوا إِخْوَانًا أَيْ مُتَحَابِّينَ مُتَعَاوِنِينَ مُتَعَاضِدِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ١٠﴾ [سورة الحجرات]، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**». وَقَدْ ورَدَ فِي الأَحَادِيثِ الصَّحيحَةِ أَنَّ التَّحَابَّ فِي اللهِ فِيهِ فضلٌ عَظِيمٌ. مِنْ ذلِكَ حديثٌ رواهُ الإمامُ

مالِكٌ فِي مُوَطَّئِهِ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم عَنِ اللهِ تبارك وتعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «**الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**». هؤلَاءِ الْمُتَحَابُّونَ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّ العرشِ، فِي الوقتِ الَّذِي يكونُ النَّاسُ يُقَاسُونَ حَرَّ الشَّمْسِ الَّتِي تَدْنُو مِن رؤوسِ الناسِ حَتَّى يكونَ بينَهم وبينَها مِيلٌ. هؤلَاءِ الْمُتَحَابُّونَ بِاللهِ، اللهُ تَعَالَى يَجْعلُهم تَحْتَ ظلِّ العرشِ، لَا يُصِيبُهُمْ شيءٌ مِنْ أَذَى حَرِّ شَمْسِ ذَلِكَ اليَوْمِ، هؤلَاءِ صِفَتُهُمْ أَنَّهُمْ يَتَعَاوَنُونَ وَلَا يَغُشُّ بَعضُهُمْ بعضًا ويَتَنَاصَحُونَ وَيَتَوَاصَلُونَ ويَتَزَاوَرُونَ ويَتَبَاذَلُونَ أي يُهْدِي بعضُهم بعضًا. السِّوَاكُ إِذَا أَهْدَاهُ الْمُسْلِمُ لأخِيه له عند اللهِ أَجْرٌ عَظِيمٌ، وَمَا زَادَ قيمةً فهو أعظَمُ أجْرًا عندَ اللهِ. ثُمَّ هؤلاءِ الَّذِينَ يُظِلُّهم اللهُ فِي ظلِّ عرشِهِ يومَ القيامَةِ مِنْ صفتِهم أَنَّهُمْ يتحَابُّونَ لأَجْلِ اللهِ تعالَى، أي لأَجْلِ التَّعَاوُنِ فِي طاعَةِ اللهِ، لَيْسَ لِهَوًى وَلَا لِلنَّسَبِ، هذهِ صفتُهم، جعَلَنَا اللهُ منهم.

ثُمَّ إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْبِرِّ وَأَفْضَلِهِ التَّعَاوُنَ فِي نشرِ عقيدةِ أهلِ الْحَقِّ، عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّتِي تَنَاقَلَهَا الْمُسْلِمُونَ خَلَفًا عَنْ سَلَفٍ، جِيلًا عَنْ جِيلٍ. هذهِ العَقِيدَةُ بِمَا أَنَّهَا هِيَ أصلُ الدِّينِ الَّتِي لَا يَحصُلُ النجاةُ فِي الآخِرَةِ إِلَّا بِهَا، التَّعَاونُ علَيْهَا أَعْظَمُ الْمُهِمَّاتِ، وَنَحْنُ وَالْحَمْدُ للهِ دُعاةٌ إِلَيْهَا، نُدَافِعُ عَنْهَا بِالبَيَانِ والأَدِلَّةِ النَّقْلِيَّةِ أَيْ القُرْءَانِيَّةِ وَالْحَدِيثِيَّةِ وَالعَقْلِيَّةِ، وهذَا مِنْ أَفْرَضِ الفُرُوضِ. قَالَ الفُقَهَاءُ: **يَجِبُ أَنْ يُوجَدَ فِي الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَقُومُ بِهَذَا مِنْ بَابِ فَرْضِ الكِفَايَةِ**. وَالْمَعْنَى إِنْ خَلَا قُطْرٌ مِمَّنْ يقُومُ بذلِكَ فكلُّهُمْ عُصَاةٌ، كلُّ أهلِ ذلِكَ القُطْرِ عُصَاةٌ. جَمْعِيَّتُنَا هذِهِ هِيَ الَّتِي تقُومُ اليومَ بِهَذَا الفَرْضِ العَظِيمِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الآنَ أُوصِيكُمْ بَارَكَ اللهُ بِكُمْ بِالْجِدِّ فِي نَشْرِ الْعِلْمِ عِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَاسْتَعِينُوا عَلَى ذلِكَ بِتَرْكِ التَّنَعُّمِ لأَنَّ التَّنَعُّمَ يُؤَدِّي إِلَى التَّقْصِيرِ لِعَمَلِ الآخِرَةِ، وَالرِّضَى بِالْقَلِيلِ وَالْيَسِيرِ مِنَ الرِّزْقِ وَالصَّبْرِ عَلَى مَشَقَّاتِ التَّعْلِيمِ وَنَشْرِ الْعِلْمِ وَالتَّطَاوُعِ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَالتَّوَاضُعِ وَالْحِلْمِ وَتَرْكِ الْغَضَبِ.

صَحَابِيَّانِ نَشَرَا عِلْمَ الدِّينِ فِي اليَمَنِ، الْيَمَنُ قِسْمَانِ نَجْدٌ وَتَهَائِم، أَحَدُهُمَا أَخَذَ التّهائِم وَالآخرُ أَخَذَ النَّجْد وَكَانَا يَلْتقِيان بَعْدَ كلِّ مُدَّة يَتَشَاوَرَانِ، لِيَسْتَضِيءَ كلٌّ من الآخرِ بِمَا ينفَعُه للدعوة إلى الله. مِنْ عمَلِ هذين انتشَر العِلْمُ والدّينُ في اليَمَن، أَبِي مُوسَى ومُعاذِ بن جَبَلٍ، وكانَا مُتَطاوِعَين كما أمَرَهما الرّسولُ.فَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نقْتَديَ بِهما».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَمَّا بَعْدُ، إِخْوَانَنَا مَعَاشِرَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أُوصِيكُم بِالْتِزَامِ التَّطَاوُعِ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَتَحْسِينِ الظَّنِّ فِي أَفْرَادِكُمْ وَالتَّوَاضُعِ كَمَا أَكَّدَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلِكَ عَلَيْنَا مَعَاشِرَ الأُمَّةِ بِقَوْلِهِ: «**إِنَّكُمْ لَتَغْفُلُونَ عَنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَةِ التَّوَاضُع**» وَبِالتَّوَاضُعِ وَالتَّطَاوُعِ يَكُونُ القَلِيلُ كَثِيرًا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى وَيَكُونُ الكَثِيرُ بِدُونِهِ قَلِيلًا، فَالْزَمُوا هذَا تَنْجَحُوا وتكونَ لَكُمْ مَهابَةٌ عِنْدَ النَّاسِ الْمُحِبِّينَ وَالأَعْدَاءِ، وَفَّقَكُمُ اللهُ لِلْعَمَلِ بِهَذِهِ النَّصِيحَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الأَنِفِ إِنْ قِيدَ انْقَادَ وَإِنْ اسْتُنِيخَ عَلَى صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ**» إِنْ أَبْرَكْتَهُ عَلَى صَخْرَةٍ يَبْرُكْ، أَيْنَمَا أَبْرَكْتَهُ يَبْرُكْ، إِنْ سُقْتَهُ أَيْضًا يَنْسَاقُ مَعَكَ. مَعْنَاهُ الْمُؤْمِنُ يكونُ لَيِّنًا بِأَيْدِي إِخْوَانِهِ يُطَاوِعُهُمْ لَا يَتَرَفَّعُ عَلَيْهِمْ. اَلرَّسُولُ كَانَتِ البِنْتُ الصَّغِيرَةُ تَأْتِي تَأْخُذُ بِيَدِهِ وَتَأْخُذُهُ إِلَى حَيْثُ أَرْسَلَهَا أَهْلُهَا، بِنْتٌ صَغِيرَةٌ تَأْخُذُ بِيَدِهِ تُوصِلُهُ لَا يَتَرَفَّعُ عَنْهَا لَا يَقُول: كَيْفَ هذِهِ البِنْتُ تَأْخُذُ بِيَدِي أَسِيرُ مَعَهَا.

ثُمَّ إِنَّ هذا التطَاوُع يَتَطَلَّبُ تَحْسِينَ الظَنِّ بِأَخِيهِ، لأَنَّهُ إِنْ أَسَاءَ الظَنَّ بِأَخِيهِ لَا يَحْصُلُ هذَا التَّطَاوُعُ، لَا يَحْصُلُ هذا التَّطَاوُع إِلَّا مَعَ حُسْنِ الظَّنِّ بِأَخِيهِ، مَا لَمْ يَرَ مِنْهُ مَعْصِيَةً للهِ تَعَالَى يُرِيدُ يَدْعُو غَيْرَهُ إِلَيْهَا يُسَايِرُهُ، أَمَّا إِنْ أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَهُ إِلَى مَعْصِيَةٍ لَا يَنْقَادُ مَعَهُ لِلْمَعْصِيَةِ ولكِنْ يَنْهَاهُ يَقُولُ لَهُ هذَا الشيءُ لَا يَجُوزُ، فَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يَقُودَ النَّاسَ إِلَى الْمَعْصِيَةِ يُفَارِقُهُ، هذَا شَأْنُ الدُّعَاةِ إِلَى اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «فكُونوا متواصِلينَ ومُتباذلينَ ومُتزاورينَ ومتناصِحينَ ومُتطاوعينَ فإنَّ القليلَ مَعَ التطاوعِ كثيرٌ والكثيرَ بلا تطاوعٍ قليلٌ».

عَمَلُ جَلَسَاتٍ وَلِقَاءَاتٍ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اجْلِسُوا جَلَسَاتِ الْفِكْرِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَن تَرَكَ الاجْتِمَاعَ الَّذِي فِيهِ مُكَافَحَةُ الْمُنْكَرِ وَالَّذِي [مِنْهُ] مَا هُوَ كُفْرٌ مِنَ الكَبَائِرِ. فِي الْمَاضِي كَانَ وَاجِبًا عَلَيْهِمْ أَنْ يَجْتَمِعُوا لِهَذَا الغَرَضِ فَكَيْفَ فِي زَمَانِنَا هذَا الَّذِي قَلَّ فِيهِ الْمُنَاضِلُونَ عَنِ الدِّينِ وَصَارَ أَصْحَابُ النُّفُوذِ وَأَصْحَابُ العَمَائِمِ نَائِمِينَ عَنْ ذلِكَ».

وَقَالَ: «لِقَاءُ الإِخْوَانِ وَتَنَاصُحُهُمْ يَنْفَعُ نَفْعًا كَبِيرًا».

التَّزَاوُرُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّيْ أُوصِيكُمْ بالتَّطَاوُعِ، فَإِنَّ القليلَ مَعَ التَّطَاوُعِ كَثِيرٌ، وَالكثيرَ مَعَ عَدَمِ التَّطَاوُعِ قَلِيلٌ. وَأُوصِيكُمْ بِالتَّحَابِّ فِي اللهِ وَالتَّزَاوُرِ فِيهِ، فَإِنَّ لِلْمُتَحَابِّينَ فِي اللهِ درجةً عظيمةً، ثَبَتَ في الحديث القُدْسِيّ: «**وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ والْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ والْمُتَجَالسِينَ فِيَّ**». وَلْيَنْصَحْ بعضُكم بعضًا بالرِّفقِ والْحِكمةِ، وليَتَفَقَّدْ بعضُكم بعضًا وَلَا سِيَّمَا إِذَا طَالَتْ غَيْبَةُ أَخِيكَ أَوْ نَزَلَتْ بِهِ مُصِيبَةٌ أو اشتَدَّ به مرَضٌ، وأُوصِيكُم بالْحِلْمِ والعَفْوِ وأن يُعامِل أحدُكم أخَاه بِمَا يُحبُّ أن يعامِلَه به أخُوهُ من الصَّفْحِ والعَفْوِ ومقابَلَةِ الإسَاءَةِ بالإِحْسَانِ، وهذَا شرطُ الإيمَانِ الكَامِلِ الَّذِي يكونُ بِهِ الإنسانُ مِنَ الَّذِينَ لا خوفٌ عليهم وَلَا هُمْ يَحزَنُونَ. وَصَحَّ أَنَّ رَسُولَ الله صلى

الله عليه وسلم قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا**[1] **وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**»، وَفَّقَكُمُ اللهُ وَحَفِظَكُمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «التَّزَاوُرُ مُهِمٌّ جِدًّا، لَا يَمْضِ عَلَى أَحَدِكُمْ مُدَّةٌ واسِعَةٌ لَمْ يَرَ فِيهَا أَخَاهُ ولا سَأَلَ عَنْهُ. وَإِنْ استطَاعَ أن يَزُوره زَارَهُ، وَإِنْ لَمْ يَستطِعْ يُرْسِل سَلَامًا له أو يُكَالِمه بوَاسِطَةِ التّلِيفُون. إن عَمِلتُم بِهذا فَأَنْتُمْ كثيرٌ، وَإِنْ لَمْ تفْعَلُوا فأنتم قَلِيلٌ. إِنْ فَعَلْتُمْ فَأَنْتُم أَقْوِيَاءُ وَإِلَّا فَأَنْتُمْ ضُعَفَاءُ. وَالَّذِي يُسَهِّلُ هَذَا التَّوَاضُعُ، وَالتَّوَاضُعُ يَدْعُو إِلَى التَّطَاوُعِ».

وَقَالَ: «أَكِّدُوا عَلَى كُلِّ إِخْوَانِنَا لِيَتَزَاوَرُوا، بِسَبَبِ الْإِهْمَالِ الَّذِي حَصَلَ فِي تَرْكِ التَّزَاوُرِ ضَعُفَتْ هِمَمُ بَعْضِ النَّاسِ».

التَّشَاوُرُ وَتَرْكُ الِاسْتِبْدَادِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «كَانَ مِنْ مُهِمَّةِ رَسُولِ اللهِ مُشَاوَرَةُ أَصْحَابِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الِاسْتِبْدَادُ يَضُرُّ صَاحِبَهُ وَيَضُرُّ غيْرَهُ، الِاسْتِبْدَادُ مَعْنَاهُ أَنْ لَا يَرْضَى الشَّخْصُ اتِّبَاعَ رَأْيِ غَيْرِهِ وَلَوْ كَانَ مُوَافِقًا لِلْحقِّ وَيُرِيدُ أَنْ يَتَّبِعَهُ النَّاسُ وَلَوْ كَانَ عَلَى غَيْرِ الصَّوَابِ. قَوْلُ عمرَ: «مَا تَرَكَ الْحَقُّ صَاحِبًا لِعُمَرَ» معناهُ أَنَا الْحَقُّ صَدِيقِي، أَيْنَمَا كَانَ الْحَقُّ أَنَا أَتَّبِعُهُ. أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُتَّبَعَ مَنْ عَلِمَ الْحَقَّ وَعَمِلَ بِهِ، العَالِمُ العامِلُ وَالْمُتَعَلِّمُ العَامِلُ».

---

[1] وَلَا تَحَسَّسُوا: اَلتَّحَسُّسُ التَّفْتِيشُ عَنْ عيوبِ النَّاسِ بِالعَيْنِ.

وَقَالَ رضي الله عنه: «الشَّخْصُ حَقٌّ أَنْ يَتَّهِمَ رَأْيَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ دَلِيلٌ حَقِيقِيٌّ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «التَّشَاوُرُ أَمْرٌ مُهِمٌّ، اللهُ تَعَالَى قَالَ لِرَسُولِهِ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ١٥٩﴾[سورة ءال عمران] مَعَ أَنَّ الرَّسُولَ غَنِيٌّ عَنْ مُشَاوَرَةِ أَصْحَابِهِ بِالوَحْيِ مَعَ ذَلِكَ حَتَّى تَقْتَدِيَ بِهِ أُمَّتُهُ أُمِرَ بِمُشَاوَرَةِ أَصْحَابِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الِاسْتِبْدَادُ بِالرَّأْيِ لا خَيْرَ فِيهِ».

أَهَمِّيَّةُ التَّنْسِيقِ:

قالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الَّذِي لَا يُنَسِّقُ مَعَ إِخْوَانِهِ طُرُقَ الدَّعوَةِ إِلَى اللهِ هَذَا غَشَّ نَفْسَهُ وغَشَّ غَيْرَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَافُرَ وإيثارَ الْمَالِ عَلَى الْآخِرَةِ، فَأَخلِصُوا نِيَّاتِكُمْ وءاثِرُوا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا حَتَّى تُحَقِّقُوا هذَا الأَمْرَ عَلَى الوَجْهِ التَّامِّ».

الْتِزَامُ الرِّفْقِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْتَزِمِ الرِّفْقَ بِالنَّاسِ وَالشَّفَقَةَ، الرِّفْقُ زَيْنٌ وَالعُنْفُ شَيْنٌ فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ الزَّيْنَ، وَعُدْ إِلَى مُعَامَلَةِ مَنْ عَامَلْتَهُمْ بِغَيْرِ الرِّفْقِ إِلَى الْمُعَامَلَةِ بِالرِّفْقِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَنْتَ كُنْ مُحْتَاطًا فِي الكَلَامِ مَعَ النَّاسِ، قَدْ تَظُنُّ أَنَّ بعضَ الكَلَامِ لَا يُثِيرُ النَّفسَ وهو فِي حقيقةِ الأمرِ يُثِيرُهَا. تَحَرَّ اللُّطْفَ فِي مُعَامَلَتِكَ وفِي الْخِطَابِ وَالْحَرَكَاتِ، هَذَا مَطْلُوبٌ مِنْ كُلِّ الإِخْوَةِ لأنَّ الأَحْوَالَ تَخْتَلِفُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «فَجِدُّوا وَاجْتَهِدُوا واسْتَعْمِلُوا الرِّفْقَ أَيْ الأَخْذَ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي تُوصِلُ إِلَى الْمَقْصُودِ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ».

وَقَالَ: «أُوصِيكُمْ أَنْ يَكُونَ أمرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ بِالرِّفْقِ، وَمَعْنَى الرِّفْقِ استعمَالُ الطريقَةِ الَّتِي فِيهَا حِكْمَةٌ، لأَنَّ اللهَ يُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كَانَ مِنْ مُهِمَّةِ رَسُولِ اللهِ مُشَاوَرَةُ أَصْحَابِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الِاسْتِبْدَادُ يَضُرُّ صاحبَه ويضُرُّ غيرَهُ، الاستبدادُ معنَاهُ أَنْ لَا يَرْضَى الشخصُ اتِّبَاعَ رَأْيِ غَيْرِهِ وَلَوْ كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَيُرِيدُ أَنْ يَتَّبِعَهُ النَّاسُ وَلَوْ كَانَ عَلَى غَيْرِ الصَّوَابِ. قَوْلُ عمرَ: «مَا تَرَكَ الْحَقُّ صَاحِبًا لِعُمَرَ» معنَاهُ أَنَا الْحَقُّ صَدِيقِي أَيْنَمَا كَانَ الْحَقُّ أَنَا أَتَّبِعُهُ. أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُتَّبَعَ مَنْ عَلِمَ الْحَقَّ وَعَمِلَ بِهِ، العَالِمُ العامِلُ وَالْمُتَعَلِّمُ العامِلُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الشَّخْصُ حَقٌّ أَنْ يَتَّهِمَ رَأْيَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ دَلِيلٌ حَقِيقِيٌّ».

الرَّجُلُ مَنْ جَمَعَ النَاسَ حَوْلَ طَاعَةِ اللهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: «لَيْسَ الرَّجُلُ مَنْ جَمَعَ النَّاسَ حَوْلَهُ إِنَّمَا الرَّجُلُ مَن جَمَعَ النَاسَ حَوْلَ طَاعَةِ اللهِ»».

الْمُبَادَرَةُ بِالْعَمَلِ:

قَالَ الْإِمامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الَّتِي تَنْفَعُكُمْ فِي آخِرَتِكُمْ قَبْلَ الْعَجْزِ بِالْمَرَضِ أَوْ بِالْمَوْتِ أَوْ الشَّوَاغِلِ وَاعْمَلُوا بِحَدِيثِ: «**لَا يَشْبَعُ مُؤْمِنٌ مِنْ خَيْرٍ يَسْمَعُهُ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الْجَنَّةَ**» وَفَّقَكُمُ اللهُ، أَيَّدَكُمُ اللهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَوْقَاتُكُمْ اصْرِفُوهَا فِي الْوَاجِبَاتِ بَدَلَ أَنْ تَصْرِفُوهَا فِي النَّوَافِلِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْعَمَلُ بِالفَرْضِ يُقَرِّبُ إِلَى اللهِ أَكْثَرَ مِنَ العَمَلِ بِالنَّوَافِلِ، فَعَلَيْكُمْ بتَقْدِيمِ الْفَرْضِ على النَّفْلِ عَمَلًا بقَاعِدَةِ مَنْ شغَلَهُ الْفَرْضُ عَنِ النَّفْلِ فَهُوَ مَعْذُورٌ وَمَنْ شَغَلَهُ النَّفْلُ عَنِ الْفَرْضِ فَهُوَ مَغْرُورٌ، وَاعْلَمُوا أَنَّ نَشْرَ عِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ بِمُكَافَحَةِ الضَّلَالِ الْمُنْتَشِرِ الْيَوْمَ عِنْدَ مَنْ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ دُعَاةٌ إِلَى الدِّينِ مِنْ أَهَمِّ الفُرُوضِ، فَعَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَتَكَاسَلُوا بِالْعَمَلِ فِي ذَلِكَ، وَأَنْ لَا تَبْخَلُوا عَنِ الْمُساعَدَةِ بِأَمْوَالِكُمْ الَّتِي تَزِيدُ عَلَى حَاجَاتِكُمْ الْأَصْلِيَّةِ وَلَا يَمْنَعَنَّكُمْ عَنْ ذَلِكَ الْمَصَارِيفُ للزَّوَائِدِ كَتَجْمِيلِ أَثَاثِ البَيْتِ، وَمَا يَصْرِفُهُ الْوَاحِدُ مِنْكُمْ لِلدَّعْوَةِ أَفْضَلُ مِن حَجِّ النَّفْلِ. وَقَدْ نَصَحْنَاكُمْ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ، فَلْيُحَاسِبْ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ[1]».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِذَا كَانَ الْوَاحِدُ حَجُّهُ صَحِيح يَحُطُّ الْمَالَ فِي إِقَامَةِ فَرْضٍ ضَرُورِيٍّ هذا خَيْرٌ لَهُ، اَلفَرْضُ عِنْدَ اللهِ أَعْظَمُ، حَدِيثٌ قُدْسِيٌّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**». الْفَرْضُ يُقَرِّبُ إِلَى اللهِ أَكْثَرَ مِنَ النَّفْلِ».

---

[1] قَالَ الفاروق عُمَرُ: « حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عليكم غدًا أن تحاسِبوا أنفسَكم اليومَ، تَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ١٨﴾ [سورة الحاقة].

وَقَالَ رضي الله عنه: «لَا تَشْتَغِلْ بِالنَّوَافِلِ وَتَتْرُكِ الْفَرَائِضَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اَلدَّعْوَةُ إِلَى عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ أَفْضَلِ الْمَبَرَّاتِ. وكذَلِكَ مَنْ سَاعَدَ إِنْسَانًا يُعَلِّمُ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ الْأَشْعَرِيَّةَ، هذَا أَفْضَلُ مِنْ حَجِّ النَّفْلِ».

الِاسْتِعْدَادُ لِلْآخِرَةِ:

قالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِإِكْثَارِ ذِكْرِ الْمَوْتِ، فَإِنَّهُ يُسَاعِدُ عَلَى الْقَنَاعَةِ بِالْيَسِيرِ مِنَ الرِّزْقِ، وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْآخِرَةِ، وَإِيْثَارِ الآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ تَعَالَى جَعَلَ هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا مَزْرَعَةً لِلْآخِرَةِ، فَمَنِ اكْتَسَبَ فِيهَا خَيْرًا كَانَ جَزَاؤُهُ بَعْدَ المَوْتِ خَيْرًا، وَمَنِ اكْتَسَبَ شَرًّا فَجَزَاؤُهُ شَرٌّ فِي الْآخِرَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «جِدُّوا وَاجْتَهِدُوا فِيمَا يَنْفَعُكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ وَدِينِكُمْ حَتَّى تُوَافُوا الْآخِرَةَ وَمَعَكُمْ زَادٌ يَنْفَعُكُمْ فَيُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْعَاقِلُ مَنْ يَخْتَارُ الْبَاقِيَ عَلَى الْفَانِي، الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنَ المَتَاعِ وَالْمُسْتَلَذَّاتِ سَرِيعَةُ الزَّوَالِ، وَزَادُ التَّقْوَى هُوَ الْبَاقِي، وَالتَّقْوَى لا تَكُونُ إِلا بِعِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «فَكِّرُوا أَنَّكُمْ سَتَنْزِلُونَ يَوْمًا إِلَى القَبْرِ، وَسَتُفَارِقُونَ هَذِهِ الدُّنْيَا وَسَتُفَارِقُونَ مَا لَكُمْ فِيهَا مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِمَّنْ يَنْدَفِعُ إِلَى الدُّنْيَا وَيُعْرِضُ عَنِ الْآخِرَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اغْتَنِمُوا الخَيْرَاتِ فِي الْأَيَّامِ الْقَلَائِلِ لِلْأَيَّامِ الطِّوَالِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أُوصِيكُمْ بِأَنْ تُؤْثِرُوا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، أُوصِيكُمْ بِإِيثَارِ مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي يُرِيدُ الفَلاحَ وَالتَّرَقِيَ إِلَى الْمَعَالِي، لَا بُدَّ أَنْ يُؤْثِرَ الْآخِرَةَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لِيُؤْثِرُوا الْآخِرَةَ، وَلْيُؤْثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى وَلْيَكُونُوا كَمَا قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**» وَلَا يُفَكِّرُوا فِي مُسْتَقْبَلِهِمْ مِنْ حَيْثُ الْمَعِيشَةُ وَالْمَالُ لِأَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ عِلْمُهُ عِنْدَ اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَدْ يَسْتَقْبِلُ الرَّجُلُ يَوْمًا لا يَسْتَكْمِلُهُ، وَقَدْ يَسْتَقْبِلُ لَيْلَةً لا يَسْتَكْمِلُهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الدُّنْيَا لَا تُغْنِي عَنِ الْآخِرَةِ، الآخِرَةُ أَمَامَ كُلِّنَا، أَمَامَ الكُلِّ، مَنِ استَعَدَّ لَهَا وَمَنْ لَمْ يَسْتَعِدَّ لَهَا لا بُدَّ أَنْ يَصِيرَ إِلَيْهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الدُّنْيَا كَمَا قَالَ بَعْضُ الحُكَمَاءِ فِي الدِّينِ: الدُّنْيَا سَاعَةٌ اجْعَلْهَا طَاعَةً. الإِنْسَانُ لا يَدْرِي مَتَى يُفَارِقُ هَذِهِ الدُّنْيَا، ثُمَّ لا يَتْبَعُهُ مَالُهُ وَلا أَهْلُهُ إِلَى القَبْرِ، إِنَّمَا يَتْبَعُهُ عَمَلُهُ، عَمَلُهُ فِي القَبْرِ إِنْ كَانَ حَسَنًا، عَمَلا صَالِحًا يُصَوِّرُهُ اللهُ تَعَالَى بِصُورَةِ رَجُلٍ جَمِيلِ الشَّكْلِ، حَسَنِ الثِّيَابِ، حَسَنِ الرَّائِحَةِ لِيُؤْنِسَ هَذَا الرَّجُلَ فِي قَبْرِهِ، أَمَّا مَالُهُ إِنْ كَانَ قَلِيلًا وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا صَارَ لِغَيْرِهِ، ذَهَبَ لِغَيْرِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لَذَّاتُ الدُّنْيَا كَلَا شَيْءٍ بِالنِّسْبَةِ لِلَذَّاتِ الْآخِرَةِ وَعَذَابُ الدُّنْيَا كَلَا شَيْءٍ بِالنِّسْبَةِ لِعَذَابِ الآخِرَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «يَنْبَغِي لِطَالِبِ الآخِرَةِ أَنْ يَكُونَ يَوْمُهُ خَيْرًا مِنْ أَمْسِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَذَابُ الدُّنْيَا إِنِ اشتَدَّ يَعْقُبُهُ الموْتُ فَيَنْقَطِعُ الإِحْسَاسُ بِالموْتِ، أَمَّا فِي الآخِرَةِ فَلا مَوْتَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «العَاقِلُ هُوَ الَّذِي لا يَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا بَلْ يُؤْثِرُ الآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مُرِيدُ الآخِرَةِ يَتَحَمَّلُ المشَاقَّ وَالأَذَى مِنَ النَّاسِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الَّتِي تَنْفَعُكُمْ فِي ءَاخِرَتِكُمْ قَبْلَ الْعَجْزِ وَالْمَرَضِ أَوِ الْمَوْتِ أَوِ الشَّوَاغِلِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «العَاقِلُ لا يَرْضَى بِأَنْ يَخْسَرَ النَّعِيمَ الدَّائِمَ الَّذِي لا يَنْقَطِعُ مِنْ أَجْلِ النَّعِيمِ الفَانِي الَّذِي يَنْقَطِعُ وَيَزُولُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «ءَاثِرُوا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الَّذِي يَفْنَى».

وَقَالَ رضي الله عنه: «العَاقِلُ هُوَ الَّذِي لا يَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا، بَلْ يُؤْثِرُ الآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، فَيَكْتَفِي مِنَ الدُّنْيَا، يَقْنَعُ مِنْهَا مِنَ الحَلَالِ القَلِيلِ، وَلا يَمُدّ يَدَهُ إِلَى الحَرَامِ لِتَكْثِيرِ التَّنَعُّمِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الآخِرَةِ، مَنْ زَرَعَ هُنَا خَيْرًا يَحْصُدُهُ فِي الآخِرَةِ، المعْنَى أَنَّ مَنْ عَرَفَ اللهَ وَءَامَنَ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَدَّى الْوَاجِبَاتِ وَاجْتَنَبَ المحَرَّمَاتِ هَذَا فَازَ فِي الآخِرَةِ، فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَخَذَ زَادًا عَظِيمًا مِنَ الدُّنْيَا، أَمَّا مَنْ فَاتَهُ ذَلِكَ فَهُوَ عَلَى خَطَرٍ، الَّذِي مَاتَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْرِفَ اللهَ وَيُؤْمِنَ بِنَبِيِّهِ هَذَا لَيْسَ لَهُ شَىْءٌ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّكَدُ وَالعَذَابُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الإِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِ الآخِرَةِ هَذَا يَكُونُ مِنْ عُلُوِّ الهِمَّةِ لأَنَّهُ يُخَفِّفُ انْشِغَالَ القَلْبِ بِالدُّنيا وَمَلَذَّاتِهَا، وَهَذَا يُعِينُ عَلَى الإِكْثَارِ مِنْ عَمَلِ الآخِرَةِ بِالعِلْمِ وَالعَمَلِ، وَأَفْضَلُ ذُخْرٍ لِلآخِرَةِ العِلْمُ، وَأَفْضَلُ الْعِلْمِ العِلْمُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «يَا عِبَادَ اللهِ استَعِدُّوا لِلآخِرَةِ، فَإِنَّ الدُّنْيَا زَوَالٌ استَعِدُّوا لِلآخِرَةِ، تُوبُوا إِلَى رَبِّكُم وَتَزَوَّدُوا لآخِرَتِكُم».

وَقَالَ رضي الله عنه: «العِبَادُ مَطْلُوبٌ مِنْهُم أَنْ يَكُونُوا مُتَأَهِّبِينَ تَائِبِينَ، مُتَأَهِّبِينَ لِلآخِرَةِ، تَائِبِينَ إِلَى اللهِ، لأَنَّ الَّذِي يَكُونُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ عَلَى التَّوْبَةِ وَعَلَى الصَّبْرِ يُوَطِّنُ

نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى الضَّرَّاءِ وَالسَّرَّاءِ، فِي حَالِ الفَرَحِ وَالرَّخَاءِ يُطِيعُ رَبَّهُ، يَتَجَنَّبُ مَعَاصِيَهُ، وَفِي حَالِ الحُزْنِ وَالضِّيقِ وَالشِّدَّةِ وَالبَلاءِ وَالمصَائِبِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «العَبْدُ المؤْمِنُ التَّقِيُّ الَّذِي هُوَ مُسْتَعِدٌّ لآخِرَتِهِ يَحْذَرُ عَذَابَ اللهِ وَسَخَطَ اللهِ، فِي الحَالَيْنِ يَحْفَظُ نَفْسَهُ، إِنْ أَغْنَاهُ اللهُ بِالحَلَالِ يَحْفَظُ نَفْسَهُ، وَإِنْ أَفْقَرَهُ اللهُ يَحْفَظُ نَفْسَهُ، لا يَسُوقُهُ الْغِنَى إِلَى الطُّغْيَانِ وَلا الْفَقْرُ إِلَى الْفَسَادِ وَالْكُفْرِ، فِي الْحَالَيْنِ يَكُونُ مُطِيعًا لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَذِهِ أَحْسَنُ حَالَاتِ الْإِنْسَانِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لِيَبْكِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ، لِيَقُلْ عَلَى أَيِّ حَالٍ أَمُوتُ، إِنْ مِتُّ وَأَنَا عَلَى حَالَةٍ حَسَنَةٍ فَيَا فَوْزِي وَيَا فَرَحِي، وَإِنْ مِتُّ عَلَى حَالَةٍ سَيِّئَةٍ فَيَا خَيْبَتِي إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْنِي اللهُ بِرَحْمَتِهِ وَعَفْوِهِ».

إِكْرَامُ الضَّيفِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَال: «**مَنْ كَانَ يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فليَقُلْ خيرًا أو لِيَصْمُتْ، ومَنْ كَانَ يؤمِنُ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ فلْيُكْرِمْ جارَهُ، ومَنْ كَانَ يؤمِنُ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ فلْيُكْرِمْ ضَيفَهُ**» رَوَاهُ البُخَارِيُّ ومسلمٌ».

مَعْنَى نَارٌ عَلَى عَلَمٍ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مَعْنَى نَارٌ عَلَى عَلَمٍ مِنْ كَلِمَةِ «أَشْهَرُ مِنْ نَارٍ عَلَى عَلَمٍ» النَّارُ تُشْعَلُ عَلَى أَعْلَى جَبَلٍ حَتَّى يَعْرِفَ الْمُسَافِرُونَ أَنَّ هُنَاكَ سُكَّانًا حَتَّى يَنْزِلُوا [ضُيُوفًا] عِنْدَهُمْ».

نَصِيحَةٌ لِلأَهْلِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الشَّخْصُ الّذِي يعمَلُ فِي الدّعوَةِ، أَهْلُهُ إِنْ أَعَانُوهُ على مَا هُوَ فِيهِ لَهُمْ مِثْلُ أَجْرِهِ لِأَنَّ الرَّسُولَ قَالَ: «**مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فَقَدْ غَزَا**»، الَّذِي يَذْهَبُ لِقِتَالِ الْكُفّارِ فِي سَبِيلِ اللهِ يَبْذُلُ نَفْسَه رُوحَهُ مِنْ أَجْلِ اللهِ يَقُولُ إِمَّا أَنْ أُقْتَلَ وَإِمَّا أَنْ أَعُودَ، هذَا أجْرُه عَظِيمٌ عندَ اللهِ فِي الآخِرَةِ. هؤلَاءِ الّذِينَ يُقَاتِلونَ الكُفَّارَ لدِينِ اللهِ، اللهُ تَعَالَى هَيَّأَ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ درجةٍ، بَيْنَ دَرَجَةٍ وَدَرَجَةٍ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، هذَا لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ. هَذَا الْمُجَاهِدُ الّذِي أجْرُه إلَى هذَا الْحَدِّ العظيمِ، الَّذِي يُسَاعِدُه، يُعْطِيهِ مَا يَحْتَاجُهُ لِلْجِهَادِ كَأَنَّهُ غَزَا بِنَفْسِهِ، لَهُ أجْرٌ عَظِيمٌ، كذلك الَّذِي يُعَلِّمُ عِلْمَ الدّينِ علمَ أهلِ السُّنَّةِ لَهُ أجْرٌ عَظِيمٌ عِنْدَ اللهِ وَالَّذِي يُسَاعِدُه أَجْرُهُ عَظِيمٌ، الْيَوْمَ أَفْضَلُ الْجِهَادِ هُوَ إِحْيَاءُ عِلْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ، لأَنَّهُ بِسَبَبِ قِلَّةِ مَنْ يَفْهَمُ عِلْمَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَثُرَ الْمُفْسِدُونَ وَأَثَّرُوا فِي النَّاسِ، وَإِلَّا لَوْ كَانَ عِلْمُ أَهْلِ السُّنَّةِ مُنْتَشِرًا فِي النَّاسِ مَا وَجَدُوا مَنْ يَتَّبِعُهُمْ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «وَالَّذِينَ يَعْمَلُونَ لِنَشْرِ هذَا يُرْجَى لَهُمْ دَرَجَةُ الشَّهَادَةِ وَلَوْ مَاتُوا عَلَى فِرَاشِهِمْ، قَالَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم: «**الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ**». فَيَا فَوْزَ مَنْ تَعَلَّمَ هذَا وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ وجَدَّ فِي ذلِكَ واجْتَهَدَ، وقَدْ تَحَقَّقَ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ فَإِنَّهُ فِي هذا الزَّمَنِ كَثُرَ مَنْ يُحَرِّفُوْنَ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ أَيْ شَرِيعَتَهُ العَقِيدَةَ وَالْأَحْكَامَ أَضَاعُوا ذلِك تَمَسَّكُوا بِآرَائِهِمْ ويَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى ذلِكَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْهُمْ. وَالَّذِينَ يُعَاكِسُونَ أَوْلَادَهُمْ وَأَزْوَاجَهُمْ مِنَ السَّعْيِ فِي ذَلِكَ فَقَدْ حُرِمُوا خَيْرًا كَثِيرًا وَيَلْحَقُهُمْ ذنبٌ كَبِيرٌ، لأَنَّ عقيدَةَ أهلِ السُّنَّةِ هِيَ أصْلُ الإسلَامِ، فَمَنْ فَاتَتْهُ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا كَبِيرًا وَلَا يَرْضَى بِذلِكَ لِنَفْسِهِ مَنْ عَرَفَ قَدْرَ الآخرَةِ. وَقَوْلُ الرَّسُولِ صلى الله

عليه وسلم: «**سُنَّتِي**» أَرَادَ العقيدَةَ والأَحْكَامَ لَيْسَ السُّنَنَ النَّوَافِلَ وَإِنْ كَانَتْ النَّوَافِلُ لَهَا شَأْنٌ عَظِيمٌ فِي الدِّينِ».

الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم «**الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي لَهُ أَجْرُ شَهِيْدٍ**» مَعْنَى سُنَّتِي أَيْ شَرِيعَتِي العَقِيدَةُ وَالأَحْكَامُ كُلُّ هَذَا سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ مَعْنَى سُنَّتِي سُنَّةَ الظُّهْرِ أَوْ سُنَّةَ العَصْرِ أَوِ المغْرِبِ وَالسِّوَاكَ، لَيْسَ هَذَا مَعْنَاه، مَعْنَى سُنَّتِي العَقِيدَةُ وَالأَحْكَامُ شَرِيعَتِي وَظَهَرَ صِدْقُ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ.

فَهَنِيئًا لِمَنْ تَعَلَّمَ عِلْمَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَتَمَسَّكَ بِهِ وَدَافَعَ عَنْهُ المخَالِفِينَ، وَمَا أَعْظَمَ هَذَا الأَجْرَ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَغْزُوَ غَزْوَةً فِي سَبِيلِ اللهِ يَنَالُ أَجْرَ شَهِيدِ المعْرَكَةِ نَعَمْ مَثَلُ شَهِيدِ المعْرَكَةِ مَثَلُ الَّذِي يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، الشُّهَدَاءُ الَّذِينَ نِيَّاتُهُمْ صَحِيحَةٌ وَعَقِيدَتُهُمْ صَحِيحَةٌ لَوْ بَقِيَ أَحَدُهُمْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ سِنِينَ طَوِيلَةً لا يَنْتَفِخُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**المتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ**» دَرَجَةُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى عَظِيمَةٌ، مِنْهَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَعَدَّ لِلشُّهَدَاءِ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَة، مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ وَالدَّرَجَةِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، هَذِهِ الدَّرَجَاتُ كُلُّهَا لِلْمُجَاهِدِينَ لِلشُّهَدَاءِ، وَاليَوْمَ مَنْ يَسْعَى لِتَأْيِيدِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ مُتَمَسِّكًا بِهَا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ شَهِيدٌ، وَأَنْتُمْ وَللهِ الحَمْدُ عَلَى هَذِهِ العَقِيدَةِ فَأَبْشِرُوا بِهَذَا الأَجْرِ العَظِيمِ، وَمَا أَعْظَمَ هَذَا الأَجْرَ لأَنَّهُ مَعْلُومٌ اليَوْمَ بِأَنَّهُ انْتَشَرَ بَيْنَ النَّاسِ دُعَاةٌ إِلَى ضِدِّ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الرَّسُولُ وَالصَّحَابَةُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِالتَّسَلْسُلِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا وَأَنْتُمْ

عَلَى هَذِهِ العَقِيدَةِ وَتَسْعَوْنَ إِلَى تَأْيِيدِهَا فَاحْمَدُوا اللهَ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَإِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى تَنَالُونَ هَذَا الأَجْرَ العَظِيمَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَبْشِرُوا فَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ ذُخْرًا كَبِيرًا، كُلُّ مَنْ كَانَ عَلَى عَقِيدَةِ الرَّسُولِ وَيُدَافِعُ عَنْهَا وَيَمُوتُ عَلَيْهَا فَهُوَ شَهِيدٌ لِأَنَّ الرَّسُولَ قَالَ: «**الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ**». رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»، قِيلَ: وَمَنْ هُمُ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مِنْ سُنَّتِي مَا أَفْسَدَ النَّاسُ**». سُنَّةُ الرَّسُولِ هِيَ شَرِيعَتُهُ، الْعَقِيدَةُ وَالْأَحْكَامُ، وَالْيَوْمَ أَمْرٌ ظَاهِرٌ أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ فَسَدُوا، قِسْمٌ بِفَسَادِ الْعَقِيدَةِ حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الْإِسْلَامِ وَقِسْمٌ فَسَدُوا مِنْ غَيْرِ الْخُرُوجِ مِنَ الْإِسْلَامِ بِانْحِرَافِهِمْ عَنْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَعَمَلِهِمْ بِالْأَحْكَامِ الْمُخَالِفَةِ لِلشَّرِيعَةِ، وَهَذَا مِصْدَاقُ مَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ».

الْمُؤمِنُ مِرْءَاةُ أَخِيهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**الْمُؤمِنُ مِرْءَاةُ أَخيهِ**» أَخْرَجَهُ الترمذيُّ. معناهُ ينصحُهُ، الْمِرْءَاةُ أليسَ تكشِفُ ما يَكونُ فِي وَجْهِ الإِنْسَانِ مِمَّا لَا يُعْجِبُ لِيُزَالَ؟! الرَّسُولُ شبَّهَ الْمُؤْمِنَ بِالْمِرْءَاةِ، معناهُ الْمُؤْمِنُ يَدُلُّ أخاهُ لِإزالةِ مَا فِيهِ مِنَ الأَمرِ الْقَبِيحِ، يقولُ لَهُ: اترُكْ هذا الفعلَ، لا يترُكُهُ على ما هو عليهِ بل يُبَيِّنُ لهُ. والنصيحةُ هِي أن يُعِينَ الرَّجُلُ أخَاهُ على مَا يُرضِي اللهَ، ويَبْتَعِد عَمَّا يُسْخِطُ اللهَ. فمَنْ عَمِلَ بِهذا فهُوَ من المفلحِينَ، ومن لَمْ يعملْ فهو من الخاسِرِينَ».

مَنْ سَتَرَ على مسلمٍ عورةً:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ أَحَدُهُمْ:

لِسَـــانُكَ لَا تَــذْكُرْ بِــهِ عَــوْرَةَ امْــرِئٍ فَكُلُّـــكَ عَـــوْرَاتٌ وَلِلنَّـــاسِ أَلْسُـــنُ

فَذِكْرُ عَوْرَاتِ النَّاسِ إنْ لَمْ يَكُنْ لِسَبَبٍ شَرْعِيٍّ كالتحذيرِ الواجِبِ لا يَجوزُ. مَنْ مِنَّا يَخْلُو مِنَ الْعُيُوبِ؟! وفي الْحَدِيثِ: «**مَنْ سَتَرَ على مسلمٍ عورةً كان كمَنْ أحيا مَوْءُودَةً مِنْ قبرِها**» مَعْنَاهُ الذي يَسْتُرُ عَوْرَةَ مسلمٍ لَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ كَأَنَّهُ أَحْيَا الْبِنْتَ الَّتِي قُتِلَتْ صَغِيرَةً بِدَفْنِهَا حَيَّةً، مَعْنَاهُ كأنَّه أنقذَها قبلَ أنْ تموتَ».

كَثْرَةُ الضَّحِكِ لَا خَيْرَ فِيهَا:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه قالَ: كانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم طويلَ الصَّمْتِ قليلَ الضَحِكِ، كانَ ضَحِكُهُ تبسُّمًا. وفي الحديثِ الذي أخرجه ابن حبان «**إيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ فإنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ يُمِيتُ القَلْبَ وَيَذْهَبُ بِمَاءِ الوَجْهِ**». معناه الذي يُكْثِرُ الضَحِكَ هَيْبَتُهُ تَسْقُطُ، وَقَلْبُهُ يَكُونُ فَاسِدًا. لذلكَ كَثْرَةُ الضَّحِكِ لا خَيْرَ فِيهَا».

لَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ، وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**لَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ، وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ**» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي مُسْنَدِهِ، وهو صَحِيحٌ بِلَا خِلَافٍ فَاعْمَلُوا بِهِ. مَعْنَى هَذَا الحديثِ أنَّ المسلمَ لَا يَكُونُ دِينُهُ كامِلًا إِلَّا بِوَفَاءِ الْعَهْدِ. وَإِيمَانُ الْمُؤمِنِ أيضًا لَا يَكُونُ كامِلًا إِلَّا بحفظِ الأَمانةِ».

تَرْكُ الْغَضَبِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِتَرْكِ الْغَضَبِ، عَلَيْكُمْ بِتَرْكِ الْغَضَبِ، الْغَضَبُ يَهدِمُ الدِّينَ. بَعْضُ النَّاسِ بِسَبَبِ الْغَضَبِ يَكْفُرُونَ، بَعْضُ النَّاسِ يَغْضَبُونَ عَلَى اللهِ فيَكْفُرُونَ. حَكَتْ لَنَا امرأةٌ تَعِيشُ هنا في بيروت، قالَتْ: لِي أختٌ فِي سُوريَا، تُوُفِّيَتْ أختِي فَذَهَبْتُ إِلَى الشَّامِ ووَصَلْتُ بَعْدَ الْعَصْرِ وكانَتْ دُفِنَتْ قبل وُصُولِنَا. ولَحِقَ بِي أولادِي ووَصَلُوا بعدَ الْغُرُوبِ فَذَهَبْنَا إِلَى الْقَبْرِ لَيْلًا مَعَ أَوْلَادِ وَبَنَاتِ الَّتِي تُوُفِّيَتْ. فصَارَ الْقَبْرُ يَدُقُّ، صَارَ يَطْلُعُ صَوْتٌ وَالتُّرَابُ يَتَحَرَّكُ. أَوْلَادُ أُخْتِي لَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ حَفَرُوا القبرَ قالُوا: لَعَلَّهَا دُفِنَتْ وهي حَيَّةٌ، لَعَلَّهَا تَكُونُ بعدُ حَيَّةً، فَوَجَدُوا الْجُثَّةَ سَوْدَاءَ فَأَعَادُوا التُّرَابَ عَلَيْهَا. وَبَعْدَ أَنْ أَعَادُوا التُّرَابَ عَلَيْهَا عَادَ التُّرَابُ إِلَى الرَجِّ، إِلَى التَّحَرُّكِ. كَانَتْ دُفِنَتْ عَلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ وَالْقَبْرُ فُتِحَ قَرِيبَ الْعِشَاءِ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ جَاءَهُمْ إِلَى الْبَيْتِ الْحَفَّارُ، وَقَالَ إِنَّ الصوتَ يَخرُجُ مِنَ الْقَبْرِ. قَالَتْ: كَانَتْ تُصَلِّي ولَكِنَّهَا أَسْقَطَتِ الْحملَ خَمسَ مَرَّاتٍ فَقَالَتْ: «لِمَ أُصَلِّي؟ يَقتُلُ لِي أَولَادِي، لَا أُصَلِّي لَهُ!!». هَذَا الْكَلَامُ كُفرٌ، مَنْ يَقُولُ هَذَا خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ. هذهِ المرأةُ غَضِبَتْ عَلَى رَبِّهَا مَا صَبَرَتْ فَكَفَرَتْ. لَو قَالَتْ: الحمدُ للهِ، كَانَ كُتِبَ لَهَا أَجرٌ لَكِن اعتَرَضَتْ فَكَفَرَتْ. الاعتِرَاضُ على اللهِ كُفرٌ، جَعَلَتِ اللهَ ظَالِمًا، اللهُ حَكَمٌ عَدلٌ مَن وَصَفَهُ بالظُلمِ كَفَرَ. صَارَتْ مِن أَهلِ النَّارِ. فِي القَبرِ تَتَعَذَّبُ، وفِي الآخرةِ أشدُّ. اللهُ يُحسِنُ عَاقِبَتَنَا اللهُ يُحسِنُ عَاقِبَتَنَا اللهُ يُحسِنُ عَاقِبَتَنَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُم بِتَركِ الغَضَبِ وتَقلِيلِ الكَلَامِ. هذا شىءٌ عَظِيمٌ مَنْ عَمِلَ بهِ سَلِمَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الشَّرِّ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِتَقْلِيلِ الْكَلَامِ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ وَعَلَيْكُمْ بِتَقْلِيلِ الرَّفَاهِيةِ وتَركِ الغَضَبِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مُجَاهَدَةُ النَّفسِ وَاجِبَةٌ بتَركِهَا الْمُحَرَّمَاتِ وإِلزَامِها الوَاجِبَاتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: بَعْضُ النَّاسِ اللَّهُ إذا أكرَمَهُم يَسَّرَ لَهُمُ الْعَمَلَ الصالِحَ الَّذِي يَعْجِزُ عنهُ العددُ الكثيرُ مِن أهلِ عَصْرِنَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «ضَبْطُ النَّفْسِ عِنْدَ الغَضَبِ مِنْ أَكْبَرِ الوَسَائِلِ لِلنَّجَاةِ، فِيهِ حِفْظُ الدِّينِ وَحِفْظُ البَدَنِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ الْإِنْسَانَ الشَّدِيدَ فِي الْمَعْنَى هُوَ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ فَلَا تَنْسَاقُوا وَرَاءَ الْغَضَبِ بَلْ عَوِّدُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى تَرْكِ الْغَضَبِ إِلَّا للهِ. يَقُولُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ النَّاسَ وَلَكِنَّ الشَّدِيدَ مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»، وَيَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُوصِيًا مَنِ اسْتَوْصَاهُ: «**لَا تَغْضَبْ**» ثَلَاثًا.

وَقَالَ رضي الله عنه: «خَيْرُ خِصَالِ الإنْسَانِ أَنْ يَكُونَ بَطِيءَ الغَضَبِ سَرِيعَ الرِّضَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «المُؤْمِنُ بَطِيءُ الغَضَبِ سَرِيعُ الرِّضَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الاستِشْعَارِ بِالغَضَبِ سَلِمَ وَنَجَا مِنَ الهَلاكِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الحِلْمُ مِنْ أَحْسَنِ الخِصَالِ، الحِلْمُ مِنْ أَفْضَلِ الخِصَالِ فَمَنْ فَقَدَ الحِلْمَ لا يَكْثُرُ نَفْعُهُ، الحَلِيمُ هُوَ الَّذِي لا يَسْتَفِزُّهُ الغَضَبُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنِ اتَّبَعَ الغَضَبَ لا بُدَّ أَنْ يَهْلِكَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ تَعَالَى عَلَّمَ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ أَنَّ ءَافَاتِ الغَضَبِ كَثِيرةٌ وَكَبِيرَةٌ، كَثِيرٌ مِنَ الكُفْرِ إِنَّمَا يَحْصُلُ مِنَ الإِنْسَانِ فِي حَالِ الغَضَبِ، وَكَثِيرٌ مِنَ المشَاجَرَاتِ مَا بَيْنَ الأَهْلِ وَبَيْنَ الأَصْدِقَاءِ تَحْصُلُ فِي حَالِ الغَضَبِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الغَضَبُ مِنْ أَكْثَرِ أَسْبَابِ الشَّرِّ، الغَضَبُ كَثِيرُ المفَاسِدِ، يُخْرِجُ الرَّجُلَ مِنْ دِينِهِ أَحْيَانًا، وَأَحْيَانًا يُعَكِّرُ عَلَيْهِ أَمْرَ مَعِيشَتِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لَوْ كُنَّا نَعْمَلُ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تَغْضَبْ كُنَّا سَلِمْنَا مِنْ هَذِهِ المهَالِكِ وَالمعَايِبِ الَّتِي هِيَ فِيهَا عَيْبٌ فِي الدُّنْيَا وَعَذَابٌ فِي الآخِرَةِ».

مُخَالَفَةُ النَّفْسِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اجتَمَعَ وَلِيَّانِ أَحدُهُما وَجدَ الآخَرَ مُتَرَبِّعًا فِي الهوَاءِ فَقَالَ لَهُ الآخَرُ: «بِمَ وَصَلْتَ إلى هذا؟»، فقال: «بِمُخَالَفَةِ النَّفسِ»».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مُخَالَفَةُ النَّفْسِ تُعِينُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَعْمَالِ البِرِّ الَّتِي تُقَرِّبُ مِنَ اللهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِغَلَبَةِ النَّفْسِ بِالجُهْدِ بِالبَدَنِ وَالْمَالِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مِنْ أَسْبَابِ الخِذْلانِ وَالتَّدَهْوُرِ فِي أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا الكَسَلُ أَيْ ضَعْفُ الهِمَّةِ عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَالعَجْزُ أَيْ سُوءُ الفَهْمِ لِطُرُقِ الْمَصَالِحِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مُخَالَفَةُ النَّفْسِ تُعِينُ عَلَى مَا يُرْضِي اللهَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهَ اللهَ يَا عِبَادَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِمُخَالَفَةِ الهوَى، عَلَيْكُمْ بِالتَّحَابِّ وَمُخَالَفَةِ الهوَى، لا تُفْلِحُونَ إلا أَنْ تُخَالِفُوا الهوَى».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُبَارَكَ لَهُ فِي وَقْتِهِ فَلْيُكْثِرْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَتَهْذِيبِ النَّفْسِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مُحَارَبَةُ النَّفْسِ شِفَاؤُهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «التَّعَبُ فِي الطَّاعَةِ رَاحَةٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي لَا يُخَالِفُ هَوَاهُ لَا يَرْقَى، مَنْ عَرَفَ قَدْرَ الْآخِرَةِ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ وَهَانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «طَرِيقُ التَّقْوَى أَي مَخَافَةِ اللهِ غَيْرُ طَرِيْقِ الهَوَى أَي مَيْلِ النَّفْسِ، النَّفْسُ تَمِيلُ إِلَى الحَرَامِ، إِلَى المَعَاصِي، وَالتَّقْوَى تَحْجِزُ الإِنْسَانَ عَنِ المحَرَّمَاتِ الَّتِي تَشْتَهِيهَا النَّفْسُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «المؤْمِنُ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَتَرَقَّى فِي الكَمَالاتِ، يُخَالِفُ نَفْسَهُ فِي تَحَمُّلِ البَرْدِ القَارِسِ لأَجْلِ الصَّلاةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مُخَالَفَةُ الهَوَى صَعْبٌ، قَلِيلٌ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ لِلطَّرِيقَةِ مَنْ يُخَالِفُ هَوَاهُ فَيَصِيرُ مِنَ الأَوْلِيَاءِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «النَّفْسُ تَشْتَهِي الاسْتِعْلاءَ وَالتَّعَدِّيَ عَلَى النَّاسِ وَالاسْتِرْسَالَ فِي المَلَذَّاتِ وَتَشْتَهِي الرَّاحَةَ، فَالإِنْسَانُ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَتَجَنَّبَ أَيْ يَبْتَعِدَ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ عَلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ مَا تَمِيلُ إِلَيْهِ النَّفْسُ فَيُخَالِفَهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ خَالَفَ نَفْسَهُ لِإِرْضَاءِ اللهِ تَعَالَى فَقَدْ أَحْيَاهَا، يَكُونُ أَحْيَا نَفْسَهُ، يَكُونُ أَكْرَمَ نَفْسَهُ، وَأَمَّا مَنِ اسْتَرْسَلَ فِي هَوَاهَا وَأَطَاعَهَا فَقَدْ أَذَلَّ نَفْسَهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ وَاجِبَةٌ بِتَرْكِهَا المُحَرَّمَاتِ وَإِلْزَامِهَا الوَاجِبَاتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «النَّفْسُ كَمَا وَصَفَهَا اللهُ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي، الَّذِي حَفِظَهُ اللهُ يَسْلَمُ مِنْ شَرِّ النَّفْسِ، أَمَّا الَّذِي لَمْ يَحْفَظْهُ اللهُ وَهُمْ أَكْثَرُ البَشَرِ لا يَسْلَمُونَ مِنْ

شَرِّ النَّفْسِ لأَنَّ النَّفْسَ لَهَا مَزَالِقُ، مَزَالِقُ مِنْ طَرِيقِ اللسَانِ، وَمَزَالِقُ مِنْ طَرِيقِ اليَدِ، وَمَزَالِقُ مِنْ طَرِيقِ الرِّجْلِ، وَمَزَالِقُ مِنْ طَرِيقِ السَّمْعِ وَمَزَالِقُ مِنْ طُرُقٍ أُخْرَى».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مِنْ أَدْعِيَةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالبُخْلِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وقَهْرِ الرِّجَالِ**»، فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يعمَلَ بِهَذَا الْحَدِيثِ فَيَكُونَ دَائِمًا عَلَى عَمَلِ الْخَيْرِ مُسْتَمِرًّا ويُخَالِفَ هَوَاهُ، فَالنَّفْسُ تَمِيلُ إِلَى الرَّاحَةِ، وَالنَّجَاحُ فِي مُخَالَفَةِ النَّفْسِ. وَالعَجْزُ الَّذِي اسْتَعَاذَ منه الرَّسُولُ لَيْسَ الضَّعْفَ الْجِسْمَانِيَّ، بَلْ ضَعْفَ الْهِمَّةِ وَالفِكْرِ وَالنِّيَّةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لَا يَلِيقُ بِكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَقَلَّ اهْتِمَامًا بِمَصْلَحَةِ بَلَدِكُمْ مِنْ غيرِكم، وقَدْ نَصَحْنَاكُمْ بِتَرْكِ الكَسَلِ الَّذِي اسْتَعَاذَ مِنْهُ الرَّسُولُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الْأَمَانِيَّ**».

مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الْعَاقِلَ حَقَّ الْعَاقِلِ مَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ. مَعْنَى غَلَبَةِ النَّفْسِ هُوَ أَنْ يَقْهَرَ نَفْسَهُ عَلَى أَدَاءِ مَا فَرَضَ اللهُ وَاجْتِنَابِ مَا حَرَّمَ اللهُ، هَذَا الْعَاقِلُ حَقُّ الْعَاقِلِ. أَيْ لَيْسَ الْعَاقِلُ مَنْ لَهُ فَهْمٌ وَذَكَاءٌ فِي جَمْعِ الْمَالِ إِنَّمَا الْعَاقِلُ حَقُّ الْعَاقِلِ هُوَ الَّذِي غَلَبَ نَفْسَهُ، قَهَرَهَا فَأَدَّى مَا فَرَضَ اللهُ مِنَ الْوَاجِبَاتِ كُلِّهَا وَاجْتَنَبَ مَا حَرَّمَ اللهُ مِنَ الْمَعاصِي كُلِّهَا.

هَذَا الْعَاقِلُ حَقُّ الْعَاقِلِ، هَذَا الَّذِي غَلَبَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِآخِرَتِهِ، هَذَا الْعَاقِلُ حَقُّ الْعَاقِلِ.

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ نَفْسُهُ مَيَّالَةٌ إِلَى الرَّاحَةِ وَالشَّهَوَاتِ أَيِ الْمُسْتَلَذَّاتِ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. الْإِنْسَانُ مَجْبُولٌ عَلَى هَذَا فَمَنْ قَهَرَ نَفْسَهُ أَدَّى الْوَاجِبَاتِ

كُلَّهَا وَاجْتَنَبَ الْمَعَاصِيَ كُلَّهَا وَاسْتَعَدَّ لِمَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، هَذَا الْإِنْسَانُ هُوَ الْعَاقِلُ حَقُّ الْعَاقِلِ.

وَمِنَ الْوَاجِبَاتِ بَلْ أَفْضَلُ الْوَاجِبَاتِ هُوَ الْعِلْمُ، الْعِلْمُ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِأُمُورِ دِينِ اللهِ هَذَا أَفْضَلُ الْعِلْمِ، فَمَنْ حَصَّلَ هَذَا وَأَدَّى بَقِيَّةَ الْوَاجِبَاتِ وَاجْتَنَبَ جَمِيعَ الْمُحَرَّمَاتِ هَذَا هُوَ الْعَاقِلُ حَقُّ الْعَاقِلِ. أَمَّا مَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ كَأَنَّهُ لَا عَقْلَ فِيهِ وَإِنْ كَانَ لَهُ فَهْمٌ وَذَكَاءٌ فِي جَمْعِ الْمَالِ، لِأَنَّهُ انْشَغَلَ عَمَّا يَنْفَعُهُ فِي الدَّارِ الْأَبَدِيَّةِ».

تَرْكُ الرِّيَاءِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «النَّفسُ مَجْبُولَةٌ عَلَى الرِّيَاءِ، وَالتَّخَلُّصُ مِنْهُ مِنْ أَصْعَبِ الأَشْيَاءِ عَلَى النَّفْسِ، النَّفْسُ لا تَطْهُرُ طَهَارَةً تَامَّةً مِنَ الرِّيَاءِ إِلا بَعْدَ مُجَاهَدَةٍ».

مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ**». حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الترمذيُّ وَغَيْرُهُ. من علامةِ قُوَّةِ الرَّجُلِ في دينِهِ أن يتركَ ما لا فائدةَ فيهِ مِن كَلامٍ وغيرِ ذلكَ. رَوَى ابنُ حبانَ أنَّ فِي صُحُفِ إبراهيمَ عليهِ السلامُ: «**على الْمَرءِ العاقلِ أن لا يَشتَغِلَ إلا بِمَا يعْنِيهِ**»».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مُجَاهَدَةُ النَّفسِ وَاجِبَةٌ بتَرْكِهَا الْمُحَرَّمَاتِ وإِلزَامِها الوَاجِبَاتِ».

تَحْسِينُ الظَّنّ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ الفَارُوقُ عُمَرُ رضي الله عنه: «مِنَ الْخِصَالِ القَبِيحَةِ أَنْ يظنَّ المسلمُ بكلمةٍ خرجَتْ مِنْ فَمِ أَخِيه المسلمِ سُوءًا وهو يَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمِلًا». وقَدْ صَحَّ فِي الْحَديثِ الْمَرْفُوعِ: «**وَلْتَأْتِ إِلَى النَّاسِ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يَأْتُوكَ**» لأَنَّ هذَا الإنسَانَ يُحِبُّ أَنْ يُحَسِّنَ الناسُ الظنَّ بِهِ، فليَفْعَلْ مثلَ ذلكَ بِغَيْرِهِ مِن المسلمِينَ فَيَكُونُ عَمِلَ بِهذَا الْحَدِيثِ وبِالْحَديثِ الْآخَرِ الَّذِي هو صحيحٌ أيضًا: «**لَا يُؤْمِنُ أحدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» وَبِالْحَديثِ الآخَرِ: «**وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**» وهو أيضًا صحيحٌ. وَأَمَّا مَا رواهُ البخاريُّ أنَّ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ وَإِنَّ الوَحْيَ قَد انْقَطَعَ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمِنَّاهُ وقَرَّبْنَاهُ وَصَدَّقْنَاهُ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا غَيْرَ ذلِكَ لَمْ نَأْمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ وَإِنْ قَالَ إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ». فهذَا الْمُرَادُ بِهِ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ فِي الْخَيْرِ مَحْمِلًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ ولَا يُسْلِمُهُ[1] ولا يَحْقِرُهُ**». فَمَنْ عَمِلَ بِهذَا الْحَدِيثِ رَفَعَهُ اللهُ دَرَجَاتٍ، فَمَنْ أَرَادَ التَّرَقِّيَ وَحُسْنَ الْحَالِ عِنْدَ اللهِ فَلْيَعْمَلْ بِهذا الْحَديثِ، وَلْيَتَوَاضَعْ لِأَخِيهِ وليُحَسِّنِ الظَّنَّ بِهِ، إِنَّ تَحْسِينَ الظَنِّ يُسبِّبُ الْمُعَامَلَةَ الْحَسَنَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فيحصُلُ لَهُ حُسْنُ الْخُلُقِ وهو عمَلُ الْمَعْرُوفِ وَكَفُّ الْأَذَى عَنِ الغَيْرِ وتَحَمُّلُ أذَى الغَيْرِ، هذِهِ سِيرَةُ الأنبِيَاءِ والأَوْلِيَاءِ».

وَقَالَ: «مَنْ حَسُنَ ظَنُّهُ طَابَ عَيْشُهُ».

(1) ولا يسلمه: مَعْنَاهَا لَا يَتْرُكُهُ يُظْلَمُ وَهُوَ يَسْتَطِيعُ دَفْعَ الظُّلْمِ عَنْهُ.

حِكَمٌ

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: «مُحَارَبَةُ النَّفسِ شِفَاؤُهَا»».

وَقَالَ رضي الله عنه: «رَأْسُ الحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللهِ، أَيْ أَنَّ الفَهْمَ وَالعَقْلَ هُوَ مَخَافَةُ اللهِ، مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا تَقِيًّا هَذَا هُوَ العَاقِلُ، هَذَا هُوَ الحَكِيمُ، أَعْقَلُ النَّاسِ هُمُ المَتَّقُونَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**مَنْ وُلِّيَ القَضَاءَ فَقَدْ ذُبِحَ بغَيرِ سِكِّينٍ**»».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لِسَانُكَ حِصَانُكَ إِنْ حَرَسْتَهُ حَرَسَكَ وإِنْ أَطْلَقْتَهُ رَفَسَكَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ يَنتَفِعُ بِهِ النَّاسُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ أَعْظَمَ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْحِكْمَةُ مُوَاجَهَةُ الْأُمُورِ عَلَى حَسَبِ مَا يُتَوَقَّعُ مِنْهَا مِنْ مَنْفَعَةٍ وَمَضَرَّةٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الخَاسِرُ مَنْ عَمِلَ لِلمَالِ أَوْ لِلجَاهِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ لِلدِّينِ، إِنَّمَا لِلهَوَى وَالتَّرَفُّعِ عَلَى النَّاسِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ أَحَبَّهُ الأَتْقِيَاءُ فَهُوَ عِنْدَ اللهِ مَحْبُوبٌ، أَمَّا مَحَبَّةُ غَيْرِهِمْ فَلا عِبْرَةَ بِهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ حَضَرَ بِقَلْبِهِ مَا غَابَ، وَمَنْ غَابَ بِقَلْبِهِ مَا حَضَرَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «المسْكَنُ الوَاسِعُ مِنْ سَعَادَةِ الحَيَاةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «القَلْبُ إِذَا تَوَجَّهَ إِلَى شَيءٍ يَسْهُلُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْهَمَهُ وَأَنْ يَحْفَظَهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «كُلُّ دَاعِي خَيْرٍ يَلْقَى أَذًى مِنَ النَّاسِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَا لا يُدْرَكُ كُلُّهُ لا يُتْرَكُ بَعْضُهُ إِذَا كَانَتِ المصْلَحَةُ فِي ذَلِكَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ الفُقَهَاءُ: الوَجْهُ مَجْمَعُ المحَاسِنِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ أَقْفَلَ اللهُ قَلْبَهُ فَلا يَفْتَحُهُ أَحَدٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الجهل داء».

وَقَالَ رضي الله عنه:

«الصِّدْقُ فِي أَقْوَالِنَا أَقْوَى لَنَا وَالشَّرُّ فِي أَفْعَالِنَا أَفْعَى لَنَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الشَّخْصُ يُعْرَفُ بِكَلَامِهِ أَوْ بِفِعْلِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ أَقْفَلَ اللهُ تَعَالَى قَلْبَهُ مَهْمَا رَأَى مِنَ الدَّلائِلِ لا يُبْصِرُ ذَلِكَ الحَقَّ، لا يَفْهَمُ قَلْبُهُ ذَلِكَ الحَقَّ وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَرْكُ المأْلُوفِ أَشَدُّ مِنَ الضَّرْبِ بِالسُّيُوفِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أَدَبُ الظَّاهِرِ عُنْوَانُ أَدَبِ الْبَاطِنِ»[1].

وَقَالَ رضي الله عنه: «مُرَاعَاةُ الشَّرْعِ أَوْلَى مِنْ مُرَاعَاةِ خَاطِرِ النَّاسِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الَّذِي لا يَبْذُلُ جُهْدَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ فِي حَيَاتِهِ فَقَدْ فَاتَهُ الخَيْرُ وَيَبْقَى مَعَهُ النَّدَمُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْمَالُ فَحْصُ الرِّجَالِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ: الصَّبْرُ بِأَنْوَاعِهِ ضِيَاءٌ لِلقُلُوبِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «القَنَاعَةُ غِنَى القَلْبِ، القَلْبُ يَرْتَاحُ بِالقَنَاعَةِ».

---

(1) معناه من التزم أحكام الشريعة طبق على نفسه على ظاهره هذا يدل أيضًا أن قلبه موافق لظاهره.

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا يَحْفَظُهُ عَلَى عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَتْلُ الْمُسْلِمِ أَشَدُّ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَبِيحُ الكَلامِ سِلَاحُ اللِّئَامِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الاسْتِقَامَةُ قَائِمَةٌ عَلَى أَمْرَيْنِ: صَلاحِ الظَّاهِرِ وَصَلاحِ البَاطِنِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ العَادَاتِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنْ أَردتَ الرُّقِيَّ فَصَاحِبِ الأَخْيَارَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لَيْسَ الشَّرَفُ شَرَفَ الْمَالِ، الشَّرَفُ شَرَفُ الدِّينِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «فِي القُرَبِ لا يُؤْثِرُ الشَّخْصُ غَيْرَهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّ العَمَلِ إِلى اللهِ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ».

وَقَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا حِجَابٌ عَنِ الْخَيْرِ».

وَقَالَ: «الطَّمَعُ بِالْمَالِ أَسَاسُ الْخَرَابِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «القَنَاعَةُ بِاليَسِيرِ عَوْنٌ لِلإِنْسَانِ عَلَى سَلامَةِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْقَوْلُ بِالْحَقِّ لَا يُقَرِّبُ أَجَلًا وَلَا يَقْطَعُ رِزْقًا».

نَصَائِحُ جَامِعَةٌ

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَفْضَلِ الْمُرْسَلِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِهِ الطَّيِّبِينَ أَجْمَعِينَ، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ أَفْضَلَ الأَعْمَالِ الْتِزَامُ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَقِيدَةً وَأَحْكَامًا وَالثُّبُوتُ عَلَى ذلِكَ وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهَا أَيْ دَعْوَةُ النَّاسِ لِيَتَعَلَّمُوهَا، هذَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ**». الْجَمَاعَةُ الَّتِي عَنَاهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ أَهْلُ السُّنَّةِ الَّذِينَ هُمْ أَصْحَابُهُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ، هؤلَاءِ الْجَمَاعَةُ لَيْسَ الْمَعْنَى الْجَمَاعَةَ لِلصَّلَاةِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْتِزَامِهَا أَحَادِيثُ مِنْهَا حَدِيثُ: «**سِتَّةٌ لَعَنَهُمُ اللهُ وَلَعَنَهُمْ كُلُّ نَبِيٍّ مُجَاب؛ الزَّائِدُ فِي كِتَابِ اللهِ وَالْمُكَذِّبُ بِقَدَرِ اللهِ وَالْمُسْتَحِلُّ لِحُرَمِ اللهِ وَالْمُسْتَحِلُّ مِنْ عِتْرَتِي مَا حَرَّمَ اللهُ وَالْمُتَسَلِّطُ بِالْجَبَرُوتِ لِيُذِلَّ مَنْ أَعَزَّ اللهُ أَوْ يُعِزَّ مَنْ أَذَلَّ اللهُ وَالتَّارِكُ لِسُنَّتِي الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**». وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**وَالتَّارِكُ لِسُنَّتِي الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**» فِيْهِ حَثٌّ عَظِيمٌ عَلَى اتِّبَاعِ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَتَرْكِ الشُّذُوذِ عَنْهَا إِلَى مَا يُخَالِفُهَا، فَأَخْبَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ مَنْ تَرَكَ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ عَقِيدَةً وَعَمَلًا وَالْتَزَمَ غَيْرَ ذلِكَ فَهُوَ مَلْعُونٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ كُلِّ الأَنْبِيَاءِ، وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي يَسَّرَ لَنَا مَعْرِفَةَ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ نَحْمَدُهُ أَنْ جَعَلَنَا مُلْتَزِمِينَ بِمَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَقِيدَةً وَأَحْكَامًا فِي هذَا الوَقْتِ الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ الدُّعَاةُ إِلَى خِلَافِهَا بِاسْتِعْمَالِ طُرُقِ تَلْبِيسٍ وَتَمْوِيهٍ، وَهُمْ قِسْمَانِ: قِسْمٌ يَدَّعُونَ عِلْمَ الشَّرِيعَةِ وَأَنَّهُمْ هُمُ الْمُحِقُّونَ دُونَ مَنْ سِوَاهُمْ، وَقِسْمٌ مِنْهُمْ يَدَّعُونَ التَّصَوُّفَ. وَأَمَّا القِسْمُ الأَوَّلُ فَهُمُ الوَهَّابِيَّةُ وَحِزْبُ سَيِّد قُطْب الْمُسَمَّوْنَ الآنَ الْجَمَاعَةَ الإِسْلَامِيَّةَ وَالطَّائِفَةُ الثَّالِثَةُ حزبُ التَّحْرِيرِ، هؤلَاءِ خَالَفُوا مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّذِي هُوَ مذهبُ الصَّحَابَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا. أَمَّا الصِّنْفُ الَّذِينَ ضَلُّوا مَعَ دَعْوَاهُمْ التَّصَوُّفَ فَأَكْثَرُ هؤلاءِ اليومَ وَأَشَدُّهُمْ ضَلَالًا فِرْقَةٌ تُسَمَّى الشَّاذِلِيَّةَ اليَشْرُطِيَّةَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مِنَ النَّصَائِحِ الَّتِي مَرَّتْ على مَسَامِعِكُمْ وَهِيَ تَقلِيلُ التَّنَعُّمِ أَوْ تَرْكُه وَالنَّصِيحةُ الثَّانِيَةُ تَقلِيلُ الكَلامِ أي لا ينبغِي أَنْ يَتَكَلَّمَ الشَّخْصُ إلا فِيمَا يَعْنِيهِ أَي إِلا فِيمَا يَنفَعُهُ فِي دِينِه أَوْ فِي مَعَاشِه أي فِي أُمُورِ مَعِيشَتِه، وَيدخُلُ فِي ذلكَ إِينَاسُ الغَرِيبِ، مَنْ لَقِيَ مُسلِمًا غَرِيبًا مَطلُوبٌ أَنْ يُؤْنِسَهُ بِالكَلامِ الطَّيِّبِ وَلا يَتْرُكُه يَسْتَوْحِش.

وَلَيْسَ مَعْنَى تَقلِيلِ الكَلامِ أَنْ يَظَلَّ الرَّجُلُ مُطْبِقًا شَفَتَيْهِ لا يَتكلَّمُ لا بِخَيْرٍ وَلا بِشَرٍّ، لَا ! أمَّا بِالخَيرِ فَيَتَكلَّمُ وَيُكْثِرُ جُهْدَهُ مِن ذِكْرِ اللهِ تَعَالى وَتَعلِيمِ النَّاسِ مَا يَنفَعُهُم فِي دِينِهِم ومَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَالأَمْرُ الثَّالِثُ تَرْكُ الغَضَبِ فَإِنَّ الغَضَبَ مَهْلَكَةٌ كَبِيرَةٌ مَا أَكْثَرَ مَنْ يَهْلِكُون بِسَبَبِ الغَضَبِ، كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الَّذينَ يتكَلَّمُونَ بِأَلفِاظِ الكُفْرِ إِنَّمَا يَتَكَلَّمُونَ بِسَبَبِ الْغَضَبِ، يَكُونُ سَبَبُ كُفْرِهِم الغَضَبَ، فَيَحْمِلُهُمُ الغَضَبُ إِلى الكُفْرِ، وَكَذَلِكَ القَطِيعَةُ بَيْنَ المتَحَابّينَ وَبَيْنَ الأَقَارِبِ أَكْثَرُ أَسْبَابِهَا الغَضَبُ.

أَمَّا تَرْكُ التَّنَعُّمِ فَفِيهِ فَوَائِدُ كَبِيرَةٌ لِمَن تَأَمَّلَ، لأنَّ التَّنَعُّمَ يَدْعُو الإنْسَانَ إِلى الجَشَعِ وَزِيادَةِ الطَّمَعِ فِي حُبِّ المالِ، ثُمَّ إِنَّ الإِنْسَانَ إِذَا تَعَوَّدَ التَّنَعُّمَ ثُمَّ تَغَيرَتْ حَالَتُهُ، يُحَاوِلُ أَنْ يَصِلَ إِلى ذلكَ التَّنَعُّمِ بِأَيِّ وَسِيلَةٍ مِنَ الوَسَائِلِ، إِنْ كَانَ بِطَرِيقِ الحَلالِ، وَإِنْ كَانَ بِطَرِيقِ الحَرَامِ، هَمُّه أَنْ يَعُودَ إِلى ذلكَ التَّنَعُّمِ إِلى الحَالِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مِنَ التَّنَعُّمِ، هَذَا هَمُّه.

ثُمَّ إِنَّ التَّنَعُّمَ مَبْخَلَةٌ أَي يُخَلّي الإِنسانَ يَبْخَلُ عَنِ الدَّفعِ فِي وُجُوهِ الخَيرِ يَقُولُ إِذَا دَفعتُ هَذَا المالَ لهذَا الْمِسْكِين أَو لِهَذِه المصْلَحَةِ الدِّينِيَةِ يَضْعُفُ تَنَعُّمِي أَو يَذْهَبُ تَنَعُّمِي فَيَبْخَلُ عَمَّا فِيهِ فَلاحُه وَيَكُونُ حَاجِزًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْمَالِ البِرِّ وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى أعلمُ».

وَقَالَ: «فِي حَدِيثِ الرَّسُولِ إِذَا ذُكِرَتْ السُّنَّةُ فَهِيَ شَرِيعَتُهُ العقِيدَةُ والأَحْكَامُ وَلَيْسَ مَعْنَاهَا سُنَّةَ الظُّهْرِ وَسُنَّةَ العَصْرِ وَصِيَامَ شَوَّالٍ وَاسْتِعْمَالَ السِّوَاكِ وَلُبْسَ العِمَامَةِ

وَغَيْرَ ذلِكَ كَمَا يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ[1]، هَذَا جَهْلٌ مِنْهُمْ بِأَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الرَّسُولُ إِذَا ذَكَرَ سُنَّتَهُ الْمُرَادُ بِهَا شَرِيعَتُهُ الفَرْضُ وَالنَّفْلُ كُلٌّ سُنَّتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْحَمْدُ للهِ وَصَلَّى اللهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَسَلَّمَ. أُوصِيكُمْ بِالتَّطَاوُعِ عَمَلًا بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ وَمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حِينَ وَجَّهَهُمَا إِلَى اليَمَنِ: «**تَطَاوَعَا يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا**»، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يعمَلُ بِإِصلاحِ أُمُورِ النَّاسِ فِي نَجْدِ اليَمَنِ وَالآخَرُ فِي تِهَامَةَ، ثُمَّ يَلْتَقِيَانِ بَعْدَ كُلِّ بُرْهَةٍ، فَاقْتَدُوا بِهِمَا، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَافُرَ وَالتَّرَفُّعَ عَلَى الإِخْوَانِ. وَأُوصِيكُمْ بِأَنْ يُحِبَّ أحدُكُمْ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ حَتَّى فِي أُمُورِ الْمَعِيشَةِ، فَمَا يُحِبّ لِنَفْسِهِ مِنَ الأَمْرِ الْحَسَنِ فِي أَمْرِ الْمَعِيشَةِ فَلْيُحِبَّهُ لأَخِيهِ وَأَمَّا أَمْرُ الدِّينِ فَهُوَ أَوْكَدُ.

وَإِيَّاكُمْ وَالتَّوْرِيَاتِ الَّتِي يَحْصُلُ مِنْهَا ضَرَرٌ عَلَى الأَخِ وَلَا تَسْتَعْمِلُوا التَّوْرِيَةَ إِلَّا لِضَرُوْرَةٍ شَرْعِيَّةٍ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ يَقُولَ أحدُكُمْ لِشَخْصٍ هِبْنِي كَذَا أَوْ وَهَبْتُكَ كَذَا لَا عَلَى وَجْهِ الْهِبَةِ الشَّرْعِيَّةِ بَلْ لِلتَّمْوِيهِ عَلَى أَخِيهِ فَيَتَوَهَّم أحدُ الطَّرَفينِ أَنَّهَا هِبةٌ حَقِيقِيَّةٌ وَالآخَرُ لَا يَعْتَبِرُهَا كذلِكَ بَلْ يُضْمِرُ فِي نَفْسِهِ خلافَ ذلِكَ فَيُؤَدِّي ذلِكَ فِيمَا بَعْدُ إِلَى التَّنَافُرِ وَالوَحْشَةِ وَتَبَاعُدِ القُلُوبِ وعَدَمِ الثِّقَةِ.

وَعَلَيْكُم بِحُسْنِ الظَّنِّ إِلَّا إِنْ ظَهَرَ لَكُمْ مِنْ شَخْصٍ مَا يَقْتَضِي شَرْعًا التَّحْذِيرَ مِنْهُ، ثُمَّ التَّحْذِيرُ لِيَكُنْ بِحِكْمَةٍ.

---

(1) كان في بيروت أتباعٌ لرجل ـ يدعي أنه شيخ ـ يفهمون هذا الحديث على أنّ معناه السواك وتطويل العذبة ولبس القلنسوة وغير ذلك، يقولون «سنّتي» أي إرخاء عذبة العمامة.

وَالعَاقِلُ مَنْ كانَ يَوْمُهُ أحسَنَ مِنْ أَمْسِهِ وَغَدُهُ أحسَنَ مِنْ يَوْمِهِ، وَأُوصِيكُمْ بِتَرْكِ التَّنَعُّمِ لأَنَّ أَنْبِيَاءَ اللهِ وَأَوْلِيَاءَهُ يَتَجَنَّبُونَ التَّنَعُّمَ وَلَوْ كَانَ فِي يَدِ أَحَدِهِمْ مِنَ الْمَالِ مَا يَكْفِي وَيَفِيضُ. اَلتَّنَعُّمُ الَّذِي رَغَّبَ الرَّسُولُ فِي تَرْكِهِ هُوَ التَّوَسُّعُ فِي الْمَلَذَّاتِ.

انظُرُوا إِلَى الرَّسُولِ كَانَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَتَّخِذَ مَسْكَنَهُ بِالطَّائِفِ وَغَيْرِهَا مِنَ الأَمَاكِنِ الَّتِي هَوَاؤُهَا عَلِيلٌ لَيْسَ فِي حَرٍّ مُزْعِجٍ وَلَا بَرْدٍ مُزْعِجٍ وَلكِنَّهُ آثَرَ الْمُقَامَ بِالْمَدِينَةِ الَّتِي حَرُّهَا حَرٌّ وَبَرْدُهَا بَرْدٌ وَفِي ذلِكَ حِكْمَةٌ عَظِيمَةٌ وذلِكَ يُصَدِّقُ قَوْلَهُ: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا وَمَا لِلدُّنْيَا وَمَا لِي إِنَّمَا أَنَا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ تَرَكَهَا**» قَالَ ذلِكَ لَمَّا رَءَاهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ وَقَدْ أَثَّرَ الْحَصِيرُ فِي جَنْبِهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ للهِ وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَعَلَى ءَالِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدُ؛ اَلرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ**». وَقَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى بِهِ إِلَيْهِ**». عَلَيْنَا أَنْ نَبْذُلَ جُهْدَنَا فِي الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَعْظَمُ الْمُنْكَرَاتِ الكُفْرُ، وَنَحْنُ جَمَاعَتُنَا قَائِمُونَ بِالنَّهْيِ عَنِ الكُفْرِ فِي هَذَا الزَّمَنِ الَّذِي النَّاسُ تَعَوَّدُوا فِيهِ الْمُدَاهَنَةَ(1)، هذِهِ لُبْنَانُ مَشَايِخُهَا مَا حَارَبُوا مُنْكَرَ حِزْبِ الإِخْوَانِ وَمُنْكَرَ الوَهَّابِيَّةِ وَمُنْكَرَ حِزْبِ التَّحْرِيرِ، إِنَّمَا جَمَاعَتُنَا هُمُ القَائِمُونَ عَلَى ذلِكَ، كذلِكَ [بَعْضُ] مَشَايِخ سُورْيَا يَعِيشُونَ عَلَى الْمُدَاهَنَةِ، رَجَب دِيب مَا حَارَبُوهُ وَكذلِكَ أَمِين شَيْخُو كذَلِكَ عَبْدُ الْهَادِي البَانِي، كُلُّ هَؤلَاءِ دُعَاةُ الكُفْرِ مَا حَارَبَهُمْ فِي سُورْيَا إِلَّا جَمَاعَتُنَا.

---

(1) الْمُدَاهَنَةُ هِيَ تَحْسِينُ البَاطِلِ وَتَزْيِينُهُ كَمَا يَفْعَلُ الرَّجُلُ مَعَ الرَّجُلِ لأَنَّهُ صَدِيقُهُ أَوْ لأَنَّـهُ قَرِيـبُهُ أَوْ لأَنَّـهُ يَرْأَسُـهُ.

اَلَّذِي لَا يُنَسِّقُ مَعَ إِخْوَانِهِ طُرُقَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ هذَا غَشَّ نَفْسَهُ وَغَشَّ غَيْرَهُ فَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَافُرَ وَإِيثَارَ الْمَالِ عَلَى الآخِرَةِ فَأَخْلِصُوا نِيَّاتِكُمْ وَءَاثِرُوا الآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا حَتَّى تُحَقِّقُوا هذَا الأَمْرَ عَلَى الوَجْهِ التَّامِّ، الَّذِي يُنَفِّرُ النَّاسَ مِنَ الجَمْعِيَّةِ وَيُسَبِّبُ تَأَخُّرَ الدَّعْوَةِ بَلْ أَيَّةُ كَلِمَةٍ تُؤَدِّي إِلَى إِضْعَافِ هذِهِ الدَّعْوَةِ فَهِيَ مِنَ الكَبَائِرِ يُخْشَى عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ عَلَى حَالَةٍ سَيِّئَةٍ.

فِي مِصْرَ [بَعضُ] أَصْحَاب العَمَائِمِ نَائِمُونَ وَأَصْحَابُ الشَّهَادَاتِ بِاسْمِ عِلْمِ الدِّينِ نَائِمُونَ وَفِي سُورْيَا وَهُنَا فِي لُبْنَانَ، مَنْ أَطَاحَ أَكْثَرَ الكُفْرِيَّاتِ فِي لُبْنَانَ؟ جَمَاعَتُنَا.

فَالَّذِي يُشِيرُ إِلَى إِضْعَافِ عَمَلِ هذِهِ الْجَمْعِيَّةِ فَهُوَ عَدُوُّ دِينِ اللهِ، يَسْعَى لِخَرَابِ الدِّينِ، كَأَنَّهُ يُحَارِبُ الدِّينَ، الَّذِي يُحَارِبُ مَنْ يُحَارِبُ الكُفْرَ وَالضَّلَالَاتِ الِاعْتِقَادِيَّةَ فَهُوَ مُحَارِبٌ لِلدِّينِ شَعَرَ أَوْ لَمْ يَشْعُرْ وَلَا سِيَّمَا الَّذِي يُضْعِفُ أَمْرَ هذِهِ الْجَمْعِيَّةِ لأَجْلِ الْمَالِ فَهُوَ خَسِيسٌ وَلَوْ كَانَ يُكْثِرُ العِبَادَةَ، وَمِثْلُهُ الَّذِي يُضْعِفُ عَمَلَ هذِهِ الْجَمْعِيَّةِ لِلرِّئَاسَةِ.

الَّذِي يُضْعِفُ عَمَلَ هذِهِ الْجَمْعِيَّةِ لِلرِّئَاسَةِ أَوْ لِلْمَالِ فَهُوَ يُحَارِبُ الدِّينَ كَأَنَّهُ يَقُولُ لِلنَّاسِ يَا نَاسُ سُوقُوا أَوْلَادَكُمْ إِلَى مَدَارِسِ الكُفْرِ إِلَى مَدَارِسِ الوَهَّابِيَّةِ وحزْبِ الإِخْوَانِ.

مَنْ طَالَبَ أَهْلَ الضَّلَالِ لِلْمُنَاظَرَةِ غَيْرُ جَمَاعَتِنَا بَلْ يَأْكُلُونَ الْمَالَ فِي سُورْيَا أَصْحَابُ عَمَائِمَ لِيَسْكُتُوا، يُسَاعِدُونَهُمْ عَلَى انْتِشَارِ دَعْوَةِ الكُفْرِ فِي سُورْيَا، الَّذِي يَطْعَنُ فِي الْجَمْعِيَّةِ فَاسِقٌ مَلْعُونٌ مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ، وَالَّذِي يُنَفِّرُ النَّاسَ مِنَ الْجَمْعِيَّةِ بِفِعْلِهِ أَوْ قَوْلِهِ فَاسِقٌ مَلْعُونٌ مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَعَاوَنُوا وَتَطَاوَعُوا وَتَزَاوَرُوا وَتَنَاصَحُوا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَأَتَمُّ السَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ هذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

مَزْرَعَةً للآخِرَةِ، فَمَنْ زَرَعَ فِيهَا مَا يَنْفَعُهُ فِي الآخِرَةِ وَيَكُونُ لَهُ ذُخْرًا بِاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي وَأَدَاءِ الطَّاعَاتِ فَمَزْرَعَتُهُ صَارَتْ خَيْرًا لَهُ وَنَجَاةً وَفَوْزًا فِي الآخِرَةِ.

فَاغْتَنِمُوا فِي هذِهِ الأَيَّامِ القَلَائِلِ لِتِلْكَ الأَيَّامِ الطِّوَالِ مَا يَكُونُ ذُخْرًا لَكُمْ وَهُوَ الدُّؤُوبُ علَى تَعَلُّمِ مَا فَرَضَ اللهُ تَعَالَى مِنْ عِلْمِ الدِّينِ مِنْ حَيْثُ الاعتِقَادُ ومِنْ حَيث الأحكامُ ثُمَّ العمَلِ بذلِكَ.

اغْتنِمُوا هذا الفرَاغَ، اغتَنِمُوا شبابَكم لتحصِيلِ هذَا الذُّخْرِ العظِيمِ، وإيَّاكُمْ والغَفْلَةَ بالتَّنَعُّمِ وتَعَلُّقِ الْهِمَمِ بتكثِيرِ الْمَالِ فَإِنَّ ذلكَ حِجَابٌ قَاطِعٌ لَكُمْ عَن اتِّخَاذِ هَذَا الذُّخْرِ العَظِيمِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «أُوصِيكُمْ بِالتَّطاوُعِ والانْسِجَامِ، فَإِنَّ القَلِيلَ مَعَ التَّطَاوُعِ كَثِيرٌ وَالْكَثِيرَ بِلَا تَطَاوُعٍ قَلِيلٌ، وَالْمَرْءُ قَلِيلٌ بِنَفْسِهِ كَثِيرٌ بِإِخْوَانِهِ. وَأَحُضُّكُمْ عَلَى بَذْلِ الْجُهْدِ بِالدَّعْوَةِ وَأَلَّا تَأْلُوا جُهْدًا فِي نَشْرِ الْعَقِيدَةِ. وَأَحُثُّكُمْ عَلَى الثَّبَاتِ عَلَى التَّعَلُّمِ وَعَدَمِ التَّكَاسُلِ فِي ذلِكَ فَإِنَّ مَنْ حُرِمَ طَلَبَ العلمِ حُرِمَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَلَا تَتَجَاوَزُوا فِي التَّعْلِيمِ حَدَّ مَا تَعْلَمُونَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَالإِفْتَاءَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَا تَتَوَسَّعُوا فِي الْمَسَائِلِ مَعَ الْجَدِيدِ إِنَّمَا لِيَكُنْ تَعْلِيمُكُمْ بِالتَّدْرِيجِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ فِي القُرْءَانِ الكَرِيمِ ﴿**وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ٧٩**﴾ [سورة ءال عمران].

وَأُوصِيكُمْ بِحُسْنِ الْخُلُقِ بِالتَّعَامُلِ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَمَعَ الْجَدِيدِ، فَإِنَّ لِحُسْنِ الْخُلُقِ مَقَامًا عَظِيمًا عِنْدَ اللهِ، وَلَيْسَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ أَنْ تُحْسِنَ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ فَقَطْ، فَهذَا شَيْءٌ حَتَّى البَهَائِمُ تَفْعَلُهُ إِنَّمَا مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ أَنْ تُحْسِنَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ.

وَأُوصِيكُمْ بِالْحِلْمِ وَالصَّبْرِ وَأُوصِيكُمْ بِالتَّحابِّ وَالتَّوَادِّ وَالتَّنَاصُحِ وَالتَّزَاوُرِ وَتَحْسِينِ الظَّنِّ بِبَعْضِكُمْ، وَلْيَصْبِرْ أَحَدُكُمْ عَلَى أَذَى أَخِيهِ وَيَكُفَّ أَذَى نفسِه عن أَخِيهِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: قَالَ اللهُ تَعَالَى: «**حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ**

وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ». وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّكُمْ لَتَغْفُلُونَ عَنْ أَفْضَلِ العِبَادَةِ التَّوَاضُعُ**».

كَمَا وَأُوصِيكُمْ بِالْحَذَرِ مِمَّنْ يُخْشَى شَرُّهُ وَعَدَمِ تَمْكِينِهِ بِالِاطِّلَاعِ عَلَى مَا عَسَاهُ يَكُونُ مَكِيدَةً لَكُمْ وَلَا بَأْسَ بِمُدَارَاةِ مَنْ يُخْشَى شَرُّهُ بِلَا مُدَاهَنَةٍ، عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ وَبَذْلِ الْحِكْمَةِ لِمَنْ يَضَعُهَا فِي مَحَلِّهَا.

هذَا وَعَلَيْكُمْ بِتَرْكِ التَّنَعُّمِ فَإِنَّ عِبَادَ اللهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ لأَنَّ أَحْبَابَ اللهِ لَا يَتَنَعَّمُونَ، هذَا نَبِيُّ اللهِ سُلَيْمَانُ كَانَ يَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيْرِ وَيَأْتَدِمُ بِاللَّبَنِ الرَّائِبِ الْحَامِضِ وَيُطْعِمُ النَّاسَ أَلَذَّ مِنْ ذلِكَ. وَرَدَ فِي الأَثَرِ أَنَّهُ كَانَ يَذْبَحُ مِائَةَ أَلْفِ رَأْسِ غَنَمٍ لِيُطْعِمَ النَّاسَ[1].

وَعَلَيْكُمْ بِتَرْكِ الكسَلِ فَإِنَّ الكسلَ من جُمْلَةِ مَا استَعاذَ منه رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

وَكونُوا دائِبِينَ فِي إصابَةِ الْحَقِّ لأنّ الدُّنيا دَارُ تَزوُّدٍ فِي هذه الْحَيَاةِ القَصِيرَةِ للحيَاةِ الطَوِيلَةِ.

وَعَلَيْكُمْ بِاعتِقَادِ الْخَيْرِ فِي الْمُسْلِمِ لَوْ كانَ رَثَّ الْهَيْئَةِ لَا يظهَرُ منه آثارُ الفضْلِ لأنّ كَثِيرًا من عبادِ الله الأَتْقِيَاءِ مظاهرُهُم لا تدُلُّ عَلَى أحْوَالِهِم الباطنَةِ، وقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الأَتْقِيَاءَ الأَخْفِيَاءَ**[2] **الَّذِينَ إِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا وَإِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاء مُظْلِمَةٍ**[3]» حديثٌ صحيحٌ رواه الحاكم في المستدرَك».

---

(1) مَعْنَاهُ كُلَّ يَوْمٍ أَوْ كَثِيرًا مِنَ الأَيَّامِ.

(2) أَيْ لِمَا يَغْلِبُهُم من التَّواضُعِ ونَحْوِ ذلِكَ.

(3) أَيْ أَنَّ اللهَ سَلَّمَهُمْ مِنْ كُلِّ فِتْـنَةٍ مُضِلَّةٍ.

دُرُوسٌ مُخْتَارَةٌ

قَبَسَاتٌ مِنْ حَيَاةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ لهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وله الثَّناءُ الحسنُ، والصلاةُ والسلامُ على سيدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى جميعِ إخوانِهِ النبيينَ.

أَمَّا بَعْدُ فقد رُوِّينَا بالإسنادِ المتصلِ في كتابِ «المستدركِ» للحاكمِ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قالَ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِساءُ والطِّيبُ وجُعِلَتْ قُرَّةُ عينِي في الصَّلَاةِ**»، هذا الحديثُ معناهُ: قلبِي يَمِيلُ من حيثُ الطبعُ ليسَ من حيثُ التَعُلُّقُ إلى النساءِ.

«**والطِّيبُ**» أي العِطرُ، قالَ: «**وجُعِلَتْ قُرةُ عينِي في الصلاةِ**» أي أنَّ اللهَ جَعَلَ أعظمَ فرحتِي ولذتِي في الصلاةِ، معناهُ ألتذُّ بالصلاةِ أكثرَ من كُلِّ شيءٍ. أما حُبُّهُ للنساءِ هذا حُبٌّ طبيعيٌّ، كذلكَ الطِّيبُ قلبُهُ لا يَتَعَلَّقُ بهِ لكنْ يَمِيلُ.

وهكذَا كُلُّ الأنبياءِ حتى لو كانَ بعضُ الأنْبياءِ عندَهُ نِساءٌ كثيرٌ، فغرَضُهُم تكْثيرُ نَسْلِ المسلمينَ وَلِحِكَمٍ أُخْرى، غرضُهُم تكثيرُ نَسْلٍ يقاتِلُ الكفَّارَ في سبيلِ اللهِ كسليمَانَ عليهِ السلامُ. سيدُنا سليمانُ كانَ عندَهُ ألفُ بيتٍ من الزجاجِ وكانَ عندَهُ ألفُ امرأةٍ، ثلاثُمِائَةِ مَهْرِيَّةٍ وسبعُمِائَةِ مِلْكِ يمينٍ. إنَّمَا جمعَ هذا العددَ الكثيرَ وكان في شَرْعِهِ مباحًا، وكان شديدَ التَعَلُّقِ بالجهادِ، أرادَ بهذا أن يَطْلُعَ من صُلْبِهِ شَبَابٌ كثيرون يقاتلونَ في سبيلِ اللهِ وإلا هو لا يَتَنَعَّمُ وهكذا كلُّ الأنبياءِ. كانَ سليْمَانُ عليه السلامُ يُطعِمُ النَّاسَ لُبَّ القَمْحِ الصَّافِي، كلَّ يومٍ يُطعِمُ مائةَ ألفِ شخصٍ، وأحيانًا سِتِّينَ ألفًا وكانَ يَذبَحُ كلَّ يومٍ مائةَ ألفِ شاةٍ، أمَّا هو لنفسِهِ يأكلُ اللبنَ الحامِضَ.

التَّنَعُّمُ جائزٌ لكنْ أهلُ اللهِ يَتَرَفَّعُونَ عنهُ، الَّذي يتركُ التَّنعمَ يُواسِي غيرَهُ، إذا رأى فقيرًا يواسِيهِ أما الَّذِي يَتَنَعَّمُ يَخشَى إن تصدقَ أنْ يذهبَ عليهِ تنعمُهُ؛ لذلكَ الأنبياءُ لا يَتَنَعَّمونَ حتَّى لا يقتدِيَ بِهم أمَمُهُم فِي ذَلِكَ.

أما سيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بعدَمَا هاجَرَ عَدَّدَ الزوجاتِ، أما قبلَ أن يهاجِرَ ما كانَ تَزَوَّجَ إلا خديجَةَ تَزَوَّجَ وعُمُرُهُ خمسةٌ وعِشرون وخديجةُ كانَ عمرُهَا أربعينَ سنةً، كانَتِ امْرَأَةً شريفةً ولبيبةً، هي ذَكَرَتْهُ ورَغِبَتْ بزِواجِهِ ثم بعضُ الناسِ قالَ لَهُ: «خديجةُ تَذْكُرُكَ بالزِواجِ» فوافَقَ، ولَمْ يتزوجْ غيرَهَا إلى أن صارَ عُمُرُهُ خمْسِينَ، ما تَزَوَّجَ غيرَهَا حتى ماتَتْ وكانَ هوَ أجملَ الناسِ.

ثم التَّعْدِيدُ لأجلِ غرضٍ دينيٍ وهو أن ينشُرَ عِلْمَ الأحكامِ ولا سِيمَا التي تتعلقُ بالنساءِ كالحيضِ والنفاسِ؛ لأنَّ النساءَ قد يستحِينَ أن يَتَعَلَّمْنَ هذهِ الأحكامَ من الرجالِ، أمَّا مِنَ النساءِ فهو سَهْلٌ عليْهِنَّ، لأجلِ هَذَا عَدَّدَ سيدُنَا مُحَمَّدٌ النساءَ ليسَ لتعلقِ قلبِهِ بالنساءِ، فمَنْ قالَ عن الرسولِ: «نِسونجِي» فهو كافرٌ.

ومِمَّا يَدُلُّ على أنَّ سيِّدَنَا مُحَمَّدًا غيرُ مُتَعلّق القلبِ بشهوةِ النساءِ أنَّ عائشةَ كانَتْ أحدثَ نسائِهِ سِنًّا وكانَ في دورِهَا يَخرُجُ إلى الجبَّانَةِ يدعُو لأهْلِهَا، كُلَّمَا كانَ دَوْرُ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنهَا هكذَا كانَ يَفْعَلُ.

وَكَذَلِكَ امْرَأَةٌ عرضَتْ عليهِ بِنْتَهَا وَصَفَتْهَا بالحُسْنِ حَتَّى قالَتْ: إنَّها لا تعرفُ المرضَ حتى الصُدَاعَ فقالَ: «**لا حاجةَ لِي فيهَا**»؛ لأنَّ المسلمَ الذي لَا تُصِيبُهُ المصَائبُ حظُّهُ قليلٌ، أما المسلمُ الذي تَكثُرُ عليهِ المصائبُ هذا أعلى درجةً لذلكَ الأنبياءُ هُم أكثَرُ الناسِ بلاءً.

ءَادَمُ عليه السَّلامُ كانَ في الجنةِ التي لا نَكَدَ فيهَا، ما كانَ يلقَى فيهَا أذًى، لا أذَى حرِّ الشمسِ ولا أذَى البردِ ولا جوعًا ولا عطشًا، ورائحتُهَا طيبةٌ، ثم أنزلَهُ اللهُ إلى أرضٍ

مكشوفةٍ ليسَ فيها بيتٌ لَهُ، ثم قاسَى ما قاسَى ثم عَلَّمَهُ اللهُ كيفَ يزرعُ القمحَ وكيفَ يَحصُدُ، وعَلَّمَهُ كيفَ يَستَخرِجُ الذهبَ والفضةَ وكيفَ يَعمَلُ منهَا عُملةً، وعَلَّمَهُ أصولَ المعيشةِ. كذلكَ سيدُنَا نوحٌ بَقِيَ تسعَمائةٍ وخمسينَ سنةً يدعُو قومَهُ للإسلامِ وهم يسُبّونَهُ ويشتُمونَهُ وأحيانًا يضرِبونَهُ فيقعُ على الأرضِ مغشيًا عليهِ، صَبَرَ على هذا مئاتِ السنينَ. كذلكَ سيدُنَا إبراهيمُ قاسَى ما قاسَى في حياتِهِ، كذلكَ سيدُنَا مُحَمَّدٌ ماتَ لَهُ ستةُ أولادٍ في حياتِهِ ثلاثةٌ من الذكورِ ماتُوا وهُم صِغارٌ وثلاثُ بناتٍ مِتْنَ في حياتِهِ إلا فاطمةَ، فاطمةُ تأخَّرَتْ عنهُ ستةَ أشهرٍ، ولَقِيَ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم منْ قومِهِ ما لَقِيَ حتى أخرجُوهُ من بلدِهِ وكانَ في بلدِهِ يُسَبُّ. قبلَ أنْ يدعُوَهُم إلى الإسلامِ كانُوا يُحبونَهُ ويسمونَهُ الأمينَ، لَمْ تُجَرَّبْ عليهِ كِذْبةٌ واحدةٌ، ثُم لَمَّا دَعَاهُم إلى الإسلامِ شَقَّ عليهِم أنْ يَسُبَّ دينَهُم، صَعُبَ عليهِم، حتى عشيرتُهُ ومنهُم عمُّهُ أبو لَهَبٍ كان يسبُّهُ ويُؤذيهِ لأنَّهُ طَلَبَ منهُم ترْكَ الكفْرِ إلى عبادةِ اللهِ.

ثُمَّ إنَّ أصلَ السعادةِ معرفةُ اللهِ والإيمانُ بنبيهِ، لا سعادةَ بغيرِ ذلكَ، معرفةُ اللهِ كما يَجِبُ والإيمانُ برسولِهِ هذا أصلُ السعادةِ، بهذا ينجُو الإنسانُ منَ العذابِ الدائمِ في الآخرةِ وبِهذا ينالُ الدرجاتِ العُلى.

ثُمَّ إنَّ معرفةَ اللهِ ليسَ بِمجردِ أنْ يقولَ القائلُ: «لا إلهَ إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ»، بل معرفةُ اللهِ يَجِبُ أن تكونَ كمَا يُفهَمُ من هذهِ الآيةِ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ [سورة الشورى] فهو تباركَ وتعالى موجودٌ ليسَ لوجودِهِ ابتداءٌ، أمَّا غيرُهُ كلُّ أصنافِ العالمِ ما كانَ موجودًا، أوجدَهُ اللهُ.

واللهُ سبحانَهُ وتعالى ليس ذاتًا كثيفًا ولا لطيفًا، لا يُشبِهُ المخلوقاتِ، قالَ تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ [سورة الشورى] هذهِ الآيةُ أُمُّ القرءانِ إليهَا تُرَدُّ كلُّ الآياتِ المتشابهةِ.

وهذهِ العقيدةُ هيَ التِي دَعَا إليهَا جميعُ الأنبياءِ والمرسلينَ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِم أجمعينَ.

وَاللهُ سبحانَهُ وتعالى أعلمُ وأحكَمُ.

أَحْسَنُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ لَهُ النعمةُ ولهُ الفضلُ ولهُ الثَّناءُ الحَسَنُ، صلواتُ اللهِ البَرِّ الرَّحِيمِ وَالملائِكَةِ المقربينَ على سيّدِنا محمدٍ أَشْرَفِ المرسلينَ وعلى ءالِهِ الطيبينَ الطاهرينَ.

أمَّا بعدُ فإنَّ أحسنَ الحديثِ كتابُ اللهِ وَأحسنُ الهدي هديُ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الأمورِ مُحدثاتُهَا وُكلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ. أَحسنُ الحديثِ كتابُ اللهِ أي القرءانُ المنزلُ على سَيِّدِنَا محمدٍ وَهوَ أَفضلُ الكتبِ السَّمَاويةِ لَه مزيةٌ خاصَّةٌ من بينِ الكتبِ السَّماوِيَّةِ، مِن ذلكَ أَنَّ ألفاظَهُ مُعجزةٌ.

العَربُ الفُصحاءُ الَّذينَ كانوا يَتَبَارَوْنَ بِالفصاحةِ والبلاغةِ عَجَزُوا عن مقاوَمَتِهِ، الكفارُ الَّذِينَ كانوا يعارضونَ الرسولَ لَمَّا عَجزُوا عن مقاومةِ القرءانِ بِالْمِثْلِ فِي الفصاحةِ وَالبلاغةِ لَجَؤُوا إِلَى قِتَالِهِ، فَقاتَلُوهُ عِدَّةَ مراتٍ ثُمَّ نصرَهُ اللهُ عليهِمْ.

ثُمَّ إنَّ اللهَ تباركَ وتعالَى يَسَّرَ حِفْظَهُ، الكتبُ السَّمَاوِيَّةُ السَّابِقَةُ أُمَمُهَا ما كانوا يَحفظونَهَا كَمَا هَذِهِ الأمَّةُ تَحفَظُ القُرءانَ الْمُنَزَّلَ لَهُمْ. هَذهِ التوراةُ شخصٌ كانَ هُناكَ واحدٌ يُسمَّى عُزيرًا، اللهُ تعالى حَفَّظَهُ إِيَّاهَا منْ بينِ كلِّ أمَّةِ موسى، وأمةُ مُوسَى همْ أكثرُ الأممِ بعدَ أُمَّةِ سيدِنَا مُحَمَّدٍ. يَومَ القِيامةِ يَأتِي بعضُ الأَنبياءِ وَليسَ معهُ إِلَّا شخصٌ واحدٌ مِمَّنْ ءَامَنَ بِهِ.

موسى أَكْثَرُهُمْ تبَعًا وَمَعَ ذلكَ مَا كانَ يحفظُ التوراةَ فيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا شخصٌ واحدٌ يُقالُ لَهُ عزيرٌ، هَذا اللهُ تَباركَ وَتَعَالى حَفَّظَهُ التوراةَ. أَمَّا هذه الأمةُ المحمدِيَّةُ فالأطفالُ والكبارُ يحفظونَ هذَا الكتابَ. فيمَا مَضَى قبلَ أَربعِمِائةِ سنةٍ يوجدُ رَجُلٌ حَفظَ القُرءانَ، عُمُرُهُ خَمْسُ سنينَ، وفي أَيَّامِنَا منذُ ثلاثينَ سَنَةً يُوجدُ غُلامٌ في مِصرَ حَفِظَ القرءانَ، عُمُره سِتُّ سِنِينَ. هذَا معنَى قولِ: أحسنَ الحديثِ كتابُ اللهِ. أمَّا معنَى: وأحسنُ الهدي هديُ محمَّدٍ معناهُ أَنَّ سيرةَ محمدٍ أحسنُ السِّيَرِ وذلكَ لأنَّ اللهَ جمعَ لسيِّدِنا مُحَمَّدٍ الخصالَ الحميدةَ وأعطاهُ مِنَ المعجزاتِ مِثْلَ ما أعطى مَنْ قَبْلَهُ وَأَحْسَنَ مِنهَا. أَمَّا هذهِ الجملةُ الأخيرةُ: وإيَّاكُمْ ومُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، مَعناهُ بعدَ أَن ثبتَ أَنَّ أَحسنَ الهَدي هديُ مُحَمَّدٍ فَمَا خالفَهُ فاحذروه، بمعنَى أَنَّ كلَّ أمرٍ يُحدثُهُ الناسُ مِمَّا يُخالِفُ هَدْيَهُ أيْ شريعَتَهُ بدعةٌ سيِّئَةٌ، بدعةٌ محرمةٌ. ثم هذهِ البدعةُ قسمانِ: بدعةٌ اعتقاديةٌ وبدعةٌ عَمَلِيَّةٌ. البِدعةُ الاعتقاديةُ هِي كلُّ عقيدةٍ تُخَالِفُ عقيدةَ الصَّحابةِ الَّتِي كانَ الرسولُ عَلَيهَا، وَهِيَ لَا يَزالُ جُمهورُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهَا إِلَى يومِ القِيَامةِ، وَمَنْ شَذَّ عَنْهَا شذَّ فِي النَّارِ. مَن تَرَكَ تلكَ العقيدةَ وَعَدَلَ إِلَى غيرِهَا شذَّ في النارِ. أَمَّا مَا أُحْدِثَ بعدَ الرَّسولِ فِي الدِّينِ مِمَّا يوافقُ شَرِيعَتَهُ فَليسَ بِدعَةً مَذمومةً؛ لِأَنَّ علماءَ الأُمَّةِ أَحْدَثُوا أشياءَ فِي الدِّين مِمَّا يُوافِقُ شريعةَ الرَّسولِ وَلَا يُخَالفُ القرءانَ ولَا الحَدِيثَ بَل يوافِقُهُمَا، فَهذَا لَيسَ البِدعةَ الَّتِي ذَمَّها الرسولُ، بل هُوَ خَصَّ مِنهَا. قَالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلَام: «**مَنْ سَنَّ فِي الإسلامِ سنةً حسنةً فلهُ أجرُهَا وأجرُ من عَمِلَ بِهَا لَا يَنقُصُ من أُجُورِهِم شَيْءٌ**».

مَعنَى هَذَا الحَديثِ أَنَّهُ يجوزُ لِلأُمَّةِ أَن يُحْدِثُوا في الدِّين أُمُورًا لَا [تُخَالِفُ] الشَّريعَةَ. فَمِثالُ البِدعةِ الَّتِي هي مخالفةٌ لِشريعةِ اللهِ الَّتي ذَمَّها الرسولُ مِن الاعتقادِ عقيدةُ الْمُشَبِّهَةِ وعقيدةُ المعتزلةِ وعقيدةُ الخوارجِ وعقائدُ أُخرى؛ اليومَ تُوجَدُ منَ العَقَائِدِ الَّتِي هي أُحْدِثَتْ عَلَى خِلافِ شَريعةِ اللهِ».

طُرُقُ الصُّوفِيَّةِ وَمُوَافَقَتُهَا لِلدِّينِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على سيّدِ المرسلينَ سيدِنَا محمَّدٍ وعلى جميعِ إخوانِهِ النبيينَ والمرسلينَ وعلى ءالِهِ الطيبينَ الطاهرينَ.

أَمَّا بعدُ فإنَّ اللهَ تباركَ وتعالى أكرمَ هذهِ الأمةَ بأنْ جعلَ لَهَا يُسْرًا في الدينِ، هذا الشرعُ شرعُ محمَّدٍ عليهِ السَّلَامُ شريعةٌ سَمْحَاءُ أي ليسَ فيها حَرَجٌ قال تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ**٧٨﴾ [سورة الحج].

أَمَّا الشَّرائعُ السابقةُ كانَ فيهَا الأمورُ الثقيلةُ الصعبةُ إلى حدٍّ كبيرٍ، في بعضِ الشَّرائعِ الزكاةُ كانَتْ رُبُعَ المالِ أمَّا في شرعِنَا فأخفُّ من ذلكَ بكثيرٍ. وكانَ في بعضِ الشرائعِ خَمسونَ صلاةً، وفي بعض الشرائع صلاتان لكنْ تانِكَ الصلاتَانِ كانَتْ فيهَا صعوبةٌ وذلكَ أنهُ ما كانَ يَجُوزُ لَهُم أن يصلُّوا الصلاةَ إلا في مكانٍ مَخصوصٍ فيتعَبونَ للوصولِ إلى المكانِ المخصوصِ، أمَّا في شرعِنَا فالرجلُ يُصلّي في السوقِ إن شاءَ في بيتِهِ إنْ شاء وفي المسجدِ إنْ شاء وفي البرِّيَّةِ إنْ شاء حيثُ لا يوجَدُ بناءٌ. ثُمَّ في بعضِ الشرائعِ كانَ فَرْض على الإنسانِ إذا أصابَ ثَوْبَهُ بَوْلٌ أنْ يقطَعَهُ بالْمِقَصِّ لا يُطَهِّرُهُ بالماءِ، كانَ فيهِم زَعِيمٌ نَهَاهُمْ قَالَ لَهُمْ: «لا تَقْطَعُوا من الْبَوْلِ ثيابَكُم ولا جلودَكُم» ثُمَّ ماتَ هذا الرجلُ فعُذِّبَ في قبرِهِ.

وكانَ في بعضِ الشَّرائعِ إذا أذنبَ ذنبًا في الليلِ يَرَى ذنبَهُ هذا مكتوبًا على بابِهِ صَبَاحًا، يَرَى ذنبَهُ الذي عمِلَهُ في الليلِ مكتوبًا على بابِهِ في الصباحِ، كلُّ هذا يدلُّ على يُسْرِ شَرِيعَةِ سيدِنَا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم.

ثُمَّ إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى مِنْ يُسْرِ الدينِ رَخَّصَ وأَذِنَ للعلماءِ العاملينَ أن يعْمَلُوا عَمَلًا مُحْدَثًا في الدينِ إذا كانَ مُوافقًا للقرءانِ والحديثِ غيرَ مُخالفٍ لَهُمَا، أمَّا ما يُخَالِفُهُمَا فلا يُقْبَلُ.

العُلَمَاءُ العاملونَ الأولياءُ أحدثُوا في الدينِ أمورًا لا تُخالِفُ القرءانَ والحديثَ ولَمْ يذْكُرْهَا ولا فَعَلَهَا الرَّسُولُ، من ذلكَ طُرُقُ أهلِ اللهِ كالطريقةِ الرفاعيةِ والطريقةِ الشاذليةِ إلى عددٍ كثيرٍ من طُرقِ أهلِ اللهِ وكلُّهَا الرَّسُولُ ما فعلَهَا ولا قالَ: إنَّهُ ستأتِي طُرُقٌ يُحدِثُهَا علمَاءُ من أمتِي فاعملُوا بِهَا، إنَّمَا هؤلاءِ المشايخُ العلَمَاءُ الأولياءُ الأتقياءُ كالشيْخِ أحمَدَ الرفاعيّ والشيخِ عبدِ القادرِ الجِيلانيِّ والشيخِ أبِي الحسَنِ الشَّاذِلِيّ كانُوا علماءَ أتقياءَ أولياءَ اللهِ، اللهُ أَلْهَمَهُم إنْشَاءَ هذهِ الطرقِ لأَنَّهُم وَجَدُوهَا لا تُخَالِفُ القرءانَ ولا الحديثَ فكانَتْ أوَّلَ الطرقِ التِي أحْدَثَهَا العلماءُ الطريقةُ الرفَاعِيَّةُ والقادريةُ.

كانَ الشَّيخُ أحمدُ الرفاعيُّ بالعراقِ في القرنِ السادسِ الهجريّ وكذلكَ الشيخُ عبدُ القادرِ كانَ في ذلكَ العصرِ، لكِن الشيخُ عبدُ القادرِ الجِيلانِيُّ سَبَقَ الرفاعِي وفاةً بنحوِ بِضْعَ عَشْرَةَ سنةً، فهذهِ الطرقُ لَمَّا كانَتْ توافِقُ شريعةَ اللهِ لا تُخَالِفُ القرءانَ ولا الحديثَ كانَ العملُ بِهَا عَمَلًا مقبولًا عندَ اللهِ وإن لَمْ يفعلْهَا الرَّسُولُ ولا ذَكَرَهَا وذلكَ لأنَّهُ عليهِ السلامُ قالَ: «**مَنْ سَنَّ في الإسلامِ سنةً حسنةً فلهُ أجرُهَا وأجرُ من عَمِلَ بِهَا بَعْدهُ لا يَنقُصُ من أُجُورِهِم شيءٌ**»، رواهُ مسلمٌ من حديثِ جريرِ بنِ عبدِ اللهِ البَجَلِيِّ.

كذلكَ أَحدَثَ العلماءُ كتابةَ «صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم» عندَ ذِكرِ اسمِ محمَّدٍ، أيامَ الرَّسُولِ ما كانَ هذا، الرَّسُولُ كَتَبَ كُتُبًا إلى رؤساءِ الدنيَا في ذلكَ العصرِ إلى أربعةَ عشَرَ رئيسًا منهُم هرقلُ رئيسُ الرومِ، الرومُ هُم الإفرنجُ إيطاليَا وفرنْسَا ومَنْ على شَاكِلَتِهِم هؤلاءِ يقالُ لَهُم الرُّومُ، كَتَبَ مَكتُوبًا إلى رئيسِهِم كانَ صورةُ كِتَابِهِ:

«**بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ من محمَّدٍ عبدِ اللهِ ورسولِهِ إلى هِرَقْلَ عظيمِ الرومِ**» وفي هذا الكتابِ، «**أَسلِمْ تَسْلَمْ يُؤتِكَ اللهُ أجرَكَ مرتَينِ وإلَّا فإنَّ عليكَ إثمَ الأريسِيينَ** . أي الفلّاحِينَ .» روَى ذلكَ البخاريُّ في الصحيحِ.

دعاهُ إلى الإسلامِ لكنَّهُ لَمْ يُسلِمْ، ءاثرَ الدنيَا على الآخرةِ هو يعلمُ أنَّ سيدَنَا محمَّدًا رسُولٌ لأَنَّهُ في الكتبِ السابقةِ كان الرَّسُولُ مذكورًا نعتُهُ ووصفُهُ، ومعلومًا عندَهُم أنَّ عيسَى بشَّرَ بِهِ، رَغِبَ هِرَقْلُ بأنْ يُسلِمَ ثُمَّ لَمَّا امتَحَنَ قومَهُ نفرُوا عنهُ فغيّرَ كلامَهُ قالَ: «إنَّمَا أَرَدْتُ أنْ أَعرِفَ صلابَتَكُم على دينِكُم والآنَ لقد عَرَفْتُ ذلكَ فَقَدْ رَضِيتُ عَنْكُمْ .»

الشاهدُ في هذا أنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَملَى . هُوَ أملَى لا يَكتُبُ بيدِهِ . «**بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ من محمَّدٍ عبدِ اللهِ ورسولِهِ إلى هرقلَ عظيمِ الرومِ**» الصحابةُ مَا كَتَبُوا «**صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**» كذلكَ كُلُّ كُتُبِهِ التِي كتبَهَا إلى الرؤساءِ أو غيرِهِم مَا كانَ فيهَا «**صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**» ثُمَّ بعدَ ذلكَ بزمنٍ بعيدٍ يحتملُ أنْ يكونَ مائةَ سنةٍ أو مائتَي سنةٍ العلماءُ صارُوا يكتبون «**صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**». هذهِ والطريقةُ تدخلانِ تَحتَ حديثِ «**مَنْ سَنَّ في الإسلامِ سنةً حسنةً فله أجرُهَا وأجرُ من عَمِلَ بِهَا بعدَهُ**».

فمَنْ ينكرُ الطريقةَ والمولدَ بدَعْوَى أنَّ الرسولَ ما فَعلَهُ ولا أَمَرَ بهِ يقال لَهُم: أنتُم ونحنُ نكتبُ عندَ ذكرِ اسْمِ النبيّ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» أنتُم تكتُبُونَ كما نحنُ نكتبُ والرسولُ ما قالَهُ ولا الصحابةُ فكيفَ تُحَلِّلُونَ هذا وهو مِمَّا لَمْ يفْعَلْهُ الرسولُ ولا قالَ افعلُوا، وتنكرُونَ الطريقةَ والمولدَ بدعوَى أنَّ الرسولَ لَمْ يفعلْهُ ولا قالَ افعلُوا، الوهابيةُ بِهذَا هل تريدُ إبقاءها يُحَجّونَ، بِهذَا يُفْحَمُونَ، لا حُجَّةَ لَهُمْ إلا العنادُ، يقالُ لَهُم أنتُم مُتَحَكِّمُونُ لا تَمْشُونَ مع الدليلِ إِنَّمَا تَمْشُونَ مع هواكُم.

ثُمَّ إنَّ الطُرُقَ التِي هي حقٌّ وقُربةٌ إلى اللهِ هذهِ الثلاثةُ وبعدها طرقٌ كثيرةٌ. لكنْ حدثَتْ طريقةٌ يقال لها «التِجَّانِيّةُ» في المغربِ منذُ مائتينِ وسبعينَ سنةً تقريبًا، هذهِ الطريقَةُ دَخَلَهَا التحريفُ من بعضِ أتباعِهَا لا سِيَّمَا تجانيةُ السودانِ، أما الشيخُ أبُو العباس التجانِيُّ فهو بريءٌ مِمَّا يُنْسَبُ إليهِ فإنَّهُ كانَ عالِمًا أشعريًّا، ومن جملةِ ما أَدخَلَ هؤلاءِ «أنَّ الشَّخْصَ بِمُجَرَّدِ أَنْ يَأْخُذَ طريقَتَهُم يَصِيرُ أفضلَ منَ القُطبِ من غيرِهِمْ» وهذا خلافُ قولِ الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ١٣ ﴾ [سورة الحجرات] الإِنسانُ تكونُ مَنزِلَتُهُ أعلَى عندَ اللهِ بِحسَبِ التقوَى، فمن كانَ أتقَى للهِ أي مُلتزمًا مُتمسكًا بالشريعةِ ظاهرًا وباطنًا فعلى حسبِ ما هو متمكنٌ في ذلكَ يكونُ عندَ اللهِ أقربَ. وكذلكَ مذكورٌ في بعضِ كتبِهِم «إن شيخَهُم أبَا العباسِ التجانِيَّ أفضلُ أولياءِ اللهِ من أيامِ ءادمَ إلى أنْ تقومَ الساعةُ» وهذا كذبٌ كبيرٌ، أفضلُ الأولياءِ أبُو بكرٍ ثُمَّ عمرُ ثُمَّ عثمانُ ثُمَّ عليٌّ ثُمَّ باقِي العشرةِ المبشرينَ بالجنةِ ثُمَّ بقيةُ الأكابرِ من أولياءِ الصحابةِ والتابعينَ ثُمَّ بعدَ ذلكَ أولياءُ اللهِ الذينَ جاءُوا بعدَ ذلكَ مثلُ الشيخِ أحمدَ الرفاعيّ والشيخِ عبدِ القادرِ. والشيخُ أبُو العباسِ لا يقولُ هذا الكلامَ. وهؤلاءِ لَهُم وجودٌ في مِصرَ والمغربِ والجزائرِ وتونسَ والسودانِ والحبشةِ، لأَنَّهُم بِهذَا الافتراءِ يَجُرُّونَ الناسَ يُوهِمُونَ أنَّ الشخصَ بِمُجَرَّدِ ما يأخذُ طريقتَهُم صارَ أفضلَ من الأولياءِ من غيرِهِم، الجاهلُ الذي لا تَمييزَ عندَهُ يُسرِعُ إليهِم، يقولُ: ماذا أريدُ أكثرَ من هذا بِمجردِ ما آخُذُ العهدَ على الشيخِ التجانِّيّ أصيرُ أفضلَ من الأولياءِ، فيُسرِعُونَ إليهِم، بهذا انتشرُوا وكَثُرَ عَدَدُهُم. فالحذرَ الحذرَ، هؤلاءِ مخالِفُونَ لكتابِ اللهِ وسنةِ رسولِهِ. كذلكَ حَدَثَتْ طريقةٌ تُسَمَّى اليشرطيةَ هؤلاءِ ينتسبونَ إلى شيخٍ اسمُهُ عليٌّ نورُ الدينِ اليشرطيُّ مغربِيٌّ نزلَ بعَكَّا فِلَسْطِينَ ثُمَّ صارَ لهُ أتباعٌ وكانَ هو على حقٍّ، كانَ على الشاذليةِ الأصليةِ ثُمَّ كثيرٌ من أتباعِهِ انحرفُوا ووقعُوا في أكفرِ الكفرِ، وهو أَنَّهُم يعتقدُونَ أنَّ اللهَ داخلٌ في كلِّ شخصٍ رجلٍ وامرأةٍ، ذكرٍ أو أنثى، داخلٌ

فِي كلِّ فردٍ من أفرادِ البشرِ هكذا يَعْتَقِدُون. وحَرَّفُوا قولَ اللهِ تعالى: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ٢٥٥﴾ [سورة البقرة]» يقولونَ: «القيومُ: القائِمُ فينَا» هؤلاءِ اليشرطيةُ لَهُم وجودٌ في بيروتَ وفِي البقاعِ وفِي سورْيَا لَهُم وجودٌ، شيخُهُم اليشرطيُّ لَمَّا عَلِمَ أنَّهُم انحرفُوا تَبَرَّأَ منهُم وقد ماتَ منذُ سبعينَ سنةً تقريبًا فِي عكَّا وقبرُهُ ومقامُهُ هناك. من اليشرطيةِ رجلٌ عالِم، كانَ هو مفتي بيروتَ أيامَ الانتداب وذلك قبلَ خمسينَ سنةً، يقالُ لهُ «الشيخُ مصطفَى نجا»، هذا رحمَهُ اللهُ أخذَ منَ الشيخِ عليٍّ نورِ الدينِ الطريقةَ واستفادَ فصارَ من الأولياءِ. كانَ زاهدًا، ما يَدخُلُ عليهِ من قِبَلِ الدولةِ باسمِ الراتبِ «راتبِ المفتِي» لا يأكلُهُ بل يوزعُهُ للفقراءِ. وعيَّنَ شخصًا يَلُمُّ الجرائدَ من الأرضِ وما فيهِ اسمُ اللهِ بأُجْرةٍ، رَتَّبَ لهُ أجْرَهُ لِيَلُمَّ. وكانَ وليًّا زاهدًا ما كانَ لَهُ تَعَلُّقٌ بالدنيا، الذي يأخذُ الطريقةَ بعدَ أن يتعلمَ العقيدةَ والأحكامَ يَتَرَقَّى، أمَّا الذي ينتسبُ إلى الطريقةِ قبلَ أنْ يتعلمَ العقيدةَ عقيدةَ أهلِ السنةِ لا يَتَرَقَّى فكثيرٌ هَلَكُوا وما أفلحُوا، فَسَدُوا بدلَ أن يَتَرَقَّوْا هَبَطُوا إلى الحضِيضِ.

قالَ سيدُنا أحمدُ الرفاعيُّ: «**غايةُ المعرفةِ باللهِ الإيقانُ بوجودِه تعالى بلا كيفٍ ولا مكانٍ**» معنى ذلك أنَّ اللهَ تعالى ليسَ حجمًا وليسَ متصفًا بصفاتِ الحجمِ. أما الكيفُ صفةُ المخلوقِ، المخلوقاتُ لَهَا صفاتٌ، هي حجمٌ لَهَا صفاتٌ، من صفاتِ الحجمِ اللونُ والبياضُ والسوادُ والحركةُ والسكونُ والتغيرُ من حالٍ إلى حالٍ والتحيزُ في جهةٍ ومكانٍ، هذا من صفاتِ الحجمِ الكثيفِ واللطيفِ، فاللهُ تبارك وتعالى ليسَ حجمًا لطيفًا ولا حجمًا كثيفًا ولا هو مُتَّصفٌ بصفاتِ الحجمِ فهو موجودٌ لا كالموجوداتِ، وكُلُّ هذا التنزيهِ للهِ تعالى مأخوذٌ من هذه الآيةِ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ١١﴾ [سورة الشورى] يُفهمُ من هذه الآيَةِ هذا التنزيهَ، أي أن اللهَ ليسَ حجمًا كثيفًا ولا حجمًا لطيفًا ولا هو متَّصفٌ بصفاتِ الحجمِ كالحركةِ والسكونِ والانفعالِ واللونِ، لا يتصفُ بكلِّ هذا، من هذه الآيةِ

يَفهَمُ الذي فَتَحَ اللهُ قلبَهُ، أمَّا هؤلاءِ الوهابيةُ اللهُ أقفَلَ قلوبَهُم يقرؤُونَ هذهِ الآيةَ وغيرَهَا من الآياتِ لا يفهمونَهَا كما يَجِبُ.

بَعْضُ القُلُوبِ اللهُ تَعَالَى أَقْفَلَهَا، تَرَى الخَيْرَ شَرًّا وَالشَّرَ خَيْرًا، هَذِهِ قُلُوبٌ مُقْفَلَةٌ أَقْفَلَهَا خَالِقُهَا لأَنَّهُ أَرَادَ بِهِم شَرًّا، أَرَادَ بِهِم سُوءًا. مَنْ أَقْفَلَ اللهُ تَعَالَى قَلْبَهُ مَهْمَا رَأَى مِنَ الدَّلائِلِ لا يُبْصِرُ ذَلِكَ الحَقّ، لا يَفْهَم قَلْبُهُ ذَلِكَ الحَقَّ وَإِنْ نَظَرَ بِعَيْنِهِ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَى هَذِهِ الأَدِلَّةِ القُرْءَانِيَّةِ بِعَيْنِهِ، لا يَهْتَدِي لِفَهْمِ مَعَانِيهَا عَلَى الوَجْهِ المَرَادِ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَكَذَلِكَ الأَحَادِيثُ كَثِيرٌ مِنْهَا ذَوَاتُ وُجُوهٍ.

ربَّنا ءاتِنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقنا عذابَ النارِ. وسبحانَ ربِّك ربِّ العِزّةِ عما يصفونَ والحمدُ للهِ ربِّ العالمين».

سُؤَالُ العَبدِ يَومَ القِيامَةِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على سيدِ المرسلينَ وعلى ءالهِ الطيبينَ الطاهرينَ.

أَمَّا بعدُ، فقد قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن أربعٍ عن عُمُرِهِ فيما أفناهُ وعن جَسدِهِ فيما أبلاهُ وعن مالهِ من أينَ أخذَهُ وفيما أنفقَهُ وعن علمِهِ ماذا عَمِلَ بِهِ**».

فِي هَذَا الحَدِيثِ الصحيحِ أنَّ الإنسانَ يُسأَلُ يومَ القيامةِ عن هذهِ الأشياءِ الأربعةِ:

الأَوَّلُ: عن عمرِهِ فيمَا أفناهُ؛ لأنَّ وجودَ الإنسانِ بإيجادِ اللهِ نعمةٌ فيُسأَلُ العبدُ عن هذهِ النعمةِ، اللهُ أنعمَ عليهِ بالوجودِ فيُسأَلُ عن هذه النعمةِ، يُسأَلُ فيمَ أفنيتَ عمرَكَ، فإمَّا أنْ يكونَ أَفنَى عمرَهُ في طاعةِ اللهِ وإما أَفنَى عمرَهُ في معصيةِ اللهِ، هذا يُعَامَلُ على ما يليقُ بهِ وهذا يُعَامَلُ على ما يَلِيقُ بهِ.

والأَمْرُ الثَّانِي: يُسأَلُ عن جسدِهِ فيما أبلاهُ أي ماذا عَمِلَ بجوارحِهِ بيدِهِ ورجلِهِ وعينِهِ وأُذنِهِ، هل استعمَلَ هذهِ النعمَ في طاعةِ اللهِ أم في معصيةِ اللهِ؛ لأنَّ العينَ واللسانَ واليدَ والأُذُنَ والرِجلَ كلُّ هذا من نِعَمِ اللهِ، من استعملَهُ في طاعةِ اللهِ ينالُ في الآخرةِ أَجرًا جزيلًا في الآخرةِ، لِهذا يُسأَلُ عن جسدِهِ فيما أبلاهُ.

والأَمْرُ الثالِث: المالُ، يُسأَلُ الإنسانُ مِنْ أينَ جَمَعْتَ هذا المالَ إنْ كانَ أخذَهُ مِنْ حلالٍ وصَرَفَهُ في حلالٍ من غيرِ معصيةِ اللهِ، ليسَ عليه عقوبةٌ بلْ إنْ صرفَهُ في طاعةِ اللهِ في نفقةِ أهلِهِ وفي الصدقاتِ ونحوِ ذلكَ يكونُ هذا المالُ الذي جمعَهُ من حلالٍ وصرفَهُ في طاعةِ اللهِ ذُخْرًا كبيرًا في الآخرةِ، أمَّا إنْ جَمَعَهُ من حرامٍ فالويلُ لَهُ ثم الويل لَهُ، وأَمَّا إِنْ جَمَعَهُ من حرامٍ وصَرَفَهُ في الصدقاتِ فلا يقبَلُهُ اللهُ منهُ.

ليسَ كلُّ ما يصلُ إليهِ يدُ الإنسانِ حلالًا، حتى الشىءُ الذي تصِلُ إليهِ يدُهُ من غيرِ طريقِ السرقةِ والغصْبِ منهُ ما هو مُحرَّمٌ، المالُ لهُ أحكامٌ، القرءانُ الكريمُ ذَكَرَ المالَ الحلالَ والمالَ الحرامَ، فإذَا جَمَعَ المالَ من حرامٍ ثم صَرَفَ منه كثيرًا في بناءِ مسجدٍ ونحوِ ذلكَ لا يقبلُ اللهُ منهُ، اللهُ لا يقبلُ من الصدقاتِ وبناءِ المساجدِ ونحوِ ذلكَ إلا ما كانَ مالَ حلالٍ.

ثُمَّ بعضُ الناسِ يجمعونَ المالَ من حرامٍ يكونُ عندَهُم مالٌ كثيرٌ ثم يَموتُونَ ويترُكُونَ هذا المالَ لأهليهِم وأقاربِهِم، هذا الشخصُ تَرَكَ وَبَالا عليهِ، أهلُهُ ينتفعونَ بهِ [إن علموا أنه من حرام لا يجوز لهم الانتفاع بهذا المال بل يَرُدُّونَهُ لأصحابه] أما هو يُؤاخذُ عليهِ في الآخرةِ لأَنَّهُ مالٌ حرامٌ جَمَعَهُ لَهُم من طريقٍ حرامٍ ثم تَرَكَهُ لَهُم وذَهَبَ إلى القبرِ.

الأَمْرُ الرَّابعُ: هو تعلُّمُ علمِ الدينِ الحلالِ والحرامِ، تعلُّمُ ما هو فرضٌ من طاعةِ اللهِ وتعلمُ ما هو محرمٌ في شرعِ اللهِ، فإنْ كانَ ما تعلمَهُ طبَّقَهُ وأدَّى الفرضَ، أدَّى ما فرضَ اللهُ عليه وتَجَنَّبَ ما حَرَّمَهُ اللهُ عليهِ كما تَعَلَّمَهُ من علمِ الدينِ، هذا منزلتُهُ عاليةٌ في الآخرةِ،

أمَّا إن لَمْ يَتْبَعْ عِلْمَهُ وتَبِعَ هواهُ أضاعَ بعضَ الواجباتِ أو ارتكَبَ بعضَ الذنوبِ الكبيرةِ فهو له ويلٌ كبيرٌ في الآخرةِ.

ثُمَّ إنَّ هؤلاءِ الأربعةَ من خَتَمَ اللهُ له بالإسلامِ فمَاتَ مؤمنًا ومتجنبًا للكفرياتِ فَمَهْمَا كَثُرَتْ ذنوبُهُ فهو تَحتَ المشيئةِ إنْ شاءَ اللهُ عاقبَهُ بذنوبِهِ وإنْ شاءَ عَفَا عنهُ، لذلكَ نحنُ إذا عَلِمْنَا مُسلمًا من أهلِ الكبائرِ ماتَ لا نقولُ هذا من أهلِ النارِ، لا يَجوزُ.

الصَّدَقَةُ مِنْ مالٍ حلالٍ قد يَغفِرُ اللهُ بِهَا بعضَ الكبائرِ، لَهَا نفعٌ كبيرٌ مَهْمَا قَلَّتْ، لَهَا عندَ اللهِ وزنٌ كبيرٌ لذلكَ قالَ الرسولُ عليهِ السلامُ: «**سَبَقَ دِرهَمٌ مائَةَ ألفِ دِرهَم**» قيلَ: كيفَ ذلكَ يا رسولَ اللهِ قالَ: «**رجلٌ لهُ درهَمانِ** ـ أي من الحلالِ ـ **تَصَدَّقَ بأحدِهِمَا وأبقَى الآخرَ لنفسِهِ ورجلٌ ءاخرُ تَصَدَّقَ بمائةِ ألفٍ من عُرضِ مالِهِ**» أي لهُ مالٌ كثيرٌ، من هذا المالِ الذي هو ملايينُ أعطَى مائةَ ألفٍ وتركَ لنفسِهِ الكثيرَ الكثيرَ، هذا الذي تصدَّقَ بدرهمٍ وتركَ لنفسِهِ دِرهَمًا ثوابُهُ أعظمُ من ذلكَ الذي تَصَدَّقَ بِمائةِ ألفٍ؛ لأنَّ هذا غَلَبَ نفسَهُ لأجلِ الآخرةِ، ما قالَ: أنَا ما عندِي إلا درهمانِ كيفَ أُخرِجُ دِرهَمًا منهُمَا؟ ءاثَرَ الآخرةَ وخالفَ نفسَهُ ورَغِبَ فيمَا عندَ اللهِ من الثوابِ، هذا ثوابُهُ أفضلُ من ذلكَ الغنِيِّ، ليسَ شرطًا أن يكونَ الشخصُ تَصَدَّقَ بالكثيرِ بل العبرةُ أنْ يكونَ المالُ حلالًا.

ثُمَّ لَوْ تصَدَّقَ بِحبةِ تمرٍ على إنسانٍ جائعٍ هذهِ التمرةُ الواحدةُ لَهَا عندَ اللهِ وزنٌ كبيرٌ، قَدْ يُعتِقُ اللهُ المسلمَ من ذنوبٍ كبيرةٍ بصدقةٍ قليلةٍ إنْ كان المالُ حلالا وكانَتِ النيةُ تقربًا للهِ ليسَتْ للرياءِ، ليسَ ليقالَ: فلانٌ كريمٌ يَبذُلُ المالَ للهِ، إنَّمَا نيتُهُ التقربُ إلى اللهِ بلا رياءٍ.

ثُمَّ إنَّ اللهَ تبارك وتعالى أَخَّرَ أكثرَ جزاءِ الكفارِ والمسلمينَ العصاةِ إلى الآخرةِ، أَكثرُ الكفارِ الذينَ طَغَوْا وكَفَرُوا باللهِ وبأنبيائِهِ أُخِّرَ عذابُهُم إلى الآخرةِ، وبعضُهُم الله انتقَمَ منهُم

فِي الدنيَا، قومُ نوحٍ عليهِ السلامُ لَمَّا كَذَّبُوهُ وبَقُوا على عبادةِ الأوثانِ الخمسةِ تَعِبَ معهُم، هو كانَ لا يَمَلُّ من دعوتِهم إلى الإسلامِ وهم يقابلونَهُ بالسبِّ والشتمِ وأحيانًا يضربونَهُ، قضَى وهو صابرٌ على هذا تسعَمائةٍ وخمسينَ سنةً، ما ءامنَ بهِ إلا نحوُ ثمانينَ شخصًا، اللهُ أنزلَ عليهِ الوحيَ بأنَّهُ لا يؤمِنُ منهُم إلا القدرُ الذينَ ءامنُوا فقَطَعَ الأملَ منهُم وصارَ يدعُو عليهِم بعدَ أنْ قطعَ الأملَ منهُم، فدَعَا عليهِم بأنْ لا يتركَ اللهُ منهُم أحدًا على الأرضِ، اللهُ استجابَ دعاءَهُ، كلُّ أولئكَ حتى الأطفالُ اللهُ أهلكَهُم لأنَّ اللهَ عَلِمَ أن أطفالَهُم لو كَبِرُوا لا يؤمنُونَ، اللهُ أهلكَهُم بالغرقِ، أَمَرَ الأرضَ فارتفعَ ماؤُهَا أربعينَ ذراعًا وأمرَ السماءَ فصارَتْ تُمطِرُ قطراتٍ كلُّ قطرةٍ كالجبلِ ليسَ كالعادةِ، اجتمعَ ماءُ الأرضِ وماءُ السماءِ، فغَطَّى جبالَ الأرضِ كلَّها، أما نوحٌ ومَنْ ءامنَ معَهُ اللهُ نَجَّاهُم، وأهلَكَ البقيةَ حتَّى ابنَهُ كنعانَ الذي أكلَهُ الغرقُ لأنَّهُ كَفَرَ. والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ».

الحَجُّ عَرَفَةُ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ وصلى اللهُ على سيدِنا مُحَمَّدٍ وعلى ءالهِ وصحبهِ الطيبينَ.

أَمَّا بعدُ فقد رُوِّينَا في مستدركِ الحاكمِ وسُننِ البيهقيِّ وغيرِهِمَا من حديثِ شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ أن نبيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قالَ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَومَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ ءَادَمُ وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**». قيل: «وكيف تُعرَضُ صلاتُنا عليك يا رسولَ اللهِ وقد أرمتَ؟» قَالَ: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ**».

هَذَا الحَدِيثُ يتضمَّنُ فَضْلَ يومِ الجمعةِ، هنا لفظُ الحديثِ «**إنَّ مِن أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ**» وإنَّما قالَ: «**مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ**» ولَمْ يقلْ إن أفضلَ أيامِكُم لأنَّ هناكَ أيامًا لَهَا مزايَا وفَضَائِلُ كَيَوْمِ الحجِّ الأكبرِ وهو يَوْمُ الْعِيدِ بالنسبةِ للمُحْرِمِ فِي الحجِّ، يومُ العيدِ هو يومُ الحجِّ الأكبرِ، عرفةُ قبلَ يومِ العيدِ.

وَسُمِّيَ يومُ العيدِ للحاجِ يومَ الحجِّ الأكبرِ لأنَّ معظمَ أعمالِ الحجِّ تكونُ فيهِ كالطوافِ والحلقِ أو التقصيرِ ورمي جمْرَةِ العقبةِ.

ولا يتنافَى هذا مع حديثِ «**الْحَجُّ عَرَفَةُ**» لأنَّ معناه أنَّ أشدَّ أعمالِ الحجِّ احتياطًا هو وُقُوفُ عَرَفَةَ لِضِيقِ وَقْتِهِ، لأنَّ الوقوفَ بِعَرَفَةَ وقتُهُ أقلُّ من يومٍ كَامِلٍ، لأنَّ وقتَهُ من زوالِ يومِ عَرَفَةَ أي التاسعِ من ذي الحجةِ إلى الفجرِ، ما بينَ الزوالِ والفجرِ هذا وقتُ عَرَفَةَ، فمَنْ لَمْ يتمكنْ من الوقوفِ بِعَرَفَةَ فِي هذهِ المدةِ التِي هي أقلُّ من يومٍ كاملٍ فاتَهُ الحجُّ فلذلكَ قال الرسولُ: «**الْحَجُّ عَرَفَةُ**» معناهُ من أدركَ عَرَفَةَ أي وَقَفَ بِعَرَفَةَ فقد أدركَ الحجَّ أي ما سوى ذلكَ سَهْلٌ عليهِ، لأنَّ أركانَ الحجِّ سِوى الوقوفِ وقتُهَا واسعٌ، الطوافُ بالبيتِ الذي هو ركنٌ من أركانِ الْحَجِّ لَا يُجْبَرُ بدمٍ أي بذبحٍ إنْ فَاتَ، لأنَّ وقتَهُ واسعٌ، لكنْ أفضلُ أيامِهِ يومُ العيدِ، فمَنْ لَمْ يَطُفْ طَوَافَ الْفَرْضِ فِي خِلَالِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ طَافَ أيَّ يَوْمٍ شَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ لو بَعْدَ شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ أَوْ أَكْثَرَ.

والسعيُ مثلُهُ ليسَ وقتُهُ ضيقًا بل واسعٌ إن شاءَ يسعَى عَقِبَ طوافِ القدومِ أولَ ما يدخلُ مكةَ، وإن شاءَ يَسْعَى عَقِبَ طَوَافِ الْفَرْضِ، والْحَلْقُ أَوْ التَّقْصِيرُ يَجُوزُ فِعْلُهُمَا كَالطَّوَافِ بَعْدَ شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ أَوْ أَكْثَرَ.

فلَمَّا كانَ العملُ الذي وقتُهُ ضيقٌ هو الوقوفُ بِعَرَفَةَ فقط قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**الحجُّ عرفةُ**» ليسَ معناهُ أنَّ مَنْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ ثبتَ لهُ الحجُّ من غيرِ توقفٍ على

أعمالٍ أخرَى بل لا بدَ من الإحرامِ الذي هو النيةُ، أي نيةُ الدخولِ في النُسكِ ومن طوافِ الفرضِ والسَعْيِ والحلقِ أو التقصيرِ.

قولُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «**إنَّ من أفضلِ أيّامكُم يومَ الجمعةِ**»، هو لبيانِ أنَّ هناكَ أيامًا فاضلةً غيرَ يومِ الجمعةِ وإنْ كانَ يومُ الجمعةِ يختصُ بِمزايَا ليستْ لتلكَ الأيامِ الفاضلةِ سِواهُ. ومن الأيامِ الفاضلةِ عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ أي من أوَّلِ شهرِ ذِي الْحِجَّةِ إلى العاشرِ من يوم العيدِ، كلُّ هذهِ الأيامِ لَهَا فضلٌ عندَ اللهِ تعالى فإنَّ عملَ البِرِ والإحسانِ في هذهِ الأيامِ يزكُو ويزيدُ على ما سِوَاهُ، لِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: «**ما من أيامٍ العملُ فيهَا أحبُّ إلى اللهِ من عشرِ ذِي الْحِجَّةِ**» فيُفهمُ أنَّ الأعمالَ الصالحةَ في هذهِ الأيامِ تزكُو عندَ اللهِ تعالى أكثرَ مِمَّا إذا عُمِلتْ في غيرِهَا.

نعودُ إلى شرحِ حديثِ: «**إنَّ من أفضلِ أيّامِكم يومَ الجُمُعةِ فيهِ خُلِقَ ءادمُ وفيهِ قُبِضَ وفيهِ النفخةُ وفيهِ الصَعْقةُ**». هذهِ الأمُورُ الأربَعَةُ أمُورٌ عِظَامٌ.

أمَّا ءادمُ فلأنهُ أولُ النوْعِ البشريِّ الذي فضَّلَهُ اللهُ على سائرِ أنواعِ المخلوقاتِ فهُو أفضلُ من النوعِ الملَكِيِّ ومن النوعِ الجنِيِّ، بِما أنَّ أنبياءَ اللهِ من البشرِ، من أفرادِ هذا النوعِ الكريمِ على اللهِ تعالى خُلِقَ في هذا اليومِ. أي في يومِ الجمعةِ. وتمامُ خَلْقِ ءادمَ عليه السلامُ كانَ في الجنةِ، فقد روى الحاكِمُ في مستدركهِ «**إنَّ ءادمَ لَمْ يمكثْ في الجنةِ إلا ساعةً من العصرِ إلى الغروبِ**» لكنْ تلكَ الساعةُ وَرَدَ أثرٌ بأنهَا مقدارُ مائةٍ وثلاثينَ عامًا، لأنَّ تلكَ الأيامَ الستةَ التي خَلَقَ اللهُ فيها الأرضَ والسمواتِ وخَلَقَ ءادمَ في ءاخرِ الخلقِ، كلُّ يومٍ منهَا قدرُ ألفِ سنةٍ بتقديرِ أيامِنَا هذهِ فكانَ مدةُ مُكثِ ءادمَ في الجنةِ بعد نفخِ الروحِ فيه إلى أنْ نزلَ إلى الأرضِ مائةً وثلاثينَ عامًا.

وهذا معنى قولِهِ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**فيهِ خُلِقَ ءادمُ**» وإنَّما أُخِّرَ خَلقُهُ إلى ءاخرِ ذلكَ اليومِ الذي هو ءاخرُ الأيامِ الستِّ التي خُلِقَتْ فيهَا السمواتُ والأرضُ لأنَّ

ءادمَ صَفْوَةُ الخَلْقِ، أي أفضلُ مِمَّا خُلِقَ قبلَهُ، أفضلُ من الملائكةِ وأفضلُ من غيرِهِم فكانَ مناسبًا أن يكونَ ءاخرَ الخلقِ في تلكَ الأيامِ الستةِ.

كمَا أن مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم الذي هو سيدُ الخَلْقِ سيدُ العالَمِينَ على الإطلاقِ وإمامُ الأنبياءِ وأشرفُ المرسلينَ خُلِقَ ءاخرَ الأنبياءِ لَمْ يُبْعَثْ إلا بعْدَ أنْ بُعِثَ جميعُ الأنبياءِ، وفي ذلكَ مناسبةٌ مع صفةِ شرابِ أهلِ الجنةِ الذي وصَفَهُ اللهُ بقولِهِ: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ ٢٦﴾ [سورة المطففين]. فليسَ الفضلُ عندَ اللهِ تبارك وتعالى بطولِ عُمُرِ العبدِ من عبادِ اللهِ الصالِحِينَ، إنَّمَا الفضلُ بتفضيلِ اللهِ، فسيدُنَا ءادمُ عليهِ السلامُ عاشَ ألفَ سنةٍ ونوحٌ عليهِ السلامُ عاشَ أكثرَ من ذلكَ ومع ذلكَ فليسَا أفضلَ الأنبياءِ، ولو كانَ الفضلُ بطولِ العمُرِ لكانَ أفضلُ الأنبياءِ هو الخضرَ على القولِ بِحياتِهِ، أي أنهُ لَمْ يَمُتْ بعدُ وهو قولُ أكثرِ العلماءِ وهو نبيٌّ على القولِ الصحيحِ، هو أطولُ عُمُرًا من هذينِ النبيَّيْنِ ومن سائرِ البشرِ ومع ذلكَ فليسَ هو أفضلَ الأنبياءِ إنَّمَا أفضلُ الأنبياءِ هم خمسةٌ.

رَوَى الحَاكِمُ في المستدركِ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنهُ قالَ: «**خِيَارُ الأنبياءِ خمسةٌ مُحَمَّدٌ وإبراهيمُ وموسَى وعيسى ونوحٌ وخيارُ الخمسةِ مُحَمَّدٌ**».

كان سيدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أقلَّ الأنبياءِ عُمُرًا، عاشَ بعد نزولِ النبوةِ عليهِ ثلاثةً وعشرينَ عامًا، مع ذلكَ اللهُ فَضَّلَهُ على غيرِهِ من الأنبياءِ الذينَ فيهِم ءادمُ الذي كانَ عمرُهُ ألفَ سنةٍ، ونوحٌ الذي كان عمرُهُ ألفًا وزيادةً قيلَ إلى سبعمائةٍ وخمسينَ فوقَ الألفِ، وقيل أقَلُّ من ذلكَ، فالفضلُ ليس إلا بتفضيلِ اللهِ تعالى، فهو تباركَ وتعالى له أنْ يُفضِّلَ من يشاءُ من خلقِهِ، لا يُقالُ من كانَ أطولَ عمرًا وأطولَ عبادةً هو أفضلُهُم، لو كانَ الأمرُ كذلكَ لَمْ يكنْ سيدُّنَا مُحَمَّدٌ أفضلَهُم وسيدَهُم وأشرفَهُم وأكرمَهُم على اللهِ تعالى. ولكونِ أمةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ءاخرَ الأممِ كمَا أن نبيَّهُم ءاخِرُ الأنبياءِ فإنهم لَمْ يُذكَرُوا في الأممِ الماضينَ إلا بالمدحِ، ما ذُكِروا بالذّمِ.

وقد ذَكَرَ اللهُ تعالى كثيرًا من مَساوِئِ الأممِ السابَقَة في القرءانِ مِنهَا ما فعلَ قومُ هود وقومُ صالحٍ وَقومُ إبراهيمَ وماذا فعلَ قومُ موسَى وماذا فعلَ بنُو إسرائيلَ بعيسَى، اللهُ تعالى فضحَهُم ذكرَ لنَا مساوِئَهم، أما أمة النبي صلى الله عليهِ وسلم فلَمْ تُفْضَحْ في أمةٍ من الأممِ الماضينَ بل ذُكِرُوا بالمدْحِ والثناءِ.

وأمَّا ءادمُ عليهِ السلامُ فقد قُبِضَ يَوْمَ الجُمُعةِ وهو أمرٌ متفقٌ عليهِ ليسَ في ذلكَ خلافٌ لورودِ هذا النصِّ الحديثيِّ الصحيحِ.

وأمَّا أنَّ النَفْخَةَ فيهِ فالمرادُ بِهَا النَفْخُ في الصورِ أي البوقِ الذي وُكِّلَ إسرافيلُ بالنَفْخِ فيهِ.

وأما قولُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ «**وفيهِ الصَعْقةُ**» فهي الموتُ بالنسبةِ لقسمٍ من العبادِ والغَشْيَةُ بالنسبةِ لبعضٍ، لأنهُ يَحدُثُ مِنَ النَفْخةِ أمرانِ:

قسمٌ من الخلقِ وهمُ الذينَ تُدرِكُهُم النفخةُ وهم أحياءٌ على وجهِ الأرضِ فيموتُونَ من هذهِ النفخةِ وذلكَ شاملٌ للإنسِ والجنِّ الذينَ يكونُونَ ذلكَ الوقتَ أحياءً، وأمَّا الصعقةُ التِي هي غَشْيَةٌ ليسَتْ مَوْتًا فهِيَ لِمَنْ كانَ قد ماتَ قبلَ ذلكَ من الأنبياءِ وغيرِهِم، فإنَّهُم يُصعقُونَ أي يُغْشَى عليهِم لا يعادُ عليهِم الموتُ مرةً ثانيةً لأَنَّهُم قد ماتُوا، إلا أنهُ وردَ في حَقِّ موسَى احتمالانِ، **أحدُهُما** أنَّ النبيّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ذَكَرَ أن موسَى يجوزُ عليهِ أن يُغشَى عليهِ كمَا أُغشِيَ على غيرِهِ عندَ النفخةِ من الذينَ ماتُوا قبلَ ذلكَ وهُم جميعُ الأنبياءِ، والاحتمالُ **الثانِي** أنهُ لا يُغشَى عليهِ بل يكونُ جُوْزِيَ أي جازاهُ اللهُ تعالى بإنقاذِهِ واستثنائِهِ من الغَشْيةِ عندَ النفخةِ، لأَنَّهُ صُعِقَ بالطورِ لما رَأَى الجبلَ اندكَّ أي صارَ مستويًا بالأرضِ بتَجَلّي اللهِ لهُ. صُعِقَ موسَى أي غُشِيَ عليْهِ. ومعنَى تَجَلَّى اللهُ لِلْجَبَلِ أنَّ اللهَ خَلَقَ في الْجَبَلِ إِدْرَاكًا وَحَيَاةً ورؤيةً للهِ فرَأَى رَبَّهُ، اللهُ تعالى خَلَقَ فيهِ الرؤيةَ لكنَّهُ انْدَكَّ من شِدَّةِ خَشْيَتِهِ مِنَ اللهِ تعالى، وهذِهِ الجمادَاتُ اللهُ تباركَ وتعالى يَخْلُقُ فِي بَعْضِهَا في

بَعْضِ الأوقاتِ إِدْرَاكًا وَحَيَاةً ثُمَّ تَعُودُ إلى حَالَتِهَا. ومن الدليلِ عَلَى ذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ٧٤﴾ [سورة البقرة].

وقد صَحَّ عن النبيّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أنَّ ثلاثةً من الَّذِينَ كانُوا مِمَّنْ قبلنَا أي قبلَ هذهِ الأمةِ من المؤمنينَ أَوَوْا إلى الغارِ أي لَجَؤُوا إليهِ فلَمَّا دَخَلُوهُ نزلَتْ صَخْرَةٌ من أَعْلَى الْجَبَلِ فسدَّتْ عليهِم فَمَ الْغَارِ، والرسولُ قالَ إنَّ هذا الْحَجَرَ مِنَ الْحَجَرِ الذي يَهْبِطُ من خشيةِ اللهِ، وهؤلاءِ مؤمنُونَ، لكنِ اللهُ تعالى ابتلاهُم لأنهُ يبتَلِي المؤمنينَ في هذهِ الدنيَا بأشيَاءَ من البلاءِ وهؤلاءِ ارتعبُوا ارتعابًا شديدًا لَمَّا أَصَابَهُم هذا البلاءُ، وهو انْسِدَادُ فَمِ الْغَارِ الذي دخلُوهُ عليهِم، بحيثُ لا يَقْدِرُونَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْهُ، فَقَالَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ: ليسأَلْ كُلٌّ منَا ربَّهُ الفرجَ بعملٍ صالِحٍ قدَّمَهُ، فكلٌّ واحدٍ من الثلاثةِ ذَكَرَ عَمَلًا صَالِحًا قدّمَهُ قبلَ ذلكَ ففَرَّجَ اللهُ عنهُم بأنِ انزاحَتِ الصخرةُ فخرجُوا سالمينَ. ولولا أنَّ اللهَ فَرَّجَ عليهِم لتَلِفُوا وهَلَكُوا.

واللهُ سبحانَهُ وتعالى أعلمُ، الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.

اللهمَّ ربَّنا ءاتِنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقنا عذابَ النارِ، اللهم اغفرْ لنا وارحمنا وعافِنَا واعفُ عنا، اللهم اجعلنا من المحسنينَ الذكّارينَ الأَوَّابينَ الشَّكَّارينَ لك، واغفرْ لنا ولإخواننا الذينَ سبقونا بالإيمانِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ له النعمةُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحسنُ وصلِّ اللهُمَّ على سيدِنا مُحَمَّدٍ وعلى ءالِهِ وسلِّم، سبحانَ ربِّك ربِّ العزةِ عما يصِفُونَ وسلامٌ على المرسلينَ والحمدُ للهِ ربِّ العالمين».

برُّ الْوَالِدَيْنِ وَعُقُوقُهُمَا:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ لهُ النعمةُ ولهُ الفضلُ وله الثناءُ الحسنُ صلواتُ اللهِ البَرّ الرحيمِ والملائكةِ المقربينَ على سيدِنَا محمدٍ أشرفِ المرسلينَ وحبيبِ ربّ العالَمِينَ.

أمَّا بَعدُ فإنَّ من معاصِي البدنِ التي هي من الكبائرِ أي من الْمَعاصِي التي لا تلزمُ جارحةً من الجوارحِ عقوقَ الوالدينِ أو أحدِهِمَا وإنْ علا ولو مع وجودِ أقربَ منهُ، قالَ بعضُ الشافعيةِ في ضبطِهِ: «هو ما يتأذَّى بهِ الوالدانِ أو أحدُهُمَا تأذيًا ليس بالْهَيّنِ في العُرفِ».

وَمِنْ عُقوقِ الوالدينِ الذي هو من الكبائرِ تركُ الشخصِ النفقةَ الواجبةَ عليهِمَا إن كانَا فقيرينِ، أمَّا إنْ كانَا مكتَفِيَيْنِ فلا يَجِبُ الإنفاقُ عليهِمَا، لكنْ يُنفِقُ عليهِمَا من بابِ البِرِّ والإحسانِ إليهِمَا، فيُسَنُّ لهُ أنْ يعطيَهُمَا ما يُحِبَّانِهِ، بل يُسَنُّ أن يطِيعَهُمَا في كلِّ شيءٍ إلا في معصيةِ اللهِ، حتى في المكروهاتِ إذا أطاعَ أبويهِ يكونُ لهُ ذلكَ رفعةَ درجةٍ عندَ اللهِ إنْ نَوَى نيةً حسنةً، قالَ الفقهاءُ: «إذَا أَمَرَ أحدُ الوالدينِ الولدَ أنْ يأكُلَ طعامًا فيه شبهةٌ أي ليسَ حرامًا مؤكدًا، يأكلُ لأجلِ خاطرِهِمَا ثم من غيرِ علمِهِمَا يتقايَؤُهُ»، وقالُوا: «إذا أَمَرَ أحدُ الوالدينِ ولدَهُ بفعلِ مباحٍ أو تركِهِ وكانَ يغتَمُّ قلبُ الوالدِ أو الوالدةِ إن خالفَهُمَا يَجِبُ عليهِ أنْ يطيعَهُمَا في ذلكَ».

ومِنْ بِرّ الوَالِدَينِ أنْ يَبَرَّ مَنْ كانَ أبُوهُ يُحِبُّهُ بعدَ وفاةِ أبيهِ بالزيارةِ والإحسانِ، كذلكَ من كانت تُحِبُّهُ أمُّهُ بعدَ وفاتِهَا، بأن يَصِلَهُم ويُحْسِنَ إليهِم ويَزُورَهُم. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ أنْ يَبرَّ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ**» أي بعدَ أَنْ يَمُوتَ.

ومِنْ بِرّ الوَالِدَينِ زيارتُهُمَا بعدَ موْتِهِمَا. ومن أرادَ أَنْ يكونَ بَارًا فعليهِ أن يطِيعَهُمَا في كُلِّ المباحاتِ أو أغْلَبِهَا.

قالَ أهلُ العلمِ: «من حيثُ المشروعيةُ يُطِيعُ الولدُ والديهِ في المباحِ والمكروهِ، لكنْ لا يَجِبُ طاعتُهُمَا في كلِ مباحٍ بل يَجِبُ أَنْ يطيعَهُمَا في كُلّ ما في تركِهِ يَحصُلُ لَهُمَا غَمٌّ بسببِهِ وإلَّا لا يكونُ واجبًا، فإذَا طَلَبَ أحدُ الوالدينِ من الولدِ أَنْ لا يسافِرَ وكانَ

سفرُهُ بلا ضرورةٍ وَجَبَ عليهِ تركُ ذلكَ السفرِ إذا كانَا يغتَمَّانِ بسفرِهِ. وإذَا أرادَ الأبُ أو الأمُّ منعَ ولدِهِمَا من الخروجِ من البيتِ بدونِ إذنِهِ فَإِنْ كانَ خروجُهُ يُسَبِّبُ للأبِ غَمًّا شديدًا بحيثُ يحصلُ له انهيارٌ أو شبهُ ذلكَ عندئذٍ لا يَجُوزُ لهُ الخروجُ بدونِ إذنِهِ بل يكونُ خروجُهُ من الكبائرِ إنْ كانَ الأذَى الذي يحصلُ شَدِيدًا، فدرجةُ المعصيةِ في ذلكَ على حسبِ الإيذاءِ الذي يحصلُ للوالدِ.

وإذا طلبَ الأبُ أو الأمُّ من ابنِهما شيئًا مُباحًا كغَسلِ الصحونِ أو ترتيبِ الغرفةِ أو تسخينِ الطعامِ أو عَمَلِ الشَّايِ أَو ما أشبهَ ذلكَ ولَمْ يَفْعَلْ فإنْ كانَ يَغتَمُّ قلبُ الوالدِ أو الوالدةِ إنْ لَمْ يَفعَلْ حَرَامٌ عليهِ أن لا يَفْعَلَ.

قالَ اللهُ تعالى ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [سورة الإسراء].

أَمَرَ اللهُ عبادَهُ أمرًا مقطوعًا بهِ بأنْ لا يَعبُدُوا إلا إيَّاهُ وأَمَرَ بالإحسانِ للوالدينِ، والإحسانُ هو البِرُّ والإكرامُ، قال ابنُ عباسٍ: «لا تَنفُضْ ثوبَكَ فيصيبَهُمَا الغبارُ»، وقالَ عُروةُ: «لا تَمتَنِعْ عن شيءٍ أحَبَّاهُ».

وَقَدْ نَهَى اللهُ تعالى عبادَهُ في هذهِ الآيةِ عن قولِ «أفٍ» للوالدينِ وهو صوتٌ يدلُ على التضجُّرِ، وأصلُهَا نفخُكَ الشيءَ الذي يسقُطُ عليكَ من ترابٍ ورمادٍ، وللمكانِ تريدُ إماطةَ الأذَى عنهُ فقِيلَتْ لكُلِّ مُسْتَثْقَلٍ.

﴿وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا﴾: ولا تَزجُرْهُمَا عما يتعاطيانِهِ مِمَّا لا يُعجِبُكَ، والنَهيُ والنَهْرُ أخوانِ.

﴿وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾: أي لَيِّنًا لَطِيفًا أحسنَ ما تجدُ كما يقتضيهِ حسنُ الأدبِ.

﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾: أي أَلِنْ لَهُمَا جانِبَكَ متذللًا لَهُمَا من فرطِ رحمتِكَ إياهُمَا وعطفِكَ عليهِمَا ولكبرِهِمَا وافتقارِهِمَا اليومَ إلى مَنْ كانَ يفتقرُ إليهِمَا بالأمسِ، وخَفضُ الجناحِ عبارةٌ عن السكونِ وتركِ التعصبِ والإباءِ أي ارفُقْ بِهِمَا ولا تُغَلِّظْ عليهِمَا.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾: أي مثلِ رحمتِهِمَا إيَّايَ في صغرِي حتى رَبَّيَانِي، أي ولا تكتفِ برحمتِكَ عليهِمَا التي لا بقاءَ لَهَا، أو هُو أن يقولَ: يا أبتَاهُ يا أمَّاهُ ولا يَدْعُهُمَا بأسمائِهِمَا فإنَّهُ من الجفاءِ وسوءِ الأدبِ معهُمَا.

وَرَوَى الحاكِمُ والطبرانِيُّ والبيهقيُّ في شُعَبِهِ مرفوعًا «**رِضَا اللهِ في رِضَا الوَالِدَينِ وسَخَطُهُ في سَخَطِهِمَا**».

وَعَنْ بَهْزِ بنِ حَكِيمٍ عن أبيهِ عن جدِهِ رضيَ اللهُ عنهُم قالَ: «**قلتُ يا رسولَ اللهِ: مَنْ أَبَرُّ؟ قالَ: أُمَّكَ، قلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أُمَّكَ، قلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: أُمَّكَ، قلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أبَاكَ، ثُمَّ الأَقربَ فالأَقربَ**». أخرجَهُ أبو داودَ والترمذيُّ وحسنَهُ.

فيُفهَمُ مِنْ هذا الحديثِ تقديمُ الأمِّ على الْأَبِ في البِرِ، فلو طَلَبَتِ الأمُّ مِنْ وَلَدِهَا شيئًا وطَلَبَ الْأَبُ خلافَهُ وكانَ بحيثُ لو أطَاعَ أَحَدَهُمَا يَغضَبُ الآخَرُ يُقَدِّمُ الأُمَّ على الْأَبِ في هذهِ الحالةِ.

وإِنَّمَا حَضَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حديثِهِ هذا على بِرِّ الأمِّ ثلاثًا وعلى بِرِّ الْأَبِ مرةً لعَنَائِهَا وشَفَقَتِهَا مع ما تقاسيهِ من حَمْلٍ وطَلقٍ وولادةٍ ورَضاعةٍ وسَهَرِ ليلٍ. وقد رأَى عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رَضِيَ اللهُ عنهُمَا رجلًا يَحمِلُ أُمَّهُ على ظهرِهِ وهو يطوفُ بِهَا

حولَ الكعبةِ فقالَ: «يا ابنَ عمرَ أَتُرانِي وَفَّيْتُهَا حَقَّها؟ قالَ: ولا بطَلْقَةٍ واحدةٍ من طَلَقاتِهَا، ولَكِنْ قَدْ أَحْسَنْتَ، واللهُ يُثِيبُكَ على القليلِ كثيرًا.

وَقَدْ قالَ العلماءُ بوجوبِ الاستغفارِ للأبوينِ المسلمَينِ في العمرِ مرةً، ثم الزيادةُ على ذلكَ قربةٌ عظيمةٌ، وليسَ شرطًا أن يكونَ هذا الاستغفارُ بعدَ وفاتِهِمَا.

فَالوَلَدُ إن استغفرَ لوالديهِ بعدَ موتِهِمَا ينتفعُ والداهُ بِهذَا الاستغفارِ حتى إنَّهُمَا يلحقُهُمَا ثوابٌ كبيرٌ فيَعْجَبَانِ مِنْ أَيِّ شيءٍ جاءَهُمَا هذا الثوابُ؟ فيقولُ لَهُمَا الْمَلَكُ: هذا من استغفارِ وَلَدِكُمَا لكُمَا بَعدَكُمَا.

وَقَدْ صَحَّ عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالدَّيُّوثُ، وَرَجُلَةُ النِّسَاءِ**» رواهُ ابنُ حبانَ. أي لا يدخُلُ هؤلاءِ الثلاثةُ الجنةَ مع الأولينَ إنْ لَمْ يتوبُوا، وأمَّا إنْ تَابُوا فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ**» رواهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَالدَّيُّوثُ هو الذي يَعْرِفُ الزِّنَى فِي أهلِهِ ويَسكُتُ عليهِ مع مقدرتِهِ على منعِهِم، ورَجُلَةُ النِّسَاءِ هي التي تَتَشَبَّهُ بالرِّجَالِ.

وأخرجَ البخاريُّ ومسلمٌ من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مِنَ الكبائِرِ شَتمُ الرَجُلِ وَالدَيهِ، قيلَ: وهل يَسُبُّ الرجلُ والديهِ؟ قال: نعم يَسُبُّ أبَا الرَّجلِ فيَسُبُّ الرجلُ أباهُ ويَسُبُّ أمَّهُ فيَسُبُّ أمَّهُ** ».

ورَوَى الحاكمُ بإسنادٍ صحيحٍ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ: «**كُلُّ الذنوبِ يُؤَخِّرُ اللهُ منهَا ما شاءَ إلى يومِ القيامةِ إلا عقوقَ الوالدينِ فإنه يُعَجِّلُ لصاحبِهِ**» يعنِي العقوبةَ في الدنيَا قبلَ يومِ القيامةِ.

وَقَالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**ثلاثُ دعواتٍ مستجاباتٌ لا شَكَّ فيهِنَّ دعوةُ المظلومِ ودعوةُ المسافرِ ودعوةُ الوالِدِ على وَلَدِهِ**» رواهُ الترمذيُّ وأبُو داودَ وابنُ ماجَهْ وأحمدُ، وهذا معناهُ إِنْ دَعَا عليهِ بِحَقٍّ، أَمَّا إِنْ دَعَا عليهِ بغيرِ حَقٍّ فلا يَضُرُّهُ ذَلِكَ، فمَنْ

أرادَ النَّجَاحَ وَالْفَلَاحَ فَلْيَبَرَّ أَبَوَيْهِ تكنْ عاقبتُهُ حميدةً، فبِرُّ الوالدينِ بركةٌ في الدنيَا والآخرةِ. وءاخرُ دعوانَا أنِ الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ».

السَّلَامَةُ فِي اتِّبَاعِ جُمهورِ عُلَمَاءِ الإِسلَامِ فِي العَقِيدةِ وَالأَحْكَامِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ لهُ النعمةُ ولهُ الفضلُ وله الثناءُ الحسنُ صلواتُ اللهِ البَرّ الرحيمِ والملائكةِ المقربِينَ على سيدِنَا محمدٍ أشرفِ المرسَلِينَ.

أمَّا بعدُ فمسائلُ عديدةٌ يظنُّهَا بعضُ الناسِ مُجْمَعًا عليهَا عندَ كلِّ علماءِ الإسلامِ والأمرُ ليسَ كَذَلِكَ، الأكلُ في رمضانَ ينتهِي بالفجرِ هذا جمهورُ علماءِ الإسلامِ على هذَا وهو الحقُّ، وفيهِم مَن هُو مِن أهلِ الاجتهادِ قال: «يَجُوزُ الأكلُ إلى طلوعِ الشمسِ»، والعلماءُ ما كَفَّرُوا القائِلَ بذلكَ إنَّمَا قالُوا: غَلِطَ، والذي قالَ هذا هو من التابعينَ الذِينَ أدركُوا الصحابةَ وأخذُوا منهُم عِلْمًا لِهَذا لا يَجُوزُ التسرعُ في التكفيرِ.

مَعرِفَةُ الْمُجمعِ عليهِ ليسَ كلُّ أحدٍ يستطيعُ ذلكَ، العلماءُ الذين مَضَوْا اختلفُوا في مسائلَ كثيرةٍ، مِنهَا قراءةُ القرءانِ في الصلاةِ فَمِنَ السَّلَفِ من أهلِ الاجتهادِ مَنْ قالَ: مَنْ أَتَمَّ رُكُوعَهُ وسجودَهُ صلاتُهُ صحيحةٌ وإنْ لَمْ يَقْرَأْ شيئًا في القيامِ، ومنهُم مَنْ قَالَ: «الله أكبر» ليسَ شرطًا ليسَ ركنًا للدخولِ في الصلاةِ، النيةُ تكفِي بدونِ تكبيرٍ إذَا نَوَى أَنَّهُ يُصَلّي صلاةَ كذا يكفِي للصحةِ، وهناكَ أَمثَالُ هذَا.

لَا يَنبغِي التسرعُ، لا ينبغِي أنْ يَبْنِيَ الشخصُ التحليلَ والتحريمَ والتكفيرَ على حسبِ ما وَصَلَ إليهِ فَهمُهُ، يَنبَغِي أَنْ يَبْنِيَهُ على الاحتياطِ مع النَّظَرِ في حالِ المسئلةِ هَل هِيَ مُجْمَعٌ عليهَا أم لا، ثُمَّ هَلْ هِيَ معلومةٌ مِنَ الدينِ بالضرورةِ أم لا، بعدَ ذلكَ ينبغِي

القولُ بتكفيرِ مُخَالِفِهَا إنْ كانَ في مُخَالَفَتِهِ تكذيبٌ لِمَا جاءَ في الشرعِ وعُلِمَ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ.

أَمَّا فيمَا كانَ استخفافًا باللهِ أو رسولِهِ أو ملائكتِهِ أو دينِهِ أو شعائرِ الإسلامِ أو مَا كانَ نوعًا من أنواعِ تشبيهِ اللهِ بالعالَمِ أو كانَ نفيًا للصفاتِ الثلاثَ عشرةَ الواجبةِ للهِ فلا ينبغِي التوقفُ في تكفيرِ المخالفِ فيهَا لأنَّ أهلَ الحقِّ من علماءِ الإسلامِ لَمْ يَخْتَلِفُوا في ذلكَ أي في تكفيرِ الْمُخَالِفِ في ذلكَ.

فَالقائلُ والعياذُ باللهِ بأنَّ اللهَ جسْمٌ لطيفٌ أو كثيفٌ لا يُتوقَّفُ في تكفيرِهِ مَهْمَا كانَ غارقًا في الجهلِ؛ لأنَّ ثبوتَ الصفاتِ الثلاثَ عشرةَ للهِ تعالى يدلُ عليهِ العقلُ لو لَمْ يَسمَعْ ذِكْرَهُ في علمِ الدينِ، مَنْ سَمِعَ ومَنْ لَمْ يَسمَعْ في هذا سواءٌ.

وَلَا يُنْظَرُ إلى كَثْرَةِ الْجَاهِلِينَ الْمُخَالِفِينَ لِأَهْلِ الْحَقِّ فِي أَنَّ اللهَ تعالى منزهٌ عن أضدادِ هذهِ الصفاتِ الثلاثَ عشرةَ، لأنَّ مَنْ اعْتَقَدَ أنَّ اللهَ جِسْمٌ فهو جاهِلٌ بِخالقِهِ لَمْ يَعْرِفْهُ، كيفَ يُعَدُّ مُسْلِمًا وهو جاهلٌ بِخَالِقِهِ! فقولُ «لا إلهَ إلا اللهُ» والعباداتُ كذلكَ لا تنفعُ إلا بعد معرفةِ الخالقِ. فالْمُشَبِّهُ الذي يعتقدُ أنَّ اللهَ جِسْمٌ ملأَ العرشَ ليسَ عَابِدًا للهِ بل هو عابدٌ لشيءٍ غيرِ موجودٍ، والحقُّ أَنَّهُ اللهُ ليسَ على العرشِ ليسَ جِسْما بقَدرِ العرشِ أو مع الزيادةِ على مِساحةِ العرشِ.

وَكَذَلِكَ الذي يعتقدُ والعياذُ باللهِ أنَّ اللهَ جِسْمٌ حالٌّ فِي الْفَرَاغِ فوقَ العرشِ يكفر لأنَّهُ شَبَّهَ اللهَ بالشمسِ والقمرِ والنجومِ فإنَّ هؤلاءِ واقفاتٌ فِي الْفَرَاغِ فإذًا كِلا الفريقَينِ جاهلٌ بِخَالِقِهِ كَافِرٌ.

وَيَكفِي دليلًا على بطلانِ عقيدةِ الذي يعتقدُ أَنَّ اللهَ جِسْمٌ ءايَةُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ١١﴾ [سورة الشورى] لأَنَّهُ لو كانَ اللهُ جِسْمًا لَكَانَ لَهُ أَمْثَالٌ كَثِيرٌ، لا فرقَ بينَ من يقولُ: «إنَّ اللهَ جِسْمٌ» وعابِدِ الشمسِ، عابِدُ الشمسِ يَعبُدُ جسمًا كثيفًا مُحقَّقَ الوجودِ،

أمَّا هؤلاءِ الذينَ يعتقدُونَ أنَّ اللهَ جِسْمٌ مَلأَ العرشَ أو واقفٌ في الفراغِ فوقَ العرشِ أشدُّ سخافةَ عقلٍ من عابدِ الشمسِ؛ لأنَّ عابِدَ الشمسِ وإنْ كانَ كافرًا جَاهِلًا بِخالِقِهِ لكنَّهُ يعبدُ شيئًا موجودًا مشاهدًا وَمَنْفعتُهُ مُحَقَّقَةٌ مشاهدةٌ، فإذَا كانَتِ الشمسُ لا تَسْتَحِقُّ أنْ تُعبَدَ فكيفَ يَسْتَحِقُّ ذلكَ الجسمُ الْمُتَوَهَّمُ أنْ يُعبَدَ؟!

فَتَبَيَّنَ وظَهَرَ أنَّ هؤلاءِ الذين يقولونَ: إنَّ اللهَ قاعِدٌ على العرشِ أو فوْقَ العرشِ في الفراغِ أسخفُ عقلًا من عُبَّادِ الشَّمْسِ ولا ينفعُهُم احتجَاجُهُم بآيَةِ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ٥﴾ [سورة طه]، حيثُ فَسَّرُوا اسْتِوَاءَ اللهِ بالجلوسِ، والجلوسُ صفةٌ مشتركةٌ بينَ البشرِ والملائكةِ والجنِّ والبهائمِ، فليسَ مَدْحًا للهِ بل شَتمٌ للهِ، والجلوسُ لا يَكونُ إلا من جِسْمٍ مركبٍ من نصفينِ نصفٍ أعلَى ونصْفٍ أسفلَ، أينَ غابَ عنهُمْ تفسيرُ الاستواءِ بالقهْرِ؟! والقهْرُ كمالٌ في حقّ اللهِ ومن أسمائِهِ القهارُ والقاهرُ.

فَلَيسَ في هذا التَّفسيرِ أيْ تَفْسيرِ الاسْتِوَاءِ بالقهرِ تشبيهٌ للهِ تعالى بِخلقِهِ بل هذا هو الحقُّ. أمَّا تفسيرُ المشبهةِ لآيةِ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ٥﴾ [سورة طه] بِجَلَسَ أو اسْتَقَرَّ، هذا ضَلَالٌ مُبِينٌ حيثُ إنَّهُ تكذيبٌ لِمُحكَمِ القرءانِ قالَ تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ١١﴾ [سورة الشورى]. وقالَ: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ٧٤﴾ [سورة النحل]. وقالَ: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ٨﴾ [سورة الرعد]. وقالَ: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [سورة الإخلاص]».

التَّمَسُّكُ بِالْعَقِيدَةِ الحَقَّةِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على سيدِ المرسلينَ وخاتمِ النبيّينَ سيدِنا محمدٍ وعلى ءالِهِ وصحبِهِ ومن اتبعَ هُداهُ إلى يومِ الدينِ.

وبعدُ فإنَّ عقيدةَ أهلِ الحقّ أَهَمُّهَا أمرانِ:

أحدُهما: اعتقادُ أنَّ اللهَ موجودٌ لا يُشبِهُ شيئًا، ليسَ كشىءٍ من العالَمِ لا يُشبِهُ العالَمَ اللطيفَ ولا العالَمَ الكثيفَ. العالَمُ الكثيفُ كالإنسانِ والحجرِ والشجرِ مِمَّا يُضبَطُ باليدِ أي يُجَسُّ باليدِ، واللطيفُ ما لا يضبطُ باليدِ أي لا يُجَسُّ باليدِ. اللهُ لا يُشبِهُ هذا ولا يُشبِهُ هذا، ليس متحيزًا في مكانٍ وجهةٍ كالإنسانِ وسائرِ الأجسامِ، لأنَّ الجسمَ لا بُدَّ لَهُ من جهةٍ ومكانٍ، اللهُ تعالى ليس كذلكَ، لا يتحيزُ في جِهَةٍ ومكانٍ. كانَ قبلَ المكانِ والجهةِ بلا مكانٍ ولا جهةٍ، ثُمَّ خَلَقَ المكانَ والجهاتِ الستَّ فهو ليسَ متحيزًا في الجهاتِ والمكانِ.

لا يَجُوزُ أن يقالَ: اللهُ في مكانٍ كالعرشِ. ولا يَجُوزُ أنْ يقالَ: اللهُ في كُلِّ مكانٍ.

ولا يَتَّصِفُ اللهُ بصفاتِ الأجسامِ، لأنَّ الأجسامَ من صفاتِهَا الحركةُ والسكونُ، بعضُ الْخَلْقِ مُتَحَرِّكٌ دائمًا كالنُّجُومِ وبعضُ الْخَلْقِ ساكنٌ دائمًا كالعرشِ والسمواتِ السبعِ، وبعضُ الخلقِ ساكنٌ مرةً ومتحركٌ مرةً أُخرى، اللهُ ليسَ هكذا لا هو متحركٌ ولا هو ساكنٌ.

كذلكَ اللونُ من صفاتِ الخلقِ، البياضُ والسوادُ ونَحوُ ذلكَ، كذلكَ التغيرُ صفةٌ من صفاتِ خلقِهِ فلا يَجُوزُ على اللهِ التحولُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ.

قدرتُهُ سُبحَانَهُ ليسَتْ كقدرتِنَا، قدرتُنَا تزيدُ وتنقصُ أمَّا قدرتُهُ سُبحَانَهُ أزليةٌ أبديةٌ لا تزيدُ ولا تنقصُ، وعلمُهُ أزليٌّ أبديٌّ لا يزيدُ ولا يَنقُصُ، وكلامُهُ الذي ليسَ حرفًا ولا

صوتًا لا يزيدُ ولا يَنقُصُ، كلامُهُ ليسَ ككلامِنَا؛ نحنُ نتكلَّمُ فنَنْطِقُ بِحرفٍ وصوتٍ لذلكَ يكونُ كلامُنَا متجزئًا يَحصُلُ شيءٌ منهُ ثُمَّ يَنتَهِي ثُمَّ يَحصُلُ شيء ثُمَّ يَنتَهِي، أمَّا كلامُ اللهِ الذي هو متكلمٌ بهِ ليسَ هكذا؛ لأنَّهُ ليسَ حرفًا وصوتًا.

فلا يجوزُ لأحدٍ أن يعتقِدَ أنَّ اللهَ قرأَ القرءانَ بالحرفِ والصوتِ، إنَّمَا جِبرِيلُ قرأهُ، أخذَهُ من اللوحِ المحفوظِ بأمرِ اللهِ فقرأهُ على سيدِنَا محمدٍ، فمَنِ اعتَقَدَ أنَّ اللهَ قرأَ القرءانَ بالحرفِ والصوتِ فهو جاهلٌ باللهِ، عقيدتُهُ فاسدةٌ لأنَّهُ شبَّهَ اللهَ بِخلقِهِ.

هؤلاءِ الذينَ يعتقدُونَ أنَّ اللهَ قرأَ القرءانَ على جبريلَ، وجبريلُ قَرَأَهُ على محمدٍ، جعلُوا اللهَ مثلَ خلقِهِ، حتى الحرفُ والصوتُ وكلُّ اللغاتِ ما كانَتْ موجودةً قبلَ أن يَخلُقَهَا اللهُ، واللهُ تعالى كان متكلمًا قبلَ وجودِ الحرفِ والصوتِ، ولا يزالُ متكلمًا إلى ما لا نهايةَ لَهُ كلامُهُ ليسَ شيئًا يتقطعُ، وعلمُهُ ليسَ شيئًا يَتَقَطَّعُ، وقدرتُهُ ومشيئتُهُ وكلُّ صفاتِهِ ليسَ أشياءَ متقطعةً. ومشيئتُهُ لا تتغيرُ، مشيئةُ اللهِ واحدةٌ شاملةٌ لكُلِّ مَا يَدْخُلُ فِي الوُجُودِ. لا يَشَاءُ وُجُودَ شيءٍ ثُمَّ يغيّرُ إلى مشيئةٍ أخرى كخلقِهِ، نَحنُ نشاء في نفوسِنَا وجودَ شيءٍ ثُمَّ تَتَغَيَّرُ مشيئتُنَا فنشاءُ عدمَ وجودِهِ، نشاءُ أن لا يكونَ بعدَ أن كُنَّا نشاءُ أن يكونَ، تتغيرُ مشيئتُنَا فنشاءُ أنْ لا يكونَ ذلكَ الشيءُ، أمَّا مشيئةُ اللهِ ليسَتْ كذلك.

فمَنْ عَرَفَ اللهَ على هذا الوجهِ فهو عارفٌ باللهِ، أما مَنْ لَمْ يعرِفْهُ على هذا الوجهِ فهو غيرُ عارفٍ باللهِ كما قالَ سيدُنا عليٌّ: «**مَنْ زَعَمَ أنَّ إلَهَنَا محدودٌ فقد جَهِلَ الخَالِقَ المعبودَ**» أي من اعتَقَدَ أنَّ اللهَ لهُ حجمٌ ما عَرَفَ خالقَهُ.

معنى كلامِ سيدِنَا عليٍّ أنَّ اللهَ ليسَ محدودًا، أي ليس حجمًا صغيرًا ولا كبيرًا، فمن اعتقَدَ أن اللهَ حجمٌ كبيرٌ أو صغيرٌ أو بينَ الكِبَرِ والصِغَرِ هذا ما عرف اللهَ. أما معنَى: «اللهُ أكبرُ» أي اللهُ أقوَى من كلّ قادرٍ وأعلمُ من كلّ عالِمٍ، ليسَ معناهُ أنَّ اللهَ شيءٌ ضخمٌ أَخَذَ مِساحةً كبيرةً، لأنَّ اللهَ هو خَلَقَ الحجمَ الصغيرَ كحبةِ الخردلِ وخَلَقَ ما هو

أكبَرُ منهَا بقليلٍ كحبةِ سِمسِمٍ وما هو أكبَرُ منهَا بقليلٍ كحبةِ قمحٍ... ثُمَّ هكذا إلى العرشِ وهو أكبَرُ المخلوقاتِ حجمًا.

ما أجهلَ هؤلاءِ الذينَ يظنُّونَ أنَّ اللهَ شىءٌ لهُ حجمٌ، لو كانَ لهُ حجمٌ لاحتَاجَ إلى خالقٍ خلقَهُ على ذلكَ الحجمِ.

الشمسُ خَلَقَهَا اللهُ على هذا الحجمِ، جَعَلَ شكلَهَا مستديرًا ولونَها بياضًا وجعلَ صفتَهَا الحرارةَ. كلُّ شىءٍ لَهُ حَجمٌ لَا يكونُ إلهًا، والإلهُ ليسَ حجمًا كثيفًا ولا حَجمًا لطيفًا ولا متصفًا بصفاتِ الحجمِ اللطيفِ والكثيفِ.

ثم الأمرُ الثاني من أمورِ العقيدةِ الذي هو أهمُّ الأمورِ اعتقادُ أنَّ اللهَ هو خالقُ كلِّ شىءٍ، لا شىءَ يدخلُ في الوجودِ من الحجمِ والحركاتِ والسكناتِ حركاتِ العبادِ وسكناتِهِم والنظراتِ والكلامِ والمشيِ والتفكيرِ إلا بِخلقِ اللهِ، اللهُ يَخلقُهُ في عبادِهِ، إن نَطَقْنَا فاللهُ خالقُ هذا النطقِ لَسْنَا نحنُ خلقنَاهُ، وإن نظرنَا إلى شىءٍ فاللهُ هو الذي يَخلُقُ هذا النظرَ، وإن تَفَكَّرْنَا في شىءٍ فاللهُ هو الذي يَخلُقُ هذا التفكيرَ، وهكذا كلُّ أفعالِ العبادِ، فمن اعتَقَدَ أنَّ غيرَ اللهِ يَخلُقُ شيئًا من الحركاتِ أو السكناتِ أو التفكيرِ أو المحبَّةِ أو البُغضِ أو الفرحِ أو الحزنِ فهو مُشرِكٌ كافرٌ أَشرَكَ باللهِ الذي خَلَقَهُ.

هاتانِ المسألتانِ أهمُ مسائلِ العقيدةِ، ثُمَّ بعدَ هاتينِ المسألتَينِ المسائلُ الأُخْرَى من أركانِ الإيمانِ من جُمْلَةِ الْمُهِمَّاتِ لكنْ ليسَتْ كهاتَينِ المسألتَينِ، البعضُ يقولونَ والعياذُ باللهِ: «اللهُ يَخلُقُ الأجْسَامَ وحركاتِ النائمِ والحركاتِ التِي تَحصُلُ بلا إرادةٍ مِنَا، أمَّا الحركاتُ التِي نعملُهَا بإرادتِنَا كالنطْقِ والنظرِ والمشيِ والتفكيرِ، يقولونَ: نَحنُ نَخْلُقُهُ» هؤلاءِ كفارٌ مشركونَ، لأنَّ الخلقَ بِمعنَى إبرازِ المعدومِ من العدمِ إلى الوجودِ خاصٌّ باللهِ فمَنْ جَعَلَ هذا لغيرِ اللهِ أشركَ باللهِ، وكذلكَ الذي يعتقدُ في اللهِ أنَّهُ متحيزٌ في مكانٍ أو أنَّهُ حجمٌ كبيرٌ أو أنَّهُ حجمٌ كحجمِ البشرِ هذا ما عَرَفَ اللهَ، كفرُهُ من جهلِهِ باللهِ. أمَّا مَا

بعدَ هذا كالإيمانِ بالملائكة والإيمانِ بالكتبِ السماويةِ والإيمانِ بالرسلِ والإيمانِ باليومِ الآخِرِ ليسَ بدرجةِ هاتَينِ المسألتَينِ.

من عَرَفَ سيدَنَا محمَّدًا واعتقدَ أنَّ اللهَ هو الموجودُ الذي لا يَستَحِقُّ غيرُهُ العبادةَ صارَ مُسلمًا مؤمنًا، يكفِي لأصلِ الإيمانِ هذا، من عَرَفَ اللهَ تعالى كما يَجِبُ واعتَقَدَ أنَّهُ لا يَستَحِقُّ أن يُعبَدَ إلا هو، واعتَقَدَ أنَّهُ لا يَخلُقُ شيئًا من الأشياءِ إلا هو، وءامَنَ بسيدِنَا محمدٍ أنَّهُ رسولُ اللهِ فهو مُسلمٌ مؤمنٌ لو لَمْ يُؤَدِّ الفرائضَ، لَوْ لَمْ يَخطرْ لَهُ أمرُ الملائكةِ، لَوْ لَمْ يَخطرْ لَهُ أمرُ الآخرةِ. إنَّمَا استحضرَ في قلبِهِ معرفةَ اللهِ ومعرفةَ الرسولِ، ولَمْ يعتقدْ أنَّ ما سوَى اللهِ يَخلُقُ شيئًا من الأشياءِ، هذا يقالُ لهُ مؤمنٌ مسلمٌ.

لكنْ لا يكونُ مؤمنًا كاملًا حتى يؤديَ الفرائِضَ كلَّهَا ويجتنبَ المحرماتِ كلَّهَا ويتعلمَ علمَ الدينِ الضروريَّ ويعملَ بذلك، عندئذٍ يكونُ مسلمًا كامِلًا وليًا، يكونُ مِنَ الذينَ لا خوفٌ عليهِم ولا هُم يَحزَنُونَ، وءاخرُ دعوانَا أنِ الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ».

سَترُ العُيُوبِ وَالتَّحْذِيرُ الشَّرْعِيُّ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ لهُ النعمةُ ولهُ الفضلُ ولهُ الثناءُ الحسنُ صلواتُ اللهِ البرِّ الرَّحيمِ والملائكةِ المقربينَ على سيدِنا مُحَمَّدٍ أشرفِ المرسلينَ وعلى إخوانِهِ الأنبياءِ والمرسلينَ وسلامُ اللهِ عليهم أجمعين.

أَمَّا بَعدُ، فقد رُوِيَ بالإسنادِ المتصلِ الصحيحِ في كتابِ المستدْرَكِ للحاكِمِ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قال: «**من رَأى عَورَةً فَسَتَرَهَا كان كمَنْ أَحيَا مَوْءُودَةً من قَبرهَا**» هذا الحديثُ الصحيحُ يُخبِرُنَا بأنَّ من رأى عورةً لِمسلمٍ فستَرها أي لَمْ يَبُثَّهَا بينَ الناسِ بل أَخْفَاهَا فلَهُ أجرٌ شَبِيهٌ بأَجرِ مَنْ أحيَا مَوْءُودةً، أي أنقَذَ بنتًا مولودَةً دُفنَتْ وهي حَيَّةٌ كما كانَ جاهليةُ العربِ يفعلونَ، فأنْقَذَهَا قبلَ أن تَمُوتَ.

هَذَا لهُ أجْرٌ عَظِيمٌ، وهذا الأمرُ كانَ في جاهليةِ العربِ أي قبلَ أن يُبعَثَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بِمُدَّةٍ، كانَ هذا الشَّىْءُ معروفًا عند العربِ، لكنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ما فَعَلَ هذا، هذا كذبٌ مُفْتَرًى عليهِ أَنَّهُ كان قبلَ أن يُسْلِمَ وَأَدَ بنتًا لهُ، إِنَّمَا بعضُ الناسِ فعلُوا حتّى بعضُ أصحابِ رسولِ اللهِ كانَ فيهِم رجلٌ معروفٌ بالكَرمِ والحِلْمِ، لكنْ حدثَتْ لهُ حادثةٌ فَفَعَلَ هَذَا، ثم بعد أن أسلمَ عَمِلَ حَسَنَاتٍ كثيرةً حتّى تَنغمِرَ تلكَ المعصيةُ التي فعلَهَا قبلَ أن يُسلِمَ من وَأدِ بناتٍ لهُ، هذا الرجلُ سببُ إقدامِهِ على دَفنِ بناتٍ لهُ ثمانٍ أنهُ كانَتْ أغارَتْ قبيلةٌ من العربِ على قبيلتِهِ فسَبَتْ لهُ بِنْتًا، ثُمَّ حَصَلَ صُلْحٌ بينَ القبيلتينِ فهذهِ البنْتُ كَانَ واحدٌ من تلكَ القبيلةِ التي أَسَرَتْهَا مالَ إليهَا تَعَلَّقَ بِهَا وهي تَعَلَّقَتْ بهِ فخُيِّرَتْ وقيلَ لَها ترجعينَ إلى أبيك أم تبقَيْنَ هُنَا مع هذا الرّجُلِ، قَالَتْ: أَنَا أختارُ هذا الرَّجُلَ، اختارَتْ على أبِيهَا هذا الرَّجُلَ مع أَنَّ أباهَا وَجِيهٌ في قومِهِ وكريمٌ وسَخِيٌّ وحَلِيمٌ ومعروفٌ بالذِّكْرِ الحسنِ عندَ الناسِ، هنا غَضِبَ قَالَ: كيف تُفضّلُ عليَّ هذا الشخْصَ فحَلَفَ أنَّهُ إن جَاءَتْهُ بنَاتٌ بعْدَ هذا يدفِنُهُنَّ وَهُنَّ حَيَّاتٌ فَدَفَنَ بعدَ ذلكَ ثماني بَنَاتٍ وَهُنَّ حَيَّاتٌ، كُلَّمَا وُلِدَتْ لهُ واحدةٌ يَدفِنُهَا إلى أن كَمَلَ عَدَدُ ثَمَانٍ، ثم بعدَ أنْ أَسلَمَ ندِمَ على ما فَعَلَ ندامةً شديدةً فقالَ لرسولِ اللهِ: يا رسولَ اللهِ ماذا أفعلُ أنا وَقَد وَأَدْتُ ثَمَانِي بناتٍ فماذا أفعلُ، قالَ لهُ: [أعتِق رِقَابًا] أي أُنَاسًا مَمْلُوكِينَ حَرِّرْهُمْ، قال: أنا صَاحِبُ إِبِلٍ، معناهُ عندِي إبلٌ كثيرٌ أَمَّا الرَّقِيقُ ما عندِي رقيقٌ، فتصدّقَ بنحوِ مائةِ إبلٍ حتى يُغَطِّيَ ما سبقَ لَهُ من وَأدِ بناتِهِ الثَّمَانِ، واللهُ تباركَ وتعالى ذَكَرَ في القرءانِ الكريمِ تَقْبِيحَ وَأْدِ البناتِ. قالَ تباركَ وتعالَى: ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ٩﴾ [سورة التكوير]»، هذا فعلٌ شنيعٌ من أشنَعِ الجَرَائِمِ.

الحَاصِلُ أن الرّسولَ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم شَبَّهَ هذا الذي يَرَى عوْرَةً لِمسلمٍ أي ما يُعابُ عليهِ ويُسْتَحَى منهُ أن يَطَّلِعَ عليهِ الناسُ إنْ رءاهَا فسَترَهَا بأجرِ هذا الإنسانِ الذي

رأى مَوْءودَةً فأنْقَذَهَا قبلَ أن تموتَ بالتُّرابِ، وفي ذَلِكَ أَجْرٌ عظيمٌ، كذلكَ هذا فيهِ أجرٌ عظيمٌ الذي يرَى عورةً على مسلمٍ فيسترُهَا، ثمّ هناكَ قِصّةٌ تُشبِهُ هذهِ حصلَتْ في خلافَةِ عمرَ حيثُ جاءَ رجلٌ إلى عمرَ بنِ الخطابِ أميرِ المؤمنينَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ لهُ: يا أميرَ المؤمنينَ إنّي كنتُ وَأَدتُ بنتًا لِي في الجاهليّةِ ثم أخرجتُهَا قبلَ أن تَمُوتَ ثمّ أدرَكْنَا الإسلامَ فأسْلَمتْ ونَحنُ أسلَمنَا ثمّ ارتَكبَتْ حدًّا من حدودِ اللهِ، معنَاهُ زَنَتْ قبلَ أنْ تَتَزَوَّجَ، فأخذَتْ شفرةً لتذبَحَ نَفْسَهَا أي من عُظْمِ ما وقَعتْ فيهِ من الفَضيحةِ، أخذَتْ شفرةً لتنتَحِرَ فأدرَكناهَا وقد قَطَعَتْ بَعْضَ أَودَاجِهَا، فَدَاوَيْنَاهَا، ثم تابَتْ توبةً حسَنَةً، ثمَّ خُطِبَت إلينَا من قومٍ فأَخْبَرْتُ ببعضِ ما جَرَى لَهَا، على زعمِهِ لئلا يغُشَّهُمْ، قال لَهُم: «بِنْتِي هَذِهِ كانَ سَبَقَ لها كذا وكذا» حتّى يُقْدِمُوا على إتمامِ خِطبتِهَا أو يَفْسَخُوا، أو يَتْرُكُوهَا، على زعمِهِ أنَّهُ يَنْصَحُ الَّذِي يَخْطُبُهَا لِأَنَّ بنتَهُ سَبَقَ لَهَا كَذَا مِمَّا هُوَ عَارٌ وَعَيْبٌ، فقالَ عمرُ: «**أنت تَبُثُّ مَا سَتَرَهُ اللهُ تَعَالَى، لَئِنْ أخبرتَ بذلكَ أَحَدًا لأَجعلنَّكَ نَكَالًا يتحدّثُ به أهلُ الْأَمْصَارِ**»، معناهُ لَئِنْ عُدْتَ بعْدَ هَذا إلى إفشاءِ هذهِ العورةِ التي سَبَقَتْ لابنتِكَ، إنْ تَحَدَّثْتَ بِهَا بعد هذا لأجعَلَنَّك نَكَالًا أي عِبرةً للناسِ بِعُقُوبةٍ أُنزّلُهَا بكَ يتحدثُ بِهَا أهلُ الْأَمْصَارِ أي أهلُ المدنِ، هذهِ الحادثةُ يُؤْخَذُ منهَا حُكْمَانِ شَرعيّانِ، يُؤخَذُ منها أنَّ الإنسانَ بعدَ أن يتوبَ لا يَجُوزُ ذِكرُهُ بالعارِ والعيبِ الذي سَبَقَ لَهُ، المسلمُ إذا سَبَقَ لَهُ عارٌ مَهْمَا كانَ ذلكَ العارُ ومَهْمَا كانَتْ تلكَ العورةُ لا يَجُوزُ أن تُفْشَى بعد أن يتوبَ ذلكَ المسلمُ أو المسلمةُ، حتى في مثلِ هذهِ الحالةِ، مثلًا بعدَ أن تابَ ذلكَ الشخصُ المسلمُ أرادَ إنسانٌ مصاهرتَهُ لا يَجُوزُ أن نَكشِفَ ذلكَ العيبَ الذي سَبَقَ.

يُؤْخَذُ من هذهِ القصةِ أنَّ هذهِ البنتَ لو لَمْ تكن تابَتْ كانَ حقًّا على أبيهَا إذا خُطِبَتْ إلى شخص أنْ يَتكلَّمَ فيهَا مع أنَّه أبوها، وإن سكَتَ هو وغيرُهُ ممّن عَلِمَ بالحادثةِ يكونونَ غاشِّينَ، الأبُ يكونُ غاشًّا ومَن عَلِمَ بذلكَ مِمَّنْ سواهُ من أَهْلِهَا أو غيرِ أهلِهَا

يكونُونَ غَاشِّينَ، لو لَمْ تَكُنِ البنتُ تابَتْ لكانَ غشًّا، فلو كانَتِ البنتُ بَقِيَتْ على حالِهَا لَمْ تَتُبْ ثُمَّ خُطِبَتْ ثم هو أخبرَ بشأنِهَا، بِمَا جَرَى لَها عُمَرُ لا يُوَبِّخُهُ، لولا أنَّها تَابَتْ ما وَبَّخَهُ إِنَّمَا وَبَّخَهُ لأنَّها تَابَتْ.

التَّحْذيرُ من الشخصِ الغَشَّاشِ أو الخائنِ الذي لَمْ يَتُبْ من ذلكَ ليسَ مُحَرَّمًا بل هو واجِبٌ.

هَذَا فِيمَا يتعلقُ بالأمرِ الذي لا يَتعدَّى إلى الغيرِ، أما الإنسانُ الذي يَغُشُّ الناسَ في تجارتِهِ أو تدريسِهِ لعلمِ الدينِ أو لعلمِ الدنيَا أو غيرِ ذلكَ من سائرِ فنونِ المعاملاتِ، الذي يَغُشُّ في ذلكَ وَاجِبٌ كَشفُهُ ولا يَجُوزُ سترُهُ، كالذي يبيعُ البضائِعَ التي فيهَا عيبٌ من غيرِ أنْ يُبَيِّنَ عَيْبَهَا، هذا فرضٌ على من عَلِمَ بِحالِ هذا التاجرِ أنْ يُحَذِّرَ الناسَ منهُ، كذلكَ إذا وَجَدَ إنسانًا يَعْمَلُ عندَ شخصٍ وهو خائنٌ، الشخصُ الذي يَعْرِفُ منهُ الخيانةَ يَجِبُ عليهِ أن يُحَذِّرَ صَاحِبَ العَمَلِ، يقولُ لهُ فلانٌ كذا، هذا فرضٌ، هذا لا يُطْلَبُ سَتْرُهُ، هذا كَشْفُهُ مطلوبٌ لأنَّ النصيحةَ تَقتَضِي كشفَهُ، كذلكَ إذا إنسانٌ أرادَ أنْ يصادِقَ إنسانًا فالمسلمُ الذي يَعلَمُ من هذا الإنسانِ الذي يريدُ أن يُصادقَهُ ضررًا وغَشًّا وخيانةً يَجِبُ عليهِ أن يكشِفَهُ ويُحَذِّرَ منهُ، يقولُ لهُ: لا تُصادِقْ فلانًا فإنَّهُ لا يَصلُحُ للمصادقةِ وإن كانَ لا يكتفِي بهذا القدرِ إلا أنْ يَكشِفَ لَهُ ما هو السببُ الذي يَجعَلُهُ غيرَ صالحٍ للمصادقةِ يُبَيِّنُ له، يقولُ لَهُ: فَعَلَ كذا فَعَلَ كذا حتى يَهجرَهُ، ثُمَّ بعدَ ذلكَ إنْ ظلَّ على مُصادقتِهِ فوَبَالُهُ عليهُ، أمَّا ذلكَ الشخصُ بَرَّأَ نفسَهُ، وهذا الكلامُ في أمرِ المسلمينَ أمَّا الكافِرُ فلا غيبةَ لهُ.

إِذَا رَأَيْتُم وَاحِدًا يُرِيدُ أَنْ يُصَادِقَ وَاحِدًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ فِي ذَلِكَ الشَّخْصِ أَنَّهُ خَبِيثٌ فَرْضٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحَذِّرُوا هَذَا الإِنْسَانَ مِنْهُ.

الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قال لشخصٍ خَطَبَ فأسَاءَ الخُطْبَةَ قال له: «**بِئسَ الخطيبُ أنتَ**» رواهُ أحمدُ في مسْندِهِ، وذلكَ لأنَّهُ قالَ كَلِمَاتٍ خالفَ فيهَا الشرعَ، هو ما سَبَّ الرسولَ ولا انتَقَصَهُ بل على زعمِهِ كان يُعَظِّمُ الرسولَ تعظِيمًا بالغًا، لكنَّ الرّسولَ بعثَهُ اللهُ تعالى لبيانِ الحقِّ والباطلِ، ما سَكَتَ لَهُ، قالَ لَهُ: «**بِئسَ الخطيبُ أنتَ**».

والقَولُ الذي قالَهُ ذلكَ الرجلُ فأغضَبَ الرّسولَ، قالَ: «مَنْ يُطِع اللهَ ورَسُولَهُ فقد رَشَدَ ومَنْ يَعصِهِمَا فقد غَوَى» الرسولُ انتَقَدَهُ لقولِهِ: «ومَنْ يَعصِهِمَا»، ما قالَ ذلك الخطيب: «ومَنْ يعصِ اللهَ ورسولَهُ» بل قالَ: «ومَنْ يَعصِهِمَا» جَمَعَها في لفظٍ واحدٍ على هذا الوجهِ[1]، وإنْ كانَ مرادُ الشخصِ تعظيمَ الرسولِ لكنَّهُ فَعَلَ فعلًا لا يُوَافِقُ شَرعَ اللهِ تعالى لأنَّهُ قالَ: «ومَن يَعْصِهِمَا فقد غَوَى».

فَلِذَلكَ يَجِبُ التحذيرُ من هؤلاءِ الذينَ يُحَرِّفُونَ دِينَ اللهِ عَمَلًا بقَوْلِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: «**الدينُ النصيحةُ**».

الزُّهْدُ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأفضَلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليمِ على سَيِّدِ الخلقِ أَجمعينَ سيدِنَا محمدٍ وعلى ءالِهِ وصحبِهِ الطيبينَ الطاهرينَ ومَنِ اهتدَى بهداهُم إلى يومِ الدينِ.

وبعدُ يقولُ اللهُ تبارَكَ وَتَعَالى في القرءانِ الكريمِ: ﴿**مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١**﴾ [سورة البقرة].

(1) لأنه بهذا اللفظ في هذا السياق قد يوهم التسوية.

أيُها الأحبَّةُ المؤمنونَ إنَّ التقوَى والورعَ والترفعَ عن أكلِ الحرامِ من شِيَمِ عبادِ اللهِ الصالِحينَ فاتقُوا اللهَ حيثُمَا كنتُم واتقُوا اللهَ في أنفسِكُم وأولادِكُم واتقُّوا اللهَ في مكسبِكُم ومأكلِكُم ومشربِكُم فإنَّ هذهِ الدنيَا لا تُغنِي عن الآخرةِ شيئًا، واللهُ تبارك وتعالى الفعالُ لِمَا يريدُ جعلَ العبادَ على قسمَيْنِ جعلَ قِسمًا غنيًا مُوسِرًا وقِسْمًا فَقِيرًا واللهُ تعالى لا يُسأَلُ عَمَّا يَفعَلُ وهُم يُسأَلُونَ، هُوَ الإلهُ الواحدُ فهو الحاكِمُ الْمُطْلَقُ وهو الآمِرُ الْمُطْلَقُ وهو النَّاهِي الْمُطْلَقُ وهو الفَعَّالُ لِمَا يريدُ. خَلَقَ العبادَ على ما أَرادَ، منهُم الشقيُّ ومنهُم السَّعِيدُ، منهُم القويُّ ومنهُم الضعيفُ، منهُم الثريُّ ومنهُم الفقيرُ، تعالى اللهُ عن أنْ يكونَ ظَالِمًا فهوَ الفَعَّالُ لِمَا يريدُ. وأمَّا الذينَ ءاتاهمُ اللهُ تعالى زينةَ الدنيَا وزُخْرُفَهَا وكانُوا مؤمنينَ واستعمَلُوهَا في طاعةِ ربِهِم فطوبَى لَهُم وحُسْنَ مئابٍ. وأمَّا الذينَ أُوتُوا نصيبًا من الدنيَا واستعملُوهَا في الشهواتِ المحرماتِ ولَمْ يستعملُوهَا في الطاعاتِ فهؤلاءِ انقلبَتْ عليهم هذهِ النِعَمُ نِقْمةً فِي الآخرةِ، فإنَّ المرءَ يُقالُ لهُ يومَ القيامةِ: أَلَمْ نُصِحَّ جِسْمَكَ ونَسْقِكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟ حتَّى الماءُ البَارِدُ هذهِ النعمةُ العظيمةُ التي أنعَمَ اللهُ بِهَا علينَا يُسأَلُ المرْءُ عَنْهَا يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بقَلْبٍ سَلِيمٍ. ففِرْعَوْنُ الذي ءَاتَاهُ اللهُ مُلْكَ مِصْرَ وقالَ: «هذهِ الأَنهارُ تَجرِي من تَحْتِي»، ربُّ العالمينَ أخبرَنَا حكايةً عن موسَى بنِ عمرانَ أنَّهُ قالَ: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ٨٨ ﴾ [سورة يونس] .

فاللهُ يَعلَمُ أنَّ فِرْعَوْنَ سيَطْغَى وسَيَزْدَادُ تَكَبُّرًا وتَجبُّرًا وظُلْمًا للعبادِ وأنَّ المالَ والجاهَ والسلطةَ التي ءاتاهُ اللهُ إياهَا لَنْ يستعملَهَا في الطاعةِ أبدًا ومع ذلكَ فقد ءاتاهُ اللهُ هذا السلطانَ وهذا المالَ، لِمَ؟ لأنَّ اللهَ فعالٌ لِمَا يريدُ. تُرى وهل من شرطِ الزهدِ أنْ يكونَ المرءُ فَقِيرًا؟ تُرَى وهَلْ من شَرطِ الزهدِ والورعِ والتمسكِ بالعباداتِ أنْ يكونَ المرءُ فقيرًا؟

ليسَ شرطًا ليَكُونَ المرءُ زاهدًا عابدًا ناسِكًا أنْ يكونَ فقيرًا ليسَ لَهُ مالٌ فَقَدْ قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**نِعْمَ المالُ الصَالِحُ للرَّجُلِ الصَّالِحِ**» إذنْ ربُّ العبادِ جَعَلَ العبادَ على قسمينِ جَعَلَ قِسمًا منهُم مؤمنينَ وقسمًا منهُم كافرينَ، جَعَلَ العِبَادَ على قسمينِ: قِسمًا ثريًا غَنِيًا وقِسمًا فَقِيرًا، فاللهُ تباركَ وتعالَى جَعَلَ الدنيَا يشتركُ في التنعمِ فِيهَا الْمُؤْمِنُونَ والكَافِرُونَ، وأمَّا نعيمُ الآخرةِ فهو خاصٌ بالمؤمنينِ وهذا معنَى حديثِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**الدُنيا سِجْنُ المؤمِنِ وجنةُ الكافرِ**».

واليومَ لا يَخْفَى ما يعانِيهِ المسلمُونَ مِنْ شدةِ البلاءِ وتوالِي النكباتِ والمصائبِ عليهِم، تُرَى كيفَ كانَتْ مواقفُ الصحابةِ أغنياءِ النفوسِ الذينَ أَعزَّهُم اللهُ تعالى بالإسلامِ وكيفَ بَذَلُوا المالَ وجاهدُوا بالنفسِ مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وما أحوَجَنَا اليومَ لِموقفٍ كموقفِ أبي بكرٍ الصديقِ رَضِيَ اللهُ عنهُ الذي تَبَرَّعَ بأكثرِ مالِهِ ليُجَهِّزَ جيشَ المسلمينِ ولَمْ يُبْقِ لنفسِهِ ولأَهلِهِ إلا النَّزْرَ القليلَ. هذا هُو أبُو بكرٍ الصدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عنهُ رأسُ هذهِ الأمةِ المحمديةِ بعدَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ غَنِيًا ثريًّا وَسَّعَ اللهُ عليهِ بالْمَالِ ومعَ ذَلكَ كانَ زاهدًا عَابِدًا نَاسِكًا رقيقَ النفسِ، وكذلكَ عُثْمَانُ بنُ عفانَ رَضِيَ اللهُ عنهُ الذي جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ بعَشَرَةِ ءالافِ دينارٍ من الذَّهَبِ وقَدَّمَ كُلَّ قَافِلَتِهِ التِي كانَتْ قادِمَةً من بِلَادِ الشامِ بأقتابِهَا وأحلاسِهَا وحُمُولتِهَا، قَدَّمَهَا بينَ يَدَيْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حتَّى استَهَلَّ وجْهُهُ فَرحًا بِمَا فعلَ عُثْمَانُ بنُ عفانَ الذي دَعَمَ موقفَ الإسلامِ والمسلمينَ بأنْ جَهَّزَ جيشَ العُسْرَةِ وقَدَّمَ قافلتَهُ التجاريةَ القادمةَ مِنْ بلادِ الشامِ عَامَ القَحْطِ للمُسْلِمِينَ، أوَلَمْ يَكُنْ عُثْمَانُ زاهدًا؟ مع كوْنِهِ ثريًّا بالمالِ كَانَ عابدًا زاهدًا ناسكًا.

إذنْ فالزهدُ والورعُ ليسَا متوقِّفَينِ على الفقرِ والقلةِ، وليسَ كلُّ فقيرٍ قَلِيلِ المالِ وَرِعًا، وإنَّمَا الورَعُ والتقوَى يكونَانِ بالتزامِ الطاعاتِ واجتنابِ المحرماتِ ومنهَا اجتنابُ

أَكلِ مالِ الحرامِ، فكَمَا أنَّ الغنِيَّ مُطَالَبٌ بالبذلِ والعطاءِ والسخاءِ إضافةً إلى الواجباتِ كذلكَ الفقيرُ مُطَالَبٌ بالزهدِ، مُطَالَبٌ بالقناعةِ، مُطَالَبٌ بأنْ يَقْنَعَ بالمالِ الحلالِ مَهْمَا كانَ قَليلًا لا أنْ يَتَوَرَّطَ في أكلِ المالِ الحرامِ لِيَتَوَسَّعَ وأهْلَهُ ولِيَتَلَذَّذَ مع أَهْلِهِ بهذا المالِ الحرامِ ويظنَّ أن ليْسَ عليه من يراقبهُ، الزهدُ ليس متوقفًا على الفقرِ، والبذْلُ والعطاءُ ليس مَقصُورًا على الأغنياءِ. فليسَ كُلُّ الصحابةِ كانُوا أغنياءَ بالمالِ وإنَّمَا كلُّهُم كانُوا أغنياءَ بالنفوسِ، فكَمَا بذلَ أبُو بكرٍ الصديقُ رَضِيَ اللهُ عنهُ ومِنْ بعدِهِ عُثْمَانُ كذلكَ فَعَلَ عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ وغيرُهُ من أغنياءِ الصحابةِ رضوانُ اللهِ عليهِم، وأمَّا أولئكَ الذينَ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِم مالٌ تُرَى ماذَا قَدَّمُوا في سَبِيلِ اللهِ؟ أَلَمْ يَكُنْ خالدُ بنُ الوليدِ مِثَالًا يُحتَذَى لطالبِ الاستشهادِ في سبيلِ اللهِ ولا يَخفَى كَمْ هِيَ النفسُ غاليةٌ أغلَى من المالِ فمَنْ لم يكُنْ منهُم ذا مَالٍ ضَحَّى بنفْسِهِ ومَنْ كانَ منهُم ذَا مالٍ بَذَلَ وسَخَا بِمالِهِ وبنفسِهِ، هؤلاءِ الصحابةُ رضوانُ اللهِ عليهِم غنيُّهُم وفقيرُهُم بالمالِ كانُوا مِثَالًا للزهدِ والورعِ، وما أحوجَنَا اليومَ ونحنُ في عُسْرةٍ أنْ تتحرَّكَ صناديقُ الأثرياءِ لإسعافِ الْمنكوبينَ وأهلِ الضروراتِ وفي نفسِ الوقتِ أنْ يلتزمَ الفقراءُ بابَ القناعةِ والتقوَى والورعِ والزهدِ بأنْ يقْنَعُوا بالْمالِ الحلالِ مَهْمَا كانَ قليلًا. اللهُ تبارك وتعالى فعالٌ لِمَا يريدُ.

اقتدُوا بأَبِي بكرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، اقتدُوا بعبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ وخالدِ بنِ الوليدِ، أولئكَ الذينَ ضَحَّوْا بأنفسِهِم من أجلِ تحقيقِ مقاصدِ الإسلامِ ومَنْ كانَ منكُم ذا مالٍ فلينفقْ من مالِهِ واللهُ تبارك وتعالى يقولُ في القرءانِ الكريمِ: ﴿**مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ٢٦١**﴾ [سورة البقرة].

وءَاخِرُ دعوانَا أنِ الحمدُ للهِ ربِ العالمينَ».

فَضْلُ حُسْنِ الخُلُقِ وَتَرْكِ الْغَضَبِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمدٍ أشرفِ المرسلينَ وعلى ءالِهِ الطيبينَ الطاهرينَ وعلى أنبياءِ اللهِ أجمعينَ.

أَمَّا بَعْدُ فإنَّ خيرَ الهدي هدْيُ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم وإنَّ من هدي رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّم حُسنَ الخُلُقِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ**» أي أنا ضامِنٌ لِمن حَسَّنَ خُلُقَهُ ببيتٍ في أعلَى الجنةِ، ومعنى حُسْنِ الْخُلُقِ أَنْ يَعْمَلَ الإنسانُ الْمَعْرُوفَ مَعَ الَّذِي يَعْرِفُ لَهُ ومَعَ الَّذِي لَا يَعْرِفُ لَهُ، لأن قصدَهُ رضا اللهِ فلا يُهِمُّهُ رضا النَّاسِ بعد أنْ رَضِيَ اللهُ عنهُ. وأن يصبِرَ على أَذَى النَّاسِ، وأن يَكُفَّ أذاهُ عن النَّاسِ، هذا معنَى حُسْنِ الْخُلُقِ فلو كانَ المسلمُ المؤمنُ الذي حَالُهُ هذا أي يعمَلُ الْمَعْرُوفَ مَعَ الَّذِي يَعْرِفُ لَهُ ومَعَ الَّذِي لَا يَعْرِفُ لَهُ ويَكُفُّ أذاهُ عن الغيرِ ويَصبِرُ على أذَى النَّاسِ هذا لهُ عندَ اللهِ تعالى يوْمَ القيامةِ فضلٌ كبيرٌ بحيثُ إنهُ يساوِي الرجلَ الذي يقومُ الليالِيَ والناسُ نيامٌ ويصومُ النهارَ أي يُكْثِرُ صِيَامَ النَّفْلِ يُكْثِرُ من ذلكَ وَيَتَهَجَّدُ فِي اللَّيْلِ أيْ يَقُومُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يُصَلِّي تطوعًا للهِ تعالى، فَهذا المؤمنُ الذي يُحَسِّنُ خلقَهُ في الدَّرَجَةِ سواءٌ، مع أنَّ هذا ليسَ مثلَ ذاكَ يقومُ الليالِيَ ويتركُ لذيذَ المنامِ مُحْتَسِبًا الأَجْرَ من اللهِ تعالى ويصومُ أَكْثَرَ السَنَةِ، هذا بِحُسْنِ خلقِهِ يساوِي ذَاكَ الذي يقومُ اللَّيْلَ ويصومُ النهارَ بلا فتورٍ.

حُسْنُ الخلقِ يتطلبُ تركَ الغضبِ، والغضَبُ شَرُّهُ كبيرٌ، كَثِيرٌ من الناسِ بسببِ الغضبِ يكفرُونَ، وكثيرٌ يقطعُونَ أرحامَهُم بسببِ الغضبِ وكثيرٌ من الناسِ يُقْدِمُونَ على القتلِ ظلمًا وعدوانًا بسببِ الغضبِ، لذلكَ الرسولُ صلى اللهُ عليه وسلَّم أوصَى بتركِ الغضبِ قالَ رجلٌ: يا رسولَ اللهِ ما يُنْجِينِي مِنْ غضبِ اللهِ، قال: «**لا تغضَبْ**».

مَعْنى الحَدِيثِ أَنَّكَ إنْ كنتَ تريدُ النجاةَ من غضبِ اللهِ فلا تغضبْ أي اتركِ الغضبَ. مساوئُ الغضبِ كثيرةٌ لا تُحصى، في الماضِي القديمِ كانَ من قومِ عادٍ رجلٌ يقالُ لَهُ «حمارُ ابنُ مالكٍ»، هو من العربِ الذينَ هم مِنْ عادٍ، وهؤلاءِ قومُ عادٍ قبلَ سيدِنَا إبراهيمَ بزمانٍ طويلٍ، اللهُ أعلمُ كَمْ مضَى من السنينَ منذُ عهدِهِم لأنَّ تاريخَ الدنيَا غيرُ معلومٍ عندَ البشرِ، عِلْمُهُ عندَ اللهِ، والرسولُ ما حَدَّدَ، ما قالَ إنَّهُ مضَى من الدنيَا كذَا وكذَا من السنين، فهذا الرجلُ الذي يُسَمَّى «حمارَ بنَ مالكٍ» كانَ زعيمًا على وادٍ في الجزيرةِ العربيةِ ويقالُ لذلكَ الوادِي «جوفٌ».

كَانَ هذا الرجلُ عاشَ على الإسلامِ أربعينَ سنةً ثُمَّ ابتلاهُ اللهُ تعالى ببلاءٍ عظيمٍ فلم يَصبِرْ، بل تَسَخَّطَ على ربِّهِ والعياذُ باللهِ، اللهُ تعالى أرسلَ صاعقةً على أولادِهِ فقتلتْهُم فغَضِبَ غضبًا شديدًا وكَفَرَ كُفرًا كبيرًا، قالَ: لا أعبُدُهُ أي لا أعبدُ اللهَ لأنَّهُ قَتَلَ أبنائِي، فبالغَ في الكفرِ لم يقتصِرْ على كفرِهِ لنفسِهِ بل صارَ إذا جاءَ إنسانٌ إلى هذا الوادِي يقولُ لهُ: تكفُرُ باللهِ وإلا قتلتُكَ فإنْ كَفَرَ تركَهُ وإلا قتلَهُ.

ثُمَّ إنَّ اللهَ تعالى أرسلَ نارًا من أسفلِ الوادي فأحرقَتِ الوادِي، كانَ في هذا الوادِي شجرٌ كثيرٌ وماءٌ فصارَ هذا الوادِي أجردَ لم يبقَ فيهِ شجرٌ ونَضَبَ الماءُ فيهِ، هذا الرجلُ لو صبرَ على هذا البلاءِ لنالَ أجرًا كبيرًا، لو ثبتَ على إسلامِهِ ولم يكفُرْ لنالَ أجرًا كبيرًا، وذلكَ لأنَّ المؤمنَ الذي يَفقِدُ من يَعِزُّ عليهِ كالولدِ والأبِ والأمِّ والأخِ والأختِ إنْ صَبَرَ لوجهِ اللهِ تعالى فلَهُ الجنةُ، اللهُ تباركَ وتعالى قالَ في الحديثِ القدسِيّ: «**مَا لعبدِيَ المؤمِنِ إذا قَبَضْتُ صفيَّهُ من الدنيَا ثُمَّ صَبَرَ عندِي جزاءٌ إلا الجنةُ**».

فَهَذَا الرَّجُلُ لو ثبتَ على إسلامِه ولم يَتَسَخَّطْ على اللهِ لنالَ هذا الأجرَ العظيمَ لكنَّهُ خَسِرَ في الدنيَا والآخرةِ، لَمْ يَنفعْهُ كفرُهُ بل زادَهُ اللهُ تعالى نقمةً، أرسلَ في ذلكَ الوادِي نارًا أحرقَتْ ذلكَ الوادِي، وهذا الوادِي في الجزيرةِ العربيةِ.

مِن أجلِ هذا أَكَّدَ الرسولُ الأمرَ بتركِ الغضبِ وأوصانَا بذلكَ إيصاءً مُؤَكِّدًا، فطوبَى لِمَنْ تَجَمَّلَ بِهذَا الحديثِ فكَفَّ نفسَهُ عندَ الغضبِ.

ثُمَّ رسولُ اللهِ عليهِ السلامُ قالَ: «**ليسَ الشديدُ من غَلَبَ النَّاسَ ولَكِنَّ الشديدَ من غَلَبَ نفسَهُ**»، وهذا الأمرُ أي تركُ الغضبِ يحتَاجُ إلى مخالفةِ النَفْسِ، لأنَّ النَفْسَ تُحِبُ أن تَعلُوَ على الغيرِ بحيثُ إذا إنسانٌ سبَّهُ يريدُ أن ينتقمَ منهُ بأكثرَ مما سبَّهُ، أو بدَلَ السبِّ يَضرِبُ وقد يَقتُلُ.

وَبَعْضُ مفاسدِ الغضبِ أشدُّ من بعضٍ، فقد يُهَوِّنُ الغضبُ على الإنسانِ الكفرَ باللهِ، الرجلُ في حالِ رضاهُ يكونُ هادئًا يحفظُ لسانَهُ لكنْ حينَ يغضَبُ ويَفُورُ قد يكفُرُ أو يَبْطِشُ ظُلْمًا وعُدْوَانًا.

فَهَنِيئًا لِمن عَمِلَ بهذا الحديثِ الذي قالَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ للرجلِ الذي سألَهُ: ما يُنْجِينِي من غضبِ اللهِ؟ قالَ لَهُ: «**لا تغضبْ**»، المعنى أنَّ الغضبَ يؤدِي إلى سخطِ اللهِ إمَّا إلى الكفرِ وإمَّا إلى ما دونَ ذلكَ.

ثُمَّ إنَّهُ مطلوبٌ تقليلُ الكلامِ، تقليلُ الكلامِ يُساعِدُ على حفظِ الدينِ، الرجلُ الذي يُقَلِّلُ الكلامَ بغيرِ طاعةِ اللهِ تعالى يَسلَمُ من كثيرٍ من الشرِّ، قالَ بعضُ العلماءِ في التحذيرِ من كثرةِ الكلامِ:" كَمْ في المقابرِ من قتيلِ لسانِهِ"

مَعْنَاهُ كثيرٌ من الناسِ سببُ موتِهِم الكلامُ الذي يخرجُ من أفواهِهِم لأنَّهُم يتكلمُون بما لا يَعنيهِم في الملوكِ أو في غيرِهِم فيكونُ ذلكَ سببًا لقتلِهِم.

كَثِيرٌ من الكلامِ المُهلكِ المُخرجِ من الملةِ سببُهُ انطلاقُ النفسِ مع هواهُ يتكلمُ بما يَخطُرُ لَهُ من غيرِ أن يَزِنَهُ بشريعةِ اللهِ، هل يوافقُ شريعةَ اللهِ أم لا يُوافِقُ، من غيرِ تفكيرٍ في ذلكَ يَنطقُ بما يَخطُرُ لهُ فيكونُ في ذلكَ هلاكُهُ.

ومِن جملةِ ذلكَ ما يقولُهُ بعضُ الناسِ والعياذُ باللهِ إذا غَضِبُوا من إنسانٍ: «لو نَزَلَ اللهُ من السماءِ ما يُخَلِّصُكَ مِنّي»، هذا كفرٌ، **أَوَّلًا** فيهِ نسبةُ التحيزِ أي الاستقرارِ في مكانٍ إلى اللهِ، واللهُ تعالى كانَ قبلَ المكانِ بلا مكانٍ ثُمَّ خَلَقَ المكانَ فهو موجودٌ بلا مكانٍ ليسَ متحيزًا في العرشِ ولا في سماءٍ من السمواتِ بل موجودٌ بلا مكانٍ، والأمرُ **الثاني** في هذا الكلامِ الاستخفافُ باللهِ كأنَّهُ يقولُ: «اللهُ لا يَقْدِرُ أن يُخَلِّصَكَ منّي، هذا كفرٌ ءاخرُ، هذهِ الكلمةُ فيهَا كفرانِ، ولو كانَ من قالَ هذا لا يدرِي أنَّ هذا يُخرِجُهُ من الإسلامِ.

نسألُ اللهَ أن يجعلنَا من عبادِهِ الصابرينَ الذين يَملكُونَ أنفسَهُم عندَ الغضبِ ونسألُهُ أنْ يُثَبِّتَنَا على الإيمانِ في كلِ الأحوالِ، إنه سميعٌ مجيبٌ.

وءاخرُ دعوانَا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ».

الرِّبَا وَأَنْوَاعُهُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ ربِ العالمينَ لهُ النعمةُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحسنُ وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ صلواتُ اللهِ البرِّ الرحيمِ والملائكةِ المقربينَ على سيدِنا محمَّدٍ أشرفِ المرسلينَ وخاتمِ النبيينَ وشفيعِ المذنبينَ يومَ الدينِ مَنْ فرضَ اللهُ علينا محبتَهُ وطاعتَهُ وعلى جميعِ إخوانِهِ الأنبياءِ والمرسلينَ.

وَبَعدُ فإنَّ اللهَ تباركَ وتعالى قالَ في كتابِهِ المُبينِ: ﴿**وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ ٢٧٥**﴾ [سورة البقرة] اللهُ تباركَ وتعالى أحلَّ البيعَ إلا ما نَهَى عنهُ، فيمَا أَوحَى بهِ إلى نبيِّهِ محمَّدٍ، وإنَّمَا نصَّ القرءانُ الكريمُ على ذكرِ الرِّبَا واقتصَرَ عليهِ ولَمْ يذكُرْ غيرَهُ من

أنواعِ البيعِ المحرَّمةِ لأنَّ الرِّبَا أشدُّ أنواعِ المالِ المحرَّمِ، فكلُّ مالٍ محرَّمٍ إثمُهُ دونَ إثْمِ الرِّبَا.

والرِّبَا فَسَّرَهُ الرسولُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بأنَّ منهُ ما هو من طريقِ القَرْضِ وأنَّ منهُ ما هو ليسَ من طريقِ القَرضِ. **فالأولُ** هو الذي يَشتَرِطُ فيهِ المُقْرِضُ جرَّ منفعةٍ لنفسِهِ، أو لَهُ وللمُقتَرِضِ.

الرِّبَا كانَ حرامًا في شرعِ موسَى عليهِ السلامُ لكنَّهُ في بدءِ البعثةِ النبويةِ المحمَّديةِ لَمْ يَنزِلْ تَحريمُهُ عليهِم، لأنَّ الأحكامَ كانَتْ تنزلُ على النبيِّ شيئًا فشيئًا، هذه الصلواتُ الخمسُ نزلَ فرضيتُهَا على النبيِّ وأمتِهِ وكانَ قبلَ ذلكَ مفروضًا عليهِم أن يُصَلُّوا في الليلِ ثُمَّ نُسِخَ ذلكَ ففُرِضَ عليهِم الخَمْسُ.

كذلكَ الخمرُ لَمْ يكن محرَّمًا على أمةِ محمَّدٍ إلا بعد الهجرةِ، أنزلَ اللهُ تعالى تحريمَهَا بعدَ الهجرةِ في السنةِ الثالثةِ، وكذلكَ الرِّبَا في شرعِ محمَّدٍ لَمْ يُحَرَّمْ إلا بعدَ الهجرةِ وكانَ أغلبُ الرِّبَا الذي يعملُهُ النَّاسُ ربا القَرْضِ، وهو أنْ يَشرِطَ المُقرِضُ ما فيهِ جرُّ منفعةٍ لنفسِهِ سواءٌ كانَ بزيادةٍ في مقدارِ المالِ الذي أَقرَضَهُ، أو بمنفعةٍ أخرى، كأنْ يَشترِطَ عليهِ أن يُسكِنَهُ بيتَهُ إلى أن يَرُدَّ القرضَ مَجانًا أو بأجرةٍ هي نصفُ أُجرةِ المِثلِ أو نَحوَ ذلك، أو اشترطَ المقرضُ على المقتَرِضِ أن لا يعامِلَ غيرَهُ في معاملاتِهِ بالبيعِ والشراءِ كان ذلكَ ربًا. وهذا النوعُ من الربَا يقالُ لهُ ربا القَرضِ. وهو أشدُّ أنواعِ الربا، وهذا القرضُ الذي شَرَطَ فيهِ الْمُقْرِضُ جرَّ منفعةٍ لنفسِهِ فقط أو لنفسِهِ وللمُقتَرِضِ اتَّفَقَ على تَحريمِهِ علماءُ الأمصارِ، أي كلُّ إمامٍ مُجتَهِدٍ من الأربعةِ وغيرِهِم.

ولا يُشترطُ في حرمةِ ربا القرضِ أن يكونَ القدرُ الذي يَشتَرِطُهُ المقرضُ من الزيادةِ عندَ ردِّ القرضِ كثيرًا، بل القليلُ والكثيرُ من الحرمةِ سواءٌ، إن أردتُمُ التوبةَ من معصيةِ الربا فاقتصِرُوا على رأسِ المالِ لا تطلبُوا شيئًا سِوَى رأسِ المالِ، مَنْ أَقرَضَ مائةً وكانَ شَرَطَ

عليهِ أنَّهُ إنْ تَأَخَّرَ عن هذا الموعدِ عن الشهرِ الأولِ إلى شهرٍ ثانٍ ينضافُ عليهِ كذا كانَ ربا، ومنهُ ما يفعلُهُ الذينَ يبيعُونَ السياراتِ في هذا العصرِ أَنَّهُم يشترطونَ بعدَ تحديدِ الثمنِ أنَّهُ إن أَخَّرَ قِسطًا من الأقساطِ يُضافُ عليهِ كذا فإن هذا مِنَ الربا المُحرَّمِ المتفقِ على تَحريمِهِ، أما إذا لَمْ يكنْ فيهِ هذا فليسَ ربا، إن لَمْ يشرِطْ هذا الشرطَ بل قالَ لهُ: بعتُكَ هذهِ السيارةَ بثمنٍ مبلغُهُ كذا على أن تدفعَ العُشرَ في نهايةِ شهرِ كذا أو سنةِ كذا إلى آخِرِ الأقساطِ، بيَّنَ لهُ الآجالَ حتى صارَتْ معلومةً ليسَ فيها جَهَالَةٌ ولَمْ يذكُرْ هذا الشرطَ، أي أنَّهُ إذا أَخَّرَ بعضَ الأقساطِ يُضَافُ عليهِ كذا، لا يكونُ ربًا، لأنَّهُ ما شَرَطَ جرَّ منفعةٍ لنفسِهِ، أمَّا أنَّهُ استفادَ بطريقِ بيعِ التقسيطِ أي المؤَجَّلِ على ثَمَنِ بيعِ النقدِ فهذا لا يَجعَلُهُ حَرامًا.

وأمَّا مَا وَرَدَ في الحديثِ الصحيحِ أنَّ الرسولَ نَهَى عن بيعتَينِ في بيعَةٍ فليسَ معناهُ أن يُخَيِّرَ الرجلُ المشتَرِيَ بين أن يشتريَهُ بثمنِ نقدٍ مبلغُهُ كذَا أو بثمنٍ مؤجلٍ أي مُقَسَّطٍ مبلغُهُ كذَا ويزيدُ الثمنَ المقَسَّطَ على الثمنِ النقدِ ضِعفًا أو أقلَّ أو أكثرَ، فليسَ هذا الذي نَهَى عنهُ الرسولُ إِنَّمَا بَيْعَتَانِ في بَيعَةٍ هو أن يقولَ: بعتُكَ هذا بألفٍ نقدًا أو بألفينِ تقسيطًا على ستةِ أشهرٍ ثُمَّ يأخُذُ هذا الغرضَ من غيرِ أن يَختَارَ إحدَى الطريقتَينِ، هذا قالَ العلماءُ: إنَّهُ بَيْعَتَانِ في بَيعَةٍ وهو محرَّمٌ، لأنَّهُمَا لَمْ يَفتَرِقَا على شيءٍ معلومٍ، لَمْ يَفتَرِقَا على ثَمَنِ نقدٍ ولا ثَمَنِ تقسيطٍ.

ما أوضحَ لهُ ما قالَ لهُ: أنا ءاخُذُ بثمنِ نقدٍ بألفٍ، ولا قالَ لَهُ: أنَا ءاخُذٌ بثمنِ التقسيطِ بألفينِ، إنَّمَا تَرَكَ الأمرَ مَجهُولًا، كأنْ يقولَ لهُ من غيرِ أن يُبَيِّنَ إحدَى الطَرِيقَتَينِ اللتَينِ اختَارَهُمَا: أرسلْ لِي هذا الغرضَ، فيُرسِلُ لهُ من غيرِ أنْ يُبَيِّنَ ما يَختَارُه من إحدَى الطَرِيقَتَينِ فهذا الحرامُ الذي يقالُ له بَيْعَتَانِ في بَيعَةٍ.

أمَّا المنفعةُ التِي يشتَرِطُهَا من غيرِ زيادةٍ في الثمنِ إنَّمَا هي منفعةٌ غيرُ الزيادةِ في قدرِ الثَمَنِ، هو كالذي يفعلُهُ بعضُ الناسِ، يُقْرِضُهُ مبلغًا مِنَ المالِ ثُمَّ يَشتَرِطُ عليهِ أن يُسكِنَهُ دارَهُ مَجانًا أو بأجرةٍ مُخَفَضَّةٍ يكونُ اشتَرَطَ جَرَّ منفعةٍ لنفسِهِ أو يشتَرِطُ عليهِ أن يترُكَ عندَهُ سيارَتَهُ يستعملُهَا مجانًا إلى أن يردَّ لهُ الثمنَ، هذا ربًا متفقٌ على تَحرِيمِهِ أيضًا. أمَّا إذا لَمْ يَحصُلْ شَرطٌ، إنَّمَا أقرضَهُ بلا شَرطٍ ما قالَ لهُ: تَرُدُّ لِي بزيادةِ كذا ولا قال لهُ: تُسْكِنُنِي بيتَكَ مجّانًا أو بأجرةٍ أقلَّ من أجرةِ المثلِ ولا قال له: أقرضتُك هذا بشرطِ أن تعطِيَنِي سيارَتَكَ لأَنتَفِعَ بِهَا إلى أن تَرُدَّ لِيَ ولا ما هو في معنَى ذلك، بل أقرضَهُ قرضًا مطلقًا من غيرِ أنْ يشتَرِطَ عليهِ جرَّ منفعةٍ لنفسِهِ خاصةً، ثُمَّ هو أي المُقترضُ ردَّ لَهُ مع الزيادةِ، فهذا يَجُوز إن أرادَ بذلكَ مكافأةَ المعروفِ بالمعروفِ، لأنَّ القرضَ حسنةٌ من الحسناتِ إذا كانَ على وجهٍ شرعيٍّ أي فيهِ ثوابٌ، وقد فَعَلَهُ الرسولُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم، اقتَرَضَ من رجلٍ بَكرًا من الإبلِ أي سِنًّا صغيرًا وردَّ رَبَاعِيًّا أي سِنًّا أكبرَ منهُ، وهذا شيءٌ جائزٌ.

كذلكَ لو أقرضَهُ مالَهُ ليَنتَفِعَ بهِ وغرضُهُ من هذا القرضِ أن يُبقِيَ لهُ هذا المالَ كمَا هو لأنَّهُ إن تَرَكَهُ عندَهُ يُخشَى أن يصرفَهُ فأقرَضَهُ لشخصٍ وقصدُهُ أنَّهُ إن أقرضَهُ صارَ مَحفوظًا لهُ وأمَّا إنْ تَرَكَهُ عندَهُ فإنَّهُ يصرفُهُ في أمورٍ شتَّى هذا جائزٌ بالإجماعِ لا أحدَ من الفقهاءِ حَرَّمَهُ.

فليَحْذَرِ المؤمنُ من جميعِ أنواعِ الربا ولا يَستَهِنْ بشيءٍ من الربا فإنَّ عاقبةَ الربا وخيمةٌ. وقد ظَهَرَ من أناسٍ بعد وفاتِهِم وهم في قبورِهِم ءاثارٌ مِنَ العذابِ، عذابِ القبرِ، كانوا معروفينَ بالرِّبَا في ناحيةٍ من نواحِي بلادِنَا، كانَ رَجُلٌ يُرَابِي، معروفًا بالْمراباةِ ومع ذلكَ كانَ فيهِ تَجَبُّرٌ على الناسِ، حتى إنَّهُ كانَ مرةً في موكبٍ وهو راكبٌ بغلةً، فرأى امرأةً أعجبتْهُ فأخذَهَا قهرًا وزوجُهَا رجلٌ مسكينٌ ضعيفٌ فأخذَهَا منهُ قهرًا، ثُمَّ ماتَ هذا

الرجُلُ فصارَ يَطلُعُ من قبرِهِ الدخانُ، صارَ أهلُهُ يَجمَعُونَ له المشايخَ، فقال لَهُم بعضُ المشايخِ: «استسمحُوا لهُ الناسَ الذينَ كانَ يأخُذُ منهُمُ المالَ بالقرضِ»، فصارُوا يَدُورُونَ على الناسِ ويقولُون لِهذا سامِحْ فلانًا ولهذا وكثيرٌ مِنَ الناسِ يقرأُونَ لهُ على القبرِ، ثُمَّ بعدَ سبعةِ أيامٍ انقطعَ هذا الدخانُ مِنْ قبرِهِ.

وما يسترُهُ اللهُ أكثرُ إنَّمَا يُظهِرُ القليلَ من الكثيرِ، اللهُ تبارك وتعالى يُخفِي حالَ أكثرِ المرابينَ، ولا سيمَا في هذا العصرِ ما أكثرَ عددَهُم».

اللهُ خَالِقُ الأَسْبَابِ والْمُسَبَّبَاتِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ وسَلَامُ اللهِ ورحمتُهُ وبركاتُهُ على سيدِنا محمَّدٍ وعلى ءالِهِ الطيبينَ الطاهِرِينَ.

أمَّا بعدُ فقد قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: «**مَا مِنْ نفسٍ تَموتُ لَهَا عندَ اللهِ خيرٌ تُحِبُّ أن ترجِعَ إلى الدُّنْيَا وَلَوْ أنَّ لَهَا الدنيَا وما فيهَا إلا الشهيدَ فإِنَّهُ يُحِبُّ أنْ يرجِعَ فيهَا ويُقْتَلَ مرةً أخرى لِمَا يَرَى مِنْ كرامةِ الشهادةِ**».

مَعْنَى الحَدِيثِ أنَّ المُؤْمِنَ الذي له عندَ اللهِ درجةٌ عاليةٌ إذا ماتَ بعدَ الموتِ لا يُحِبُّ الرجوعَ إلى الدُّنْيَا ولو قيلَ لهُ: «خُذِ الدُّنْيَا وما فيهَا»، إلا الشهيدَ فإِنَّهُ يُحِبُّ أنْ يَرْجِعَ إلى الدُّنْيَا ويُقْتَلَ مرةً أخرى في سبيلِ اللهِ لِمَا يَرَى مِنْ كَرَامَةِ الشَّهَادَةِ أيْ فَضْلِ الشهادةِ في سبيلِ اللهِ.

وَذَلِكَ لأنَّ المُؤْمِنَ التقيَّ قبلَ أن تفارِقَ رُوحُهُ جَسَدَهُ تأتِيهِ ملائكةُ الرحمةِ، هو يراهُم ويَسْمَعُ كلامَهُم، أمَّا الذينَ عندَهُ لا يرونَهُم ولا يسمعُونَ كلامَهُم، هو يسمعُ ملائكةَ الرحمةِ يقولُون لهُ: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللهِ**»، يَا وَلِيَّ اللهِ معناهُ يَا حَبِيبَ اللهِ، لَمَّا يَسْمَعُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ يَمْتَلِئُ سُرُورًا وَيَذْهَبُ عَنْهُ خَوْفُ الْمَوْتِ والخوفُ من القبرِ، يُحِبُّ أن

تُفَارِقَ رُوحُهُ الدُّنْيَا بسرعةٍ لأَنَّهُ سَمِعَ تَبْشِيرَ الملائكةِ، كذلكَ عزرائيلُ يُبَشِّرُهُ، هَؤُلَاءِ ملائكةُ الرَّحمةِ منظرُهُم يُفْرِحُ وَوُجُوهُمْ كَالشَّمْسِ.

بَعْضُ النَّاسِ يأتيهِم من ملائكةِ الرَّحْمَةِ عَدَدٌ كثيرٌ، وبعضُ النَّاسِ أَقَلُّ، ثُمَّ بَعْضُ النَّاسِ الأتقياءُ يرونَ رسولَ اللهِ، اللهُ يرفَعُ عنهُم الحجابَ من هنا إلى المدينةِ، كلُّ هذا يصيرُ عندَهُم كالزجاجِ، يَرَوْنَ الرسولَ يضحَكُ إليهِم ويُبشرُهُم، بعد هذا لا يبقَى في روحِهِ شيءٌ من الفزعِ من الموتِ والقبرِ.

وَهَذَا مع أنَّ هذا المؤمنَ التَّقِيَّ يُقاسِي أَلَمَ سكراتِ الموتِ، سكراتُ الموتِ ءالَامُهُ أصعبُ أَلَمٍ يَمُرُّ على الإنسانِ في حياتِهِ، ومع هذا المؤمنُ التقيُّ وهو يُقَاسِي سكراتِ الموتِ لَمَّا يأتِي ملائكةُ الرحمةِ قلبُهُ يَمتلئُ فَرَحًا.

ثُمَّ إنَ بعضَ المؤمنينَ يَمُوتُونَ فجأةً أي من غيرِ أن يَمْرَضُوا وهُم لَهُم عندَ اللهِ درجاتٌ عاليةٌ، سيدُنَا نبِيُّ اللهِ داودُ ماتَ فجأةً من غيرِ أن يَلزَمَ الفِراشَ مِنَ المَرَضِ، كذلك ابنُهُ سليمانُ ماتَ فجأةً، سليمانُ عليهِ السلامُ كانَ لَمَّا يصلِي يَنبُتُ في مُصلاهُ شجرةٌ فيقولُ لَهَا: لِمَ خُلقتِ؟ فتقولُ: أنا لكذا وكذا خُلِقْتُ، الدواءُ الذي فيهَا تذكرُهُ، مرةً أُخرى نَبَتَتْ شجرةٌ في مصلاهُ فقالَ لَهَا: لِمَ خُلِقْتِ؟ فقالَتْ: خُلِقْتُ لِخَرابِ هذا البيتِ، معناهُ حانَ موتُكَ، فسَأَلَ اللهَ أنْ يُخْفِيَ مَوْتَهُ عَنِ الْجِنِّ، لأنَّ الجِنَّ كانَ هو يَقْهَرُهُمْ، اللهُ أَعْطَاهُ سِرًّا فكانَ رؤوسُ الشياطينِ المردَةُ يُطِيعونَهُ مع كُفْرِهِم، قسمٌ منهم يَبنُونَ لهُ أبنيةً وقِسمٌ يُخرِجُونَ لهُ الجواهرَ من البحارِ يُشْغِلُهُم بأَشغالٍ صعبةٍ، وإذا خَالَفَهُ أحدٌ منهُم اللهُ يُنزِلُ بِهِ عَذَابًا يُهْلِكُهُ، لذلكَ كانُوا يَعمَلُونَ لهُ أَعمَالًا شاقةً.

طلبَ مِنَ اللهِ أن يُخفِيَ موتَهُ عن الجِنِّ وكانَ مَرَّةً قائمًا يُصَلّي مُتَّكِئًا على عصاهُ فقَبَضَ اللهُ رُوحَهُ وهو وَاقِفٌ وَبَقِيَ سَنَةً وَهُوَ مَيّتٌ والجِنُّ لَا يَعْلَمُونَ بِذَلِكَ كَانُوا يعملُونَ

الأعمالَ الَّتِي هُوَ كَلَّفَهُم بِهَا ولَمْ يشعرُوا بِمَوتِهِ ثُمَّ بعد سنةٍ دُوَيْبَّةٌ صغيرةٌ يقالُ لَهَا الأَرَضَةُ أَكَلَتِ العَصَا، أَكَلَتْ عَصَاهُ، فوَقَعَ فعَرَفَ الجِنُّ أنَّهُ مَاتَ.

ثم الجِنُّ شَكَرُوا هذه الحشرةَ وصاروا يأتُونَهَا بالمَاءِ لَمَّا تَبنِي بيتَهَا على سقوفِ الخشبِ لتَبُلَّ هذا الترابَ الذي هي تَبنِي بهِ الْبَيْتَ، فرحًا بِمَا فَعَلَتْ صارُوا يفعلُون لَهَا ذلك.

هذهِ الحشرةُ معروفةٌ في بِلَادِ العربِ تأكُلُ الكتبَ والسقفَ الخشبِيَّ، أيُّ شَيْءٍ هُوَ خَشَبٌ تَبْنِي عليهِ بَيْتَهَا.

كذلكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَموتُونَ وهم ساجِدُونَ في الصلاةِ وَبَعْضٌ وَهُمْ واقِفُونَ وَبَعْضٌ وَهُمْ يَمْشُونَ وَبَعْضٌ وَهُمْ يضحكُونَ مع الناسِ، ليسَ كمَا يقولُ بَعْضُ النَّاسِ: مَنْ مَاتَ فَجْأَةً نَزَلَ عليهِ غَضَبُ اللهِ، الولِيُّ يَمُوتُ فَجْأَةً والكَافِرُ الْفَاجِرُ يَمُوتُ فَجْأَةً، هذهِ ليسَتْ علامةً على غَضَبِ اللهِ وعلى أنَّ الميتَ لا خيْرَ لهُ عندَ اللهِ والصَّالِحُونَ كَثِيرٌ منهُم يُشَدَّدُ عليهِم عندَ الموتِ فيُصيبهُم أَلَمُ سَكْرَةِ الموتِ حتى يزدادَ أَجْرُهُمْ عندَ اللهِ، اللهُ تعالى يَزِيدُهُمْ دَرَجَاتٍ.

واللهُ يَحْفَظُهُمْ مِنْ أنْ يَتَخَبَّطَهُمُ الشَّيْطَانُ، لأنَّ الشَّيْطَانَ يَبذُلُ جهدَهُ عندَ المَوْتِ في إغْوَاءِ المؤمنِ لإخراجِهِ من الإيمَانِ إلى الكفرِ، الصَّالِحُونَ لا يُؤَثِّرُ فيهِم إغواءُ الشَّيْطَانِ فيَبْقَوْنَ على اليقينِ على الإيمانِ الكَامِلِ، أمَّا بعضُ الناسِ فيَكْفُرُونَ، مِنْ شدةِ الألَمِ لا يَصبِرُونَ فَيَكْفُرُونَ، يَسُبُّونَ اللهَ فيكُونُ خُتِمَ لَهُم بسُوءِ الخاتِمَةِ.

ثم إنَّ المؤمنَ الولِيَّ إنَّمَا صارَ وليًّا لأنَّهُ تَعلَّمَ علمَ الدينِ العقيدةَ والأحكامَ على مذهبِ أهلِ السنةِ، اعتَقَدَ عقيدةَ أهلِ السنةِ التِي كان عليها الرسولُ والصحابةُ ومن تَبِعَهُم بالاتصالِ إلى هذا الوقتِ، أمَّا مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ علمَ أهلِ السنةِ فمَهْمَا عَمِلَ من

الْعِبَادَاتِ لَا يَصِيرُ وَلِيًّا، مَهْمَا أكثرَ من الذكرِ ومن قراءةِ القرءانِ، مَهْمَا أَكْثَرَ مِنَ الحَجِّ والصدقاتِ لَا يَصِيرُ وَلِيًّا.

لذلكَ أهمُّ أمورِ الدينِ عقيدةُ أهلِ السنةِ وهِيَ معرفةُ اللهِ بالتنزيهِ ومعرفةُ رسولِهِ، هذا أصلُ عقيدةِ الإسلامِ، اللهُ تبارك وتعالى لَمْ يكُنْ في الأزلِ غيرُهُ، قبلَ أن يَخلُقَ اللهُ العالَمَ ما كانَ مكانٌ ولا جهةٌ، ما كانَتِ الجِهَاتُ السِّتُّ فوقٌ وتَحْتٌ وأَمَامٌ وخلْفٌ ويَمِينٌ وشِمَالٌ، ما كَانَ نُورٌ ولا ظَلَامٌ واللهُ تعالى موجودٌ لَيْسَ لِوُجُودِهِ ابْتِدَاءٌ، ومَا سِوى اللهِ كُلُّهُ لَمْ يَكُنْ ثُمَّ كَانَ هو خلقَهُ، أولُ ما خَلَقَ اللهُ الماءُ والعرشُ ثُمَّ مَضَى زمانٌ لا نُورٌ ولا ظَلَامٌ ثُمَّ بعدَ ذلكَ بزمَانٍ خلقَهُمَا اللهُ، خَلَقَ الليلَ أولًا قبلَ النهارِ، ثُمَّ اللهُ خَلَقَ العالَمَ على صِنفَينِ: صنفٌ حجمٌ وصنفٌ صفةُ الحجمِ، الحجمُ إمَّا أنْ يكونَ كثيفًا وإمَّا أنْ يكونَ لَطِيفًا، الضوءُ والريحُ والظلامُ والروحُ هؤلاءِ حجمٌ لطيفٌ لا يُجَسُّ باليدِ حتَّى يُضبَطَ، وقِسمٌ من الحجمِ يُجَسُّ باليدِ كالإنسانِ والحجرِ والشجرِ والنجمِ والشمسِ والقمرِ كلُّ هؤلاءِ حجمٌ يُجَسُّ باليدِ، قبلَ أن يَخلُقَ اللهُ العالَمَ ما كانَ حجمٌ لطيفٌ ولا حجمٌ كثيفٌ، ثُمَّ اللهُ جَعَلَ للحجمِ اللطيفِ والكثيفِ صفاتٍ، الحجمُ اللطيفُ والحجمُ الكثيفُ له مقدارٌ، إمَّا أنْ يكونَ شيئًا صَغيرًا وإمَّا أَنْ يكونَ حجمًا كبيرًا وإمَّا أنْ يكونَ بينَ هذا وهذا، أصغرُ شيءٍ خَلَقَهُ اللهُ مِمَّا تراهُ العيونُ الهباءُ هذَا الذي يُرَى في ضوءِ الشمسِ لَمَّا يَدخُلُ مِنَ النافذةِ كالغبارِ.

وأكبرُ حجمٍ خلقَهُ اللهُ العرشُ، العرشُ سريرٌ لهُ أربعةُ قوائمَ هو أوسَعُ شيءٍ مساحةً من مَخلُوقَاتِ اللهِ، فاللهُ لا يُوصَفُ بالحجمِ الكبيرِ ولا بالحجمِ الصغيرِ.

لأنَّهُ لو كانَ لهُ حجمٌ لكانَ له أمثالٌ في خلقِهِ، لذلكَ اللهُ ليسَ حجمًا صغيرًا ولا حجمًا كبيرًا.

كذلكَ اللهُ منزهٌ عن صفاتِ الحجمِ مثلِ الحركةِ والسكونِ، الحجمُ إمَّا ساكنٌ وإمَّا مُتحرّكٌ، وإما مُتحرِّكٌ وقتًا وساكنٌ وَقتًا.

اللهُ لا يُوصَفُ بأنَّهُ حجمٌ لطيفٌ ولا بأَنَّهُ حجمٌ كثيفٌ ولا بأنَّهُ متحركٌ، ولا بأَنَّهُ ساكنٌ.

أيُّ صفةٍ من صفاتِ العَالَمِ لا تَجُوزُ على اللهِ، هذا معنَى الآيةِ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ [سورة الشورى]، هذهِ الآيةُ تدلُ على هذا المعنَى، لفظُهَا وجيزٌ ومعناهَا واسعٌ، مَنِ اعتَقَدَ أنَّ اللهَ هكذا عَرَفَ اللهَ، أمَّا مَنْ يعتَقِدُ خلافَ هذا فهو لَمْ يعرفِ اللهَ.

هذهِ الآيةُ تُنَزّهُ اللهَ عن أنْ يكونَ مُتَحَيّزًا في جهةِ فوقٍ وعن أنْ يكونَ مُتَحَيّزًا في جهةِ تَحتٍ، فمَنِ اعتَقَدَ أنَّ اللهَ مُتَحَيّزٌ في جهةِ فَوقٍ فَقَد شَبَّهُوا اللهَ بِخلقِهِ، فليسوا عارفين بِخَالِقِهِم بل هُم جاهِلُونَ بِخَالِقِهِم، لو كانَ اللهُ مُتَحَيّزًا في جهةِ فوقٍ لكانَ لَهُ أمثالٌ كثيرة، ولو كان مُتَحَيّزًا في جهةِ تحتٍ لكانَ لَهُ أمثالٌ كثيرة، هو اللهُ تبارك وتعالى خَلَقَ الجهاتِ الستَّ وجَعَلَ بعضًا في جهةِ فوقٍ كالعرشِ واللوحِ المحفوظِ وجَعَلَ بعضَ خلقِهِ في جهةِ تَحتٍ كالبشرِ والجِنِ والبهائمِ.

سخافةُ عَقلٍ اعتقادُ أنَّ اللهَ قاعدٌ على العرشِ. العرشُ اللهُ خَلَقَهُ ثُمَّ حَفِظَهُ في ذلكَ المكانِ فلَمْ يهوِ إلى أسفلَ، الذينَ يَعتَقِدُونَ أنَّ اللهَ قاعدٌ على العرشِ وأولئكَ الملائكةُ يَحمِلُونَ العرشَ عُقُولُهُم سخيفةٌ... حَسْبُنَا اللهُ ونعمَ الْوَكِيلُ.

ثُمَّ إنَّ هؤلاءِ الذينَ يُورِدونَ ءاياتٍ قرءانيةً ويُفَسّرُونَهَا على الظاهرِ لا يُفَسّرُونَهَا كَمَا يُفَسّرُهَا أهلُ السنةِ والجماعةِ فالحذرَ الحذرَ منهُم.

القرءانُ بعضُ ءاياتِهِ لا يَجُوزُ تفسيرُهَا على الظاهرِ بل تلكَ الآياتُ لَهَا معانٍ غيرُ الظاهرِ، بعضُ الآياتِ لَهَا معانٍ غيرُ الظاهرِ، بعضُ الآياتِ ظاهرُهَا أَنَّ اللهَ في جهةِ فوق

وبعضُهَا أنَّهُ في جهةِ الأرضِ فلا يؤخَذُ بظاهرِ هذهِ ولا هذهِ بل يؤخَذُ بِهذهِ الآيةِ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ١١﴾ [سورة الشورى].

لا يَغُرَّنَّكُم إذَا قِيلَ لَكُم: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ٥﴾ [سورة طه] أي جَلَسَ على العرشِ، لا تُصَدِّقُوهُم، ليسَ معناهَا جَلَسَ بل معناهَا اللهُ قَهَرَ العرشَ، معناهُ اللهُ قَهَرَ كُلَّ شىء، فلا يُؤخَذُ بظاهرِ ءايةِ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ٥﴾ [سورة طه] ولا بظاهرِ ءايةِ ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ١١٥﴾ [سورة البقرة] هذهِ الآيةُ ظاهِرُهَا أنَّ اللهَ مُحيطٌ بالعالَمِ بذاتِهِ بِحيثُ إنَّ المُصَلِّيَ كيفمَا اتَّجَهَ في صلاتِهِ يكونُ مُتَّجِهًا إلى ذاتِ اللهِ، الآيةُ لا تُفَسَّرُ بِهذا الظاهرِ بل لَهَا معنًى ءاخرُ، معنَاهَا فثَمَّ قِبلةُ اللهِ، أيُّ جِهةٍ إذا اتَّجَهْتُم إليهَا على ظهرِ الفَرسِ مثلًا في صلاةِ النفلِ فهُنَاكَ قِبلَتُكُم، المسافِرُ يُصَلِّي الفَرضَ على الأَرضِ ثُمَّ يَنْطَلِقُ إلى الجهةِ التِي يريدُهَا ويُصلّي على ظهرِ الدابةِ النفلَ راكبًا إلى جهةِ سفرِهِ.

معناهُ هذه قِبلَتُكُم صَحَّتْ صلاتُكُم، فأمَّا الفرضُ فيُؤَدّيهِ الإنسانُ مُتَّجِهًا إلى الكعبةِ فَقَطْ.

هكذَا عقيدةُ أهلِ السنةِ الذينَ هم موافِقُون للقرءانِ والحديثِ.

هذا الذي نُعَلِّمُهُ ويُعَلِّمُهُ جَمَاعَتُنَا ليسَ شيئًا جديدًا بل هو ما كانَ عليهِ الصحابةُ ومن تَبِعَهُم إلى يومِنَا هذا. اذهبُوا إلى مصرَ واليمنِ وغيرِهِمَا وإلى باكستَانَ وتركيَا وأفريقيَا، كلُّهُم علماؤُهُم يقولُونَ كما يقولُ جَمَاعَتُنَا، نَحنُ لا نُعَلِّمُ الناسَ دِينًا جَدِيدًا، نَحنُ نُعَلِّمُ الناسَ الأَصْلَ الذي كانَ عليهِ الصحابةُ والتابعُونَ ومَنْ جاءَ بعدَهُم إلى هذا الوقتِ.

واللهُ سبحانَهُ وتعالى أعلمُ وأَحكَمُ».

جَوَازُ التَّوَسُّلِ بالصَّالِحِينَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ له النعمةُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحسنُ صلواتُ اللهِ البرِّ الرحيمِ والملائكةِ المقربينَ على سيدِنا محمَّدٍ أشرفِ المرسلينَ وعلى آلِهِ وصحبِه الطيبينَ الطاهرينَ.

أمَّا بعدُ فقد رُوِّينَا في جامعِ الترمذِي رَحِمَهُ اللهُ من حديثِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُمَا أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم مُخاطبا ابنَ عباسٍ: «**إذا سَأَلْتَ فاسأَلِ اللهَ وإذَا استَعَنْتَ فاستَعِنْ باللهِ**» رواهُ الترمذيُّ. معنى الحديثِ أن الْأَوْلَى بأنْ تسأَلَهُ هو اللهُ وهذا أمرٌ لا شَكَّ فيهِ؛ لأنَّ اللهَ تبارك وتعالى هو خالقُ الخيرِ والشرِّ وخالقُ المنفعةِ والْمَضَرَّةِ، فإذا كانَ كذلك فلا يَخفَى أنَّ الأَوْلَى بأن يُسأَلَ هو اللهُ وأنَّ الأَوْلَى بأنْ يُستَعَانَ بِهِ هو اللهُ.

وبِمعنَى هذا الحديثِ الحديثُ الذي رَوَيْنَاهُ في صحيحِ ابنِ حبانَ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قالَ: «**لا تُصَاحِبْ إلا مؤمنًا ولا يأكُلْ طعامَكَ إلا تقيٌّ**» هذا الحديثُ أيضا يدلُ على أنَّ الأَوْلَى بالْمُصَاحَبَةِ هو المؤمنُ، وكذلكَ الأَوْلَى بأن تُطعِمَ طعامَكَ المُسلمَ. وليسَ مرادُ الرسولِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم في هذا الحديثِ أَنَّهُ لا يَجُوزُ صحبةُ غيرِ المؤمنِ، إِنَّمَا مرادُهُ بيانُ أَنَّ الأَوْلَى في المصَاحَبَةِ هو المؤمنُ، وكذلكَ الجزءُ الثانِي من هذا الحديثِ: «**ولا يأكلْ طعامَكَ إلا تقيٌّ**» مرادُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بهِ أن الأَوْلَى بأَنْ يَطعَمَ طعامَكَ هو المسلمُ التقيُّ، والتقيُّ هُو مَنْ قامَ بِحُقوقِ اللهِ وحقوقِ العبادِ أي أدَّى الواجباتِ المتعلقةَ بالعباداتِ البَدَنِيةِ كالصلاةِ وصيامِ رمضانَ والزكاةِ والحجِّ إلى غيرِ ذلكَ، وتجنَّبَ ما حرَّمَ اللهُ، إذا أَطعَمَ المسلمُ المسلمَ العاصِيَ الذي هو من أهلِ الكبائرِ جائزٌ وفيهِ ثوابٌ، كذلكَ إذا أَطعَمَ المسلمُ الكافرَ من الكفارِ فذلكَ

جائزٌ وفيه ثوابٌ، فالْمحرِّفُونَ لشريعةِ اللهِ يُورِدُونَ حديثَ عبدِ الله بنِ عباسٍ هذا: «**إذا سَأَلْتَ فاسألِ اللهَ وإذَا استَعَنْتَ فاستَعِنْ باللهِ**» لتحريمِ التوسّلِ بالأنبياءِ والأولياءِ. أينَ في هذا الحديثِ تحريمُ التوسلِ بالأنبياءِ والأولياءِ؟ هل قالَ الرسولُ: لا تَسأَلْ غيرَ اللهِ ولا تَستَعِنْ بغيرِ اللهِ؟ ما قالَ، أليْسَ بَيْنَ أن يُقالَ: لا تَسْأَلْ غيرَ اللهِ وبينَ أن يُقالَ: **إذَا استَعَنْتَ فاستَعِنْ باللهِ** فَرقٌ؟ لكنْ هؤلاءِ الذينَ دأبُهُم تَحريفُ شريعةِ اللهِ والتمويهُ على الناسِ وزخرفةُ الباطلِ وإيهامُ الناسِ الأمرَ الجائزَ حرامًا أو شركًا وكُفرًا، هُم حرَّفُوا معنى حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ، هذا دَأبُهُم، إذا أرادُوا أن يُحَرِّمُوا التوسلَ بالأنبياءِ والأولياءِ يذكرُونَ هذا الحديثَ، هذا الحديثُ صحيحُ الإسنادِ إِنَّمَا هُم يُحَرِّفُونَ معناهُ ليسَ فيه دلالةٌ على مَا يَدَّعُونَ، ليسَ فيه أدنَى دلالةٍ على تَحريمِ التوسلِ بالأنبياءِ والأولياءِ، وكلُّ مؤمنٍ يَعلَمُ ويعتقدُ أنَّ سؤالَ المؤمنِ ربَّهُ أفضلُ من أنْ يسأَلَ غيرَهُ، كلُّ مؤمنٍ يَعلَمُ ذلكَ، يَعلَمُ أنَّ سؤالَ اللهِ تعالى أَفضَلُ مِنْ سؤالِ واحدٍ من خلقِهِ، كذلكَ كلُّ مؤمنٍ يعلَمُ أنَّ الاستعانةَ باللهِ خيرٌ وأفضلُ من الاستعانةِ بغيرِ اللهِ تعالى، لكنْ هؤلاءِ لا يُورِدُونَ الحديثَ على هذا المعنَى الذي هو مُرادُ رسولِ اللهِ، إِنَّمَا يُورِدُونَهُ لتحريمِ ما أَحَلَّ اللهُ، التوسلِ بالأنبياءِ والأولياءِ الشيءِ الذي قَدِمَ بِهِ الشرعُ، اللهُ تباركَ وتعالى أَذِنَ لنَا أن نتوسلَ بالأنبياءِ والأولياءِ الأحياءِ والأمواتِ ما حرَّمَ علينَا ذلك.

هناكَ حديثٌ ضعيفٌ يتشبَّثونَ به لتحريمِ الاستغاثةِ وتكفيرِ المستغيثِ برسولِ اللهِ وبسائرِ الأنبياءِ والأولياءِ، وهذا الحديثُ رواهُ الإمامُ أحمدُ في مسندِهِ بإسنادٍ فيهِ راوٍ ضعيفٌ عندَ أهلِ الحديثِ يقالُ لهُ ابنُ لَهِيعَةَ، في هذا الحديثِ أنَّ أبَا بكرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: «قومُوا بِنَا إلى رسولِ اللهِ نَستَغِيثُ بهِ مِن هذا المنافقِ»، فذَهَبُوا فقالُوا لرسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فقال: «**إنَّهُ لا يُستَغَاثُ بِي إنَّمَا يُستَغَاثُ باللهِ عزَّ وجلَّ**» هذا الحديثُ هُم يَتَشَبَّثُونَ بِهِ لتكفيرِ مَنْ يَستَغِيثُ بالرسولِ أو بغيرِهِ من الأنبياءِ أو بوليٍّ من

الأولياءِ، أي يُكَفِّرُونَ مَنْ يَقولُ: يا رسولَ اللهِ أغثني أو يا عبدَ القادرِ الجِيلانِيَّ أَغِثْنِي ونحوَ ذلكَ من العباراتِ، يُورِدُونَ هذا الحديثَ الضعيفَ الذي لا يُحتَجُّ بِهِ لتكفيرِ المستغيثِ، فإِيَّاكُم أنْ تُصَدِّقُوهُم إنْ أورَدُوا لكُم حديثًا، فإمَّا أنْ يكونَ ذلكَ الحديثُ ضعيفًا، وإمَّا أنْ يكونَ ذلكَ الحديثُ صَحِيحًا لكنْ هُم يُحرِّفُونَ معناهُ، فكُونُوا على حَذَرٍ منهُم، وإيَّاكُم أن تَتَسَرَّعُوا لِمُوَافَقَتِهِم، هذا ليسَ لهُ إسنادٌ صحيحٌ ومع هذا هم يُورِدُونَه لتكفيرِ المُستَغِيثِ برسولِ اللهِ أي الذي يَقُولُ: يا رسولَ اللهِ أَغِثْنَا، أو يا رسولَ اللهِ أَعِنَّا أو يا رسولَ اللهِ أَنقِذْنَا من هذهِ الشدةِ، ونحوَ ذلكَ من العباراتِ، أو يا رسولَ اللهِ هَلَكْنَا فأَنْقِذْنَا وأَغِثْنَا، يُرِيدُونَ بإيرادِهِم لِهذا الحديثِ الضعيفِ أن يُكَفِّرُوا المسلمَ الذي يَستَغِيثُ برسولِ اللهِ أو بغيرِهِ من أنبياءِ اللهِ أو بولِيٍّ من أولياءِ اللهِ.

هُمَا الاستغاثةُ والتوسلُ معناهُمَا واحدٌ، إذا إنسانٌ قال: اللهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ بنبيِّنَا محمَّدٍ أنْ تُفَرِّجَ كُربِتِي أو أن تَحُلَّ لِي مُشكِلَتِي، هذا يقالُ لهُ توسلٌ بالرسولِ ويقالُ لَهُ استغاثةٌ بالرسولِ، الاستغاثةُ والتوسلُ بِمعنًى واحدٍ كمَا قالَ ذلكَ الحافظُ الفقيهُ المحدثُ اللغويُّ النحويُّ المتكلمُ الأصولِيُّ الشافعيُّ تقيُّ الدينِ السبكيُّ، هذا الإمامُ تقيُّ الدينِ السبكيُّ هو من علماءِ اللغةِ والنحوِ كمَا أَنَّهُ مُحَدِّثٌ حافِظٌ في الحديثِ وفقيهٌ شافعيٌّ من أهلِ الترجيحِ في المذهبِ الشافعيِّ، من الطبقةِ العليَا بعدَ الشافعيِّ، قالَ بعضُهُم: هو مُجتَهِدٌ لكنْ لَمْ يُنادِ بالاجتهادِ. وهناكَ أيضًا أثرٌ يَتَشَبَّثُ هؤلاءِ بِهِ لتحريمِ التوسلِ بالنبِيِّ بعدَ وفاتِهِ، عندَهُم قاعدةٌ ما أَنزَلَ اللهُ بِهَا من سلطانٍ وهي قولُهُم: لا يَجُوزُ التوسلُ إلا بالحيِّ الحاضرِ، والذي وَضَعَ لَهُم هذهِ القاعدةَ هو ابنُ تيميةَ ولَمْ يقلْهُ عالِمٌ مسلمٌ قبلَ ذلكَ، ما قالَ قبلَ ابنِ تيميةَ أحدٌ من علماءِ الإسلامِ، قالَ: لا يَجُوزُ التوسلُ إلا بالحيِّ الحاضرِ وهو يعنِي بِهذا أَنَّكَ إنْ تَوَسَّلْتَ بنبِيٍّ أو ولِيٍّ بعدَ وفاتِهِ حرامٌ بل شركٌ، كُفرٌ، وإنْ تَوَسَّلْتَ بالنبِيِّ أو غيرِهِ مِنَ الأولياءِ في غيرِ مَجلسِهِ، هو في بلدٍ وأنتَ في بلدٍ،

أو أنتَ في بيتِكَ وهو في مكانِهِ، إذا تَوَسَّلْتَ بِهِ في هذهِ الحالِ عندَهُ أَشْرَكْتَ وَكَفَرْتَ، وهؤلاءِ الذينَ هُم فيمَا بينَ الناسِ اليومَ أخذُوا بتلكَ القاعدةِ التِي ما أَنزَلَ اللهُ بِهَا من سلطانٍ، التِي لَمْ يقلْهَا رسولُ اللهِ ولا صَاحِبٌ مِنْ أصحابِ رسولِ اللهِ ولا إمامٌ مُجتَهِدٌ، أَبُو حنيفةَ أو مالكٌ أو أحمدُ بنُ حنبلٍ أو الشافعيُّ أو غيرُهُ ما قالَهَا أحدٌ.

هُنَا مَسْئَلَةٌ ينبغِي الانتباهُ لَهَا، وهي أَنَّهُم يَفتَرُونَ على أَبِي حنيفةَ يقولُون: أبُو حنيفةَ قالَ: لا يَجُوزُ أنْ يُسأَلَ اللهُ تعالى بِحَقِّ أحدٍ، أي أنْ يقالَ أَسأَلُكَ بِحَقِّ فلانٍ، أبُو حنيفةَ يَحتَمِلُ أنْ يكونَ قالَ هذهِ الكلمةَ ويَحتَمِلُ أنهُ لَمْ يَقُلْهَا، فإنْ قالَهَا فقد فَسَّرَهَا جَمَاعَتُهُ بأنَّ مرادَ أبِي حنيفة لِمنعِهِ مِنْ هذهِ العبارةِ [بِحَقّ فلانٍ] أنَّ هذهِ الكلمةَ تُوهِمُ حقًّا لازمًا لِخلقِهِ، واللهُ تعالى ليسَ مُلزَمًا لأحدٍ بشيءٍ، الذينَ يَعمَلُون الحسناتِ المُطِيعُونَ لهُ من الأنبياءِ والأولياءِ فإنَّمَا أطاعُوهُ لتمكينِ اللهِ تباركَ وتعالى لَهُم، اللهُ خَلَقَ فيهِمُ الإدراكَ والعلمَ وهو أَعطَاهُم قوةَ الكلامِ وهو أعطاهُم قوةَ المشيِ، كلُّ ما يفعلونَهُ من الحسناتِ فبفضلِ اللهِ تعالى فمِنْ أينَ يكونُ اللهُ تعالى مُلزمًا لأحدٍ من خَلقِهِ، اللهُ ليسَ مُلزَمًا لا للأنبياءِ ولا للأولياءِ، ليسَ مُلزَمًا لأحدٍ أن يُعطيَهُ شيئًا، إنَّمَا هو مُتكرِّمٌ مُتفضلٌ، الثوابُ الذي يُثِيبُهُ الطائِعِينَ من عبادِهِ الأنبياءِ والأولياءِ فَضلًا منهُ ليسَ هو مُلزَمًا أنْ يُعطيَهُم؛ لأنَّهُ هو خَلَقَهُم أوجدَهُم من العدمِ ثُمَّ هو خَلَقَ فيهِم هذه الحركاتِ والسكناتِ فإذًا لِمَنِ الفَضلُ؟ الفَضلُ للهِ عليهِم، ليسَ لَهُم على اللهِ فَضْلٌ، الأنبياءُ والأولياءُ والملائكةُ كلُّهُم ليسَ لَهُم على اللهِ فَضْلٌ بل اللهُ تبارك وتعالى هو المُتَفَضِّلُ عليهِم. الإمامُ أبُو حنيفةَ إنَّمَا مَنَعَ من قولِ «أسألُكَ بِحَقِّ فلانٍ» لأنَّ هذهِ الكلمةَ تُوهِمُ أنَّ اللهَ تعالى مُلزَمٌ لِخَلقِهِ أنْ يُعطِيَهُم شيئًا وهُو ليسَ مُلزَمًا، هذا معلومٌ أنَّ اللهَ ليسَ مُلزَمًا أنْ يعطيَ أحدًا من خَلْقِهِ الثوابَ في الآخرةِ، إنَّمَا هو متفضلٌ على عبادِهِ الطائِعِينَ من الأنبياءِ والأولياءِ، أحدُ رؤوسِ الوهابيةِ في دمشقِ الشامِ قبلَ أكثرَ من عشرينَ سنةً وكُنَّا

فِي مَجلِسِ مناظرةٍ مَعَهُ، قال: أمَّا التَّوَسُّلُ فقد كَفَانَا المؤنةَ أبُو حنيفةَ [يعني أبُو حنيفةَ حَرَّمَ التوسلَ، فنَحنُ اكتَفَيْنَا بذلكَ]، أبا حنيفةَ لَمْ يُحَرِّمْ، إِنَّمَا مَنَعَ مِنْ هذهِ الكلمةِ فقط، ما قَالَ: لا يَجُوزُ التوسلُ بالأنبياءِ والأولياءِ فِي غيرِ حضورِهِم وفِي غيرِ حالِ حياتِهِم.

ثُمَّ لو فَرَضْنَا أنَّ أبا حنيفةَ قال هذا، فليسَ في هذا حُجّةٌ، لأنَّهُ وَرَدَ الحديثُ الصحيحُ الذي يُثبِتُ لنَا جوازَ أن نقولَ: «**اللهُمَّ إنّي أسألُكَ بِحَقّ فلانٍ**»، وَرَدَ حديثٌ حسنُ الإسنادِ حَسَّنَهُ حَافِظَانِ من حُفَّاظِ الْحَدِيثِ أَحَدُهُمَا الْحَافظُ ابنُ حجرٍ والآخَرُ الْحَافِظُ أَبُو الْحَسَنِ المقدسيُّ وهذا الْحَدِيثُ هو أنَّ الرسول صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قالَ: «**مَن خَرَجَ إلى المسجدِ فقالَ: اللهُمَّ إنّي أسألُكَ بِحَقِّ السَّائلِينَ عَلَيكَ وبِحقّ مَمْشَايَ هذا فإنّي لَمْ أخْرج بَطرًا ولا رياءً ولا سُمْعَةً**» إلى آخرِهِ، وفيه أنَّ الذي قالَ هذا وهو ذاهبٌ إلى المسجدِ يستغفِرُ له سبعُونَ ألفَ ملكٍ، هذا الحديثُ قال الحافِظُ ابنُ حجرٍ عنهُ: حسنٌ، كذلكَ الحافظُ الآخرُ قالَ عنهُ: حَسَنٌ، لوجودِ هذا الحديثِ فلو كانَ أبو حنيفةَ قالَ هذا الشيءَ للمعنَى الذي هم يتوهَّمُونَهُ أو للمعنَى الذي قالَهُ جماعتُهُ فليسَ فيه دليلٌ على تَحْرِيمِ أن يقولَ المتوسلُ في توَسُّلِهِ: «اللهُمَّ إنّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ أو بِحَقّ إبراهيمَ أو بِحَقِّ أبِي بَكْرٍ أو بِحَقِّ عليّ بنِ أبِي طالبٍ ونحوِ ذلكَ، ما فيهِ دليلٌ على تَحْرِيمِ ذلكَ، أنَّى يكونُ فيهِ دليلٌ، **إذا جاءَ الخبرُ انقطعَ النَّظَرُ**، هكذَا قالَ أهْلُ العلمِ، معناهُ إذا جاءَ الحديثُ عن رسولِ اللهِ ارتَفَعَ النظرُ يعني القياسُ والاجتهادُ بَطَلَ، مع وُجُودِ هذا الحديثِ نَحنُ نقولُ ذلكَ الذي يُرْوَى عن أبِي حَنِيفَةَ ما فيهِ دليلٌ، هذا الرجلُ الذي ذَكَرْتُ لكُم أنَّهُ من رؤوسِ الوهابيةِ قال في مناظرةٍ من المناظراتِ في دمشقَ: أمَّا التوسلُ فقد كفانَا أبُو حنيفةَ المؤنةَ، كلامٌ لا طائِلَ تَحتَهُ بل هو هَباءٌ مَنثورٌ.

صِلَةُ الأَرْحَامِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحَمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ لهُ النّعمةُ ولهُ الفضلُ ولهُ الثناءُ الحَسنُ، صَلواتُ اللهِ البَرِّ الرّحيمِ والملائِكَةِ المقرّبينَ على سيّدِنا محمّدٍ أشرفِ المرسَلينَ.

أمّا بَعدُ اعلمْ رَحِمَكَ اللهُ أنَّ قطيعَة الرَّحِمِ مِنَ الكبائِرِ بالإِجماعِ وهي مِن معاصي البَدَنِ وهي تحصُلُ بإيحاشِ قلوبِ الأرحامِ وتنفيرِها، إمّا بتركِ الإِحسانِ بالمالِ في حالِ الحاجَةِ النّازِلَةِ بِهِم أو تركِ الزّيارَةِ بلا عُذرٍ، والعُذرُ كأنْ يَفقِدَ ما كانَ يَصِلُهُم بهِ مِنَ المالِ، أو يَجِدَهُ لَكِنَّهُ يَحتاجُهُ لِما هُو أَوْلَى بِصَرْفِهِ فِيهِ مِنْهُمْ.

والْمُرَادُ بالرَّحِمِ الأقارِبُ كَالجدّاتِ والأَجْدَادِ والخَالَاتِ والعَمَّاتِ وَأَوْلَادِهِم والأَخْوَالِ والأعمامِ وَأَوْلَادِهِم.

قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلّمَ: «**ليسَ الوَاصِلُ بالمكافِئِ ولكنَّ الواصِلَ مَن وَصلَ رَحِمَهُ إذا قطَعَت**» رواهُ البُخاريُّ والتِرمِذيُّ وقالَ حديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ، ورَواهُ أبو دَاودَ وأحمَدُ.

فَفِي هَذَا الحَديثِ إيذانٌ بِأنَّ صِلةَ الرَّجُلِ رَحِمَهُ التي لا تَصِلُهُ أفضَلُ مِن صِلَتِهِ رَحِمَهُ التي تصِلُهُ لأنَّ ذلِكَ مِن حُسْنِ الخُلقِ الذي حَضَّ الشرعُ عَليهِ حَضًّا بالِغًا.

وقطيعَةُ الرَّحِمِ تكونُ بَأن يؤذيَهُم أو لا يَزورَهُم فتستوحِشَ قلوبُهُم مِنهُ، أو هُم فقراءُ مُحتاجونَ وهُو مَعَهُ مالٌ زائِدٌ عَن حاجَتِهِ ويَسْتَطِيعُ مُساعدتَهُم ومَعَ ذلِكَ يَترُكُهُم.

قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ [سورة النساء] **أيْ واتقوا الأرحامَ أنْ تَقْطَعُوها.**

وقالَ سُبحانَهُ وتعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣﴾ [سورة محمد].

وروى الطبَرانِيُّ والبَزَّارُ أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**مَن كانَ يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فليصِلْ رَحِمَهُ**».

وَرَوَى البُخارِيُّ مِن حَديثِ أبي هُرَيرَة رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أحَبَّ أنْ يُبسَطَ لَهُ في رِزقِهِ وأن يُنسَأَ لهُ في أثَرِهِ فليصِلْ رَحِمَهُ**» وروى البُخارِيُّ ومُسلِمٌ مِن حَديثِ جُبَيرِ بْنِ مُطعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَدخُلُ الجَنَّةَ قاطِعٌ**» يَعني قَاطِعَ رَحِمٍ، أي لا يَدْخُلُها مَعَ الأوَّلِينَ.

واعْلَمْ أنَّ رَحِمَكَ إنْ كانَ بِحيثُ تستطيعُ أنْ تزورَهُ فلا بُدَّ أنْ تزورَهُ ولا يَكفي أنْ تُرسِلَ السَّلامَ إليهِ مِن غيرِ أنْ تزورَهُ، إنّما لِوقتٍ مِنَ الزَّمَنِ يَكفي إرسالُ السَّلامِ لهُ، أمَّا أنْ يَظَلَّ هُوَ وإيَّاهُ في بَلدٍ واحِدٍ ثُمَّ لا يَزورُهُ في السَّنَةِ ولا في السَّنَتينِ ولا في الثلاثِ سَنواتٍ مَع إمكانِهِ أنْ يَزورَهُ فهذا قطيعَةُ الرَّحِمِ.

أمّا إن كانَ ذلِكَ الرَّحِمُ لا يُحِبُّ دُخولَ هذا القريبِ بيتَهُ ولا يَرضى وكانَ هذا القريبُ يَعلمُ أنَّهُ لا يَرضى ليسَ عَليهِ أنْ يَدْخُلَ لأنَّهُ لا يَرضى، سَقطَ عَنهُ، لكِن بَقِيَ أنْ يُرسِلَ إليهِ السَّلامَ أو يُرسِلَ إليهِ مَكتوبًا.

وأمّا إنْ كانَ رَحِمُهُ هَذا يُحِبُّ دُخُولَهُ بيتَهُ وقُعُودَهُ عِندَهُ فلا يَكفي إرسالُ السَّلامِ للمُدَّةِ الطّويلةِ، أمّا للمُدَّةِ القصيرَةِ فيَكفي، أمّا في بَيروتَ إذا زارَ القريبُ قريبَهُ في أحَدِ الْعِيدَينِ لا يُعْتَبَرُ ذلِكَ قَطِيعَةً، لأنَّهُ في بيروتَ إذا زارَ القريبُ قريبَهُ مَرَّةً في السَّنةِ وزارَهُ في الأفْرَاحِ والأحزانِ لا يَعتبرونَ ذلِكَ قطيعَةً، هذا في حالِ لم يَكُنْ للشَّخْصِ عُذرٌ، أمّا إنْ

كانَ لهُ عُذرٌ كأنْ كانَ في بَلدةٍ بَعيدةٍ ولا يَسهُلُ عَليهِ أنْ يَذهَبَ لِزيارَةِ أقرِبائِهِ لو غابَ مَثلًا خَمسَ سِنينَ وهُو يُرسِلُ لهُم سلامًا مِن وَقتٍ إلى وَقتٍ ما عَليهِ شيءٌ.

ومِنَ الأعذارِ في عَدَمِ زِيارَةِ الرَّحِمِ أنْ يَكونَ سَمِعَ مِن قريبِهِ هذا رِدَّةً كَسَبِّ اللهِ أو الأنبياءِ أو الملائِكَةِ أو الاستهزاءِ بِالقرءانِ وما أشبَهَ ذَلِكَ، فإنَّ هذا لا صِلةَ لهُ.

وكذا يَجوزُ لهُ قَطعُهُ إنْ كانَ فاسِقًا يَشرَبُ الخَمرَ أو يَترُكُ الصَّلاةَ أو يَزني وما أشبَهَ ذلِكَ ولكِن هذا لا يَقطَعُهُ إلَّا بَعدَ إعلامِهِ بالسَّبَبِ لِيَزجُرَهُ عَن مِثلِ هذِهِ الأفعالِ.

قالَ اللهُ تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥**﴾ [سورة الرعد].

ورَوى البُخارِيُّ مِن حَديثِ أنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: «**مَن أحَبَّ أن يُبْسَطَ له في رزقه وأن يُنسَأ لَهُ في أثَرِهِ فليصِلْ رَحِمَهُ**» قولُهُ: «**وأنْ يُنْسَأ لَهُ في أثَرِهِ**» معناهُ أنْ يُطَوَّلَ عُمُرُهُ مِن حيثُ المعنى، الذي يُوَفَّقُ للخَيراتِ في مَعنى كأنَّهُ زِيدَ في عُمُرِهِ.

وأخْرَجَ القُضَاعِيُّ في مُسْنَدِهِ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلّمَ قالَ: «**صِلَةُ الرَّحِمِ تزيدُ في العُمُرِ**». يَعني كانَ في عِلم اللهِ تعالى أنَّهُ لولا هذِهِ الصِّلَةُ كانَ عُمُرُهُ كذا، ولكِنَّهُ عَلِمَ تعالى بِعلمِهِ الأزَلِيّ أنَّهُ يَصِلُ رَحِمَهُ فيَكونُ عُمُرُهُ أزيَدَ مِن ذلِكَ بِمشيئَةِ اللهِ، فيَكونُ الـمَعْلُومُ الْمَحْكُومُ أنَّهُ يَصِلُ رَحِمَهُ ويَعيشُ إلى هذِهِ الْمُدَّةِ.

ورَوى البَيهَقِيُّ في كِتابِ القضاءِ والقدَرِ مِن حديثِ عليّ بنِ أبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلّمَ: «**مَن سَرَّهُ أن يَمُدَّ اللهُ في عُمُرِهِ ويُوسِّعَ لهُ رِزقَهُ ويَدفَعَ عَنهُ مِيتةَ السُّوءِ فليتّقِ اللهَ وليَصِلْ رَحِمَهُ**».

وقطيعَةُ الرَّحِمِ مِن أسبابِ تَعجيلِ العَذابِ في الدُّنيا قبلَ الآخِرَةِ، فقدْ روى أحمَدُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلّمَ قالَ: «**ما مِن ذَنبٍ أجدَرُ بِأنْ يُعجَّلَ لِصاحِبِهِ العقوبةُ**

في الدُّنيا مَع ما يَنتظِرُهُ في الآخِرَةِ مِن البَغْيِ وقطيعَةِ الرحمِ» والبَغْيُ مَعناهُ الاعتدَاءُ على النّاسِ.

الحَياءُ مِن شِيَمِ الـمُرْسَلينَ والصّالحينَ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحَمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ والصَّلاةُ والسَّلامُ على سَيّدِ المرسَلينَ سَيّدِنا محمَّدٍ وعلى جميعِ إخوانِهِ مِنَ النَّبيّيْنِ والمرسَلينَ وعلى ءالِهِ الطَّيّبينَ الطّاهِرينَ. اللَّهُمَّ عَلّمنا ما جَهِلنا وذَكّرنا ما نَسينا وَزِدنا عِلمًا ونَعوذُ بِكَ مِن حالِ أَهلِ النّارِ.

قالَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «**مِن كرامَتي على رَبّي أَنّي وُلِدتُ مختونًا ولم يَرَ أَحَدٌ سَوأتي**».

هَذا الحَديثُ صحيحٌ رَواهُ الحافِظُ المقدِسِيُّ عَبدُ الواحِدِ في كِتابِهِ «المختارةِ»[1]. المعنى أَنَّهُ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لم يُخْتَن كما يُخْتَنُ الأَطفالُ. اللهُ أَغناهُ عَن ذَلِكَ لأَنَّهُ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ كامِلٌ مِن كُلّ جِهَةٍ. فَهو كانَ حيِيًّا أَي كَثيرَ الاستِحياءِ، وَقَد قالَت عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنها: «**لم يَرَ مِنّي ولا رَأيتُهُ مِنهُ**» وَهذا حالُ الأَنبياءِ كُلِّهِمْ، موسى عَلَيهِ السَّلامُ عندما كانَ يَغتَسِلُ كانَ يَذهَبُ إلى حَيْثُ لا يَرَاهُ النّاسُ، وكانَ عادَةُ النّاسِ أَن يَغْتَسِلَ بَعْضُهُم أَمامَ بَعضٍ مَع كَشْفِ العَوْرَةِ، فَلَمّا وَجَدُوهُ على خِلَافِ عَادَتِهِم قالوا إِنَّ بِهِ أُدرَةً[2] لِذَلِكَ لا يَغتَسِلُ أَمامَنا إِلّا مُنفَرِدًا، فَجاءَ ذاتَ يَومٍ إلى مَكانٍ لِيَغْتَسِلَ وَراءَ صَخْرَةٍ وكانَ النّاسُ بِمَعْزِلٍ عَنْهُ، هذِهِ الصَّخْرَةُ تَسْتُرُهُ عَنْهُمْ لا يَرَوْنَهُ، فَلَمَّا وَضَعَ ثَوْبَهُ على الحَجَرِ هَرَبَ

[1] المختارة: كتابٌ أَلفهُ ذَكَرَ فيهِ أَحاديثَ هو يَحكُمُ عليها بالصِّحّةِ.

(2) الأدرة مَن يُصيبهُ فتقٌ في إحدى خِصيتيهِ.

الحَجَرُ بِثَوْبِهِ فَصَارَ يَلحَقُهُ وهُو يَقُولُ: «**ثوبي حَجَر ثوبي حَجَر**» وكانَ يَضرِبُهُ حتى صَارَ أَثَرٌ ظاهِرٌ على الحَجَرِ، خَرَقَ اللهُ لَهُ العَادَةَ فَرَأَوْهُ ما بِهِ شَيءٌ مِمّا ظَنُّوا بِهِ.

وَقَد صَحَّ في حَديثِ الرَّسُولِ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ في حَديثِ شَمائِلِهِ أَنَّهُ كانَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذراءِ في خِدرِها. والخِدْرُ هو سِترٌ يُعْمَلُ جانِبَ البَيتِ للبِنْتِ البِكْرِ، هذِهِ كانَت عادَةَ العَرَبِ الأُوَلِ هِي تنفَرِدُ بِهِ تُلازِمُ ذَلِكَ الْمَكَانِ. الحياءُ مِن شِيَمِ الْمُرْسَلِينَ والصّالحينَ.

وَمِنَ الحَياءِ الْمَمْدُوحِ أَن لا يُلِحَّ الشَّخْصُ في طَلَبِ دَيْنِهِ مِنَ المدينِ وقَد صَحَّ عَن رَسولِ اللهِ صلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ أَنَّهُ قالَ: «**الحياءُ مِنَ الإِيمانِ**».

فَالحياءُ الّذي مَدَحَهُ الرَّسولُ هو الحَياءُ الّذي يُبعِدُ صاحِبَهُ عَنِ الرَّذائِلِ ومُنكَراتِ الأَخلاقِ، أَمّا الحياءُ الّذي يَمنَعُ صاحِبَهُ مِن تَعَلُّمِ ما يحتاجُهُ للدّينِ كالمرأةِ الّتي تَستَحي مِن تَعَلُّمِ أَحكامِ الحيْضِ والنّفاسِ، والرَّجُلِ الّذي يَستَحي مِن تَعَلُّمِ أَحكامِ الجنابَةِ فَهذا مَذمومٌ عِندَ اللهِ، بَل قَد يؤدي بِصاحِبِهِ إِلى الهلاكِ لِتَركِ تَعَلُّمِ ما فَرَضَ اللهُ عَلَيهِ مِن أُمُورِ الدِّينِ، وذَلِكَ لأَنَّ الصَّلاةَ أَفضَلُ الأَعمالِ بَعدَ الإِيمانِ بِاللهِ وَرَسولِهِ فَمَن صلّاها كَما أَمَرَ الشَّرعُ الشَّريفُ فَقَد أَقامَ رُكنًا مِن أَركانِ الإِسلامِ، ومَن أَضاعَها فَقَد خَسِرَ هَذَا الرُّكْنَ العَظِيمَ. والصَّلاةُ لا تَصِحُّ إِلّا بِاسْتِيفَاءِ شُرُوطِهَا ومِنْ أَعظَمِ شُروطِها الطُّهُورُ. قالَ رَسولُ اللهِ صلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ: «**الطُّهُورُ شَطرُ الإِيمانِ**» رواهُ مُسلِمٌ، ورواهُ ابْنُ حِبّانَ بِلَفْظِ «**الوُضُوءُ نِصْفُ الإِيمَانِ**». فلِهذا كانَت المحافَظَةُ على شُروطِ الصَّلَاةِ أَمْرًا عَظِيمًا في الدِّينِ ومَن لا يحافِظُ على شُرُوطِهَا لَيسَ لَهُ شيءٌ مِن ثوابِها بَل عَلَيهِ الوِزرُ المُوصِلُ إِلى العَذَابِ الأَلِيمِ في الآخِرَةِ. قالَ رَسولُ اللهِ صلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ: «**مَن حافَظَ على الصَّلواتِ الخَمسِ كانَ لَهُ نورٌ وبُرهانٌ ونجاةٌ يَومَ القِيامَةِ ومَن لم يحافِظْ عَلَيها لم يَكُن لَهُ نورٌ ولا بُرهانٌ ولا نجاةٌ يَومَ القِيامَةِ وكانَ مَع فِرعَونَ وهامانَ وأُبَيِّ بنِ خَلَفٍ**». هؤلاءِ

الثَّلاثَةُ رُءوسُ الكُفرِ، أَمّا فِرعونُ فَأَمرُهُ أَشهَرُ، وَأَمّا هامانُ فَكانَ هو وَزيرَهُ يُنَفِّذُ لَهُ أَوامِرَهُ فِي الكُفرِ والمعاصي فَهو رأسٌ مِن رُءوسِ الكُفرِ، وأَمّا أُبَي بنُ خَلَفٍ كانَ مِن أَشَدِّ المشرِكينَ مِن قُريشٍ على رَسولِ اللهِ وعلى أَصحابِ رَسولِ اللهِ في مَكَّةَ. وءاخِرُ دَعوانا أَن الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين وَصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنا محمَّدٍ أَشرَفِ المرسَلينَ.

فَضلُ علمِ الكلامِ وتَعَلُّمِ الأَدِلَّةِ العَقلِيَّةِ والنَّقلِيَّةِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحَمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، صَلَواتُ اللهِ البَرِّ الرَّحيمِ والملائِكَةِ المقرَّبينَ على سَيِّدِنا محمّدٍ أَشرَفِ المرسَلينَ وعلى ءالِهِ وجَميعِ إِخوانِهِ الأَنبياءِ والمرسَلينَ، اللهُمّ عَلِّمْنا ما جَهِلنا وذَكِّرْنا ما نسينا وَزِدْنا عِلمًا.

مِنَ الثّابتِ المعلومِ عِندَ أَهلِ العِلمِ أَنَّ أَفضَلَ العُلُومِ العِلْمُ الذي يُعْرَفُ بِهِ مَا يَلِيقُ بِاللهِ وما لا يَلِيقُ بِهِ، وما يَلِيقُ بِأَنبيائِهِ وما لا يَلِيقُ بِأَنبيائِهِ، هذا أَشرَفُ العُلومِ.

ثُمَّ هذا العِلمُ على مَرتَبَتَينِ:

المرتَبَةُ الأُولى: التي هِيَ لِعَوامِّ المؤمنينَ أَي التي هِيَ فَرضٌ على كُلِّ بالِغٍ عاقِلٍ مِنَ المسلمينَ، أَن يَعرِفَ ما يَجِبُ للهِ وما يَستحيلُ عَلَيهِ وما يجوزُ لَهُ بِحيثُ يَحصُلُ لَهُ اعتِقادٌ جازِمٌ لو لم يَعرِفِ الأَدِلَّةَ البُرهانِيَّةَ العَقلِيَّةَ على إِثباتِ هذِهِ العَقائِدِ. الفَرضُ العَينِيُّ مِن هذا العِلمِ الذي هو فَرضٌ على كُلِّ مُسلِمٍ بالِغٍ عاقِلٍ، أَن يَعرِفَ هذِهِ العقائِدَ، يَجِبُ أَن يَعرِفَ بِأَنَّ اللهَ مَوصوفٌ بِالوُجودِ والقِدَمِ أَي الأَزَلِيَّةِ أَي أَنَّ وُجودَهُ لَيسَ لَهُ ابتِداءٌ، والوَحدانِيَّةِ أَي أَنَّهُ لا شَريكَ لَهُ في ذاتِهِ ولا في صِفاتِهِ ولا في أَفعالِهِ، والقِيامِ بِنَفسِهِ أَي أنه لا يَحتاجُ إِلى غَيرِهِ وكُلُّ شَىءٍ يَحتاجُ إِليهِ، والمخالَفَةِ للحَوادِثِ أَي لا يُشبِهُ شَيئًا مِنَ المخلوقاتِ وَأَنَّ لهُ قُدرَةً أَزَلِيَّةً وأَنَّ لَهُ إِرادَةً أَزَلِيَّةً وَأَنَّ لَهُ حَياةً أَزَلِيَّةً لَيسَت كَحَياةِ غَيرِهِ، وأَنَّهُ مُتَّصِفٌ بالعِلمِ الأَزَلِيِّ، وأَنَّ لَهُ الكَلامَ الذي لَيسَ كَكَلامِنا، كُلُّ هذا مَعَ التَّنْزِيهِ عَن مُشابَهَتِهِ للخَلقِ، وأَنَّ له سَمعًا وبَصَرًا أَي يَرى ويَسمَعُ، الصِفاتُ الثَّلاثَ عَشرةَ مَعرِفَتُها فَرضٌ عَينِيٌّ على كُلِّ بالِغٍ عاقِلٍ، أَمّا ما سِوى هذِهِ الصّفاتِ الثَّلاثَ عَشرةَ فَيَجِبُ مِن بابِ الوُجوبِ الكِفائِيِّ، أَي إِذا عَلِمَهُ بَعضُ المسلِمينَ سَقَطَ الحَرَجُ عَن الآخَرينَ، فَمَن عَرَفَ هذِهِ الصّفاتِ الثَّلاثَ عَشرةَ بِدَليلٍ عَقلِيٍّ أَو بِدونِ دَليلٍ أَي بِدونِ مَعرِفَةِ الدَّليلِ،

وَعَرَفَ ما يَجِبُ للأَنبياءِ مِن دونِ دَليلٍ فَقَد قامَ بِما هو فَرضٌ عَلَيهِ مِنَ الاعتِقادِ، هذِهِ المرتَبَةُ الأُولى التي هِي فَرضٌ على كُلِّ مُسلِمٍ بالِغٍ عاقِلٍ.

والمرتَبَةُ الثّانِيَةُ: هِي مَعرِفَةُ هذِهِ الصّفاتِ الواجِبَةِ للهِ بِالدَّليلِ العَقلِيِّ والنَّقلِيِّ، هذِهِ فَرضُ كِفايَةٍ لَيسَت فَرضَ عَينٍ، العَوامُّ لَيسَ فَرضًا عَلَيهِم أَن يَعرِفوا هذِهِ الصّفاتِ بِدلائِلِها العَقلِيَّةِ والنَّقلِيَّةِ أَي أَنَّ هذا لَيسَ فَرضًا على كُلِّ مُكَلَّفٍ أَي بالِغٍ عاقِلٍ إِنَّما هذا فَرضٌ تَحصيلُهُ على بَعضٍ مِنَ المسلِمينَ.

كما أَنَّ عِلمَ الأَحكامِ التي تَتَعَلَّقُ بالصَّلاةِ والصّيامِ والحجِّ والزَّكاةِ على مَرتَبَتَينِ مَرتَبَةٍ أُولى ومَرتَبةٍ ثانيةٍ، ويَنضافُ إِلى هذِهِ المرتَبَةِ الثّانِيَةِ التَّمَكُّنُ في مَعرِفَةِ الدَّلائِلِ حتّى يَستَطيعَ المسلِمُ الذي عَرَفَ هذِهِ الدَّلائِلَ دَحْضَ تَشكيكاتِ الملحِدينَ والبِدْعيّينَ. والملحِدونَ هُم الذينَ لا يَنتَسِبونَ إِلى الإِسلامِ إِنّما هم زَنادِقَةٌ يُريدونَ أَن يُشَكِّكوا المسلِمينَ في دينِهِم لِيَنحَلَّ عَقدُ قُلوبِهِم على دِينِهِم، وأَمّا البِدعِيّونَ فهُم الذينَ يَنتَسِبونَ إِلى الإِسلامِ وهُم ضالّونَ لَيسوا مُهتَدينَ، ثُمَّ هؤلاءِ البِدعيّونَ هُم في حَدِّ ذاتِهِم صِنفانِ: صِنفٌ خَرَجوا مِنَ الإِسلامِ وهُم يَنتَسِبونَ إِلى الإِسلامِ ولا يَدرونَ بِأَنَّهُم خَرَجوا مِنهُ، كَهؤلاءِ المعتَزِلَةِ الذينَ يَقولونَ: العَبدُ يَخلُقُ أَفعالَ نَفسِهِ بِقُدرَةٍ خَلَقَها اللهُ فيهِ وإِنَّ اللهَ لا يَخلُقُ شَيئًا مِن أَعمالِ العَبدِ بَل العَبدُ هو يَخلُقُ أَعمالَهُ بَعدَ أَن أَعطاهُ القُدرةَ صارَ عاجِزًا عَن خَلقِ هذِهِ الأَفعالِ، أَي حَرَكاتِ العِبادِ وسُكونِهِم، فَهؤلاءِ الذينَ جَعَلوا الإِنسانَ خالِقًا لأَعمالِهِ يَدَّعونَ الإِسلامَ بَل يدَّعونَ أَنَّهُم خِيرةُ المسلِمينَ، وهُم لَيسوا مِنَ الإِسلامِ في شَيءٍ، لَيسَ لهُم حَظٌّ مِنَ الإِسلامِ، فالعِلمُ الذي يُتَمَكَّنُ بِهِ مِن دَحضِ تَشكيكاتِ هؤلاءِ وشُبَهِهِم فَرضٌ على الكِفايَةِ أَي لَيسَ على جَميعِ الأَفرادِ المسلِمَةِ بَل على قِسمٍ مِنهُم».

السَّلَفُ وَعِلمُ الكَلامِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «وهَذا العِلمُ كانَ في السَّلَفِ، هذا أَبو حَنيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ كانَ تُوفِّيَ في مُنتَصَفِ السَّلَفِ، السَّلَفُ مَعناهُ أَهلُ القُرونِ الثَّلاثةِ الأُولى، ثُمَّ مَنْ جاءَ بَعدَ ذَلِكَ يُقالُ لهم خَلَفٌ، فَخِيرَةُ هذِهِ الأُمَّةِ هُم أَهلُ القُرونِ الثّلاثَةِ أَي أَهلُ الثَّلاثِمائةِ سَنَةٍ الأُولى، وهؤلاءِ شَهِدَ لهم الرَّسولُ بِالأَفضَلِيَّةِ، أَبو حَنيفَةَ كانَ تُوفِّيَ في مُنتَصَفِ هذِهِ المدَّةِ سَنةَ مائةٍ وخَمسينَ ووُلِدَ الشَّافِعِيُّ تِلكَ السَّنةَ، أَبو حَنيفَةَ كانَ مُتَمَكِّنًا إِلى حدٍّ بَعيدٍ في هذا العِلمِ، عِلمِ العَقيدةِ، بِتَقريرِها بِالدَّلائِلِ العَقلِيَّةِ والنَّقلِيَّةِ، وكانَ يُكافِحُ هؤلاءِ البِدعِيّينَ الذينَ هُم يَنتَسِبونَ إِلى الإِسلامِ، والملاحِدَةَ الذين لا يَنتَسِبونَ إِلى الإِسلامِ، كانَ مِن شِدَّةِ عِنايَتِهِ بهذا الأَمرِ العَظيمِ يَتَنَقَّلُ بينَ بَغدادَ والبَصرَةِ وهِي مَسافَةٌ واسِعَةٌ، حتّى بَلَغَ عَدَدُ تَنقُّلاتِهِ بينَهُما عِشرينَ مَرَّةً ونَيِّفًا، في تِلكَ الأَيّامِ التي لم يَكُنْ فيها إِلّا الدَّوَابُّ.

المقصودُ أَنَّ عِلمَ العَقيدَةِ بِأَدِلَّتِها العَقلِيَّةِ والنَّقلِيَّةِ لَيسَ شَيئًا مَذمومًا بَل هو فَرضٌ على المسلِمينَ، ومِن هؤلاءِ المشَكّكينَ مَن لا يَقبَلُ إِذا قُلتَ لَهُ: قالَ اللهُ تعالى، قالَ رَسُولُ اللهِ، يَقولُ أَنا لا أُؤمِنُ بِكتابِكَ ولا بِنَبِيِّكَ أَعطِني دَليلًا عَقليًّا، فهذا كَيفَ تُحارِبُهُ، كَيفَ تُكافِحُهُ إِذا لم تَعلَمْ هذِهِ الأَدِلَّةَ العَقلِيَّةَ، إِذا لم تَنصِبْ دليلًا عَقليًّا على وُجُودِ اللهِ وقُدْرَتِهِ وسائِرِ صِفاتِهِ التي يَجِبُ مَعرِفَتُها وحَقّيَّةِ النُّبُوَّةِ والرِّسَالَةِ ووُجُوبِ اتّباعِ الأَنْبِيَاءِ والمرسَلينَ، كَيفَ تُثبِتُ لَهُ البُرهانَ العَقلِيَّ إِذا كُنتَ لا تَعرِفُ إِلّا قالَ اللهُ، قالَ رَسُولُ اللهِ، إِلَّا ظواهِرَ الآياتِ والأَحَادِيثِ، الكِفاحُ عَن الدّينِ يَتَطَلَّبُ وُجُوبًا وحَتْمًا مَعْرِفَةَ البراهِينِ العَقْلِيَّةِ، مَعْرِفَةَ العقائِدِ الإِيمانِيَّةِ مَقرونَةً بِالأَدِلَّةِ العَقلِيَّةِ أَي البَراهينِ العَقْلِيَّةِ والنَّقْلِيَّةِ. لو لم يُوجَدْ في المسلِمينَ أُناسٌ يَقومونَ بهذا لَعَصَوْا كُلُّهُمْ، لَشَمَلَتِ المعصِيةُ كُلَّ الأَفرادِ البالِغينَ العاقِلينَ، لَكِن إِذا كانَ بَعْضٌ يعرِفُ ذَلِكَ ويَقُومُ بِهِ فَلَيْسَ على الآخَرينَ حَرَجٌ.

هذا العِلمُ الذي هُو فَرضٌ بَعضُ النّاسِ يَنفِرونَ مِنهُ لِجَهْلِهِم بالحقيقَةِ ويَحتَجُّونَ للتَّنْفيرِ مِن هذا العِلمِ بِكلامٍ يُرْوَى عَنِ الشَّافِعِيّ وهو: «لأنْ يَلْقَى اللهَ العَبْدُ بِكُلِّ ذَنْبٍ ما خَلا الشِّرْكَ خَيْرٌ لَهُ مِن أَن يَلْقَاهُ بِالْكَلَامِ» هذِهِ رِوايةٌ يَرْوُونَها عَنِ الشَّافِعِيّ، والرّوايةُ الصَّحيحَةُ هِي ما رَواها عَن الشَّافِعِيّ الإمامُ المجتَهِدُ المحدِّثُ المفسّرُ أَبو بَكرِ بْنُ المنذِرِ في كِتابِهِ «الإشرافِ»، وابنُ المنذِرِ مِمَّن أَخَذَ العِلمَ عن أَصْحَابِ الشّافِعِيّ كالرَّبِيعِ المُرَادِيّ. الرَّبِيعُ أَشهَرُ مَن أَخَذَ عِلمَ الشّافِعِيّ، وهذا أَبو بَكرِ بْنُ المنْذِرِ كانَ دَرَسَ مَذْهَبَ الشَّافِعِيّ دِراسَةً مُتقَنَةً، حَفِظَ المذهَبَ الشّافِعِيَّ بالتَّلَقِّي مِن الرَّبِيعِ الذي هوَ تِلْمِيذُ الشّافِعِيّ وغَيرِهِ، وَصَارَ مُجتَهِدًا فيما بَعْدُ لأَنَّ اللهَ تعالى يَسَّرَ لَهُ حِفْظَ الأَحادِيثِ النَّبوِيَّةِ بِأَسانِيدِهَا والتَّمَكُّنَ في مَعْرِفَةِ اللُّغَةِ الأَصْلِيَّةِ، اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ الفُصْحَى التي نَزَلَ بها القرءانُ الكَرِيمُ، صارَ مُقْتَدِرًا على أَن يَجْتَهِدَ كما أَنَّ الشّافِعِيَّ كَانَ يَجْتَهِدُ ومَالِكًا وأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، صَارَ في عَتَادِهِم، وهو الذِي نَقَلَ عَنِ الشَّافِعِيّ العِبارَةَ التي هِيَ صَحيحَةٌ التي لَيسَ فيها إِيهامٌ، يقولُ: قالَ الشّافِعِيُّ: «لأَن يَلقى اللهَ العَبدُ بِكُلِّ ذَنبٍ ما خلَا الشِّرْكَ خَيْرٌ مِن أَنْ يَلْقَاهُ بِشَىْءٍ مِنَ الأَهْوَاءِ» الأَهواءُ هِي عَقائِدُ البِدعيّينَ، الاعتِزالُ مِن جُملَةِ الأَهواءِ.

مَعرِفةُ عِلمِ العَقيدَةِ بِدلائِلِها العَقلِيَّةِ والنَّقلِيَّةِ، هذا الأَمرُ العَظيمُ الذي هو فَرضٌ على الكِفايَةِ بَعضُ النّاسِ يُعادونَهُ ويَحْتَجُّونَ بِتلكَ العِبارَةِ الَّتِي تُنْسَبُ لِلشَّافِعِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولَم يَدْرِ هؤلاءِ أَنَّ الشّافِعِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ كانَ يُتْقِنُ عِلْمَ العَقِيدَةِ مَع تَقْرِيرِ الأَدِلَّةِ العَقلِيَّةِ والنَّقلِيَّةِ، كانَ الشّافِعِيُّ مُتَمَكِّنًا في ذَلِكَ حَتَّى قَالَ: «أَتْقَنَّا ذَاكَ قَبْلَ هَذَا»، «أَتْقَنَّا ذَاكَ» أَي عِلمَ العَقيدَةِ المقرونَ بِالدلائِلِ العَقلِيَّةِ والنَّقْلِيَّةِ، «قَبْلَ هَذَا» أَيْ قَبلَ عِلمِ الفِقهِ الفَرعِيّ، عِلمُ الأَحكامِ يُقالُ لَهُ الفِقهُ الفَرعِيُّ، لأَنَّ الفِقهَ الأَكبرَ هو عِلمُ العَقِيدَةِ، ومِن الدَّليلِ على ذَلِكَ أَنَّ أَبا حنيفةَ سَمَّى كِتابَهُ الذي أَلَّفَهُ بِالعقيدَةِ مَقرونًا بِبيانِ الدَّلائِلِ العَقلِيَّةِ

«الفِقْهَ الأَكبَرَ» فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ كَلَامِ هؤلاءِ الذينَ يُرِيدُونَ أَن يَطْعَنُوا في هذا العِلمِ الذي هو أَشْرَفُ العُلُومِ.

إِنَّ الشّافِعِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ لم يَعْنِ بِالكَلامِ المذمومِ عِلمَ العقيدَةِ المشتَمِلَ على تَقريرِ البَراهينِ العَقلِيَّةِ، إِنّما يَعني عِلمَ الكَلامِ المذمومِ الذي هو عَمَلُ البِدعيّينَ المعتَزِلَةِ وأَشباهِهِم، هذا الذي ذَمَّهُ الشّافِعيُّ، هذا هو الكَلامُ الذي ذَمَّهُ بَعضُ السَّلَفِ غَيرُ الشّافِعيِّ أَيضًا، أَمّا هذا العِلمُ أَبو حَنيفَةَ كانَ رأسًا فيهِ، كَذَلِكَ أَئِمَّةٌ قَبْلَهُ، عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزيزِ الخليفَةُ الرّاشِدُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ لَهُ رِسالَةٌ في الرَّدِ على المعْتَزِلَةِ بِالبراهينِ العَقلِيَّةِ، لَيسَ بِالآياتِ فَقَط كَذَلِكَ الحسن بن محمَّدِ ابنِ الحنَفِيَّةِ هذا حَفيدُ سَيّدِنا عَلِيّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، الحنَفِيَّةُ هي سُرّيَّةُ عَلِيّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ وَلَدَتْ لَهُ الإِمامَ محمَّدَ ابْنَ الحنَفِيَّةِ، شُهِرَ بِأُمِّهِ، هو مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيّ إِنّما غَلَبَت شُهْرَتُهُ بِاسْمِ أُمِّهِ.

والمعتَزِلَةُ كانَ بَدْؤُهُم في القَرْنِ الأَوَّلِ، ولَكِنَّهُم ظَهَروا ظُهورًا قَوِيًّا بَعدَ الثّلاثِمِائةِ. وقَد سُمّوا المعتَزِلَةَ أَيّامَ الحَسَنِ البِصرِيّ وسَبَبُهُ أَنَّ رجُلًا مِن رؤوسِ المعتَزِلَةِ القُدَماءِ كانَ يحضُرُ مجلِسَ الإمامِ الحَسَنِ البِصرِيّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، فَكانَ يَتَكَلَّمُ بِسَقَطٍ مِنَ القَولِ فَنَبَذَهُ الحَسَنُ البِصرِيُّ وقالَ «اعتَزِلْ عنَّا» معناهُ اخرُجْ مِن مجلِسِنا، فَلُقِّبوا بَعدَ ذَلِكَ بِالمعتَزِلَةِ، أَي الطائِفَةِ المعتَزِلَةِ أَي المنبوذَةِ، ثُمَّ قَبلَ هذا الظُهورِ الأَكبَرِ لهم ضِمنَ أَيّامِ السَّلَفِ، أَيَّامَ مالِكٍ وقَبلَهُ كانَ الأَئِمَّةُ يَستذِلُّونَهُم، كانوا مُستَذَلِّينَ، حتّى إِنَّ الخليفَةَ الرّاشِدَ عُمَرَ بنَ عبدِ العزيزِ استتابَ أَحدَ أَكابِرِ المعتَزِلَةِ وهو غَيلانُ بنُ مَروانَ استتابَهُ فَأَظهَرَ التَّوبَةَ فَتَرَكَهُ مِنَ القَتلِ، كانَ قَتَلَهُ لَولا أَنَّهُ أَظهَرَ التَّوْبَةَ، ثُمَّ بَعدَ ذَلِكَ نَقَضَ ما أَظهَرَ أَيّامَ عُمَرَ بْنِ عَبدِ العَزيزِ أَيّامَ هِشامٍ، فَقَتَلَهُ هِشامٌ لأَنَّهُ عادَ إِلى الضَّلالَةِ التي كانَ عَليها، ضَلالَةِ الاعتِزالِ.

اللّهُمَّ عَلِّمنا ما يَنفَعُنا وانفَعْنا بِما عَلَّمتنا وزِدنا عِلمًا، وآخِرُ دعوانا أَنْ الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ».

حِفظُ اللِسانِ والاستعدادُ للآخِرَةِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ وصَلواتُ اللهِ البَرِّ الرَّحيمِ والملائِكَةِ المقرَّبينَ على سَيِّدِنا محمّدٍ وعلى ءالِهِ الطَّيِّبينَ الطّاهِرينَ.

رُوِّينا في صَحيحِ ابنِ حِبّانَ أَنَّ سُفيانَ بنَ عَبدِ اللهِ الثَّقفيَّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: قُلتُ يا رَسولَ اللهِ أَخبِرْني بِشىءٍ أعتَصِمُ بِهِ. قالَ: «**قُل ءامَنتُ بِاللهِ ثُمَّ استَقِمْ**»، قالَ: قُلتُ: ما أَشَدُّ ما تَتَخَوفُ عَليَّ. فَقالَ: «**هذا**». أي أَخَذَ الرَّسولُ بِلِسانِهِ، فَقالَ لَهُ: «**هذا**».

الجزءُ الأَخيرُ مِن هذا الحديثِ كَثيرٌ مِنَ النّاسِ لا يَعمَلونَ بِهِ وهو أَنَّ هذا الصَّحابيَّ الجليلَ سُفيانَ بنَ عَبدِ اللهِ الثّقفيَّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: يا رسولَ اللهِ ما أَشَدُّ ما تَتَخوفُ عَلَيَّ فقالَ الرَّسولُ: «**هذا**»، وأَخَذَ بِلِسانِ نفسِهِ، أَمسَكَ لِسانَهُ وقالَ: «**هذا**»، أَي اللِسانُ أَشَدُّ ما أَخافُ عَليكَ، يَعني أَكثَرُ ما يَضُرُّكَ معاصي لِسانِكَ.

النَّفسُ لها شَهوةٌ كَبيرةٌ في الكَلامِ الذي تهواهُ مِن غَيرِ تفكيرٍ في عاقِبَتِهِ، ماذا يُصيبُني مِن هذا الكَلامِ في الآخِرَةِ أَو في الدُّنيا، مِن غَيرِ تفكيرٍ في عاقِبَةِ هذا الكَلامِ النَّاسُ يَتَكَلَّمونَ، لِذَلِكَ الرَّسولُ قالَ أَشَدُّ ما أَخافُ عَلَيكَ لِسانُكَ. في الأَوَّلِ قالَ لَهُ سُفيانُ: أَخبِرني بِشىءٍ أعتَصِمُ بِهِ، أَي عَلِّمْني أَمرًا أَتمسَّكُ بِهِ لِديني. فَقالَ لَهُ الرَّسولُ قُل: «**ءامَنتُ بِاللهِ ثُمَّ استَقِم**»، أَي اثبُتْ على الإِيمانِ ثُمَّ استَقِمْ أَي اعمَلْ بِطاعَةِ اللهِ واجتَنِبْ معاصيَ اللهِ. ثُمَّ سُفيانُ سأَلَ عَن أَشَدِّ شَىءٍ يُهلِكُهُ، يَضُرُّهُ، فَقالَ الرَّسولُ «**هذا**» أَي أَنَّ لِسانَكَ هو أَشَدُّ ما أَتخَوَّفُهُ عَلَيْكَ.

حِفظُ اللّسانِ أَمرٌ مُهِمٌّ، أَكثرُ ما يُهْلِكُ الإِنْسَانَ في الآخِرَةِ مَعاصي اللّسانِ، لأَنَّ الكَلامَ سَهلٌ على اللِّسَانِ، المشْيُ يَحتاجُ إِلى كُلْفَةٍ، أَمّا اللّسانُ سَهلٌ أَن يَنْطِقَ بما يَشَاءُ، فَأَكثَرُ ما يَفعَلُهُ الإِنسانُ مِنَ الذُّنوبِ هو مِنَ اللّسانِ.

فَيَجِبُ على الإِنسانِ أَن يحفَظَ لِسانَهُ، وطريقَةُ حِفظِ اللّسانِ أَن يَتَفَكَّرَ الإِنسانُ في عاقِبَةِ ما يخطُرُ لَهُ أَن يَتَكَلَّمَ بِهِ، ثُمَّ إِنْ لم يَكُنْ فيهِ خَطَرٌ يَنطِقُ بِهِ، هذا طريقُ السَّلامَةِ.

أَكثَرُ الكُفرِ يَكونُ بِاللّسانِ، وَأَكثَرُ العَداواتِ سَبَبُها اللّسانُ، وأَكثَرُ الخُصوماتِ كَذَلِكَ، وأَكثَرُ أَسبابِ التّباغُضِ والتّقاطُعِ هو اللّسانُ. كُلُّ إِنسانٍ يُحاسِبُ نَفسَهُ ويُفَكِّرُ فيما يَعودُ عَلَيهِ بِكلامِهِ الذي يَتَكَلَّمُ بِهِ قَبلَ أَن يَتَكَلَّمَ فَبِذَلِكَ السَّلامَةُ.

فيما أَنزَلَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى على سَيّدِنا إِبراهيمَ عَلَيهِ السَّلامُ،كَما أَخبرَ بِذَلِكَ الرَّسولُ عَلَيهِ السَّلامُ، عَشرُ صَحائِفِ أَمثالٍ، أَي مَواعِظَ وعِبَرٍ لَيسَ فيها أَحكامٌ شَرعِيَّةٌ كالقُرءانِ، القُرءانُ جامِعٌ لأَحكامٍ وأَخبارِ الأَنبياءِ الأَوَّلينَ وجامِعُ أُمورِ الآخِرَةِ وجامِعُ المعاشرةِ فيما بَينَ النّاسِ وما يَكونُ بَينَ الرَّجُلِ والزَّوجَةِ وغَيرِ ذَلِكَ مِنَ المصالحِ، القُرءانُ شامِلٌ للعَقيدَةِ والأَحكامِ أَمّا صُحُفُ إِبراهيمَ العَشرُ ما كانَ فيها إِلّا المواعِظُ.

مِمّا كانَ في صُحُفِ إِبراهيمَ: «على العاقِلِ ما لم يَكُن مَغلوبًا على عَقلِهِ أَن تَكونَ لَهُ أَربَعُ ساعاتٍ، ساعَةٌ يُناجي فيها رَبَّهُ، وساعَةٌ يحاسِبُ فيها نَفسَهُ، وساعَةٌ يَتَفَكَّرُ فيها في صُنعِ اللهِ، وساعَةٌ يخلو فيها لِمَطعَمِهِ ومَشرَبِهِ.

هذِهِ الكَلِماتُ فيها مَوعِظَةٌ كَبيرةٌ، فالمطلوبُ مِنَ البالِغِ العاقِلِ هذِهِ الأُمورُ الأَربَعَةُ:

أَحَدُها: أَن يَكونَ لَهُ وَقتٌ يُناجي فيهِ اللهَ بِالصَّلاةِ والذِّكْرِ، إِمّا بِالصَّلاةِ وإِمّا بِالذّكرِ، هذِهِ مُناجاةُ اللهِ، أَي أَنَّ هذا أَمرٌ مُهِمٌّ.

والأَمرُ الثّاني: أَنْ تَكونَ لَهُ ساعَةٌ يحاسِبُ فيها نَفسَهُ أَي يَتَفَكَّرُ في نَفسِهِ ماذا عَمِلتُ اليومَ مِنَ الواجِباتِ مِن أُمورِ الدّينِ وماذا حَصَلَ مني مِن المعاصي لِيَتَدارَكَ نَفسَهُ، إِن تَذَكَّرَ أَنَّهُ أَضاعَ واجِبًا يَتَدارَكُهُ بِأَدائِهِ، وإِن تَذَكَّرَ أَنَّهُ عَمِلَ مَعصِيَةً يَتَدارَكُ نفسَهُ بِالتّوبَةِ مِن تِلكَ المعصيةِ.

والأَمرانِ الآخَرانِ: **أَحدُهما**: أَن يَتَفَكَّرَ في صُنعِ اللهِ أَي في حالِ نَفسِهِ هو كإنسانٍ وفي حالِ هذِهِ الأَرضِ التي يَعيشُ عَلَيها وفي حالِ العالَمِ العُلويّ السماءِ والنُّجومِ، فَإِنَّ في هذا التَّفَكُّرِ زِيادَةَ اليَقينِ بِكمالِ قُدرَةِ اللهِ، وفي ذلِكَ تَقويةُ الإِيمانِ وفي ذلِكَ محبَّةُ اللهِ وغيرُ ذلِكَ مِن الفوائِدِ.

والأَمرُ الرَّابعُ: هو أَنَّهُ لا بُدَّ لَهُ مِن ساعَةٍ يأكُلُ فيها ويَشرَبُ. هذِهِ الرَّابِعَةُ قَد يُغني اللهُ تبارَكَ وتَعالى بَعضَ الصّالحينَ عَنها فلا يحتاجونَ للأَكلِ والشُّربِ، بعضُ أَولياءِ اللهِ في أَيَّامِ الحجّاجِ بنِ يوسُفَ أَخَذَهُ لِيَقتُلَهُ بِالجوعِ، قالَ: «احبسوهُ وأَغلِقوا عَلَيهِ البابَ»، أَدخَلوهُ وأَغلَقوا عَلَيهِ البابَ خمسَةَ عَشَرَ يومًا ثُمَّ فُتِحَ البابُ وعلى ظنّهِم أَنَّهُ ماتَ، فَوَجدوهُ قائِمًا يُصَلّي فَتَخوفَ الحجَّاجُ مِن قَتلِهِ فَأَطلَقَهُ.

بعضُ الأَولياءِ هَكَذا لا يُحْوِجُهُم اللهُ تَعالى إِلى الأَكلِ والشُّربِ، يُعطيهم قُوَّةً بِلا أَكلٍ ولا شُربٍ وصِحَّتُهُم محفوظَةٌ، لَكِن أَغلَبُ النَّاسِ لا بُدَّ لهُم مِن أَن تَكونَ لهُم ساعَةٌ للأَكلِ والشُّربِ. هذا الوَليُّ يُقالُ لَهُ عَبدُ الرَّحمنِ بنُ أَبي نُعْمٍ، وهذا الحجَّاجُ الذي فَعَل بِهِ هذا قَتَلَ ظُلمًا في غَيرِ مَعرَكَةٍ مائةً وعِشرينَ أَلفَ نَفسٍ مُسلِمَةٍ، مِن أَكبَرِ الظُّلامِ الذينَ كانوا مِن حُكّامِ بني أُمَيَّةَ، هذا أَظلَمُهُم.

وسبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلى اللهُ وسلَّمَ على سيدِنا محمدٍ الأمينِ، وءالِهِ وأصحابِهِ الطيبينَ».

الطَّريقُ إِلَى اللهِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ لَهُ النّعمَةُ وَلهُ الفَضلُ وَلهُ الثّناءُ الحسَنُ، صَلواتُ اللهِ البَرّ الرَّحيمِ والملائِكَةِ المقرَّبينَ على سَيدِنا محمَّدٍ وعلى جَميعِ إِخوانِهِ مِن النّبيّينَ والمرسَلينَ.

أَمّا بَعدُ فَقَد قالَ اللهُ تَبارَكَ وَتعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ٣١﴾ [سورة ءال عمران]. علامةُ حُبِّ اللهِ تعالى هُو اتّباعُ سَيّدِنا مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَمَن اتَّبَعَ سَيّدَنا مُحَمَّدًا اتّباعًا كامِلًا فَهُو مِن أَولِياءِ اللهِ، مِن أَحبابِ اللهِ الذينَ لا خَوفٌ عَلَيهِم ولا هُم يحزَنونَ، سَواءٌ كانوا رِجالًا أَو نِساءً، مَن كانَ فيهِ هذِهِ الصّفةُ فَهُو مِن أَهلِ الوِلايَةِ، ولَيسَ هُناكَ أَمرٌ ءاخَرُ يَكونُ الإنسانُ بِهِ وَلِيًّا إلا هذا الطَّريقَ وهُو اتّباعُ الرَّسولِ اتّباعًا كامِلًا، ويَكونُ ذَلِكَ بِأَداءِ الواجِباتِ.

وَمِن جُملَةِ الواجِباتِ تَعَلُّمُ عِلمِ الدّينِ الضَّروريّ، مَن لم يَعرِفْ عِلمَ الدّينِ الضَّروريَّ لا يَكونُ وَلِيًّا، مَهما أَتعَبَ نَفسَهُ في العِبادَةِ لا يَكونُ وَلِيًّا، ثُمَّ عِلمُ الدّينِ يُتَلَقّى مِن أَهلِ المعرِفَةِ الذينَ تَعَلَّموا مِمّن قَبلَهُ حتّى يَصِلَ الاتّصالُ إلى أَصحابِ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَهذا الإِمامُ الشّافِعِيُّ وهَذا الإِمامُ مالِكٌ وهَذا الإِمامُ أَحمَدُ بنُ حَنبَلٍ وهَذا الإِمَامُ أَبو حَنيفَةَ لَيسوا رِجَالًا مُفَكّرينَ يَكتَفونَ بِآرائِهِم بَل تَلَقَّوا العِلمَ مِمَّنْ قَبْلَهُمْ، وَأُولَئِكَ الَّذِينَ تَلَقَّوا مِنهُم تَلَقَّوا مِمَّن قَبلَهم إلى أَن يَصِلَ الأَمرُ إلى الصَّحابَةِ إلى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، مَن تَعَلَّمَ عِلمَ الدّينِ على هَذِهِ الطّريقَةِ وَلو القَدْرَ الضَّروريَّ وَعَمِلَ بِهِ أَيْ أَدَّى الواجِباتِ تَعَلَّمَ ما فَرَضَ اللهُ على عِبادِهِ واجتَنَبَ ما حَرَّمَ اللهُ وأَكثَرَ مِنَ النّوافِلِ هَذَا يَكونُ وَلِيَّ اللهِ، هَذَا يُقال لَهُ وَلِيٌّ، كَذَلِكَ فيمَن قَبلَ سَيّدِنا مُحَمَّدٍ، أُمَّةُ موسَى وأُمَّةُ عيسَى وأُمَّةُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ كانَ فيهِم أَولِياءُ، لَيسَ الأَولياءُ مِن خُصُوصِيّاتِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، كانَ ذاكَ الذي يُقالُ لَهُ جُرَيْجٌ مِنْ أُمَّةِ عيسَى مِن الذينَ كانوا على شَرِيعَةِ الْمَسِيحِ، مِنَ الذينَ كانوا يُصَلُّونَ صَلاةَ الْمَسِيحِ عَلَيهِ السَّلامُ وَيَصومونَ صِيامَهُ على حَسَبِ تَعاليمِ الْمَسِيحِ عيسى، فَهَذَا جُرَيجٌ كانَ مِنهُم كانَ اعتَزَلَ الناسَ لِلعِبادَةِ، كانَت لَهُ أُمٌّ تَأتيهِ مِن وَقْتٍ إلى وَقْتٍ إلى الصَّوْمَعةِ التي هُوَ اعْتَزَلَ فِيها لِعبَادَةِ اللهِ، كانَ هُوَ وَلِيًّا حَقِيقِيًّا اتَّبَعَ الْمَسِيحَ عيسى عَلَيهِ السَّلامُ اتّباعًا كامِلًا، أَدّى الواجِباتِ واجتَنَبَ المحرَّماتِ بَعدَ أَن تَعَلَّمَ

ما هُو الواجِبُ في شَرِيعَةِ عيسى وما هو الحرامُ في شريعةِ عيسى، وَتمَسَّكَ بِالنَّوافِلِ، زَادَ على الفَرائِضِ وَتجَرَّدَ لِلعِبَادَةِ، اعتزَلَ النّاسَ خارِجَ المدينَةِ في مَكانٍ مُرتَفِعٍ حيثُ بَنَى صَوْمَعَةً مِنْ طِينٍ، لأَنَّ همَّهُ الآخِرَةُ، واعتَقَدَ النّاسُ أَهلُ البَلَدِ فيهِ الصَّلَاحَ وَالوِلَايَةَ حتّى إنَّ مَلِكَ تِلْكَ البِلادِ صارَ يَعتَقِدُ فِيهِ ذَلِكَ، ثُمَّ إنَّ امْرَأَةً فاسِدَةً قالَت لِبَعضِ الفاسِدينَ الفَاسِقينَ: أَنا أَفْتِنُهُ، فَذَهَبَتْ إِليهِ وتَعَرَّضَتْ لَهُ في صَوْمَعَتِهِ فَلَم يَلتَفِتْ إِليْهَا، وما اسْتَطاعَتْ أَن تَفْتِنَهُ، وكانَ بِالقُربِ مِن ذَلِكَ المكانِ رَجُلٌ راعٍ يَرعى، فَواقَعَها هَذَا الرَّاعِي فَحَمَلَتْ مِنهُ ثُمَّ لَمَّا ظَهَرَ حمْلُها قالَت: هذا مِن جُرَيْج، وَعِندَما تَأَكَّدَ النّاسُ أَنّها حَامِلٌ بِأنْ وَضَعَتْ ذَهَبوا إِلَيهِ وَبِأَيْدِيهِمُ الفُؤُوسُ لِيَهدِموا لَهُ صَومَعَتَهُ، قالوا: هَذَا الذي كُنّا نحنُ نَعْتَقِدُ فيهِ أَنَّهُ وَلِيُّ اللهِ يَفْجُرُ بهذِهِ المرأةِ، فَأَخذوهُ وَوَضَعُوا في عُنُقِهِ حَبْلًا وَجَرُّوه وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ بِالفُؤُوسِ، فَقالَ لهمْ: أَمهِلوني حتّى أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ، فَتوضَّأَ – إذ إنَّ أُمَّةَ عيسى كانَ لهُم وُضُوءٌ وَصلاةٌ فِيها رُكوعٌ وَسُجُودٌ كَمَا نَحْنُ – فَتَوَضَّأَ جُرَيْجٌ وَصَلَّى رَكْعَتَينِ ثُمَّ قَالَ لِهذا الغُلامِ المولودِ الذي وَضَعَتْهُ هذِهِ المرأةُ البَغِيُّ: يا غُلامُ مَنْ أَبوكَ؟ فَأَنطَقَ اللهُ الغُلامَ فَقالَ: «أَبي الرّاعِي». فَلَمّا سمِعوا هذِهِ التّبرِئَةَ انكَبّوا عَلَيهِ يُقَبّلونَهُ ويَتَمَسَّحونَ بِهِ وقالوا لَهُ: نَبني لَكَ صَومَعَتَكَ مِن ذَهَبٍ، قالَ: لا، أَعيدوها كَما كانَت مِن طينٍ. فَجُرَيْجٌ هذا مِن أُمَّةِ عيسى عَلَيهِ السَّلامُ وَهُو وَلِيٌّ مِن أَولِياءِ اللهِ.

وَكَما في الرّجالِ كَذَلِكَ في النّساءِ كانَ لا بُدَّ يُوجَدُ تَقِيَّاتٌ ممَّنِ اتَّبَعَ الْمَسِيحَ، وَكَذَلِكَ فِي أَيّامِ موسى وَكَذَلِكَ في أَيّامِ سُلَيْمانَ. فَهَذا الذي حَمَلَ عَرشَ بِلْقِيسَ مِن أَرْضِ الْيَمَنِ بِكرامَةٍ أَعطاهُ اللهُ تَعالَى، أَي بِالسِّرِ الذي أَعطاهُ اللهُ إِيّاهُ حَمَلَ مِنَ الْيَمَنِ إلى بَرِّ الشّامِ عَرْشَ بِلْقِيسَ بِقَدْرِ ما يَمُدُّ الإِنسانُ عَينَهُ لِيَنظُرَ مَدَّ بَصَرِهِ قَبلَ أَن يُطبِقَ عَينَهُ أَحضَرَهُ، وَهذا العَرشُ شيءٌ عَظيمٌ طولُهُ ثمانونَ ذِراعًا مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٌ بالجَوَاهِرِ وَعرضُهُ أَربعونَ، سُلَيْمَانُ لَيسَ رَغبَةً في عَرشِها هذا طَلَبَ إِحضارَهُ بَل لِتَقتَنِعَ نَفْسُها، حتّى يَقتَنِعَ قَلبُهَا بَأنَّ

الإِسلامَ الذي يَدعو إِليهِ سُلَيْمَانُ هو الدّينُ الصَّحيحُ وَتدخُلَ في الإِسْلامِ لأَنَّها كانَت تَعبُدُ الشَّمْسَ، وَبِلْقِيسُ كانَت مَلِكَةَ سَبأٍ، وهِي أَرْضٌ في اليَمَنِ. وَقد أَسلَمَتْ بِلْقِيسُ بَعدَ أَن رَأَتْ هَذا الْعَجَبَ، وهذا الذي أحْضَرَ عَرْشَ بِلْقِيسَ مِن تِلكَ الأَرضِ البَعيدَةِ يُقالُ لَهُ ءاصِفُ بْنُ بَرْخِيَا، صاحِبُ سُلَيْمَانَ وَهُو مِنَ البَشَرِ على القَولِ المشهورِ عِندَ العُلماءِ، كانَ وَلِيًّا مِن الأَولياءِ ما كانَ نَبِيًّا، كانَ يُلازِمُ سُليمانَ؛ لأَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيهِ السَّلامُ كانَ لَهُ عِندَ اللهِ جاهٌ عَظيمٌ، اللهُ تَعالى أَعْطَاهُ مُلْكًا لا يَنبَغي لأَحَدٍ مِن بَعْدِهِ، وَمَع هذا الْمُلْكِ العَظِيمِ سَخَّرَ اللهُ لَهُ الشَّيَاطِينَ الكَافِرِينَ، فإِذا ما خَالَفَ أَحَدٌ مِنهُم أَمْرَهُ يُحَطِّمُهُ اللهُ تعالى، يُنَزِّلُ اللهُ عَلَيهِ عَذابًا فَيَتَحطَّمُ، فَكانَ هؤلاءِ الشّياطينُ يَبنونَ لَهُ مَبَانِيَ فَخْمَةً وَيُخْرِجُونَ لَهُ مِنْ قَعْرِ البَحْرِ الجْوَاهِرَ واللآلِئَ، كانوا مُسَخَّرينَ لَهُ، وَسَخَّرَ لَهُ الرّيحَ أَيضًا، كانَت الرِّيحُ تَحْمِلُهُ وَجَيشَهُ، بِساطُ الرّيحِ يحمِلُهُ صَبَاحًا إِلى مَسَافَةِ شَهرٍ ثُمَّ بَعْدَ الظُّهْرِ يَرُدُّهُ، وَغيرُ هذا مِمّا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيهِ.

فالحاصِلُ أَنَّ الأَولياءَ كانوا فِيمَن قَبلَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، كانَ أَولياءُ في أُمَّةِ موسى وفي أُمَّةِ عيسى وفي أُمَّةِ سُلَيْمَانَ ومِنْ قَبلِ ذَلِكَ. هذا هُو الوَلِيُّ؛ لَيسَ الوَلِيُّ الَّذِي يَتَكَهَّنُ لِلنَّاسِ وَيَقولُ أَنتَ يَأتيكَ كَذا وَكَذا مُسْتَقبَلُكَ كَذا وَكَذا، هؤلاءِ قَد يَكونونَ مُعتَمِدِينَ على النَّظَرِ فِي النُّجُومِ، والنُّجُومُ التي يَنْظُرُونَ فِيهَا على حَسَبِ مَا يَقُولُهُ الْمُنَجِّمُونَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَشْيَاءِ يُوَافِقُ كَلَامُهُمْ، وفِي كَثِيرٍ مِنَ الأَشياءِ لا يُوافِقُ كَلَامُهُمْ بَلْ يَكُونُ كَذِبًا وخَطَأً أَو يَكونُ لَهُ صَاحِبٌ مِنَ الجِنّ.

والجِنُّ مِنهُم هوائِيّونَ يَطِيرُونَ فِي الْهَوَاءِ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَلُمُّوا الْأَخْبَارَ مِنْ عِدَّةِ بُلْدَانٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فِي وَقْتٍ قَصِيرٍ، يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى بَيْتِ فُلَانٍ وإِلى بَيْتِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ يَطِيرُونَ وَيَتَجَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ ثُمَّ يَأتونَ بِهذِهِ الْأَخْبَارِ للإِنسانِ الذي لَهُ ارتباطٌ مَعَهُم، يُعْطُونَهُ وَيَقولونَ لَهُ فُلانٌ حَصَلَ لَهُ كَذا وَكَذا الْيَوْمَ.

وَلْيُعلَمْ أَنَّ قِسمًا كَبيرًا مِن الجِنّ مُسلِمونَ مُؤمِنونَ والقِسمُ الأَكبَرُ كُفَّارٌ أَتباعُ إِبليسَ.

أَمّا المسلِمونَ مِنهُم ففيهم طَيِّبُونَ أَتقِياءُ أَوْلِيَاءُ كما هُو في الْبَشَرِ والأَغلَبُ فُجَّارٌ فَاسِقونَ يُؤذونَ النّاسَ ويَظلمونَ.

كما أَنَّ البَشَرَ الذِينَ هُم مِنّا أَكثَرُهُم فاسِقونَ يَظلمُ هذا هذا ويَسفِكُ هذا دَمَ هذا ويَضرِبُ هذا هذا ظُلْمًا، وهُم كَذَلِكَ أَغْلَبُهُم فَاسِقُونَ ولوْ كانوا مُسْلِمِينَ.

فَلَيْسَ الْوَلِيُّ مَنْ يَتَكَهَّنُ، ويَنظُرُ في النَّجمِ ويَقولُ للنّاسِ الوَلَدُ الذي يُولَدُ في هَذِهِ اللّحظَةِ مُستَقبَلُهُ كَذا وكَذا أَو يَقولُ للّذي ضاعَ لَهُ مالٌ: مَالُكَ ذَهَبَ بِهِ إِنسانٌ صِفتُهُ كَذا وكَذا، لَيسَ هؤلاءِ الْأَوْلِيَاءَ، الْأَوْلِيَاءُ هُم الْمُتَّبِعونَ للرَّسُولِ اتّباعًا كامِلًا، هؤلاءِ هُمُ الْأَوْلِيَاءُ، أَمّا الذي يَتَّبِعُ الرَّسُولَ اتّباعًا غَيرَ كامِلٍ هذا ليسَ وَلِيًّا، يُقالُ لَهُ مُسلِمٌ فَقَط، مُسلِمٌ عاصٍ، أَمّا الْأَوْلِيَاءُ فَهُم الذينَ أَدَّوا الواجِباتِ واجتَنبوا المحرَّماتِ وزِيادَةً على ذَلِكَ أَكثروا مِنَ النّوافِلِ، وهؤلاءِ لهم عِندَ اللهِ دَرَجاتٌ عالِيَةٌ في الدُّنيا وفي الآخِرَةِ ففي الدُّنيا يُعطِيهِمُ اللهُ كراماتٍ وفي الآخِرَةِ يُعطِيهم ما لا عَينٌ رَأَت ولا أُذُنٌ سَمِعَت ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ، يَخُصُّهُم مِن بَيْنِ مَنْ دَخَلُوا الجنَّةَ مِنَ المسلمينَ بمواهِبَ وعَطايا لا يَراها غَيرُهُم.

هؤلاءِ يُقالُ لهُم الصَّالحونَ. إِذ لَيسَ الصَّالحُ مُجَرَّدَ إِنسانٍ يُصَلّي ويَصُومُ ويَكونُ مُلَاطِفًا للنّاسِ شَفِيقًا رَحِيمًا بِالنّاس لا يؤذِي هذا ولا هذا كما يَقولُ كَثِيرٌ مِنَ النّاسِ، إِذا رَأوا إِنسانًا يُصَلّي ويَصُومُ ولا يُؤذي النَّاسَ يَقولونَ فُلَانٌ صالحٌ، هَذَا غَلَطٌ، الصالحُ هو الذي تَعَلَّمَ عِلمَ الدّينِ الضَّروريَّ وعَمِلَ بِمَا تَعَلَّمَ، أَتى بِالواجِبَاتِ التي فَرَضَهَا اللهُ على العِبادِ أَنْ يَعْمَلُوهَا فَعَمِلَها وتَجَنَّبَ المحرَّماتِ التي تُعلَمُ في دينِ اللهِ تعالى أَنّها مُحَرَّماتٌ وَزادَ على ذَلِكَ أَنَّهُ يُكثِرُ النّوافِلَ كَصلاةِ اللّيلِ أَو نوافِلِ النّهارِ وقِيامِ اللّيلِ، أَو يُكثِرُ مِن صِيامِ النّفلِ أَو يُكثِرُ مِن قَضاءِ حاجاتِ النّاسِ لِوَجْهِ اللهِ، يَعتَني بِخِدْمَةِ النّاسِ، بخِدْمَةِ المسلمينَ

لِوَجْهِ اللهِ، مِن شِدَّةِ الشَّفَقَةِ على النَّاسِ. وتَظْهَرُ لهؤلاءِ الْأَوْلِيَاءِ يَومَ القِيامَةِ قَبلَ دُخولِ الجَنَّةِ مَزايا، مِنها أَنَّ اللهَ تعالى لا يُسَلِّطُ عَلَيْهِم حَرَّ شمسِ يَومِ القِيامَةِ، فإِنَّ الشّمسَ يَومَ القِيامَةِ تَدنو إِلَى رُءُوسِ النَّاسِ ولا تَكُونُ في المركَزِ الذي هي فيهِ اليومَ، اليَوْمَ مَرْكَزُهَا بَعيدٌ مِن رُؤوسِنا فَما بينَنا وبينَها مَسافَةٌ طويلَةٌ بَعيدَةٌ، أَمّا ذَلِكَ اليومَ تَقتَرِبُ فَيعْرَقُ هذا وهذا وهذا مِن شِدَّةِ الحرِّ ولا سِيّما الكُفّارُ، وبَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يَصِيرُ لَهُمْ عَرَقٌ شَدِيدٌ لَكِنْ لَا يُصِيبُ عَرقُ هَذَا إِلَى الذي يَليهِ ولا عَرَقُ هَذَا إِلَى هَذَا ولا عَرَقُ هَذَا إِلَى هَذَا كلٌّ على حَسَبِ عَمَلِهِ، عَرَقُ هذا يَتَكَوَّمُ حَولَهُ. الكُفّارُ بَعضُهُم عَرَقُهُم يُغْرِقُهُم، يَرتَفِعُ ويَعْلُو فيعُمُّهُم ويَغْمُرُهُمْ.

فالأَولياءُ والوَلِيّاتُ في ذَلِكَ الوَقتِ يَكونونَ في ظِلّ العَرشِ حَيثُ لا يُوجَدُ فيهِ أَذى حرِّ الشّمسِ، يَخُصُّهُم اللهُ تَعالى بِهذِهِ الرَّحمةِ من بين النّاسِ، كَذَلِكَ أُناسٌ دُونَ الأَولياءِ يحصُلُ لهم يومَ القِيامَةِ هذا، مِنهُم الَّذِينَ يُسَهِّلُونَ عَلَى النَّاسِ الذينَ يُقْرِضُونهم، لهم ديونٌ على النّاسِ ولا يُشَدِّدونَ عَلَيهِم، بِأنْ يُسَامِحُوهُمْ، أَو بأنْ لا يُشَدِّدُوا عَلَيْهِمْ فِي الْمُطَالَبَةِ فَيقولونَ الآن أعْطِني، لا يَقولونَ هَذا، بَل يُوسِّعُونَ في الأَجَلِ، يَقولونَ للّذينَ لهم دُيونٌ عَلَيهم إِذا تَيَسَّرَ لَكُم تُعطونَنا، هؤلاءِ أَيضًا يُظِلُّهُم اللهُ يومَ القِيامَةِ بِظلّ العَرشِ، فلا يُصِيبُهُم أَذى الشَّمسِ؛ كَذَلِكَ الذينَ يَتَحابُّونَ في اللهِ؛ فالرّجالُ والنّساءُ الذينَ يَتحابّونَ في اللهِ، أَي لَيسَ للمالِ يَتحابُّونَ ولا لِلقرابَةِ ولا لتآلُفٍ شَكلِيٍّ، إِنّما لأَنَّ هذا مُؤمِنٌ يحبُّ اللهَ وَرَسولَهُ وهذا مُؤمِنٌ يحِبُّ اللهَ وَرَسولَهُ يَتآلفانِ ويَتحابّانِ ثُمَّ يَتصافَيانِ المحبَّةَ فَلا يُعامِلونَ بَعضَهُم بَعضًا بِالغِشِ والخِيانَةِ والْمَكرِ، بَل الذي يُحِبُّهُ الواحِدُ مِنهُم لِنَفسِهِ يُحِبُّهُ لأَخيهِ وَذاكَ مثلُ ذَلِكَ، يُحِبُّ لهذا ما يُحِبُّ لِنَفسِهِ مِنَ الخَيرِ، هؤلاءِ لهُم مَنابِرُ مِن نورٍ يومَ القِيامَةِ لا يُصيبُهم أَذى حَرِّ الشَّمسِ.

نسأَلُ اللهَ العِصمَةَ مِنَ الزَّلَلِ والتّوفيقَ في مَا يُحِبُّ مِنَ العَمَلِ والحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ.

وسبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلى اللهُ وسلَّمَ على سيدِنا محمدٍ الأمِينِ، وءالِهِ وأصْحابِهِ الطيبينَ».

أَنْبِيَاءُ قَتَلَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ لَهُ النّعمَةُ وَلَهُ الفَضلُ وَلَهُ الثَّناءُ الحَسَنُ، صَلواتُ اللهِ البَرِّ الرَّحيمِ والملائِكَةِ المقَرَّبينَ عَلى سَيّدِنا محَمَّدٍ أَشرَفِ المُرسَلينَ وعلى جميعِ إِخوانِهِ مِنَ النَّبيّينَ والمُرسَلينَ وسَلامُ اللهِ عَلَيهِم أَجمَعينَ.

أَمّا بَعْدُ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**» هذا الحديثُ صَحِيحٌ رواهُ البُخارِيُّ وغَيرُهُ، وَمَعناهُ أَنَّ اللهَ تَعالى إِذا أَرادَ لِعبدِهِ المؤمِنِ دَرَجَةً عالِيةً يُنَزِّلُ عَلَيهِ مَصائِبَ الدُّنيا، يحميهِ مِن مَصائِبِ الدّينِ ويُكثِرُ عَلَيهِ مِن مَصائِبِ الدُّنيا. ومِن مَصائِبِ الدُّنيا المَرَضُ والفَقرُ وأَذى النّاسِ وما أَشبَهَ ذَلِكَ، على اختِلافِ أَصنافِها، مَصائِبُ الدُّنيا كَثيرَةٌ هذا الذي يُتلَفُ لَهُ مالُهُ بِسَبَبِ هذِهِ القَذائِفِ أَو يُنهَبُ مالُهُ، الفُسّاقُ والفُجّارُ والكُفّارُ يَنهَبونَ لَهُ مالَهُ هذِهِ مُصيبَةٌ، والذي يُجرَحُ في جَسَدِهِ مُصيبَةٌ، إِن أَدّى بِهِ إِلى الموتِ وإِن لم يُؤدِ بِهِ إِلى الموتِ؛ لأَنَّهُ يَكونُ قاسى مِن ءَالامِ الجَرحِ ما قاسى ثُمَّ تَعافى، كُلُّ هذا مُصيبَةٌ، هذِهِ مَصائِبُ الدُّنيا.

أَمّا مصائِبُ الدّينِ فَهِيَ كالرَّجُلِ الذي يُبْتلى بِتَركِ الصَّلاةِ أَو بِشُربِ الخَمرِ أَو بِأَكلِ المالِ الحرامِ أَو بِغَيرِ ذَلِكَ مِنَ المعاصي هذِهِ مَصائِبُ في الدّينِ، اللهُ تَبارَكَ وتَعالى مَن أَحَبَّهُ مِن عِبادِهِ مِن إِنسٍ وَجِنٍّ يُكثِرُ عَلَيهِ المصائِبَ الدُّنيويَّةَ ويَحميهِ مِن مَصائِبِ الدّينِ فَلا يَنبَغي أَن يَتَشَاءَمَ الرَّجُلُ إِذا بَدَأَ بِنَشاطٍ في عِبادَةِ اللهِ تَعالى، في الإِقبالِ إِلى الدّينِ، ثُمَّ أُصيبَ بِالمصائِبِ نَزَلَت عَلَيهِ المصائِبُ لا يَقُل ما هنأَتْ ليَ العِبادَةُ، إِقبالي على الطاعةِ ما هَنَأَ لي لأَنَّ المصائِبَ كَثُرَت عَلَّي بَعدَ أَن أَقبَلتُ على الطّاعَةِ، لا يَجوزُ هذا الكلامُ،

هذا غُرورٌ، انخِداعٌ بِالشَّيطانِ، الشَّيطانُ يَقذِفُ في قَلبِهِ ويَقولُ لَهُ: أَنتَ ما كُنتَ هَكذا لمّا كُنتَ غَيرَ مُقبِلٍ على العِبادَةِ، الآنَ لمّا أَقبَلتَ على العِبادَةِ أَصابَتكَ هذِهِ المصائِبُ، نَزَلَتْ بِكَ، لِيَرُدَّهُ إِلى وَراءٍ، كانَ مُقبِلًا مُتَقَدِّمًا نحوَ الخيرِ، نحوَ التَّقَرُّبِ إِلى اللهِ، ثُمَّ الشَّيطانُ صارَ يُؤَخِّرُهُ إِلى خَلْفٍ، إِلى وراءٍ، هذِهِ مِن جُملَةِ دَسائِسِ الشَّيطانِ؛ بَل يَنبَغي للإِنسانِ إِن سَلِمَ لَهُ دينُهُ وَكَثُرَتْ عَلَيهِ المصائِبُ أَن يَحمَدَ اللهَ، إِن كانَت مصائِبُهُ في المالِ والجِسمِ وبِتَسَلُّطِ النّاسِ عَلَيهِ ظُلْمًا لِيَحمَدِ اللهَ كُلَّما زادَت عَلَيهِ المصائِبُ ولا يَتَسَخَّطْ على اللهِ، لأَنَّ هذِهِ وإِن كانَت في الدُّنيا ويَتَأَذّى بِذَلِكَ ويَتَأَلَّمُ لَكِن هذا عِندَ اللهِ رِفعَةٌ لَهُ وعُلُوُّ دَرَجاتٍ.

كَم مِن أَنبياءَ قَتَلَتْهُم بَنو إِسرائيلَ والأَنبياءُ هُم أَفضَلُ خَلقِ اللهِ ولَيسوا هَيّنينَ على اللهِ بَل هُم كُرَمَاءُ على اللهِ، مَع ذَلِكَ اللهُ تَعالى ابتلاهُم في الدُّنيا، مِنهُم مَنِ ابتلاهُم بِأَذى النّاسِ، قَتَلَت كُفّارُ بني إِسرائِيلَ عَددًا كَثيرًا مِنَ الأَنبياءِ، هذا يَحْيى عَلَيهِ السَّلامُ ابنُ خالَةِ عيسى عَلَيهِما السَّلامُ أُوذِيَ أَذًى شَديدًا وبَلَغَ بِهِ الأَذى إِلى أَن قُتِلَ، مَلِكٌ ظالِمٌ كانَ تَزَوَّجَ امرأَةً فهذِهِ المرأَةُ كَبِرَت، ذَهَبَ جمالُها الذي كانَ بِها، وكانَ لها بِنتٌ تَكونُ هي رَبيبَةَ هذا الملِكِ لَيسَت بِنتَهُ، قالَت لَهُ: تَزَوَّجْ بِنتي هذِهِ، حتّى لا تَكونَ بَعيدَةً عَنِ النِّعمَةِ التي هِي تَتَقَلَّبُ فيها بِسَبَبِ هذا الملِكِ. قالَ: أَستَفتي يحيى أَيجوزُ هذا أَم لا؟ فَسَأَلَ نبيَّ اللهِ يحيى فَقالَ لَهُ: حَرامٌ، فَقالَ لها: قالَ لي يحيى: حَرامٌ. فَقالَت لَهُ: هذا اقتُلْهُ، كَيفَ يُحَرِّمُ عَلَيكَ؟ كَيفَ يَحولُ بَينَكَ وبَينَ ما تُريدُهُ أَنتَ؟ فَأَخَذَ بِكلامِها فَقَتَلَهُ. فَحُمِلَ رَأسُ سَيِّدِنا يحيى عَلَيهِ السَّلامُ إِليهِ في طَسْتٍ وبَعضُ دَمِهِ وَقَعَ على الأَرضِ فَظَلَّ الدَّمُ يَغلي، ما كانَ يَهدَأُ، والأَرضُ ما كانَت تَبلَعُهُ، فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيهِم كافِرًا، فَجاءَ هذا الكافِرُ مِنَ العِراقِ فَقَتَلَ مِنهُم سَبعينَ أَلفًا فَهَدَأَ دَمُ يحيى، ظَلَّ يَغلي حتّى قُتِلَ مِن جماعَةِ الملِكِ الذي فَعَلَ هذا الفِعلَ الخبيثَ سَبعونَ أَلفَ إِنسانٍ. هذا يحيى عَلَيهِ السَّلامُ نَبِيٌّ كَريمٌ على اللهِ، لم يَكُنْ

هَيّنًا على اللهِ، اللهُ تَعالى ما سَلَّطَ عَلَيهِ هذا الكافِرَ حتّى تَمَكَّنَ مِن قَتلِهِ فَحُمِلَ إليهِ رَأسُهُ لهَوَانِهِ على اللهِ، بَل لِيَزيدَهُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِهذا شَرَفًا عِندَهُ، لِذَلِكَ الآنَ يحيى عَلَيهِ السَّلامُ يُقالُ إِنَّ جَسَدَهُ بِمكانٍ وَرَأسَهُ بِمكانٍ، في صَيداءَ يُقالُ إِنَّ هُناكَ مَقامًا يُقالُ لَهُ مَقامُ نَبِيِّ اللهِ يحيى، النّاسُ يَزورونَهُ، ومَكانٌ ءاخَرُ أَيضًا، وَكَذَلِكَ أَبوهُ سَيّدُنا زَكَريا عليه السلام نَبِيُّ اللهِ قَتَلَهُ الكُفّارُ مِن بَني إِسرائيلَ هذانِ النَّبيّانِ عُرِفا بِأَسمائِهِما، أَمّا الذينَ قَتَلَهُم كُفّارُ بني إِسرائيلَ مِنَ الأَنبياءِ فَكثيرٌ لكِن لم تُعرَفْ أَسماؤهُم، اللهُ تَبارَكَ وتَعالى ما سَمّاهُم بِأَسمائِهِم وإِنَّما قالَ: ﴿وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ ١٨١﴾ [سورة ءال عمران] أَي اليَهودُ قَتَلوا أَنبياءَ كَثيرينَ.

أَمّا المصائِبُ التي أَصابَتِ الأَنبياءَ مِن غَيرِ القَتلِ مِن مَرَضٍ وأَذًى مِنَ النّاسِ فَشىءٌ كَثيرٌ، هذا نوحٌ عَلَيهِ السَّلامُ ظَلَّ صابِرًا يَدعو إِلى اللهِ، يَقولُ لِقومِهِ أَسلِموا ءامِنوا اترُكوا هذِهِ الأَوثانَ التي تَعبُدونَها، تِسعَمائةٍ وخمسينَ عامًا عاشَ فيهِم يَقولُ لهم اعبُدوا اللهَ وَحدَهُ واتركوا هذِهِ الأَشياءَ؛ ثُمَّ هُم يَستَهزِؤونَ بِهِ ويَسُبّونَهُ ويُهينونَهُ بَينَ البَشَرِ، قاسى مِنهُم ما قاسى، وكَذَلِكَ سَيّدُنا محمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وعَلى جميعِ إِخوانِهِ النَّبيّينَ قاسى الكَثيرَ الكَثيرَ مِن أَذى المُشرِكينَ وقاسى الكَثيرَ مِنَ الأَمراضِ، كانَ لـمَّا تُصيبُهُ سُخونَةٌ تَكونُ ضِعفَينِ، كانَت حَرارَتُهُ وقُوَّةُ كَربِها ضِعفَينِ، مِثلَيْ ما تُصيبُ النّاسَ الآخرينَ، كَثيرٌ مِنَ النّاسِ لمّا يُقبِلونَ إِلى الطّاعَةِ والتَّقوى يُصابونَ بِقِلَّةِ المالِ ولا يَجوزُ أَن يَترُكَ الإِنسانُ الطّاعَةَ مِن أَجلِ هذا، لا يجوزُ أَن يَقولَ ما هَنَأتْ لِيَ العِبادَةُ، الطّاعَةُ ما هَنأتْ لي بَعدَما أَنا تَعَلَّقْتُ بِها أُصِبتُ بهذِهِ المصائِبِ، لا يَجوزُ.

واللهُ سُبحانَهُ وتَعالى أَعلَمُ.

وسبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلى اللهُ وسلَّمَ على سيدِنا محمدٍ الأمينِ، وءالِهِ وأصحابِهِ الطيبينَ».

التَّمَسُّكُ بِعقيدَةِ أَهلِ الحقّ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ على سَيّدِ المرسَلينَ سَيّدِنا مُحَمَّدٍ وعلى جميعِ إخوانِهِ مِنَ النبيّينَ وعلى ءالِهِ وصَحبِهِ الطّاهِرينَ.

أمّا بَعدُ فَإِنَّ أَعظَمَ نِعَمِ اللهِ على عِبادِهِ أَن يَكونوا على عَقيدَةِ أَهلِ الحقِّ، وهُم الصّحابَةُ ومَن تَبِعَهم جيلًا فَجيلًا وقَرنًا بَعد قَرنٍ، هذا أَعظَمُ نِعَمِ اللهِ على عِبادِهِ. وعَقيدَةُ أَهلِ الحقّ هي ما نَقَلَها الخَلَفُ عَنِ السّلَفِ، فَمَن عاشَ عَليها وماتَ عَليها بُعِثَ مَعَ المؤمِنينَ الآمنينَ مِن عَذابِ اللهِ تَعالى، وأَهمُّ عَقيدَةِ أَهلِ الحقِّ أَمرانِ، الإِيمانُ باللهِ ورَسولِهِ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ، ثُمَّ توحيدُ اللهِ تبارَكَ وتَعالى في خَلقِ الأَشياءِ، أَمّا الإيمانُ بِاللهِ فهو اعتِقادُ أَنَّ اللهَ تعالى مَوجودٌ لَيسَ كَغَيرِهِ، لَيسَ جِسمًا لَطيفًا كالضَّوءِ والظَّلامِ والرّيحِ، ولا جِسمًا كَثيفًا كالإِنسانِ أَو الحَجَرِ والشَّجَرِ والنَّجمِ والشَّمسِ والقَمَرِ، ولَيسَ مُتَّصِفًا بِصفاتِها، بِصفاتِ الحَجمِ الكَثيفِ والحَجمِ اللَّطيفِ.

وَذَلِكَ يَبتَني على أَنَّ اللهَ تَعالى هو الموجودُ الذي لا ابتِداءَ لِوجودِهِ، وما سِواهُ حادِثٌ مَوجودٌ بَعدَ عَدَمٍ سَبَقَهُ، كُلُّ الأشياءِ سِوى اللهِ سَبَقَها عَدَمٌ فلَم يَكُنْ قَبلَ أَن يَخلُقَ اللهُ العالَمَ نورٌ ولا ظَلامٌ ولا مَكانٌ ولا جِهَةٌ ولا شىءٌ مِن صِفاتِ الأَجسامِ كالحَرَكَةِ والسُّكُونِ والتَّغيُّرِ والتَّلَوُّنِ والانفِعالاتِ، فَاللهُ تَبارَكَ وتَعالى هو الموصوفُ بِأَنَّهُ لا بِدايةَ لِوجودِهِ ولا يَطرَأُ عَلَيهِ التَّغيُّرُ، لأَنَّ الْمُتَغَيِّرَ لا بُدَّ لَهُ مِن مُغَيِّرٍ يُوجِدُهُ، فالعالَمُ عَلَيهِ ءاثارُ التَّغَيُّرِ فَلِذَلِكَ وَجَبَ عَقلًا وشَرعًا حُدوثُ العالَمِ أي وُجودُهُ بَعدَ عَدَمٍ سابِقٍ. ثُمَّ لا يَكفي تَنزيهُهُ تَعالى عَنِ الجِسمِيَّةِ الكثيفَةِ والجِسمِيَّةِ اللَّطيفَةِ مَع اعتِقادِ أَنَّهُ تَطرَأُ عَلَيهِ صِفاتٌ حادِثَةٌ، بَل يَجِبُ تَنزيهُهُ عَن أَيَّةِ صِفةٍ حادِثَةٍ، فَحياةُ اللهِ أَزَلِيَّةٌ أَبدِيَّةٌ لا تَتَغَيَّرُ لا إِلى زِيادَةٍ ولا نُقصانٍ، كَذَلِكَ عِلمُهُ مُنَزَّهٌ عَن أَنْ يَزيدَ أَو أَنْ يَنقُصَ، كَذَلِكَ سَمْعُهُ وبَصَرُهُ، يَسمَعُ

الأصواتَ ويَرى الْمُبصَراتِ مِن دونِ أَن تحدُثَ لَه رُؤيةٌ للمُبصَراتِ وسَمعٌ لِلأصواتِ، إنَّما يَسمَعُ بِسمعٍ أَزلِيٍّ أَبدِيٍّ ويَرى الْمُبصَراتِ بِرؤيَةٍ أَزليَّةٍ أبديةٍ لَيسَ كَسَمعِ خَلقِهِ ولا كَرُؤيَةِ خَلقِهِ. وكَذَلِكَ قُدرَتُهُ ومَشيئَتُهُ أَزليَّتانِ أَبَدِيَّتانِ لَيسَتا كَقُدرَةِ وَمَشيئَةِ العِبادِ، قُدرَةُ العِبادِ حادِثَةٌ ثُمَّ تَنقُصُ وتَزيدُ، ومَشيئَةُ العِبادِ كَذلِكَ حادِثةٌ تَنقُصُ وتَتَغَيَّرُ. وَكَذلِكَ كَلامُ اللهِ تَعالى لَيسَ شَيئًا حَدَثَ بعدَ أَن لم يَكُن ولَيس شيئًا يَسبِقُ بَعضُهُ بَعضًا كَكلامِنا، لأَنَّ كَلامَنا أصواتٌ بحروفٍ يَسبِقُ بَعضُها بَعضًا، وأَمَّا اللهُ تَعالى فَكلامُهُ لَيسَ صَوتًا ولَيسَ حَرفًا، فَلَيسَ حادِثًا في ذاتِ اللهِ تَعالى ثُمَّ يَزيدُ أو يَنقُصُ أو يَتَخَلَّلُهُ سُكُوتٌ. فَمَنِ اعتَقَدَ هذا الاعتِقادَ الصَّحيحَ فَقَد عَرَفَ اللهَ فَتصِحُّ مِنهُ العِباداتُ الصَّلاةُ والصّيامُ والحَجُّ والزَّكاةُ وقِراءةُ القُرءانِ وغَيرُ ذَلِكَ، أَمّا مَن لم يَعتَقِدْ هذا واعتَقَدَ خِلافَهُ فَلا تَصِحُّ مِنهُ العِباداتُ، جميعُ أَنواعِها.

ثُمَّ الأَمرُ الأَهَمُّ، بَعدَ هذا توحيدُ اللهِ في الأَفعالِ، فَاللهُ تَعالى فِعلُهُ بِالإيجادِ والخَلقِ، أَمّا فِعلُ المخلوقينَ فَلَيس بِطريقِ الإيجادِ والخَلقِ لَيسَ بِطريقِ الإيجادِ الحقيقيِّ والخَلقِ، أَي أَنَّ اللهَ تَعالى هو الذي يُبرِزُ المعدومَ مِن العَدَمِ إلى الوُجودِ، الأجسامُ هو الذي أَبرَزَها مِنَ العَدَمِ إلى الوُجودِ، وَحَرَكاتُ الأَجسامِ وسَكناتُهُم وكلامُهُم هو الذي يُبرِزُهَا مِنَ العَدَمِ إلى الوُجودِ، فالإنسانُ إن تَكَلَّمَ بِكلامٍ بِاختيارِهِ وقَصدِهِ وعَمدِهِ فَلَيسَ هو يخلُقُهُ إنَّما اللهُ يخلُقُ ذَلِكَ، وهَكَذا تَفكيراتُهُ وإدراكاتُهُ وعُلومُهُ كُلُّها اللهُ يَخْلُقُها فيهِ، لا يخلُقُ أَحدٌ شيئًا مِنَ الحَرَكاتِ والسَّكَناتِ إلا اللهُ.

فَهذا الأَمرُ الثّاني هو الأَمرُ الأَهَمُّ مِن أُصولِ العَقيدَةِ، فَمَن خالَفَ التَنزيهَ واعتَقَدَ أَنَّ اللهَ جِسمٌ مُتحَيِّزٌ في جِهةِ العَرشِ لم يَعْرِفِ اللهَ، ومَن اعتَقَدَ أَنَّ اللهَ تعالى يَتَّصِفُ بِالحَرَكاتِ والسَّكَناتِ فَهو جاهِلٌ بِرَبِّهِ كافِرٌ، ومَن اعتَقَدَ أَنَّهُ ساكِنٌ دائِمًا فهو جاهِلٌ بِرَبِّهِ،

لأَنَّ السُّكونَ مِن صِفاتِ الخَلقِ، والحَرَكَةَ مِن صِفاتِ الخَلقِ، وَمن وَصَفَ الخالِقَ بهما أو بِأَحَدِهِما فَهو جاهِلٌ بخالِقِهِ، هذانِ الأَمرانِ هُما أَهَمُّ مسائِلِ الاعتِقادِ.

ثُمَّ بعدَ ذَلِكَ مِن أُمورِ الدِّينِ ما هو مِن الاعتِقادِ وما هو مِن أَعمالِ البَدَنِ، ثُمَّ بعضُ ذَلِكَ مَفروضٌ، مَن تَرَكَهُ يَكونُ ءاثمًا، ومَن أَدَّاهُ يَكونُ مُثابًا مأجورًا عِندَ اللهِ.

ثُمَّ إنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى أَذِنَ للمُسْلِمِينَ أَن يُحدِثوا في دِينِ اللهِ ما لا يُخالِفُ القُرءانَ والحَديثَ فَيُقالُ لِذَلِكَ سُنَّةٌ حَسَنَةٌ، فَكُلُّ ما أَحدَثَهُ عُلَماءُ الإِسلامِ الأَتقياءُ الأَولياءُ في دِينِ اللهِ تَعالى وكانَ على وِفاقِ القُرءانِ والحَديثِ فَهو سُنَّةٌ حَسَنَةٌ، لا يُقالُ: «هذا لم يَفعَلْهُ الرَّسولُ فَهو سُنَّةٌ سَيِّئَةٌ بِدعَةٌ سَيِّئَةٌ بدعةٌ مُحَرَّمَةٌ» لا يُقالُ.

فَقَد أَحدَثَ في الدينِ أُناسٌ مِنَ التّابِعينَ ما لم يَفعَلْهُ الرَّسُولُ عَلَيهِ السَّلامُ، وكَذلِكَ مَن جاءَ مِن عُلَماءِ الإِسلامِ بعدَ التّابِعينَ أَحدَثوا أَشياءَ لم يَفعَلْها الرَّسُولُ عَلَيهِ السَّلامُ ولا ذَكَرَها، لم يَقُلْ: «افعَلوا كَذا»، هذِهِ الأَشياءُ التي أَحدَثَها التَّابِعونَ، عُلَماءُ التّابِعينَ، أَتقياؤهم في الدّينِ، هِي سُنَّةٌ حَسَنَةٌ، وكَذَلِكَ ما أَحدَثَهُ مَن جاءَ بَعدَهُم في الدّينِ ممّا لا يُخالِفُ قُرءانًا ولا حَديثًا فهو سُنَّةٌ حَسَنَةٌ، ومِن أَوَّلِ ما أَحدَثَهُ الْمُسلِمونَ في عَصرِ الصَّحابَةِ ممّا أَحدَثَهُ غَيرُ الصَّحابَةِ نَقطُ القُرءانِ وتَشْكِيلُهُ، الصَّحابَةُ ما نَقَّطوا الْمُصحَفَ ولا شَكَّلوهُ، كَتَبوهُ مِن إِملاءِ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ بِدونِ تَنقيطٍ ولا تَشكيلٍ، إِنّما فَعَلَ هذا بَعضُ التّابِعينَ في عَصْرِ الصَّحابَةِ.

ثُمَّ ممّا أَحدَثَهُ عُلماءُ السَّلَفِ مِنَ التّابِعينَ بِناءُ المحاريبِ في المساجِدِ، ما كانَتِ المساجِدُ فيها محاريبُ مُجَوَّفَةٌ، مَسجِدُ الرَّسُولِ عَلَيهِ السَّلامُ وغَيرُهُ مِن مساجِدِ الصَّحابَةِ ما كانَ لها محاريبُ، أَحدَثَ ذَلِكَ الخليفَةُ الرّاشِدُ العالِمُ الزّاهِدُ عُمَرُ بْنُ عبدِ العَزيزِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، كَذَلِكَ هو أَحدَثَ المآذِنَ، قَبلَهُ لم يَكُن للمُسلِمينَ مَآذِنُ لمساجِدِهِم، ثُمَّ بَعدَ ذَلِكَ عُلَماءُ المسلِمينَ الأَتقياءُ أَحدَثوا أَشياءَ.

وممّا أُحدِث بعدَ ذَلِكَ عملُ المولِد والطَّرِيقَةُ. عَمَلُ المولِدِ في شَهرِ رَبيعٍ الأوّلِ عَمِلَهُ مَلِكٌ تَقِيٌّ مجاهِدٌ غازٍ عالِمٌ فَقَبِلَهُ عُلَماءُ الإِسلامِ وعَمِلَ بِهِ المسلِمونَ إلى يومِنا هذا، وقَد مَضى على ذَلِكَ أَكثَرُ مِن ثمانِمائةِ عامٍ.

كَذَلِكَ الطَّرِيقَةُ الرِّفاعِيَّةُ والطَّرِيقَةُ الْقَادِرِيَّةُ وغيرُهُما أَحدَثَها عُلَماءُ أَتقياءُ زُهّادٌ، الشّيخُ عبدُ القادِرِ الجيلانيُّ والشَّيْخُ أَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ هذانِ أَوّلُ مَنْ أَنْشَأَ الطَّرِيقَةَ ثُمَّ بَعدَ ذَلِكَ أَنشأَ عُلَماءُ أَولياءُ طُرُقًا عَديدَةً فَكُلُّها قُربَةٌ إِلى اللهِ، وتُسَمّى سُنَّةً حَسَنَةً، كُلُّ هذِهِ الأَشياءِ التي أَحدَثَها عُلَماءُ الإِسلامِ الأَتقياءُ تُسَمّى سُنَّةً حَسَنَةً وهِي داخِلَةٌ تحتَ قَولِ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «**مَن سَنَّ في الإِسلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلهُ أَجرُها وأَجرُ مَن عَمِلَ بها بَعدَهُ**».

فَبَعدَ هذا البيانِ لا يُلتَفَتُ إِلى قَولِ الْمُخالِفينَ لهذا، لأَنَّهُم يَقولونَ عَن هذِهِ الأَشياءِ التي هي سُنَّةٌ حَسَنَةٌ بِدعَةٌ محرَّمَةٌ، وهؤلاءِ لا اعتِبارَ لِكَلَامِهِمْ، لأَنَّهُم يَعمَلونَ بِأشياء لم تَكُن في زَمَنِ الرَّسُولِ عَلَيهِ السَّلامُ ممّا أَحْدَثَها عُلَماءُ الإِسلامِ ويُنكِرونَ بَعضًا مَع أَنَّ كُلًّا أُنْشِئَ على ما يُوافِقُ القُرءانَ والحَديثَ.

المصاحِفُ التي فيها تَشكيلٌ وتَنقيطٌ يَشتَغِلونَ بها كما نحنُ نَشتَغِلُ بها، والمآذِنُ والمحاريبُ كَذَلِكَ يَعملونَ بها كما نحنُ نَعمَلُ بها، هؤلاءِ لا يَتَمسَّكونَ بِالميزانِ الشّرعيّ بَل يَتَمَسَّكونَ بما تهوى أَنفُسُهُم، فالشّيءُ الذي يُعجِبُهُم يقبلونَهُ والشيءُ الذي لا يُعْجِبُهُمْ يَقولونَ عَنهُ بِدْعَةٌ سَيِّئَةٌ بِدْعَةٌ محرَّمَةٌ، لا يَتبعونَ الدَّليلَ إِنَّما يَتبعونَ أَهواءَهُم، فَلِمَ قَبِلُوا تَشكيلَ المصاحِفِ وتَنْقِيطَها وبناءَ المآذِنِ وعَمَلَ المحاريبِ للمساجِدِ، وحَرَّموا الطُّرُقَ وعَمَلَ المولِدِ؟! بِلا دَليلٍ يُحرّمونَ ويُحَلِّلُونَ، فلا اعتبارَ لِكلامِهِم.

أَمّا الطُّرُقُ فأَوّلُ طَريقَةٍ أُنْشِئَتْ الرِّفَاعِيَّةُ وَالْقَادِرِيَّةُ، وكانَ الشَّيخُ عَبْدُ القادِرِ والشَّيْخُ أَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنهُما في عَصرٍ واحِدٍ في العِراقِ، أَمَّا الشَّيْخُ أَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ فَهو

مِن ذُرِيَّةِ سَيِّدِنا الحُسينِ بنِ عَلِيّ بنِ أَبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، وَكانَ فَقيهًا شافِعِيًّا، قالَ الإمامُ أَبو القاسِمِ الرّافِعيُّ الشّافِعيُّ ـ مُحَرّرُ المذهَبِ ـ في مناقِبِ سَيِّدِنا أَحْمَدَ الرِّفَاعِيّ: «كانَ أَعلَمَ النّاسِ بِكِتابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسُولِهِ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ».

هذا الذي قالَهُ أَبو القاسِمِ الرَّافِعِيُّ، وقالَ غَيرُهُ مِنَ الأَولياءِ ـ مِن أَهلِ ذَلِكَ الزَّمَنِ ـ: «اتَّفَقَ المشايِخُ ـ أَي الصّوفِيَّةُ ـ على أَنَّ الشَّيخَ أَحْمَدَ الرِّفَاعِيَّ أَجَلُّ المشايِخِ قَدرًا؛ ثُمَّ إِنَّ طَرِيقَةَ سَيِّدِنَا أَحْمَدَ الرِّفَاعِيّ لها امتِيازٌ مِن بَيْنِ الطُّرُقِ كُلِّهَا وهِي أَنَّ اللهَ تَعالى حَفِظَ أَتباعَ سَيِّدِنَا أَحْمَدَ الرِّفَاعِيّ في الطَّرِيقَةِ مِنَ القَولِ بِعَقِيدَتَينِ هُما مِنْ أَكْفَرِ الكُفْرِ:

إِحداهُما: القَولُ بِأَنَّ اللهَ يَحُلُّ في الأَشخاصِ ـ يَدخُلُ في الأَشخاصِ ـ.

والثّانِيةُ: القَولُ بِأَنَّ اللهَ والعالَمَ شيءٌ واحِدٌ.

هاتانِ الكُفرِيَّتانِ دخَلتا في بَعْضِ القادِرِيَّةِ وفي بَعْضِ الشّاذِلِيَّةِ ـ بَل في الشَّاذِلِيَّةِ أَكثَرَ ـ وفي بَعضِ النَّقْشَبَندِيَّةِ وفي غَيرِهِما دَخَلَتا. في زَمانِنا هذا يوجَدُ مَن يَنتَسِبُ للشّاذِلِيَّةِ وَيَقولُ والعِياذُ بِاللهِ: بِأَن اللهَ داخِلٌ في كُلِّ شَخصٍ ذَكَرٍ أَو أُنثى، ويوجَدُ في بَعضِ هَؤلاءِ مَن يَقولُ والعِياذُ بِاللهِ: "إِنَّ اللهَ والعالَمَ كالثَّلجِ والماءِ الذي فِيهِ"، بَعضُ الشّاذِلِيَّةِ قالَ ذَلِكَ، يَقولونَ: "العالَمُ كالثَّلجِ والماءُ الذي فيهِ هو اللهُ"، هاتانِ الكُفرِيَّتانِ أَقبحُ مِن كُفرِ اليَهودِ لأَنَّهُم جَعلوا كُلَّ شيءٍ مَحَلًّا للهِ.

والآخَرونَ جَعَلوا كُلَّ شيءٍ جُزءًا مِنَ اللهِ هُنا في لُبنانَ وفي سُورْيَا وفي الأُردُنِّ وفي فِلَسطِينَ يوجَدُ هؤلاءِ الذينَ يَقولونَ «اللهُ داخِلٌ في كُلِّ شَخصٍ»، بَل زادوا على ذَلِكَ أَن قالوا لِبَعضِ الأَشخاصِ :"هذا الجِدَارُ اللهُ وأَنتَ اللهُ".

اللهُ تَعالى حَفِظَ الرِّفاعِيَّةَ مِن هذا؛ لأَنَّ شَيخَها شَيخَ الطَّرِيقَةِ الرِّفاعِيَّةِ كانَ شَديدَ النَّكيرِ في حَياتِهِ على هاتَينِ الفِرقَتَينِ الحُلُولِيَّةِ والاتّحادِيَّةِ،كانَ يُحَذِّرُ تحذيرًا شَديدًا في بَعضِ مُؤلّفاتِهِ وفي دُروسِهِ، لأَنَّهُ كانَ يَهتَمُّ بِالدُّروسِ، لِذَلِكَ ما أَلَّفَ كُتُبًا كَثيرَةً، كانَ يُدَرّسُ أَوَّلَ

النَّهارِ في عِلمِ الفِقهِ والحديثِ والتَّفسيرِ والتَّوحيدِ وفي ءاخِرِ النَّهارِ كَذَلِكَ، وكانَ يومَ الخميسِ يَتَفَرَّغُ للوَعْظِ، يجلِسُ على كُرسِيٍّ مُرتَفِعٍ حتّى يَراهُ النّاسُ مِن كَثرَةِ الذينَ يَحضُرونَ مجلِسَ وَعظِهِ، الأُمَراءُ والعُلَماءُ والصُّوفِيَّةُ والعَوامُّ كانوا يحضُرونَ مجلِسَ وَعظِهِ. مَرَّةً جَلَسَ على كُرسِيِّ الوَعظِ وكانَ في ذَلِكَ المجلِسِ مِنَ اليَهودِ والصّابئَةِ، وهذِهِ الصّابِئَةُ طائِفَةٌ مِنَ الكُفّارِ، فَلَمّا سمِعوا كَلامَهُ أَسْلَمَ نحوُ ثمانيةِ ءالافٍ مِن هَؤلاءِ، ومِنَ الغافِلينَ مِن أَهلِ السُّنَّةِ تابَ أَربعونَ أَلفًا. وَكانَ مِنَ الكَراماتِ التي أَعطاهُ اللهُ إِيّاها أَنَّهُ كانَ يجتَمِعُ عِندَهُ في السَّنَةِ في لَيلةٍ مائةُ أَلفٍ أَو أَكثَرُ، يجتَمِعونَ ثُمَّ هو يَكفيهِم طعامَهُم وشَرابَهُم، كُلُّهُم يأكلونَ ويَشرَبونَ وهو لم يَكُن مَلِكًا ولا مِن بَيتِ وِزارَةٍ، أَهلُهُ ما كانوا مُلوكًا ولم يَكُن فيهم وُزراءُ، إِنَّما هُو بِسِرٍّ أَعطاهُ اللهُ إِيّاهُ كَفى هذا الخَلْقَ الكَثيرَ طعامَهُم وشَرابَهُم. وكانَ يُسَمّى أَبا العَلَمَينِ، ويُسَمّى أَبا العَبّاسِ، ويُسَمّى شَيخَ العُرَيجاءِ لأَنَّهُ مَرَّةً خَرَجَ إِلى قَريَةٍ لَهُ فيها مُريدونَ أَتباعٌ، فاستَقبلوهُ رِجالًا ونِساءً، وكانَت فيهم بِنتٌ صَغيرَةٌ عَرجاءُ حَدباءُ قَرعاءُ، فَلَمّا رَأتِ الشَّيخَ تَوَجَّهَت إِليهِ وطَلَبت إِليهِ الدُّعاءَ، وقالَت: إِنّي كَرِهتُ نَفسي مِن كَثرَةِ ما تَستَهزِئُ بي بَناتُ القَريَةِ، فَدَعا اللهَ لها فاستقامَت رِجلُها في الحالِ واستقامَ ظَهرُها وذَهَبَ عَنها القَرَعُ، فَمِن شِدَّةِ الإِعجابِ بهذِهِ الكرامَةِ سمّاهُ النّاسُ شَيخَ العُرَيجاءِ أَي الشَّيخَ الذي شَفى البِنْتَ العَرجاءَ. فمِن أَجلِ اهتِمامِهِ بالعِلمِ وبمزيدِ العِنايَةِ بِعِلمِ العَقيدَةِ طَريقَتُهُ حُفِظَت، إِلى يَومِنا هذا لا يوجَدُ مَن يَقولُ فيهم مِن أَهلِ طَريقَتِهِ: "اللهُ حالٌّ في الأَشياءِ أو في بَعضِ الأَشياءِ"، ولا أَحَدَ يَقولُ: "اللهُ والعالَمُ شَىءٌ واحِدٌ". ولا مَن يَقولُ: "هُو اللهُ واحِدٌ صارَ كثيرًا"، لا يوجَدُ في هؤلاءِ مَن يَقولُ بهذا الكُفرِ الشَّنيعِ، وللهِ الحمدُ على ذَلِكَ.

ثُمَّ أَيضًا كانَ الإِمامُ الرّفاعيُّ يُحَذِّرُ مِنَ الحلّاجِ، الحلّاجُ تُوفِّيَ قَبلَ سَيّدِنا أَحمَدَ بِثلاثِمائةِ سَنَةٍ تَقريبًا، كانَ يُحَذِّرُ مِنهُ ويَقولُ: «ليسَ على الحقِّ، لو كانَ على الحقِّ ما قالَ: أَنا الْحَقُّ» ومعنى قَولِ الحلّاجِ: «أَنا الْحَقُّ» أَنا اللهُ والعِياذُ بِاللهِ، لأَنَّ الحقَّ مِن أَسماءِ اللهِ،

سَيِّدُنا أَحمدُ الرّفاعيُّ حَكَمَ بِأَنَّهُ ضالٌّ، وهذا هو الْحَقُّ وأَكثَرُ الصّوفِيَّةِ قالوا «الحلّاجُ لَيسَ مِنّا»، لِذَلِكَ في الماضي كانَ عَدَدٌ قَليلٌ يمدَحُهُ، أَمّا اليوْمَ كَثُروا، إن جَلَسْتَ مَع بَعضِ القادِرِيَّةِ تَسمَعُ بِمدحِهِ، وإن جَلَستَ مَع الشاذِلِيَّةِ تَسمَعُ بِمدحِهِ وإن جَلَستَ مَع بَعضِ النَّقشَبَندِيَّةِ كَذَلِكَ تَسمَعُهُم يمَدَحونَهُ، وَكَذَلِكَ غَيرُهُم إِلّا الرّفاعِيَّةَ عَرفوا أَنَّهُ ضَالٌّ لِقَولِ شَيخِ الطَّرِيقَةِ سَيّدِنا أَحمدَ الرّفاعِيّ بِأَنَّ الحلّاجَ ضالٌّ، وهذا مِن مَزايا الرّفاعِيَّةِ.

وسبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلى اللهُ وسلَّمَ على سيدِنا محمدٍ الأمينِ، وءالِهِ وأصحابِهِ الطيبينَ.

التَّمَسُّكُ بِشريعَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمينَ والصَّلاةُ والسَّلامُ على سَيّدِ المرسلينَ وعلى ءالِهِ الطّيّبينَ الطّاهرينَ.

أَمّا بعدُ فَقد رُوّينا بالإِسنادِ المتَّصِلِ في مُوطَّأِ الإمامِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ قالَ: «**قالَ اللهُ تعالى: المتحابُّونَ بجَلالي أُظِلُّهُمْ في ظِلّيْ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلي**» . أي ظِلُّ العَرشِ ..

مِن أَعظَمِ ما يَكتَسِبُهُ الإِنسانُ في الحياةِ الدُّنيا وأَنفَعِهِ في الآخِرَةِ محبَّةُ المسلِمِ لأَخيهِ المسلِمِ، المحبَّةُ التي فيها التَّعاونُ على ما يُرضي اللهَ ليسَ الْمُرادُ التحابَّ على الهوى، فهذِهِ المحبةُ التي يَكونُ صاحِبُها في ظِلِّ العَرشِ يومَ القِيامَةِ ذَلِكَ اليومَ الذي لَيسَ فيهِ بيتٌ ولا جَبَلٌ ولا شَجَرٌ ولا كَهفٌ إِنَّما يُظِلُّ المؤمِنَ في ذَلِكَ اليومِ عَمَلُهُ الصَّالِحُ.

ومِن جُملَةِ العَمَلِ الصَّالِحِ الذي يُظِلُّ صاحِبَهُ في ذَلِكَ اليومِ التَّحَابُّ في اللهِ، محبَّةُ المسلِمِ لأَخيهِ فيما يُرضِي اللهَ تبارَكَ وتَعالى.

فهذِهِ المحبَّةُ هي التي تجعَلُ صاحِبَها في الآخِرَةِ في ظِلِّ العَرشِ لا يُصيبُهُ حَرُّ شَمْسِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَرُّ شَمْسِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَشَدُّ بِكَثيرٍ مِن حَرّها في الدُّنيا لأنّها تَدنو مِن رؤوسِ النّاسِ قَدرَ

مِيلٍ، وَأَشَدُّ ما يَكونُ الحرُّ ذَلِكَ اليَومَ على الكُفَّارِ، الكُفّارُ لو كانَ في يومِ القِيامَةِ موتٌ لَماتوا مِن حَرِّها لَكِن لا يوجَدُ مَوتٌ، هُناكَ مَهما تألَّمَ الشَّخْصُ لا يموتُ يَبقى حيًّا لا تُفارِقُهُ روحُهُ، فَمِن أَنفَعِ ما ينفَعُ النّاسَ في ذَلِكَ اليومِ للسّلَامَةِ مِن حَرِّ الشّمْسِ ذَلِكَ اليومَ التَّحابُّ في اللهِ، مَعنى التَّحابِّ في اللهِ أنَّ المسلِمَ يَتعاوَنُ مَعَ أَخِيهِ على ما يُحِبُّ اللهُ، ولا يَغُشُّ أَحَدُهُما الآخَرَ أَي لا يُزَيِّنُ لَهُ المعصيةَ ولا يَغُشُّهُ في الْمُعَامَلَةِ بَل يَبذُلُ لَهُ النُّصْحَ، يُحِبُّ لَهُ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ أَي الخَيرُ الذي يُحِبُّهُ لِنَفسِهِ يُحِبُّهُ لأَخيهِ، والشَّيءُ الذي يَكْرَهُهُ لِنَفْسِهِ مِمَّا هُوَ شَرٌّ في شَرعِ اللهِ يَكرَهُهُ لأَخيهِ وهذا الأَمرُ هو الكَمالُ لِلْمُسْلِمِ، الْمُسْلِمُ لا يَكونُ مؤمنًا كاملًا أي في الدَّرَجَةِ العُليا إلا إذا كانَ بهذِهِ الصّفَة أي يُحِبُّ لأَخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفسِهِ مِنَ الخَيْرِ. وَقد صَحَّ حديثُ: «**مَن أَحَبَّ أَن يُزَحزَحَ عَنِ النّارِ ويُدخَلَ الجَنَّةَ فَلتأتِهِ مَنِيَّتُهُ وهو يُؤمِنُ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، وليَأْتِ إلى النَّاسِ بِما يُحِبُّ أَن يؤتى إِليهِ**». هذا الحديثُ مَعناهُ أَنَّ مَن يُحِبُّ أَن يُبعِدَهُ اللهُ تَعالى مِنَ نارِ جَهَنَّمَ في الآخِرَةِ ويَدخُلَ الجَنَّةَ يَثبُتُ على الإيمانِ بِاللهِ ورَسولِهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ، أي لِيتَجَنَّبِ الكُفرَ حتى يَمُوتَ وهو مُؤمِنٌ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، وَليأتِ إلى أَخيهِ المسلِمِ بما يُحِبُّ أَن يؤتى إِليهِ مَعناهُ لِيُعَامِلْ أَخاهُ بِما يُحِبُّ أَن يُعامِلَهُ بِهِ، الواحِدُ مِنّا يُحِبُّ أَن يُعامِلَهُ أَخوهُ بِالصِّدْقِ والوَفاءِ والنَّصِيحَةِ أَي يُرْشِدَهُ إِلى ما هُو خَيرٌ لَهُ ويُحَذِّرَهُ مِمّا هو شَرٌّ لَهُ، مَعنى الحَدِيثِ مَن عَمِلَ بهذا يَكونُ بَعيدًا مِنَ النَّارِ مِن نارِ جَهَنَّمَ ويَدخُلُ جَنَّةَ اللهِ بِلا عَذَابٍ، أَمّا التَّحابُّ في غَيرِ ذَلِكَ فهو نَدامَةٌ يومَ القِيامَةِ، الشَّخصُ إذا أَحَبَّ إنسانًا للهوى فَهذِهِ المحَبَّةُ نَدامَةٌ في الآخِرَةِ، اللهُ أَنعَمَ عَلَينا بِعَقِيدَةِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ التي كانَ عَلَيها الرَّسُولُ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ والصَّحابَةُ والتّابِعونَ ومَن تَبِعَهُم إِلى يومِنا هذا، في هذا الوَقتِ الذي فَسَدَ كَثيرٌ مِنَ الأُمَّةِ كَما أَخبَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ.

قالَ عليهِ السَّلامُ: «**المُتَمَسّكُ بِسُنَّتي عِندَ فَسادِ أُمَّتي لَهُ أَجرُ شَهيدٍ**». سُنَّةُ الرَّسُولِ شَريعَتُهُ، شَريعَةُ الرَّسُولِ العَقِيدَةُ والأَحْكَامُ كَذَلِكَ شَريعَةُ اللهِ، إذا وَرَدَ في حَديثِ الرَّسُولِ ذِكْرُ

السُّنَّةِ مَعْنَاهُ شَرِيعَتُهُ وَقد ظَهَرَ صِدْقُ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ، الْيَوْمَ فِي هذهِ البلادِ تُوجَدُ عَقَائِدُ مُنْحَرِفَةٌ عَن دِينِ اللهِ وكُلُّ فِرْقَةٍ تَدَّعِي أَنَّهَا مُتَمَسِّكَةٌ بِالدِّينِ أَحْسَنَ مِنْ غَيْرِهَا.

ثُمَّ مِنَ الأَمْرِ الْمُهِمِّ فِيمَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَن يَتَحَابُّوا وَلَا يَتَتَبَّعَ أَحَدُهُمْ مَسَاوِئَ أَخِيهِ «**طُوبَى لِمَن شَغَلَهُ عَيبُهُ عَن عُيوبِ النّاسِ**» هذا رُوِيَ حَديثًا لا يَنبَغي أَن يَكونَ المسلِمُ الواحِدُ مِنّا مُتَتَبّعًا لِعوْرَاتِ أَخيهِ ـ أي عيوبِهِ ـ بَل يَنبَغي أَن يُسامِحَهُ إِن أَساءَ إِليهِ وإِن أَحسَنَ إِليه، أَن يُعامِلَهُ بِالإِحسانِ هذا الذي يَنبَغي أَن يَكونَ المسلِمونَ عَلَيهِ ويَنبَغي أَيضًا أَن يَتزاوَرُوا ويَتَنَاصَحُوا ويَتطاوعوا على ما يوافِقُ شَريعَةَ اللهِ. واللهُ سُبحانَهُ وتَعالى أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

وسبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلى اللهُ وسلَّمَ على سيدِنا محمدٍ الأمينِ، وءالِهِ وأصحابِهِ الطيبينَ.

الإِيمَانُ هُوَ الْأَصْلُ فِي الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ:

قَالَ الإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحَمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ لَهُ النّعمَةُ ولَه الفَضلُ ولَهُ الثَّناءُ الحَسَنُ صَلواتُ اللهِ البرِّ الرَّحيمِ والملائِكَةِ المقرَّبينَ على سَيّدِنا مُحَمَّدٍ أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ وعلى جميعِ إِخوانِهِ مِن النَّبيّينَ والمرسَلينَ وءالِ كُلٍّ والصَّالِحِينَ، وسُلَامُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ فقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنّي كنتُ أفعلُ كذا وكذا قبلَ أنْ أُسْلِمَ، فقال لَهُ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «**أسلَمتَ على ما أسلَفتَ**» رواهُ مُسْلِمٌ، وَقَد قَالَ بعضُهُم أنَّ الْكَافِرِ الأصليّ إذا أَسْلَمَ يُثَابُ عَلَى مَا كَانَ فَعَلَهُ قبلَ إسلامِهِ من نحوِ صلةِ الرَّحِمِ وإغاثةِ الْمَلْهُوفِ والصدقةِ لكنَّ الاحتياطَ أنْ لا يُعتَقَدَ هَذا، لأنَّهُ يُخالِفُ الحديثَ الآخَرَ الصحيحَ: «**وأمَّا الكافرُ فيُطعَمُ بحسناتِهِ في الدنيَا حتى إذا أفضَى إلى الآخرةِ لم يكنْ لهُ منهَا نصيبٌ**». ويُفَسَّرُ حديثُ:

«**أسلمتَ على ما أسلفتَ**» أنَّكَ بعدَ إسلَامِكَ ما تعملُهُ بنيةٍ صحيحةٍ بعدَ إسلَامِكَ مِمَّا كنتَ تَعَوَّدْتَ عَملَهُ من الخيرِ كصلةِ الرحمِ وإغاثةِ الْمَلْهُوفِ والصدقةِ الآنَ بعدَ إسلَامِكَ تُثابُ عليهِ.

بَعْضُ النَّاسِ وَهُمْ كُفَّارٌ يُكْرِمُونَ الضَّيْفَ ويُغِيثُونَ الْمَلْهُوفِينَ، هَؤلاءِ إن أَسْلَمُوا يُكْتَبُ لهم حسناتُهُم التي يَعْمَلُونَهَا بعدَ إسلامِهِم وأَعمالُ الخيرِ التي كانوا يَعْمَلُونَهَا وَهُمْ على الكُفرِ كالصَّدَقةِ وقِرَى الضَّيْفِ وإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ والإِحْسَانِ إلى الْأَرَامِلِ، أَمّا إِن لم يُسْلِمْ فَمَهْمَا كَانَ يَرْحَمُ المساكينَ ويُغِيثُ الْمَلْهُوفِينَ وَيَعْطِفُ على الأَيتامِ فَلَيسَ لَهُ شَىْءٌ، فَمَنْ قَالَ إِنَّ لَهُ ثَوَابًا يَكْفُرُ لأَنَّهُ كَذَّبَ القُرْءَانَ.

رَجُلٌ كَانَ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ جُدْعَانَ مِنْ عَشِيرَةِ أَبِي بَكرٍ الصّدّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، كانَ يَقري الضَّيفَ ويُغيثُ الْمَلْهُوفِينَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ، حتّى إِنَّهُ كانَ يَعمَلُ الطَّعامَ ويَضَعُهُ أَمامَ بيتِهِ على الشّارِعِ حتّى يأكُلَ مِنهُ المسافرونَ مِن دونِ أَن ينزِلوا، الرّاكِبُ مِن دونِ أَن ينزِلَ يأكُلُ ويمضي، جَعَلَ الطَّعامَ على جِفَانٍ عاليةٍ.

عائِشةُ رَضِيَ اللهُ عَنها سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَت: يا رَسُولَ اللهِ إنَّ ابْنَ عَمّي ـ قالَت: ابنَ عمّي، لأَنَّهُ مِن عَشيرَتِهَا ـ عَبدَ اللهِ بْنَ جُدْعَانَ كانَ يقْرِي الضَّيْفَ ويَصِلُ الرَّحِمَ ويَفعَلُ ويَفْعَلُ، فَهَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ. قال: «**لا، إنه لم يقل يومًا ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين**» معناهُ ما كانَ يؤمنُ بالآخرةِ، كانَ يعبدُ الوثنَ. عربُ الجاهليةِ كانوا يقولونَ الإنسانُ متى ما ماتَ وصارَ ترابًا لا عودةَ لهُ، ينكرونَ البعثَ. الرسولُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ قالَ: «**إنه لم يقُل يومًا ربّ اغفِر لي خطيئتي يومَ الدين**» معناهُ ما كانَ يؤمنُ بالآخرةِ. هذا عبدُ الله بنُ جُدعَانَ في أولِ أمرِهِ كانَ فَاتِكًا شِرّيرًا، أبوهُ تبرأَ منهُ، قال له أمامَ العشيرةِ أنتَ لستَ ابني، نفاهُ فَكَرِهَ الحياة، قَالَ بعد أن تبرَّأَ مني أبي وعرفَ قومُنا ذلكَ، الحياةُ لا تطِيبُ لي، فذهبَ إلى بعضِ جبالِ مكةَ يطلبُ الموتَ لتلسعَهُ حَيَّةٌ مثلًا

فِي بعضِ الجبالِ فيموت، فوجدَ شَقًّا فِي جبلٍ فدخلَهُ على ظنّ أنّهُ قد تلسَعُهُ حَيَّةٌ فيَموتُ فوَجَدَ ثُعْبانًا كَبيرًا ظَنَّهُ ثُعبانًا حَقيقيًّا وهُو فِي الحقيقةِ لَيسَ كَذلِكَ، هُوَ صورَةُ ثُعبانٍ كَبيرٍ كُلُّهُ ذَهَبٌ وعَيناهُ جَوْهَرَتَانِ، ورأى كَوْمَ ذَهَبٍ وكَوْمَ فِضَّةٍ ورأى رِجَالًا طِوالًا على سُرُرٍ وَهُمْ مِنَ العَرَبِ الْقُدَماءِ، فَوَجَدَ عِندَ رُؤُوسِهِمْ لَوْحًا مِن فِضَّةٍ مَكتوبًا فيهِ تاريخُهُم، ومِن جُملَةِ ما فيهِ أَبياتُ شِعرٍ مِنها هذا البيتُ:

صَاحِ هَلْ رَيتَ أو سَمِعتَ بِراعٍ ... ردَّ فِي الضِّرعِ ما جَرَى فِي الحِلابِ

هؤلاءِ كأَنَّهُم كانوا هارِبينَ مِن مَلِكٍ قَصَدَ بِلادَهُم، وكانوا لا يَسْتَطِيعُونَ دَفعَهُ فأَخَذوا ما أخَذوا مِنَ المالِ والذَّهَبِ، ودَخَلوا هذا الشَقَّ لِيَعيشوا فيهِ إلى أَن يموتوا أو يَأْتِيَ الفَرَجُ، يُشْبِهونَ أَهْلَ الكَهْفِ فِي بعضِ الصّفاتِ، أَجسادُهُم كانَت مِن حيثُ الظاهِرُ كما هي، لَكِن لو جَسَّها شَخصٌ لَصَارَتْ كالرَّمَادِ، ويُمكِن هُم دَهَنُوا أَجسادَهُم بالحَنوطِ قبلَ أَن يَمُوتُوا، الحَنوطُ شَيءٌ يُرَكَّبُ، أَمْلَاحُ الحَنُوطِ نوعانِ: نَوْعٌ لِتطييبِ الرّائحةِ فَقط وهَذا يُسَنُّ أَن يُوضَعَ لِلمَيِّتِ المسلِمِ، لأَنَّ بعضَ الموتى تَكونُ فيهِم رائِحةٌ كَريهَةٌ مَن جُرْحٍ فِي جِسمِهِ كالذي أَصابَتْهُ الآكِلَةُ، لأَنَّ الآكِلَةَ مَن أُصيبَ بها تَصيرُ رائِحَتُهُ كَرِيهَةً، والنَّوعُ الآخَرُ مِنَ الحَنوطِ لِدَفعِ سُرْعَةِ بِلَى الجِسمِ.

الشَقُّ غَارٌ صغيرٌ لا يُنْتَبَهُ إِليهِ إلا بِالتَّأَمُلِ، ولا يُقْصَدُ لِدُخولِهِ عادَةً، النّاسُ إِن نَظَروا إِليهِ يَقولونَ هذا مأوى بَعْضِ الوُحُوشِ والحيّاتِ، ثُمَّ هؤلاءِ الذينَ وُجِدوا فِي هذا الكَهفِ يُحتَمَلُ أَن يَكونوا مِنَ المسْلِمِينَ، ومعنى كلامِهِم الذي وُجِدَ مَكْتُوبًا على اللّوحِ، أَنّنا لا نَعودُ إلى الحالةِ التي كُنّا فيها كَما أَنَّ الحليبَ لا يَعُودُ إلى الضَّرْعِ بَعدَما خَرَجَ مِنهُ، أَصابَهُم اليأسُ مِن شِدَّةِ ما حَصَلَ لهم مِنَ الِاضْطِرَابِ. وقَد قالَ أَحَدُهُم:

قَــدْ يَجمَــعُ المــالَ غــيرُ ءاكِلِــه   ويأكُــلُ المــالَ غــيرُ مَــن جَمَعَــهْ

هَذا يَنْطَبِقُ عَلَيهِم.

ثُمَّ إِنَّ عَبدَ اللهِ بنَ جُدعانَ ذَهَبَ إِلى قومِهِ، وصارَ يُوَزِّعُ عَليهِم من الذَّهَبِ، فَجَعلوهُ سَيِّدًا لهم، بَعدَ هذا صارَ يَتَكَرَّمُ على النّاسِ ويُعطي أَقرِباءَهُ، عَمِلَ عَمَلًا كَثيرًا مِن عَمَلِ الخيرِ والإِحسانِ إلى النّاسِ، لَكِن لا يَنفَعُهُ، لأَنَّهُ فَعَلَهُ لِيَمْدَحَهُ النّاسُ وهُو لا يؤمِنُ بالآخِرَةِ لِذَلِكَ قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِأَنّهُ لا يَنفَعُهُ.

أَمّا المؤمِنُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يعمَلُها تَكونُ مُوافِقَةً للشَّرْعِ مَعَ نِيَّةِ التَّقَرُّبِ إِلى اللهِ أَي لَيسَ فيها رِياءٌ ولا سُمعَةٌ مَهما كانَت صَغيرةً فَهِي عِندَ اللهِ كَبيرةٌ، أَمّا مَن لا يُنزّهُ اللهَ عَن مُشابهةِ خَلقِهِ فَلا يَنفَعُهُ شَىءٌ مِن أَعمالِهِ فِي الآخِرَةِ.

والله أَعلَمُ وأَحكَمُ.

وسبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلى اللهُ وسلَّمَ على سيدِنا محمدٍ الأمينِ، وءالِهِ وأصحابِهِ الطيبينَ».

«ءاه» لَيسَ اسمًا مِن أَسماءِ اللهِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحَمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ لَهُ النّعمَةُ ولَهُ الفَضلُ ولَهُ الثَّناءُ الحَسَنُ، صَلواتُ اللهِ البرّ الرَّحيمِ والملائِكَةِ المقرَّبينَ على سيدِنا مُحَمَّدٍ أَشرَفِ المُرسَلينَ وحَبيبِ رَبِّ العالمينَ وعلى جَميعِ إِخوانِهِ مِنَ الأَنبياءِ والمُرسَلينَ وءالِ كُلٍّ والصَّالحينَ وسَلامُ اللهِ عَلَيهِم أَجمعينَ.

أما بَعدُ فَقد رَوى التّرمذيُّ في جامِعِهِ والإِمامُ المجتَهِدُ أبو بَكرِ بنُ المُنذِرِ في الأَوسَطِ أَنَّ رَسولَ اللهِ صلّى الله عليهِ وسلَّمَ قالَ: «**إذا تثاءَبَ أَحَدُكُم فَلْيَضَعْ يَدَهُ على**

فِيهِ. أي على فَمِهِ. ولا يَقُلْ ءاه ءاه فإنَّ الشَّيْطَانَ يَضْحَكُ مِنهُ». هذا الحَديثُ صَحيحٌ وقَد قالَ فيهِ التّرمذِيُّ إِنَّهُ حَديثٌ حَسَنٌ، والحَسَنُ والصَّحيحُ أَخَوانِ.

وَهَذَا الحَديثُ فِيهِ دِلالَةٌ على أَنَّ «ءاه» لَيسَ مِن أَسماءِ اللهِ، وهَذا الحَديثُ فيهِ أَنَّهُ يُسَنُّ لِمَن تَثاءبَ أَن يَضَعَ يَدَهُ على فيهِ وَإِن وَضَعَ يَدَهُ اليُسْرَى كانَ أَحسَنَ.

فإن قيلَ: إنَّ الدَّليلَ على أَنَّ «ءاه» مِن أَسماءِ اللهِ قَولُهُ تَعالى ﴿ **إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ١١٤** ﴾ [سورة التوبة].

فَالجَوَابُ: أَنَّ الأَوَّاهَ مَعناهُ الرَّحِيمُ كَما قالَ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، والمعنى أَنَّ إِبراهيمَ عَليهِ السَّلامُ شَديدُ الرَّحْمَةِ لِعِبادِ اللهِ، ولَيسَ مَعناهُ أَنَّهُ كانَ يَقولُ «ءاه»، لَكنَّ بَعضَ المحرّفينَ الّذينَ يجهَلونَ لُغَةَ العَرَبِ قالوا: «الأوَّاهُ» مَعناهُ قولُ ءاهٍ ءاهٍ، وهَذا جَهْلٌ مِنهُم بِلُغَةِ العَرَبِ.

القُرْءانُ الكَريمُ إذا تُرِكَ فيهِ شيءٌ مِن صِفاتِ الحُروفِ كالغُنَّةِ في مَوضِعِها والتَّرقيقِ في مَوضِعِهِ والتَّفخيمِ في مَوضِعِهِ مَعَ المحافَظَةِ على مَخارِجِ الحُروفِ فإنَّ هذا يمنَعُ الثَّوابَ في قِراءَةِ القُرءانِ، وأَمَّا مَع تَغييرِ الحُروفِ فَفيهِ مَعصيةٌ.

اسمُ اللهِ يُقرأُ كَما جَاءَ في القُرءانِ ﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ٢٥٥** ﴾ [سورة البقرة] اللَّامُ المُشدَّدَةُ والأَلِفُ التي تَطلُعُ بِاللّفظِ ثُمَّ الهاءُ، مَن تَرَكَ واحَدًا مِن هَذِهِ الحُروفِ فَقَد أَثِمَ أَي وَقَعَ في المعصِيةِ، هَذا في الذّكرِ وفي قِراءَةِ القُرءانِ مَن فَعَلَهُ فَعَلَيهِ ذَنبٌ، فالّذي يَعتبِرُ «ءاه» اسمًا للهِ فَذَنبُهُ كَبيرٌ.

وقَد سُئِلَ الشيخُ سليمٌ البِشريُّ شيخُ الأَزهَرِ قَبلَ نحوِ سبعينَ سَنَةً عَن هؤلاءِ الّذينَ يَذكرونَ بـ «ءاه» فَقال: حُضورُ مجالِسهِم حَرامٌ.

وأَمَّا مَن قالَ «ءاه» لِترويحِ نَفْسِهِ ولَيسَ بِقَصْدِ الذِّكْرِ فَيَجُوزُ، وأَمَّا إِن قَصَدَ ذِكرَ اللهِ بِذلِكَ فَذنبُهُ عَظيمٌ. وأَمّا حَديثُ «إنَّ ءاهٍ مِن أَسماءِ الله» فَهُو مَكذوبٌ على رَسولِ اللهِ ومَن نَسَبَهُ إلى رَسولِ اللهِ فَهو مَلعونٌ، فإِنَّ أَكثَرَ مَن يَدَّعي الطَّريقَةَ اليَومَ جُهّالٌ مُنحَرِفونَ لَيسوا بشىءٍ. واستِشهادُهُم بهذِهِ الآيةِ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ ٧٥﴾ [سورة هود] على أَنَّ «ءاه» مِن أَسماءِ اللهِ يَدُلُّ على شِدَّةِ جَهلِهِم.

اللهُ تَعالى وَصَفَ سَيّدَنا إِبراهيمَ في هذِهِ الآيةِ بالرَّحمَةِ والحِلمِ فهِيَ مَدحٌ لإِبراهيمَ عليهِ السَّلامُ؛ وأَمَّا «ءاه» فلَيسَ فيها مَدحٌ بَل المَريضُ يَقولُ «ءاه»، وقَد نَصَّ فُقهاءُ المذاهِبِ الأَربَعَةِ على أَنَّ الأَنِينَ يُفسِدُ الصَّلاةَ و«ءاه» مِن أَلفاظِ الأَنينِ، لكِنَّ المالِكِيَّةَ قالوا: «مَن قالَ في الصَّلاةِ «ءاه» فَإِنْ كانَ مِن خَشيةِ اللهِ أَو خَوفِ النّارِ أَو خَوفِ العَذابِ لا تُبطِلُ الصَّلاةَ وإِلّا أَبْطَلَت». وأَمَّا في المذاهِبِ الثَّلاثَةِ الأُخرى تَبطُلُ الصَّلاةُ ولَو قالها بِسَبَبِ ذَلِك.

فإن قالَ بعْضُ هؤلاءِ المحرّفينَ لاسمِ اللهِ: «اليَومَ حَصَلَت لَنا تجَلّيَاتٌ» أَي نَزَلَت رَحَماتٌ وبَرَكاتٌ، يُقالُ لهُم: هَذا لَيسَ تجَلّيَاتٍ، بَل هذا الشَّيطانُ لَهُ فيهِ حَظٌّ حيثُ أَوهمَكُم أَنَّ هذا فيهِ عِبادَةُ اللهِ.

وأَمّا ما يَحصلُ لهُم مِنَ الفَرَحِ النَّفْسَانِيّ فَهذا فَرَحُ الهَوى ولَيسَ مِن محَبَّةِ اللهِ، إنَّما الشَّيطانُ يُوهِمُهُم أَنَّ هَذا شَىءٌ عَظيمٌ عِندَ اللهِ.

الشَّخصُ المَريضُ يَقولُ «ءاه» والمَظلومُ يَقولُ «ءاه» وقَد قالَ بَعْضُ الْمَدَّاحينَ:

ءاهِ ممّا جَنيتُ إِن كانَ يُغني ... أَلِفٌ مِن عَظيمِ ذَنْبٍ وهَاءُ

مَعناهُ «ءاه» ماذا تُفيدُني مِن ذنوبٍ، مَعناهُ أنا كَثيرُ الذُّنوبِ.

أَيْ إن كان يُغْنِي أَلِفٌ وهاءٌ مِن عظَيِمِ ذَنبٍ فـ «ءاهٍ» ممّا جَنيتُ مِن ذُنوبٍ كثيرةٍ ولكنَّها لا تُغْنِي أي لا تفيدُ، فهذا دليلٌ على أنَّ «ءاه» لَيس مِن أسماءِ اللهِ لأنَّ ذِكْرَ اللهِ يُفيدُ.

«ءاه» و«هاه» كلاهُما مَذمومٌ عِندَ التَّثاؤبِ ففِي الحديثِ رِوايةٌ: «**إذا تَثاءَبَ أَحدُكُم فلَا يَقُل ءاهٍ أو هاه**». أَمّا المريضُ إن قالَ ذلِكَ فَلا يُلامُ.

ثُمَّ ممَّا يَدُلُّ على أَنَّ «ءاه» ليسَ مِن أَسْمَاءِ اللهِ أَنَّهُ لا تَثبُتُ به اليَمِينُ وكَذا لا تَثبُتُ اليَمينُ بِقولِ «واللا» بِدونِ هاءٍ بَل مَن قالَ ذلِكَ عَليهِ مَعصِيَةٌ؛ لأَنَّهُ حَرَّفَ اسْمَ اللهِ، حَذَفَ حَرْفَيْنِ مِن اسْمِ اللهِ، حرفًا يأتي بِاللّفظِ بينَ اللّامِ والهاءِ ثُمَّ الهاءَ. أَمَّا إن قالَ «واللهِ» بالأَلِفِ وبِكَسرِ الهاءِ، أَو «واللهْ» بِتَسكينِ الهاءِ ثَبَتَتِ اليَمينُ.

واللهُ سُبحانَهُ وتَعالى أَعلَمُ وأَحكَمُ.

وَسُبْحَانَ اللهِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلى اللهُ وسلَّمَ على سيدِنا محمدٍ الأمينِ، وءالِهِ وأصحابِهِ الطيبينَ».

بَيَانُ صِفَةِ الْأَوْلِيَاءِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ لهُ النعمةُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحسنُ صلواتُ اللهِ البرِّ الرَّحيمِ والملائكةِ المقربينَ على نبيِّنا محمدٍ أشرفِ المرسلينَ وعلى ءالِهِ الطيبينَ الطاهرينَ.

أَمَّا بعدُ، فقد روينا بالإسنادِ المتصلِ الصحيحِ في كتابِ المستدركِ أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ: «**إنَّ اللهَ يُحِبُّ الأتقياءَ الأخفياءَ الذينَ إذا غابوا لم يُفتَقَدوا وإذا حَضَرُوا لم يُعْرَفُوا قلوبُهم مصابيحُ الهدى يَخرجونَ من كلِّ غبراءَ مُظلمةٍ**».

هَذَا الحَدِيثُ فيه بيانُ صفةِ الأولياءِ، وفيهِ بيانُ أنَّ أكثرَهم لا يُعْرفونَ لا يُمَيَّزونَ فيما بينَ الناسِ، ثمَّ الرسولُ عليه السلامُ وصفَهم بهذه الصفاتِ وهي أنَّهم أخفيَاءُ أي لا يُعرفونَ بما هم عليهِ من علوِّ الدرجةِ عندَ اللهِ، وذلك لأنَّهم يُخفونَ أعمالَهم الصالحةَ التِي يعملونَها زُلفى وقربةً إلى اللهِ خوفًا من أن يُفتنوا لأنَّ الأولياءَ يَخافونَ على أنفسِهم، يتهمونَ أنْفُسَهم بالرياءِ ولو لم يكن فيهم رياءٌ، لكن من شدةِ الخوفِ وشدةِ مراقبةِ النفسِ يخافونَ أنه دخلَ عليهم رياءٌ، ويخافونَ أيضًا من أن يدخلَهم العجبُ إذا عُرِفوا بينَ الناسِ بما فيهم من الأعمالِ الحميدةِ. ووصفَهم رَسُولُ اللهِ عليه الصلاةُ والسلامُ أيضًا بأنَّهم إذا حضروا لم يُعرفوا إما لرثاثةِ هيئَتِهم، أي مظهرُهم من حيث اللباسُ غيرُ مُعْجِبٍ، فقد كان أَوَيْسُ بنُ عامرٍ القَرَنِيُّ الذي شَهِدَ لهُ الرَّسُولُ بأنَّهُ أفضلُ التابعينَ وكان رضيَ اللهُ عنه لم يشهدْ مجلسَ رَسُولِ اللهِ لأنهُ كان باليمنِ، ما تمكَّنَ من أن يأتِيَ إلى المدينةِ ليلقى الرَّسُولَ، ثمَّ جاءَ بعدَ أن تُوُفِّيَ الرَّسُولُ إلى المدينةِ، وكانَ سيدُنا عمرُ حَفِظَ من رسولِ اللهِ حديثًا في شأنِ أويسِ بنِ عامرٍ، قالَ لهُ ولمن كان معَهُ في ذلكَ المجلسِ: «إنَّ خيرَ التابعينَ رجلٌ يقالُ لهُ أويسُ بنُ عامرٍ من مرادٍ ثم من قَرَنٍ»، إلى أن قالَ: «فإذا لقِيتُموهُ فمُروهُ فَلْيَسْتغفِر لكم» وفي هذا تَعْلِيمٌ لأمتهِ وحَضٌّ وحَثٌّ أكيدٌ للتواضعِ لأنَّ سيدَنا عمرَ عندَ اللهِ تباركَ وتعالى لهُ من المنزلةِ ما يزيدُ على منزلةِ أويسِ بنِ عامرٍ ءالافَ المراتِ، مع ذلك قالَ لهُ: إذا لقيتُم أويسَ بنَ عامرٍ فاطلبوا منه الاستغفارَ، أن يستغفرَ اللهَ لكم، هذا شأنُ المؤمنِ أنَّهُ يكون متواضعًا ويُحسِّنُ الظنَّ بالمسلمِ، يقولُ إذا رأى مسلمًا: لعل هذا عندَ اللهِ أفضلُ مني، إلى أن يظهرَ له فيه ما يؤكدُ حُسنَ ظنِّهِ به أو ما يؤكدُ خلافَ ذلكَ، فإن وَجَدَ منه ما يُؤَكِّدُ حُسْنَ ظنِّهِ زادَ تحسِينَ ظنٍّ بِهِ وإلا أنزلَهُ في منزلتِه التي يستحقُّها.

ثُمَّ قسمٌ من الأولياءِ، اللهُ أعطاهم حظًّا من الشهرةِ[1]، شُهِرُوا بينَ الناسِ بالولايةِ فعرفَهُم القريبُ والبعيدُ فَكَثُرَ الانتفاعُ بهم، وذلكَ كسيدِنا الجنيْدِ بنِ محمدٍ البغداديّ شيخِ الصوفيةِ، الصوفيةُ يعتبرونَهُ مقدَّمًا بالتصوفِ، وكان رضيَ اللهُ عنهُ من أهلِ القرنِ الثالثِ الهجريّ، تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ في أوائلِ القرنِ الرابعِ، ثم أيضًا الشيخُ عبدُ القادرِ الجيلانيُّ الحنبليُّ والشيخُ أحمدُ الرفاعيُ الشافعيُ رضيَ اللهُ عنهما، فنالَ هذانِ من بينِ أولياءِ اللهِ شهرةً كبيرةً فَكَثُرَ الانتفاعُ بهما كما كُثُرَ الانتفاعُ بالجُنيدِ رضي الله عنه. فالتصوفُ الحقيقيُّ كانَ في الصدرِ الأولِ في عصرِ الصحابةِ. الخلفاءُ الأربعةُ كانوا صُوفِيةً، لأن معنى الصوفِيّ من كان عاملا بشريعةِ اللهِ تباركَ وتعالى وخالفَ هواهُ، من لا يُتْبِعُ نَفْسَهُ الْهَوَى في المأكلِ والمشربِ والملبسِ وغيرِ ذلكَ، يقتصرُ على القدْرِ الذي يحفظُ صحةَ جسدِهِ من المأكلِ والمشربِ والملبسِ ونحوِ ذلكَ مع بذلِ الجهدِ في عبادةِ اللهِ تباركَ وتعالى في أداءِ الفرائضِ والإكثارِ من النوافلِ، هذا معنى الصوفيّ وهذا كان حال أكَابِرِ الصَّحَابَةِ الخلفاءِ الأربعةِ ومن سواهم، لذلك ألَّفَ الحَافِظُ أبُو نُعَيْمٍ الأصبَهَانِيُّ أحدُ المشاهِيرِ بيْنَ المحدّثِينَ أصحابِ التأليفِ، كِتَابَهُ حِلْيَةَ الأولياءِ فبدأَ بصوفيةِ الصحابةِ ثم أتبعَهم بصوفيةِ التابعينَ ثم أتبعَهم بصوفيةِ أتباعِ التابعينَ إلى صوفيةِ القرنِ الرابعِ الهجريّ، وكان هو أي أبُو نُعيمٍ تُوفِّيَ بعد انتهاءِ القرنِ الرابعِ ترجَمَ الصوفيةَ الذينَ هم من الصدرِ الأولِ والذين تَبِعُوهم في القرونِ التي بعدَهم وذكرَ أنَّ أُناسًا تظاهرُوا بمظهرِ الصوفيةِ وليسوا منهم، بل قالَ إنَّ منهم من هم من أهلِ عقيدةِ الحُلُولِ وذلكَ كما ذكرَ أبو نُعيمٍ، ليسَ كلُّ من انتسبَ إلى التصوفِ في القديمِ والحديثِ ذلكَ الصُوفِيَّ الذي هو مِن خيارِ عبادِ اللهِ، ثم وجودُ هؤلاءِ الذينَ هم غيرُ مُتَحَقِّقِينَ بالتصوفِ إنما يتشبهونَ بالصوفيةِ لمآرِبَ في أنفسِهم، وجُودُ هؤلاءِ فيما

---

(1) الأَوْلِيَاءُ يُخْفُونَ كَرَامَاتِهِم حَتَّى لا يَنْفَتِنَ بِهِمُ النَّاسُ، حَتَّى نُفُوسُهُمْ أَيْضًا لا يَدْخُلُهَا شَيءٌ، الأَوْلِيَاءُ يَخْشَونَ عَلَى أَنْفُسِهِم أَنْ يَدْخُلَهُم عُجْبٌ وَفَخْرٌ.

بينَهُم لا يُنْقِصُ من مرتبةِ أولئكَ الصادقينَ المتحقِّقِينَ في التصوفِ، فحالُ الصوفيةِ في ذلكَ كحَالِ العلماءِ، ليسَ كلُّ واحدٍ منهم تقِيًّا بل منهم أتقياءُ ومنهم غيرُ أتقياءَ، أما اسمُ الصوفيّ فلم يكن في الصدرِ الأولِ، لكنَّ المعنى كان مَوْجُودًا بل كانَ قبلَ ذلك مَوْجُودًا، سيدُنا عيسى عليهِ السلامُ تواترَ أنَّهُ كان بعيدًا من التنعمِ إلى حدٍّ كبيرٍ، عُرِفَ بأنَّهُ كانَ يأكلُ الشجرَ ويلبسُ الشعرَ ولم يتخِذْ مسْكنًا بل كان يبيتُ حيثُ يدركُه المسَاءُ إما في مسجدٍ أو في مكانٍ غيرِ ذلكَ، الزهدُ في الدنيا هذه شيمَةُ الصوفيةِ المتحققينَ لأنَّ الأنبياءَ كانوا هكذا، التنعمُ حلالٌ إن كانَ بالمالِ الحَلَالِ ليس حرامًا، لكنْ تركُه أفضل.

هَكَذَا كانَ الأنبياءُ ثم تَبِعَهُمُ الأولياءُ على ذلكَ، ثُمَّ ثبتَ عن عمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ أنهُ قالَ: «اخْشَوْشِنُوا وتَمَعْدَدُوا». معنى «اخشوْشنوا» الزَمُوا خشُونةَ العيشِ أي لا تَتَنعَّموا، هذا معنى اخشَوْشِنُوا، وأما قوله «وتمعددوا» فهو التشبهُ بمعَدِّ بنِ عدنانَ أحدِ أجْدادِ الرسولِ، كانَ من أجدادِ رسولِ اللهِ الذين كانوا على الإسلامِ وكان ذا شهامةٍ وملازَمَةٍ لخشونةِ العيشِ.

وسبحانَ الله والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ عَلَى سيّدِنَا مُحَمَّدٍ الأمينِ، وءالِهِ وأصحابِهِ الطَّيِّبِينَ».

العَقْلُ شَاهِدُ الشَّرْعِ:

قَالَ الإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ لهُ النعمةُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحسنُ صلواتُ اللهِ البرِّ الرَّحيمِ والملائكةِ المقربينَ على نبيِّنا محمدٍ أشرفِ المرسلينَ وعلى ءالهِ الطيبينَ الطاهرينَ.

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ قَالَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**من أرادَ بُحبوحةَ الجنةِ فليلزمِ الجماعةَ**». المعنى أن الذي يُريدُ أن يدخلَ الجنةَ وينجوَ من عذابِ اللهِ فليلزمْ جمهورَ الأمةِ

أي عقيدتَهم، عقيدةَ جمهورِ الأمةِ السوادِ الأعظمِ، لأنَّ اللهَ تعالى أكرمَ سيدَنا محمدًا بأن حَفِظَ أُمَّتَهُ عن أن يضِلَّ جمهورُهم أي أن يخرجوا من الإسلامِ، اللهُ تعالى وعدَ نبيَّنا محمدًا أن يحفظَ عقيدةَ الإسلامِ على جمهورِ أمتِهِ أي معظمِهم، معنى ذلك أنَّ بعضَهم قد يكفرُ، بعضُ الأمةِ قد يكفرونَ، أما الجمهورُ لا يكفرونَ، إلى وقتنَا هذا على هَذِه الحالِ بقيَتِ الأمةُ ولا يزالونَ فيما بعدُ على هذا، عقيدةُ الإسلامِ محفوظةٌ للجمهورِ أي للمعظَّمِ، أما الشراذمُ التي تخالفُ الجمهورَ فهذه هالكةٌ، أصحابُ رسولِ اللهِ كانوا على عقيدةٍ واحدةٍ وهي أنَّ اللهَ موجودٌ بلا مكانٍ بلا جهةٍ من غيرِ أن يتحيزَ في جهةٍ من الجهاتِ، ومن غيرِ أن يكونَ حَالًّا في جميعِ الجهاتِ، هو موجودٌ بلا جهةٍ وبلا مَكَانٍ كان في الأزلِ موجودًا ليسَ لوجودهِ بدايةٌ، كان اللهُ موجودًا قبلَ المكانِ والزمانِ.

الْمَكَانُ مخلوقٌ لم يكن ثم أوجدَهُ اللهُ، والزمانُ كذلك، فالذي يكونُ قبلَ الزمانِ والمكانِ موجودًا بلا ابتداءٍ لا يتطورُ ولا يتغيرُ ولا يتحولُ من حالٍ إلى حالٍ، أما المخلوقُ يتحولُ من حالٍ إلى حالٍ، حتى النورُ والظلامُ يتحولُ من حالٍ إلى حالٍ، الآنَ أرضٌ من الدنيا عليها ظلامٌ كهذه الأرضِ وقسمٌ من الدنيا عليه نورٌ تقلَّصَ عنه الظلامُ فتسلَّطَ عليه الضوءُ، وهكذا الضوءُ يتنقلُ والظلامُ يتنقلُ.

وَكُلٌّ لهُ كميةٌ عندَ اللهِ تعالى، النورُ له مساحةٌ يتسلطُ عليها والظلامُ كذلك، وكلٌ منهما يتحولُ من حالٍ إلى حالٍ، والشمسُ كما تعلمونَ عندَ الغروبِ يكونُ لونُها حمراءَ أحمرَ وعند طلوعِها كذلكَ هي حمراءُ، وفي غيرِ ذلكَ بيضاءُ.

فَخَالقُ العالمِ لا يتغيرُ، لأنه لو كان يتغيرُ لكانَ مخلوقًا مثلَها يحتاجُ إلى مَن أوجدَهُ، أخرجَهُ من العدمِ ثم ينقلُه من حالٍ إلى حالٍ.

الْمَلائكةُ في أصلِ خلقِهم جسمٌ لطيفٌ، يستطيعونَ أن يدخلوا إلى صدرِ الإنسانِ ولا يُحِسُّ بهم، لذلك ملَكُ الرحمِ بأمرِ اللهِ تعالى يشتغلُ في رحمِ النساءِ، ملائكةٌ موكلونَ

بأرحامِ النساءِ، هم يُصوِّرونَ الجنينَ بهذه التخاطِيطِ، على حسبِ ما يُلْهِمُهُم اللهُ تعالى يُخططونَ جسدَ الإنسانِ في رحمِ الأمِّ، ثم يأتي الملكُ بالروحِ بعد تطورِهِ من النطفةِ إلى العلقةِ ومن العلقةِ إلى المضغةِ، في هذا الدورِ، دورِ المضْغةِ ينفخُ فيه الروحَ، يتحولُ المنيُّ إلى دمٍ جامدٍ كهيئةِ دمٍ جامدٍ ثم هذا الدمُ الجامدُ يتحولُ إلى قطعةِ لحمٍ، اللهُ تعالى يُحوِّلُهُ، ثم يكسُوهُ عظمًا، أولُ ما يُخلَقُ من عظامِ الإنسانِ عظمٌ صغيرٌ في ءاخرِ الظهرِ عليهِ يُرَكَّبُ الإنسانُ في الدنيا ويومَ القيامةِ، لمَّا يُعيدُ اللهُ الجسدَ الذي أكلَهُ الترابُ يُنبَتُ الجسدُ والعظمُ على هذه القطعةِ الصغيرةِ التي تكونُ قدرَ خردلةٍ.

هذه تبقى، لو أُحْرِقَ الإنسانُ في النارِ هذه لا تفنى، اللهُ تعالى يحفظُها من الفناءِ، أما ما سواها فيفنى.

ليسَ كلُّ موجودٍ يتصورهُ قلبُ الإنسانِ، في المخلوقاتِ التي خلقَها اللهُ يُوجدُ ما لا يستطيعُ الإنسانُ أنْ يتصورَهُ وهو أنَّ النورَ والظلامَ لم يكونا في وقتٍ، النورُ تستطيعُ أن تتخيلَهُ بقلبِكَ وحدَهُ والظلامُ كذلكَ، أما وجودُ وقتٍ ليسَ فيه نورٌ ولا ظلامٌ لا تستطيعُ، فكيفَ اللهُ، كيفَ يُستطاعُ أن تتصورَهُ وهو لا يُشْبِهُ العالمَ اللطيفَ ولا العالمَ الكثيفَ.

الذِينَ تصوَّرُوهُ جسمًا فوقَ العرشِ بقدرِ العرشِ هؤلاءِ كفارٌ، لأنهم جعلوهُ مثلَ خلقِهِ، جعلوهُ موازيًا للعرشِ الذي هو مخلوقٌ، لم يكن العرشُ في الأزلِ، اللهُ كانَ وحدَهُ لم يكن معَهُ شيءٌ، لا عرشٌ ولا سماءٌ ولا أرضٌ ولا جهةُ فوقٍ ولا جهةُ تحتٍ ولا جهةُ يمينٍ ولا جهةُ يسارٍ ولا جهةُ خلفٍ ولا جهةُ أمامٍ، كان موجودًا بدونِ هذه الأشياءِ ثم خلقَ هذه الأشياءَ، ثم هو لم يتغيرْ عمّا كانَ عليه، لم يتخِذْ مكانًا، وهذا العرشُ خلقَهُ لإظهارِ قدرتهِ لأنه يوجدُ ملائكةٌ لا يَعلمُ عددَهم إلا اللهُ، محيطونَ بالعرشِ، يدورونَ حولَ العرشِ يسبحونَ اللهَ بحمدِه، هؤلاءِ لما يرَوْنَ هذا الجرمَ الكبيرَ الذي لا يَعلمُ حدَّهُ إلا اللهُ يزدادونَ يقينًا بكمالِ قدرةِ اللهِ، لهذا خلقَهُ ليسَ ليجلسَ عليه، الجلوسُ من صفةِ الخلقِ، الإنسانُ

يجلسُ والكلبُ يجلسُ والبقرُ يجلسُ فاللهُ تباركَ وتعالى لا يجوزُ عليه أن يكونَ كشيءٍ من خلقِه، هكذا تكونُ معرفةُ اللهِ، ليسَ معرفةُ اللهِ بأن يُعتَقَدَ أنه جسمٌ فوقَ العرشِ بقدرِ العرشِ، لا يوجدُ شيءٌ له حياةٌ مستقرٌ فوقَ العرشِ، يوجدُ كتابٌ فوقَ العرشِ كَتَبَ اللهُ فيهِ «إنَّ رحمتي سبقَتْ غَضَبِي».

هؤلاءِ الذينَ يقولونَ: فوقَ العرشِ لا مكانَ، اللهُ تعالى هناكَ حيثُ لا مكان، قولوا لهم كذبتم، يوجدُ فوقَ العرشِ مكانٌ، اللهُ تعالى وضعَ ذلكَ الكتابَ فوقَ العرشِ، أما أنتم تتصورونَ جسمًا فوقَ العرشِ عظيمًا واسعًا مساحتُهُ بقدرِ العرشِ وهذا وهمٌ لا وجودَ لهُ، هكذا قولوا لهم، فمن اعتقدَ أنَّ اللهَ موجودٌ بلا مكانٍ بلا جهةٍ من غيرِ أن يكونَ حجمًا لطيفًا كالملائكةِ والنورِ ومن غيرِ أن يكونَ حجمًا كثيفًا كالإنسانِ وأنه هو الذي يستحقُّ أن يُعبدَ، فهذا عرفَ اللهَ، فإذا اعتقدَ رسالةَ سيدِنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو مسلمٌ ما دامَ على هذا الاعتقادِ، لكن يبقى شيءٌ لاستمرارِ إسلامِه وهو أن يحفظَ لسانَهُ من سبِّ اللهِ في حالِ غضبٍ أو في حالِ مزحٍ أو في غيرِ ذلكَ، وإلا خرجَ من الإسلامِ. لا ينفعُه اعتقادُه بقلبِه أنَّ اللهَ موجودٌ وأنَّ الرسولَ عليه السلامُ نبيُّ اللهِ وتصديقُهُ بالجنةِ والنارِ، كلُّ ذلك لا ينفعُهُ إذا وقعَ في الكفرِ بسبِّ اللهِ أو بسبِّ رسولِ اللهِ أو بسبِّ الملائكةِ أو بسبِّ نبيٍّ من الأنبياءِ عيسى أو موسى أو ءادمَ أو سليمانَ أو غيرِهم من الأنبياءِ.

سيدُنا سليمانُ عليه السلامُ يقولُ عنه الكفارُ إنَّه كان مَلِكًا من الملوكِ وكانَ يعملُ بالسحرِ، وهذا افتراءٌ عليهِ، إنما الشياطينُ كانوا مُغتاظينَ منه لأنَّ اللهَ أعطاهُ سِرًّا فكانتِ الشياطينُ تُطِيعُهُ مع كفرِهم، من غيرِ أن يؤمنوا كانوا يخدِمُونَهُ، يعملونَ له أعمالًا شاقةً، الذي يُخالفُ، اللهُ تعالى يُنزِّلُ بهِ عذابًا في الدنيا لذلك كانوا مقهورينَ لَهُ، لما ماتَ كتبوا السحرَ ودفنوهُ تحت كُرسِيِّهِ، ثم قالوا للناسِ ظَهَرَ بعْضُهم أو عددٌ منهم فقالوا: هل تدرونَ بم كان يَحْكُمُكُم سليمانُ؟ كان يحكُمُكُم بالسحرِ، احفروا تحتَ كرسيهِ، فحفروا فوجدوا

هذا الكتَابَ، فصدَّقوا أن هذا الكتابَ لسليمانَ وَضعَ فيه السحرَ، فكفروا، الذين صدَّقوا الشياطينَ كفروا، لأن السحرَ ليسَ من عملِ الأنبياءِ ولا الأولياءِ، الأنبياءُ لهم معجزاتٌ، أمورٌ خارقةٌ للعادةِ لا يستطيعُ مَنْ يُكذِّبُهم أن يفعلَ مثلَها.

عيسى عليه السلامُ كان أحيا موتى بعدَ أن دُفِنوا، وكان يُبْرِئُ الإنسانَ الذي وُلِدَ أعمى من دونِ إجراءِ عمليةٍ يُفتحُ بصرُهُ.

اليهودُ الذين كذَّبوهُ هل يستطيعونَ أن يفعلوا مثلَ ذلك؟ لا يستطيعونَ، وهكذا نبيُّنا محمدٌ، اللهُ تعالى أعطاهُ معجزاتٍ لم يستطِعِ الكفارُ أن يتحَدَّوْهُ.

المهمُّ هو حفظُ الإيمانِ، بأن يحفظَ لسانَهُ الشخصُ من النطقِ بأيِّ شىءٍ فيه استخفافٌ باللهِ أو بدينِه أو بأنبيائِه أو بملائكتِه أو بجنتهِ أو بنارِه أي بجهنمَ. الذي يستخفُّ بجهنم فيقولُ: «أيشٍ فيها»، «نتدفأُ بها» هذا كفرَ. بعضُ السفهاءِ يقولونَ: نتدفأُ بها، هؤلاءِ كفروا، خرجوا من الإسلامِ، ولو كانوا في قلوبِهم يعتقدونَ عقيدةَ الإسلامِ.

وسبحان الله والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمدٍ الأمينِ، وعلى ءالِه وأصحابِه الطيبينَ».

التَّقوى والاجتِهادُ:

قَالَ الإمَامُ الهرَرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ : «الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ لَهُ الفَضلُ ولَهُ الثَّناءُ الحسَنُ وصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنا محمّدٍ وعلى ءالِهِ وصَحبِهِ الطّاهِرينَ.

أَمّا بَعدُ فَإِنَّ اللهَ سُبحانَهُ وتَعالى قالَ في كِتابِهِ العَزيزِ: ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ٢٨٢**﴾ [سورة البقرة]. هذِهِ الآيةُ يَذهَبُ بَعضُ النَّاسِ في فَهمِها إلى غَيرِ ما أُريدَ بها. فَيَجِبُ مَعرِفَةُ المعنى المرادِ لِيُحْذَرَ ذَلِكَ المعنى الّذي هُو غَيرُ مُرادٍ عِندَ أَهلِ المعرِفَةِ، فَمَعناها الصَّحيحُ الحقيقيُّ الأَمرُ للعِبادِ بِأَنْ يَتَّقوا رَبَّهُم.

ومَعنى «[تَقْوَى] اللهِ تَعالى» لَيسَ مجرَّدَ القِيامِ بِصورَةِ الصَّلاةِ وصورَةِ الصِّيامِ والزَّكاةِ والحَجِّ وكَثرَةِ التَّرَدُّدِ إلى المساجِدِ وكَثرَةِ التِّلاوَةِ للقُرْءانِ، إنما التَّقوى عِبارَةٌ عَن أَمرٍ عَظيمٍ شاقٍّ على النُّفوسِ، فَهِيَ وإِن كانَت كَلِمَةً مُوجَزَةً خَفيفَةً على اللِّسانِ لَكِنَّها ثَقِيلَةٌ في المعنى، وذَلِكَ لأَنها تَشْمَلُ أَداءَ ما افتَرَضَ اللهُ على عِبادِهِ كُلِّهِ واجتِنابَ ما حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِم كُلِّهِ. فَالأَمرُ الّذي افتَرَضَهُ اللهُ على العِبادِ مِنهُ أَعمالٌ قَلبِيَّةٌ ومِنهُ أَعمالٌ بَدَنِيَّةٌ ومِنهُ عِلْمٌ ومِنهُ عَمَلٌ؛ لَيسَتِ التَّقوى مجرَّدَ القِيامِ بِصُوَرِ الأَعمالِ مِن صَلاةٍ وصِيامٍ ومُلازَمَةِ مَسجِدٍ وحَجٍّ وإِكثارِ الصَّدَقاتِ، بَل التَّقوى مَدارُها على أَمْرَيْنِ عَظِيمَيْنِ، أَحدُهما أَن يُؤَدِيَ العَبدُ ما افتَرَضَ اللهُ عَلَيهِ مِن أَعمالِ القَلبِ وأَعمالِ البَدَنِ. فَأَمّا أَعمالُ القَلبِ فَهِيَ مَعرِفَةُ اللهِ تَبارَكَ وتَعالى ومَعرِفَةُ رَسولِهِ، أَي الإِيمانُ بهما إِيمانًا جازِمًا بِلا تَرَدُّدٍ ولا تَشَكُّكٍ، وكَذَلِكَ العِلمُ بما بَعدَ ذَلِكَ مِن أُصولِ العَقيدَةِ كالإِيمانِ بملائِكَةِ اللهِ والإِيمانِ بِرُسُلِهِ والإِيمانِ بِاليَومِ الآخِرِ أَنّهُ لا بُدَّ مِنهُ بِأَن يُحشَرَ النَّاسُ بِأَجسادِهِم وأَرواحِهِم بَعدَ إِعادَةِ الأَجسادِ الّتي بَلِيَت، أَي أَكَلَها التُّرابُ لَيسَ مجرَّدَ عَودِ الرُّوحِ، فالمعادُ الرّوحانيُّ لا يَكفي اعْتِقادُهُ، بَل لا بُدَّ مِن اعتِقادِ المعادِ الجِسماني والمعادِ الرّوحاني، أَمّا الجِسمُ فَإِنّهُ يُعادُ بَعدَ أَن انعَدَمَ.

اللهُ تَبارَكَ وتَعالى الّذي بَدَأَهُ قادِرٌ على أَن يُعيدَهُ بَعدَ الفَناءِ، وأَمّا إِعادَةُ الرُّوحِ فَالرُّوحُ مُنذُ انفَصَلَت مِنَ الجَسَدِ بِالموتِ لم تَزَل مَوجودَةً، هِيَ باقِيَةٌ خُلِقَت للبَقاءِ، إنما الفَناءُ الّذي يُصيبُ الإِنسانَ هُو مُفارَقَةُ الرُّوحِ الجَسَدَ، هذا الّذي لا بُدَّ مِنهُ لِكُلِّ إِنسانٍ، الأَنبياءُ والشُّهَداءُ وغَيرُهُم، أَمّا في ما بَعدَ ذَلِكَ فَالرُّوحُ لا تَزالُ باقِيةً، اللهُ تَعالى خَلَقَها للبَقاءِ فأَمّا الأَجسادُ فَقِسمانِ:

قِسْمٌ خَلقَها اللهُ تعَالى للبِلى أَي يَتَسَلَّطُ عَلَيها التُّرابُ فَتَنعَدِمُ، وقِسمٌ مِنها خَلَقَها الله للبَقاءِ كأَجسامِ الأَنبياءِ والشُّهداءِ الّذينَ ماتوا في قِتالِ الكُفّارِ ومَن أَرادَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى لهم ذَلِكَ مِن أَولِيائِهِ وخَاصَّةِ خَلقِهِ.

وأَصلُ الأُمورِ الواجِبَةِ العِلمِيَّةِ أَي الأَصلُ الّذي لا بُدَّ مِنهُ لِصِحَّةِ الإِسلامِ والإِيمانِ هُو مَعرِفَةُ اللهِ ورَسولِهِ، هذا أَساسُ الدِّينِ الّذي لا يَكونُ الإِنسانُ مُؤمِنًا ولا مُسلِمًا بِدونِ ذَلِكَ، فَمَن حَصَلَت لَهُ هذِهِ المعرِفَةُ جازِمًا بها مِن غَيرِ تَرَدُّدٍ ولا تَشَكُّكٍ فَهُو مُسلِمٌ مُؤمِنٌ لكنَّهُ لا يَكونُ مُسلِمًا كامِلًا إِلَّا بَأَداءِ جميعِ ما افتَرَضَ اللهُ عَلَيهِ واجتِنابِ جميعِ ما حَرَّمَهُ عَلَيهِ. قالَ بَعضُ العُلَماءِ: «العِلمُ أَوَّلًا ثمَّ العَمَلُ» وذَلِكَ لأَنَّ العِلمَ يَشمَلُ العِلمَ بِاللهِ أَي مَعرِفَةَ اللهِ، والعِلمَ بِرَسولِهِ أَي مَعرِفَةَ رَسولِهِ، لِذَلِكَ قالوا: العِلمُ قَبْلَ العَمَلِ، لأَنَّ الْعَمَلَ لا يَصِحُّ بِدُونِ عِلمٍ. لِذَلِكَ قالَ اللهُ تبارَك وتَعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٩﴾ [سورة محمد] **الآية.**

قَدَّم ذِكرَ العِلمِ، والعِلمُ هُنا شامِلٌ للعِلمِ بِأُصولِ العَقيدَةِ، وأَصْلُ العَقِيدَةِ هُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، ويَقْتَرِنُ بِذَلِكَ مَعْرِفَةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ومِن جملَةِ ما افتَرَضَ اللهُ على عِبَادِهِ، تَعَلُّمُ هذا العِلمِ الّذي فَرَضَهُ اللهُ على العِبادِ، وهُو عِلْمُ أُصُولِ الدِّينِ، وعِلْمُ الأَحكامِ كمَعرِفَةِ أَحكامِ الصَّلاةِ لأَدائِها على الوَجهِ الصَّحيحِ الموافِقِ لما أَمَرَ اللهُ بِهِ، وسائِرِ الأَعمالِ الّتي لا يَستَغني عَنها المسلِمُ لكونِها فَرضًا عَينِيًّا على كُلِّ مُكَلَّفٍ. فَمَن تَعَلَّمَ أُصولَ العَقيدَةِ، وتَعَلَّمَ عِلمَ الدِّينِ الضَّرورِيَّ المتَعَلقَ بالعَمَلِيّاتِ، بِالعِباداتِ العَمَلِيَّةِ، كَأَمْرِ الصَّلاةِ؛ واجباتِها ومُبْطِلاتِها، وأَحكامِ الصِّيامِ؛ واجِباتِهِ ومُبطلاتِهِ، فَهذا قَد قامَ بِبَعضِ ما افتَرَضَ اللهُ عَلَيهِ.

فَمَعنى قَولِهِ تَعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ٢٨٢﴾ [سورة البقرة] أَدُّوا ما افتَرَضتُ عَلَيكُم مِن عِلمٍ وعَمَلٍ وتجنَّبوا ما حَرَّمتُ عَلَيكُم مِن أَعمالِ القُلوبِ وأَعمالِ البَدَنِ.

فَمَن فَعَلَ ذَلِكَ يُكرِمُهُ اللهُ تَبارَك وتَعالى بِالعِلمِ الّذي هُو العِلْمُ اللَّدُنِّيُّ. فَالعَبدُ المؤمِنُ إِذا تَعَلَّمَ ما افتَرَضَ اللهُ عَلَيهِ مِنَ العِلمِ الضَّرورِيِّ في دِينِ الله وعَمِلَ وصَدَقَ في عَمَلِهِ، عَمِلَ بِإِخلاصٍ كَما أَمَرَهُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى عِندَئذٍ يَكونُ أَهلًا للعِلمِ اللَّدُنِّيِّ، وهُو العِلْمُ الّذي يُفاضُ على القَلبِ، على قَلبِ العَبدِ المؤمِنِ التَّقِيِّ، أَمّا مِن دونِ ذَلِكَ، أَي مِن دونِ أَداءِ

جميعِ ما افترَضَ اللهُ عَلَيهِ بما فيهِ مِن عِلمِ الدِّينِ الضَّروريِّ فَلَيسَ للعَبدِ حَظٌّ في هذا العِلْمِ اللَّدُنِّيِّ.

كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ يَعيشونَ في غُرورٍ، لا يَتَعَلَّمونَ العِلمَ الضَّروريَّ مِن عِلمِ الدِّينِ لَكِنَّهُم يَقومونَ بِصُوَرِ الصَّلاةِ والصِّيامِ والزَّكاةِ والحجِّ ويَتَرَدَّدونَ إلى المساجِدِ ويُكثِرونَ مِنَ الصَّدَقاتِ ويَظُنّونَ مَع جَهلِهِم بِعلمِ الدِّين الضَّرُوريِّ، يَظُنّونَ بِأَنفُسِهِم أَنهم صاروا أَهلًا لِلعِلمِ اللَّدُنِّيِّ بِلا تَعَلُّمٍ، وأَنَّ العِلمَ اللَّدُنِّيَّ يَأتي بِلا تَعَلُّمٍ، هَؤلاءِ يَظُنّونَ بِأَنفُسِهِم أَنهم صاروا أَهْلًا لِذَلِكَ العِلمِ، يَقولونَ نحنُ نُلازِمُ الصَّلواتِ والصِّيامَ والزَّكاةَ ونَتَصَدَّقُ ونُكْثِرُ القِرَاءَةَ والذِّكْرَ وقَد انتَسَبنا إلى الطَّرِيقَةِ الفُلَانِيَّةِ فَنَحْنُ صِرْنَا أَهلًا للعِلمِ اللَّدُنِّيِّ، فَيَزعُمونَ لأَنفُسِهِم أَنهم صاروا أَهْلًا للمُكَاشَفاتِ بأَسْرَارٍ خَفِيَّةٍ يُطْلِعُ اللهُ عَلَيْهَا أَولياءَهُ، فَهَؤلاءِ في غُرُورٍ يُؤَدِّي بهم إلى الهَلَاكِ العَظِيمِ.

ظَنُّوا أَنَّ تَقوى اللهِ هِيَ عِبارَةٌ عَن القِيامِ بِصورَ الصَّلاةِ والصِّيامِ والحجِّ والزَّكاةِ والإِكثارِ مِن الصَّدَقاتِ والتَّرَدُّدِ إلى المساجِدِ، يَظُنّونَ أَنَّ هذِهِ هِيَ تَقوى اللهِ، فَهيهاتَ هَيْهَاتَ أَن يَكونَ هذا ميزانُ التَّقوى، لِذَلِكَ كَثيرٌ ممَّن يَنتسبونَ إلى بَعضِ الطُّرُقِ يَظُنّونَ أَنفُسَهُم صاروا أَهلًا لِذَلِكَ، فَيعتَمِدونَ على أَوهامِهِم وخواطِرِهِم، مَع أَنَّ الأَولياءَ الصّادِقينَ الكامِلينَ الّذينَ سَلَكوا هذا المنهجَ وهو أَداءُ الْوَاجِبَاتِ جَمِيعِهَا وَاجْتِنَابُ المحَرَّمَاتِ كُلِّهَا بما في الواجِباتِ مِن تَعَلُّمِ العِلمِ الدِّينيِّ الّذي لا يَسْتَغني عَنهُ مُكَلَّفٌ، مَع ذَلِكَ كُلِّهِ لا يَعْتَمِدُونَ على خَوَاطِرِهِمْ، بَل يَرُدُّون خواطِرَهم ويَزِنونها بميزانِ الكِتابِ والسُنَّةِ، أَي بميزَانِ القُرْءَانِ والحديثِ، فَإِن وافَقَت خَوَاطِرُهم ذَلِكَ أَي الكِتابَ والسُنَّةَ فَرِحُوا بها، وإِن خالَفَت رَدُّوهَا.

هذا الإِمامُ الجُنَيْدُ أَبو الْقَاسِمِ البَغداديُّ سَيِّدُ الطّائِفَةِ الصّوفِيَّةِ جَاءَ عَنهُ أَنّهُ قالَ: «ربما تخطُرُ لي النُّكْتَةُ مِن نُكَتِ القَوْمِ»، أَي يَرِدُ عليَّ وارِدٌ مِن الوارِداتِ الّتي تَرِدُ للأَولياءِ، «فلا أَقبَلُها إِلَّا بِشاهِدَيْ عَدلٍ مِنَ الكِتابِ والسُنَّةِ»، أَي أَرجِعُ إلى الكِتابِ والسُنَّةِ، فَإِن

وافَقَ هذا الوارِدُ الكِتابَ والسُنَّةَ أَخَذتُ بِهِ، وإِلّا فَلا ءاخُذُ بِهِ ومَع ذَلِكَ فَقَد قالَ عُلَماءُ الأُصولِ: «إِلهامُ وَلِيّ لَيسَ بِحُجَّةٍ» أَي أَنَّ الحجَّةَ الكِتابُ والسُنَّةُ، فَالمجتَهِدُ إِذا عَرَفَ أَنَّ مَسئَلَةً مِنَ المسائِلِ الّتي تحدُثُ لَهُ، أَو تحدُثُ لِغَيرِهِ غَيْرُ مَنصوصٍ عَلَيها يَستَخرِجُ لها الحُكمَ مِنَ القُرءانِ والحَديثِ على حَسَبِ اجتِهادِهِ وفَهمِهِ الّذي ءاتاهُ اللهُ، فَلَهُ أَن يَعمَلَ لِنَفسِهِ باجتِهادِهِ وأَن يُفتيَ لِغَيرِهِ باجتِهادِهِ. هذا في حَقِّ المجتَهِدِ، وأَمّا مَن كانَ دونَ المجتَهِدِ فَليسَ لَهُ ذَلِكَ، أَي لَيسَ لَهُ أَن يُحاوِلَ استِخراجَ أَحكامِ الحادِثاتِ الّتي تحدُثُ لَهُ في خاصَّةِ نَفسِهِ أَو تحدُثُ لِغَيرِهِ فيُستفتَى عَنها، أَن يُفتيَ نَفسَهُ أَو غَيرَهُ ويَكتَفي بِذَلِكَ، لا يجوزُ، لأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم بَيَّنَ لَنا أَنَّ الّذين يَسمَعونَ القُرءانَ أَو الحديثَ قِسمانِ: قِسمٌ يَروونَ اللَّفظَ، حَظُّهُم أَن يَرووا اللَّفظَ وهُم أَكثَرُ المسلمينَ.

وقِسمٌ لهم حَظٌّ فَوقَ ذَلِكَ، وهُوَ أَنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى أَعطاهُم قُوَّةَ ذِهنٍ بحيثُ يَقْتَدِرونَ على إِخراجِ مَسائِلَ مِنَ القُرءانِ والحديثِ لَيسَت مَنصوصَةً إِنما القُرءانُ يَدُلُّ عَلَيها مِن طَريقِ الْإِشَارَةِ وَالتَّنْبِيهِ، أَو الحديثُ يَدُلُّ عَلَيها مِن طَريقِ الْإِشَارَةِ وَالتَّنْبِيهِ.

فَالحاصِلُ أَنّهُ لا يجوزُ الاعتمادُ على الخاطِرِ بحيثُ يُتَّخَذُ دليلًا شَرعِيًا بَل المرجِعُ في ذَلِكَ بِالنِّسبَةِ للأَحكامِ الرُّجوعُ إِلى المجتَهِدينَ لِمن لم يَكُن مجتَهِدًا.

وأَمّا مَن رَزَقَهُ اللهُ مَرتَبَةَ الاجتِهادِ فَهُو غَنِيٌّ عَن تَقليدِ المجتَهِدينَ، لَكِن الّذي يَرزُقُهُ اللهُ الاجتِهادَ لا يخرُجُ عَمّا أَجمَعَ عَلَيهِ الأَئِمّةُ الّذين مَضَوْا قَبلَهُ، لا يخرُجُ عَن مجموعِ أَقاويلِهِم إِنما غايَةُ ما يَصِلُ إِلَيهِ أَنّهُ يَرى أَنَّ قَولَ المجتَهِدِ الفُلاني أَقوى مِن قَوْلِ الآخَرينَ بِالنَّظَرِ إِلى وُجوهِ الدِّلالَةِ مِنَ الآياتِ والأَحاديثِ ولَه أَيضًا أَمرٌ ثانٍ، وهُوَ أَنَّهُ يَستَخرِجُ في الحادِثاتِ الّتي لم يَتَكَلَّم عَلَيها الأَئِمَّةُ الماضونَ، أَي لم يُفتوا فيها لا في مُؤلَّفاتهم ولا مُشافَهَةً لِغَيرِهِم، فَهذا الّذي رُزِقَ الاجتِهادَ بَعدَ أُولَئِكَ الأَئِمَّةِ يَستَخرِجُ لهذِهِ الْحادِثاتِ التي تحدُثُ لَهُ أَو لِغَيرِهِ، ممّا لم يَسبِق لِلمُجتَهِدينَ الماضينَ الكلامُ فيها، فَيستَخْرِجُ لها أَحْكامًا مِنَ الكِتابِ

والسُنَّةِ، فَهؤلاءِ لا نَقولُ إنهم مَعدومونَ بَعدَ المائةِ الرّابِعَةِ كَما يَقولُ بَعضُ العُلَماءِ، بَل نَقُولُ كَما قَالَ بَعضُ الأُصولِيّينَ: «لا تخلو الأَرضُ مِن قائِمٍ للهِ تَعالى بحجَّةٍ» أَي لا تخلو الأَرْضُ ممّن أُعطِيَ هذِهِ المرتَبَةَ، مَرتَبَةَ الاجتِهادِ، لَكِن لَيسَ شَرطًا أَن يُعلِنَ عَن نَفسِهِ للنّاسِ، ذَلِكَ لَيْسَ شَرطًا، بَل كَثيرٌ مِنهُم يَأتي اجتهادُهم موافِقًا لاجتِهادِ الشّافِعي، أَو اجتِهادِ مالِكٍ أَو غَيرِهما، فَلا يُعلِنُ عَن نَفسِهِ لأَنَّ اجتِهادَهُ في الغالِبِ لا يخرُجُ عَن اجتِهادِ الشّافِعيّ أَو اجتِهادِ مالِكٍ أَو اجتِهادِ إمامٍ ءاخَرَ، فيرى في نَفسِهِ أَنَّ النّاسَ بِغِنى عَنهُ لأَخذِهِم بمذاهِبِ الأَئِمّةِ المتبوعينَ كهذا الإمامِ الشَّافِعيّ والإِمامِ مالِكٍ وغيرِهما.

فإِذا قالَ لَكُم قائِلٌ: هذا اجتِهادي، وهُو لَيسَ بِأَهلٍ للاجتِهادِ فاعلَموا أَنّهُ مَفتونٌ، يُهلِكُ نَفسَهُ ويُهلِكُ غَيرَهُ، الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ قالَ: «رُبَّ حامِلِ فِقهٍ إِلى مَنْ هُوَ أَفقَهُ مِنهُ ورُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقيهٍ» رَواهُ التِّرمِذيُّ وابنُ حِبّانٍ. المعنى أَنَّ مِنكُم مَن يَسمَعُ مني فَقَط ولا يَستَطيعُ أَن يَستَخرجَ الأَحكامَ ممّا يَسمَعُهُ مِنّي، وقَد يَكونُ هذا الّذي يَسمَعُ مِني الحديثَ أَو القُرءانَ حَظُّهُ أَن يُبَلّغَ غَيرَهُ، وذَلِكَ الغَيْرُ يَكونُ أَقوى مِنهُ قَلْبًا، أَقوى مِنْهُ ذَكاءً، فَيَسْتَطيعُ أَن يَستَخرجَ الأَحكامَ.

بَعضُ الصَّحابَةِ كانَ حَظُّهُم أَن يَرووا الحديثَ للنَّاسِ لِمن لم يَرَ الرَّسولَ، يَرووهُ كَما سمِعوهُ، هذا كانَ حَظَّهُم، أَمّا أَن يجتَهِدوا فيستَخرِجوا الأَحكامَ ممّا يَسمعونَهُ مِنَ الرَّسولِ فَلا، لَيَس لهم اقتِدارٌ على ذَلِكَ. ثمَّ أُولَئِكَ الّذينَ يُبَلّغونهم هؤلاءِ الصَّحابَةُ الّذينَ هُم لَيسَ لهم اقتِدارٌ على الاجتِهادِ، مِنهُم مَن أُعطِيَ تِلكَ المقدِرَةَ على استِخراجِ الأَحكامِ مِنَ القُرءانِ والأَحاديثِ، هذا معنى قَولِ الرَّسولِ: «فرُبَّ حامِلِ فِقهٍ ليس بفقيه ورُبَّ حامِلِ فِقهٍ إِلى مَن هُو أَفقَهُ مِنهُ» فَعَلِمنا مِن هذا الحديثِ أَنَّ مِنَ الصَّحابَةِ مَن لَيسوا مُقْتَدِرينَ على الاجتِهادِ، إنما حَظُّهُم أَن يُبَلِّغوا الحديثَ إِلى غَيرِهِم كما سمِعوهُ. إِذا كانَ هذا في الصَّحابَةِ فما ظَنُّكُم بِأَهلِ عَصرِنا هذا؟ كَيفَ يَدَّعي أَحَدُهُم لِنَفسِهِ أَنّهُ يجتَهِدُ

فَيَقولَ: أُولَئِكَ رِجالٌ ونحنُ رِجالٌ كَما اجتَهدوا نجتَهِدُ. أَلَيسَ هذا غُرورًا ظاهِرًا؟ فَلو كانَ مَعرِفَةُ الحديثِ، الاطلاعَ على الحديثِ والآياتِ القُرءانيَّةِ لو كانَ مجرَّدُ ذَلِكَ كافِيًا للاجتِهادِ ما قالَ الرَّسولُ هذا. «**رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**»: أَي لا يَقدِرُ أَن يجتَهِدَ فَيستَخرِجَ الأَحكامَ، إِنما حَظُّهُ أَنّهُ يَروي ما سَمِعَ، لأَنَّ القَرائِحَ تختَلِفُ، قَريحَةٌ أَقوى مِن قَريحَةٍ، وهَكَذا النَّاسُ مَراتِبُ، مَراتِبُ في الفَهمِ والذَّكاءِ والحِفظِ، فَلو طالَعَ هذا الّذي لم يُؤتَ تِلكَ القَريحَةَ القَوِيَّةَ، لو طالَعَ كُلَّ ما أُلِّفَ في الدُّنيا مِن كُتُبِ عِلمِ الشَّريعَةِ لا يَصِلُ إِلى تِلكَ المرتَبَةِ، مَهما حاوَلَ لأَنَّ قَلبَهُ لَيسَ لَهُ استِعدادٌ لِذَلِكَ. فَمِن أَينَ يَصِلُ؟ نحنُ إِذا إِنسانٌ رُزِقَ تِلكَ المرتَبَةَ لا نُكَذِّبُهُ. لا نَقولُ: لا يَأتي بَعدَ القَرنِ الرابِعِ الهِجرِيِّ مجتَهِدٌ، كما قالَ بَعضُ العُلَماءِ، لا، بَل نُسَلِّمُ لَهُ، إِن كانَ مُسْتَوفِيًا لِشُرُوطِ المجْتَهِدِ، وإِلّا فَنُرشِدُهُ إِلى الرُّجوعِ عَن دَعواهُ والتَّوبَةِ مِن ذَلِكَ والتِزامِ فتاوى أَئِمَّةِ الاجتِهادِ الّذينَ سَبَقُوهُ.

ثُمَّ مِن عَلاماتِ كَوْنِ الرَّجُلِ كَذّابًا مِن غَيرِ أَهلِ الاجتِهادِ أَن يَأتي بِفتوى هِيَ تخالِفُ جميعَ المجتَهِدينَ الّذينَ سَبَقوهُ، المجتَهِدُ لا يُؤَدِّيهِ اجتِهادُهُ إِلى الخُروجِ مِنَ الإِجمَاعِ، إِنما اجتِهادُهُ يُؤَدّي بِهِ إِلى تَرجيحِ اجتِهادِ إِمامٍ على غَيرِهِ، فَيأخُذُ بِهِ ويُفتي بِهِ للنَّاسِ. وقَد يجتَهِدُ في مَسئَلَةٍ لم تحدُث قَبلَ ذَلِكَ في أَيّامِ الأَئِمَّةِ فَيجتَهِدُ فيها، ويَستَخرِجُ لها حُكمًا. فَلا يَعدو أَمْرُ المجتَهِدِ هاتَيْنِ الحالَتَينِ. أَمّا مَن تجاوَزَ هاتَينِ الحالَتَينِ فإِنّهُ مِنَ المخدوعِينَ المغرورِينَ.

نَذكُرُ مِثالًا لِما يَدُلُّ على أَنَّ القَرائِحَ تختَلِفُ بِالفِطنَةِ، والذَّكاءِ والفَهمِ. كان الشّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عُمُرُهُ نحو أَربَعَ عَشرَةَ سَنَةً أَو خمسَ عَشرَةَ سَنَةً، كانَ يَدرُسُ العِلمَ عِندَ مالِكٍ بِالمدينَةِ المنَوَّرَةِ، فاتَّفَق أَنَّ رَجُلًا جاءَ إِلى مالِكٍ فاستَفتاهُ قالَ لَهُ: إِني حَلفتُ بِالطّلاقِ أَنَّ هذا الْقُمْرِيَّ لا يَهدَأُ مِن صِياحٍ. فَنَظَرَ مالِكٌ فَأَدّاهُ نَظَرُهُ واجتِهادُهُ إِلى أَنَّ هذا الإِنسانَ حَنثَ في حَلِفِهِ، فَطَلَقَت امْرَأَتُهُ، لأَنَّ الْقُمْرِيَّ لا بُدَّ أَن يَهدَأَ مِن صِياحٍ، لَيسَ كُلَّ ساعَةٍ

يَصيحُ. فَأَفتاهُ بِطلاقِ امرَأَتِهِ. فَعَلِمَ الشّافِعِيُّ بِهذِهِ الفَتوى فاجتَهَدَ الشّافِعِيُّ فَلم يوافِقْ عَلَيها قالَ: الشَّخصُ مُرادُهُ بِقَولِهِ إِنَّ هذا الْقُمْرِيَّ لا يَهدأُ مِن صِياحٍ، أَنَّهُ كَثيرُ الصِّياحِ، لَيسَ مَعناهُ أَنّهُ لَيسَت لَهُ فَترَةٌ يَسكُتُ فيها عَنِ الصّياحِ، وأَنَّ الطّلاقَ لم يَقَعْ على زَوجَتِهِ لأَنّهُ في أَكثَرِ أَحوالِهِ يَصِيحُ، وفي بَعضٍ مِنها لا يَصيحُ، فَلَم يحصُلِ الطّلاقُ لأَنّهُ في العُرفِ يُقالُ لَهُ لا يَهدَأُ مِن صِياحٍ فَلَم يَحنث في حَلِفِهِ، ما انكَسَرَ حَلِفُهُ، قالَ لَهُ لم تَطلُقِ امْرَأتُكَ. هُو الشّافِعِيُّ أَخَذَ هذا الحُكمَ مِن حَديثٍ صَحيحِ الإِسنادِ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ جاءَتهُ امرَأَةٌ فاستَشارَتهُ للتَّزَوُّجِ بِرَجُلَينِ رَجُلٍ يُقالُ لَهُ أَبو جَهمٍ وَرَجُلٍ ءاخَرَ هو مُعاوِيَةُ ابنُ أَبي سُفيانٍ. فَقالَ لها الرَّسولُ مِن بابِ النَّصيحَةِ: «أمّا أَبو جَهمٍ فَلا يَضَعُ العصا عَن عاتِقِه» يَعني أَنّهُ ضَرّابٌ، ضَرّابٌ للنِّساءِ. «وأَمّا مُعاوِيةُ فَصُعلوكٌ، عَلَيكِ بِفُلانٍ» سمّى لها شَخصًا ثالِثًا.

الشّافِعِيُّ مِن هذا الحديثِ استَخرَجَ أَنَّ هذا الْقُمْرِيَّ لَيسَ المرادُ أَنّهُ لا يَهدَأُ بِالمرَّةِ مِنَ الصّياحِ إنما المرادُ أَنّهُ كَثيرُ الصِّياحِ، ما دامَ مُسْتَيقِظًا الصّياحُ يَغلِبُ عَلَيهِ، صِياحُهُ يَغلِبُ على سُكوتِهِ، فَلا يحنثُ هذا الرَّجُلُ الّذي عَلَّقَ طلاقَ زَوجَتِهِ. كما أَنَّ الرَّسولَ لَمَّا قالَ: «أَمّا أَبو جَهمٍ فَلا يَضَعُ العَصا عَن عاتِقِه»، ما أَرادَ أَنّهُ في حالِ النَّومِ وفي حالِ الأَكلِ والشُّربِ وفي حالِ الصَّلاةِ يَظَلُّ حامِلًا عَصاهُ على عاتِقِهِ، ما عنى ذلك. إنما عنى أَنّهُ كَثيرُ الحَملِ للعصا، يَغلِبُ عَلَيهِ حملُ العَصا على عاتِقِهِ، فَالشّافِعِيُّ مِن هُنا استَخرَجَ فَتوى لهذا الرَّجُلِ. فَرَجَع الرَّجُلُ إلى مالِكٍ فَقالَ لَهُ: إِنَّ ههنا فتى يَقولُ: لم تَطْلُقِ امْرَأتُكَ. فَقالَ: عَلَيَّ بِهِ، فَحَضَرَ الشّافِعِيُّ فَقالَ مِن أَينَ قُلتَ ما قُلتَ؟ فَقالَ لَهُ: مِنَ الحديثِ الّذي أَنتَ حَدَّثتَنا أَنَّ فاطِمَةَ بِنتَ قَيسٍ جاءَت إِلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ فَقالَت: إِنَّ أَبا جَهمٍ ومُعاوِيَةَ خَطَبَاني فَقالَ الرَّسولُ: أَمّا أَبو جَهمٍ فَإِنّهُ لا يَضَعُ العصا عَن عاتِقِهِ، أَنا مِن هذا الحديثِ أَخَذْتُ. فَسَكَتَ مالِكٌ، ما عارَضَهُ لأَنّهُ وَجَدَ مَعَهُ حُجَّةً.

هُنا قَريحَةُ الشّافِعِيُّ الّذي هو تِلميذُ مالِكٍ أَقوى من قَريحَةِ مالِكٍ. أَدرَكَ الشّافِعِيُّ ما لم يُدرِك مالِكٌ، مَع أَنَّ مالِكًا أُستاذُهُ وأَكبرُ مِنهُ سِنًّا، لَكِنَّ العِلمَ مواهِبُ مِنَ اللهِ.

وسبحان الله والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الأمين، وءاله وأصحابه الطيبين.

مَبَادِئُ فِي التَّوْحِيدِ وَدَعْوَةٌ إِلَى حُسْنِ الْخُلُقِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحَمدُ للهِ رَبِ العالمينَ، وأَفضَلُ الصَّلاةِ وأَتَمُّ التَّسليمِ على خاتَمِ النَّبيّينَ وقائِدِ الغُرِّ المُحجَّلينَ، سَيِّدِنا محمَّدٍ وعلى ءالِهِ وصَحبِهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهِرينَ، وبَعدُ:

فَإِنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى أَعطى نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ مِن مَحاسِنِ الأَخلاقِ أَعلى مَرتَبَةً. كانَ النَّاسُ عِندَهُ لا يَفضُلُ أَحَدُهُم الآخَرَ إلَّا على حَسَبِ التَّقوى، فَقَد رُوِّيْنا بِالإِسنادِ الصَّحيحِ في صَحيحِ مُسلِمٍ مِن حَديثِ جَعفَرٍ الصَّادِقِ عَن أَبيهِ محمَّدٍ الباقِرِ عَن جابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ الأَنصاريّ رَضِيَ اللهُ عَنهُم في صِفَةِ حَجّ رَسولِ اللهِ فَقالَ في وَصفِهِ إِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ رَحَلَ مِن عَرفاتٍ بَعدَ أَن غَرَبَت الشَّمسُ، وأَردَفَ أُسامَةَ خَلفَهُ حتى وَصَلَ إلى مُزدَلِفَةَ، ثمَّ باتَ بمزدَلِفَةَ ثمَّ صَلَّى الصُّبحَ بمُزدَلِفَةَ ثمَّ ذَهَبَ إلى المَشْعَرِ الحرامِ فَوقَفَ ودعا وكانَ أَردَفَ الفَضلَ ابنَ العَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنهُما إلى أَن وَصَلَ إلى مِنى.

فانظُر إلى هذِهِ الحِكمَةِ ما أَعظَمَها أَردَفَ أُسامَةَ بنَ زَيدٍ مِن عَرَفاتٍ إلى مُزدَلِفَةَ ثمَّ أَردَفَ حينَ ارتَحَلَ مِن مُزدَلِفَةَ إلى مِنى الفَضلَ بنَ العَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم، لَم يَنظُرْ إلى الهيئَةِ والنَّسبِ بَل نَظَرَ إلى الفَضلِ بِالتَّقوى، وذلِكَ أَنَّ أُسامَةَ بنَ زَيدٍ الذي كانَ هو مَولى رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ لأَنَّ زَيدًا كانَ مُستَرَقًّا وَهَبَتهُ خَديجةُ لِرَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ، ثمَّ زَوَّجَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ أُمَ أَيمنَ الحَبَشِيّةَ وكانَت حاضِنَةَ

رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ وكانَ أُسامَةُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ مِن حَيثُ اللّونُ أَسودَ. وأَمّا ابنُ عَمّهِ الفَضْلُ بنُ العبّاسِ فَكانَ مِن أَجمَلِ النّاسِ أَبيضَ جَميلَ الشّعَرِ، ولم يَنظُر إلى ابنِ عَمّهِ الفَضلِ فَيَبدَأُ بِإردافِهِ مَعَ أَنّهُ مِن حَيثُ النَّسَبُ ابنُ عَمّهِ ومِن حَيثُ الْمَنظَرُ والشَّكلُ كانَ مِن أَجملِ الرِّجالِ، بَل نَظَرَ إلى أَنَّ أُسَامَةَ أَقدَمُ سابِقَةً في الإسلامِ، وبَدأ بِإِردافِ أُسامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَركَبَهُ خَلفَهُ على البَعيرِ مِن عَرَفاتٍ إِلى مُزدَلِفَةَ وكانَ ذلِك لَيلًا ثمّ في الغَدِ في صَبيحَةِ العيدِ أَردَفَ الفَضلَ فَهذا هو العَدلُ الْمَقبولُ.

فَهو صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ مُوفَّقٌ مِن قِبَلِ اللهِ تَعالى في تَصَرُّفاتِهِ طاهِرُ القَلبِ خالِصُ الطَّوِيَّةِ لا يَنظُرُ إلى المالِ والنَّسَبِ إنَّما يَنظُرُ إلى الفَضلِ في الدِّينِ.

وهكَذا كُلُّ تَطَوُّراتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم كانَت العِنايَةُ الرَّبانِيَّةُ تَحُفُّها مَعَ أَنَّه نَشَأَ يَتيمًا لم يُجالِسِ الحُكَماءَ.

وقَد حَلّاهُ اللهُ تَعالى وجَمَّلَهُ بِأَحسَنِ الخُلُقِ فَكانَ صَلَّى اللهُ وسَلَّمَ كَما وَصَفَهُ القُرءانُ الكَريمُ، قالَ اللهُ تَعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [سورة القلم].

كذا كانَ مَنعوتًا في الكُتُبِ القَديمةِ. كانَ أَحَدُ أَحبارِ اليَهودِ مِن أَهلِ المدينَةِ يُسَمَّى زَيدَ بنَ سعيه اطَّلَعَ في بَعضِ الكُتُبِ القَديمةِ التي أَنزَلَها اللهُ تَعالى على بَعضِ أَنبيائِهِ أَنَّ نَبِيَّ ءاخِرِ الزَّمانِ يَسبِقُ حِلمُهُ جَهلَهُ ولا يَزيدُهُ شِدَّةُ الجَهلِ عَلَيهِ إلا حِلمًا، فَأَرادَ هذا الحَبْرُ اليَهودِيُّ بَعدَ أَن هاجَرَ الرَّسولُ إلى المدينَةِ أَن يَعْرِفَ هل يَنطَبِقُ على سَيّدِنا محمَّدٍ النَّعتُ المَذكورُ في نَبِيّ ءاخِرِ الزَّمانِ، أَنَّ حِلمَهُ يَسبِقُ جَهلَهُ وأَنَّ شِدَّةَ الجَهلِ عَلَيهِ لا يَزيدُهُ إلا حِلْمًا، أَي أَنَّه مَهْمَا أُوذِيَ لا يوصِلُهُ أَذى النَّاسِ إلى التَّحامُقِ ولا يَخرُجُ عَن مُقتَضى الحِكمَةِ. فَأرادَ أَن يَمتَحِنَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم فَعامَلَهُ بِدَينٍ مُؤَجَّلٍ إلى أَجَلٍ مَعلومٍ ثمَّ قَبْلَ أَن يَحُلَّ الأَجَلُ بِثلاثَةِ أَيَّامٍ تَعَرَّضَ هذا اليَهودِيُّ زَيدُ بنُ سعيةَ لِلمُطالَبَةِ بِالدَّينِ، فنالَ مِن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ بِكَلِمَةٍ تَهُزُّ المَشاعِرَ؛ فَأَرادَ بَعضُ

الصَّحابَةِ وهو عُمرُ بْنُ الخَطَّابِ أَن يَنتَقِمَ مِنهُ مِن شِدَّةِ تَغَيُّظِهِ عَلَيهِ لأَنَّهُ أَساءَ الأَدَبَ مَعَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ، كادَ أَن يَبطِشَ بِهِ فَيَقتُلَهُ فنهاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ. فَعَرَفَ زَيدٌ أَنَّ تِلكَ الصِّفَةَ والنَّعْتَ المذْكورَ في وَصفِ محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ مُنْطَبِقَةٌ عَلَيهِ وعَرَفَ أَنَّهُ هُوَ ذلِكَ النَّبِيُّ الذي بَشَّرَ بِهِ الأَنبياءُ فَتَشَهَّدَ شَهادَةَ الحَقِّ قالَ: أَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وأَشهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ. فَهذا مِثالٌ واحِدٌ مِن أَمثِلَةِ أَعلامِ نُبوَّتِهِ الكَثيرَةِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعلى ءالِهِ وسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثيرًا.

ثمَّ إِنَّ الحِكمَةَ والخُلُقَ الحَسَنَ كانَ مِن شِيَمِ الأَنبياءِ جَميعِهِم لأَنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى لا يُرسِلُ لِهدايَةِ عِبادِهِ إِنسانًا مَطْعُونًا فيهِ بِسَفاهَةٍ أَو بِخِيانَةٍ أَو رَذالَةٍ أَو كَذِبٍ في الحَديثِ، لا يُرسِلُ إلا إِنسانًا نَشَأَ على الصِّدْقِ والعِفَّةِ والنَّزاهَةِ في العِرضِ والخُلُقِ وحُسنِ مُعامَلَةِ النَّاسِ، فَكانَ سَيِّدُنا محمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ أَوفَرَ الأَنبياءِ حَظًّا في ذلِكَ لا يَسْبِقُهُ في ذلِكَ أَحَدٌ بَعدَهُ ولا سَبَقَهُ أَحَدٌ قَبلَهُ.

ورُوِّينا في الصَّحيحَيْنِ مِن حَديثِ أَنَسِ بنِ مالِكٍ أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ كانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا. فَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يُرْوَى عَنْ نَبِيٍّ مِن أَنبياءِ اللهِ ممَّا يُخالِفُ هذا المعنى، وهو حُسْنُ الخُلُقِ، فهو مُفْتَرًى مَرْدُودٌ عَلَى قَائِلِهِ.

ورُوِّينا أَيضًا في مُسْنَدِ أَحْمَدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم قالَ: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا حَسَنَ الوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ وإِنَّ نَبِيَّكُم أَحْسَنُهُم وَجْهًا وأَحسَنُهُم صَوْتًا**». وروينا في صَحيحِ مُسلِمٍ عَن جُبَيرِ بنِ مُطعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: سمِعتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ يَقرَأُ: «**والطُّورِ**» فَكادَ قَلبي يَطيرُ، أَي مِن حُسنِ صَوْتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ.

ومَعَ هذا أَي مَعَ ما كانَ عَلَيهِ نَبِيُّنا رَسولُ اللهِ وغَيرُهُ مِنَ الأَنبياءِ مِن التَّحَلِّي بِالخُلُقِ الحَسَنِ لم يَكُن تَرغيبُهُ في حُسنِ الخُلُقِ كَأَمرِهِ وتَرغيبِهِ في أَداءِ الفرائِضِ، بل كان أَمرُ الفَرائِضِ

عِندَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ أَوكَدَ وأَهَمَّ لأَنَّ الفَرَائِضَ هي التي يُسْأَلُ عَنها الإِنسانُ يومَ القِيامةِ، يُسأَلُ العَبدُ يومَ القِيامَةِ قَبلَ حُسنِ الخُلُقِ وحُسنِ المُعامَلَةِ مَعَ النَّاسِ، هل قامَ بِفرائِضِ اللهِ تَعالى التي فَرَضَها على عِبادِهِ، هل أَدَّى الواجِباتِ واجتَنَبَ المُحرَّماتِ، هل أَدَّى ما افتَرَضَ اللهُ عَلَيهِ مِنَ العِباداتِ وهل تَعَلَّمَ مِن عِلمِ الدِّينِ الذي لا يَسْتَغني عَنهُ كُلُّ بَالغٍ عَاقِلٍ، فَإِنَّ تَصْحِيحَ مُعَامَلَةِ اللهِ تعالى هو مُقَدَّمٌ على ما سِوَاهُ، فَأَوَّلُ فَرْضٍ هو الإِيمانُ بِاللهِ تَعالى أَي تَوْحِيدُهُ تَعالى وتَجَنُّبُ أَنواعِ الكُفرِ والشِركِ كُلِّها، والإِيمانُ بِرَسُولِهِ.

كانَت أَذهانُ النَّاسِ الذينَ قَبِلوا دَعوتَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ مُدرِكَةً لما يُلقيهِ إِليهِم رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ مِن تَنْزيهِ اللهِ تَعالى، فَكانوا يَفهمونَ مِنَ الآيةِ الواحِدَةِ المعنى على الوَجْهِ الصَّحيحِ المَطلوبِ ما لا يَفهَمُهُ أَكثَرُ النَّاسِ في هذا العَصرِ وبَعْضِ العُصورِ التي قَبلَهُ في أَزمِنَةٍ مُتطاوِلَةٍ. أَنزَلَ اللهُ تَعالى في تَنْزِيهِهِ الآيةَ الجامِعةَ وهي قَولُهُ تَعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ١١﴾ [سورة الشورى]، فكانَت هذِهِ الجُملَةُ تَجمَعُ مَعانيَ كَثيرَةً مِن التَّنْزيهِ التَّامِّ، فإِنَّها تُفهِم أَنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى لا يُشبِهُ شَيئًا ولا يُشبِهُهُ شَىءٌ لا في ذاتِهِ ولا صِفاتِهِ ولا فِعلِهِ، فَهو تَبارَكَ وتَعالى واحِدٌ في الذَّاتِ، أَزَليٌّ أَبَدِيٌّ، مَوجودٌ بِلا بِدايَةٍ، انْفَرَدَ بِالأَزَلِيَّةِ فلا أَزَلِيَّ سِوَاهُ، فَالزَّمانُ والمَكانُ حادِثانِ لم يَكونا في الأَزَلِ ثمَّ وُجِدا، أَمَّا المَكانُ فَأَمرُهُ أَوضَحُ، وأَمَّا الزَّمانُ فَيُقَرِّبُ ذلِكَ للفَهمِ أَنَّهُ لا يُعقَلُ وُجودُ الزَّمانِ قَبلَ أَوَّلِ الحادِثاتِ، أَوَّلُ الحادِثاتِ الماء ثمَّ العَرشُ المجيدُ، ثمَّ القَلَمُ الأَعلى ثمَّ اللَّوحُ الْمَحفوظُ، ولم يَكُنْ لِلمَاءِ أَصلٌ خُلِقَ مِنهُ إِنَّما اللهُ تَعالى أَوجَدَ الماءَ بِقُدرَتِهِ مِن غَيرِ مادَّةٍ سَبَقَتهُ.

اللهُ قادِرٌ على أَن يُخْرِجَ الشَّىءَ الأَوَّلَ مِن غَيرِ أَصلٍ يَسبِقُهُ.

خَلَقَ اللهُ تَعالى الإِنسانَ مِن تُرابِ هذِهِ الأَرضِ التي نَعيشُ عَلَيها مِن جَميعِ أَلوانِها، أَمَرَ اللهُ تَعالى بَعضَ مَلائِكَتِهِ أَن يَقبِضَ قَبْضَةً مِن جَميعِ أَنواعِ التُّرابِ، ثمَّ رُفِعَت هذِهِ القَبضَةُ إِلى الجَنَّةِ فَعُجِنَت بِماءِ الجَنَّةِ، فَصارَ ذلِكَ التُّرابُ طينًا، ثمَّ صارَ يابِسًا صَلصالًا كالفَخَّارِ،

ثمَّ وَضَعَ اللهُ تَعالى فيهِ الرُّوحَ التي خَلَقَها قَبلَ ذلِكَ فَصارَ إنسانًا حَيًّا مُتَحَرِّكًا بِالإرادَةِ والاختِيارِ، ومِن لُطفِ اللهِ تَبارَكَ وتَعالى على ذلِكَ الأَوَّلِ مِنَ البَشَرِ الذي هو ءادَمُ صَلَواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيهِ أَن أَفاضَ عَلَيهِ مَعرِفَةَ أَسماءِ كُلِّ شَىءٍ مِن غَيرِ دِراسَةٍ على أَحَدٍ مِن مَلائِكَةِ اللهِ، بَل أُفيضَ عَلَيهِ إفاضَةً، فَكانَ مِن أَوَّلِ نَشأَتِهِ مُتَكَلِّمًا، فَهذا مِن لُطفِ اللهِ عَلَيهِ أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِمُجَرَّدِ ما دَخَلَ الرُّوحُ في ذلِكَ الهَيكَلِ البَشَرِيِّ، فَتَكَلَّمَ مَعَ المَلائِكَةِ الذينَ كانوا قَد خُلِقوا قَبلَ ذلِكَ بِزَمَنٍ يَعلَمُهُ اللهُ.

فَالحاصِلُ أَنَّ الماءَ الذي كُوِّنَ مِنهُ هذا العالَمُ على اختِلافِ أَنواعِهِ يَرجِعُ إلى ذلِكَ الأَصلِ الواحِدِ وهو ذلِكَ الماءُ الذي تَحتَ العَرشِ، ولَم يَكُن قَبلَ ذلِكَ الماءِ شَىءٌ لا زَمانٌ ولا مَكانٌ لأَنَّ الأَمْكِنَةَ خُلِقَت مِنهُ، لأَنَّ أَوَّلَ جِرْمٍ جامِدٍ أَبدَعَهُ اللهُ تَعالى هو العَرشُ فَلَم يَكُن قَبلَهُ مادَّةٌ جامِدَةٌ، ويَجِبُ الإيمانُ أَنَّ مُبدِعَ هذا العالَمِ لا يُشبِهُهُ بِوجهٍ مِنَ الوُجوهِ، فَهو مَوجودٌ لا كَالمَوجوداتِ، وقَولُنا «**لا كالمَوجوداتِ**» يُفهِمُ أَنَّهُ تَعالى مَوجودٌ بِلا بِدايَةٍ، مَوجودٌ بِلا خالِقٍ يَخلُقُهُ، لأَنَّهُ لَم يَسبِقْهُ عَدَمٌ، كَيفَ يَحتاجُ إلى خالِقٍ؟ إنَّما يَحتاجُ إلى الخالِقِ ما سَبَقَهُ العَدَمُ.

وهو تَبارَكَ وتَعالى أَيضًا مَوصوفٌ بِالقُدرَةِ والعِلمِ والإرادَةِ لأَنَّ الإبداعَ لا يَصِحُّ عَقلًا بِدونِ ذلِكَ، وهؤلاءِ الصِّفاتُ: العِلمُ والقُدرَةُ والإرادَةُ لا يَصِحُّ الاتِّصافُ بها عَقلًا إلَّا لِمَن هو مَوصوفٌ بِالحياةِ، لكِن حياتُهُ تَعالى لَيست كَحياةِ غَيرِهِ، حَياتُنا بِروحٍ ولَحمٍ ودَمٍ، وأَمَّا حَياةُ اللهِ تَعالى الذي أَبدَعَ العالَمَ على غَيرِ مِثالٍ سابِقٍ لَيسَت كَهذِهِ الحَياةِ إنَّما هي صِفَةٌ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ لا تَتَطوَّرُ ولا تَتَغَيَّرُ.

اللهُ تَبارَكَ وتَعالى أَبدَعَ النُّورَ والظُّلُماتِ فَلَم يَكُنِ النُّورُ قَديمًا أَزَلِيًّا ولا الظُّلمَةُ قَديمَةً أَزَلِيّةً، بل كِلاهُما أَي النُّورُ والظُّلمَةُ حادِثٌ بَعدَ أَن كانَ مَعدومًا، وَهَذا وإِن كانَ أَمرًا يَتَحَيَّرُ فيهِ الوَهمُ لكِنَّ العَقلَ الصَّحيحَ يَقبَلُهُ ويؤَيِّدُهُ، فَيَجِبُ عَلَينا أَن نَعتَقِدَ أَنَّهُ لَم يَكُن في الأَزَلِ

نورٌ ولا ظُلمَةٌ بَل كِلاهُما حادِثٌ بِدَليلِ تَعاقُبِهِما أَي سَريانِ الزَّوالِ على كُلٍّ مِنهُما، قالَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى دِلالَةً لَنا على أَنَّ النُّورَ والظُّلمةَ حادِثانِ لَم يَكونا في الأَزَلِ: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ١﴾ [سورة الأنعام] أَي خَلَقَ اللهُ الظُّلماتِ والنُّورَ، اللهُ تَبارَكَ وتَعالى هو خالِقُ النُّورِ كَما أَنَّهُ خالِقُ الظُّلمَةِ فَلا يُشبِهُ هذا ولا هذا، وَمَعَ ذلِكَ يجوزُ تَسمِيَةُ اللهِ تَعالى «النُّور» ومَعنى ذلِكَ أَنَّ اللهَ تَعالى «هادي» مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ، هو هَدى الملائِكَةَ سُكَّانَ السَّمواتِ السَّبعِ للإِيمانِ، هو خَلَقَ فيهِم الْمَعرِفَةَ والإِيمانَ فَكانوا مُهتَدينَ، وخَلَقَ فِيمَنْ شاءَ مِن أَهلِ الأَرضِ مِنَ الإِنسِ والجِنِّ الإِيمانَ أَيضًا، على هذا المَعنى يُقالُ اللهُ «نور» لا على مَعنى النُّورِ الذي هو ضَوءٌ، النُّورُ بِمَعنى الضَّوءِ مَخلوقٌ حادِثٌ. أَلَا تَرَونَ أَنَّ النُّورَ يَذهَبُ فَتَخلُفُهُ الظُّلمَةُ، ثُمَّ تَذهَبُ هذِهِ الظُّلمَةُ فَيخلُفُها النُّورُ، وهكَذا يَتَعاقَبانِ على الدَّوامِ، هذا دَليلُ الحُدوثِ هذا دَليلٌ على أَنَّ النُّورَ لَيسَ أَزَلِيًّا ولا الظُّلمَةَ أَزَلِيَّةٌ. فَلا أَزَلِيَّ إِلَّا اللهُ، اللهُ تَبارَكَ وتَعالى أَفهَمَنا ذلِكَ بِكَلِمةٍ واحِدَةٍ في القُرءانِ الكَريمِ، قالَ اللهُ تَعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ ٣﴾ [سورة الحديد] أَي هُوَ الموجودُ الذي لا بِدايةَ لِوُجودِهِ وما سِواهُ فَهو حادِثٌ، هذِهِ الجُملَةُ الموجَزَةُ مِنَ القُرءانِ الكَريمِ دَلَّت على هذا الْمَعنى العَظيمِ ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ ٣﴾ [سورة الحديد] أَي هو لا غَيرُهُ الأَوَّلُ المَوجودُ الذي لا بِدايةَ لِوُجودِهِ أَي أَنَّ ما سِواهُ لِوُجودِهِ بِدايَةٌ، فَلا أَزَلِيَّ إِلَّا اللهُ ولا قَديمَ بِهذا الْمَعنى إِلَّا اللهُ. فَنَحنُ نُنَزِّهُ اللهَ عَن صِفاتِ الْمَخلوقاتِ عَمَلا بِقولِهِ تَعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ [سورة الشورى] نَنفي سائِرَ صِفاتِ المَخلوقاتِ عَنهُ مِنَ التَّحَيُّزِ في المَكانِ يجِبُ على الإِنسانِ أَن يُوطِّدَ نَفسَهُ على اعتِقادِ وُجودِ اللهِ تَعالى بِلا مَكانٍ ولا وَصفِ قُعودٍ أَو استِلقاءٍ أَو اتِّكاءٍ أَو تَعَلُّقٍ كَوُجودِ هذِهِ الكَواكِبِ، هذِهِ الكَواكِبُ هي مُعَلَّقَةٌ بِقُدرَةِ اللهِ تَعالى في الفَضاءِ، واللّهُ تَبارَكَ وتَعالى لا يجوزُ عَلَيهِ أَن يَكونَ كهذِهِ الأَشياءِ، ولا يجوزُ عَلَيهِ أَن يَكونَ كإِنسانٍ مَوصوفٍ

بِالقُعودِ فِي الْمَكَانِ، فَالعَرشُ الكَريمُ لَيسَ مَحَلًّا لِذاتِ اللهِ تَعالى إِنَّما العَرشُ جِرمٌ عَظيمٌ خَلَقَهُ اللهُ تَعالى إِظهارًا لِقُدرَتِهِ لِيَكونَ مُشعِرًا بِتَمامِ قُدرَةِ اللهِ تَعالى فَالملائِكَةُ الحافُّونَ حَولَهُ يَزدادونَ تَعظيمًا وإِجلالا للهِ لأَنَّهُم لـمَّا يَرَونَ اتِّساعَهُ الذي لا نَظيرَ لَهُ يَزدادونَ عِلمًا بِكمالِ اللهِ تَعالى وكَمالِ قُدرَتِهِ وحِكمَتِهِ. إِنَّما المَكانُ صِفَةُ الحادِثِ الذي لم يَكُن مَوجودًا ثُمَّ وُجِدَ، فَأَقدَمُ المَوجوداتِ الحادِثاتِ هو ذلِكَ الماءُ والذي يَلِيهِ هو العَرشُ كُلٌّ مِنهُما حادِثٌ، ولَيسَ مَعنى الحادِثِ في هذا المَجالِ الشَّىءَ الذي وُجِدَ مِن عَهدٍ قَريبٍ، بَل كُلُّ ما دَخَلَ فِي الوُجودِ بَعدَ أَن لم يَكُن مَوجودًا فَهو حادِثٌ، فَإِذا كانَ العَرشُ الذي لَم يَكُن قَبلَهُ شَىءٌ مِن الأَجرامِ إلا الماءُ حادِثًا فَما ظَنُّكُم بِهذِهِ الأَرضِ التي نحن عَلَيها وهذِهِ النُّجومِ والكَواكِبِ؟ الحاصِلُ أَنَّ كُلَّ ما سِوى اللهِ حادِثٌ أَي وُجِدَ بَعدَ عَدَمٍ.

وسبحان الله والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الأمين، وءاله وأصحابه الطيبين».

اللهُ خالِقُ كُلِّ شَىْءٍ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحَمدُ للهِ والصَّلاةُ والسَّلامُ على رَسولِ اللهِ وعلى ءالِهِ وصَحبِهِ ومَن والاهُ، أَمَّا بَعدُ فَإِنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى فَرَضَ على عِبادِهِ أَن يُوَحِّدوهُ، وتَوحيدُ اللهِ هو أَعظَمُ الفَرائِضِ. ومَعنى التَّوحيدِ هو اعتِقادُ أَنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى واحِدٌ في ذاتِهِ، واحِدٌ في صِفاتِهِ، واحِدٌ في فِعلِهِ.

أَمَّا ذاتُهُ تَبارَكَ وتَعالى أَي حقيقَتُهُ فَهو ذاتٌ لا يُشبِهُ شَيئًا مِنَ الذَّواتِ أَي لا يُشبِهُ شَيئًا مِنَ الحقائِقِ لَيسَ مُصَوَّرًا أَي لَيسَ ذا صُورَةٍ ولا تَركيبٍ ولا تَأليفٍ ولا ذا كَيفِيَّةٍ، لا تجوزُ عَلَيهِ المِساحَةُ والمِقدارُ، فَقَد قالَ الإِمامُ أَبو الحسَنِ الأَشعَرِيُّ في كِتابِ «النَّوادِرِ» ما نَصُّهُ: «مَن اعتَقَدَ أَنَّ اللهَ جِسمٌ فَهو غَيرُ عارِفٍ بِرَبِّهِ وإِنَّهُ كافِرٌ بِهِ». فَاللهُ تَعالى مُقَدِّرُ

المقادِيرِ وخالِقُ الطُّولِ والعَرْضِ والصِغَرِ والكِبَرِ، فَلا يَكونُ مُتَّصِفًا بهذِهِ الأَوصافِ التي خَلَقَها، هو مَوجودٌ لا يُشبِهُ الموجوداتِ.

وأمَّا صِفاتُهُ فَإِنَّ مِنها العِلمُ والسَّمعُ والبَصَرُ والحياةُ والإرادَةُ وغَيرَ ذلِكَ مِن صِفاتِهِ العُلى. وكُلُّ صِفَةٍ مِن صِفاتِهِ لا تُشبِهُ صِفاتِ الخَلقِ عِلْمُهُ لَيْسَ كَعِلْمِ غَيْرِهِ، وقُدرَتُهُ لَيسَت كَقُدرَةِ غَيْرِهِ، ومَشيئتُهُ أَي إرادتُهُ لَيسَت كإرادةِ غَيْرِهِ، فَهو حيٌّ قَديرٌ عَليمٌ سميعٌ بَصيرٌ، حيٌّ لا كالأَحياءِ لأَنَّهُ حَيٌّ بحياةٍ أَزَلِيَّةٍ أَبَدِيَّةٍ لَيسَت بِروحٍ ودَمٍ ولحمٍ، وعِلمُهُ لَيسَ كَعِلمِ غَيْرِهِ، عِلمُهُ أَزَليٌّ أَبَديٌّ لا يَتَجَدَّدُ ولَيسَ مُكتَسَبًا كعِلمِ غَيْرِهِ، وإرادتُهُ لَيسَت كإرادَةِ غَيْرِهِ، هِي إرادَةٌ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ لا تَتَغَيَّرُ ولا تَتَطَوَّرُ ولا تَتَبَدَّلُ، وسَمعُهُ لَيسَ كَسَمعِ غَيْرِهِ بَل سَمعُ اللهِ أَزَليٌّ أَبَديٌّ، أمَّا غَيرُ اللهِ فَإِنَّهُ يَسمَعُ سمعًا مُحدَثًا بآلَةٍ، غَيرُهُ يَسمَعُ بِأُذُنِهِ أمَّا هو فَسَمعُهُ أَزَليٌّ أَبَدِيٌّ لأَنَّ الأُذُنَ لا تجوزُ على اللهِ، غَيرُ اللهِ يَرى بِحَدَقَةٍ أمَّا هو فَيَرى بِغَيْرِ حَدَقَةٍ.

فَمَن ءامَنَ قَلبُهُ بِأَنَّ اللهَ تَعالى مَوجودٌ لا يُشبِهُ الموجوداتِ مَوصوفٌ بِصفاتٍ لا تُشبِهُ غَيرَهُ فَقَد عَرَفَ اللهَ. وَيجِبُ على العَبدِ أَن يَعتَقِدَ أَنَّ اللهَ تَبارَك وتَعالى خالِقُ الحادِثاتِ أَي خالِقُ كُلِّ ما دَخَلَ في الوُجودِ، خالِقُ الأَجسامِ وخالِقُ أعْمالها. اللهُ خالِقٌ لأَجسامِنا وأَجسامِ الحيواناتِ والجِنِّ والملائِكَةِ خَلَقَ أَجسَامَهُم وأَعمالَهُم، هو الخالِقُ لا خالِقَ سِواهُ، فالعِبادُ لا يَخلُقونَ حركاتِهِم وسكونَهم بَلِ اللهُ خالِقُ ذلِكَ سَواءٌ الحرَكاتُ الاختِيارِيَّةُ والحرَكاتُ الاضطِرارِيَّةُ، كُلٌّ بخَلقِ اللهِ تَعالى، لأَنَّ الخَلقَ وهو إبرازُ المعدومِ مِنَ العَدَمِ إلى الوُجودِ خاصٌّ بِاللهِ تَعالى، فَلا أَحَدَ يخلُقُ شَيئًا مِنَ الأَجسامِ والأَعمالِ إلَّا اللهُ. قالَ اللهُ تَعالى: ﴿ **هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ٣** ﴾ [سورة فاطر] فَأَعلَمَنا أَنَّهُ هو الخالِقُ فَقَط لا خالِقَ سِوَاهُ لِلْأَجْسَامِ وَلِلْأَعْمَالِ، فَمَنْ جعَلَ خَلْقَ الأَعمالِ لِلعِبادِ والبَهائِمِ فَإِنَّهُ كَذَّبَ قَوْلَ اللهِ.

كمْ وكَمِ اليَومَ مِن الذين يَدَّعونَ العِلمَ يَقولونَ والعِياذُ بِاللهِ إِنَّ اللهَ خَلَقَ الجِسمَ فَقَط وأَمَّا أَعمالُ الجِسمِ مِنَ الحرَكَاتِ والسُّكُونِ يَقُولُونَ إِنَّهَا مِنَ العِبَادِ لَيسَ لَهُ تَصَرُّفٌ في ذلِكَ،

هَؤلاءِ قَومٌ مُلْحِدُونَ، هُم والذينَ يَعبدونَ الأَوثانَ كافِرُونَ، فأُولَئِكَ جَعَلوا أَنفُسَهُم شَركاءَ اللهِ بِقولِهِم: نحنُ نَخلُقُ أَعْمَالَنا، اللهُ تَعالى قَالَ: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ٣﴾ [سورة فاطر] لَيسَ معنى الآيةِ لا خالِقَ للأَجْسَامِ [فقط] إلّا اللهُ، بَل مَعناها لا أَحَدَ يَخْلُقُ شَيْئًا مِنَ الأَجسامِ والأَعمالِ إلّا اللهُ، هذا مَذْهَبُ أَهْلِ الحقِّ الّذي جاءَ بِهِ الأَنبياءُ جَمِيعُهُم وهذا مَذْهَبُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ والتّابِعينَ لهم بإِحسانٍ، كُلُّهُم كانوا على هذا الاعتِقادِ، كانوا يَعتَقِدونَ أَنَّ اللهَ هو الذِي خَلَقَ الأَجسامَ والأَعمالَ، ومَعَ ذلِكَ صَحَّ تَكليفُهُ للعِبادِ ولا يَكونُ عَلَيهِ ظُلْمًا. فَأَهْلُ الحقِّ كُلُّهُم مُوَحِّدونَ للهِ يَعتَقِدونَ اعتقادًا جازِمًا لا يُخَالِطُهُ شَكٌّ أَنَّ اللهَ خَلَقَ الأَجْسَامَ والأَعْمَالَ، ومَعَ ذلِكَ كَلَّفَ العِبَادَ بِأَداءِ أَوامِرِهِ واجتِنابِ نَواهيهِ فإِن امتَثَلوا أَمرَهُ ونهيَهُ كانَ لهم بِفَضْلِ اللهِ الثَّوابُ الجَزِيلُ، ومَنْ خَالَفَ أَوَامِرَهُ ونَوَاهِيَهُ استَحَقَّ العَذابَ الأَلِيمَ.

ثمَّ الذي يَبقى للعِبادِ هو أَنَّ العِبادَ يَكسِبونَ أَعمالَهم كَسبًا واللهُ يَخلُقُها خَلقًا «والكَسبُ هو تَوجيهُ العَبدِ قَصدَهُ وإِرادَتَهُ نحو فِعلِ الشَّيءِ فيخلقُهُ اللهُ عندَ ذلكَ».

فأُولَئِكَ جَعَلوا أَنفُسَهُم شَركاءَ اللهِ بِقولِهِم: نحنُ نَخلُقُ أَعمالَنا، اللهُ تَعالى قالَ: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ٣﴾ [سورة فاطر] لَيسَ معنى الآيةِ لا خالِقَ للأَجسامِ إلَّا اللهُ، بَل مَعناها لا أَحَدَ يَخلُقُ شَيئًا مِنَ الأَجسامِ والأَعمالِ إلَّا اللهُ، هذا مَذهَبُ أَهلِ الحقِّ الذي جاءَ بِهِ الأَنبياءُ جميعُهُم وهذا مَذهَبُ أَصحابِ رَسولِ اللهِ والتَّابِعينَ لهم بإِحسانٍ، كُلُّهُم كانوا على هذا الاعتِقادِ، وكَذلِكَ سائِرُ الأَسبابِ العادِيَّةِ لا تَخلُقُ شَيئًا بَلِ اللهُ سُبحانَهُ وتَعالى يَخلُقُ المنافِعَ والمضارَّ التي تَتَرَتَّبُ على هذِهِ الأَسبابِ. مَثَلًا: النَّارُ إِذا لامَسَها إنسانٌ تَحصُلُ فيهِ الحُرْقَةُ فَالنَّارُ جَعَلها اللهُ تَعالى سَبَبًا للإِحراقِ ولَكِنَّها لا تَخلُقُ الحُرْقَةَ، ولو كانَت تَخلُقُ الحُرْقَةَ ما سَلِمَ أَحَدٌ مِن كُلِّ ذي روحٍ لَمَسَ النَّارَ إلَّا احتَرَقَ، لَكِنَّهُ ثَبَتَ أَنَّ أَفرادًا مِنَ البَشَرِ لم تُحرِقْهم النَّارُ مِنهُم نبيُّ اللهِ سَيِّدُنا إِبراهيمُ الخليلُ والتابعيُّ الجليلُ أَبو مُسلِمٍ الخَولانيُّ.

فَعَدَمُ إِحراقِ النَّارِ لِإِبراهيمَ عَلَيهِ السَّلامُ وأَبي مُسْلِمٍ دَليلٌ ظاهِرٌ على أَنَّ الأَسبابَ لا تَخلُقُ مُسبَّباتِهَا وإنَّما اللهُ تَعالى يخلُقُ المُسبَّباتِ عِندَ وُجودِ السَّبَبِ، اللهُ يخلُقُ الاحْتِراقَ فِي الشَّىءِ الذي لَمسَته النَّارُ.

حتَّى يومِنا هذا يوجَدُ مَن يَدخُلُ النَّارَ ولا تُحْرِقُهُ. كانَ في مَدينَةِ حِمْصَ شَيْخٌ مِن السَّعديين، وقَد روى وَلَدُهُ الشَّيْخُ بُرْهَانُ أَنَّ وَالِدَهُ رَحَلَ إِلى اسْطَنْبُولَ أَيَّامَ السُّلطانِ عبدِ الحميدِ، ولمَّا عَرفوا أَنَّهُ يَنتَسِبُ إِلى طريقَةِ التَّصَوُّفِ قالوا لَهُ: أَرِنا ءايةً إِن كُنتَ مِن أَهلِ النَّسَبِ فَأَشعَلُوا الفُرْنَ بِشِدَّةٍ فَدَخَلَ فيهِ فَلَم تُؤَثِّر فيهِ بَل هو بِمُكثِهِ فيهِ أَطْفَأَهُ، فَوَصَلَ خَبَرُهُ إِلى السُّلْطَانِ فَبَنَى لَهُ بِنايَةً فَخمَةً في حِمْصَ حتَّى يَتَّخِذَها زَاوِيَةً للذِّكْرِ. قَبلَ ذلِكَ كانَ هو وأَحبابُهُ يَذكُرونَ في مَكانٍ مُتواضِعٍ مِساحتُهُ صَغيرَةٌ، فَلَمَّا بَنى لَهُ السُّلطانُ هذِهِ البِنايَةَ وَسِعَتْهُ هو ومُريدِيهِ لِلذِّكْرِ وَوَسِعَتهُ للسَّكَنِ. والنَّعَامُ كَغيرِها مِنَ البَهائِمِ مِن لحمٍ ودَمٍ وعَظمٍ، فَهي تَأكُلُ الجَمْرَ الأَحْمَرَ أَكْلًا تَسْتَمْرِئُهُ، أي مِن غَيْرِ أَن يُزْعِجَها، كَذلِكَ المسَاميرُ المُحَمَّرَةُ مِنَ النَّارِ تَأكُلُها النَّعَامُ ولايؤذيها مَعَ أَنَّها مِن لحمٍ ودَمٍ، فلِماذا هذا الجَمرُ وهذِهِ القِطَعُ الحدِيدِيَّةُ المحمَّاةُ مِن نارٍ لا تُحرِقُها وتُحرِقُ في العادةِ غَيرَها؟ لأَنَّ النَّارَ لا تَخلُقُ الإِحراقَ كذلِكَ الخُبزُ لا يَخلُقُ الشِّبَعَ لآكِلِهِ وكذلِكَ الماءُ لا يَخْلُقُ الرِّيَّ لِشَارِبِهِ.

وكذلِكَ الدَّواءُ لا يَخلُقُ الشِّفاءَ لمُستَعمِلِهِ فَمَن كانَ اللهُ شاءَ لَهُ في الأَزَلِ أَن يُصيبَهُ المرَضُ الفُلانيُّ وأَن يَسْتَعمِلَ الدَّواءَ الفُلَانيَّ وأن يَتعافى مِن هذا المرضِ حَصَلَ الشِّفاءُ مِن هَذَا الدَّاءِ، ومَن لم يَشَأِ اللهُ تعالى أَن يَحصُلَ الشِّفاءُ لَهُ عِندَ استِعمالِ الدَّواءِ لم يَحصُلْ لَهُ الشِّفاءُ مَهما تَداوى. فَإِذًا الأَسبابُ لا توجِبُ المسبَّباتِ بِطريقِ التَّلازُمِ العَقليّ، إِنَّما جَرَتِ العادَةُ بِمشِيئَةِ اللهِ على أَنْ يَحصُلَ الشِّفاءُ عِندَ استِعمالِ الأَدْوِيَةِ، وفي كَثيرٍ مِنَ الأَحوالِ لم يَشَأْ أَن يَحْصُلَ الشِّفَاءُ، فَهذا دَليلٌ عِيانيٌّ وبُرهانٌ يَقِينيٌّ على أَنَّ الأَسْبَابَ لا تَخلُقُ المسَبَّباتِ إِنَّما تَلازُمُ الأَسبابِ والمسبَّباتِ مِن هذا القَبيلِ عَادِيٌّ، فَلا يَتوكَّلِ العَبْدُ على الأَسبابِ بَل

يَتوكَّلُ على مُسَبِّبِ الأَسبابِ أَي خالِقِ الأَسبابِ أَي اللهِ الذي جَعَل ارتباطًا بَينَ الأَسبابِ والمسبَّباتِ، كَيفَ يُنْسَى خالِقُ الأَسبابِ والمسبَّباتِ مِن أَجلِ الأَسبابِ؟ نِسيانُ المسبِّبِ على الدَّوامِ مِن شيمَةِ الغافِلِينَ عَنِ اللهِ الواقِفِينَ عِندَ الأَسبابِ، وأَمَّا مَن اعتَقَدَ أَنَّ هذِهِ الأَسبَابَ هي تَخلُقُ مسبَّباتِها ولا يَعتَقِدُ أَنَّ اللهَ هو خالِقُ الأَسبابِ ومُسبَّباتِها فإِنَّهُ كافِرٌ. ثمَّ إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى أَخْبَرَنا في القُرءانِ بِأَنَّهُ هو خالِقُ كُلِّ شَىءٍ أَي خالِقُ كُلِّ ما دَخَلَ في الوُجُودِ مِنَ الأَجسامِ والأَعمالِ، كُلُّ شَىءٍ وُجِدَ أَي حَدَثَ بَعدَ أَن لم يَكُن مَوجودًا في الأَزَلِ، اللهُ خَلَقَهُ، لم يَخْلُقْ نَفسَهُ ووُجِدَ دونَ فاعِلٍ أَو خالِقٍ بَلِ اللهُ هو الفاعِلُ والخالِقُ اللهُ خالِقُ الأَعمالِ التي يُحِبُّها كالإِيمانِ والطَّاعَةِ، والأَعمالِ التي لا يُحِبُّها ونهى عِبادَهُ عَنها، كُلُّهُ خَلقٌ للهِ، فَكثيرٌ مِنَ النَّاسِ لجهلِهِم بِعقيدَةِ الأَنبياءِ التي يَشهَدُ بها العَقلُ السَّليمُ يَعتَقِدونَ أَنَّ الإِنسانَ هو يخلُقُ المعاصيَ واللهُ يخلُقُ الخيراتِ، هذا خِلافُ عَقيدَةِ الأَنبياءِ، فالرَّسولُ وكُلُّ الأَنبياءِ يَعتَقِدونَ أَنَّ اللهَ هو خالِقُ كُلِّ ما يَدخُلُ في الوُجودِ مِنَ الذَّرَّةِ إِلى العَرشِ.

اللهُ تَعالى خَلَقَ الأَشياءَ الـمُتقابِلَةَ: البياضَ والسَّوادَ والأَرضَ والسَّمواتِ والخَيرَ والشَّرَّ. هذا كَمَالٌ للهِ تَعَالَى عَكْسُ ما يَقُولُهُ الجُهَّالُ بِأَنَّ الذِي يَقُولُ اللهُ خَلَقَ الخَيْرَ والشَّرَّ فَهذا ظُلْمٌ بحقِّ اللهِ. قَولُ أَهلِ الحقِّ بَعيدٌ عَنِ التَّنقيصِ بحقِّ اللهِ تَعالى بَل هو تَنْزِيهٌ. وَبِقَولِ الجُهّالِ - والعِياذُ بِاللهِ - إِنَّ اللهَ لا يخلُقُ الشرَّ جَعلوهُ مَغلوبًا، واللهُ غالِبٌ على أَمرِهِ. نحنُ وهُم مُتَّفِقونَ على أَنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الشرَّ ولكِنِ الاختِلافُ أَنَّنا نَعتَقِدُ أَنَّهُ خالِقُ الخَيرِ والشرِّ وهذا تَنْزِيهٌ وتَمجيدٌ للهِ، لأَنَّنا جَعلناهُ هو الغالِبَ، أَمَّا هُم فَقَد جَعلوهُ مَغلوبًا والإِيمانُ لا يَصِحُّ بِالاعتِقادِ أَنَّ اللهَ مَغلوبٌ فَلَو كانَ كذلِكَ لَكانَ مُتَنَدِّمًا مُتَحَسِّرًا.

وسبحان الله والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الأمين، وءاله وأصحابه الطيبين».

حَدِيثٌ: تَصَدَّقْنَ فإِنِّي رَأيتُكُنَّ أكثرَ أهْلِ النّار:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ لهُ النعمةُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحسنُ صلواتُ اللهِ البرِّ الرحيمِ والملائكةِ المقربينَ على سيدِنا محمدٍ أشرفِ المرسلينَ وعلى جميعِ إخوانِه من الأنبياءِ والمرسلينَ.

أَمَّا بعدُ، فقد رُوِّينا بالإسنادِ المتَّصلِ في صحيحِ البخاريِّ وغيرِه أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ ذاتَ يومٍ وكان يومَ عيدٍ وكان اتَّبعَهُ بلالٌ رضيَ اللهُ عنهُ إلى النِّسَاءِ، لأنَّ النساءَ في ذلك الزَّمنِ كُنَّ يَخْرُجْنَ يَوْمَ الْعِيدِ بأَمْرٍ من رَسُولِ اللهِ، فمن كُنَّ منهنَّ على طُهْرٍ كُنَّ يصلِّينَ صلاةَ العيد خلفَ الرسولِ في غيرِ المسجدِ في بريَّةٍ، فضاءٍ، في مكانٍ يُقالُ له المُصَلَّى غيرُ المسجدِ، قريبٌ من المسجدِ من حيثُ المسَافَةُ، كنَّ يَخرُجْنَ إلى هناكَ ويُصَلِّينَ خلفَهُ، أما الحُيَّضُ فيقِفْنَ وحدَهُنَّ لتنالَهُنَّ بَرَكَةُ الدُّعَاءِ لا ليصلِّينَ مع الآخرينَ أي مع الرجالِ والنساءِ اللاتي هُنَّ على طُهرٍ. ذاتَ يومٍ قال لهنَّ: «**تصَدَّقْنَ فإِنِّي رَأيتُكُنَّ أكثرَ أهْلِ النَّارِ**»، قلنَ: «لأيٍّ؟» قالَ: «**لأنَّكنَّ تَكْفُرْن**»، قلنَ: «الكُفرُ باللهِ» قال: «**لا، تكفُرْنَ الإحْسَانَ وتُكْثِرْنَ اللَّعنَ**».

كفرُ الإحسانِ من الكبائرِ، إذا إنسانٌ أحسنَ إلى إنسانٍ فقالَ له: أنت ما عمِلتَ معي خيرًا، جَحَدَ، عليه ذنبٌ كبيرٌ، ولا سيَّما الزوجةُ إذا قالت لزوجِها: ما تعملُ معي خيرًا أنت، ما تعملُ معي معروفًا، وقد عمِلَ معها كثيرًا، تنكرُ، هذا الإنكارُ ذنبٌ كبيرٌ.

وهذا يحصلُ من النِّساءِ كثيرًا، لذلك الرسولُ قال: «**تكفرنَ**»، شبَّهَهُ بالكفرِ، شبَّهَ هذا الشيءَ الإكثارَ من اللعنِ وجحدَ الإحسانِ، جحْدَ الجميلِ، إنكارَ الجميلِ من الزوجِ، هذينِ الأمرينِ أي إكثارَ اللعنِ وجحدَ الجميلِ أي الإحسانِ شبَّهَهُما رسولُ اللهِ بالكفرِ الذي هو كفرٌ حقيقيٌّ الذي هو الخروجُ من الإسلامِ، شبَّهَهُمَا بذلكَ لأنهما ذنبانِ كبيرانِ،

لعنُ المسلمِ الذي لا يَستحِقُّ اللعنَ ذنْبٌ كَبِيرٌ كَبِيرٌ كَبِيرٌ كأنَّه قتلَهُ، الذي يلعنُ مسلمًا بغيرِ سببٍ كأنه قتلَهُ، من عِظَمِ ذنْبِهِ، كما قالَ الرَّسُولُ ذَلِكَ: «**لَعْنُ المسلم كقتلِه**» كذلك جَحْدُ الْعَشِيرِ أيْ إحسانِ الزوجِ، الزوجُ إذا كان لزوْجَتِهِ مُحْسِنًا ثم ذاتَ يومٍ تخاصما فَغَضِبَتْ منه وقالَتْ: أنا ما رأيتُ منكَ خيرًا، هذا ذنبٌ كبيرٌ عندَ اللهِ، وهذا شيءٌ كثيرٌ من النِّسَاءِ، يُكْثِرْنَ من اللعنِ كما قالَ الرسولُ، ويُكثرنَ من كفرانِ العشيرِ أي إنكارِ الإحْسَانِ، فهذا الأمرُ أي كفرانُ الجميلِ، جحدُ الإحسانِ لو كان مع غيرِ الزوجِ، لو كان مع أيِّ إنسانٍ أحسَنَ إليك، فإنكارُ هذا المعروفِ ذنبٌ كبيرٌ، لا يجوزُ، لأنَّ ذلكَ الإنسانَ يَتَأَذَّى، عندما يُقالُ له أنتَ ما عمِلْتَ معي معروفًا، وما رأيتُ لك إحسانًا، ما عمِلتَ معي إحْسَانًا، عندما يُقالُ له ذلكَ وهو كان قد أحسنَ إلى هذا الإنسانِ يتأذَّى من هذا، يكادُ قَلْبُه يتمزَّقُ من هذا غَيْظًا يقولُ كيف يُنْكِرُ جميلِي وأنا أحسنتُ إليه عمِلتُ له كذا وكذا، في نفسِه يقولُ وإن لم يذكر بلسانِه، يقولُ في نفسِه أنا عملتُ لهذه الزوجةِ كذا وكذا وبَعدَ كلِّ هذا تنكرُ جمِيلِي، يحترقُ قلبُه.

ثمَّ هذا الشيءُ فيه كذِبٌ، فيه أمرانِ إيذَاءُ هذا المسلمِ الزوجِ، والكذبُ، ذنبانِ مشتَرِكانِ، من ناحيةٍ كذبٌ والكذِبُ حرامٌ، ومن ناحيةٍ إيذاءٌ للمسْلِمِ، إيذاءٌ للزوجِ، لذلك الرسولُ شبَّهَ هذا الذنبَ بالكفرِ فقال: «**تكفُرنَ**»، ثم فسَّرَ هذا الشيءَ بأمريْنِ، إكثارِ اللَّعن وكُفْرانِ العشيرِ أي جحدِ الجميلِ من الزوجِ، جحدِ جميلِ الزوجِ أي إحسانِه.

فإياكُنَّ، احذَرْن وحذِّرن، من كان لها زوجٌ فلا تنكرْ جميلَ زوجِها مهما غضبت، مهما ساءتِ الحالةُ بينَهما إلى التنافرِ والتباغضِ لا تنكرِ الجميلَ الذي سبقَ من الزوجِ أنْ عمِلَه معها، لتقتصِرْ على طلبِ حقِّها إن كان لها منهُ حَقٌّ شَرْعِيٌّ وإلَّا تسكت، هناك في الآخرةِ حسابٌ للإنسانِ على ما يقولُه من القوْلِ وحسابٌ على الْعَمَلِ الذي يعملُه، على القولِ المحرَّمِ، على الكلامِ الذي يتكلمُ به الإنْسَانُ مما هُوَ حَرَامٌ، من أَيِّ نوعٍ كان،

والكلامُ المحرَّمُ كَثِيرٌ كثيرٌ كثيرٌ، وعلى الفِعلِ المحرَّمِ هناك حِسَابٌ، ذلك اليومَ اللهُ تبارك وتعالى يكشِفُ الأمور التي كانت خافيةً، التي كان الإنسانُ يُبْطِنها في صدرِه، هذه الأمورُ اللهُ تعالى يُظهِرها، لذلك ينبغي للنساءِ ولغيرِهن الابتعادُ من كفْرانِ الجميلِ أي الإحسانِ.

ثمَّ بعد ذلك النساءُ صِرْنَ يتصدَّقْنَ، هذه تخْرِجُ حُلِيَّهَا الذي في أذُنِهَا ويرمِينَهُ في ثوبِ بلالٍ رضيَ اللهُ عنه ليصرِفَهُ رسولُ اللهِ لمصالحِ المسلمينَ.

ولا يأخذُ الرسولُ الصدقةَ، أي صدقةَ التطوعِ ولا الزكاةَ، حرامٌ عليه، اللهُ تعالى حرَّمَ على نبيِّه صلى اللهُ عليه وسلم صدقَةَ التَّطَوُّعِ والزكاةَ، النبيُّ لنفسِه لا يأخذُ، إنما قال للنساءِ تصدَّقْن فإني رأيتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النارِ ليوزعَهُ للمسلمينَ، ليوزعَهُ في مصالحِ المسلمينَ، الزكاةُ الواجبةُ حرامٌ عليه وعلى الهاشميّينَ والمطَّلبيّينَ، هؤلاءِ قبيلةُ الرسولِ، بنو هاشمٍ وبنو المطلبِ اللهُ حرَّمَ عليهمُ الزكاةَ، أما غيرُ الزكاةِ، صدقةُ التطوعِ اللهُ تعالى أباحَ لهم، أحَلَّ لهم، أما الرسولُ اللهُ حرَّمَ عليه الزكاةَ وصدقةَ التطوعِ، كليهما، فلما قالَ الرسولُ: «**تصدقْنَ فإنِّي رأيتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النارِ**». أخرَجْنَ من الحُليِّ الذي كان عندهنَّ وصِرنَ يرمِينَهُ في ثوبِ بلالٍ رضيَ اللهُ عنه عَمَلًا بقولِ رسولِ اللهِ حيث أَمَرَهُنَّ بالصدقةِ، وهذا لأنَّ الصَّدقةَ من المالِ الحلالِ لوجهِ اللهِ تعالى أحيانًا يمحو اللهُ تعالى بها الذنبَ الكبيرَ أيضًا كما يمحو الذنبَ الصغيرَ، اللهُ تعالى يفعلُ ما يُرِيدُ. الذنبُ الكبيرُ مثلُ إنكارِ الجميلِ واللَّعنِ، لعنُ المسلمِ هذا إن غفرَهُ اللهُ لعبدِه يغفِرُه بالتوبةِ والتوبةُ تكون بالنسبةِ للعنِ إذا لعنَ مسلمٌ مسلمًا في وجهِه يستسمِحُه ويندمُ وينوي أنه لا يعودُ، يكونُ تابَ، فيمحو اللهُ عنه، كذلك الزوجةُ عندما تُنكِرُ جميلَ زوجِهَا إذا أرادتِ التوبةَ تَسْتَسْمِحُهُ لأنه يتأذَّى قلبُه، قلبُه تألَّمَ من إنكارِها هذا، بعضُهم يَبْطِشُ بالضَّرْبِ الشَّدِيدِ فِي تلك الحالةِ يقولُ كيف تنكرُ وأنا قد عمِلْتُ لها كَذَا وَكَذَا وَكَذَا؟! يضربُهَا ضربًا شديدًا وقد يُطَلِّقُهَا، يتولَّدُ منه مفاسدُ، تستسمحُه وتندمُ وتعزِمُ أنها لا تعودُ بعدَ ذَلِكَ، تكونُ تابتْ محا اللهُ عنها.

أمَّا إن لم يكن بَلَغَهُ، فِي خلفِه هذا اللَّعْنُ الَّذِي لُعِنَهُ بِغَيْرِ سَبَبٍ شرعيٍّ، ما أحدٌ أبلغَهُ إلى ءاخرِ الحياةِ فهذا أهْوَنُ، لأنَّه إن بلغَهُ هذا اللَّعنُ يتأذى هذا المسلمُ وإنْ لم يبلغْهُ لا يتأذى، ولكنَّه مكتوبٌ عندَ اللهِ، ذنبُه مكتُوبٌ، هذه المعصيةُ كُتِبَتْ لكنَّها أهونُ ممَّا إذا بلَغَ الشخصَ أنَّه لَعَنَهُ.

ثمَّ من الجائزِ وليسَ من المحالِ أن يُسَامِحَ اللهُ من ماتَ على الإسلامِ من ذنبٍ كبيرٍ أو صغيرٍ، يسامحُ اللهُ من يَشَاءُ، حتى لو كان لَيْسَ له حسناتٌ كَثِيرَةٌ يُوَفَّى بها المظَالِمُ التي ظلمَها الناسَ بالسَّبِّ أو بالفعلِ كالضَّرْبِ بِلَا سَبَبٍ شَرْعِيٍّ أو كأكلِ مالِ إنسانٍ مُسْلِمٍ ظلمًا وحَرامًا وغيرِ ذلك.

اللهُ تعالى يعفو عن بعضِ المسلمينَ ولكنَّ الكثيرَ الكثيرَ يُؤخذُ من حسناتِهم فَيُوَفَّى مظالمُ الناسِ، يُوَفَّى من حسناتِ هذا الإنسانِ الذي ظلمَ النَّاسَ بالقولِ أو بالفعلِ.

فالمطلوبُ أن تتجَنَّبْنَ هذه المعصيةَ بل المعصيتينِ، وتُحَذِّرْنَ غيرَكُنَّ منها. فإذا رأيتُنَّ واحدةً تُخاصِمُ زوجَها وتقعُ فِي هذه المعصيةِ الكبيرةِ، تُنكرُ جميلَ زوجِها لا تُساعِدْنَها بل انهَيْنَها قلنَ لها: «اتَّقِي اللهَ لِمَ تُنْكِرينَ جميلَهُ، هذا حرامٌ عَظِيمٌ كَبِيرٌ، ينبغي منعُها ونهْيُها. أمَّا السكوتُ لها حتى تتمادى فهذه التي تسكتُ أيضًا يلحقُها ذنبٌ، حديثُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّم هذا دليلٌ على أنّ هذا الشيءَ يقعُ كثيراً من النساءِ، ليسَ من الأقلِّ بل من الأكثرِ هذا هو الواقعُ، أكثرُ النساءِ يُنْكِرْنَ جميلَ الزوجِ، الرسولُ قال بيانًا لذلك أي مبالغةً فِي البيانِ قال: «**لو أحْسَنْتَ إلى إحداهُنَّ ثم رأتْ منك شيئًا قالت: واللهِ ما رأيتُ منك خيرًا قطُّ الدهر**» يعني زمانًا.

لو كنتَ تظَلُّ تُحْسِنُ إلى المرأةِ، أي أغلبِ النساءِ وليس كلَّهنَّ لو ظَلِلتَ تُحسِنُ إلى إحداهُنَّ الدهرَ أي الزمانَ الطويلَ ثم رأتْ منك شيئًا أي غَاضَبَتْكَ تَقُولُ وَاللهِ ما رأيْتُ منك شيئًا قطُّ أيْ من الإحسانِ، ما رأيتُ لكَ إحْسَانًا، وهذا هو الواقعُ.

وسبحان الله والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الأمين، وءاله وأصحابه الطيبين».

تَنْزِيهُ اللهِ عَنِ المكانِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحَمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ لَهُ النِّعمَةُ وَلهُ الفَضلُ وَلهُ الثَّناءُ الحَسَنُ وصَلواتُ اللهِ البَرِّ الرَّحيمِ والملائِكَةِ المُقَرَّبينَ عَلى سَيِّدِنا محمَّدٍ أَشرَفِ المُرسَلينَ وعَلى ءالِهِ وَأَصحابِهِ وسائِرِ الأَنبياءِ وجميعِ أَولياءِ أُمَّةِ محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ.

أمَّا بَعدُ، فَإِنَّ أَهَمَّ الأُمورِ عِندَ اللهِ وأَعلاها وأَفضَلَها هو مَعرِفَةُ اللهِ ورَسولِهِ كَما يَنبَغي، لَيسَ مُجرَّدَ أَن يَقولَ القائِلُ أَشهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ وأَشهَدُ أَنَّ محمَّدًا رَسُولُ اللهِ بِلِسانِهِ، لا يَكفي مُجرَّدُ الاعترافِ بِاللِّسانِ بَل لا بُدَّ مِنَ المعرِفَةِ بِالقَلبِ لِمعنى لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ محمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فَمن عَرَفَ مَعنى لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ ومَعنى محمَّدٌ رَسُولُ اللهِ كَما يجِبُ، واعتَقَدَ بِقَلبِهِ ولم يُخَالِجْهُ شَكٌّ هَذا مَضْمونٌ لَهُ النَّجاةُ مِنَ الخُلودِ الأَبَدِيِّ فِي جَهَنَّم، مَهما كَانَ عِندَهُ ذُنوبٌ وماتَ وهو غافِلٌ لا بُدَّ أَن يَدخُلَ الجَنَّةَ، مَهما تَعَذَّبَ فِي النَّارِ لا بُدَّ أَن يَدخُلَ الجَنَّةَ لأَنَّ مَن لم يَعرِف المَعنى وكانَ يَقولُ بِلِسانِهِ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ محمَّدٌ رَسُولُ اللهِ لا يَنفَعُهُ بَعدَ الموتِ.

فِي الدُّنيا تخفى كَثيرٌ مِنَ الحقائِقِ أمَّا بَعدَ الموتِ الأُمورُ تَنجَلي عَلى حَقيقَتِها، مَن كَانَ يَقولُ بِلِسانِهِ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ محمَّدٌ رَسُولُ اللهِ بَينَ النَّاسِ ثمَّ هُوَ لم يَعرِفْ مَعْناهُما وماتَ عَلى ذلِكَ أي وهو جاهِلٌ بمعناهُما، هَذا فِي القَبرِ لا يَنفَعُهُ ذلِكَ ولا فِي الآخِرَةِ.

ومَعنى «لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ» لا أَحَدَ يَستَحِقُّ نهايَةَ التَّعظيمِ والخُضُوعِ والتَّذَلُّلِ إِلَّا اللهُ، اللهُ تَعالى هو الذي يَسْتَحِقُّ على عِبَادِهِ نِهَايَةَ التَّذَلُّلِ والتَّعْظِيمِ، لا أَحَدَ يجوزُ أَن يُعَظَّمَ كَمَا يُعَظَّمُ اللهُ، لا الملائِكَةُ ولا الأَنبياءُ ولا الأَولِيَاءُ يَسْتَحِقُّونَ أَن يُعَظَّمُوا كَما يُعَظَّمُ اللهُ، لكِن يُعَظَّمونَ إِلى حَدٍّ يَليقُ بهِم لَيسَ إِلى حَدِّ تَعْظِيمِ اللهِ. تَعظيمُ اللهِ تَعظيمٌ مُطلَقٌ، هو

غايَةُ التَّعظيمِ، نُعَظِّمُهُ غايةَ التَّعظيمِ، والملائِكَةُ والأَنبياءُ يُعَظِّمونَهُ، يَخضَعونَ لَهُ، يَتَذَلَّلونَ لَهُ، أَكثَرَ مِنَّا يَتَذَلَّلونَ لِرَبِّهِم، الأَنبياءُ والملائِكَةُ هُمْ أَفضَلُ الخَلقِ. مَعنى لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ لَا أَحَدَ يَستَحِقُّ نَهَايَةَ التَّعْظِيمِ إِلَّا اللهُ، و«اللهُ» مَعناهُ ذاتٌ مُتَّصِفٌ بِصِفاتِ الكَمالِ، مَوجودٌ لا يُشبِهُ الموجوداتِ، لا يُشبِهُ شَيئًا مِنَ العوالِمِ التي رأَيناها والتي لم نَرَها، لا يُشبِهُ الإِنسانَ، لَيسَ شَيئًا لَهُ نِصفٌ أَعلى ونِصفٌ أَسْفَلُ كالإِنْسَانِ، ولا كالجَمَادَاتِ كالشَّمْسِ، والْقَمَرِ، والكَوَاكِبِ، ولا هُوَ كالهَوَاءِ والضَّوْءِ والظَّلَامِ، لا يُشْبِهُ هَذا كُلَّهُ.

كُلُّ ما يُتَصَوَّرُ بِالبَالِ فَاللهُ بخِلَافِ ذَلِكَ، «**مهما تَصَوَّرْتَ بِبَالِكَ فَاللهُ بخِلَافِ ذَلِكَ**» هَذا الكَلامُ قالَهُ الإِمامُ ذُو النُّونِ المِصْرِيُّ الذي هو مِن أَكابِرِ الأَولياءِ الذينَ كَانَت أَلْسِنَتُهُم تَفيضُ بجواهِرِ العُلُومِ، هَذا الْعَالِمُ الجْلِيلُ قالَ هَذا الكَلَامَ وهوَ أَخَذَ هَذا الكَلَامَ مِن القُرءانِ لأَنَّ اللهَ فِي القُرءانِ ذَكَرَ أَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ، قالَ تَعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ١١**﴾ [سورة الشورى] اللهُ تَعالى عَن نَفْسِهِ قالَ إِنَّهُ لا شَىءَ مِثْلُهُ لَا الإِنسانُ يُشْبِهُهُ ولا النَّيِّرَاتُ كالشَّمسِ والقَمَرِ والنُّجومِ ولا الهواءُ ولا الرِّيحُ ولا الماءُ ولا غَيرُ ذلِكَ مِنَ اللَّطائِفِ. الرُّوحُ مخلوقَةٌ، بَعضُ الجُهَّالِ يَقولونَ «الرُّوحُ جُزءٌ مِنَ اللهِ»، عَلى زَعمِهِم اللهُ تَعالى حالٌّ فينا لأَنَّ الرُّوحَ فينا وهَذِهِ الرُّوحُ عَلى زَعمِهِم جُزءٌ مِنَ اللهِ، هَؤلاءِ ما عَرَفُوا اللهَ، اللهُ تَعالى لا يَحُلُّ فِي شَىءٍ ولا يَحُلُّ فيهِ شَىْءٌ، واللهُ تَبارَكَ وتَعالى لا يَمَسُّ ولا يُمَسُّ، خَلَقَ العَالَمَ مِن دونِ مُباشَرَةٍ ولا ءالَةٍ، لَيسَ مِثلَنا نحنُ نَبني البِناءَ بحَرَكاتٍ وأَدواتٍ وءالاتٍ وهو لَيْسَ كذلِكَ، خَلَقَنَا مِنْ دُونِ مُباشَرَةٍ مِن دونِ حَرَكاتٍ ومُزاولاتٍ، بمشيئَتِهِ الأَزَلِيَّةِ حَصَلَ كُلُّ شَىءٍ فَدَخَلَ فِي الوُجُودِ. هُو تَبارَك وتَعالى شاءَ فِي الأَزَلِ، قَبلَ أَن يَخْلُقَ العَالَمَ شاءَ كُلَّ ما سَيَحْدُثُ فَحَدَثَ كُلُّ ما شَاءَ وُجُودَهُ أَي دُخُولَهُ فِي الْوُجُودِ، شَاءَ فِي الأَزَلِ قَبلَ أَن يَكُونَ شَىْءٌ سِوَاهُ، ما كَانَ فِي الْأَزَلِ شَىْءٌ إِلَّا اللهُ، لم يَكُنْ عَرْشٌ وَلَا سَماءٌ وَلَا جَنَّةٌ وَلَا نارٌ وَلَا هَواءٌ وَلَا نورٌ وَلَا ظَلامٌ.

شيءٌ يَحتارُ فيهِ العَقلُ، إذا قيلَ لَكَ كَيفَ يَكونُ فيما مَضى وُجودٌ بِلا ظَلامٍ ولا ضَوءٍ، هَذا شَيءٌ يَحتارُ فيهِ العَقلُ، يحتارُ فيهِ إِدراكُ الإِنسانِ، لكِن نحن نُؤمِنُ فَنَقولُ: لم يَكُن فِي الأَزَلِ لا ضَوءٌ ولا ظَلامٌ، فَاللهُ كَانَ هو وَحدَهُ، لا ضَوءَ ولا ظَلامَ ولا هواءَ ولا روحَ ولا شَيءَ، كَانَ هو وَحدَهُ ثمَّ خَلَقَ قَبلَ كُلِّ شَيءٍ الماءَ ثمَّ مِنَ الماءِ خَلَقَ العَرشَ ثمَّ خَلَقَ مِنَ الماءِ القَلَمَ الأَعلى، غَيرَ أَقلامِنا هذِهِ، وخَلَقَ اللَّوحَ المحفوظَ، هذا اللوحُ المحفوظُ ليسَ كدفاتِرنا ولا كهذِهِ الأَلواحِ التي نَكتُبُ عَلَيها إِنَّما هو جِسمٌ كَبيرٌ مِقدارُهُ مِقدارُ مسافَةِ خَمْسِمائةِ عامٍ، مِساحتُهُ، اتِّساعُهُ مِقدارُ خَمْسِمائةِ عامٍ.

اللهُ تبارَكَ وتَعالى امتَنَّ عَلى سَيِّدِنا محمَّدٍ بِالمعراجِ أَي العُروجِ إِلى سِدرَةِ المُنتَهى ثمَّ إِلى ما فوقَ ذلِكَ إِلى حَيثُ شاءَ اللهُ، وذَلِكَ لِيُرِيَهُ عَجائِبَ المَلكوتِ الأَعلى حتَّى يَزدادَ يَقينًا بِرَبِّهِ وإِجلالا وتَعظيمًا، هَذا هو المَقصودُ مِنَ المِعراجِ، فذلِكَ المَكانُ الذي كَانَ وَصَلَ إِليهِ الرَّسولُ هو مَكانٌ للرَّسولِ، في ذلِكَ الوَقتِ، الرَّسولُ كَانَ مُتَحَيِّزًا هُناكَ، أمَّا اللهُ تَبارَكَ وتَعالى فَهو مَوجودٌ بِلا مَكانٍ لا يجوزُ عَليهِ أَن يَكونَ لَهُ حَيِّزٌ ولا يجوزُ عَليهِ أَن يَكونَ لَهُ حَدٌّ كَما رُوِيَ عَن سَيِّدِنا عَليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ في كِتابِ «الحِليةِ» لأَبي نُعَيمٍ أَنَّهُ قالَ: «**مَن زَعَمَ أَنَّ إِلهنا محدودٌ فَقَد جَهِلَ الخالِقَ المعبودَ**» وَكَما هو مَذكورٌ في كِتابِ أَبِي جَعفَرٍ الطَّحاويِّ: «**تعالى عَنِ الحُدودِ والغاياتِ والأَركانِ والأَعضاءِ والأَدواتِ، ولا تحويهِ الجِهاتُ السِّتُّ كَسائِرِ المُبتَدَعاتِ**». اللهُ تَبارَكَ وتَعالى لا يجوزُ عَليهِ أَن يَكونَ لَهُ مِساحَةٌ، كُلُّ شَيءٍ مِنَ الأَجرامِ أَي مِنَ الأَجسامِ لَهُ مِساحَةٌ، الإِنسانُ لَهُ مِساحَةٌ، والنَّملَةُ لها مِساحَةٌ، أَمَّا اللهُ تَبارَكَ وتَعالى فَلا يَدخُلُهُ الحد والمِقدارُ، لأَنَّ الشَّيءَ الذي يَدخُلُهُ الحَدُّ والمِقدارُ لا بُدَّ أَن يَكونَ مُحتاجًا إِلى مَن جَعَلَهُ على هذا الحَدِّ والمِقدارِ.

الْمَقْصُودُ مِنَ المِعْرَاجِ: تَشريفُ النَّبيِّ بِإِطلاعِهِ على عجائِبِ العالَمِ العُلويِّ. أَمَّا الذي يَعتَقِدُ أَنَّ الله يتصف بصِفَةٍ مِن صِفاتِ البَشَرِ كالحَرَكَةِ والسُّكونِ أَو التَّطوُّرِ والتَّغيُّرِ أَو

الزِّيَادَةِ والنُّقْصَانِ أَو التَّأثرِ والانفِعالِ، الذي يَعْتَقِدُ في اللهِ شَيئًا مِن هذا فَهو كَافِرٌ، الذي يَصِفُ اللهَ بِصِفَةٍ مِنْ صِفاتِ البَشَرِ ما عَرَفَ اللهَ، عَلَيهِ أَن يُغَيِّرَ اعتقادَهُ فَيقولَ: اللهُ تَعالى مَوجودٌ لا كالْمَوْجُودَاتِ، مُنَزَّهٌ عَن الكَيْفِيَّةِ والكَمِّيَّةِ والحَرَكَةِ والسُّكُونِ والتَّطَوُّرِ والتَّغَيُّرِ والانفِعالِ والتَّأثُرِ، ثمَّ يَرجِعُ إِلى الإِسلامِ عَن هذا الكُفرِ الاعتِقادِيِّ بِالنُّطقِ بِالشَّهادَتَين.

اللهُ تَعالى خَلَقَ المكانَ فَلا يحتاجُ إِليهِ قالَ ابنُ البرمَكِّي في اللهِ تَعالى: قَد كَانَ مَوجودًا ولا مَكانًا وحُكمُهُ الآنَ عَلى ما كانا.

والّذي يَتَوهَّمُ أَنَّ الرَّسولَ عُرِجَ بِهِ حتَّى يَلقى اللهَ تَعالى بمكانٍ هو مَركَزُهُ وحَيِّزُهُ نَقولُ لَهُ: هذا جَهلٌ بِاللهِ تَعالى، اللهُ تَعالى لَو كَانَ لَهُ مَكانٌ لَكَانَ لَهُ أَمْثَالٌ، مَلَائِكَةُ الْعَرْشِ يَعِيشُونَ في العَرْشِ، ومَلائِكَةُ السَّمَاءِ الأُولى ومَلائِكَةُ السَّماءِ الثَّانيةِ ومَلائِكَةُ السَّماءِ الثَّالِثَةِ والرَّابِعَةِ إِلى السَّابِعَةِ يَعيشونَ في هذِهِ السَّماواتِ، مِن كَثرَتِهِمْ سَيِّدُنا محمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ قالَ: «**ما في السَّمواتِ مَوضِعُ كَفٍّ ولا شِبرٍ ولا ذِراعٍ إِلَّا وفيهِ مَلَكٌ قائِمٌ أَو راكِعٌ أَو ساجِدٌ**».

فَاللهُ تَبارَكَ وتَعالى لَو كَانَ لَهُ مَكانٌ لَكانَ مِثلَ هَؤلاءِ الملائِكَةِ وهو تَبارَكَ وتَعالى قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ [سورة الشورى] نَفى عَن نَفسِهِ المُشابهَةَ وقَد قالَ الإمامُ محمدُ بن هِبةِ اللهِ البرمَكِّي في قَصيدَتِهِ التي أَلَّفَها على عَقيدَةِ الإمامِ أَبي الحَسَنِ الأَشعَرِيِّ وأَهداها إِلى السُّلطانِ صَلاحِ الدِّينِ الأَيُّوبِيِّ لِيُعَلِّمَها في المدارِسِ، فسُمِّيَت بِالعَقيدَةِ الصلاحية:

وصانِعُ العالَمِ لا يحويهِ ... قُطرٌ تَعالى اللهُ عَن تَشبيهِ

قَد كَانَ مَوجودًا ولا مكانَا ... وَحُكمُهُ الآنَ على ما كانَا

هَؤلاءِ الذينَ يَظُنونَ أَنَّ الرَّسولَ عُرِجَ بِهِ إِلى السَّماءِ السَّابعة وما بَعدَها إِلى أَن وَصَلَ إِلى المَكانِ الذي رأى فيه اللهَ تبارك وتعالى، لأَنَّ اللهَ تَبارَكَ وتعالى بزعمهم مَركَزهُ هُناكَ، هذا جَهلٌ بِاللهِ وضَلالٌ، هَؤلاءِ يُعَلَّمُون وإِلَّا يموتونَ على غَيرِ الإِسلامِ تَعليمُهُم واجِبٌ. مِن شِدَّةِ الجَهلِ قالَ بَعضُهُم: سَيِّدُنا محمَّدٌ اقترَبَ مِنَ اللهِ بمسافَةٍ مِثلِ مسافَةِ ما بَينَ هذا الحاجِبِ وهذا الحاجِبِ والعِياذُ بِاللهِ، مِن أَينَ أَتَوا بهذا الكَلامِ الفاسِدِ؟ اللهُ تَعالى قالَ فِي القُرءانِ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ٩﴾ [سورة النجم] هكذا هُم فَسَّروهُ، هَكَذا فَسَّروا فَقالوا: اللهُ نَزَلَ مِن أَعلى بِالحَرَكَةِ والانتِقالِ حتَّى صارَ ما بَينَهُ وبَينَ سَيِّدِنا محمَّدٍ مِنَ المَسافَةِ كَهذِهِ مِن هذِهِ، ما هذا الجَهلُ؟ شَبَّهوا اللهَ بِخَلقِهِ. وكذلِكَ الذينَ يَقولونَ إِنَّ اللهَ جالِسٌ على الكُرسِيِّ أَو على العَرشِ وتَرَكَ لِسَيِّدِنا محمَّدٍ مَكانًا يُجلِسُهُ فيهِ يَومَ القِيامَةِ. وهذا مِن أَجهَلِ الجَهلِ وهذا تَكذيبٌ للآيةِ القُرءانِيّةِ وكُفرٌ والعِياذُ بِاللهِ تَعالى.

وَسبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصَلَّى اللهُ وسلَّمَ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الأَمِينِ، وَءالِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ.

شُمُولُ مَشيئَةِ اللهِ تعالى:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ لَهُ النِّعمَةُ ولَهُ الفَضلُ ولَهُ الثَّناءُ الحسَنُ وأَشْهَدُ أَن لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ.

أمَّا بَعدُ، فَقَد روى الحافِظُ أَبو نُعَيمٍ مِن طَرِيقِ ابنِ أَخِي الزُّهريِّ عَن الزُّهريِّ أَنَّ عُمَرَ بنَ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ كانَ يحبُّ قَصيدَة لَبيدِ بنِ رَبيعَةَ التي مِنها هذِهِ الأَبياتِ. وهِيَ مِن بحرِ الرَّمَل:

إنَّ تَقــوى رَبِّنــا خَــيْرُ نَفَــلْ   وَبِإذنِ الله رَيْثِــي وعَجَــلْ

أَحمــدُ اللهَ فَــلا نِــدَّ لَــهُ   بِيَدَيْــهِ الخَــيْرُ مَــا شَــاءَ فَعَــلْ

مَــنْ هَــدَاهُ سُــبُلَ الخَــيرِ اهتَــدى   ناعِــمَ البــالِ ومَــن شــاء أَضَــلْ

إنما كانَ عُمَرُ يُعجَبُ بهذِهِ الأَبياتِ لِما فيها مِنَ الفَوائِدِ الجَسيمَةِ، فَقَولُهُ: «إِنَّ تَقوى رَبّنا خَيرُ نَفَل»، أَي أَنَّ تَقوى اللهِ خَيرُ ما يُؤتاهُ الإِنسانُ وَخَيرُ ما يُعطاهُ الإِنسانُ، والتَّقوى كَلِمَةٌ خَفيفَةٌ على اللِّسانِ لكِنَّها ثَقيلَةٌ فِي العَمَلِ لأَنَها أَداءُ ما افترَضَ اللهُ على العِبادِ واجتِنابُ ما حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِم وهذا أَمرٌ ثَقِيلٌ، قالَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى: ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣**﴾ [سورة سبأ] وقَد خَصَّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ بِنَعِيمٍ فِي الجَنَّةِ لا يُشَارِكُهُمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ.

قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: قالَ اللهُ تَعالى: «**أَعدَدتُ لِعِبادِيَ الصَّالحينَ ما لا عَينٌ رَأَت ولا أُذُنٌ سمِعَت ولا خَطَرَ على قَلبِ بَشَرٍ**» الحَديثُ رَواهُ البُخارِيُّ. أَي لَمْ يُطْلِعِ اللهُ عَلَيْهِ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ ولا أَنبياءَهُ المُرسَلينَ حتى إِنَّ هذا النَّعيمَ لَم يُطلِعْ عَلَيهِ رِضوانَ خازِنَ الجَنَّةِ. وَقولُهُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ «وَبِإذنِ اللهِ رَيثي وَعَجَل» أَي أَنَّهُ لا يُبطِئُ مُبطِئٌ ولا يُسرِعُ نَشيطٌ فِي العَمَلِ إِلَّا بمشيئَةِ اللهِ وَإِذنِهِ، أَي أَنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى هُو الذي يَخلُقُ فِي العَبدِ القُوَّةَ وَالنَّشاطَ للخَيرِ وهُو الذي يخلُقُ فِيهِ الكَسَلَ وَالتَّوانيَ عَنِ الخَيرِ، أَي أَنَّ الخَيرَ

والشَّرَّ اللَّذَيْنِ يحصُلانِ مِنَ الخَلقِ كُلٌّ بخَلقِ اللهِ تَعالى ومَشيئَتِه. قالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ «أَحمَدُ اللهَ فَلا نِدَّ لَه» أَي لا مَثيلَ لَهُ، قالَ «بِيَدَيهِ الخَيرُ» أَي والشَّرُّ أَي أَنَّ اللهَ تَعالى مالِكُ الخَيرِ ومالِكُ الشَّرِّ وخالِقُ الخَيرِ والشَّرِّ، لا خالِقَ لِلخَيرِ والشَّرِّ مِن أَعمالِ العِبادِ إِلَّا اللهُ لَيسَ العِبادُ يخلُقُونَهُ ولا النُّورُ والظُّلْمَةُ يَخْلُقانِ ذَلِكَ كَمَا قَالَتِ المانَوِيَّةُ، وهُم قَومٌ يَقولونَ: «النُّورُ والظُّلمَةُ قَديمانِ أَزَلِيَّانِ ثمَّ تمازَجا فَحَدَثَ عَنِ النُّورِ الخَيْرُ وعَنِ الظُّلمَةِ الشَّرُّ وقَد كَذَّبهم المُتَنَبي الشّاعِرُ في قَولِهِ:

وَكَم لِظَلامِ اللَّيلِ عِندِيَ مِن يَدٍ   تُخَبِّرُ أَنَّ المانَوِيَّةَ تَكْذِب

وَإِنما اقتَصَرَ لبيدٌ رَضِيَ اللهُ عَنهُ على ذِكرِ الخَيرِ دونَ الشَّرِّ اكتِفاءً بِذِكرِ الخَيرِ عَن ذِكرِ الشَّرِّ لأَنَّهُ مَعلومٌ عِندَ أَهلِ الحَقِّ أَنَّ اللهَ خالِقُ الخَيرِ والشَّرِّ وعلى هذا اتَّفَقَ أَهلُ الحَقِّ فَإِيمانُ المُؤمنينَ وطاعَاتُهُم وكُفرُ الكافِرينَ كُلٌّ بخَلقِ اللهِ تَعالى ومَشيئَتِهِ إِلَّا أَنَّ الخَيرَ والإِيمانَ والطَّاعَةَ بخَلقِ اللهِ ومَشيئَتِهِ ورِضاهُ، والكُفرَ والمعاصيَ بخَلقِ اللهِ يحصُلُ مِنَ العِبادِ لا بِرِضاهُ بَل نهاهُم عَنْ ذَلِكَ.

اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ولا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ولا يجوزُ قِياسُ الخالِقِ إِذ لا يَتِمُّ أَمرُ الدِّينِ إِلَّا بِالتَّسليمِ للهِ فَمَن سَلَّمَ للهِ سَلِمَ وَمَن تَرَكَ التَّسْليمَ لَهُ فاعتَرَضَ لَم يَسْلَم، فَإِن قيلَ أَليسَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى قالَ ﴿**بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ**٢٦﴾ [سورة ءال عمران] ولَم يَقُلِ «الشَّرُّ» فَكَيفَ يجوزُ أَن يُقالَ: إِنَّهُ خالِقُ الخَيرِ والشَّرِّ؟ كانَ الجوابُ: في مَواضِعَ أُخرى مِنَ القُرءانِ ما يُفيدُ أَنَّ اللهَ تَعالى خالِقُ كُلِّ شَىءٍ وهذا يَشمَلُ الخَيرَ والشَّرَّ. قالَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى لِنَبِيِّهِ محمَّدٍ: ﴿**قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ**٢٦﴾ [سورة ءال عمران] **فَعَلِمنا مِن قَولِهِ تَعالى:** ﴿**تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ**﴾ أَنَّهُ هُو خالِقُ الخَيرِ والشَّرِّ لأَنَّهُ هُو الذي ءاتى أَي أَعطى المُلكَ لِلمُلوكِ الكَفَرَةِ كَفِرعونَ

والمُلوكِ المُؤمِنينَ كَذِي القَرنَينِ، فَلَيسَ في تَركِ ذِكرِ الشَّرِّ مَعَ الخَيرِ في قَولِهِ تَعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [سورة ءال عمران] دَليلٌ على أَنَّ اللهَ تَعالى لَيسَ خالِقًا للشَّرِّ، وأمَّا قَولُهُ تَعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ٧٩﴾ [سورة النساء]
فَالحَسَنَةُ مَعناها النِّعمَةُ والسَّيِّئَةُ هُنا مَعناها المُصيبَةُ والبَلِيَّةُ، فَمَعنى الآيَةِ ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ أَي ما أَصابَكَ مِن نِعمَةٍ فَمِنَ اللهِ أَي مِن فَضلِ اللهِ عَلَيكَ وما أَصابَكَ مِن سَيِّئَةٍ أَي مُصيبَةٍ وَبَلِيَّةٍ فَمِن نَفسِكَ أَي مِن جَزاءِ عَمَلِكَ، أَعمالِ الشَّرِّ التي عَمِلتَها نُجازيكَ بِها بِهذِهِ المصائِبِ والبَلايا هذا مَعنى السَّيِّئَةِ. ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ٧٩﴾ مَعناهُ مِن جَزاءِ عَمَلِكَ تَأتيكَ المَصائِبُ والبَلايا، لَيسَ المَعنى أَنَّكَ أَنتَ أَيُّها الإِنسانُ تخلُقُ الشَّرَّ، العَبدُ لا يخلُقُ شَيئًا لكِن يَكتَسِبُ، يَكتَسِبُ الخَيرَ ويَكتَسِبُ الشَّرَّ واللهُ خالِقُهُما في العَبدِ فَإِنْ عَمِلنا خَيرًا فَاللهُ تَعالى هُو خَلَقَ هذا العَمَلَ فينا. وإِن عَمِلنا شرًا فَهُو خَلَقَهُ فينا.

مَــــن هَـــداهُ سُــبُلَ الخَــيرِ اهتَــدى ... ناعِـــمَ البــالِ ومَـــن شـــاء أَضَـــلْ

مَعنى هَذا البَيتِ أَنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى مَن هَداهُ سُبُلَ الخَيرِ أَي مَن شاءَ في الأَزَلِ أَن يَكونَ مُهْتَدِيًا فَلا بُدَّ أَن يَهْتَدِيَ، أَي مَنْ شاءَ اللهُ لَهُ في الأَزَلِ أَن يَكونَ مُهْتَدِيًا، أَي على دينِ اللهِ تَبارَكَ وتَعالى وعلى تَقواهُ اهتَدَى أَي صَارَ مُهْتَدِيًا تَقِيًّا ناعِمَ البالِ أَي مُطْمَئِنَ الْبَالِ للإيمانِ بِاللهِ تَعالى وبِما جاءَ عَن رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، «وَمَن شاءَ أَضَلْ» أَي أَنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى مَن شَاءَ في الأَزَلِ أَن يَكُونَ ضَالًّا أَضَلَّهُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى أَي خَلَقَ فيهِ الضَّلَالَ، هذِهِ مِن أُصُولِ عَقائِدِ أَهلِ التَّنْزِيهِ، أَهلِ التَّوحيدِ، أَهلِ السُنَّةِ والجماعَةِ الّذينَ هُم على ما كانَ عَلَيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ وَأَصحابُهُ وَمَن تَبِعَهُم بِإِحسانٍ، هُم

على هذا الاعتِقادِ أَنَّ مَن شاءَ اللهُ تَعالى لَهُ فِي الأَزَلِ أَن يَكونَ مُهْتَدِيًا لا بُدَّ أَن يَهتَدِيَ بِاختِيارِهِ.

اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى يُلهِمُهُ الإِيمانَ والتُّقى، مَن شاءَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى فِي الأَزَلِ أَن يَكونَ على سَبيلِ الهُدى اهتَدى بِاختِيارِهِ لا مجبورًا وأَمَّا مَن شاءَ اللهُ تَعالى فِي الأَزَلِ أَن يَكونَ على خِلافِ ذَلِكَ أَي أَن يَكونَ ضالا كافِرًا أَضَلَّهُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى أَي جَعَلَهُ كافِرًا فَيَختارُ هذا العَبدُ الكُفرَ وَكُلٌّ مِنَ الفَريقَينِ كُلٌّ مِنَ الطّائِفَتَينِ الطّائِفَةِ الّذينَ شاءَ اللهُ لهم فِي الأَزَلِ الإِيمانَ أَن يَكونوا مُهتَدينَ يختارونَ الهُدَى أَي الإِسلامَ والتَّقوى ومَن شاءَ اللهُ لهم فِي الأَزَلِ أَن يَكونوا كافِرينَ باخْتِيارِهِم أَضَلَّهُم اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى أَي خَلَقَ فيهم الضَّلالَ.

فالإِيمانُ بخَلقِ اللهِ تَعالى فِي العَبدِ والكُفرُ بخَلقِ اللهِ تَعالى فِي العَبدِ وكِلا الطّائِفَتَينِ يَكونُ لَهُ اختيارٌ، هذا يختارُ الإِيمانَ لأَنَّ اللهَ شاءَ فِي الأَزَلِ أَن يَكونَ مُؤمِنًا مُهْتَدِيًا باختِيارِهِ وهذا يختارُ الكُفرَ لأَنَّ اللهَ تَعالى شاءَ فِي الأَزَلِ أَن يَكونَ كافِرًا ضَالًّا فَلِمَا فِي هذِهِ الأَبياتِ مِنَ التَّوحيدِ الخالِصِ كانَ يُعْجَبُ بهنَّ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ فاحفَظُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مِنْ جواهِرِ العِلمِ فِي أُصولِ العَقيدَةِ.

وسبحان الله والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الأمين، وءاله وأصحابه الطيبين».

اللهُ خَالِقُ الأَسْبَابِ وَالْمُسَبَّبَاتِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ صلواتُ اللهِ البرِّ الرحيمِ والملائكةِ المقربينَ على سيدِنا محمدٍ أشْرَفِ المرسلينَ وعلى جميعِ إخوانِه الأنبياءِ والمرسلينَ وسلامُ اللهِ عليهم أجمعينَ. قالَ أهلُ الحقّ: لما كانَ اللهُ تبارك وتعالى منفردًا بالخلقِ أي الإحداثِ من العدمِ إلى الوجودِ، لا يشاركُه في ذلك شيءٌ لا من ذوي الأرواحِ ولا من الجَمَاداتِ ولا من الأسبابِ العاديةِ، لا يشاركُ اللهَ تعالى شَيْءٌ في خلقِ شيءٍ من منفعةٍ

أو مضرةٍ أو عينٍ أو أثرٍ لِما عَلِمُوا من قولِ اللهِ تعالى: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ٣﴾ [سورة فاطر] وقولِهِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ٢﴾ [سورة الفرقان] وقولِه ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾ [سورة الرعد] وقولِ رسولِهِ الكريمِ صلى اللهُ عليه وسلم: «**إنَّ اللهَ صانعُ كلِّ صانعٍ وصنعتِه**».

فعَلِمْنا أنَّ الأسبابَ العاديةَ ليست خالقةً لشيءٍ من مسبباتِها بلِ اللهُ خالقُ الأسبابِ والمسبباتِ، وهذا الترابُطُ بينَ الأسْبَابِ والمسبباتِ أمْرٌ أجْرى اللهُ بهِ الْعَادَةَ، أي أنَّ اللهَ تعالى يَخْلُقُ المُسبَبَ عند وجودِ السببِ فكلاهما أي السببُ والمُسبَّبُ يَستنِدُ في وجودِه وحصولِه ووقوعِهِ إلى إيجادِ اللهِ تباركَ وتعالى.

كثيرٌ من الناسِ يوقِفُون تفكيرَهم عند الظاهرِ فيقضونَ ويحكُمونَ بأنَّ هذه الأسبابَ هي تخلُقُ المسبباتِ، وهذا خلافُ الحقيقةِ، لو كانتِ الأسبابُ تخلُقُ المسبباتِ لوجبَ حصولُ المسبّبِ عندَ كلِّ سببٍ والواقعُ خلافُ ذلكَ.

نجدُ كثيراً من الأسبابِ تُستعملُ ولا يوجدُ إثرها المُسبَّبُ فبذلكَ يُعلمُ أنَّ الأسبابَ بقدَرِ اللهِ، فإنْ سَبَقَ في مشيئةِ اللهِ وعلمِهِ الأزليَيْنِ وجودُ هذا المُسبَّبِ إثرَ السببِ كان ذلك حتمًا حصولُه، لأنَّ اللهَ شاءَ وعَلِمَ أنَّ هذا السببَ يحصلُ إثرَهُ المسبَّبُ لا محالةَ من ذلكَ، أما إن لم يكن سَبقَ في علمِ اللهِ ومشيئتِه حصولُ المسببِ إثرَ هذا السببِ فلا يحصلُ ذلك المسبَّبُ. روينا فيما يشهدُ لهذا حديثًا في صحيحِ ابن حبان: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ اللهَ خلَقَ الدَّاءَ وخَلَقَ الدَّواءَ فإذا أُصيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بإذنِ اللهِ**»، قولهُ: «**بَرَأَ بإذنِ اللهِ**» دليلٌ على أن الأسبابَ من أدويةٍ وغيرِها لا تُوجبُ بطبعِها بذاتِها حصولَ المُسبَّبِ وشاهدُ الواقع يشهدُ بذلك، نرى كثيراً من الناسِ يتداوَوْنَ بدواءٍ واحدٍ وأمراضُهم مُتَّحِدَةٌ فيتعافى بعضٌ منهم ولا يتعافى الآخرُونَ، فلوْ كان الدَّوَاءُ

هو يَخْلُقُ الشِّفَاءَ لَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يَسْتَعْمِلُ ذَلِكَ الدَّوَاءَ يتعافى حَتْمًا ولم يكن هناك حصولُ الشفاءِ لبعْضٍ وعدمُ حصولِه لبعْضٍ، لهذا قَالَ عليه الصَّلَاةُ والسلامُ: «**فإذا أُصِيبَ دَواءُ الدَّاءِ بَرَأَ بإذنِ اللهِ**».

فبذلكَ نَعلمُ أن الأدويةَ وجُودُها بتقديرِ اللهِ والشفاءَ بتقديرِ اللهِ، ليستِ الأدويةُ تخلقُ الشفاءَ بحيثُ لا يتخلفُ عندَ استعمالِ أيِّ دواءٍ حصولُ الشفاءِ إثرَه، كذلكَ سَائِرُ الأسبابِ العاديَّةِ النارُ ليستْ مُوجِبَةً لِحُصُولِ الِاحْتِرَاقِ إِنَّمَا اللهُ تَعَالَى شَاءَ أن يَحْصُلَ إثرَ مماسةِ النَّارِ للشيءِ الاحْتِرَاقُ. فإن حَصَلَتْ مُمَاسَّةُ النَّارِ لشيءٍ ولم يَحْصُلِ الاحتراقُ عَلِمْنَا بأَنَّ المانِعَ منْ حصولِ الاحتراقِ إثرَ مُماسةِ النارِ هو أَنَّهُ سَبَقَ في عِلمِ اللهِ ومشيئتِه الأزليَيْنِ أنه لا يحصلُ الاحتراقُ إثرَ مُماسةِ النارِ لهذا الشيءِ.

اللهُ تباركَ وتعالى خلقَ ألوانًا وأشكالًا من ذواتِ الأرواحِ، جعلَ في بعضِها ما لم يجعلْ في الآخرينَ. هذا الطيرُ المسمى السَّمَندلُ ويقالُ لهُ السمندُ بلا لامٍ، ويقالُ له السندلُ بالسينِ، هذا معروفٌ أنَّهُ لا يحصلُ له احتراقٌ، جلدُهُ لا يحترقُ بالنارِ وهو يدخلُ النارَ ويتهنَّأُ فيها لا يتأذَّى وهو عزيزُ الوجودِ، يقولُ ابنُ خِلِّكَانَ في تاريخِهِ عن اللغويِّ المشهورِ عبدِ المطلبِ البغدادي، فلو كانتِ النارُ تخلُقُ الإحراقَ بطَبْعِها لم يحصلْ تخلُّفُ الإحْرَاقِ للسمندلِ إذا مَسَّتْهُ النارُ بل كان يحترقُ كما يحترقُ غَيْرُه، قالَ بعضُ الشعراءِ في ذلكَ:

نَسْـــجُ داوُدَ لم يُفِـــدْ لَيْلَـــةَ الغـــارِ وكـــــان الفَخَـــــارُ للعَنْكَبُـــــوتِ

معناهُ ليلةَ كانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم في الغارِ هو وأبو بكرٍ حماهُما اللهُ تعالى بنسجِ العنكبوتِ ولم يكن هذا الفضلُ لنسجِ داوُدَ، نسجُ داودَ هو الدِّرْعُ معناهُ اللهُ تعالى لم يَحْمِهما بنسجِ داودَ بل حماهُما بنسجِ العنكبوتِ وهو منَ الخَلْقِ الضعيفِ، قال:

يعني عدمُ احتراقِ السمندِ في لهبِ النار يدلُّ على أن له مزيةً ليست للياقوتِ.
فالحاصلُ أنه يجبُ اعتقادُ أن الأسبابَ لا تخلقُ مسبباتِها بلِ اللهُ يخلقُ المسبباتِ إثرَ الأسبابِ، أي أنَّهُ تعالى هو خالقُ الأسبابِ وخالقُ مسبباتِها، وعلى هذا المعنى يُشهرُ ما شاعَ وانتشرَ على ألسنةِ المسلمينَ في أثناءِ أدعيتِهم: يا مُسبِّبَ الأسبابِ، معناهُ أنَّ اللهَ تعالى هو الذي خلقَ في الأسبابِ حصولَ مسبباتِها إثرَ استعمالِها، وهذا من كلامِ التوحيدِ الذي هو اشتَهرَ وفشا على ألسنةِ المسلمينَ علمائِهم وعوامِّهم وهو يرجِعُ إلى توحيدِ الأفعالِ، أي أنَّ اللهَ تبارك وتعالى هو الذي فِعلُه لا يتخلفُ أَثرُه، إذا شاءَ حصولَ شيءٍ إثرَ مزاولةِ شيءٍ حصلَ لا محالةَ، لا بُدَّ.

فكما أنَّ اللهَ تباركَ وتعالى هو خالقُ المُسبباتِ إثرَ استعمالِ الأسبابِ فهو خالقُ العبادِ حركاتِهم وسكناتِهم، لا خالقَ لشيءٍ من ذلكَ غيرُهُ.

فالإنسانُ مكتسبٌ لأعمالِهِ الاختياريةِ ليس خالقًا بل اللهُ خالقُها، هذه الحركاتُ التي نتحركُها للخيرِ أو للشرِّ اللهُ تباركَ وتعالى هو خالقُها فينا، هو الذي يُجريها على أيدِينا، ولا فرقَ في ذلكَ بينَ أعمالِنا التي هي حسناتٌ وبين أعمالِنا التي هي سيئاتٌ.

المرادُ بالحسناتِ هنا الطاعاتُ والمرادُ بالسيئاتِ المعاصي، فالطاعاتُ من الإيمانِ وما يتبعُه من صلاةٍ وصيامٍ وإلى غيرِ ذلكَ مما لا يُحصى.

والسيئاتُ من الكفرِ وما بعدَهُ كلُّ ذلك بخلقِ اللهِ تعالى، هذا الاعتقادُ هو اعتقادُ الفرقةِ الناجيةِ وهم الصحابةُ الذين تلقَّوْا عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم المعتقدَ الإيمانيَّ ثم تلقى منهم التابعونَ ثم أتباعُ التابعينَ وهلمَّ جرًّا، هذا هو عقيدةُ الفرقةِ الناجيةِ. وتسميتُهم الفرقةَ الناجيةَ ليس لأقليَّتِهم بالنسبةِ للفرقِ المنتسبةِ للإسلامِ المخالفةِ لهم بل هذه الفرقةُ

الناجيةُ هي الأكثرُ، أمَّا أولئك الفرقُ المخالفةُ التي خالفتِ الفرقةَ الناجيةَ في معتقدِها فأولئكَ وإن تعدَّدَت أسماؤهم بحيث بلغت إلى اثنتينِ وسبعينَ فرقةً فإنَّهم الْأَقَلُّ.

وهذه الفرقُ الاثنتانِ والسبعونَ الشاذةُ التي هي ضالةٌ كثيرٌ منها انقرضوا ولم يبقَ إلا أقلُّهم».

وبَشِّرِ الصَّابِرِينَ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ وَصَلَواتُ اللهِ البَرِّ الرَّحيمِ والملائِكَةِ المُقَرَّبينَ على سَيِّدِنا محمَّدٍ أَشرَفِ المُرسَلينَ وعلى ءالِهِ وأَصحابِهِ وعلى جميعِ إِخوانِهِ الأَنبياءِ والمُرْسَلينَ وءالِ كُلٍّ والصَّالحينَ.

أمَّا بَعدُ، فَقَد قالَ اللهُ تَبارَكَ وتَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ١٥٧﴾ [سورة البقرة].

في هذِهِ الآيةِ تَبشيرُ المُؤمنينَ الذينَ يَتَّصِفونَ بهذِهِ الصِّفَةِ التي ذَكَرَها اللهُ تَعالى، وهِيَ أَنَّهُم رَاضُونَ عَنِ اللهِ تَعَالَى أَي لا يَتَسَخَّطُّونَ عَلَيهِ ولا يَتَضَجَّرُونَ مِن قَضَائِهِ وإِن كانَت المَصَائِبُ تُقْلِقُهُمْ وتُحْزِنُهم وتُؤذيهِم في أَجسادِهِم لكنْ قُلوبهم راضِيَةٌ عَنِ اللهِ تَبارَك وَتَعَالَى. هَؤلاءِ بَشَّرَهُم اللهُ تَعالى بِأَنهم تَنالُهُم صَلواتٌ مِنَ اللهِ أَي رَحماتٌ مَقرونَةٌ بِالتَّعظيمِ لَيْسَ الْمُرَادُ مجرَّدَ الرَّحمَةِ لأَنَّ مجرَّدَ الرَّحمَةِ في الدُّنيا تَشْمَلُ المؤمِنَ والكافِرَ إِنما الصَّلواتُ هُنا مَعناهُ الرَّحماتُ المَقروناتُ بِالتَّعظيمِ أَي الرَّحماتُ الخاصَّةُ لأَنَّ الرَّحماتِ خاصَّةٌ وعامَّةٌ، الرَّحماتُ العامَّةُ في الدُّنيا يَشتَرِكُ فيها المؤمِنُ وغَيرُ المُؤمِنِ والبَرُّ وَالفَاجِرُ.

مِنَ الرَّحماتِ العامَّةِ الانتِفاعُ بِالهواءِ العَليلِ والصِّحَّةِ والمالِ الوافِرِ وغَيرِ ذَلِكَ مِن أَنواعِ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ، أَمَّا الرَّحماتُ الخاصَّةُ لا يَنالُها إلا المُؤمنونَ الصَّابِرونَ المُسلِّمونَ للهِ

تَسْلِيمًا، وأَوَّلُ شَرطٍ لهذا أَيْ فِي نَيْلِ اسْتِحْقَاقِ الرَّحماتِ الخاصَّةِ هو الإِيمانُ بِاللهِ ورَسولِهِ أَي الاعتقادُ الجازِمُ بوُجوده تَعالى بِلا تَشبيهٍ ولا تَكييفٍ، وتَرْكُ الاعتِراضِ على كُلِّ ما يَقضيهِ على العِبادِ ممَّا يَسُرُّهُم ومما يَسوؤهُم، أَمَّا الإِيمانُ بِرَسولِهِ فَهُو التَّسليمُ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ كُلَّ ما جاءَ بِهِ حَقٌّ سَوَاءٌ كَانَ ممَّا يَتَعَلَّقُ بِأَحْكامِ العِبادِ فِي هذِهِ الحياةِ الدُّنيا أَو كانَ ممَّا يحْدُثُ فيما بَعدَ الموتِ فِي البَرزَخِ وفِي الآخِرَةِ، كُلُّ ذَلِكَ يَجِبُ تَصْدِيقُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ بما جَاءَ بِهِ بِلا استِثناءٍ، هذا هُو الإِيمانُ، أَمَّا قَولُهُ تَبارَك وتَعالى:

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [سورة البقرة]

المعنى أَنَّهُم مُسَلِّمونَ غَيرُ مُعتَرِضينَ على رَبِّهِم بَل يَرجِعونَ إِلى الاعتِقادِ الذي هُم ثابِتونَ عَلَيهِ، مُستَمِرُّونَ على الاعتِقادِ الذي هُم ثابِتونَ عَلَيهِ وهو اعتِقادُ التَّسليمِ للهِ تَبارَكَ وتَعالى، ومَعنى الّذينَ قالوا «إِنَّا للهِ» مَعناهُ أَي عَرَفوا واعتَقدوا وجَزَموا بِأَنَّهم مِلكٌ للهِ تَعالى لَهُ أَن يَفعَلَ بهم ما يَشاءُ [وأَنَّهم إِليهِ راجِعونَ] أَي أَنَّهم مآلُهُم إِلى الجزاءِ إِلى اللهِ تَبارَكَ وتَعالى. جَزاءُ المُؤمنينَ على إِيمانِهِم بَدْؤُهُ فِي البرزَخِ بَعدَ الموْتِ ومُعْظَمُهُ فِي الآخِرَةِ، الجَزاءُ الذي يَكونُ فِي البرزَخِ للمُؤمنينَ بما يَسُرُّهُم متى ما خَرَجوا مِنَ الدُّنيا لَيسَ عَلَيهِم ما يَسوؤُهم بَل هُم فِي حالٍ كَحالِ مَن كانَ مَسجوناً وكانَ فِي قَحْطٍ ثُمَّ خَرَجَ مِنَ السِّجنِ وَخَرَجَ مِنَ القَحطِ والمجاعَةِ إِلى الرَّخاءِ والسَّعَة هذا القَبرُ الذي تخافُهُ النُّفوسُ لَيسَ ما يحدُثُ فيهِ لِكُلِّ إِنسانٍ عَلى حَدٍّ سَواءٍ بَل هذِهِ القُبُورُ لبَعضُ النَّاسِ لهم أَلَذُّ عِندَهُم ممَّا كانوا عَلَيهِ قَبلَ ذَلِكَ لَو كانوا يَسكُنونَ القُصورَ الفاخِرَةَ وكان عِندَهُم نَعيمٌ كَثيرٌ واسِعٌ، بَل ما يجِدونَهُ مِن راحَةٍ بَعدَ موتهم أَلَذُّ، يَكفي فِي ذَلِكَ أَنَّهم يَرَونَ كُلَّ يَومٍ مَقْعَدَهُم فِي الجَنَّةِ أَوَّلَ النَّهارِ مَرَّةً وءاخِرَ النَّهَارِ مَرَّةً، هذا يَفُوقُ كُلَّ لذَّاتِ الدُّنْيَا التي كَانُوا يُصِيبُونَهَا لَمَّا كانوا على وَجهِ الأَرضِ، هُناكَ غيرُ ذَلِكَ وهُو أَنَّهُ لا يُسَلَّطُ عَلَيهِم فِي قُبورِهِمْ مَا يُؤْذِيهِم مِنْ هَوَامَّ ولا يخافُونَ مِن وَحدَةِ القَبرِ ولا وَحشَةِ الظُّلمَةِ كُلُّ ذَلِكَ مَرْفُوعٌ عَنهُم. وكذَلَكَ تُرْفَعُ عَنهُم تِلكَ

المسافةُ أي مَسَافَةُ القَبرِ، وهُناكَ غَيْرُ ذَلِكَ كَتَنْوِيرِ القَبرِ. وأَمَّا في الآخِرَةِ فَما يَكُونُ مِنَ النَّعِيمِ أَعْظَمُ وأَعْظَمُ.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ١٥٦﴾ [سورة البقرة] مَعناهُ نحنُ مِلكٌ للهِ تَعالى يَفعَلُ بنا ما يُريدُ ونحنُ راضونَ بما يَفعَلُهُ بِنا إِن كانَ ممَّا يُلائِمُ النُّفوسَ، أَو كانَ ممَّا لَا يُلَائِمُ طَبَائِعَ النُّفُوسِ، لأَنَّ النُّفُوسَ جُبِلَت على النُّفُورِ مِن أَشياءَ وعلى المَيلِ إِلى أَشياءَ، هَؤلاءِ يُسَلِّمُونَ للهِ تَسْلِيمًا فِي ما يُلَائِمُ نُفُوسَهُمْ، وفي ما لا يُلَائِمُ نُفُوسَهُمْ ممَّا قَضى اللهُ تَعالى وقَدَّرَهُ عَلَيهِم.

وفِي الحديثِ الصَّحيحِ فِي ما يُقالُ فِي الصَّلاةِ بَيْنَ التَّكْبِيرَةِ والقِراءَةِ «نحنُ لَكَ وإِليكَ» وفِي مُرسَلِ أَبِي داودَ فِي مَراسيلِهِ أَي الكِتابِ الذي أَلَّفَهُ أَبو داودَ في المراسيلِ أَي الأَحاديثِ التي يَذكُرُها التَّابِعُونَ ولا يَذكُرونَ الصَّحابَةَ الذين نَقَلوا مِنهُم هذِهِ الأَحاديثَ، هذِهِ يُقالُ لها المراسيلُ، أَبو داودَ لَهُ كِتابٌ اسْمُهُ المراسيلُ جَمَعَ فيهِ ما كانَ مُرْسَلًا، كثيرًا من المُرسَلاتِ جَمَعَ فِي هذا:

«اللهُمَّ إِنَّما نحنُ بِكَ وإِليكَ» مَعنى «إِنّما نحنُ بِكَ» مَعناهُ أَصلُ وُجودِنا بِكَ أَي بِقُدرَتِكَ ومَشيئَتِكَ فَلولا مَشيئَتُكَ وقُدرَتُكَ ما وُجِدنا، فَكَذَلِكَ كُلُّ الصِّفاتِ التي فينا فَهِيَ إِنما وُجِدَت بِكَ أَي بِقُدرَتِكَ ومَشيئَتِكَ وعِلمِكَ. لا شَيءَ مِنَّا كانَ أَي وُجِدَ إلا بِكَ إِلا بخلقِكَ وقُدرَتِكَ ومَشيئتِكَ وعِلمِكَ، نحنُ ذَواتُنا وصِفاتُنا الدَّائِمَةُ والطَّارِئَةُ التي تَتَغَيَّرُ فينا كُلُّ ذَلِكَ بخَلقِكَ وُجِدَ، بمشيئَتِكَ وعِلمِكَ وتَقْدِيرِكَ وقَضَائِكَ وُجِدَ، ومَعْنَى قوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ فِي هذا الأَثَرِ المُرْسَلِ «وإِلَيْكَ» مَعناهُ أَي مَرجِعُنا إِلَيْكَ، أَي كُلُّ واحِدٍ كُتِبَ عَلَيهِ الموتُ سَيَمُوتُ. إِمَّا أَن يموتَ وهُو على حالَةٍ مَرضِيَّةٍ عِندَ اللهِ وإِمَّا أَن يموتَ وهُو على حَالَةٍ غَيْرِ مَرضِيَّةٍ عِندَ اللهِ، يَكونُ مَن ماتَ على حالَةٍ مَرْضِيَّةٍ عِندَ اللهِ مِنَ

الفَائِزينَ، الذينَ شاءَ اللهُ لهم النَّعيمَ المُقيمَ في ما بَعدَ الموتِ، والآخَرونَ الذين هُم بِعَكْسِ ذَلِكَ يَكُونُ مآلُهُمُ النَّكَدَ والعَذابَ الأَليمَ.

ثمَّ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى ذَكَرَ المُصيبَةَ بِلَفظِ النَّكِرَةِ في هذِهِ الآيَةِ لِيُفْهِمَنا أَنَّ كُلَّ مُصيبَةٍ تُصيبُ المُسلِمَ إِن كانَت صَغيرَةً وإن كانَت كبيرةً فإنها تُفيدُهُ بِرَفعِ الدَّرجاتِ وتَكفيرِ السَّيِّئاتِ، كُلُّ مُصيبَةٍ تُصيبُ المُسلِمَ المؤمِنَ إن رَضِيَ عَن رَبِّهِ تَبارَكَ وتَعالى في كُلِّ ما يُصيبُه تُرفَعُ لَهُ بِهذِهِ المُصيبَةِ دَرَجَةٌ وتُكَفَّرُ عَنهُ بها خَطيئَةٌ أَي تُمْحَى عَنهُ بَعضُ ذُنوبِهِ، لا تَمُرُّ عَلَيهِ مُصيبَةٌ صَغيرَةٌ أَو كَبيرَةٌ إلا وهُو يستَفيدُ مِنها هذِهِ الفائِدَةَ ونِعْمَتِ الفائدةُ، بِهذِهِ المُصيبَةِ التي لا بالَ لها عِندَ النَّاسِ كالشَّوكَةِ التي يُشاكُها المُسلِمُ أَو الهمِّ الذي يَسُوءُ المُسْلِمَ مِنَ الهَمِّ الصَّغيرِ الذي هو لَيسَ ذا تَأثيرٍ كبيرٍ. أَمَّا الهَمُّ الذي لَهُ تَأْثِيرٌ كَبيرٌ فَيزدادُ استِفَادَةً المُسْلِمُ مِنهُ على حَسَبِ عُظمِ ذَلِكَ الهمِّ. ثمَّ إنَّ هَؤلاءِ المؤمِنينَ الذينَ مَدَحَهُمُ اللهُ تَعالى مِن شَأنِهِم أَنَّهُم في أَيَّامِ الهَرْجِ يُلازِمونَ طاعَةَ اللهِ تَعالى أَي بِقَدْرِ الإِمكانِ أَي لا يَعصونَهُ في هذِهِ الحالِ بِتَرْكِ الفَرائِضِ وارتِكابِ المعاصي، بَل هَؤلاءِ يَلزَمونَ طاعَتَهُ تَبارَكَ وتَعالى في أَوقاتِ الهَرْجِ، والهَرجُ هُو كَثْرَةُ القَتلِ وقَد صَحَّ الحديثُ في ذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ قالَ: «**العِبادَةُ في الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**» أَي الذي يَلتَزِمُ طاعَةَ اللهِ في الهَرَجِ أَي في أَيّامِ كَثرَةِ القَتلِ، الذي يَلتَزِمُ طاعَةَ اللهِ في أَيَّامِ القَتلِ كأَنَّهُ مِن الذينَ هاجَروا أَي في الوَقتِ الذي كانَت الهِجرَةُ فَرضًا. بَعدَما هاجَرَ الرَّسولُ إِلى فَتحِ مَكَّةَ كانَتِ الهِجرَةُ على المؤمنينَ فَرضًا، مَن استَطاعَ أَن يَلحَقَ بِالرَّسولِ إِلى المدينَةِ كانَ فَرضًا عَلَيهِ أَن يَلحَقَ بِالرَّسولِ إِلى المدينَةِ كانَ فَرضًا عَلَيهِ أَن يَذهَبَ إِلى المدينَةِ أَن يُؤازِرَ الدَّعوةَ الإِسلامِيَّةَ بِوجودِهِ حَولَ الرَّسولِ لأَنَّهُم يَكونونَ على أُهْبَةِ الاستِعدادِ إن استَنفَرَهُم رَسُولُ اللهِ لِيَنْفِروا ويُساعِدوهُ في نَشرِ الدَّعوةِ الإِسلامِيَّةِ والتَّعليمِ والتَّبليغِ. لهذا المعنى العَظيمِ كانَت الهِجرَةُ فَرضًا، كانَ على مَن لم يهاجر وبَقِيَ في بَلدَتِهِ مَعَ المُشركِينَ، هُو مُؤمِنٌ وأَهلُ بَلدَتِهِ

مُشرِكونَ ذَنبٌ كَبيرٌ مِنَ الكبائِرِ إن كانَ مُستَطيعًا، أمَّا إن كانَ غَيرَ مُستَطيعٍ بِأَن يَلحَقَ بِالرَّسولِ إلى المدينَةِ وبَقِيَ في مَكانِهِ وعَبَدَ اللهَ ما عَلَيهِ ذَنبٌ. الرَّسولُ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ جَعَلَ الذي يَلتَزِمُ عِبادَةَ اللهِ، طاعَةَ اللهِ، في أَيَّامِ الهَرَجِ كالذي هاجَرَ إِلَيهِ في وَقتٍ كانَت الهِجرَةُ فَرضًا. وكانَ ذَنبُ مَن يَرجِعُ بَعدَ الهِجرَةِ بَعدَ أَن يَكونَ مِنَ المُهاجِرينَ كَمَن يَترُكُ المَدِينَةَ ويَرجِعُ إِلى بَلَدِهِ التي هِيَ بَعْدُ مَعَ المُشرِكِينَ ذَنبُهُ مِن كَبائِرِ الذُّنُوبِ أَيضًا، مِثلُ ءاكِلِ الرِّبا ومَانِعِ الزَّكاةِ، مَانِعُ الزَّكَاةِ ذَنْبُهُ كَبِيرٌ عِندَ اللهِ، كَذَلِكَ الذي يَأْكُلُ الرِّبَا، كَذَلِكَ هذا الذي هَاجَرَ إِلى المدينَةِ ثمَّ تَرَكَ، قَطَعَ هذِهِ الهِجْرَةَ ورَجَعَ عادَ إِلى أَهْلِهِ المُشْرِكِينَ. أمَّا بَعدَ الهِجْرَةِ بَعدَ الفَتحِ فَتحِ مَكَّةَ سَقَطَت فَرضِيَّةُ الهِجرَةِ المُسلِمُ أَينَما كانَ يَعيشُ يَتَّقي رَبَّهُ، لِذَلِكَ قالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «لا هِجرَةَ بَعدَ الفَتحِ» بَعدَ فَتحِ مَكَّةَ انْقَطَعَتْ تِلْكَ الْهِجْرَةُ التي كانَت فَرضًا على المؤمنينَ، لأَنَّ فَتحَ مَكَّةَ كانَ سَبَبَ تَدَفُّقِ العَرَبِ مِن الجزيرَةِ العَرَبِيَّةِ إلى الإِسلامِ، بَعدَ الهِجرَةِ تَدَفَّقوا للدُّخولِ في الإِسلامِ، قالَ اللهُ تَبارَك وتعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [سورة النصر]، الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ عَلِمَ أَنَّ دِينَهُ انتَشَرَ وسيزدادُ انتِشارًا بَعدَ ذَلِكَ وأَنَّهُ أَكثَرُ الأَنبِياءِ أَتباعًا، موسى عَلَيهِ السَّلامُ ما وُجِدَ مِمَّن دَخَلَ في دِينِهِ كَعَدَدِ مَن دَخَلَ في دَعوةِ محمَّدٍ، الذينَ دَخَلوا في دَعوَةِ محمّدٍ أَكثَرُ وَأَكثَرُ وأَكثَرُ مِمَّن اتَّبَعَ موسى على الإِسلامِ، ومِمَّن اتَّبَعَ عيسى على الإِسلامِ ومِمَّن اتَّبَعَ إِبراهيمَ، ومِمَّن اتَّبَعَ سُليمانَ عَلَيهِمُ السَّلامُ، مَن تَبِعَ محمَّدًا أَكْثَرُ مِمَّنْ تَبعَ الأَنبياءَ الأَوَّلينَ، حتى إِنهم يَكونونَ يومَ القِيامَةِ جميعُهُم أَربعينَ صفًّا وأُمَّةُ محمَّدٍ ثمانينَ صفًّا؛ أُمَّةُ محمَّدٍ مَن ءامَنوا بِهِ واتَّبَعوهُ وماتوا على الإِسلامِ يومَ القِيامَةِ ثمانونَ صفًّا وأُمَمُ سَائِرِ الأَنبِياءِ جَمِيعُهُمْ يَكُونُونَ أَربَعِينَ صَفًّا، اللهُ تَعالَى بَشَّرَهُ بِأَنَّ الدِّينَ يَنْتَشِرُ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ فَتَحَقَّقَ ذَلِكَ بِفَضْلِ اللهِ تعالى.

وسبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الأمينِ، وءالِهِ وأصحابِهِ الطَّيِّبِينَ».

تَنْزيهُ اللهِ عَنِ الأَعضاءِ والجوارِحِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمين لَهُ النِّعمَةُ ولَهُ الفَضلُ ولَهُ الثَّناءُ الحَسَنُ صَلَواتُ اللهِ البَرِّ الرَّحيمِ والملائِكَةِ المُقرَّبينَ على سَيِّدِنا محمّدٍ أَشرَفِ المُرسَلينَ وعلى جميعِ إِخوانِهِ الأَنبياءِ والمُرسَلينَ وسَلامُهُ عَلَيهِم أَجمعينَ.

أَما بَعدُ، فَقَد رُوِّينا بِالإِسنادِ المُتَّصِلِ في كِتابِ القَدَرِ للبَيْهَقِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: مِن طَرِيقِ الشَّريفِ العُثمانِيّ قالَ: سَمِعتُ الإِمامَ أَبا الطَّيِّبِ سَهلَ بنَ محمَّدٍ يَقولُ: «أَعمالُنا أَعْلَامُ الثَّوابِ والعِقَابِ» هذا الإِمامُ سَهلُ بنُ محمَّدٍ أَبو الطَيِّبِ، الحاكِمُ ذَكَرَ في مُستَدرَكِهِ أَنَّهُ هو مُجَدِّدُ القَرْنِ الرَّابِعِ، بَعدَ أَنْ ذَكَرَ أَنَّ مُجَدِّدَ القَرْنِ الأَوَّلِ عُمَرُ بنُ عبدِ العَزيزِ لأَنَّهَ كانَ على رَأسِ المائةِ الأولى ومُجَدِّدُ القَرنِ لا بُدَّ أَن يَكونَ حيًّا على رأسِ المائةِ، ثمَّ ذَكَرَ أَنَّ مُجَدِّدَ القَرنِ الثَّاني كانَ الإِمامَ الشافِعِيَّ محمَّدَ بنَ إدريسَ، وأَنَّ مُجَدِّدَ القرنِ الثَّالِثِ الإِمامُ الفقيهُ الشَّافِعِيُّ ابنُ سُرَيجٍ رَضِيَ اللهُ عَنِ الجَميعِ، ثمَّ قالَ في الإِمامِ أَبي الطَيِّبِ سَهلِ بنِ محمَّدٍ سليمانَ:

والرَّابِعُ المشهورُ سَهلُ محمَّدِ أَضحى إِمامًا عِندَ كُلِّ مُوَحِدِ

كانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ سَهلُ بنُ محمَّدٍ مِنَ الأَشعَرِيَّةِ، الأَشعَرِيَّةُ هُم والماتُريدِيَّةُ أَهلُ السُنَّةِ والجماعَةِ، لأَنَّ هذَينِ الإِمامَينِ أَي الأَشعَرِيَّ والماتُريدِيَّ اعتَنَيا بِتَلخيصِ ما كانَ عَلَيهِ السَّلَفُ مِنَ المُعتَقَدِ، كَما أَنَّ كَثيرًا مِنَ الأَعلامِ في الحَديثِ والفِقهِ والتَّقوى والوَرَعِ كانوا مِنَ الأَشاعِرَةِ فَمَن يَعرِفُ الحقيقَةَ يَعرِفُ ذلِكَ ومَن يجهَلُها جَهِلَ ذلِكَ. المُشَبِّهَةُ يُعادونَ الأَشعَرِيَّةَ قديمًا وحَديثًا لأَنَّ مَشرَبَهُم بَعيدٌ عَن مَشرَبِ الأَشعَرِيَّةِ، الأَشعَرِيَةُ يُنَزِّهونَ اللهَ عَن مُشابَهَةِ الخَلقِ بِأَيِّ وَجهٍ مِنَ الوُجوهِ، أَمَّا المُشَبِّهَةُ فأُشرِبوا حُبَّ التَّشبيهِ، يَقرأونَ قَولَهُ تَعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ١١﴾ [سورة الشورى] لَفظًا ويُخالِفونه معنًى. إِنَّما ءامَنَ بِهذِهِ

الآيَةِ مَن نَزَّهَ اللهَ عَن مُشابَهَةِ الخَلقِ بِكُلِّ الوُجوهِ كَما قالَ أَبو جَعفَرٍ الطَّحاوِيُّ: «**وَمَن وَصَفَ اللهَ بمعنًى مِن مَعاني البَشَرِ فَقَد كَفَرَ**».

إِنَّ الَذينَ يَقولونَ إِنَّ اللهَ فِي جِهَةٍ كَذا هَؤلاءِ ما ءامَنوا بِآيَةِ ﴿**لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ** ١١﴾ [سورة الشورى]، كذَلِكَ الذينَ يَقولونَ إِنَّ اللهَ اسْتَوى عَلى عَرشِهِ بمعنى جَلَسَ ثمَّ يُتبِعونَ ذلِكَ بِكَلِمَةِ «لا كَجُلُوسِنا» هَؤلاءِ لا يَنفَعُهُم قولُهُم «لا كَجُلُوسِنَا» شَيْئًا، هُم شَبَّهوا بِقَولِهِم إِنَّ اللهَ جَلَسَ على العَرشِ، هذا عَينُ التَّشبيهِ، فَبَعدَ هذا لا يَنفَعُهُم قَولُهُم «لَكِن لا كَجُلوسِنا» لأَنَّ الجُلوسَ فِي اللُّغةِ العَرَبِيَّةِ مَعروفٌ مَعلومٌ ما هو على اختِلافِ كَيفِيَّاتِهِ، فالجُلوسُ معنًى مِن معاني البَشَرِ على أَيِّ كَيفِيَّةٍ كانَ، ومَن اعتَقَدَ فِي اللهِ ذلِكَ فَقَد شَبَّهَهُ ويَنْطَبِقُ عَلَيهِ قَولُ أَبي جَعفَرٍ الطَّحاوِيِّ: «ومَن وَصَفَ اللهَ بمعنًى مِن مَعَانِي البَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ»، أَمَّا الَذينَ يَقولونَ للهِ يَدٌ لا كَأَيْدينا ويَعنونَ بهذا الكلامِ أَنَّ للهِ يَدًا بمعنى الصِّفَةِ لا بمعنى الجِسْمِ والجَارِحَةِ، هذا كَلَامٌ صَحِيحٌ، لأَنَّ اللهَ تَعالى أَضافَ لِنَفسِهِ اليَدَ والعَيْنَ والوَجْهَ. فَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى مُنَزَّهٌ عَنِ الصُّورَةِ والشَّكْلِ والأَعْضَاءِ فَقَالَ بِناءً عَلَى هَذَا الِاعْتِقَادِ للهِ يَدٌ لا كأَيدينا، للهِ عَينٌ لا كَأَعيُنِنا، للهِ وَجْهٌ لَا كَوُجُوهِنا فَهو على الصَّوَابِ.

أَمَّا الرِّجْلُ ما وَرَدَ على أَنَّهُ صِفَةٌ للهِ بَل وَرَدَ على معنًى ءاخَرَ وهو جُزءٌ مِن خَلْقِهِ، يُقالُ فِي لُغَةِ العَرَبِ: رِجلٌ مِن جَرادٍ أَي فَوجٌ مِن جَرادٍ. فَالحديثُ الذي وَرَدَ فيهِ ذِكرُ الرِّجلِ مُضَافًا إِلى اللهِ هو حديثُ أَنَّ اللهَ تَبارَك وتَعالى يَملأُ يومَ القِيامَةِ جَهَنَّمَ بِفَوجٍ مِن خَلقِهِ كانوا مِن أَهْلِها فِي عِلْمِ اللهِ تَعالى، لَيسَ أَهلُ النَّارِ يَدخُلونَ النَّارَ دُفْعَةً وَاحِدَةً كُلُّهُمْ، لَا، بَلْ يَدْخُلُ فَوْجٌ ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ فَوجٌ ثمَّ بَعدَ ذَلِكَ فَوْجٌ فَالْفَوْجُ الْأَخِيرُ هو الذي وَرَدَ فِي الحديثِ: «فَيَضَعُ رِجلَهُ فيها»، رِجلَهُ مَعناهُ الفوجُ الأَخيرُ مِن خَلقِهِ الَّذِينَ هُم حِصَّةُ جَهَنَّمَ، عَن هذا عَبَّرَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ فِي قَولِهِ: «يُقالُ لِجَهَنَّمَ هَل امتَلأتِ

فَتَقولُ هَل مِن مَزيدٍ، فَيَضَعُ الجَبَّارُ رِجلَهُ فيها فَينْزَوِي بَعضُها إِلى بَعضٍ فَتَقولُ قَطٍ قَطٍ» رَواهُ البُخَارِيُّ، أَيْ اكْتَفَيْتُ اكتَفَيْتُ، مَعناهُ وَجَدْتُ مِلْئِي، وَجَدتُ ما يَملأُني.

«رِجلَهُ» مَعناهُ الفوجُ الأَخيرُ الذينَ يُقَدِّمُهم للنَّارِ، تَقولُ العَرَبُ: رِجْلٌ مِن جَرادٍ أَي فَوجٌ مِن جَرادٍ، أَمَّا مَن تَوَهَّمَ مِن هذا الحديثِ أَنَّ للهِ رِجْلا بمعنى عُضوٍ فَهو مُشَبِّهٌ للهِ بِخَلقِهِ لا يَنفَعُهُ انتِسابُهُ إِلى الإِسلامِ، لأَنَّ مَن لم يَعْرِفِ اللهَ لا تَصِحُّ عِبَادَتُهُ. كَذَلِكَ رِوَايَةُ القَدَمِ: «فَيَضَعُ فيها قَدَمَهُ»، مَعناهُ الشَّىءُ الذي يُقدِّمُهُ اللهُ لِجَهنَّمَ، كَذَلِكَ أَئِمَّةُ اللُّغَةِ قالوا: القَدَمُ ما يُقَدِمُهُ اللهُ تَعالى للنَّارِ، لَيسَ بمعنى أَنَّ لَهُ عُضوًا فَيُقَدِّمُ هذا العُضوَ للنَّارِ، تَنَزَّهَ رَبُّنا عَن أَن يَكونَ لَهُ عُضو.

وَقولُ أَهلِ الحقِّ «للهِ عَينٌ لَيسَت كَأَعيُنِنا» مَعناهُ أَنَّها صِفَةٌ، عَينُ اللهِ صِفةٌ مِن صِفاتِهِ كَما يُقالُ عِلمُ اللهِ، قُدرَةُ اللهِ، لَيسَ بمعنى العُضوِ والجارِحةِ، مَن حَمَلَهُ على مَعنى الجارِحَةِ فَقَد شَبَّهَ اللهَ بخَلقِهِ.

وَمِن تَمويهِ هَؤلاءِ المُجَسِّمَةِ المُشَبِّهَةِ أَنَّهم يَقُولُونَ لَفْظًا «لله أَعينٌ لا كَأَعيُنِنا، ويَدٌ لا كَأَيدينا، ووجهٌ لا كوَجْهِنا» ويَعتَقِدُونَ الجَوَارِحَ والأَعضاءَ في اللهِ، فَهؤلاءِ خالَفَ كَلامُهُم مُعْتَقَدَهُمْ فَلا يَنفَعُهُم قولُهُم هذا فلا يَكونونَ مُنَزِّهينَ للهِ بَل هُمْ مُشَبِّهُونَ لَهُ.

فَالأَشعَرِيَّةُ مُعتقَدُهُم مُعتَقَدُ السَّلَفِ أَنَّ اللهَ تَعالى مُنَزَّهٌ عَنِ الجوارِحِ والأَعضاءِ والحُدودِ والغاياتِ والأَركانِ، وقَد حَدَثَ في عَصرِنا هذا مُؤلفاتٌ والعِياذُ بِاللهِ تَسوقُ النَّاسَ إِلى اعتِقادِ الحَدِّ للهِ تَعالى، بِالعِبارَةِ الصَّرِيحَةِ تَنطِقُ بِأَنَّ للهِ تَعالى حَدًا فَمَن لم يُؤمِن أَنَّ لَهُ حَدًا عِندَهُم فلَيسَ مُسْلِمًا، إِلى هذا الحَدِّ تَوَصَّلُوا، والحَدُّ عَن اللهِ مَنفِيٌ عَلى لِسانِ السَّلَفِ كما أَنَّهُ مَنفِيٌ بِقَولِ اللهِ تَعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ١١﴾ [سورة الشورى] لأَنَّ كُلَّ شَىءٍ مِنَ الأَجرامِ لَهُ حَدٌّ.

فَاللهُ تَعالى لَو كانَ لَهُ حدٌّ لَكانَ لَهُ أَمثالٌ لا تُحصَرُ، فَاللهُ تعالى لَو كانَ لَهُ حدٌّ لَكانَ لَهُ أَمثالٌ لا تُحصَرُ، لَكانَ العَرشُ مِثلا لَهُ، ولَكانَ الإِنسانُ مِثلا لَهُ، وكَذلِكَ البَهائِمُ والأَحجارُ والأَشجارُ والأَرضُ والسَّمواتُ والنُّجومُ والكَواكِبُ لأَنَّ كُلَّ هذِهِ الأَشياءِ لها حَدٌّ، فَلَو كانَ اللهُ لَهُ حَدٌّ لَكانَ لَهُ أَمثالٌ لا تُحصى ولا تُحصَرُ ولا تُعَدُّ، فَيُناقِضُ ذلِكَ قولَهُ تَعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ١١﴾ [سورة الشورى]، اللهُ تَبارَكَ وتَعالى نَفى عَن نَفسِهِ أَن يَكونَ لَهُ مِثلٌ عَلى الإِطلاقِ لا مِثلٌ واحِدٌ ولا أَمثالٌ كَثيرةٌ، نَفى عَن نَفسِهِ ذلِكَ على الإِطلاقِ، هَؤلاءِ لِفسادِ أَذْهَانِهِم يَقيسونَ الخالِقَ عَلى المخلوقِ، عَلى زَعمِهِم الشَّىءُ الموجودُ لا بُدَّ لَهُ مِن حَدٍّ لِذاتِهِ فقاسوا الخالِقَ عَلى المخلوقِ فَجَعلوا لَهُ حَدًّا، وهُم في ذلِكَ اقتَدَوْا بِأَسلافِهِم.

والإِمامُ أَحمَدُ نَفسُهُ نَقَلَ عَنهُ أَبو الفَضلِ التَّميميُّ الذي هُو رَئيسُ الحنابِلَةِ بِبغدادَ في كِتابِهِ الذي سَمَّاهُ «اعتقادُ الإِمامِ المُبَجَّلِ أَحمَدَ بنِ حَنبَلٍ» نَقَلَ عَنهُ أَنَّهُ يَقولُ عَن اللهِ تَعالى: «بِلا حَدٍّ»، عِبارَةٌ صَريحَةٌ في نَفيِ الحَدِّ عَنِ اللهِ، هذا أَبو الفَضلِ التَّميميُّ مِن رُءوسِ الحَنابِلَةِ، ومِن كِبارِهِم، لَكِن في عَصرِ أَبِي الفَضلِ التَّميميّ وقَبلَهُ بِقليلٍ وبَعدَهُ كانَ أُناسٌ يَنتَسِبونَ للإِمامِ أَحمَدَ ويخالِفونَهُ في المُعتَقَدِ، يُثبِتونَ للهِ الحَدَّ. وسبحان الله والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الأمين وءاله وأصحابه الطيبين».

صِحَّةُ العَقيدَةِ شَرطٌ للثَّوابِ عَلى الأَعمالِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحَمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ لَهُ النِّعمَةُ ولَهُ الفَضلُ ولَهُ الثَّناءُ الحَسَنُ صَلَواتُ اللهِ البَرِّ الرَّحيمِ والمَلائِكَةِ المُقَرَّبِينَ على سَيِّدِنا محمَّدٍ أَشرَفِ المُرسَلينَ وعلى ءالِهِ الطيِّبينَ الطَّاهِرينَ.

أمَّا بَعدُ، فَقَد قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ١١٤﴾ [سورة هود]
جَاءَت أَحاديثُ صَحيحَةٌ عَن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ في شَرْحِ مَعْنَى الآيةِ، فَمِن ذلِكَ ما رَواهُ مُسلِمٌ في الصَّحيحِ أَنَّ نبيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ قالَ: «**أَيعجِزُ أَحَدُكُم أَن يَكْسِبَ في اليَومِ أَلفَ حَسَنَةٍ يُسَبِّحُ اللهَ تعالى مائةَ تَسبيحةٍ فَيُكتَبُ لَهُ بِهِنَّ أَلفُ حَسَنَةٍ، ويُمحى عَنهُ بِهِنَّ أَلفُ خَطيئةٍ**» في هذا الحَديثِ بَيانُ أَنَّ الحَسَنَةَ الواحِدَةَ تَمحو عَشَرَةً مِنَ السيّئاتِ، هذا أَقَلُّ ما يَكونُ وقَد تَمحو الحَسَنَةُ الواحِدَةُ أَكثَرَ مِن ذلِكَ مِنَ السيّئاتِ، بَيانُ ذلِكَ أَنَّ رَسولَ اللهِ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أَخبرَ بِأَنَّ المائةَ تَسبيحةٍ يَكونُ ثوابُها أَلفًا مِنَ الحَسناتِ. وزِيادةٌ على ذلِكَ، أَخبَرَ بِأَنَّهُ يُمحى عَن قائِلِ هذِهِ المائةِ تَسبيحةٍ أَلفُ خَطيئةٍ أَي مَعصِيةٍ، ولَم يُقَيِّدْ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ هذِهِ الخَطيئةَ بِأَنَّها مِنَ الصَّغائِرِ، فَنَقولُ يجوزُ أَن يَمحُوَ اللهُ بِالحَسنَةِ مِنَ الحَسَناتِ بَعضَ الكَبائِرِ وإِن كَانَ وَرَدَ في فَضلِ الصَّلواتِ الخَمسِ أَنَّهُ تُمحى عَنهُ وتُكَفَّرُ عَنهُ بها ما سِوى الكَبائِرِ إِن لم يَغشَ الكَبائِر، ولكِن هذا لَيسَ مُطَّرِدًا فيما سِوى الصَّلواتِ الخَمسِ فَقَد ثَبَتَ بِالإِسنادِ الصَّحيحِ أَنَّ من قالَ «**أَستَغفِرُ اللهَ الذي لا إِلَهَ إلا هو الحيَّ القيُّومَ وأَتوبُ إِليهِ، يُغفَرُ له وإِن كَانَ قَد فَرَّ مِنَ الزَّحفِ**» والفِرارُ مِنَ الزَّحفِ مِن أَكبَرِ الكَبائِرِ، فإِذا كَانَ بِهذِهِ الكَلِمَةِ مِنَ الاستِغفارِ يُمْحَى مِنَ الكَبائِرِ ما شاءَ اللهُ تَعالى فَلا مانِعَ مِن أَن يُمْحَى بِالتَّسبيحِ ونَحوِهِ بَعضُ الكَبائِرِ.

والحَديثُ الثَّاني حَديثُ: «**مَن قالَ أَستَغفِرُ اللهَ الذي لا إِلَهَ إلا هو الحيَّ القَيُّومَ وأَتوبُ إِلَيهِ يُغفَرُ لَهُ وإِن كَانَ قَد فَرَّ مِنَ الزَّحفِ**» رَواهُ أَبو داودَ في سُنَنِهِ وهو حَديثٌ حَسَنُ الإِسنادِ حَسَّنَهُ الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ في الأَمالِيّ، هذِهِ الرِّوايةُ التي حَكَمَ لَهَا بالحُسنِ لَيسَ فيها التَّقييدُ بِثلاثِ مرَّاتٍ وبِأَن يَكونَ ذلِكَ عَقِبَ صَلاةِ الفَجرِ، بَل هي مُطلَقَةٌ.

أَيَّ وَقتٍ قالَ هذا الاستِغفارَ «أَستَغفِرُ اللهَ الذي لا إِلَهَ إلا هو الحَيَّ القَيُّومَ وأَتوبُ إِليهِ» غُفِرَ لَهُ ذُنوبُهُ وإِن كَانَ قَد ارتَكَبَ بَعضَ الكَبائِرِ. ثمَّ اللَّفظُ يُقرَأُ على وَجهَينِ يُقرَأُ بِالرَّفعِ «الحَيُّ القيُّومُ» ويُقرَأُ بِالنَّصبِ «الحَيَّ القيُّومَ» كُلُّ ذلِكَ جائِزٌ عِندَ عُلَماءِ النَّحوِ.

ثمَّ إِنَّ الحافِظَ ابنَ حَجَرٍ ذَكَرَ أَنَّ هذا الاستِغفارَ يُمحى بِهِ مِنَ الكَبائِرِ ما لَيسَ مِن تَبِعاتِ النَّاسِ أَي مِن مَظالِمِ النَّاسِ، أَي أَنَّ المَظالِمَ لا تَدخُلُ تَحتَ هذا الحديثِ، ثمَّ كُلُّ هذا شَرطُهُ أَن تَكونَ هُناكَ نِيَّةٌ شَرعِيَّةٌ وهي أَن يَقصِدَ بهذا التَّسبيحِ التَّقَرُّبَ إِلى اللهِ، ولَيسَ فيهِ رِياءٌ أَي أَن يَمدَحَهُ النَّاسُ، إِنَّما قَصدُهُ خالِصٌ لِلتَّقَرُّبِ إِلى اللهِ وهكَذا كُلُّ الحَسناتِ: قِراءَةُ القُرءانِ والصَّلاةُ والصِّيامُ والحَجُّ والزَّكاةُ وبِرُّ الوالِدَينِ والإِنفاقُ على الأَهلِ وصِلَةُ الرَّحِمِ إِلى غَيرِ ذلِكَ مِنَ الحَسَناتِ، لا ثَوابَ فيها إِلا بِالنِيَّةِ، والنِيَّةُ هي أَن يَقولَ بِقَلبِهِ: أَفعَلُ هذا تَقَرُّبًا إِلى اللهِ وابتِغاءَ مَرضاةِ اللهِ أَو ابتِغاءَ الأَجرِ مِنَ اللهِ، لكِن بِشَرطِ أَن لا يَضُمَّ إِلى ذلِكَ قَصْدَ مَدحِ النَّاسِ لَهُ وذِكرَهُم لَهُ بِالثَّناءِ الجَميلِ، إِنَّما قَصدُهُ أَنَّهُ يَتَقَرَّبُ إِلى اللهِ بهذِهِ الحَسَنَةِ بهذا التَّسبيحِ أَو بهذِهِ القِراءَةِ للقُرءانِ أَو بهذِهِ الصَّدَقَةِ أَو بِفَرائِضِهِ التي يَفعَلُها كالصَّلاةِ والحَجِّ والزَّكاةِ. كُلُّ هذِهِ الحَسَناتِ إِذا اقتَرَنَت بها نِيَّةٌ صَحيحةٌ خالِصَةٌ للهِ تَعالى لم يَقتَرِن بها رِياءٌ فَلِفاعِلِها الثَّوابُ الجَزيلُ، أَي أَنَّ كُلَّ حَسَنَةٍ تُكتَبُ عَشرَ أَمثالِها على الأَقَلِّ وقَد يَزيدُ اللهُ لِمَن شاءَ ما شاءَ مِنَ المُضاعَفاتِ، ثمَّ هُناكَ شَرطٌ لا بُدَّ مِنهُ وهو صِحَّةُ العَقيدَةِ، صِحَّةُ العَقيدَةِ شَرطٌ للثَّوابِ على الأَعمالِ فَلا ثَوابَ على الأَعمالِ بِدونِ صِحَّةِ العَقيدَةِ.

ومَعنى صِحَّةِ العَقيدَةِ أَن يَكونَ عارِفًا بِاللهِ ورَسولِهِ كَما يجِبُ لَيسَ مُجَرَّدَ التَّلَفُّظِ بِكَلِمَةِ التَّوحيدِ، بَل الأَصلُ الذي هو لا بدَّ مِنهُ للنَّجاةِ مِنَ النَّارِ في الآخِرَةِ ولِحُصولِ الثَّوابِ على الأَعمالِ هو مَعرِفَةُ اللهِ كَما يجِبُ ومَعرِفَةُ رَسولِهِ ثمَّ بَعدَ ذلِكَ الثَّباتُ على الإِسلامِ أَي تَجَنُّبُ الكُفرياتِ القَولِيَّةِ والفِعلِيَّةِ والاعتقادِيَّةِ، فَمَن ثَبَتَ على هذا إِلى المماتِ كانَت كُلُّ حَسَنَةٍ يَعمَلُها على هذا الوَجهِ فَيَكونُ مِن الفائِزينَ النَّاجِينَ المُفلِحِينَ.

معنى صِحَّةِ العَقيدَةِ هو أَن يَكونَ على ما كانَ عَلَيهِ أَصحابُ رَسُولِ اللهِ والتَّابِعُونَ وأَتْبَاعُ التَّابِعينَ ومَن تَبِعَهُم على تِلكَ العَقيدَةِ التي هي مَأخوذَةٌ عَن الرَّسُولِ تَلَقَّوْهَا عَنِ الرَّسُولِ، ثمَّ تَلَقَّاها التَّابِعونَ مِنَ الصَّحابَةِ ثمَّ تَلَقَّاها المُسلمونَ جيلًا عَن جيلٍ. وهذِهِ العَقيدَةُ إِلى يَومِنا هذا مَوجودَةٌ وإِن انحَرَفَ عَنها بَعضُ الفِئاتِ، هذِهِ العَقيدَةُ التي كانَ عَلَيها الصَّحابَةُ ومَن

تَبِعَهُم بِإِحسانٍ هي الأَشْعَرِيَّةُ الماتُرِيدِيَّةُ. واليَوْمَ أَهْلُ السُنَّةِ إِنْ لَمْ نَقُلْ كُلُّهُم أَغْلَبُهُم أَشعرِيَّةٌ، كَانَ فِي الماضِي الماتُرِيدِيَّةُ فِي نواحي بِلادِ بُخارى وسَمَرقَندَ وطَشْقَنْدَ وجُرجانَ ونَيسابورَ مِن بِلادِ فارِس. لكِنَّهُ اليومَ كَأَنَّ الأَشعرِيَّةَ عَمَّت.

والأَشعَرِيَّةُ والماتُرِيدِيَّةُ هُم أَهلُ السُنَّةِ والجماعَةِ فَعقيدَتُهُم مُنبَثِقَةٌ مِن قولِ اللهِ تَعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ١١﴾ [سورة الشورى] عَرَفوا مَعنى هذِهِ الآيةِ كما يجِبُ فَنَزَّهوا اللهَ تَعالى عَن صِفاتِ المخلوقينَ، وعَن التَّحَيُّزِ في المكانِ وعَن الحَدِّ أَي المِساحَةِ لأَنَّهُ لا تَصِحُّ مَعرِفَةُ اللهِ مَعَ اعتِقادِ أَنَّهُ يُشْبِهُ خَلقَهُ بِبَعضِ صِفاتِهِم كَالتَّحَيُّزِ في المكانِ أَو التَّحَيُّزِ في العَرْشِ أَو في غَيرِ العَرْشِ أَو التَّحَيُّزِ في جميعِ الأَماكِنِ، كُلُّ هذا ضِدُّ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ١١﴾ [سورة الشورى]. فَخُلاصَةُ عَقِيدَةِ أَهلِ الحَقِّ أَنَّ اللهَ مَوجودٌ لا كَالمَوجوداتِ أَي لا يُشبِهُ الموجوداتِ بِوَجهٍ مِن الوَجوهِ، السَّلَفُ الصَّالحونَ كانوا على هذِهِ العَقيدَةِ أَي تَنْزيهِ اللهِ عَن التَّحَيُّزِ في المكانِ والحَدِّ، الدَّليلُ عَلى ذلِكَ أَنَّ الإِمامَ زَينَ العابِدينَ عَليَّ بنَ الحُسينِ بنِ عَليِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كانَ مِنْ أَوَائِلِ السَّلَفِ لَهُ رِسَالَةٌ تُسَمَّى الصَّحِيفَةَ السَّجَّادِيَّةَ ذَكَرَ فِيهَا عِبَارَاتٍ في التَّنْزِيهِ مِنها هذِهِ الجُمْلَةُ: «**سُبحانَكَ أَنتَ اللهُ الذي لا يحْوِيكَ مَكانٌ**» في هذِهِ الصَّحيفَةِ التي هِي تَأليفُ سَيِّدِنا زَينِ العابِدينَ: «**سُبحانَكَ أَنتَ اللهُ الذي لا يحويكَ مَكانٌ**» احفَظوها، فَإِنَّها مِن كَلامِ السَّلَفِ الصَّالِحِ. كانَ زَيْنُ العابِدينَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ يُقَالُ عَنهُ أَفضَلُ قُرَشِيٍّ في ذلِكَ الوَقْتِ، وقالَ أَيضًا في نَفيِ الحَدِّ عَن اللهِ: «سُبحانَكَ أَنتَ اللهُ الذي لَستَ بِمَحدودٍ» وذلِكَ أَنَّ المَحدودَ يَحتاجُ إِلى مَن حَدَّهُ، اللهُ تَبارَكَ وتَعالى لَيسَ لَهُ مِسَاحةٌ لَيسَ بِقَدْرِ الْعَرْشِ ولا أَوسَعَ مِنهُ ولا أَصغَرَ مِنَ الْعَرْشِ. مَن اعتَقَدَ أَنَّ اللهَ بِقَدرِ الْعَرْشِ فَهو جَاهِلٌ بِاللهِ، ومَن اعتَقَدَ أَنَّهُ أَوسَعُ مِنهُ مِساحَةً فَهو جاهِلٌ بِاللهِ، ومَن اعتَقَدَ أَنَّهُ أَصغَرُ مِنَ الْعَرْشِ فَهو أَشَدُّ جَهْلًا وبُعدًا عَن اللهِ. ثمَّ الإِمامُ أَبو جَعفَرٍ الطَّحاوِيُّ الذي عَاشَ في القَرْنِ الثَّالِثِ الهِجْرِيِّ عَشَراتٍ مِنَ السِّنينَ نحوَ سَبعينَ سَنَةً ثمَّ أَدرَكَ مِنَ القَرنِ الذي يَليهِ القَرنِ الرَّابِعِ

الهِجرِيّ نحْوَ عِشْرِينَ سَنَةً وَنَيِّفًا، هَذَا أَلَّفَ كِتَابًا سَمَّاهُ بَيَانَ عَقيدَةِ أَهلِ السُنَّةِ والجَمَاعَةِ، التي كانَ عَليها أَبو حَنيفَةَ الذي تُوفِّيَ سَنَةَ مِائَةٍ وخَمسِينَ وصاحِباهُ اللَّذانِ تُوفِّيا بَعدَهُ بِعَشَراتٍ مِن السِّنينَ في القَرنِ الثَّاني الهِجرِيّ أَبو يُوسُفَ يَعقُوبُ بنُ إِبراهيمَ ومُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ وهُمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ أَهْلِ الاجتِهادِ. ومَن سِوَاهُم ذَكَرَ أَنَّ أَهلَ السُنَّةِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ مِنَ الأَئِمَّةِ وغَيرَهُم على عَقيدَةِ أَنَّ اللهَ لَيسَ بِمَحدودٍ ولا مُتَحَيِّزًا في الجِهَاتِ، لا في الجِهَةِ العُلْيَا ولا في الجِهةِ التَّحْتِيَّةِ ولا في جِهةِ اليَمِينِ ولا في جِهةِ اليَسَارِ ولا في جِهةِ الخَلفِ ولا في جِهةِ الأَمامِ قالَ: «**تَعالى عَن الحُدُودِ**» اللهُ تَعالى مُنَزَّهٌ عَن الحُدُودِ أَي لَيسَ بِمَحْدُودٍ، الْعَرْشُ مَحدودٌ، لكِن نحنُ لا نَعرِفُ حَدَّهُ لكِن هو في حَدِّ ذاتِهِ مَحدودٌ، لَهُ حَدٌّ يَعلَمُهُ اللهُ، فَاللهُ تَبارَكَ وتَعالى لَيس بِمَحْدُودٍ لا يجوزُ أَن نَقولَ «لَهُ حَدٌّ يَعلَمُهُ هو» ولا يجوزُ أَن يُقالَ «لَهُ حَدٌّ يَعلَمُهُ هو ونَعلَمُهُ نحنُ» كِلا ذلِكَ باطِلٌ. الحَقُّ أَن يُنفى عَنهُ الحَدُّ وذلِكَ لأَنَّ الذي لَهُ حَدٌّ يحتاجُ إِلى مَن جَعَلَهُ على ذلِكَ الحَدِّ.

هذِهِ الشَّمسُ نحنُ لَنا دَليلٌ عَقلِيٌّ غَيرُ الدَّليلِ القُرءانِيّ أَنَّهَا لا تَصلُحُ أَن تَكونَ إِلَهًا لِلعالَمِ وذلِكَ لأَنَّ لها حَدًّا فَلها خَالِقٌ جَعَلها على هذا الحَدِّ، واللهُ تَبارَكَ وتَعالى لو كانَ لَهُ حَدٌّ لاحتاجَ إِلى مَن جَعَلَهُ على ذلِك الحَدِّ كما تحتاجُ الشَّمسُ إِلى مَن جَعَلَها على ذلِكَ الحَدِّ الذي هي عَلَيهِ، فقَد ظَهَرَ لَكُم أَنَّ السَّلَفَ كانوا يَنفُونَ عَنِ اللهِ الحَدَّ والجِهَةَ أَي التَّحَيُّزَ في جِهَةٍ مِنَ الجِهاتِ السِّتِّ أَو في جميعِها وسائِرَ أَوصافِ الخَلقِ.

إِنَّ اللهَ مُنَزَّهٌ عَن ذلِكَ وكُلُّ هذا مِمَّا تُعطيهِ هذِهِ الآيةُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ ١١﴾ [سورة الشورى] لكِن القُلوبُ مُختلِفَةٌ، قُلوبٌ تَفهَمُ مِن هذِهِ الآيةِ هذِهِ المعاني وقُلوبٌ لا تَفهَمُ تَقرَأُها أَلسِنَتُها ولا تَفهَمُ ما تحويهِ مِنَ التَّنْزِيهِ، هذا ما كانَ عَلَيهِ أَهلُ السُنَّةِ، لَيْسَ مَذهَبُ أَهلِ السُنَّةِ تَشْبيهَ اللهِ بِخَلقِهِ بِأَنْ يُعْتَقَدَ فيهِ أَنَّ لَهُ أَعْضاءً وأَن يَعتَقِدَ فيهِ أَنَّهُ مُتَحَيِّزٌ على العَرشِ مَعَ أَنَّهُ مَنفِيٌّ عَنهُ ما كانَ مِن صِفاتِ الخَلقِ مِن غَيرِ ذلِكَ كالنُّزولِ مِن عُلْوٍ إِلى سُفل ثمَّ الرُّجوعِ إِلى هُناكَ.

بَعضُ الجاهِلينَ بِالحَقَائِقِ يَظُنُّونَ أَنَّ قوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ ٣﴾ [سورة يونس] يَظُنُّونَ أَنَّ هذِهِ الآيةَ مَعناها أَنَّ اللهَ نَزَلَ مِنَ العَرْشِ الذي هو مُستَقَرُّهُ إِلى أَسفَلَ فَهَيَّأَ السَّمواتِ والأَرضَ ثمَّ صَعِدَ بَعدَ ذلِكَ، هذا جَهلٌ قَبِيحٌ بِالقرءانِ، إنَّما معنى الآيةِ أَنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى خَلَقَ السَّمواتِ والأَرضَ في سِتَّةِ أَيَّامٍ وكانَ مُستويًا على العَرشِ أَي قَاهِرًا للعَرشِ قَبلَ وُجودِ السَّمواتِ والأَرضِ، وعلى زَعمِهِم كَلِمَةُ «ثمَّ» لا تَأتي إلا بَعدَ تَأَخُّرِ حُصولِ شَىءٍ عَن شَىءٍ وهذا جَهلٌ بِاللُّغةِ. «ثُمَّ» تَأتي بِمَعنى الواوِ، كَلِمةُ «ثُمَّ» تَأتي مُرادِفَةً للواوِ كَما تَأتي للدِّلالَةِ على أَنَّ ما بَعدَها وُجودُهُ مُتأخِّرٌ عَن وُجودِ ما قَبلَها، كَما تَأتي لهذا المعنى مَعنى التَّأَخُّرِ تَأتي لمعنى الجَمْعِ بَينَ شَيئَينِ بمعنى الإِخبارِ باجتِماعِ شَيئَينِ في الوُجودِ مِن غَيْرِ دِلالَةٍ على تَأَخُّرِ ما بَعْدَها عَن مَا قَبلَها هذا أَثبَتَهُ عُلَماءُ اللُّغةِ مِنهُمُ الفَرَّاءُ قالَ: «ثُمَّ تَأتي بمعنى الواوِ»، ثُمَّ على ذلِكَ شاهِدٌ مِنَ القُرءانِ وشاهِدٌ مِن شِعْرِ العَرَبِ القُدَماءِ الفُصحاءِ الذينَ كانوا يَتَكَلَّمونَ بِاللُّغةِ العَرَبِيَّةِ عَن سَليقَةٍ وطَبيعَةٍ مِن غَيرِ أَن يَدرُسوا النَّحوَ.

قالَ أَحَدُهُم:

إِنَّ مَن سادَ ثُمَّ سادَ أَبوه ثُمَّ قَدْ سادَ قَبلَ ذلِكَ جَدُّهْ

هَل يَصِحُّ أَن تُفَسَّرَ «ثُمَّ» هُنا أَنَّها تَدُلُّ على تَأَخُّرِ ما بَعدَها عَمَّا قَبلَها في الوُجودِ؟ لا تَدُلُّ، كذلِكَ في هذِهِ الآيةِ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ ٣﴾ [سورة يونس] لا تَدُلُّ «ثُمَّ» على أَنَّ اللهَ تَعالى خَلَقَ السَّمواتِ والأَرضَ ثُمَّ بَعدَ أَن وُجِدَتِ السَّمواتُ والأَرضُ صَعِدَ إِلى العَرشِ وجَلَسَ عَلَيهِ كَما يَزعُمُ المُشَبِّهَةُ الذينَ حُرِموا مِن فَهمِ الدَّلائِلِ العَقلِيَّةِ، العَقلُ لَهُ اعتِبارٌ في الشَّرعِ لِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ بِالتَّفَكُّرِ في أَكثَرَ مِن ءايَةٍ. والتَّفَكُرُ هو النَّظَرُ العَقليُّ هؤلاءِ حُرِموا مِن ذلِكَ مِن مَعرِفَةِ الدَّلائِلِ العَقلِيَّةِ التي يُعرَفُ بها ما يَصِحُّ وما لا يَصِحُّ، مِثالٌ لذلِكَ يُبَيِّنُ سَخَافَةَ

هؤلاءِ الذينَ يَعتَقِدونَ في اللهِ التَّحَيُّزَ في المَكانِ والحَدِّ والْمِسَاحَةِ هو أَنَّهُم يُفَسِّرُونَ حَديثَ «**يَنزِلُ رَبُّنا كُلَّ لَيلَةٍ إلى السَّمَاءِ الدُّنيا في النِّصفِ الأَخيرِ**» وفي لَفظٍ «**في الثُّلُثِ الأَخيرِ فَيَقولُ هَل مِن داعٍ فَأَستَجيبَ لَهُ وهَل مِن مُستَغفِرٍ فَأَغفِرَ لَهُ وهَل مِن سائِلٍ فَأُعطِيَهُ حتَّى يَنفَجِرَ الفَجرُ**» وهو حَديثٌ صَحيحٌ إِسْنَادًا. ظاهِرُ هذا الحَديثِ على زَعمِ هؤلاءِ الذينَ تَمَسَّكوا بِظاهِرِ هذا الحَديثِ أَنَّ اللهَ يَبقى في الثُّلُثِ الأَخِيرِ مِنَ اللَّيلِ إلى الفَجْرِ وهو يَقُولُ هذا الكَلَامَ، فَهْمُهُمْ هذا دَليلٌ على سَخَافَةِ عُقُولِهِمْ، وذلِكَ لأَنَّ اللَّيلَ يَختَلِفُ باخْتِلَافِ البِلَادِ، فَاللَّيْلُ في أَرْضٍ نَهَارٌ في أَرْضٍ أُخْرَى ونِصْفُ اللَّيْلِ في أَرْضٍ أَوَّلُ النَّهَارِ في أَرْضٍ إلى غَيرِ ذلكَ مِنَ الاخْتِلَافَاتِ، فعلى قَوْلِهِمْ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى في السَّماءِ الدُّنيا طالِعًا مِنها إلى العَرْشِ في كُلِّ لَحْظَةٍ مِنْ لَحظَاتِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ هَذِهِ سَخافَةُ عَقلٍ.

وسبحان الله والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الأمين، وءاله وأصحابه الطيبين.

البِدعَةُ في الدِّينِ تَعريفُها: حُكمُها وأَقسامُها:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ لَهُ الفَضلُ ولَهُ الثَّناءُ الحسَنُ وصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنا محمَّدٍ وعلى ءالِهِ وصَحبِهِ الطَّاهِرينَ.

اعلَم أَنَّ البِدعَةَ لُغَةً ما أُحدِثَ على غَيرِ مِثالٍ سابِقٍ، يُقالُ: جِئْتُ بِأَمْرٍ بَدِيعٍ أَيْ مُحْدَثٍ عَجِيبٍ لَمْ يُعْرَفْ قَبْلَ ذَلِكَ. وفي الشَّرعِ المحدَثُ الذي لم يَنُصَّ عَلَيهِ القُرءانُ ولا جاءَ في السُنَّةِ. قالَ ابْنُ العَرَبي: «**لَيستِ البِدعَةُ والمحدَثُ مَذْمومَيْنِ لِلَفظِ بِدعَةٍ ومحدَثٍ ولا معناهما، وإِنَّما يُذَمُّ مِنَ البِدعَةِ ما يخالِفُ السُنَّةَ، ويُذَمُّ مِنَ المحْدَثاتِ ما دَعَا إلى الضَّلالَةِ**».

والبِدعَةُ تَنقَسِمُ إلى قِسْمَينِ:

بِدعَةِ ضَلالَةٍ: وهِيَ المحدَثَةُ المخالِفَةُ للقُرءانِ والسُنَّةِ.

وبِدْعَةِ هُدًى: وَهِيَ المحدَثَةُ الموافِقَةُ للقُرءانِ والسُنَّةِ.

وهذا التَّقسيمُ مَفهومٌ مِن حَديثِ البُخاريِّ ومُسلِمٍ عَن عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها قالَت: قالَ رَسولُ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**مَن أَحدَثَ في أَمرِنا هذا ما لَيسَ مِنهُ فَهو رَدٌّ**» وَرواهُ مُسلِمٌ بِلَفظٍ ءاخَرَ وهو «**مَن عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عَلَيهِ أَمرُنا فَهو رَدٌّ**» فَأَفهَمَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ بِقَولِهِ: «ما لَيسَ مِنه» أَنَّ المحدَثَ إِنَّما يَكونُ رَدًّا أَي مَرْدُودًا إذا كانَ على خِلافِ الشَّريعَةِ، وأَنَّ المحدَثَ الموافِقَ للشَّريعَةِ لَيسَ مَردودًا.

وهَو مَفهومٌ أَيضًا مِمَّا رواهُ مُسلِمٌ في صَحيحِهِ مِن حَديثِ جَريرِ بنِ عَبدِ اللهِ البَجَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّهُ قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ: «**مَن سَنَّ في الإِسلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجرُها وأَجرُ مَن عَمِلَ بِها بَعدَهُ مِن غَيرِ أَن يَنقُصَ مِن أُجورِهِم شَىءٌ، ومَن سَنَّ في الإِسلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كانَ عَلَيهِ وِزرُها وَوِزرُ مَن عَمِلَ بِها مِن بَعدِهِ مِن غَيرِ أَن يَنقُصَ مِن أَوزارِهِم شَىءٌ**».

وَأَخرَجَ البُخارِيُّ في صَحيحِهِ عَن رِفَاعَةَ بنِ رافِعٍ الزُّرَقِيِّ قالَ: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَه**» قالَ رَجُلٌ وراءَهُ: رَبَّنا ولَكَ الحمدُ حَمدًا كَثيرًا طيِّبًا مُبارَكًا فيهِ. فَلَمَّا انصَرَفَ قالَ: «**مَن الْمُتَكَلِّمُ**» قالَ: أَنا، قالَ عليه الصلاة والسلام: «**رَأَيتُ بِضعَةً وثَلاثينَ مَلَكًا يَبتَدِرونَها أَيُّهُم يَكتُبُها أَوَّلَ**».

قالَ ابنُ حَجَرٍ في الفَتحِ في شَرحِ هذا الحديثِ: «واستُدِلَّ بِهِ على جوازِ إِحداثِ ذِكرٍ في الصَّلاةِ غَيْرِ مَأثورٍ إذا كانَ غَيرَ مخالِفٍ للمَأثورِ». ورَوى أَبو داودَ عَن عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ أَنَّهُ كانَ يَزيدُ في التَّشَهُّدِ «**وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ**» ويَقولُ أَنا زِدْتُها».

وقالَ النَّوَوِيُّ في كِتابِ «تَهذِيبُ الأَسماءِ واللُّغاتِ» ما نَصُّهُ: «البِدْعَةُ بِكَسرِ الباءِ في الشَّرعِ هِيَ إِحداثُ ما لَم يَكُن في عَهدِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ، وهِيَ مُنقَسِمَةٌ إِلى حَسَنَةٍ وقَبيحَةٍ».

قالَ الإمامُ الشَّيخُ المجمَعُ على إمامَتِهِ وجلالَتِهِ وتمكُّنِهِ في أَنواعِ العُلومِ وبَراعَتِهِ أَبو محمَّدٍ عَبدُ العَزيزِ بنُ عَبدِ السَّلامِ رَحِمَهُ اللهُ ورَضِيَ عَنهُ في ءاخِرِ كِتابِ القَواعِدِ: البِدعَةُ مُنقَسِمَةٌ إلى واجِبَةٍ ومحرَّمَةٍ ومَندوبَةٍ ومَكروهَةٍ ومُباحَةٍ، قالَ والطَّريقُ في ذَلِكَ أَن تُعرَضَ البِدعَةُ على قَواعِدِ الشَّريعَةِ، فَإِن دَخَلَتْ في قوَاعِدِ الإِيجَابِ فَهِيَ واجِبَةٌ، أَو في قواعِدِ التَّحْرِيمِ فَمُحَرَّمَةٌ، أَو النَّدْبِ فَمَنْدُوبَةٌ أَو المَكْرُوهِ فَمكروهَةٌ، أَو المباحِ فَمُباحَةٌ» انتهى كَلامُ النَّووِيّ.

وقالَ ابنُ عابِدينَ في «رَدُّ المُحتارِ» ما نَصُّهُ: «فَقَد تَكونُ البِدعَةُ واجِبَةً كَنَصبِ الأَدِلَّةِ للرَّدِّ على أَهلِ الفِرَقِ الضّالَّةِ، وتَعَلُّمِ النَّحوِ المُفهِمِ للكِتابِ والسُّنَّةِ، ومَندوبَةً كَإِحداثِ نحوِ رِباطٍ ومَدرَسَةٍ وكُلِّ إحسانٍ لم يَكُن في الصَّدرِ الأَوَّلِ، ومَكروهَةً كَزَخْرَفَةِ المساجِدِ، ومُبَاحَةً كالتَّوَسُّعِ بِلَذِيذِ المآكِلِ والمشَارِبِ والثِّيابِ». ورَوى البَيهَقِيُّ بِإِسنادِهِ في مَناقِبِ الشَّافِعِيّ عَنِ الشَّافِعِيّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أنه قالَ: «المحدَثاتُ في الأُمورِ ضَربانِ: أَحدُهما ما أُحدِثَ ممَّا يخالِفُ كِتابًا أَو سُنَّةً أَو أَثَرًا أَو إِجماعًا، فهذِهِ البِدعَةُ الضَّلالَةُ، والثَّانِيَةُ: ما أُحْدِثَ مِنَ الخَيرِ لا خِلافَ فيهِ لِواحِدٍ مِن هذا، وهذِهِ محدَثَةٌ غَيرُ مَذمومَةٍ».

قالَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى في كِتابِهِ العَزيزِ: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ٢٧﴾ [سورة الحديد]. فَهذِهِ الآيَةُ يُستَدَلُّ بها على البِدْعَةِ الحسَنَةِ، لأَنَّ مَعناها مَدْحُ الذينَ كانوا مِن أُمَّةِ عيسَى المُسْلِمِينَ المؤمنينَ المُتَّبِعينَ لَهُ عَلَيهِ السَّلامُ بِالإِيمَانِ والتَّوحيدِ، فَاللهُ تَعالى مَدَحَهُم لأَنهم كانوا أَهلَ رَأفَةٍ ورَحمَةٍ ولأَنَّهم ابتَدَعوا رَهبانِيَّةً، والرَّهبانِيَّةُ هِيَ الانقِطاعُ عَن الشَّهَواتِ حتى إِنهم انقطَعوا عَنِ الزّواجِ رَغبَةً في تجَرُّدِهِمْ لِلْعِبَادَةِ. فَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أَي نحن ما فَرَضناها عَلَيهِم إِنَّما هُم أَرادوا التَّقَرُّبَ إِلى اللهِ، فَاللهُ تَعالى مَدَحَهُمْ على ما ابْتَدَعوا ممَّا لم يُنَصَّ لهمْ عَلَيهِ في الإِنْجِيلِ ولا قالَ لهم المَسِيحُ بِنَصٍّ مِنهُ، إنما هُم أَرادوا المُبالَغَةَ في طاعَةِ اللهِ تَعالى والتَّجَرُّدَ بِتَركِ الانْشِغالِ بِالزّواجِ ونَفَقَةِ الزَّوجَةِ والأَهْلِ، فَكانوا

يَبْنُونَ الصَّوَامِعَ أَي بُيوتًا خَفيفَةً مِن طينٍ أَو مِن غَيرِ ذَلِكَ على المواضِعِ المُنعَزِلَةِ عَنِ الْبَلَدِ لِيَتَجَرَّدوا للعِبادَةِ.

ومِنَ البِدَعِ المُستَحَبَّةِ إِحداثُ خُبَيْبِ بْنِ عَدِي رَكعَتَينِ عِندَما قُدِّمَ للقَتلِ، كَما جاءَ ذَلِكَ في صَحيحِ البُخارِيِّ، فَفيهِ ما نَصُّهُ: وكانَ خُبَيْبٌ هُو قَتَلَ الحارِثَ يومَ بَدرٍ، فَمَكَثَ عِندَهُم أَسيرًا حتى إِذا أَجمَعوا قَتلَهُ اسْتَعارَ مُوسَى مِن بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ لِيَسْتَحِدَّ بها فَأَعَارَتهُ، قالَت: فَغَفِلتُ عَنْ صَبِيٍّ لِي فَدَرَجَ إِلَيْهِ حتى أَتَاهُ فَوَضَعَهُ على فَخِذِهِ فَلَمَّا رَأيتُهُ فَزِعتُ فزعَةً عَرَفَ ذَلِكَ مِني وفي يَدِهِ الموسَى فَقالَ: أَتخشَيْنَ أَن أَقتُلَهُ؟ ما كُنتُ لِأَفعَلَ ذاكَ إِن شاءَ اللهُ، وكانَت تَقولُ: ما رَأيتُ أَسيرًا قَط خَيرًا مِن خُبَيْبٍ، لَقَد رَأَيتُهُ يَأكُلُ منْ قِطفِ عِنَبٍ وما بمَكَّةَ يَومَئِذٍ ثَمَرَةٌ وإِنَّهُ لَمُوثَقٌ في الحدِيدِ، وما كانَ إلا رِزْقًا رَزَقَهُ اللهُ، فَخَرَجوا بِهِ مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ، فَقالَ: دَعوني أُصَلِّي رَكعَتَينِ، ثمَّ انصَرَفَ إِلَيهِم فَقالَ: لَولا أَن تَرَوا أَنَّ ما بي جَزَعٌ مِنَ المَوْتِ لَزِدتُ، فَكانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرَّكعَتَينِ عِندَ القَتلِ هو، ثمَّ قالَ:

فَلَستُ أُبالي حينَ أُقتَلُ مُسْلِمًا ... على أَي شِقٍّ كانَ للهِ مَصرعي

وذَلِكَ في ذاتِ الإِلَهِ وإن يَشَأْ ... يُبارِكْ على أَوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثمَّ قامَ إِلَيهِ عُقبَةُ بنُ الحارِثِ فَقَتَلَهُ وبَعَثَتْ قُرَيشٌ إِلى عاصِمٍ لِيُؤتَوا بِشَىءٍ مِن جَسَدِهِ يَعرِفونَهُ، وكانَ عاصِمٌ قَتَلَ عظيمًا مِن عُظمائِهِم يَومَ بَدْرٍ، فَبَعَثَ اللهُ عَلَيْهِ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَم يَقْدِروا مِنهُ على شَىءٍ».

ومِنَ البِدَعِ المُستَحَبَّةِ: نَقْطُ المصَاحِفِ وكانَ الصَّحابَةُ الذينَ كَتَبوا الْوَحْيَ الذي أَملاهُ عَلَيهِم الرَّسُولُ يَكتُبونَ البَاءَ والتَّاءَ ونحْوَهما بِلا نَقْطٍ، ثمَّ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ لَما كَتَبَ سِتَّةَ مَصاحِفَ وأَرسَلَ بِبَعضِها إِلى الآفاقِ إِلى البَصرَةِ ومَكَّةَ وغَيرِهما واستَبقى عِندَهُ نُسخَةً كانَ غَيرَ مَنقوطٍ.

وإنما أَوَّلُ مَن نَقَطَ المصاحِفَ رَجُلٌ مِنَ التَّابِعينَ مِن أَهلِ العِلْمِ والفَضْلِ والتَّقوى يُقالُ له يحيى ابنُ يَعمُرَ. فَفي كِتابِ المصاحِفِ لابنِ أبي داودَ السجِستانيّ ما نَصُّهُ: «حَدَّثَنا عَبدُ اللهِ، حَدَّثَنا مُحمَّدُ بنُ عَبدِ اللهِ المَخزوميُّ، حَدَّثَنا أَحمَدُ بنُ نَصرِ بنِ مالِكٍ، حَدَّثَنا الحسينُ بنُ الوليدِ، عَن هارونَ ابنِ موسى قالَ: «**أَوَّلُ مَن نَقَطَ المصاحِفَ يحيى بنُ يَعمُرَ**»، وكانَ قَبلَ ذَلِكَ يُكتَبُ بِلا نَقطٍ. فَلَمَّا فَعَلَ هذا لم يُنكِرِ العُلَماءُ عَلَيهِ ذَلِكَ، مَعَ أَنَّ الرَّسولَ ما أَمَرَ بِنَقطِ المُصحَفِ.

وهذِهِ بِدعَةٌ أَحدَثَها عُثمانُ بنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ فَفي صَحيحِ البُخارِيِّ ما نَصُّهُ: حَدَّثَنا ءادَمُ قالَ: حَدَّثَنا ابنُ أَبي ذِئبٍ عَن الزُّهرِيِّ عَن السَّائِبِ بنِ يَزيدَ قالَ: «**كانَ النِّداءُ يَومَ الجُمُعَةِ أَوَّلُهُ إِذا جَلَسَ الإمامُ على المِنبرِ، على عَهدِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ وأَبي بَكرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما، فَلَمَّا كانَ عُثمانُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ وَكَثُرَ النَّاسُ زادَ النِّداءَ الثَّالِثَ على الزَّوراءِ**».

ومِنَ البِدَعِ المُستَحَبَّةِ: الجَهرُ بِالصَّلاةِ على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بَعدَ الأَذانِ، وحَدَثَ هذا بَعدَ سَنَةِ سَبعِمائةٍ، وكانوا قَبلَ ذَلِكَ لا يَجهَرونَ بها.

ومِنها كِتابةُ «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ» عِندَ كِتابَةِ اسمِهِ، ولَم يَكتُبِ النَّبيُّ ذَلِكَ في رَسائِلِهِ التي أَرسَلَ بها إلى المُلوكِ والرُّؤساءِ وإنما كانَ يَكتُبُ مِن محمَّدٍ رَسولِ اللهِ إلى فُلانٍ.

ومِنَ البِدَعِ المُستَحَبَّةِ: الطُّرُقُ التي أَحْدَثَها بَعضُ أَهلِ اللهِ كالرِّفاعِيَّةِ والقادِرِيَّةِ وهِي نحوُ أَربَعينَ، فَهذِهِ الطُّرُقُ أَصلُها بِدَعٌ حَسَنَةٌ، ولكِن شَذَّ بَعضُ المُنتَسِبينَ إِليها وهذا لا يَقدَحُ في أَصلِها.

ومِنَ البِدَعِ الحسَنَةِ الاحتِفالُ بمولِدِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ فهذا العَمَلُ لم يَكُن في عَهدِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ ولا فيما يَليهِ إنما أُحدِثَ في أَوائِلِ القَرنِ السَّابعِ الهِجرِيِّ، وأَوَّلُ مَن أَحدَثَهُ مَلِكُ إِربِلَ، وكانَ عالِمًا تَقِيًّا شُجاعًا يُقالُ لَهُ المُظَفَّرُ، جمَعَ لهذا

كثيرًا مِنَ العُلَماءِ فيهِم مِن أَهلِ الحديثِ والصُّوفِيَّةِ الصَّادِقينَ. فاستَحسَنَ ذَلِكَ العَمَلَ العُلَماءُ في مَشارِقِ الأَرضِ ومَغارِبِها.

وللحافِظِ السُّيوطِيِّ رِسالَةٌ سمَّاها «حُسنُ المَقصِدِ في عَمَلِ المولِدِ» قالَ: «إنَّ أَصلَ عَمَلِ المولِدِ الذي هو اجتِماعُ النَّاسِ، وقِراءَةُ ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرءانِ، وروايةُ الأَخبارِ الوارِدَةِ في مَبدَإِ أَمرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ وما وَقَعَ في مَولِدِهِ مِنَ الآياتِ ثمَّ يُمَدُّ لهم سِماطٌ يأكلونَهُ ويَنصَرِفونَ مِن غَيرِ زِيادَةٍ على ذَلِكَ هو مِنَ البِدَعِ الحَسَنَةِ التي يُثابُ عَلَيها صاحِبُها لِما فيهِ مِن تَعظيمِ قَدرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ وإظهارِ الفَرَحِ والاستِبشارِ بمولِدِهِ الشَّريفِ. وأَوَّلُ مَن أَحدَثَ فِعلَ ذَلِكَ صاحِبُ إِربِلَ الملِكُ المُظَفَّرُ.

وقالَ ابنُ كَثيرٍ في تاريخِهِ: «كانَ يَعمَلُ المولِدَ الشَّريفَ - يَعني الملِكَ المُظَفَّرَ - في رَبيعٍ الأَوَّلِ ويحتَفِلُ بِهِ احتِفالا هائِلا، وكانَ شَهْمًا شُجاعًا بَطَلا عاقِلا عالِمًا عادِلا رَحِمَهُ اللهُ وأَكرَمَ مَثواهُ. قالَ: وقَد صَنَّفَ لَهُ الشَّيخُ أَبو الخطَّابِ بنُ دِحيةَ مجلَّدًا في المولِدِ النَّبَوِيِّ سمَّاهُ «التَّنويرُ في مَولِدِ البَشيرِ النَّذيرِ» فَأَجازَهُ على ذَلِكَ بِأَلفِ دينارٍ، وقَد طالَت مُدَّتُهُ في المُلكِ إِلى أَن ماتَ وهو محاصِرٌ للفَرَنجِ بمدينَةِ عكَّا سَنَةَ ثلاثينَ وسِتِمائةٍ، محمودَ السِّيرَةِ والسَّريرَةِ».

ويَذكُرُ سِبطُ ابنِ الجَوزِيِّ في «مِرءاةُ الزَّمانِ» أَنَّهُ كانَ يحضُرُ عِندَهُ في المَولِدِ أَعيانُ العُلَماءِ والصُّوفِيَّةِ.

وقالَ السُّيوطِيُ: «وقَد استَخرَجَ لَهُ أَي المولِدِ إمامُ الحُفَّاظِ أَبو الفَضْلِ أَحمَدُ بنُ حَجَرٍ أَصْلا مِنَ السُنَّةِ، واستَخرَجتُ لَهُ أَصْلا ثانِيًا».

فَتَبَيَّنَ مِن هذا أَنَّ الاحتِفالَ بِالمولِدِ النَّبَوِيِّ بِدعَةٌ حَسَنَةٌ فَلا وَجهَ لإِنكارِهِ، بَل هُو جَديرٌ بِأَن يُسَمَّى سُنَّةً حَسَنَةً لأَنَّهُ مِن جملَةِ ما شَمِلَهُ قَولُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «مَن سَنَّ في الإِسلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجرُها وأَجرُ مَن عَمِلَ بها بَعدَهُ لا يَنقُصُ مِن أُجورِهِم شَىءٌ».

وسبحان الله والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الأمين، وءاله وأصحابه الطيبين».

رَحْمَةُ اللهِ وَاسِعَةٌ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ لَهُ الفَضلُ ولَهُ الثَّناءُ الحسَنُ وصَلَّى اللهُ على سَيّدِنا محمَّدٍ وعلى ءالِهِ وصَحبِهِ الطَّاهِرينَ.

مَن أرادَ سلامةَ دينِهِ فليقلّلِ الكلامَ، المصائبُ للمؤمنِ فائدةٌ كبيرةٌ أمَّا للكافرِ فليسَ لهُ فيها فائدةٌ، الكافرُ مهما تعذَّبَ في الدُّنيا فلا يخفَّفُ من ذنوبِهِ بهذهِ المُصيبةِ منْ مرضٍ وغيرِهِ ولا في الآخرةِ، أمَّا المسلِمُ على حسبِ ما يَكْثُرُ بلَاؤُهُ يَعْظُمُ أجْرُهُ عِنْدَ اللهِ، أمَّا المُسْلِمُ الذي إذا أصابتْهُ مصائبُ يَسْخَطُ على ربِّهِ فهذا خسِرَ الدُّنيا والآخرةَ. بعضُ النَّاسِ لَمَّا تنزِلُ بهمْ ءالَامٌ شديدةٌ يَكْفُرُونَ، هؤلاءِ خسِرُوا الدُّنيا والآخرةَ، في الدُّنيا كُفرُهم هذا لا يدفعُ عنهمُ البلاءَ والمصائبَ، لا يدفَعُ عنهم. كمَثَلِ رَجُلٍ كانَ في العَربِ القدماءِ قبلَ الرسولِ بآلافٍ منَ السِّنينِ، كانَ مسلِمًا عاشَ في الإسلامِ أربعينَ سنةً، ثمَّ اللهُ تعالى ابتلاهُ بمصيبةٍ كبيرةٍ، أولادُهُ ذهبُوا للصَّيدِ فنزلَتْ صاعقةٌ قتَلَتْهم فغضِبَ على اللهِ قالَ «لا أعبُدُهُ، إنَّهُ قتلَ أبنائي»، ثم استمرَّ على كفرِهِ وصارَ يقولُ للنَّاسِ الذينَ يأتونَ إلى بلدِهِ «اكفرُوا باللهِ وإلا قَتَلْتُكم». ما مضتْ أيامٌ طويلةٌ حَتَّى أرسَلَ اللهُ النَّارَ على ناحيَتِهِ فَأَكَلَتِ النَّارُ الأشْيَاءَ والنَّاسَ والبهائمَ منْ كانَ في ذلكَ الوادِي كلِّهم بما فيهِ هُوَ، تلكَ الناحيةُ والبهائمُ والأشياءُ كلٌّ أكلتْهُمُ النَّارُ، هذا خسِرَ الدُّنيا والآخرةَ، كُفْرُه ما نفعَهُ، ماذا نفَعَهُ؟ هذا سببُهُ أنَّه ما تحمَّلَ هذهِ المصيبةَ، أنَّ أولادَهُ كلَّهم ماتُوا فجأةً بالصَّاعقةِ فكفرَ كُفرًا شَنِيعًا. بعضُ النَّاسِ إمَّا أنْ يَكفُرُوا عندَ المُصيبةِ أو يَترُكُوا الفرائضَ، بعضُ النَّاسِ إذا مرِضُوا يتركونَ الصَّلواتِ، هذهِ خسارةٌ كبيرةٌ، ومنهم من يكفرُ، يقولُ لِمَ اللهُ تعالى يبتليني بهذا؟! يَسْخَطُ على اللهِ. هذا الرَّجلُ مِن عاد من قومِ عاد، يقالُ لَهُ «حِمارُ بنُ مالكٍ»، بَعْضُ العربِ كانُوا يُسَمُّونَ أبناءَهم بـ «حمار» وما أشبَهَ ذلك، حتَّى منَ الصَّحابةِ

يوجدُ رجلٌ أبوه اسمُه «حمار». امرأةٌ كانت اسمُها «عَاصِيَة» لَمَّا كانَتْ كافرةً أهلُها سمَّوها «عاصِيَة»، الرسولُ سمَّاها «جميلة». العربُ كانُوا يسمُّونَ بالحِمَارِ والجَحْشِ والكَلْبِ، هذا الذي كفرَ هذهِ الكُفريَّةَ اسمُهُ «حِمَارُ بنُ مالكٍ».

عليكم بحفظِ اللِّسانِ والصَّبرِ على المصائبِ. يا صاحبَ الحجا، معناه يا عاقل يا ذا العقلِ يا منْ لهُ عقلٌ، احفظْ لسانَكَ أطِلِ السُّكوتَ، السكوتُ تقليلُ الكلامِ فيه حِفْظٌ للدِّينِ. الذي يُكثِرُ الكلامَ يقعُ في شيءٍ مُحرَّمٍ أو كفرٍ أو مكروهٍ لا بُدَّ، كثيرٌ منَ النَّاسِ يقعونَ في الكُفرِ بسببِ كثرةِ الكلامِ. الكلامُ فيهِ ما هوَ حرامٌ، والنَّظرُ واللَّمسُ، الرَّسولُ عليه السلامُ قالَ: «زنَى العَينِ النَّظرُ وزنَى اليدِ اللَّمسُ وزنَى الرِّجليْنِ الخُطَى وزنَى اللِّسانِ المنطِقُ»، الكلامُ الذي يُكَلِّمُ بهِ الأجنبيةَ لِلَّذَّةِ هذا زنى، زنى اللِّسانِ، منَ الصَّغائرِ ليسَ مِنَ الكبائِرِ، وقالَ عليه السَّلامُ: «وزنَى الفَمِ القُبَلُ»، القُبلةُ زنَى الفَمِ، لكنْ كلُّ هذهِ الأشياءِ منَ الصَّغائرِ، كذلكَ وزنَى النفسِ التَّمَنِّي «وزنَى النَّفسِ أن تتمنَّى وتشتهِي» هكذَا قالَ الرَّسولُ، زنَى القلبِ أن يَتَصوَّرَ أنَّهُ يُعانِقُ ويلتزِمُ، تصوَّرَ معَ التَّلذُّذِ هذا حرامٌ هذا يسمَّى زنَى النَّفسِ، لكنْ أكثرهم وقوعًا زنَى العَيْنِ، لذلكَ الرَّسولُ عليه السلامُ قالَ: «وكُلُ عينٍ زانيةٌ» معناه أكثرُ البَشرِ ينظرونَ بشهوةٍ فيكونُ عليهم معصيَةٌ.

لكن هذهِ الصَّغائِرُ كلُّها، هذهِ وغيرُها الصغائرُ تذهبُ بأيَّةِ حَسَنةٍ، إذا واحدٌ قالَ «لا إلهَ إلا اللهُ» ذهبَتْ، بنيَّةٍ حسنةٍ، وإذا قالَ «سبحانَ اللهِ» ذهبَتْ، إذا قالَ «اللهُ أكبرُ» أو قالَ «الحمدُ للهِ» بمعنَى على وجهِ الشُّكرِ للهِ من أجلِ تعظيمِ اللهِ تذهبُ، وإن توضَّأَ تذهبُ لَمَّا يتوضَّأُ وضوءًا شرعيًا بنيَّةٍ صحيحةٍ تقرُّبًا إلى اللهِ، لَمَّا يغسِلُ وجهَهُ تنزِلُ صغائرُ الذُّنوبِ التي فعَلَها بفمِهِ وعينِهِ معَ الماءِ، وإذا غسَلَ يدَيْهِ كذلكَ تذهبُ خطايا يديْهِ معَ الماءِ وإذا غسَلَ رجليْهِ. كذلكَ تذهَبُ معَ الماءِ الذي ينزِلُ منَ الرِّجلِ، رحمةُ اللهِ واسعةٌ.

وسبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الأمين، وءاله وأصحابه الطيبين».

أَحِبّ المساكين:

قَالَ الإِمامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ لهُ النعمةُ والفضلُ ولهُ الثناءُ الحسن صَلواتُ اللهِ البرّ الرَّحيمِ على نبينا محمدٍ وعلى ءالهِ الطيبينَ الطاهرين.

أَمَّا بعدُ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثٍ فيهِ أنَّ أبا ذَرٍّ الغِفَارِيَّ رضيَ الله عنهُ قالَ لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بعدَ أنْ ذكرَ لهُ أشياء أوصاهُ بها؛ قال أبو ذر: زدني يا رسولَ الله. فقال: «أَحِبَّ المساكينَ وجالِسْهُم ولا تَنْظُرْ إلى من هوَ فَوْقَكَ وانْظُر إلى من هوَ دُونَك». معنى الجملةِ الأخيرة، قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسَّلام: «لا تَنْظُرْ إلى من هوَ فَوْقَكَ وانْظُر إلى من هوَ دُونَك» أنهُ ينبغي أن ينظر إلى من دونه أي إلى من هوَ أقلُّ منهُ في الرِّزق وقوة الجسْمِ، لأنه إذا كان نظرُهُ إلى من هو دُونَهُ يكونُ ذلكَ مُسَاعدًا له على شُكرِ الله تعالى على ما أَوْلاهُ من النِّعَم. هذا في أمورِ الدُّنيا، الرِّزق وصحةِ الجِسمِ، أما في أمور الدين فالمطلوب من المسلم أن ينظر إلى من هو أقوى منه في الدينِ حتى يترقَّى في الدين فيكونَ عندَ الله تعالى منَ الذين لهم درجاتٌ عالية، وقد يَجرُّ الإنسانَ النَّظَرُ إلى من هو فوقَهُ في أمور الدنيا إلى أن يسعى في تكثيرِ المالِ بطريقِ الحرامِ حتى يَبْلُغَ مرتبةَ ذلكَ الإنسان الذي هو أكثرُ منهُ مالا فَيهْلِك، يكون ذلكَ سَبَبًا لِهلاكِهِ. وذلكَ لأنَّ أنبياءَ الله وأولياءَ الله لا يُعَلِّقونَ قلوبَهُم بِالدُّنيا لأن الذي يُعَلِّقُ قلبَهُ بِالدنيا يَهلِك، يَنْجَرُّ إلى الْمُحَرَّمات، إلى الكَبائِرِ.

كانَ في بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ غَنِيٌ لهُ مَالٌ كَثِيرٌ ولهُ ابنُ أخ، هذا ابْنُ أخِيهِ متعلِّقٌ قَلْبُهُ بالمالِ، استغرقَ قلبُهُ في حُبِّ الْمَالِ، فَفَكَّر كيفَ يَصِلُ إلى مَالِ عمِّهِ هذا حتى يتنعَّمَ بهِ، فَقَتَلَهُ، ثمَّ وضعه على بابِ أُنَاسٍ ليسَ لهم علاقةٌ بهذهِ الجَرِيمَةِ، وقالَ: هؤلاءِ قَتَلُوا عَمِّي. فهؤلاءِ ثاروا، وعشيرة هذا الذي لم يعلموا بحاله أيضًا ثاروا، فَصارَ يَحْدُثُ بينَهُم القِتالُ. ثم قالَ بعضهم: فينا نَبِيُّ الله، لا نَتَقاتل بل نَرْجِعُ إِلَيهِ. فأخبروا موسى عليه السلام بالقصة، فأوحى الله إلى موسى أن يأمرهم بذبحِ بقرة، قال لهم: تذبحونَ هذه البقرة فتضربونَ هذا القَتِيلَ بِبَعضٍ منها،

بِجُزءٍ منها، ففعلوا، فأَحْيا الله هذا القَتِيلَ الميّت فنطقَ قال: «قتلني ابْنُ أَخِي». إلى هَذَا الحدِّ يُوصِلُ حبُّ المالِ، التَّعلقُ بالمال إلى هذا الحدِّ وأشدَّ من هذا، لذلك الرسولُ أَوْصَى بأن يَنظر المسلمُ إلى من هوَ أسفلُ منهُ في أمورِ المعيشةِ، في أمورِ الدنيا لا ينظر إلى من هو فَوْقَهُ.

وسبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الأمين، وءاله وأصحابه الطيبين».

أدعية

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الحديث: «الدعاءُ هو العبادةُ»، معناهُ أنَّ الدعاءَ أي الرغبةَ إلى اللهِ فيهِ ثوابٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ يُصْلِحُ أحوَالَ الْمُسْلِمينَ، ابْتِعَادُهُمْ عَنِ الدِّينِ هُوَ الذي أوْصَلَهُمْ إِلَى هَذَا الانْحِطَاطِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا وَدِينَنَا وَءَاخِرَتَنَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «وفقكُم اللهُ لِما يكونُ زَادًا لكُم في الأُخرى، وألهمكُم اللهَ الخيرَ في مُجتمعاتِكُم التي فيها تأييدُ مذهبِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ يُمَكِّنُكَ مِنْ نَشْرِ الْحَقِّ وَالفَضِيلَةِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: « اللهُ يَجْعَلُنَا مِنَ الَّذِينَ يَكُونُ يومُهُم خَيْرًا مِن أَمْسِهِم لِنَتَرَقَّى فِي الكَمَالاتِ إِلَى الدَّرَجَاتِ العُلا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «بَلَّغَكُمُ اللهُ مِنَ الخَيْرِ ءَامَالَكُمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه في دعاء لامرأة: «لطف الله بها عافاها الله وأبدلها أُنْسًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لِيَكُنْ غَدُكُمْ خَيْرًا مِنْ أَمْسِكُمْ، بَلَّغَكُمُ اللهُ تِلْكَ المقَامَاتِ، وَقَوَّى هِمَمَكُمْ وَعَزَائِمَكُمْ حَتَّى تَبْلُغُوا المنَى».

وَقَالَ رضي الله عنه: «جِدُّوا وَاجْتَهِدُوا فِي كُلِّ مَا تَقْتَضِيهِ مَصْلَحَةُ الدَّعْوَةِ وَتَعَاوَنُوا عَلَى هَذَا الأَمْرِ فِيْمَا بَيْنَكُمْ، وَفَّقَكُمُ اللهُ وَبَلَّغَكُم إِلَى الدَّرَجَاتِ الَّتِي يَقْصِدُهَا الفَائِزُونَ، وَقَوَّى يَقِينَكُم فِي الآخِرَةِ الَّتِي هِيَ دَارُ القَرَارِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ يَزِيدُكُمْ هِمَّةً فِي تَأْيِيدِ الخَيْرِ وَإِبْطَالِ الضَّلالِ وَإِصْلاحِ مَا فَسَدَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ يَا طَالِبِي النَّجَاةِ وَالفَوْزِ فِي الآخِرَةِ وَارْتِقَاءِ الدَّرَجَاتِ العُلا بِبَذْلِ الجُهْدِ لِلتَعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ، وَفَّقَكُمُ اللهُ وَسَدَّدَكُمْ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَوُّوا عَزَائِمَكُمْ يَا أَتْبَاعَ الحَقِّ، أَعَانَكُمُ اللهُ نَصَرَكُمُ اللهُ، قَوَاكُمُ اللهُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُ يُحْسِنُ عَاقِبَتَنَا، اللهُ يُحْيِينَا عَلَى السُّنَّةِ وَيُمِيتُنَا عَلَى السُّنَّةِ، وَيَبْعَثُنَا عَلَى السُّنَّةِ».

أذكار وأوراد

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الذِّكْرُ القَلْبِيُّ هُوَ اسْتِشْعَارُكَ بِالخَوْفِ مِنَ اللهِ، أَوْ بِمَحَبَّتِه، أَوْ بِتَعْظِيمِهِ، مَنْ ذَكَرَ اللهَ بِقَلْبِهِ أَحْيَانًا يَبْكِي يَبْكِي، المُؤْمِنُ يَبْكِي، مِنْ ذِكْرِ القَلْبِ يَبْكِي، يَشْعُرُ بِالفَرَحِ، يَشْعُرُ بِالمَحَبَّةِ مَحَبَّةِ اللهِ، بِالفَرَحِ بِاللهِ، بِالخَوْفِ مِنْهُ، هَذَا الذِّكْرُ القَلْبِيُّ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «ذكر الله بالقلب أي محبته، الشعور بمحبته والخوف منه وتعظيمه فيه ثواب في حال قضاء الحاجة وفي كل الأحوال».

وَقَالَ رضي الله عنه: «تَغْمِيضُ العَيْنِ عِنْدَ الذِّكْرِ يُسَاعِدُ عَلَى جَمْعِ القَلْبِ، عَلَى تَدَبُّرِ مَعْنَى الذِّكْرِ، هَذِهِ عَادَةُ الْمَشَايِخِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «المطْلُوبُ أَنْ يَشْغَلَ الإِنْسَانُ لِسَانَهُ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ وَالتَّحْمِيدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الذِّكْرِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ قَالَ لِجَمَاعَةٍ مِنَ النِّسَاءِ: «**عَلَيْكُنَّ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ وَاعْقِدْنَ عَلَيْهَا بِالأَنَامِلِ فَإِنَّهُنَّ مُسْتَنْطَقَاتٌ**» أَيْ فِي الآخِرَةِ اللهُ يَجْعَلُ النُّطْقَ فِي الأَنَامِلِ، الأَنَامِلُ تَشْهَدُ، اللهُ يُنْطِقُهَا، الّذِي أَنْطَقَ اللِّسَانَ فِي الدُّنْيَا يُنْطِقُ الأَنَامِلَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الذِّكْرُ وَالدُّعَاءُ يَخْتَلِفُ حُكْمُهُ عَنِ الْقُرْءَانِ، الْقُرْءَانُ أَمْرُهُ أَوْكَدُ بِالنِّسْبَةِ لِمُرَاعَاةِ الْمَخَارِجِ وَصِفَاتِ الحُرُوفِ، أَمَّا الدُّعَاءُ إِذَا لَمْ يَتَغَيَّرِ الْمَعْنَى مَقْبُولٌ؛ لَهُ ثَوَابٌ، فَلَوْ قَالَ: لَا إِلَه إِلَّا اللهُ مَدَّ «إِلَهَ» لَا يَضُرُّ لو قال الذاكر؛ اللهُ بِمَدٍّ عِنْدَ الْوَقْفِ نعم، لَكِنْ «إِلَهَ» لا يُمَدُّ لَكِنْ لَوْ مَدَّهُ ذَاكِرٌ لَهُ ثَوَابٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ» الَّذِي يَدْعُو اللهَ مَعْنَاهُ هَذَا عِبَادَةٌ كَبِيرَةٌ. لَيْسَ كَمَا تَقُولُ الْوَهَّابِيَّةُ، الَّذِي يَقُولُ عِنْدَهَا: يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ يَا عَبْدَ الْقَادِرِ، بِهَذَا الْحَدِيثِ يَحْتَجُّونَ لِتَكْفِيرِ مَنْ يَقُولُ هَذَا.

الْحَدِيثُ مَدْحٌ لِلدُّعَاءِ بِمَعْنَى أَنَّهُ فِي الْعِبَادَةِ لَهُ مَرْتَبَةٌ عَالِيَةٌ، الْعِبَادَةُ مَرَاتِبُ: الصَّلَاةُ عِبَادَةٌ، الصَّوْمُ عِبَادَةٌ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْءَانِ. فَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ دُعَاءَ اللهِ الطَّلَبُ مِنَ اللهِ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ، هَذَا مَعْنَاهُ، لَيْسَ مَعْنَاهُ وَلَا بِطَرِيقِ الْإِشَارَةِ أَنَّ الَّذِي يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ أَوْ يَا جِيْلَانِيُّ أَوْ يَا عَلِيُّ كَافِرٌ. إِذَا أَوْرَدُوا ءَايَةً أَوْ حَدِيثًا لِإِثْبَاتِ عَقِيدَتِهِمْ لَا تُصَدِّقُوهُمْ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الذِّكْرُ اللِّسَانِيُّ لَوْ كَانَ بِدُونِ خُشُوعٍ بِالْمَرَّةِ فِيهِ ثَوَابٌ لَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ نِيَّةٍ. مَثَلًا لَوْ قَالَ: أَقْرَأُ التَّهْلِيلَةَ تَقَرُّبًا إِلَى اللهِ تَعَالَى ثُمَّ كَرَّرَ التَّهْلِيلَةَ عَشْرَةَ ءَالَافِ مَرَّةٍ بِدُونِ أَدْنَى خُشُوعٍ يَكْفِي، لَهُ ثَوَابٌ؛ إِنْ جَدَّدَ النِّيَّةَ زِيَادَةُ خَيْرٍ، أَمَّا الَّذِي يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.. وَيَحْذِفُ الْهَاءَ لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ وَعَلَيْهِ ذَنْبٌ لِأَنَّهُمْ غَيَّرُوا اسْمَ اللهِ. اِسْمُ اللهِ بِالْهَاءِ لَيْسَ بِغَيْرِ الْهَاءِ، كَذَلِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: الحَمْدُ لِلَّ بَدَلَ الْحَمْدُ للهِ أَيْ يَقُولُونَهَا بِلَا هَاءٍ لَيْسَ لَهُمْ ثَوَابٌ بَلْ عَلَيْهِمْ مَعْصِيَةٌ، حَتَّى كَلِمَةُ [إِلَهَ] بَعْضُ النَّاسِ يُحَرِّفُونَهَا، يَقُولُونَ: "لَا إِيلَاهَا إِلَّا اللهُ" وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُونَ أَلِفًا، يُتْبِعُونَ الْهَاءَ أَلِفًا بَدَلَ أَنْ يَقُولُوا: إِلَهَ بِلَا أَلِفٍ يَقُولُونَ لَا إِلَهَا إِلَّا اللهُ. هَؤُلَاءِ يَأْثَمُونَ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَكْسِبُونَ الْأَجْرَ».

التَّحْصِينُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الَّذِي يَتَحَصَّنُ كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ لَا يُصِيبُهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ سِحْرٌ عِنْدَمَا يَنْسَى أَنْ يَتَحَصَّنَ يُصِيبُهُ بِمَشِيئَةِ اللهِ.

يَقُولُ "بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَىْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" 3 مَرَّاتٍ، وَيَقُولُ: "حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ"

7 مَرَّاتٍ، إِذَا قَرَأَ بَعْدَ الصُّبْحِ وَبَعْدَ الْمَغْرِبِ لَا يُصِيبُهُ سِحْرٌ إِلَّا إِنْ نَسِيَ وَالَّذِي أُصِيبَ يَأْتِي بِسَبْعِ وَرَقَاتِ سِدْرٍ[1] خُضْرٍ تُدَقُّ بَيْنَ حَجَرَيْنِ ثُمَّ تُوضَع فِي الْمَاءِ وَيَقْرَأُ عَلَيْها ءَايَةَ الْكُرْسِيِّ وَسُورَةَ الْإِخْلَاصِ وَالْفَلَقِ وَالنَّاسِ مَرَّةً وَاحِدَةً ثُمَّ يَشْرَبُ الْمَسْحُورُ ثَلَاثَ جُرْعَاتٍ وَالْبَاقِي يَغْسِلُ بِهِ».

ذِكْرُ اللهِ بِلُغَةِ الْعَجَمِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الإِنْسَانُ إِذَا ذَكَرَ اللهَ بِلُغَةِ العَجَمِ لَهُ ثَوَابٌ، القُرْءَانُ فَقَطْ لا يُقْرَأُ إِلا بِاللَّفْظِ العَرَبِيِّ، لا يُقْرَأُ بِالتَّرْجَمَةِ، أَمَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَدْحُ اللهِ وَمَدْحُ الرَّسُولِ يُقْرَأُ بِالتَّرْجَمَةِ».

الْمُعَوِّذَاتُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «عَن عُقبَةَ بنِ عَامِرٍ قَالَ: «**أمرنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أَن أَقرَأَ بالْمُعَوِّذَات دُبُرَ الصَّلَاةِ**». رَوَاهُ أَحمَدُ، والمُعَوِّذَاتُ ﴿**قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١**﴾ [سورة الإخلاص] و﴿**قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ١**﴾ [سورة الفلق] و﴿**قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١**﴾ [سورة الناس]».

وَقَالَ رضي الله عنه: «المُعَوِّذَتَانِ بَعدَ الصَّلَوَاتِ الخَمسِ شَىءٌ عَظِيمٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قِرَاءَةُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ عَقِبَ كُلِّ صَلَاةٍ أَقْوَى للتَّحَصُّنِ مِنْ لُبْسِ الحِرْزِ».

---

[1] السدر هو الذي يوضع في ماء غسل الميت.

سُئِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: امرأةٌ كَانت كَثِيرةَ الحَرَكةِ وَتَذْهَبُ مِن درسٍ إلى درسٍ، لكنِ الآن هي مُتوقفَةٌ منذُ خَمسةِ أَشهرٍ عن التدريسِ وحضورِ الدروسِ من شدةِ ما أَصابَهَا مِن ثِقَلٍ، فمَا عَادَتْ تَقوَى حتَّى على المَشيِ وَحدَهَا تَحتاجُ إلى مَنْ يُعِينُهَا، فماذا تَرَوْنَ لَهَا؟

فَأَجَابَ رضي الله عنه: «تَقرَأُ المُعَوِّذَتَينِ عَقِبَ كُلِّ مَكتُوبَةٍ».

وَسُئِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أُرِيدُ وِردًا للنَّصرِ؟

فَأَجَابَ رضي الله عنه: «قِرَاءَةُ المُعَوِّذَتَينِ عَقِبَ الصَّلَوَاتِ الْخَمسِ».

وَسُئِلَ: ماذا أَقرَأُ لِلحِفْظِ وتَركِ التَّقْصِيرِ؟

فَأَجَابَ رضي الله عنه: «الزَمِ المُعَوِّذَتَينِ عَقِبَ الصَّلَوَاتِ الْخَمسِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «المُعَوِّذَاتُ الثَّلَاثُ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ١﴾ [سورة الفلق] ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ١﴾ [سورة الناس] ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ١﴾ [سورة الإخلاص] هَذِهِ رُقيَاتٌ، للشَّخصِ نَفسِهِ تَحصِينٌ ولِغَيرِهِ رُقيَةٌ. لَو قَرَأتَهَا لشَخصٍ مُصَابٍ رُقيَةٌ عَظِيمَةٌ، ولَو قَرَأتَهَا لِنفسِكَ تَحَصُّنٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: ««بسمِ اللهِ أَرقِيكَ مِنْ كُلِّ شيءٍ يؤذيكَ من شرِّ كُلِّ نفسٍ أو عَينِ حَاسِدٍ اللهُ يَشفِيكَ». هذهِ رقيةٌ للمريضِ وللمَسحُور أيضًا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ المعَوِّذَتَيْنِ: «**مَا تَعَوَّذَ المتَعَوِّذُونَ بِأَحْسَن مِنْهُمَا**». فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهِمَا صَبَاحَ مَسَاءَ وَلَوْ مَرَّةً لَمْ يُصِبْهُ سِحْرٌ وَلَوْ كَانَ قَوِيًّا، وَإِنْ أُضِيفَ إِلَيْهَا سُورَةُ الإِخْلَاصِ يَكُونُ أَقْوَى».

وَقَالَ رضي الله عنه لامْرَأَةٍ سَأَلَتْهُ هَلْ مِنْ دُعَاءٍ لِطَرْدِ النُّعَاسِ الَّذِي يَطْرَأُ فِي مَجْلِسِ العِلْمِ: «اقْرَئِي المعَوِّذَتَيْنِ هَذَا شَيْطَانٌ يُكَحِّلُ أَعْيُنَ النَّاسِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الْمُعَوِّذَتَانِ إِذَا لَازَمَهُمَا الشَّخْصُ صَبَاحًا وَمَساءً يَحْفَظُه اللهُ مِنْ أَذَى الْجِنِّ لَكِنْ مَعَ تَصْحِيحِ الْحَرْفِ؛ بَعْضُ النَّاسِ يَقْرَؤُهُمَا بِلَا تَصْحِيحٍ فَلَا يَحْصُلُ لَهُمُ السِّرُّ».

رُؤْيَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْمَنَامِ:

سُئِلَ الإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه عَنْ وِرْدٍ لِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ، **فَقَالَ رضي الله عنه:** «أَكْثِرْ مِنَ الصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ وَأَنْتَ مَاشٍ وَأَنْتَ قَاعِدٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَأَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى ءَالِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» تُقْرَأُ بِلَا عَدَدٍ».

الثِّقَلُ فِي اللِّسَانِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «لِلْحِفْظِ مِنَ الثِّقَلِ فِي اللِّسَانِ عِنْدَ الدَّرْسِ، الْمُدَرِّسُونَ يُصَلُّونَ الصُّبْحَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فِي وَقْتِها وَيَقْرَؤُونَ بَعْدَ الصَّلَاةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَالْمُعَوِّذَاتِ وَلَوْ مَرَّةً مَرَّةً، وَءَايَةَ الْكُرْسِيِّ، وَعِنْدَمَا يَذْهَبُونَ إِلَى مَرْكَزِ التَّدْرِيسِ لَمَّا يَجْلِسُونَ لِلتَّدْرِيسِ يَقْرَؤُونَ الْفَاتِحَةَ».

رُقْيَةٌ لِوَجَعِ الرَّأْسِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الرُّقْيَةُ الْمَأْثُورَةُ: «رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ الْبَأْسَ، اِشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»، مَرَّةً أَوْ أَكْثَرَ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ وَهَذَا أَيْضًا: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَكَانِ الْأَلَمِ يَقُولُ بِسْمِ اللهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يَرُدُّ الْكَفَّ

مَحَلَّ الْوَجَعِ وَيَقُولُ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ سَبْعَ مَرَّاتٍ هَذَا أَنْفَعُ، وَرَدَ عَنِ الرَّسُولِ».

بَابُ الْحَسَنَاتِ وَاسِعٌ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مَن استَغفَرَ للمؤمنينَ والمؤمناتِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ مؤمنٍ ومُؤمنَةٍ حسنةً. مِن أَيَّامِ ءادمَ إلى يَومِنَا هذا، بِعَدَدِ كُلِّ مُؤمِنٍ يُكْتَبُ لَهُ ثوابٌ، بكُلِّ هَذَا عندَمَا يقولُ: «رَبِّ اغفِرْ لِي وللمؤمنينَ والمُؤمِنَاتِ» بابُ الحسنَاتِ وَاسِعٌ، الحمدُ للهِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ الزبيرِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ إذا سَلَّمَ في دُبُرِ الصلواتِ يَقولُ: «**لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قديرٌ لا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، أهلُ النِّعْمَةِ والفَضْلِ والثَّنَاءِ الحسَنِ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ**». اللفظُ لأَحمدَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُمَّ إِنَّا نَسأَلُكَ عِلمًا نَافِعًا وعَمَلًا مُتَقَبَّلًا، ورِزقًا طَيِّبًا، وَاختِمْ لَنَا بالخَيرِ يا أَرحَمَ الرَاحِمِينَ، وَاختِمْ لَنَا بالخَيرِ يا أَرحَمَ الرَاحِمِينَ، وَاختِمْ لَنَا بالخَيرِ يا أَرحَمَ الرَاحِمِينَ، اللهُمَّ اجعَلْنَا هَادِينَ مُهتَدِينَ غَيرَ ضَالِّينَ ولا مُضِلِّينَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَنْ قَبِيصَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «**يا قَبِيصَةُ إِذَا صَلَّيْتَ الصُّبحَ فَقُلْ ثلاثًا سُبْحانَ اللهِ العظيمِ وبِحَمْدِهِ تَعَافَى مِنَ العَمَى والجُذَامِ والفَالِجِ**». رواهُ أَحمدُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَن مُعاذٍ أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ يَومًا ثُمَّ قَالَ: «**يا مُعاذُ واللهِ إِنِّ لأُحِبُّكَ**» فقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ وأَنَا أُحِبُّكَ،

قَالَ: «**أُوصيكَ يا مُعَاذُ أَنْ لا تدعنّ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ أَنْ تقولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلى ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبَادَتِكَ**». رَواهُ أبو داودَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «اللهُمَّ اجعَلنَا مِن هَؤُلاءِ الْمُتَحَابِّينَ فِيكَ، الْمُتَرَاحِمِينَ فِيكَ، الْمُتَنَاصِحِينَ فِيكَ، الْمُتَوَاصِلِينَ فِيكَ، اللهُمَّ رَبَّنَا أَحْيِنَا عَلى السُّنَّةِ وَأَمِتْنَا عَلَيْهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَنْ ثوبانَ قالَ: كانَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ إذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاتِهِ استغفرَ ثلاثًا وقالَ: «**اللَّهُمَّ أَنتَ السَّلامُ ومِنكَ السَّلَامُ تبَارَكْتَ يا ذَا الجَلالِ والإِكْرَامِ**». رواهُ مسلمٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَنْ وَرَّادٍ قَالَ: كَتَبَ الْمُغِيرَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذاَ فَرَغَ مِنَ الصَّلاةِ وسَلَّمَ قَالَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**». رَوَاهُ مسلمٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ قَعَدَ فِي مُصَلَّاهُ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى يُسَبِّحَ رَكْعَتَيِ الضُّحَى لَا يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا غُفِرَتْ لَهُ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ**». رَوَاهُ أَحمدُ وأبَو داودَ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عليْكُم بإعدادِ الزادِ للآخرةِ وذلكَ بالإكثَارِ من ذِكرِ اللهِ من تَهليلٍ أو تسبيحٍ أو تَحميدٍ أو تَكبيرٍ. شخصٌ سأَلَ الرسولَ فقالَ لَهُ: «لَا يَزالُ لسانُكَ رطبًا من ذكر الله». سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ واللهُ أكبَرُ ولا إلهَ إلا اللهُ ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ كُلُّ هذا ذِكرٌ. الذي يكونُ لسانُهُ مستمرًا بذكرِ اللهِ يَلقَى خَيرًا كثيرًا. إنْ قالَ: «سُبحَانَ اللهِ وبِحَمدِهِ». تُغرَسُ لَهُ في الجنةِ شَجرةٌ ساقُهَا مِن ذَهَبٍ. الشَّجَرُ الذي يكونُ في الجنةِ لا يَمُوتُ، يبقَى على الدوامِ. الشَّجرَةُ تعطيهِ ثَمَرَةً لونُهَا لا يَفسُدُ، كُلَّمَا قالَ: «سُبحَانَ اللهِ وبِحَمدِهِ».

تُغرَسُ لَهُ شَجَرَةٌ سَاقُهَا مِن ذَهَبٍ. الذِكرُ فيهِ نَفعٌ كبيرٌ للآخرةِ. مقدارُ سَوطٍ من أرضِ الجنةِ خيرٌ مِنَ الدنيا وما فيها. السَوطُ ماذا يأخذُ من الأرضِ؟!! إذَا وُضِعَ على الأرضِ كَم يأخذ؟! قدرُ سَوطٍ مِن أَرضِ الجنةِ خيرٌ من الدنيا وما فيهَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «عَنْ أَبِي هُريرَةَ عَنْ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: «**مَنْ سَبَّحَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وثَلاثِينَ وحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وثَلَاثِينَ وكَبَّرَ اللهَ ثلاثًا وثلاثينَ فَتِلْكَ تِسعَةٌ وتِسعُونَ وقَالَ تَمَامَ الْمِائةِ: لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خطَايَاهُ وإِنْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «مَنْ قَرَأَ الْأَذْكَارَ مِنْ تَسْبِيحٍ وَتَحْمِيدٍ وَتَهْلِيلٍ وَتَكْبِيرٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزِيدَ حَرْفًا أَوْ يُنْقِصَ حَرْفًا وَلَوْ لَمْ يَأْتِ بِأَحْكَامِ التَّجْوِيدِ مِنَ الْغُنَّةِ وَالتَّرْقِيقِ وَالتَّفْخِيمِ فَلَهُ ثَوَابٌ بِقِرَاءَتِهِ أَمَّا إِذَا تَرَكَ حَرْفًا أَوْ أَبْدَلَهُ بِغَيْرِهِ فَلَا ثَوَابَ لَهُ بِالذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ، وَأَمَّا بِقِرَاءَةِ الْقُرْءَانِ فَإِنْ تَرَكَ التَّجْوِيدَ بِالْمَرَّةِ فَلَا ثَوَابَ لَهُ».

التَّسْبِيحُ بِالْأَنَامِلِ أَفْضَلُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «التَّسْبيحُ باليدِ أَفضَلُ مِنَ التسبيحِ بالسُّبحَةِ، الرَّسولُ مَا سَبَّحَ إِلَّا باليَدِ. فِي المَاضِي كانَ الرجالُ والنساءُ يُسبِّحُونَ بالأَنامِلِ. التسبيحُ بالأَصَابِعِ أَفضلُ؛ لأنَّ الأصابعَ يومَ القيامةِ اللهُ يَسْتَنْطِقُهَا، يُعْطِيهَا قُوَّةَ النُّطْقِ، تَشْهَدُ لِصَاحِبِهَا، لذلكَ التَّسْبِيحُ بالأَصَابِعِ أَفْضَلُ. لكنْ إِذَا كَانَ الْتَزَمَ بِعَدَدٍ يُسَبِّحُ بالسُّبحَةِ. الثَّوَابُ يَحصُلُ بالسُّبحَةِ كَمَا يَحصُلُ الثَّوَابُ بالأَنَامِلِ».

التَّسْبِيحُ نَوْعَانِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «التَّسْبِيحُ نَوْعَانِ: تَسْبِيحٌ بِالمقَالِ وَتَسْبِيحٌ بِلِسَانِ الحَالِ، الشَّمْسُ تُسَبِّحُ بِلِسَانِ الحَالِ وَالقَمَرُ وَالنَّجْمُ وَالأَرْضُ، أَمَّا الإِنْسَانُ بِلِسَانِ الْمَقَالِ، وَالَّذِي لا يُسَبِّحُ نُطْقًا يُسَبِّحُ بِلِسَانِ الحَالِ، هَذَا الكَافِرُ الَّذِي يَعِيشُ كُلَّ عُمُرِهِ لا يَقُولُ سُبْحَانَ اللهِ بِلِسَانِ حَالِهِ يُسَبِّحُ كَأَنَّهُ يَنْطِقُ نُطْقًا».

يَا صَمَدُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الَّذِي يُكَرِّرُ: يَا صَمَدُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً يَصْبِرُ عَلَى الْجُوعِ، هَذَا مِنْ تَجْرِبَةِ بَعْضِ الْمَشَايِخِ».

اللهُ اللهُ رَبِّي لا أُشرِكُ بِهِ شيئًا:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «اللهُ اللهُ رَبِّي لَا أُشرِكُ بِهِ شَيئًا اتَّخِذُوهُ وِردًا للهَمِّ والغَمِّ. هذه لَهَا خُصُوصِيَّةٌ، مَن أَرَادَ أَنْ يُوَاجِهَ ظَالِمًا يَخَافُ شَرَّهُ يَقُولُهَا فِي وَجهِهِ مَرَّتَينِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «لِلَجْمِ الْكَافِرِ يَقُولُ: اللهُ اللهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. وَلِلْفَاسِقِ كَذَلِكَ تُقَالُ لِيَكْفِيَهُ اللهُ شَرَّهُ».

سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الْحَدِيث: «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**».

«سبحان الله العظيم» هذه كلمة خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان، في ميزان يوم القيامة الذي يوزن به أعمال العباد».

مَنْ قَرَأَ ءَاخِرَ سُورَةِ الحَشْرِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «وَرَدَ أَنَّ مَنْ قالَ إذَا أصبحَ: «**أعوذُ باللَّهِ السميعِ العليمِ من الشيطانِ الرجيمِ**». ثلاثًا ثُمَّ قرأَ ءَاخِرَ سورةِ الحشرِ وهي: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ٢٤ ﴾ [سورة الحشر] فإنْ مَاتَ فِي ذلكَ النهارِ كُتِبَ لَهُ أجرُ شهيدٍ وإنْ قالَهَا مساءً ومَاتَ ليلتَهُ كُتِبَ لَهُ أجرُ شَهِيدٍ».

حَسْبِيَ اللهُ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «حَسْبِيَ اللهُ مَعْنَاهُ اللهُ كَافِينِي، هُوَ مُتَوَلِّينِي وَالْمُتَصَرِّف فِيَّ، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ مَعْنَاهُ اللهُ أَفْضَلُ مَنْ يُسْتَنَدُ إِلَيْهِ، أَفْضَلُ مَنْ يُوَكَّلُ إِلَيْهِ الْأَمْرُ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «قَوْلُ حَسْبِي اللهُ إِلَى ءَاخِرِ الذِّكْرِ 7 مَرَّاتٍ وَقَوْلُ بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ إِلَى ءَاخِرِ الذِّكْرِ يَحْفَظُ الشَّخْصَ مِن الجِنِّ وَالسِّحْرِ، يَحْفَظُ مِنَ الْكُلِّ حَتَّى السُّمِّ إِذَا قَالَهُ بِتَصْحِيحِ الْحُرُوفِ يَحْمِيهِ لَكِنْ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُجَرِّبَ عَلَى نَفْسِه السُّمَّ».

رَبِّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَنِ اسْتَغفَرَ للمؤمنينَ والمؤمناتِ كُتِبَ لَهُ بكُلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ حسنةٌ**». أَيْ بِعَدَدِ كُلِّ مؤمنٍ

خَلَقَهُ اللهُ تعالى فيما مضَى وفِي هذا الوقتِ، بعددِ المؤمنينَ والمؤمناتِ اللهُ تعالى يُعطِيهِ حسنةً، هذه نعمةٌ عظيمةٌ. مَنْ يَعلَمُ عددَ المؤمنينَ والمؤمناتِ إلا اللهُ؟ مَنْ يقولُ هذهِ الكَلِمَةَ الخَفِيفَةَ عَلَى اللِّسَانِ يَكسِبُ حسناتٍ بعددِ المؤمنينَ والمؤمناتِ. قولُوا: «**رَبِّ اغفِرْ للمؤمنينَ والمؤمناتِ**»».

مَن قَرَأَهُ بِمَرَضِهِ وَمَاتَ بِهَذَا الْمَرَضِ لَا يَمَسُّ جَسَدَهُ النَّارُ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ مَنْ قَرَأَ هَذَا الذِّكْرَ بِمَرَضِهِ وَمَاتَ بِهَذَا الْمَرَضِ لَا يَمَسُّ جَسَدَهُ النَّارُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»، هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «وَرَدَ فِي الحَدِيثِ فِي أَدْعِيَةِ السَّفَرِ «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ وَالْمَالِ**»، أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ مَعْنَاهُ أَنْتَ الَّذِي يَحْفَظُ وَيَرْعَى فِي السَّفَرِ، أَمَّا أَنْ يُقَالَ عَنِ اللهِ الحَاضِرُ وَالغَائِبُ فَكِلَاهُمَا لَا يَجُوزُ، اللهُ تَعَالَى لَا يُقَالُ فِيهِ حَاضِرٌ وَلَا غَائِبٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ جِسْمًا، الْجِسْمُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ حَاضِرًا أَوْ غَائِبًا، وَكَذَلِكَ لَا يُقَالُ عَنِ اللهِ صَاحِبٌ، أَمَّا الَّذِي وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «**أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ**» فَمَعْنَاهُ كَمَا مَرَّ.

وَأَمَّا مَا يُقَالُ: إِنَّ العَبْدَ يَقِفُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللهَ يَقِفُ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَّ الْعَبْدَ يَكُونُ قَرِيبًا مِنْهُ، إِنَّمَا مَعْنَاهُ فِي حَالِ الْمُحَاسَبَةِ، يَكُونُ فِي حَالِ الْحِسَابِ، لِأَنَّ اللهَ يُسْمِعُ كُلَّ إِنْسَانٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَلَامَهُ الَّذِي لَيْسَ حَرْفًا

وَلَا صَوْتًا، هَذَا مَعْنَى بَيْنَ يَدَيِ اللهِ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَكُونُ قَرِيبًا مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ اللهُ لِأَنَّ اللهَ مَوْجُودٌ بِلَا مَكَانٍ، بَيْنَ يَدَيِ اللهِ أَيْ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ، الْعَرْشُ وَالْأَرْضُ السَّابِعَةُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ذَاتِ اللهِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ لَيْسَ أَحَدُهُمَا أَقْرَبَ مِنَ الْآخَرِ مِنَ اللهِ مِنْ حَيْثُ الْمَسَافَةُ، لَيْسَ اللهُ قَرِيبًا مِنْ شَىْءٍ بِالْمَسَافَةِ وَلَا بَعِيدًا بِالْمَسَافَةِ، الْقُرْبُ الْمَسَافِيُّ وَالبُعْدُ الْمَسَافِيُّ يَكُونُ بَيْنَ مَخْلُوقٍ وَمَخْلُوقٍ».

مَنْ قَالَهُ أَربَعًا أَعتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّار:

قَالَ الْإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «وردَ عن رسولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم أنهُ قالَ: «**إنَّ مَنْ قَالَ صَبَاحًا ومَسَاءً: اللَّهمَّ إنِّي أَصبَحَتُ** . وفي المساء . **أَمسَيْتُ، أُشهِدُكَ وأُشهِدُ حَمَلَةَ عَرشِكَ ومَلَائِكَتَكَ وجَمِيعَ خَلقِكَ أنَّكَ أنتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إلَّا أَنتَ وَحدَكَ لا شَرِيكَ لكَ وأنَّ مُحمّدًا عبدُكَ ورسولُكَ، مَن قالَهَا مرةً أَعتَقَ اللَّهُ رُبْعَهُ من النارِ، ومَنْ قَالَهَا مَرَّتَينِ أَعتَقَ اللَّهُ نصفَهُ من النارِ، ومن قالَهَا ثلاثًا أَعتَقَ ثلاثةَ أَرباعِهِ من النارِ، ومن قالَهَا أربعًا أَعتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النارِ**».

مَا نَقُولُ عِنْدَ الفَزَعِ فِي اللَّيْلِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «فَفِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بنَ عمرِو بنِ العَاصِ قالَ: عَلَّمَنَا رسولُ اللهِ أنْ نقولَ عندَ الفزعِ في الليلِ: «**أعوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونَ**». فكُنَّا نعلّمُهُ مَنْ عَقَلَ مِن أبنائِنَا، ومَن لَم يَعقِلْ كَتَبْنَا ذلكَ وعَلَّقْنَاهُ على أعناقِهِم. قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ». وهذا دليل على أن تعليقَ الحرزِ جائزٌ لا مانعَ منهُ».

رَضِيتُ باللَّهِ رَبًّا وبالإِسْلَامِ دِينًا وبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم: «**مَنْ قَالَ حينَ يُصبحُ رَضِيتُ باللَّهِ رَبًّا وبالإسلامِ دِينًا وبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا فأنَا الزعيمُ لآخُذَنَّ بِيدِهِ يومَ القيامةِ حتَّى أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ**». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ الْمُنْذِرِ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ عن النبِيِّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وهُو حديثٌ حسنٌ. والمرادُ أَنَّ مَنْ قَالَ ذلكَ على الدوامِ فالرسولُ عليهِ السلامُ كافلٌ بأنْ يأخذَهُ بيدِهِ ويدخلَهُ الجنةَ».

اِخْتِمْ يَقَظَتَكَ بِخَيْرٍ:

قَالَ الإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «وَرَدَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطَجِعَ يبتدرُهُ مَلَكٌ وشيطانٌ. الْمَلَكُ يقولُ لَهُ: «**اختِمْ يَقَظَتَكَ بِخَيرٍ**»، والشيطانُ يقولُ لَهُ: «**اختِمْ يَقَظتَكَ بِشَرٍّ**». فإن خَتَمَهَا بِخيرٍ الْمَلكُ يَحرُسُهُ طُولَ الليلِ، يَحْرُسُهُ من أَذَى الجِنِّ ونَحوِهِ، لو قالَ: «**ربِّ اغفِرْ لِي**» أو «**رَبِّ قِنِي عذابَكَ يومَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ**». يَكُونُ خَتَمَ يقَظَتَهُ بِخَيْرٍ».

شِفَاءٌ بإذنِ اللَّهِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «فِي كتابِ «ذيلِ تاريخِ بغدادَ» عن عبيدِ اللَّهِ بنِ مُحمدِ ابنِ حفصٍ العيشيِّ يقولُ: سَمِعتُ أَبِي يقولُ: «لَما قَبَضَ ولدُ العبّاسِ خزائِنَ بنِي أُميةَ وجدُوا سَفْطًا مَختومًا ففتحُوهُ فإذا فيهِ وَرَقٌ مكتوبٌ عليهِ شفاءٌ بِإِذْنِ اللَّهِ قَالَ فَفَتَحَ فإِذَا هُوَ « بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ اسْكُنْ أَيُّهَا الْوَجَعُ سَكَنْتَ بِالَّذِي لَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ اسْكُنْ أَيُّهَا الْوَجَعُ بِالَّذِي يُمسِكُ السماءَ أَنْ تَقَعَ على الأرضِ إِلَّا بإذنِهِ إِنَّ اللَّهَ بالنَّاسِ

لرؤوفٌ رحيمٌ، بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ اسْكُنْ أَيُّهَا الْوَجَعُ بِالَّذِي إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ، بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ اسْكُنْ أَيُّهَا الْوَجَعُ سَكَنْتَ بِالَّذِي يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا »». قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ قَالَ لِي: «فمَا احتَجْتُ بعدَهُ إلى علاجٍ ولا دواءٍ»».

مِنْ خِيَارِ الأَدعِيَةِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «يُسَنُّ أنْ يقالَ صَباحًا ومَساءً: «يَا حيُّ يَا قيّومُ برَحمَتِك أستَغيثُ أَصلِحْ لِي شأنِي كلَّهُ ولا تَكِلْنِي إلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. إنَّ هَذَا الدُّعَاءَ مِنْ خِيَارِ الأدعيةِ».

الْمُصَابُ بِالْبَلَاءِ:

قال الإمام الهرري رضي الله عنه: «المصَابُ بِالبَلاءِ يَدْعُو اللهَ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي صَابِرًا عَلَى الْبَلَاءِ، وَلَوْ أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِ: إنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، يُعِينُهُ عَلَى هَذَا البَلَاءِ».

أَسْتَودِعُ اللهَ دِينَكَ وأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ:

قَالَ الإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنهُ إِذَا جَاءَهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يُرِيدُ السَّفَرَ، قَالَ لَهُ: ادْنُ مِنِّي حَتَّى أُوَدِّعَكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوَدِّعُنَا، يَقُولُ: «**أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ**». أَخرَجَهُ الإمَامُ أَحمَد وأَخرجَهُ الترمذيُّ وقالَ: «حَسَنٌ صَحِيحٌ»».

دُعَاءٌ لِلْحِفْظِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «مَن قَالَ هذا صَبَاحًا يُحَفَظُ إلى المساءِ ومن قاله مساءً يُحفَظُ إلى الصباحِ: «إِنَّ رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمُ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، أَعُوذُ باللَّهِ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ رَبِّي ءاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»».

مَن قَالَهُ يُحفَظُ مالُهُ مِنَ الْحَرقِ والتَّلَفِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: ««بِسْمِ اللهِ ما شاءَ الله لا يَسُوقُ الخيرَ إلا الله، بِسْمِ اللهِ ما شاءَ الله لا يَصْرِفُ السُّوءَ إلا الله، بِسْمِ اللهِ ما شاءَ الله ما كانَ من نعمةٍ فمن الله، بِسْمِ الله ما شاءَ الله لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله». يُحفظُ مالُهُ مِنَ الْحَرَق والتَّلَفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ».

مِمَّا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «سُبحانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمدِكَ اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي».

اللهُمَّ مصرِّفَ القلوبِ صَرِّفْ قلوبَنا على طاعتِك:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «وَرَدَ في حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي ءَادَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. هذا الحَدِيثُ مَنْ فسَّرَهُ على الظَّاهِرِ جَعلَ اللَّهَ كالبشرِ، إِنَّمَا مَعْنَاهُ اللَّهُ يقلِّبُ قلوبَ العِبَادِ كَيْفَ يَشاءُ ليسَ معناهُ لَهُ أصابعُ. «**يقلِّبُهَا كيفَ يشاءُ**». مَعْنَاهُ على اللَّهِ تعالَى تَقْلِيبُ قُلُوبِ البَشَرِ سَهْلٌ،

لَيْسَ مَعْنَاهُ أنَّ اللَّهَ لَهُ شَكْلُ أَصَابعَ كالأصابعِ التِي نَحنُ نَعهَدُهَا من أنفسِنَا والتِي هي جَسَدٌ. الجَسَدُ مُسْتَحيلٌ على اللَّهِ، اللَّهُ تعالى لَيْسَ جَسَدًا ولا جِرْمًا ولا جوهرًا ولا عَرَضًا ﴿**لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١**﴾ [سورة الشورى]. إنَّمَا هذا أُسْلُوبٌ من أَسَاليبِ البَلَاغةِ في اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، اللَّهُ تعالى أوحَى إلى نبيِّه أَنْ يعبِّرَ بِهذهِ العبارةِ: «**إنَّ قلوبَ بنِي ءادمَ كُلَّهَا بينَ إصبعينِ مِنْ أصابعِ الرَّحمنِ يُقَلِّبُهَا كيفَ يشاءُ**». فمعنَى «**بينَ إصبعينِ مِنْ أصابعِ الرَّحمنِ**». تَحتَ تَصَرُّفِ اللَّهِ «**إن شاءَ أقامَهُ**» أي إنْ شاءَ اللَّهُ أقامَهُ وجَعَلَهُ على الصوابِ ،«**وإنْ شاءَ أزاغَهُ**» أي إنْ شاءَ اللَّهُ تعالى أزاغَهُ أي يُحرِّكُهُ إلى الباطلِ والضلالِ. ثُمَّ قالَ عليهِ السلامُ زِيادةً في البيانِ وتفويضًا للأمورِ إلى اللَّهِ تعالى: «**اللهُمَّ مُصرِّفَ القلوبِ صَرِّفْ قلوبَنَا على طاعتِكَ**». معناهُ يا اللَّهُ أنتَ الذي تُصَرِّفُ القلوبَ، أنتَ تُوجِّهُهَا كمَا تَشاءُ، إن شِئتَ تُوجِّهُهَا إلى الخيرِ وإنْ شئتَ تَصرفُهَا إلى الضلالِ. «**صَرِّفْ قلوبَنَا على طاعتِكَ**». وجِّهْ قلوبَنَا إلى طاعتِكَ أي أنتَ مالِكُ الأمرِ كلِّهِ، فَوَجِّهْ قلوبَنَا إلى طاعتِكَ. هذا من أَصرحِ الدليلِ على أنَّ اللَّهَ تعالَى هو خالقُ أفْعَالِ العبادِ حتَّى القَلْبِيَّةِ. معنَى الحديثِ أنَّ الإنسانَ لا يَملِكُ من دونِ اللَّهِ تعالى قلبَهُ، كيفَ يَملِكُ جوارحَهُ؟ عينَهُ ويدَهُ ورجلَهُ ولِسَانَهُ وَسَمْعَهُ؟ الْعَبْدُ لَا يَمْلِكُ شيئًا مِن دونِ اللَّهِ تَعالى. اللَّهُ تعالى هو مُتَمَلِّكٌ عليهِ قَلْبَهُ وسَمْعَهُ وبَصَرَهُ ويَدَهُ ولسَانَهُ وسَائرَ ما فيهِ من الأَجْزاءِ،كلُّ أجزاءِ العبدِ هي مِلكٌ للَّهِ تعالَى لأنَّهُ هو أنشأَهَا من العدمِ. ثُمَّ كُلُّ ما يَحدُثُ فيهِ منَ المعانِي منْ نَظَرٍ ومِنْ سَمْعٍ ومِنْ مَشْيٍ ومِنْ بَطْشٍ كُلُّ ذَلِكَ اللَّهُ تعالى مُتَمَلِّكُهُ لا يَخْرُجُ مِن مِلْكِ اللَّهِ تعالَى».

لَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «هذهِ الْكَلِمَةُ وَرَدَ في ثوابِهَا عن رسولِ اللَّهِ ثوابٌ ونفعٌ كبيرٌ، أمَّا ثوابُهَا فقد وَرَدَ فِي الحديثِ الصحيحِ أَنَّهَا كَنْزٌ تَحْتَ العرشِ أَيْ ذُخْرٌ كبيرٌ مِن

الثَّوَابِ يدَّخِرُهُ اللهُ تعالى للمؤمنِ الذي يقولُ هذهِ الْكَلِمَةَ الشَّرِيفَةَ، يَدَّخِرُهَا لَهُ إلى الْآخرةِ يكونُ مَحفوظًا تَحتَ العرشِ. فأَمَّا فائدتُهَا فهِيَ أَنَّهَا تُزِيلُ الهَمَّ، إِذَا إنسانٌ مُصابٌ بالهَمِّ فمِنْ أَفْضَلِ مَا يشْتَغِلُ بِهِ هذهِ الْكَلِمَةُ، وهذهِ الْكَلِمَةُ أيضًا تنفَعُ لِمَنْ ابْتُلِيَ بالْوَسْوَسَةِ حَتَّى صَارَ في نَفْسِهِ وحشةٌ وضيقٌ شديدٌ حتى يكادَ يُصابُ بالجنونِ هذهِ تفيدُهُ بإذنِ اللَّهِ، إنْ وَاظَبَ وثَبَتَ عليهَا فلا بُدَّ أَنْ يَرَى الفَرَجَ وينقَلِبَ عسرُهُ يُسرًا، اللهُ تعالَى جَعَلَ لَهَا سِرًّا كبيرًا ونفعًا عظيمًا فزَوَالُ الهَمِّ مِنْ إِحدَى فوائِدِهَا، فائدةٌ من عشراتِ الفوائِدِ. وأمَّا معناهَا فتوحيدٌ وهُوَ أَنَّهُ لا أحدَ يَستَطِيعُ أَنْ يَفعَلَ الخيرَ والطاعةَ إلا بعونِ اللَّهِ وأَنَّهُ لا يستطيعُ أحدٌ أَنْ يُعْصَمَ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا بِحِفْظِ اللَّهِ، فمَهمَا كانَ الإنسانُ نَشِيطًا فِي عَمَلِ الخَيرِ فإِنَّ هذا النشاطَ هو نعمةٌ مِنَ اللهِ. فليَحْمَدِ اللَّهَ تعالَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ للخيرِ، فليَحْمَدِ اللَّهَ ولا يأخذْهُ العُجْبُ بنفسِهِ بَلْ يَنظُر إلى أنَّ اللَّهَ هو الذي قدَّرَهُ أنْ يَعمَلَ هذهِ الحسناتِ، فلولَا تقديرُ اللَّهِ لَمَا استطاعَ أَنْ يَفعَلَ هذهِ الحسناتِ فإِنْ لاحَظَ أنَّ هذا الخيرَ الذي يَعمَلُهُ هو بتقديرِ اللَّهِ ابتعدَ عن الرّياءِ وكانَ قريبًا مِنْ حَالِ الْمُخْلِصِينَ للهِ تَعَالَى لِأَنَّ الَّذِي يَعْمَلُ عَمَلًا مِنَ الحسناتِ بنيةٍ خَالِصَةٍ للهِ تعالى ليسَ فيهَا رِيَاءٌ فالقليلُ عندَ اللَّهِ يُجازِيهِ بالكثيرِ».

مِمَّا يُقرَأُ لِرَفعِ البَلاءِ وقَضَاءِ الحَاجَاتِ ولِكَي يَصيرَ مِن أَهلِ التَّقوَى وتَرك المَعَاصِي:

سُئِلَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: مَاذَا يَقرَأُ الشَّخصُ لِرَفعِ البَلاءِ؟

فَأَجَابَ رضي الله عنه: «**يَا حَيُّ يا قَيُّومُ بِرَحمَتِكَ أَستَغِيثُ**» يُكَرَّرُ ثَلاثَ مراتٍ.

فَسُئِلَ: ينفعُ لقضاءِ الحاجاتِ؟

فَأَجَابَ رضي الله عنه: «نعم».

وَسُئِلَ: لكي يصيرَ مِن أهلِ التقوَى وترك المعاصِي هل يوجدُ وِردٌ يُسَاعِدُ؟

فَأَجَابَ رضي الله عنه: «إِذَا أكملَ يَشمَلُ، «**يَا حَيُّ يا قَيُّومُ بِرَحمَتِكَ أَستَغِيثُ أَصلِحْ لِي شَأنِي كُلَّهُ ولَا تَكِلنِي إلى نَفسِي طَرفَةَ عَينٍ**» مثلُ هذَا».

وَقَالَ رضي الله عنه: «صَلَاةُ الحَاجَةِ ثُمَّ إِحْدَى عَشَرَ مَرَّةً يَا جَلِيلُ وَسَبْعَ مَرَّاتٍ يَا عَظِيمُ، ثُمَّ تَقْرَأُ الفَاتِحَةَ عَلَى نِيَّةِ تَيْسِيرِ الأَمْرِ عَلَى أَسْهَلِ وَجْهٍ».

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: ««يَا حَيُّ يَا قَيُّوم» هذا لِلْكَربِ عَظِيمٌ، لَو لَمْ يَقُلْ بِرَحمَتِكَ أَستَغِيثُ. ولَو لَمْ يَقُلْ بِرَحمَتِكَ أَستَغِيثُ أَصلِحْ لِي شَأنِي كُلَّهُ ولَا تَكِلنِي إِلَى نَفسِي طَرفَةَ عَينٍ. الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ كانَ يومَ بدرٍ يُكثِرُ مِن قول «يَا حَيُّ يَا قَيُّوم». ولو أَكمَلَ «يَا حَيُّ يَا قَيُّوم» إِلَى ءَاخِرِهِ زيادةُ خَيرٍ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «إِذَا إِنْسَانٌ وَقَعَ فِي ضِيقٍ وَقَالَ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ اللهُ يُفَرِّجُ عَنْهُ، أَمَّا الَّذِي يَقُولُ أَلْفَ مَرَّةٍ هَذَا سِرُّهُ عَظِيمٌ».

الِاسْتِغْفَارُ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَنِ استَغْفَرَ لِلمُؤْمِنِينَ وَالمؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً** » أَي بِعَدَدِ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ. وَالاسْتِغْفَارُ يَكُونُ بِأَلْفَاظٍ مُتَعَدِّدَةٍ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ لَفْظٌ صَحِيحٌ، الرَّسُولُ قَالَهُ وَالمؤْمِنُونَ مُنْذُ عَهْدِ الرَّسُولِ إِلَى الآنَ يَقُولُونَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَهُوَ اسْتِغْفَارٌ شَرْعِيٌّ مَقْبُولٌ عِنْدَ اللهِ، كَذَلِكَ رَبِّ اغْفِرْ لِي كَذَلِكَ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا، كَذَلِكَ مَا يُعْطِي هَذَا المعْنَى».

وَقَالَ رضي الله عنه: «رُوِّينَا فِي المعْجَمِ الكَبِيرِ لِلطَبَرَانِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلمُؤْمِنِينَ وَالمؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً. هَذَا

عَمَلٌ عَظِيمٌ خَفِيفٌ عَلَى اللِّسَانِ وَأَجْرُهُ عَظِيمٌ لا يَعْلَمُ مَبْلَغَهُ إِلا اللهُ لأَنَّ المؤْمِنِينَ وَالمؤْمِنَاتِ كَثْرَةٌ لا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلا اللهُ فَإِذَا قَالَ المسْلِمُ مَرَّةً اللهُمَّ اغْفِرْ لِلمُؤْمِنِينَ وَالمؤْمِنَاتِ اللهُ يَكْتُبُ لَهُ بِعَدَدِ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً أَي ثَوَابًا [أيْ يَأمُرُ مَلَكًا فيكتُبُ].

هَذَا فَضْلٌ عَظِيمٌ وَسَهْلٌ عَلَى اللّسَانِ، مَنْ شَاءَ يَقُولُ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِلمُؤْمِنِينَ وَالمؤْمِنَاتِ، وَمَنْ شَاءَ يَقُولُ رَبِّ اغْفِرْ لِلمُؤْمِنِينَ وَالمؤْمِنَاتِ لَكِنْ يَجِبُ تَصْحِيحُ الحَرْفِ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «الاسْتِغْفَارُ إِنْ كَانَ الشَّخْصُ اسْتَغْفَرَ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يَجْمَعْ غَيْرَهُ فَهُوَ اسْتِغْفَارٌ شَرْعِيٌّ فِيهِ ثَوَابٌ، وَإِنْ ذَكَرَ وَالِدَيْهِ المسْلِمَيْنِ يَكُونُ أَنْفَعَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ، وَالِدَاهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِمَا حَسَنَاتٌ فَيَقُولانِ: مِنْ أَيْنَ لَنَا هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكُمَا لَكُمَا بَعْدَكُمَا، فَيَفْرَحَانِ، فَيَكُونُ الوَلَدُ نَفَعَ نَفْسَهُ وَنَفَعَ أَبَوَيْهِ، كُلُّ هَذِهِ الصِّيَغِ اسْتِغْفَارٌ».

وَقَالَ رضي الله عنه: «سَبَبُ عَدَمِ اهْتِمَامِ الْأَبْنَاءِ بِالِاسْتِغْفَارِ لِآبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ الْجَهْلُ بِأُمُورِ الدِّينِ، وَأَهْلُ الْقُبُورِ يُحِبُّونَ أَنْ [يُهْدَى] لَهُمْ صَدَقَاتٌ لَوْ خَتَمَاتٌ وَاسْتِغْفَارٌ. الْيَوْمَ أَكْثَرُ الْأَوْلَادِ هَمُّهُمُ الِاسْتِغْرَاقُ فِي التَّنَعُّمِ فِي اللَّيْلِ يَسْهَرُونَ عَلَى التِّلِفِزْيُون وَلَا يَسْتَيْقِظُونَ إِلَّا بَعْدَ الشُّرُوقِ، هَؤُلَاءِ مَتَى يَسْتَغْفِرُونَ لِأَهْلِهِمْ».

مَنْ لَزِمَ الاستِغفَارَ رَزَقَهُ اللهُ مِن حيثُ لا يَحْتَسِبُ:

قَالَ الإِمَامُ الْهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «حَدِيثٌ: «**مَنْ لَزِمَ الاستِغفَارَ رَزَقَهُ اللهُ مِنْ حيثُ لا يَحتَسِبُ وفَرَّجَ كَربَهُ**» رواهُ الطَبَرَانِيُّ. أحدُهُم تَزَوَّجَ ومَضَى أحدَ عَشَرَ عامًا ولَم يُرزَقْ وَلَدًا فلَزِمَ الاستغفارَ هو وزَوجتُهُ فحَمَلَتْ زوجتُهُ في نفسِ الشَهرِ، وءاخَرُ كذلكَ».

الصَّلَاةُ النَّارِيَّةُ:

قَالَ الإِمَامُ الهَرَرِيُّ رضي الله عنه: «الصَّلَاةُ النَّارِيَّةُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى إِذْنٍ عِنْدَ عَمَلِهَا».

مختارات من نفائس
درر الحافظ الهرري

عقيدة أهل الحق

قال مولانا المحدّث الوليّ عبد الله الهرريّ رحمه الله:

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين، سيّدنا محمّدٍ وعلى جميع إخوانه من النبيّين، وعلى ءاله وصحبه الطّاهرين. أمّا بعد:

فإنّ أعظم نعم الله على عباده أن يكونوا على عقيدة أهل الحقّ، وهم الصّحابة ومن تبعهم جيلًا فجيلًا وقرنًا بعد قرنٍ، هذا أعظم نعم الله على عباده. وعقيدة أهل الحقّ هي ما نقله الخلف عن السّلف، فمن عاش عليها ومات عليها بعث مع المؤمنين الآمنين من عذاب الله تعالى، وأهمّ عقيدة أهل الحقّ أمران: الإيمان بالله ورسوله ﷺ، ثمّ توحيد الله تبارك وتعالى في خلق الأشياء، أمّا الإيمان بالله فهو اعتقاد أنّ الله تعالى موجودٌ ليس كغيره، ليس جسمًا لطيفًا كالضّوء والظّلام والرّيح، ولا جسمًا كثيفًا كالإنسان أو الحجر والشّجر والنّجم والشّمس والقمر، وليس متّصفًا بصفاتها، لا بصفات الحجم الكثيف ولا الحجم اللّطيف.

الله لا ابتداء لوجوده

وذلك يبتني على أنّ الله تعالى هو الموجود الذي لا ابتداء لوجوده، وما سواه حادثٌ موجودٌ بعد عدمٍ سبقه، فكلّ الأشياء سوى الله سبقها عدمٌ، فلم يكن قبل أن يخلق الله العالم نورٌ ولا ظلامٌ ولا مكانٌ ولا جهةٌ ولا شيءٌ من صفات الأجسام كالحركة والسّكون والتّغيّر والتّلوّن والانفعالات، فالله تبارك وتعالى هو الموصوف بأنّه لا بداية لوجوده ولا يطرأ عليه التّغيّر، لأنّ المتغيّر لا بدّ له من مغيّرٍ يوجده، فالعالم عليه ءاثار

التّغيّر، فلذلك وجب عقلًا وشرعًا حدوث العالم أي وجوده بعد عدمٍ سابقٍ.

صفات الله أزلية أبدية

ثمّ لا يكفي تنزيهه تعالى عن الجسميّة الكثيفة والجسميّة اللّطيفة مع اعتقاد أنّه تطرأ عليه صفاتٌ حادثةٌ، بل يجب تنزيهه عن أيّة صفةٍ حادثةٍ، فحياة الله أزليّةٌ أبديّةٌ لا تتغيّر لا إلى زيادةٍ ولا نقصانٍ، كذلك علمه منزّهٌ عن أن يزيد أو أن ينقص، كذلك سمعه وبصره، فهو تعالى يسمع الأصوات ويرى المبصرات من دون أن تحدث له رؤيةٌ للمبصرات وسمعٌ للأصوات، إنّما يسمع بسمعٍ أزليّ أبديّ ويرى المبصرات برؤيةٍ أزليّةٍ أبدية ليس كسمع خلقه ولا كرؤية خلقه. وكذلك قدرته ومشيئته أزليّتان أبديّتان ليستا كقدرة ومشيئة العباد، فقدرة العباد حادثةٌ تنقص وتزيد، ومشيئة العباد كذلك حادثةٌ تنقص وتتغيّر.

وكذلك كلام الله تعالى ليس شيئًا حدث بعد أن لم يكن وليس شيئًا يسبق بعضه بعضًا ككلامنا، لأنّ كلامنا أصواتٌ بحروفٍ يسبق بعضها بعضًا، وأمّا الله تعالى فكلامه ليس صوتًا وليس حرفًا، فليس حادثًا في ذات الله تعالى ثمّ يزيد أو ينقص أو يتخلّله سكوتٌ. فمن اعتقد هذا الاعتقاد الصّحيح فقد عرف الله فتصحّ منه العبادات الصّلاة والصّيام والحجّ والزّكاة وقراءة القرءان وغير ذلك، أمّا من لم يعتقد هذا واعتقد خلافه فلا تصحّ منه العبادات، بجميع أنواعها.

لا خالق إلا الله

ثمّ الأمر الأهمّ بعد هذا توحيد الله في الأفعال، فالله تعالى فعله بالإيجاد والخلق، أمّا فعل المخلوقين فليس بطريق الإيجاد والخلق ليس بطريق الإيجاد الحقيقيّ والخلق، أي أنّ الله تعالى هو الذي يبرز المعدوم من العدم إلى الوجود، الأجسام هو الذي أبرزها من العدم إلى الوجود، وحركات الأجسام وسكناتهم وكلامهم هو الذي يبرزه من العدم إلى

الوجود، فالإنسان إن تكلّم بكلامٍ باختياره وقصده وعمده فليس هو يخلقه إنّما الله يخلق ذلك، وهكذا تفكيراته وإدراكاته وعلومه كلّها يخلقها الله فيه، لا أحدٌ يخلق شيئًا من الحركات والسّكنات إلا الله.

فهذا الأمر الثّاني هو الأمر الأهمّ من أصول العقيدة، فمن خالف التنزيه واعتقد أنّ الله جسمٌ متحيّزٌ في جهة العرش لم يعرف الله، ومن اعتقد أنّ الله تعالى يتّصف بالحركات والسّكنات فهو جاهلٌ بربّه كافرٌ، ومن اعتقد أنّه ساكنٌ دائمًا فهو جاهلٌ بربّه، لأنّ السّكون من صفات الخلق، والحركة من صفات الخلق، ومن وصف الخالق بهما أو بأحدهما فهو جاهلٌ بخالقه، هذان الأمران هما أهمّ مسائل الاعتقاد. ثمّ بعد ذلك من أمور الدّين ما هو من الاعتقاد وما هو من أعمال البدن، ثمّ بعض ذلك مفروضٌ، فمن تركه يكون ءاثمًا، ومن أدّاه يكون مثوبًا مأجورًا عند الله.

البدعة الحسنة ومنها تنقيط وتشكيل المصاحف

إنّ الله تبارك وتعالى أذن للمسلمين أن يحدثوا في دين الله ما لا يخالف القرءان والحديث، فيقال لذلك: سنّةٌ حسنةٌ، فكلّ ما أحدثه علماء الإسلام الأتقياء الأولياء في دين الله تعالى وكان على وفاق القرءان والحديث فهو سنّةٌ حسنةٌ، لا يقال: «هذا لم يفعله الرّسول فهو سنّةٌ سيّئةٌ بدعةٌ سيئة بدعةٌ محرّمةٌ!». فقد أحدث في الدين أناسٌ من التّابعين ما لم يفعله الرّسول عليه السّلام، وكذلك من جاء من علماء الإسلام بعد التّابعين، أحدثوا أشياء لم يفعلها الرّسول عليه السّلام ولا ذكرها، فإنّه لم يقل: «افعلوا كذا»، وهذه الأشياء التي أحدثها التّابعون، علماء التّابعين، أتقياؤهم في الدّين، هي سنّةٌ حسنةٌ، وكذلك ما أحدثه من جاء بعدهم في الدّين ممّا لا يخالف قرءانًا ولا حديثًا فهو سنّةٌ حسنةٌ، ومن أوّل ما أحدثه المسلمون في عصر الصّحابة ممّا أحدثه غير الصّحابة

نقط القرءان وتشكيله، فالصّحابة ما نقّطوا المصحف ولا شكّلوه، إنّما كتبوه من إملاء رسول الله ﷺ بدون تنقيطٍ ولا تشكيلٍ، لكن بعض التّابعين في عصر الصّحابة فعل هذا.

بدعة المحاريب والمآذن الحسنة

ثمّ ممّا أحدثه علماء السّلف من التّابعين بناء المحاريب في المساجد، فلم تكن المساجد فيها محاريب مجوّفةٌ، فمسجد الرّسول عليه السّلام وغيره من مساجد الصّحابة ما كان لها محاريب، بل أحدث ذلك الخليفة الرّاشد العالم الزّاهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وكذلك هو أحدث المآذن، وقبله لم يكن للمسلمين مآذن لمساجدهم، ثمّ بعد ذلك علماء المسلمين الأتقياء أحدثوا أشياء أخرى حسنة.

بدعة الاحتفال بالمولد والطريقة الحسنة

وممّا أحدث بعد ذلك الاحتفال بذكرى المولد والطّريقة، أمّا الاحتفال بالمولد الذي هو في شهر ربيعٍ الأوّل فقد عمله رجلٌ تقيٌّ مجاهدٌ غازٍ عالمٌ ملك إربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبري زوج أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي، فقبله علماء الإسلام وعمل به المسلمون إلى يومنا هذا، وقد مضى على ذلك أكثر من ثمانمائة عامٍ.

وكذلك الطّريقة الرّفاعيّة والطّريقة القادريّة وغيرهما أحدثها علماء أتقياءٌ زهّادٌ، الشّيخ عبد القادر الجيلانيّ والشّيخ أحمد الرّفاعيّ هذان أوّل من أنشأ الطّريقة ثمّ بعد ذلك أنشأ علماء أولياء طرقًا عديدةً فكلّها قربةٌ إلى الله، وتسمّى سنّةً حسنةً، فكلّ هذه الأشياء التي أحدثها علماء الإسلام الأتقياء تسمّى سنّةً حسنةً وهي داخلةٌ تحت قول رسول الله ﷺ: «**من سنّ في الإسلام سنّةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها بعده**».

فبعد هذا البيان لا يلتفت إلى قول المخالفين لهذا، لأنّهم يقولون عن هذه الأشياء

التي هي سنّةٌ حسنةٌ بدعةٌ محرّمةٌ، وهؤلاء لا اعتبار لكلامهم، على أنهم يعملون بأشياء لم تكن في زمن الرّسول عليه السّلام ممّا أحدثها علماء الإسلام وينكرون بعضًا منها مع أنَّ كلًّا أُنْشِئَ على ما يوافق القرءان والحديث كالمصاحف التي فيها تشكيلٌ وتنقيطٌ فهم يشتغلون بها كما نحن نشتغل بها، والمآذن والمحاريب كذلك يعملون بها كما نحن نعمل بها، فهؤلاء لا يتمسّكون بالميزان الشّرعيّ بل يتمسّكون بما تهوى أنفسهم، فالشّىء الذي يعجبهم يقبلونه والشىء الذي لا يعجبهم يقولون عنه بدعةٌ سيّئةٌ، بدعةٌ محرّمةٌ، فلا يتبعون الدّليل إنّما يتبعون أهواءهم، فلم قبلوا تشكيل المصاحف وتنقيطَها وبناء المآذن وعمل المحاريب للمساجد، وحرّموا الطّرق وعمل المولد؟! بلا دليلٍ يحرّمون ويحلّلون، فلا اعتبار لكلامهم.

الرفاعية والقادرية أول الطرق الصوفية

أمّا الطّرق فأوّل طريقةٍ أنشئت الرّفاعيّة والقادريّة، وكان الشّيخ عبد القادر والشّيخ أحمد الرّفاعيّ رضي الله عنهما في عصرٍ واحدٍ في العراق، أمّا الشّيخ أحمد الرّفاعيّ فهو من ذريّة سيّدنا الحسين بن عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، وكان فقيهًا شافعيًّا، قال الإمام أبو القاسم الرّافعيّ الشّافعيّ –محرّر المذهب– في مناقب سيّدنا أحمد الرّفاعيّ «كان أعلم النّاس بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ». هذا الذي قاله أبو القاسم الرّافعيّ، وقال غيره من الأولياء –من أهل ذلك الزّمن–: «اتّفق المشايخ ـ أي الصّوفيّة ـ على أنّ الشّيخ أحمد الرّفاعيّ أجلّ المشايخ قدرًا».

ثمّ إنّ طريقة سيّدنا أحمد الرّفاعيّ لها امتيازٌ من بين الطّرق كلّها، وهي أنّ الله تعالى حفظ أتباع سيّدنا أحمد الرّفاعيّ في الطّريقة من القول بعقيدتين هما من أكفر الكفر، إحداهما: القول بأنّ الله يحلّ في الأشخاص –أي يدخل في الأشخاص–، والثّانية: القول

بأنّ الله والعالم شيءٌ واحدٌ. وهاتان الكفريّتان دخلتا في بعض القادريّة وفي بعض الشّاذليّة -بل في الشّاذليّة أكثر- وفي بعض النّقشبنديّة وفي غيرهما.

ففي زماننا هذا يوجد من ينتسب للشّاذليّة ويقول والعياذ بالله: بأن الله داخلٌ في كلّ شخصٍ ذكرٍ أو أنثى، ويوجد في بعض هؤلاء من يقول والعياذ بالله: بإنّ الله والعالم كالثّلج والماء الذي فيه، فهم يقولون: العالم كالثّلج والماء الذي فيه هو الله»، وهاتان الكفريّتان أقبح من كفر اليهود لأنّهم جعلوا كلّ شيءٍ محلاًّ لله. والآخرون جعلوا كلّ شيءٍ جزءًا من الله. وهنا في لبنان وفي سوريا وفي الأردنّ وفي فلسطين يوجد هؤلاء الذين يقولون: «الله داخلٌ في كلّ شخصٍ»، بل زادوا على ذلك أن قالوا لبعض الأشخاص: «هذا الجدار الله وأنت الله».

أمّا الرفاعية فالله حفظها من هذا لأنّ شيخها شيخ الطّريقة الرّفاعيّة كان شديد النّكير في حياته على هاتين الفرقتين الحلوليّة والاتّحاديّة، وكان يحذّر تحذيرًا شديدًا في بعض مؤلّفاته وفي دروسه، وقد كان رضي الله عنه يهتمّ بالدّروس، ولذلك ما ألّف كتبًا كثيرةً، وكان يدرّس أوّل النّهار في علم الفقه والحديث والتّفسير والتّوحيد، وفي ءاخر النّهار كذلك، وكان يوم الخميس يتفرّغ للوعظ، فيجلس على كرسيٍّ مرتفعٍ حتّى يراه النّاس لكثرة الذين يحضرون مجلس وعظه، فالأمراء والعلماء والصّوفيّة والعوامّ كانوا يحضرون مجلس وعظه.

ومرّةً جلس على كرسيّ الوعظ وكان في ذلك المجلس من اليهود والصّابئة، وهذه الصّابئة هي طائفةٌ من الكفّار، فلمّا سمعوا كلامه أسلم نحو ثمانية ءالافٍ من هؤلاء، وتاب من الغافلين من أهل السّنّة أربعون ألفًا.

من كرامات السيد أحمد الرفاعيّ الكبير

ومن الكرامات التي أعطاه الله إيّاها، أنّه كان يجتمع عنده في السّنة في ليلةٍ مائة

ألفٍ أو أكثر، يجتمعون عنده ثمّ هو يكفيهم طعامهم وشرابهم، وكلّهم يأكلون ويشربون، وهو لم يكن ملكًا ولا من بيت وزارةٍ، وأهله ما كانوا ملوكًا ولم يكن فيهم وزراء، إنّما هو بسرّ أعطاه الله إيّاه كفى هذا الخلق الكثير طعامهم وشرابهم.

وكان يسمّى أبا العلمين، ويسمّى أبا العبّاس، ويسمّى شيخ العريجاء: لأنّه مرّةً خرج إلى قريةٍ له فيها مريدون أتباعٌ، فاستقبلوه رجالًا ونساءً، وكانت فيهم بنتٌ صغيرةٌ عرجاء حدباء قرعاء، فلمّا رأت الشّيخ توجّهت إليه وطلبت إليه الدّعاء، وقالت: إنّي كرهت نفسي من كثرة ما تستهزئ بي بنات القرية، فدعا الله لها فاستقامت رجلها في الحال واستقام ظهرها وذهب عنها القرع، فمن شدّة الإعجاب بهذه الكرامة سمّاه النّاس شيخ العريجاء، أي الشّيخ الذي شفى البنت العرجاء.

فمن أجل اهتمامه بالعلم وبمزيد عنايته بعلم العقيدة حفظت طريقته، إلى يومنا هذا فلا يوجد من أهل طريقته من يقول: «الله حالٌّ في الأشياء أو في بعض الأشياء»، ولا من يقول: «الله والعالم شيءٌ واحدٌ». ولا من يقول: «هو الله واحدٌ صار كثيرًا»، لا يوجدُ في هؤلاء من يقولُ بهذا الكُفر الشّنيع، ولله الحمدُ على ذلك.

ثمّ كان الإمام الرّفاعيّ أيضًا يحذّر من الحلّاج الذي كان يقول «أنا الحق» والعياذ بالله من الكفر. الحلّاج توفّي قبل سيّدنا أحمد بثلاثمائة سنةٍ تقريبًا، كان يحذّر منه ويقول: «ليس على الحقّ، لو كان على الحقّ ما قال: أنا الحقّ»، ومعنى قول الحلّاج: «أنا الحقّ» أنا الله والعياذ بالله، لأنّ الحقّ من أسماء الله، فسيّدنا أحمد الرّفاعيّ حكم بأنّه ضالٌّ، وهذا هو الحقّ وأكثر الصّوفيّة قالوا «الحلّاج ليس منّا»، لذلك لم يمدحه في الماضي إلا عدد قليل وبعض هؤلاء لم يكن يعرف حاله. أمّا اليوم فكثروا، فإنك إن جلست مع بعض القادريّة تسمع بمدحه، وإن جلست مع الشاذليّة تسمع بمدحه، وإن جلست مع بعض النّقشبنديّة كذلك تسمعهم يمدحونه، وكذلك غيرهم، إلاّ الرّفاعيّة فقد عرفوا أنّه ضالٌّ

لقول شيخ الطّريقة سيّدنا أحمد الرّفاعيّ بأنّ الحلّاج ضالٌّ، وهذا من مزايا الرّفاعيّة. والحمد لله تعالى.

الثباتُ على الإيمانِ

قال شيخُنا رحمهُ اللهُ ونفعنا به:

الحمد لله ربّ العالمين، له النّعمة وله الفضل وله الثّناء الحسن، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، صلوات الله البرّ الرّحيم والملائكة المقرّبين، على سيّدنا محمد أشرف المرسلين، وعلى ءاله وجميع إخوانه من النّبيّين والمرسلين، وسلام الله عليهم أجمعين، أمّا بعد.

فإنّ من أهمّ أمور الدّين وأفضله عند الله معرفة الله ومعرفة نبيّه محمدٍ ﷺ، ثم الثّبات على الإيمان بأن يتجنّب الإنسان العقائد الكفرية والأفعال الكفريّة والأقوال الكفرية، فمن ءامن بهما إيمانًا جازمًا لا يخالطه شكّ، وثبت على ذلك فلم يكفر كفرًا قوليًّا ولا كفرًا فعليًّا ولا كفرًا اعتقاديًّا، واستمرّ على ذلك إلى مفارقة الدّنيا فقد فاز أي سلم من الخلود في عذاب الله.

حفظ الإيمان والعقيدة من أهمّ الأمور

ثم إن كان هذا المؤمن الذي عرف الله ورسوله وتجنّب الكفر يؤدّي الواجبات التي فرضها الله على عباده، ويجتنب المحرّمات التي حرّمها الله على عباده، يعيش عيشةً سعيدةً في قبره وفيما بعد القبر إلى ما لا نهاية له، ولا يصيبه شيءٌ من النّكد، نعم النّفس مجبولةٌ على كراهية الموت، لكنّ الموت مثله كمثل الجنين حين يخرج من بطن أمّه خرج من الضّيق إلى السّعة، ثم بعد ذلك، هذا الإنسان الذي مات إمّا أن يكون خرج إلى سعةٍ ورخاءٍ

وفرحٍ، وإمّا أن يكون خرج إلى ضيقٍ ونكدٍ، فلا يكون أحدٌ سالمًا من عذاب الله تبارك وتعالى إلا بهذه الطريقة وهي الإيمان بالله ورسوله إيمانًا لا يخالجه ولا يخالطه شكٌّ، هذا هو الإيمان الذي ينفع الإنسان بعد موته في الدّنيا وفي الآخرة، أمّا من كان على شكٍّ يخالطه ولو كان لا يظهره للناس فإنّه عند الله تبارك وتعالى ليس مؤمنًا، فإذا كان الأمر هكذا فليكن عناية الإنسان بالثّبات على الإيمان والمحافظة على العقيدة من أن تتغيّر وحفظ اللّسان من النّطق بكفريةٍ أو كفرياتٍ وحفظ الجوارح من الكفر.

جريمة شنيعة تحصل في بعض المطابع

بعض الناس الذين يشتغلون في المطابع يرتّبون الكتب حتى المصاحف، ثم من أجل عملهم في ترتيب الكتب منهم من يدوس عمدًا على أوراق المصحف وهو يعلم، ومنهم من يدوس على أوراق كتب العلم الشّرعيّ التي فيها اسمٌ أو أكثر من أسماء الله، فمن فعل هذا خسر وخرج من الإيمان هذا مثالٌ من أمثلة الكفر الفعليّ، فهؤلاء من أجل هذا الرّاتب الذي يأخذونه يبيعون الدّين! يبيعون الإيمان والإسلام بهذا الرّاتب! لأنهم من أجل أن ينالوا هذا الرّاتب ولا يصرفوا عن عملهم هذا الذي يتقاضون منه الرّاتب يكفرون! فهؤلاء خرجوا من الإسلام، ولو كانت قلوبهم تكره هذا الفعل أي دوس المصاحف، هؤلاء باعوا الآخرة بهذا الرّاتب الذي لا يضمن لهم الرّاحة الدّائمة في الدّنيا، هؤلاء خسروا خسرانًا أبديًّا إن ماتوا وهم على هذه الحال، أمّا إن كان الله شاء لهم أن يرجعوا إلى الإيمان فعرفوا أنهم كفروا بدوسهم المصحف الكامل أو بعض أوراقه أو أوراق كتب العلم الشّرعيّ فرجعوا إلى الإسلام بالشّهادتين محى الله عنهم ذلك الكفر السّابق، أمّا من أدركه الموت ولم يتب من هذا فإنّه خسر خسرانًا أبديًّا استوجب عذاب الله في قبره وفي الآخرة وذلك هو الخسران المبين، أمّا من حفظه الله تعالى فسلم له دينه بأن لم

يقع في كفريّة فإنّه إن اتّقى الله تبارك وتعالى أي تعلّم ما فرض الله عليه من علم الدّين فأدّى الواجبات واجتنب المحرّمات فإنه من عباد الله الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

شواهد مستمرة على صحة الإسلام

الله تبارك وتعالى أظهر صحّة هذا الدّين بشواهد حصلت في هذه الدّنيا على ممرّ الزَّمان، فمن عهد الرّسول إلى اليوم تظهر عجائب تشهد بأن هذا الدّين صحيحٌ، فمن (أربع سنواتٍ تقريبًا) حصل في الحبشة أنّ رجلًا من الأتقياء الأخفياء كان يعمل المولد من شدّة حبّه للرّسول، فكان يجمع الناس ويطعمهم طعامًا لذيذًا، وكان محافظًا على هذا، ثم هذا الرّجل قبل موته بثلاثة أيّام قال للنّاس وهو في حال مرضٍ شديدةٍ: «إنّه يأتي إليّ شيخٌ من صفته كذا وكذا»، فجاء هذا الشيخ وهو لا يعرفه أحدٌ من الناس فظلّ معه ثلاثة أيام إلى أن توفّاه الله، ثم الناس شيّعوه وكان حضر لتشييعه خلقٌ كثيرٌ لأنهم كانوا يحبّونه لأنّه كان ديّنًا تقيًّا، وذلك الشّيخ تغيّب واختفى عن الناس من حين موت هذا الرّجل، فلما دفنوه وبينما هم على القبر وقبل أن ينصرفوا سمعوا صوتًا شديدًا قويًّا فظنّوا أنّ هذا من الطّائرات التي تغير، طائرات الشّيوعية، تلك النّاحية كان فيها ثوّار مسلمون يقاتلون لوجه الله، ظنّوا أنّ هذا صوت الطّائرات التي جاءت لتضربهم، فبعد لحظات إذا بالمكان الذي دفن فيه هذا الشّخص بعد القبر بمتر واحدٍ انشقّت الأرض فخرج هذا الميّت فارتفع في الهواء حتى احتجب، وكلّ الناس كانوا يشاهدونه، ثم سمع بهذه الحادثة رجال الحكومة فلمّا وصف لهم هذا الحادث حضر منهم عددٌ ليشاهدوا ويتأكّدوا هل هذا الخبر صحيحٌ أم لا، فجاؤوا فنظروا في هذه الفتحة التي خرج منها الميّت ثم وصلوا إلى القبر الذي أضجع فيه هذا الميّت فلم يجدوا شيئًا فدهشوا، كلّ من كان هناك أدهشهم ما شاهدوا، هذا دليلٌ على أنّ ما أخبر به رسول الله ﷺ من أنّ الناس بعد وفاتهم على أشكالٍ، فمنهم من لا يصيبه نكدٌ

ولا فزعٌ ومنهم من ينتقل عن هذا المكان الذي يدفن فيه أوّلًا إلى مكانٍ ءاخر والله يعلم إلى أيّ مكانٍ نقل هذا الميّت، إمّا أن يكون نقل إلى المدينة المنوّرة أو إلى جبّانة مكّة أو إلى مكانٍ ءاخر فيه أولياء الله، الله أعلم بأمره. لكن الحاصل أنّ هذه الكرامة تشهد بأنّ ما جاء عن رسول الله ﷺ حقّ: «**القبر إمّا روضةٌ من رياض الجنّة وإما حفرةٌ من حفر النار**» رواه الطبرانيّ، المعنى أنّ الإنسان إذا دفن فإمّا أن تكون حالته حالةً طيّبةً هنيئةً لا يلقى في قبره شيئًا من المزعجات، بل يكون أنعم بعد دخوله القبر أكثر مما كان في حال صحّته قبل موته، وإمّا أن يكون بحالة شدّة ونكدٍ لا يحيط به علمًا إلا الله تبارك وتعالى.

وإنّ المحافظة على الإيمان، على معرفة الله تبارك وتعالى تكون بتجنّب الكفريات الاعتقاديّة والكفريات الفعليّة والكفريات القولية بذلك تكون المحافظة، فمن الكفريات الاعتقادية أن يعتقد الإنسان في الله صفةً من صفات البشر، فمن اعتقد في الله صفةً من صفات البشر كالأعضاء أو التّأثّر والانفعال فقد فارق الإيمان، كلّ هذا منافٍ للإيمان، لأنّ الله تبارك وتعالى خلق العالم ولم يجعل بينه وبين هذا العالم الذي خلقه شبهًا ولا بوجهٍ من الوجوه.

تكفير من يعتقد التحيّز في حق الله

ومما ينافي الإيمان ويخرج من الإسلام اعتقاد ما يعتقده بعض الناس من أنّ الرسول ﷺ عرج به إلى السّماوات السّبع حتى انتهى إلى سدرة المنتهى، فتدلّى إليه الله تعالى ودنا حتى كان ما بينهما أي ما بين الله والرّسول قدر ما بين الحاجب والحاجب! هذا اعتقاد أناسٍ يدّعون الإسلام ولا يعرفونه، هؤلاء ليسوا مسلمين عند الله، لأنهم كذّبوا قول الله: ﭽﭞ ﭟﭠﭡ ﭢﭛﭼ فالله تعالى لا يجوز أن يكون بينه وبين خلقه مسافة، بل هو موجودٌ بلا مكانٍ، موجودٌ بلا جهةٍ، فيجب اعتقاد أنّ الله موجودٌ لا كالموجودات، وأنّه حيّ لا كالأحياء، وأنّه عالم لا كالعلماء، وأنّه مريدٌ لا كالمريدين، وأنّه سميعٌ لا كالسّامعين، وأنّه

بصيرٌ لا كالمبصرين، وأنه متكلّم لا كالمتكلّمين لأنّه متكلّم بكلام هو صفةٌ أزليّةٌ أبديةٌ لا يبتدأ ولا يختتم ليس ككلامنا، ومع هذا أنزل كتبًا سماويةً على بعض أنبيائه هي عباراتٌ عن كلامه الذي هو صفة ذاته، هي عباراتٌ عن ذلك الكلام الذي لا يشبه كلامنا، ويقال لهذا: كلام الله كما أنّه يقال للكلام الذّاتيّ الأزليّ كلام الله.

رضا الله تعالى وغضبه

كذلك الله تبارك وتعالى يوصف بأنّه راضٍ عن أوليائه، يوصف بالرّضا عن عباده المؤمنين ويوصف بالغضب على عباده الكافرين، لكنّنا لا نعتقد أنّ رضاه كرضانا ولا أنّ غضبه كغضبنا، ليس رضاه انفعالًا نفسانيًّا ولا غضبه انفعالًا نفسانيًّا، وكلّ هذا لأجل أن نكون وافقنا قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ هذه الكلمة كلمةٌ موجزة لفظها خفيف لكن معناها واسع، ثم أيضًا هذه الآية : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ تعطينا أنّ الله لا يمسّ ولا يمسّ، لأنّ الحسّ من صفات الخلق، فالمسّ لا يحصل إلا باتّصال جسم بجسم وهذا من صفاتنا، فالله منزّه عن ذلك. والله أعلم وأحكم، والحمد لله على ما أنعم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

اختلافُ أحوالِ العالَمِ من دلائل وجود الله تعالى

قال الإمام الشيخ عبد الله الهرريّ رحمه الله رحمة واسعة:

الحمد لله ربّ العالمين، له النّعمة وله الفضل وله الثّناء الحسن، وصلوات الله البرّ الرّحيم والملائكة المقرّبين، على سيدنا محمدٍ أشرف المرسلين، وعلى جميع إخوانه الأنبياء والمرسلين، وءال كلٍّ والصّالحين، وسلام الله عليهم أجمعين، اللهمّ علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علمًا.

من دلائل وجود الله تبارك الله وتعالى وقدرته وعلمه وإرادته اختلاف أحوال العالم من جماداتٍ وحيواناتٍ ولطائف وكثائف، كلّ ذلك تعتريه تغيّراتٌ أي انتقالٌ من حالٍ إلى حال، فالعقل الصّحيح يدلّ على أنّ كلّ طارئ لا بدّ له من مكوّنٍ أحدثه وأدخله في الوجود، لأنّ تغيّر الشيء بنفسه مستحيلٌ عقلًا، كما أنّه يحيل دخول الشّيء في الوجود من دون مكوّنٍ يدخله في الوجود، كذلك طروء التّغيّرات على الذي دخل في الوجود من غير مكوّنٍ مستحيلٌ عقلًا، فمن هنا قال أهل الحقّ: الإنسان يستدلّ من نفسه على وجود مكوّنه، وسلكوا لذلك مقدّمتين ونتيجة، وهي أن يقول الإنسان: أنا كنت بعد أن لم أكن، وما كان بعد أن لم يكن فلا بدّ له من مكوّنٍ، هاتان مقدّمتان، وتترتّب عليهما النّتيجة وهي: أنا لا بدّ لي من مكوّن، معناه أنا حادث لأني وجدت بعد أن لم أكن، وكلّ ما وجد بعد أن لم يكن لا بدّ له من مكوّن يكوّنه، يدخله في الوجود، يخرجه من العدم إلى الوجود.

إثبات أن العالم لم يكن موجودًا
ثم وجد بإيجاد الله تعالى له

وكذلك سائر الأشياء العلويّة والسّفليّة، إذا نظر فيها الإنسان بعقله وفكّر تفكيرًا صحيحًا يجد هذا الدّليل، فلذلك الله تبارك وتعالى من أسمائه الظّاهر لأنّه ظاهرٌ بآياته، أي أنّ كلّ شيء دخل في الوجود دليلٌ على وجوده، حيث إنّه يستحيل في العقل أن يكون دخل في الوجود من غير مكوّن، ومن هذا القبيل قولهم أي قول علماء التّوحيد: العالم متغيّرٌ أي تعتريه صفاتٌ تختلف عليه، وكلّ متغيّرٍ حادثٌ فالعالم حادث، ثم من هنا ينتقل إلى أنّه يجب للعالم محدثٌ أحدثه أي أدخله في الوجود، وهذا عامٌّ في الأجسام والصّفات التي تطرأ على الأجسام. فإذًا ثبت بالدّليل العقليّ أنّ العالم وصفاته التي تعتريه

كلّ ذلك حادث أي لم يكن موجودًا ثم صار موجودًا، ثم من شأن هذا المكوّن أنّه موجودٌ لا كالموجودات، أي لا يشبه الموجودات في شيءٍ من صفاتها وأحوالها، لأنّه لو كان يشبهها لكان محتاجًا إلى مكوّنٍ، فإمّا أن يتسلسل الأمر وهو محالٌ وإمّا أن يدور الأمر على نفسه، والتّسلسل والدّور كلاهما محالان عقلًا، فثبت أنّ مكوّن العالم يجب أن يكون موجودًا لا يشبه الموجودات، ووجب أن يكون متّصفًا بالقدرة والعلم والإرادة والحياة، ويجب أن يكون حيًّا لا كالأحياء، قديرًا لا كالقادرين، عليمًا لا كالعالمين، مريدًا لا كالمريدين، أي أنّ جميع صفاته ليست حادثةً بل أزلية لا ابتداء لوجودها، فيتّضح بذلك أن كلّ ما سواه أي ما سوى هذا المكوّن محتاجٌ لغيره.

الله موجود بذاته لا يحتاج إلى غيره

لا شيء من الموجودات موجودٌ بذاته إلا مكوّن العالم الذي أدخل كلّ أفراد العالم من العدم إلى الوجود، هذا الذي لا يحتاج إلى غيره، أمّا هذا العالم محتاجٌ في أصل وجوده إلى غيره وهو مكوّنه، ثم في استمرار وجوده كذلك ليس مستغنيًا بذاته بل هو لا يزال محتاجًا إلى ذلك المكوّن الذي كوّن ذاته، وهو الذي يحفظ عليه وجوده إلى حيث يشاء هو أي ذلك المكوّن.

الله عالم بكل شيء

ويجبُ عَقلًا أيضًا أن يكون مكوّنُ هذا العالَم هو عالمٌ بكلّ شيءٍ عِلمًا أزليًّا، فلا شيءَ يحدُث في العالَم من تغيُّرِ أحوالٍ إلا وقد سبَق عِلمُه بذلك، ولا شيءَ مِن هذه الموجودات الحادثة التي وجودها بغيرها يخلق شيئًا من الحركات أو السّكنات، بل لا خالق لها إلا الله سبحانه وتعالى الذي أحدث أجرامها، فهو الذي يخلق ما يطرأ عليها من

التّغيّرات، والإنسان لا يخلق شيئًا من أعماله الاختيارية فضلا عن الاضطرارية، لأنّ الإنسان إذا شقّ التّفاحة لا يكون هذا الشّق بخلق هذا الإنسان بل بخلق مكوّنه الله، والدليل على ذلك أنه لو كان يخلق هذا الشّقّ لاستطاع أن يخلق الالتئام، ولن يستطيع ذلك، فهذا دليلٌ على أنّ الإنسان لا يخلق شيئًا إنما الله تعالى يخلق فيه بقدرته هذه التّطورات والحركات والسّكنات، هذا خالص التّوحيد فمن حاد عنه فقد ضلّ وخرج عن قضيّة العقل الصّحيحة وعن النصوص القرءانيّة، فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ ، وقال: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ ومعناه لا أحد يخلق إلا الله، ولا يجوز أن يكون بعض الأشياء يخلقها الله وبعض الأشياء يخلقها غير الله كما تقول الثّنوية، وهؤلاء الثّنوية طائفةٌ من المجوس يقولون: النور يخلق الخيرات والظلام يخلق الشّرور.

والمانويّةُ هيَ طائفةٌ مِنَ الثّانَويّة، يظنُّونَ أنّ النّورَ أزليّ والظلامَ أزليّ، ثم هما على زَعم الثّانوية يخلُقانِ الخيرَ والشرَّ، أحدُهما يخلُق الخير ويُسمُّونَهُ يَزْدَان بالفارسيّة، والآخَر يُسمّونَه أهْرَمَن، ويقول المتنبي قال عن المانوية التي هي شبيهةُ الثّنوية تشنيعًا لهم:

وكَم لظَلام اللّيلِ عِنديَ مِنْ يَدٍ تُخَبّرُ أنّ المانَوِيّةَ تَكذِبُ

والمعنى أن إسنادَ خَلْق الشّرور كلّها إلى الظّلام وتجريدَ الظلام مِن نَفع وفائدةٍ هذا كذِب، فالليلُ فيه منافعُ كما أنّ نورَ النّهار فيه منافع.

العالم ينحصرُ في شيئين: جوهر وعرَض

قال الإمام الحافظ الشيخ عبد الله الهرريّ غفر الله له ولوالديه ورحمهم رحمة واسعة:

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين، وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين،

صلاةً وسلامًا طول الأمد، أما بعد.

اعلم أن قول الله تعالى في القرءان الكريم: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠﭡ ﭢﭣ ﭼ، دلّ على أن الله تعالى لا يشبهُ العالَمَ ولا بوجهٍ من الوجوه، إذ العالم ينحصرُ في شيئين: جوهر وعرَض.

والجوهرُ معناهُ الحجمُ سواء كان كثيفًا أو لطيفًا، وهو أصل الشيء، فالشمس جوهر، وكذلك القمر، ويقال لهما: جسم كثيف، والضوء الذي ينبثُّ منهما ويمتدّ يسمى جوهرًا ويقال له: جسم لطيف.

وأما العَرَض فمعناهُ صفات الجوهر كالحركة والسكون واللون والحرارة والبرودة، فالشمسُ جوهرٌ والحرارة القائمةُ بها عَرَضٌ وسيرها كذلك عرَض، ونحنُ بنو ءادمَ جوهر وجسم وحجم، أما حركاتنا وسكناتنا، والألوان كالبياض والسواد والشُّقرة والحُمرة، والحرارة والبرودة التي فينا كلها أعراض، وكذلك اتخاذ المكان والتحيّز في جهة فوق أو تحت يقال له عَرَض. والعالم لا يخرجُ عن هذين، كل أنواع العالَم ينحصر في الجوهر والعرَض.

والله تبارك وتعالى هو الذي أوجدَ هذا الجوهر بقسمَيْهِ اللطيف والكثيف، وأوجدَ صفات الجوهر التي هي أعراض، وأبرزها من العدم إلى الوجود، فإذًا الله ليس جوهرًا ولا عرَضًا، لأنَّ الجوهرَ والعرَض مخلوقانِ لم يكونا ثم كانا، ولو كان الله كالعالَمَ (شيئًا لم يكن ثم كانَ) لاحتاجَ هو أيضًا إلى مَن يخلقه ولم يكن خالقًا. وكذلكَ الألم واللذة والفرح والحزن عَرَض، والتفكير أيضًا.

صفة الكلام لله

وكذلكَ الصوت عرَض، وهو قسمان: صوت هو حَرف، وصوت ليسَ بحرف، فصوت الطبلِ مثلًا يقال له: صوت ولكنَّه ليس حرفًا، أما الإنسان فإنّه ينطق بصوت وحروف، والله تعالى منزَّه عن أن يتكلمَ بصوت وحرف، لأنهما عَرَض فلو كان يجوزُ

عليهِ الصوت والحرفُ لجاز عليهِ اللون والحركة والسكون والتفكير وكلّ الأعراض، ولو كانت تجوز عليه الأعراض لكان حادثًا، من هنا قال علماء التوحيد: إن الله يتكلم كلامًا ليس حرفًا ولا صوتًا، لأنّه لو كان يتكلم بحرف وصوت لكان مِثلَ خلقِه.

أما القرءان، فإذا أُرِيْدَ به اللفظ الذي قرأه جبريل على سيدنا محمد ﷺ وقرأه سيدنا محمد على الصحابة، فإن أُرِيْدَ بالقرءانِ هذا اللفظُ فإنّه مخلوق، وهذا اللفظ خلقه الله تعالى فأسمعه جبريل، وليس جبريل سمعه من الله تعالى كما يسمع الطالب من أستاذِه الذي يقرأ عليه، بل خلق الله تعالى حروف القرءانِ فأسمعها جبريل، ثم أخذ جبريل هذا الصوت الذي خلقه الله وهو صوت القرءان، أخذه بأمر الله وقرأه على سيدنا محمد ﷺ، ومع أنّ حروف القرءانِ كانت مكتوبةً في اللوح المحفوظ، إلا أنَّ سيدنا جبريل أسمع سيدنا محمدًا القرءان كما تلقاه هو من الصوتِ الذي خلقه الله وليس مجرد أنه قرأ في اللوح المحفوظ، أي ليس الأمر أنّه رأى حروف القرءان وحملها إلى سيدنا محمد بل أسمع الرسولَ ما تلقاه.

محاسبة الله لعباده:

يحاسِبُ الله يومَ القيامة الخلقَ الإنس والجن، فيسمع كلُّ واحدٍ كلامَ الله الذي ليس حرفًا ولا صوتًا، وذلك أنّ الله تعالى يزيلُ الحجابَ المعنويَّ عن سمْعهم، فيسمعونَ كلامَ الله الذاتيّ الذي ليس بصوت ولا حرف ولا لغة، فالكافرُ عندما يسمعُ كلام الله لا يُسرُّ لأنه يعلم أن الله غاضب عليه، أما المؤمنُ التقيّ فإنّه يُسرُّ عندما يسمعُ كلام الله يوم القيامة، فالجنّ من إبليس إلى نهاية ذريته يُسمعهم الله كلامه، والبشرُ من ءادمَ إلى ءاخر فردٍ من ذريتِه يُسمعهم الله كلامَه، قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحدٍ منكُم إلّا سيكلمُه ربُّه يوم القيامةِ من غير ترجمانٍ ولا حاجب**» رواه البيهقيُّ في السنن.

والله تعالى وصفَ نفسَه بأنّه أسرع الحاسبين، أسرع من كلّ حاسب من عباده، فقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾، وإبليس وحده عاش ءالاف السنين لأنّه خُلقَ قبل ءادم بزمان، ويعيش إلى يوم النفخ في الصُّوْر، فلو كان الله يحاسبه بالحرف والصوت أو يتكلم بالحرف والصوت كما يدّعي البعضُ لكان ذلكَ يأخذ ءالافًا من السنين ولم يكن أسرعَ الحاسبين بل كان أبطأ الحاسبين، ولكن الله تعالى وصف نفسَه بأنه أسرع الحاسبين.

معنى قوله سبحانه ﴿كُن فَيَكُونُ﴾

قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، ليس معناهُ أن الله ينطق بحرف الكاف والنون الذي هو من لغةِ العرب، وذلكَ لأن الله كان قبل اللغات، ولا يجوزُ أن يكونَ قبل اللغاتِ لا يتكلمُ ثم بعدَ أن خلقَ اللغات تكلم، لأن هذا معناهُ أن الله حادث، والله سبحانه قديم أزليّ ليس بحادث، إنما معنى هذه الآية المذكورة أن الله يخلق الشيء الذي أرادَ وجودَه بدون مشقّة ولا تعب ولا تأخُّر عن الوقتِ الذي أراد وجودَه فيه.

وقد خالف بعضُ الناسِ ذلك فقال: «إن لله صوتًا لا كأصواتنا»، وهذا القول لا يجوزُ في حق الله، لأن الصوتَ لا بد أن يكونَ حادثًا، فإنّه لا يوجد صوت أزليّ قديم، لأنَّك إذا قلتَ: «بسم الله الرحمٰنِ الرحيم»، فإن الباءَ جاءت ثم انقضت، ثم جاءت السين ثم انقضت، ثم جاءت الميم ثم انقضت، وهكذا الحروف يسبق بعضها بعضًا، وكل شيء يسبقُ بعضه بعضًا هو مخلوق والخالقُ سبحانه وتعالى لا يوصفُ بكل ما هو من صفات المخلوقين.

وقد خالف ابن تيمية إجماعَ المسلمينَ حين قالَ: إن الله يتكلمُ بحروف متعاقبة أزليّة النوع، حادثة الأفراد، وقد ذكر ذلكَ في عدة من كتبه، منها كتابه المسمى: (رسالة في صفة الكلام).

من أرادَ بُحبوحةَ الجنةِ فليلزمِ الجماعةَ

قال شيخنا المحدّث مولانا عبد الله الهرريّ رحمه الله:

الحمد لله ربّ العالمين، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، صلوات الله البرّ الرّحيم والملائكة المقربين، على نبيّنا محمدٍ أشرف المرسلين، وعلى ءاله الطيبين الطاهرين، أما بعد.

فقد قال رسول الله ﷺ: «**من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة**» المعنى أن الذي يريد أن يدخل الجنة وينجو من عذاب الله فليلزم جمهور الأمة أي عقيدتهم، عقيدة جمهور الأمة السواد الأعظم، لأنّ الله تعالى أكرم سيدنا محمدًا بأن حفظ أمّته عن أن يضلّ جمهورهم أي أن يخرجوا من الإسلام، فالله تعالى وعد نبيّنا محمدًا أن يحفظ عقيدة الإسلام على جمهور أمته أي معظمهم، ومعنى ذلك أنّ بعضهم قد يكفر، فبعض الأمة قد يكفرون، أما الجمهور لا يكفرون، وإلى وقتنا هذا على هذه الحال بقيت الأمة ولا يزالون فيما بعد على هذا، فعقيدة الإسلام محفوظةٌ للجمهور أي للمعظم، أما الشراذم التي تخالف الجمهور فهذه هالكةٌ، لقد كان أصحاب رسول الله على عقيدةٍ واحدةٍ وهي: أنّ الله موجودٌ بلا مكانٍ بلا جهةٍ من غير أن يتحيز في جهةٍ من الجهات، ومن غير أن يكون حالًّا في جميع الجهات، جل هو موجودٌ بلا جهةٍ وبلا مكانٍ كان في الأزل موجودًا ليس لوجوده بدايةٌ، كان موجودًا قبل المكان والزمان.

فالمكان مخلوقٌ لم يكن ثم أوجده الله، والزمان كذلك، فالذي يكون قبل الزمان

والمكان موجودًا بلا ابتداءٍ لا يتطور ولا يتغير ولا يتحول من حالٍ إلى حالٍ هو الذي يستحق الألوهية وهو الله سبحانه وتعالى، أما المخلوق يتحول من حالٍ إلى حالٍ، حتى النور والظلام يتحول من حالٍ إلى حالٍ، الآن أرضٌ من الدنيا عليها ظلامٌ كهذه الأرض وقسمٌ من الدنيا عليه نورٌ تقلّص عنه الظلام فتسلّط عليه الضوء، وهكذا الضوء يتنقل والظلام يتنقل.

وكلٌ له كميةٌ عند الله تعالى، النور له مساحةٌ يتسلط عليها والظلام كذلك، وكلٌ منهما يتحول من حالٍ إلى حالٍ، والشمس كما تعلمون عند الغروب يكون لونها أحمر وعند طلوعها كذلك حمراء، وفي غير ذلك بيضاء. فخالق العالم لا يتغير، لأنه لو كان يتغير لكان مخلوقًا مثلها يحتاج إلى من أوجده، إلى من أخرجه من العدم ثم ينقله من حالٍ إلى حالٍ.

تصوير الجنين

الملائكة في أصل خلقهم جسمٌ لطيفٌ، يستطيعون أن يدخلوا إلى صدر الإنسان ولا يحسّ بهم، لذلك ملك الرحم بأمر الله تعالى يشتغل في رحم النساء، فقد جعل الله ملائكةً موكلون بأرحام النساء، هم يصورون الجنين بهذه التخاطيط، على حسب ما يلهمهم الله تعالى يخططون جسد الإنسان في رحم الأمّ، ثم يأتي الملك بالروح بعد تطوره من النطفة إلى العلقة ومن العلقة إلى المضغة، ففي هذا الدور، دور المضغة ينفخ فيه الروح، فيتحول المنيّ إلى دمٍ جامدٍ أي كهيئة دمٍ جامدٍ ثم هذا الدم الجامد يتحول إلى قطعة لحمٍ بقدرة الله، ثم يكسوه عظمًا، وأول ما يخلق من عظام الإنسان عظمٌ صغيرٌ في ءاخر الظهر وعليه يركّب الإنسان في الدنيا، ويوم القيامة عندما يعيد الله الجسد الذي أكله التراب ينبته على هذه القطعة الصغيرة التي تكون قدر خردلةٍ. فهي تبقى، ولو أحرق

الإنسان في النار فإنّها لا تفنى، ذلك أنّ الله تعالى يحفظها من الفناء، أما ما سواها فيفنى.

الله لا تدركه الأوهام

ليس كلّ موجودٍ يتصوره قلب الإنسان، ففي المخلوقات التي خلقها الله يوجد ما لا يستطيع الإنسان أن يتصوره وهو أنّ النور والظلام لم يكونا في وقتٍ، نعم النور تستطيع أن تتخيله بقلبك وحده والظلام كذلك، أما وجود وقتٍ ليس فيه نورٌ ولا ظلامٌ لا تستطيع، فكيف تستطيع أن تتصور الله؟ كيف يستطاع أن يُتصوره وهو لا يشبِه العالم اللطيف ولا العالم الكثيف.

فهؤلاء الذين تصوّروه جسمًا فوق العرش بقدر العرش كفارٌ، لأنهم جعلوه مثل خلقه، جعلوه موازيًا للعرش الذي هو مخلوقٌ، فإنه لم يكن العرش في الأزل، بل الله كان وحده ولم يكن معه شيءٌ، لا عرشٌ ولا سماءٌ ولا أرضٌ، ولا جهة فوقٍ ولا جهة تحتٍ، ولا جهة يمينٍ ولا جهة يسارٍ، ولا جهة خلفٍ ولا جهة أمامٍ، فقد كان موجودًا بدون هذه الأشياء ثم خلق هذه الأشياء، وهو لم يتغير عمّا كان عليه، ولم يتخذ مكانًا، وهذا العرش خلقه لإظهار قدرته لأنه يوجد ملائكةٌ لا يعلم عددهم إلا الله، محيطون بالعرش، يدورون حول العرش يسبحون الله بحمده، فهؤلاء عندما يرون هذا الجرم الكبير الذي لا يعلم حدّه إلا الله يزدادون يقينًا بكمال قدرة الله، فلهذا الله خلقه وليس ليجلس عليه فإنّ الجلوس من صفة الخلق، فالإنسان يجلس والكلب يجلس والبقر يجلس، أمّا الله تبارك وتعالى فلا يجوز عليه أن يكون كشيءٍ من خلقه، هكذا تكون معرفة الله، ليس معرفة الله بأن يعتقد أنه جسمٌ فوق العرش بقدر العرش، وفوق العرش لا يوجد شيءٌ له حياةٌ مستقرٌ، يوجد كتابٌ فوق العرش كتب الله فيه: «**إنّ رحمتي سبقت غضبي**».

حفظُ الإيمان

وهؤلاء الذين يقولون: فوق العرش لا مكان، والله تعالى هناك حيث لا مكان، قولوا لهم كذبتم، بل يوجد فوق العرش مكانٌ، والله تعالى وضع ذلك الكتاب فوق العرش، أما أنتم فتتصورون جسمًا فوق العرش عظيمًا واسعًا مساحته بقدر العرش وهذا وهمٌ لا وجود له، هكذا قولوا لهم، فمن اعتقد أنّ الله موجودٌ بلا مكانٍ بلا جهةٍ من غير أن يكون حجمًا لطيفًا كالملائكة والنور، ومن غير أن يكون حجمًا كثيفًا كالإنسان، وأنه هو الذي يستحقّ أن يعبد، فهذا عرف الله، فإذا اعتقد رسالة سيدنا محمد ﷺ فهو مسلمٌ ما دام على هذا الاعتقاد، لكن يبقى شيءٌ لاستمرار إسلامه وهو أن يحفظ لسانه من سبّ الله في حال غضبٍ أو في حال مزحٍ أو في غير ذلك، وإلا خرج من الإسلام، ولا ينفعه اعتقاده بقلبه أنّ الله موجودٌ وأنّ الرسول عليه السلام نبيّ الله وتصديقه بالجنة والنار، كلّ ذلك لا ينفعه حيث إنه وقع في الكفر بسبّ الله أو بسبّ رسول الله أو بسبّ الملائكة أو بسبّ نبيٍ من الأنبياء عيسى أو موسى أو ءادم أو سليمان أو غيرهم من الأنبياء.

سليمان لم يعمل بالسحر

سيدنا سليمان عليه السلام يقول عنه الكفار إنّه كان ملكًا من الملوك وكان يعمل بالسحر، والصحيح أنّ الشياطين كانوا مغتاظين منه لأنّ الله أعطاه سرًّا فكانت الشياطين تطيعه مع كفرهم، من غير أن يؤمنوا كانوا يخدمونه، ويعملون له أعمالًا شاقةً، الذي يخالف الله تعالى ينزّل به عذابًا في الدنيا لذلك كانوا مقهورين له، لما مات كتبوا السحر ودفنوه تحت كرسيّه، ثم قالوا للناس، ظهر بعضهم أو عددٌ منهم فقالوا: هل تدرون بما كان يحكمكم سليمان؟ كان يحكمكم بالسحر! احفروا تحت كرسيه، فحفروا فوجدوا

هذا الكتاب، فصدّقوا أن هذا الكتاب لسليمان وضع فيه السحر فكفروا، الذين صدّقوا الشياطين كفروا، لأن السحر ليس من عمل الأنبياء ولا الأولياء، الأنبياء لهم معجزاتٌ، أمورٌ خارقةٌ للعادة لا يستطيع من يكذّبهم أن يفعل مثلها.

من معجزات عيسى عليه السلام

عيسى عليه السلام كان أحيا موتى بعد أن دفنوا، وكان يبرئ الإنسان الذي ولد أعمى من دون إجراء عمليةٍ يفتح بصره فيها، اليهود الذين كذّبوه هل يستطيعون أن يفعلوا مثل ذلك؟ لا يستطيعون، وهكذا نبيّنا محمدٌ، الله تعالى أعطاه معجزاتٍ لم يستطع الكفار أن يتحدّوه.

المهمّ هو حفظ الإيمان، بأن يحفظ الشخص لسانه من النطق بأيّ شىءٍ فيه استخفافٌ بالله أو بدينه أو بأنبيائه أو بملائكته أو بجنته أو بناره أي بجهنم، الذي يستخفّ بجهنم فيقول: «أيشٍ فيها، نتدفأ بها؟!» هذا كفر. بعض السفهاء يقولون: نتدفأ بها! هؤلاء كفروا، خرجوا من الإسلام، ولو كانوا في قلوبهم يعتقدون عقيدة الإسلام. والحمد لله ربّ العالمين والله سبحانه أعلم وأحكم.

معنى القرءان ذو وجوه

قال الإمام الحافظ الشيخ عبد الله الهرريّ غفر الله له ولوالديه ورحمهم رحمة واسعة:

الحمد لله ربّ العالمين صلوات الله البرّ الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمدٍ أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه الأنبياء والمرسلين وسلام الله عليهم أجمعين، أما بعد.

فإنّ «القرءان ذو وجوه» كما قال عمر بن الخطّاب وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، ومعناه في كثيرٍ من ءاياته احتمالاتٌ، وهذه الاحتمالات يزلّ فيها كثيرٌ من النّاس ولا يهتدون للمعنى المراد بها، بل يزيغون عن المعنى المراد بها، لذلك نجد المعتزليّ يحتجّ بالقرءان في بعض مسائله، وكذلك الخوارج نجدهم يحتجّون ببعض الآيات القرءانية

في بعض مسائلهم، وكذلك أناسٌ غيرهم حتى بعض الزّنادقة الذين لا «ينتحلون» دينًا يحتجّون ببعض الآيات لتصحيح ما يذهبون إليه، ثم من أقفل الله تعالى قلبه مهما رأى من الدّلائل لا يبصر ذلك الحقّ، ولا يفهم قلبه ذلك الحقّ وإن نظر إليه بعينيه، فإنّه وإن نظر إلى هذه الأدلّة القرءانية بعينيه لكن لا يهتدي لفهم معانيها على الوجه المراد لله تبارك وتعالى. وكذلك الأحاديث كثيرٌ منها ذوات وجوهٍ، لذلك ورد في بعض أدعية الرّسول ﷺ طَلَبُ الهداية من الله تعالى لما اختلِفَ فيه من الحقّ، فالله تعالى شاء في الأزل أن يختلف البشر في أفهامهم ومساعيهم وميولهم، ثم شاء أن يهتدي قسمٌ منهم إلى الحقّ، وشاء في الأزل أن يزيغ بعضهم عن فهم الحقّ وإصابته فتنفّذ ذلك. هذا البشر كلّه من ءادم، وءادم كان مسلمًا نبيًّا رسولًا، ثم دعا أولاده إلى الإسلام فعاشوا مسلمين، وعاش بعدهم ذريّته على الإسلام، عددٌ كثيرٌ إلى أن جاء قوم نوحٍ، فظهرت في قوم نوحٍ أعمال الكفر، ثم بعد ذلك لم يزل البشر قسمٌ منهم مؤمنين وقسم كافرين، ولو بقوا على ما كانت عليه ذرّية ءادم لم يكن دينٌ بين البشر إلا الإسلام.

شرح قول الرّسول الذي فيه طلب الهداية من الله

قال رسول الله ﷺ في أدعيةٍ له: «**اهدنا لما اختلف فيه من الحقّ**» معناه أنّ عبادك اختلفوا في أشياء فاهدنا للصّواب فيما اختلفوا فيه من الحقّ.

وطرح سؤال على الشيخ الهرريّ وهو: علينا أن لا نيأس من الدّعوة إلى الله تعالى لأنّنا لا ندري إن كان الله قد شاء لهم الهداية، أليس هذا هو مغزى كلامنا؟

فكان الجواب: المقصود أنّ مصير العباد مغيّبٌ عنّا، فنحن علينا أداء ما كلّفنا به، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، وعلينا أن نأتمر بما أمرنا الله به من أداء الواجب واجتناب المحرّمات، ولكن نجزم ونعتقد بأنّه لا يكون مما نحاوله إلا ما شاء الله أن يكون، فما شاء

الله أن يكون لا بدّ أن يكون، وما لم يشأ أن يكون لا يكون، فمع الجزم بذلك جزمًا تامًّا نعمل ونسعى ونأمر وننهى، فليس لنا أن نقول: المستقبل مغيّبٌ عنّا فلماذا ندعو ولماذا نعمل؟!

إيراد بعض الناس ءايات أو أحاديث في غير موضعها

وفيما ذكرنا بيان أنّه لا ينبغي الاغترار بمجرّد قول الشّخص شيئًا ثم إيراد ءايةٍ أو حديثٍ، لأنّ من النّاس من يوردون الآيات والأحاديث في غير مواضعها، فهؤلاء الأخذ بآرائهم والاقتداء بهم مهلكةٌ وضلالٌ، قال تعالى عن القرآن: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ أي يضلون بسبب القرآن لأنهم حرفوا تفسيره وغيروا وبدلوا، ومن النّاس من يوردون الآيات والأحاديث في مواضعها فهؤلاء الذين يجب الأخذ بكلامهم، وهذا يحصل بعد الممارسة للعلم بالتّلقّي من أهل المعرفة، الذين تلقّوا عمّن قبلهم وأولئك عمّن قبلهم وهكذا إلى الصّحابة، لأنّ هؤلاء أئمة العلم لم يكونوا مقتنعين بأنفسهم بحيث يعمد أحدهم إلى شراء كتبٍ ثم مطالعتها بنفسه (دون تلقّ من أهل المعرفة) لا، بل أصحاب رسول الله ﷺ الذين شهدوا الوحي والتّنزيل، لم يكونوا بعد وفاة رسول الله تاركين لطلب العلم ممّن هم أعلم منهم.

عبد الله بن عباس وقدره العظيم

هذا عبد الله بن عباس ابن عمّ رسول الله ﷺ الرسول دعا له بأن يفقّهه الله تعالى في الدّين ويعلّمه الحكمة والتأويل، فكان حريصًا على التّلقّي من رسول الله في حياته ﷺ، ثم لما توفّي الرسول ما قعد في بيته وتربّع للنّاس للإقبال عليه، بل كان يذهب إلى هذا وإلى هذا من أصحاب رسول الله الذين هم أكبر منه سنًّا وأكثر ملازمةً لرسول الله

عليه الصلاة والسلام، لأنّه لما توفّي رسول الله لم يكن بلغ الحلم، لكن كان في صغره هو حريصًا على تلقّي العلم، وكان قد استفاد من رسول الله ﷺ مشافهةً، ثم بعد وفاته صار يطلب من هذا وهذا وهذا، حتى إنّه كان يتردّد إلى زيد بن ثابت لتلقّي العلم منه، وذات مرّةٍ أخذ بركاب بغلة زيد بن ثابت لكنّ زيدًا مراعاةً لحقّ قرابة عبد الله بن عباس من رسول الله قبّل له يده، فالمقصود أنّه لم يترفّع عن تلقّي العلم والتّردّد إلى أبواب أهل العلم، لم يترفّع لم يقل: أنا ابن عمّ رسول الله كيف أذهب إلى بيوت الناس لأتلقّى منهم، وقد تلقّيت من رسول الله ما كتب لي مشافهةً؟ وكان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يعرف له صدقه وقوّة علمه، وكان يحضره مجالسه التي يحضرها كبار الصّحابة مع صغر سنّه، فلما عوتب في ذلك لأنّه يقرّب عبد الله بن عبّاس ولا يفعل ذلك بأبناء هؤلاء الكبار من الصّحابة قال: «إنّه فتى الكهول، له لسانٌ سؤول، وقلبٌ عقول» بيّن لهم مزيّته على أقرانه، فهذه الآية ءاية: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، وآية: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾، زلّ عن فهمها كثيرٌ من الناس فهلكوا، فإنّ هذه الآية ليس معناها أنّ المسلمين ليس عليهم أن يجاهدوا ليدخلوا عباد الله في الإسلام الذي هو دينه المرضيّ المقبول عنده، لا دين مرضيٌّ مقبولٌ عنده غيره.

ويكفي في ذلك أي إيضاحًا وبيانًا أنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لما جاءه رسول الله إلى خيبر وقد أعطاه الرّاية، قال رضي الله عنه: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ معناه لأجل أن يدخلوا في الإسلام قال له: «أنفذ على رسلِك»، معناه الجهاد ليس المقصود الأصليّ منه المال إنما المقصود الأصليّ منه إنقاذ الناس من الكفر إلى الإسلام.

تفاصيل قصة خيبر

عن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه، سمع النّبيّ ﷺ يقول يوم خيبر: «لأعطينّ الرّاية رجلًا يفتح الله على يديه، فقاموا يرجون لذلك أيّهم يعطى! فغدوا وكلّهم يرجو أن يعطى، فقال: «**أين عليٌّ؟**» فقيل: يشتكي عينيه، فأمر فدعي له، فبصق في عينيه فبرأ مكانه حتّى كأنّه لم يكن به شيءٌ، فقال: نقاتلهم حتّى يكونوا مثلنا؟ فقال: «**على رسلك حتّى تنزل بساحتهم، ثمّ ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدى بك رجلٌ واحدٌ خيرٌ لك من حمر النّعم**».

وأما رواية الإمام مسلم، فعن سهل بنِ سعدٍ أنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطينّ هذه الرّاية رجلًا يفتح الله على يديه، يحبّ اللّه ورسوله ويحبّه الله ورسوله**» قال: فبات النّاس يدوكون ليلتهم أيّهم يعطاها، فلمّا أصبح النّاس غدوا إلى رسول الله ﷺ، كلّهم يرجون أن يعطاها، فقال: «أين عليّ بن أبي طالبٍ؟»، فقالوا: هو يا رسول الله يشتكى عينيه، فأرسلوا إليه فأتي به فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه، ودعا له فبرأ حتّى كأن لم يكن به وجعٌ، فأعطاه الرّاية فقال عليٌّ: يا رسول الله، أقاتلهم حتّى يكونوا مثلنا؟ فقال: «**انفذ على رسلك حتّى تنزل بساحتهم، ثمّ ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من أن يكون لك حمر النّعم**». والله أعلم وأحكم، والحمد لله على ما أنعم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الله خالق كل شيء

الحمد لله ربّ العالمين صلوات الله البرّ الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمدٍ

أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه الأنبياء والمرسلين وسلام الله عليهم أجمعين، أما بعد.

فقد قال أهل الحقّ: لما كان الله تبارك وتعالى منفردًا بالخلق أي الإحداث من العدم إلى الوجود، لا يشاركه في ذلك شىءٌ لا من ذوي الأرواح ولا من الجمادات ولا من الأسباب العادية، فالله تعالى لا يشاركه شىءٌ في خلق شىءٍ من منفعةٍ أو مضرةٍ أو عينٍ أو أثرٍ لما علموا من قول الله تعالى: ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾، **وقوله:** ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾، **وقوله:** ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴾، وقول رسوله الكريم ﷺ: «**إنّ الله صانع كلّ صانعٍ وصنعته**»، علمنا أنّ الأسباب العادية ليست خالقةً لشىءٍ من مسبباتها بل الله خالق الأسباب والمسببات، وهذا الترابط بين الأسباب والمسببات أمرٌ أجرى الله به العادة، أي أنّ الله تعالى يخلق المسبّب عند وجود السبب فكلاهما أي السبب والمسبب يستند في وجوده وحصوله ووقوعه إلى إيجاد الله تبارك وتعالى.

الأسباب لا تخلق مسبّباتها

كثيرٌ من الناس يوقفون تفكيرهم عند الظاهر فيقضون ويحكمون بأنّ هذه الأسباب هي تخلق المسببات، وهذا خلاف الحقيقة، فإنه لو كانت الأسباب تخلق المسببات لوجب حصول المسبب عند كلّ سببٍ، والواقع خلاف ذلك، فإنّا نجد كثيرًا من الأسباب تستعمل ولا يوجد إثرها المسبب، فبذلك يعلم أنّ الأسباب بقدر الله، فإن سبق في مشيئة الله وعلمه الأزليين وجود هذا المسبب إثر السبب كان ذلك حتمًا حصوله، لأنّ الله شاء وعلم أنّ هذا السبب يحصل إثره المسبب فلا محالة من ذلك، أما إن لم يكن سبق في علم الله ومشيئته حصول المسبب إثر هذا السبب فلا يحصل ذلك المسبب، وقد روينا فيما يشهد لهذا حديثًا في صحيح ابن حبان: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الله خلق الدّاء**

وخلق الدّواء، فإذا أصيب دواء الدّاء برأ بإذن الله»، قوله: «**برأ بإذن الله**» دليلٌ على أن الأسباب من أدويةٍ وغيرها لا توجب بطبعها أي بذاتها حصول المسبّب، وشاهد الواقع يشهد بذلك، فإنّا نرى كثيرًا من الناس يتداوون بدواءٍ واحدٍ وأمراضهم متّحدةٌ فيتعافى بعضٌ منهم ولا يتعافى الآخرون، فلو كان الدواء هو يخلق الشفاء لكان كلّ واحدٍ يستعمل ذلك الدواء يتعافى حتمًا ولم يكن هناك حصول الشفاء لبعضٍ وعدم حصوله لبعضٍ، لهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**فإذا أصيب دواء الدّاء برأ بإذن الله**». فبذلك نعلم أن الأدوية وجودها بتقدير الله والشفاء بتقدير الله، ليست الأدوية تخلق الشفاء بحيث لا يتخلّف عند استعمال أيّ دواءٍ حصول الشفاء إثره.

معنى يا مسبّب الأسباب

فالحاصل أنه يجب اعتقاد أن الأسباب لا تخلق مسبباتها بل الله يخلق المسببات إثر الأسباب، أي أنّه تعالى هو خالق الأسباب وخالق مسبّباتها، وعلى هذا المعنى يشهر ما شاع وانتشر على ألسنة المسلمين في أثناء أدعيتهم: يا مسبّب الأسباب، معناه أنّ الله تعالى هو الذي خلق في الأسباب حصول مسبباتها إثر استعمالها، وهذا من كلام التوحيد الذي اشتهر وفشا على ألسنة المسلمين علمائهم وعوامّهم وهو يرجع إلى توحيد الأفعال، أي أنّ الله تبارك وتعالى هو الذي فعله لا يتخلف أثره، فإنّه إذا شاء حصول شيءٍ إثر مزاولة شيءٍ حصل لا محالة.

الله خالقُ العبادِ وأعمالِهم

وكما أنّ الله تبارك وتعالى هو خالق المسببات إثر استعمال الأسباب فهو خالق العباد حركاتهم وسكناتهم، لا خالق لشيءٍ من ذلك غيره، فالإنسان مكتسبٌ لأعماله

الاختيارية ليس خالقًا لها بل الله خالقها، فإنّ هذه الحركات التي نفعلها للخير أو للشرّ الله تبارك وتعالى هو خالقها فينا، هو الذي يجريها على أيدينا، ولا فرق في ذلك بين أعمالنا التي هي حسناتٌ وبين أعمالنا التي هي سيئاتٌ. والمراد بالحسنات هنا الطاعات والمراد بالسيئات المعاصي، فالطاعات من الإيمان وما يتبعه من صلاةٍ وصيامٍ وإلى غير ذلك مما لا يحصى، والسيئات من الكفر وما بعده كلّ ذلك بخلق الله تعالى، وهذا الاعتقاد هو اعتقاد الفرقة الناجية وهم الصحابة الذين تلقّوا عن رسول الله ﷺ المعتقد الإيمانيّ، ثم تلقى منهم التابعون ثم أتباع التابعين وهلمّ جرّا، هذه هي عقيدة الفرقة الناجية، وتسميتهم الفرقة الناجية ليس لأقليتهم بالنسبة للفرق المنتسبة للإسلام المخالفة لهم بل هذه الفرقة الناجية هي الأكثر، أما أولئك الفرق المخالفة التي خالفت الفرقة الناجية في معتقدها فأولئك وإن تعدّدت أسماؤهم بحيث بلغت إلى اثنتين وسبعين فرقةً فإنهم الأقلّ، وهذه الفرق الاثنتان والسبعون الشاذة الضالة كثيرٌ منها انقرضوا ولم يبق إلا أقلّهم. والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم والحمد لله ربّ العالمين.

صفات الله أزلية أبدية

أمّا ذاته تبارك وتعالى أي حقيقته فهو ذاتٌ لا يشبه شيئًا من الذّوات، أي لا يشبه شيئًا من الحقائق، ليس مصوّرًا أي ليس ذا صورةٍ ولا تركيبٍ ولا تأليفٍ ولا ذا كيفيّةٍ، لا تجوز عليه المساحة والمقدار، فقد قال الإمام أبو الحسن الأشعريّ في كتاب (النّوادر) ما نصّه: «من اعتقد أنّ الله جسمٌ فهو غير عارفٍ بربّه وإنّه كافرٌ به»، فالله تعالى مقدّر المقادير، وخالق الطّول والعرض والصغر والكبر، فلا يكون متّصفًا بهذه الأوصاف الّتي خلقها، هو موجودٌ لا يشبه الموجودات.

وأمّا صفاته فإنّ منها العلم والسّمع والبصر والحياة والإرادة وغير ذلك من صفاته

العلى. وكلّ صفةٍ من صفاته لا تشبه صفات الخلق، علمه ليس كعلم غيره، وقدرته ليست كقدرة غيره، ومشيئته أي إرادته ليست كإرادة غيره، فهو حيٌّ قديرٌ عليمٌ سميعٌ بصيرٌ، حيٌّ لا كالأحياء لأنّه حيٌّ بحياةٍ أزليّةٍ أبديّةٍ ليست بروحٍ ودمٍ ولحمٍ، وعلمه ليس كعلم غيره، علمه أزليٌّ أبديٌّ لا يتجدّد وليس مكتسبًا كعلم غيره، وإرادته ليست كإرادة غيره، بل هي إرادةٌ أزليّةٌ أبديّةٌ لا تتغيّر ولا تتطوّر ولا تتبدّل، وسمعه ليس كسمع غيره بل سمع الله أزليٌّ أبديٌّ، أمّا غير الله فإنّه يسمع سمعًا محدثًا بآلةٍ، فغيره يسمع بأذنه أمّا الله تبارك وتعالى فسمعه أزليٌّ أبديٌّ بلا أذن لأنّ الأذن لا تجوز على الله، وغير الله يرى بحدقةٍ أمّا هو فيرى بغير حدقةٍ.

لا خالق إلا الله

فمن ءامن قلبه بأنّ الله تعالى موجودٌ لا يشبه الموجودات، موصوفٌ بصفاتٍ لا تشبه غيره فقد عرف الله. ويجب على العبد أن يعتقد أنّ الله تبارك وتعالى خالق الحادثات أي خالق كلّ ما دخل في الوجود، خالق الأجسام وخالق أعمالها. فالله خالقٌ لأجسامنا وأجسام الحيوانات والجنّ والملائكة خلق أجسامهم وأعمالهم، فهو الخالق لا خالق سواه، فالعباد لا يخلقون حركاتهم وسكونهم بل الله خالق ذلك سواءٌ الحركات الاختياريّة والحركات الاضطراريّة، كلٌّ بخلق الله تعالى، لأنّ الخلق وهو إبراز المعدوم من العدم إلى الوجود خاصٌّ بالله تعالى، فلا أحد يخلق شيئًا من الأجسام والأعمال إلاّ الله، قال الله تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ فأعلمنا أنّه هو الخالق فقط لا خالق سواه للأجسام وللأعمال، فمن جعل خلق الأعمال للعباد والبهائم فإنّه كذّب قول الله.

كم وكم اليوم من الّذين يدّعون العلم يقولون –والعياذ بالله– إنّ الله خلق الجسم

فقط وأمّا أعمال الجسم من الحركات والسّكون يقولون إنّها من العباد ليس لله تصرّفٌ في ذلك، هؤلاء قومٌ ملحدون، هم والّذين يعبدون الأوثان كافرون، فإنهم جعلوا أنفسهم شركاء الله بقولهم: نحن نخلق أعمالنا، والله تعالى قال: ﭽﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭﭼ فليس معنى الآية لا خالق للأجسام إلّا الله، بل معناها لا أحد يخلق شيئًا من الأجسام والأعمال إلّا الله، هذا هو مذهب أهل الحقّ الّذي جاء به الأنبياء جميعهم وهذا مذهب أصحاب رسول الله والتّابعين لهم بإحسانٍ، كلّهم كانوا على هذا الاعتقاد، فإنهم كانوا يعتقدون أنّ الله هو الّذي خلق الأجسام والأعمال، ومع ذلك صحّ تكليفه للعباد ولا يكون عليه ظلمًا، فأهل الحقّ كلّهم موحّدون لله يعتقدون اعتقادًا جازمًا لا يخالطه شكٌّ أنّ الله خلق الأجسام والأعمال، ومع ذلك كلّف العباد بأداء أوامره واجتناب نواهيه فإن امتثلوا أمره ونهيه كان لهم بفضل الله الثّواب الجزيل، ومن خالف أوامره ونواهيه استحقّ العذاب الأليم.

الأسبابُ لا تخلقُ مسبّباتَهَا

ثمّ الّذي يبقى للعباد هو أنّ العباد يكسبون أعمالهم كسبًا والله يخلقها خلقًا، «والكسب هو توجيه العبد قصده وإرادته نحو فعل الشّىء»، وكذلك سائر الأسباب العاديّة لا تخلق شيئًا بل الله سبحانه وتعالى يخلق المنافع والمضارّ الّتي تترتّب على هذه الأسباب، مثلًا: النّار إذا لامسها إنسانٌ تحصل فيه الحرقة، فالنّار جعلها الله تعالى سببًا للإحراق ولكنّها لا تخلق الحرقة، ولو كانت تخلق الحرقة ما سلم أحدٌ من كلّ ذي روحٍ لمس النّار بل إلاّ واحترق، لكنّه ثبت أنّ أفرادًا من البشر لم تحرقهم النّار منهم نبيّ الله سيّدنا إبراهيم الخليل والصّحابيّ الجليل أبو مسلم الخولانيّ، فعدم إحراق النّار لإبراهيم عليه السّلام وأبي مسلمٍ دليلٌ ظاهرٌ على أنّ الأسباب لا تخلق مسبّباتها وإنّما الله تعالى يخلق المسبّبات عند وجود السّبب، فالله يخلق الاحتراق في الشّىء الّذي لمسته النّار.

حتّى يومنا هذا يوجد من يدخل النّار ولا تحرقه، كان في مدينة حمص شيخٌ من السّعديين، وقد روى ولده الشّيخ برهان أنّ والده رحل إلى اسطنبول أيّام السّلطان عبد الحميد، ولما عرفوا أنّه ينتسب إلى طريقة التّصوّف قالوا له: أرنا ءايةً إن كنت من أهل النّسب! (كان منسوبًا إلى سيّدنا الحسين) فأشعلوا الفرن بشدّةٍ فدخل فيه فلم تؤثّر فيه بل هو بمكثه فيه أطفأه، فوصل خبره إلى السّلطان فبنى له بنايةً فخمةً في حمص حتّى يتّخذها زاويةً للذّكر. وكان قبل ذلك هو وأحبابه يذكرون في مكانٍ متواضعٍ مساحته صغيرةٌ، فلمّا بنى له السّلطان هذه البناية وسعته هو ومريديه للذّكر ووسعته للسّكن.

النّعام كغيرها من البهائم من لحمٍ ودمٍ وعظمٍ، فهي تأكل الجمر الأحمر أكلًا تستمرئه، أي من غير أن يزعجها، كذلك المسامير المحمّرة من النّار تأكلها النّعام ولايؤذيها مع أنّها من لحمٍ ودمٍ، فلماذا هذا الجمر وهذه القطع الحديديّة المحمّاة من نارٍ لا تحرقها و تحرق في العادة غيرها؟ لأنّ النّار لا تخلق الإحراق، كذلك الخبز لا يخلق الشّبع لآكله وكذلك الماء لا يخلق الرّيّ لشاربه.

مشيئة الله نافذةٌ

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ والآية ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾.

التّوكل على خالق الأسباب

وكذلك الدّواء لا يخلق الشّفاء لمستعمله، فمن كان الله شاء له في الأزل أن يصيبه المرض الفلانيّ وأن يستعمل الدّواء الفلانيّ وأن يتعافى من هذا المرض حصل الشّفاء من هذا الدّاء، ومن لم يشأ الله تعالى أن يحصل الشّفاء له عند استعمال الدّواء لم يحصل له

الشّفاء مهما تداوى. فإذًا، الأسباب لا توجب المسبّبات بطريق التّلازم العقليّ، إنّما جرت العادة بمشيئة الله أن يحصل الشّفاء عند استعمال الأدوية، وفي كثيرٍ من الأحوال لم يشأ أن يحصل الشّفاء، فهذا دليلٌ عيانيٌّ وبرهانٌ يقينيٌّ على أنّ الأسباب لا تخلق المسبّبات إنّما تلازم الأسباب والمسبّبات من هذا القبيل عاديٌّ، فلا يتوكّل العبد على الأسباب بل يتوكّل على مسبّب الأسباب أي خالق الأسباب أي الله الّذي جعل ارتباطًا بين الأسباب والمسبّبات، كيف ينسى خالق الأسباب والمسبّبات من أجل الأسباب؟ نسيان المسبّب على الدّوام من شيمة الغافلين عن الله الواقفين عند الأسباب، وأمّا من اعتقد أنّ هذه الأسباب هي تخلق مسبّباتها ولا يعتقد أنّ الله هو خالق الأسباب ومسبّباتها فإنّه كافرٌ.

ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى أخبرنا في القرءان بأنّه هو خالق كلّ شيءٍ أي خالق كلّ ما دخل في الوجود من الأجسام والأعمال، كلّ شيءٍ وجد أي حدث بعد أن لم يكن موجودًا في الأزل، الله خلقه، لم يخلق نفسه ووجد دون فاعلٍ أو خالقٍ بل الله هو الفاعل والخّالق فالله خالق الأعمال الّتي يحبّها كالإيمان والطّاعة، والأعمال الّتي لا يحبّها ونهى عباده عنها، كلّه خلقٌ لله لكن كثيرٌ من النّاس لجهلهم بعقيدة الأنبياء الّتي يشهد بها العقل السّليم يعتقدون أنّ الإنسان هو يخلق المعاصي والله يخلق الخيرات، وهذا خلاف عقيدة الأنبياء، فالرّسول وكلّ الأنبياء يعتقدون أنّ الله هو خالق كلّ ما يدخل في الوجود من الذّرّة إلى العرش. والله تعالى خلق الأشياء المتقابلة خلق البياض والسّواد، والأرض والسّموات، والخير والشّرّ، وهذا كمالٌ لله تعالى عكس ما يقوله الجهّال بأنّ الّذي يقول الله خلق الخير و الشّرّ فهذا ظلمٌ بحقّ الله.

فإنّ قول أهل الحقّ بعيدٌ عن التّنقيص بحقّ الله تعالى بل هو تنزيه، فإنّ تلازم الأسباب والمسببات تنزيهٌ لله تعالى. وبقول الجهّال –والعياذ بالله– إنّ الله لا يخلق الشرّ جعلوه مغلوبًا، والله غالبٌ على أمره. نعم نحنُ وهم متّفقون على أنّ الله لا يحبّ الشرّ،

ولكنّ الاختلاف أنّنا نعتقد أنّه خالق الخير والشرّ وهذا تنزيهٌ وتمجيدٌ لله، لأنّنا جعلناه هو الغالب، أمّا هم فقد جعلوه مغلوبًا والإيمان لا يصحّ بالاعتقاد أنّ الله مغلوبٌ فلو كان كذلك لكان متندّمًا متحسّرًا والله سبحانه منزه عن ذلك. والله سبحانه وتعالى أعلم.

النعيم والعذاب في الآخرة حسيّ

قال الإمام الحافظ عبد الله الهرريّ رحمه الله تعالى ونفعنا به:

أهل الجنة يعيشون بأرواحهم وأبدانهم، وأهل النار الكفّار كذلك يعيشون في النار بأرواحهم وأجسامهم، هذه أصول العقيدة، وبقي الإيمان بالقدر وهو الأمر السّادس من أمور الإيمان، ومعنى الإيمان بالقدر أن نعتقد أنّ الله تبارك وتعالى هو يخلق الأشياء، الأجسام والحركات والسّكنات والنّوايا التي ينويها العباد في قلوبهم وهو يخلقها بمشيئته الأزلية الأبديّة، ما شاء الله تعالى أن يحصل من أجسامٍ وحركاتٍ وسكناتٍ وأعمال القلوب لا بدّ أن يحصل، وما لم يشأ الله تعالى أن يحصل لا يحصل، هذا معنى الإيمان بالقدر .

وما كان من أعمال العباد خيرًا كالإيمان والطّاعة والصّلاة والزّكاة والحجّ وغير ذلك من جميع أنواع الطّاعة فبخلق الله ومشيئته يحصل، وما كان من المعاصي الكفر وما دونه كلٌّ يحصل بمشيئة الله الأزلية الأبدية، الذي يجهل هذه الأمور التي هي من أصول العقيدة ويغلط فيعتقد خلافها فقد هلك وضلّ وخرج من الإسلام وهو لا يشعر أنّه خرج من الإسلام.

الشر بخلق الله

لا يجوز أن نفرّق بين الحسنات والسّيئات فنقول إنّ الحسنات بخلق الله والسّيئات ليست بخلقه، فالحسنات التي يفعلها المؤمنون بخلق الله تحصل ومشيئته وعلمه الأزليّ، وسيئاتنا تحصل منّا بخلق الله، فالله يخلقها فينا ويجريها على أبداننا، فالذي يتكلّم بالخير الله أعانه على ذلك والذي يتكلّم بالشرّ الله أعانه على ذلك، ولولا مشيئة الله تبارك وتعالى أن نتكلّم بالخير والشّرّ لكان كفّ ألسنتنا عن كلام الشرّ لأنّه قادر على كلّ شيء، وما كان يمكننا أن نتكلّم بكلام الشّرّ، لكن هو شاء أن تحصل منّا هذه الكلمات، كلمات الشّرّ الكفر وما دونه، وشاء أن تحصل منّا باختيارنا وخلقها فينا، وأجراها على أيدينا ولكن الله تعالى نهانا عن الشرور وأمرنا باجتنابها، هذا معنى الإيمان بالقدر.

حديث جبريل عليه السلام

يوم جاءه جبريل بصورة إنسانٍ من البشر، ولم يكن يأتي في تلك الصّورة قبل ذلك، حتى إنّ الرّسول في أوّل الأمر ما عرفه، فقد جاءَهُ بشكل رجلٍ غريب لا يعرفه أحدٌ من أهل البلد، كانت ثيابه نظيفة جميلة، وهيئته هيئةً حسنةً جميلة، شديد سواد الشّعر لا يرى عليه غبار، ما عرفه أحدٌ حتى سأل النّبيّ ﷺ، قال: «**يا محمّد، أخبرني عن الإسلام**» ففسّر له الإسلام بخمسة أشياء، فقال له: «**صدقت، ثم قال: فأخبرني عن الإيمان**» ففسّر له الإيمان بستّة أشياء، قال: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه**»، ثم قال: **صدقت، ثم سأل عن الإحسان، قال له: الإحسان أن تخشى الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك**»، ثم سأله عن أمرٍ يعلم جبريل أنّه لا يعلمه محمّدٌ وهو لا يعلمه لكن لحكمةٍ قال: «**فأخبرني عن السّاعة**»، أي متى تقوم القيامة بالتّحديد؟ قال الرسول: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السّائل**» معناه

أنت السّائل وأنا المسؤول كلانا لا يعلم، جبريل يعلم أنّ هذا لا يعلمه إلا الله، فالله تعالى ما أعطى الملائكة الذين لهم اطّلاع على اللّوح المحفوظ علم وجبة القيامة أي متى تقوم القيامة على التّحديد ثم ذهب، قال الرّسول ﷺ: «**انظروا هذا الرّجل**» فذهبوا فلم يجدوا له أثرًا، فعلم أنّه جبريل، فقال لهم ﷺ: «**هذا جبريل أتاكم يعلّمكم دينكم**»، وأخبرهم بأنّه لم يكن يعرفه تلك السّاعة، هو لم يكن أتاه قبل تلك المرّة إلا وعرفه، لكن أخبرهم أنّه هذه المرّة ما عرفه حتى ولّى.

وهؤلاء السّتة من علم الاعتقاديّات الضّروريّات، إيمانٌ بالله: أي معرفة الله بأنّه موجودٌ، وأنّه لا يستحقّ أحدٌ أن يعبد إلا هو، أي لا يجوز أن يتذلّل لأحدٍ نهاية التّذلل إلا له، فالأنبياء إن عظّمناهم نعظّمهم إلى حدٍّ ما، والأولياء نعظّمهم إلى حدٍّ ما، أمّا التّعظيم الذي هو نهاية التّعظيم هذا لا يكون إلا لله، ولا يجوز أن نعظّم أحدًا سوى الله نهاية التّعظيم وأن نتذلّل له نهاية التذلّل، فهذا لله فقط، وهذا معنى العبادة، والإيمان برسوله محمّد أنه رسول الله صادق.

نوع من أنواع المسلمين العصاة

إذا إنسانٌ عرف وأيقن بقلبه أنه لا معبود بحقٍّ إلا الله وأن محمّدًا رسوله، ثم ما استحضر شيئًا سوى ذلك، لا نفى ولا شكّ في شيء من أمور الدّين، لكن ما استحضر غير هذا في قلبه، غير معنى الشّهادتين، ما مرّ بباله ثم مات وهو على هذه الحال، هذا يقال له: مسلم عاصٍ، ويقال له عاصٍ لأنّه ما تعلّم ما بعد ذلك من أمور الدّين، لكنّه لا يقال عنه: كافرٌ لأنّه لم يستحضر في قلبه سائر أمور الدّين كالبعث بعد الموت، وأنّ الله أنزل كتبًا سماويّة، وأنّ الله أرسل رسلًا غير محمّد، لكن هو لا شكّ ولا أنكر رسالة نبيٍّ من أنبياء الله، لا محمّد ولا غير محمد إنما ما استحضر غير هذا، ما سمع بشيءٍ من

أمور الدّين إلا هذا القدر، وكان جازمًا مؤمنًا مصدّقًا بهذين الأمرين: أنّ الله هو الذي يستحقّ العبادة أي نهاية التّذلل له، وأنّ محمّدًا رسوله صادقٌ فيما يخبره عن الله، اعتقد هذا، وأمّا ما سوى هذا من أمور الدّين من الاعتقاديّات والصّلاة والصّيام ما استحضر ولا سمع بها، هذا يقال عنه: مسلم مؤمنٌ مذنبٌ ويقال له المؤمن العاصي، والعاصي هو المذنب المعنى واحدٌ. والله أعلم.

خاتمة الكتاب

يقول الله تعالى في القرءان الكريم: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ٥٥﴾ [سورة الذاريات]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ الله يعطي على الرفقِ ما لا يعطي على العنف**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**ما كان الحلمُ في شيءٍ إلا زانهُ، وما كان العنفُ في شيء إلا شانهُ**، وقد قمتُ بتوفيق الله وفضله بجمعِ هذه الفوائد والحِكَم التي هي أغلى من الجواهر والأزهار، وعملًا بما تقدّم من الآية وحديثي رسول الله صلى الله عليه وسلم، أردتُ أن تبقى هذه الحِكَم والمواعظ والإرشادات والمسائل والتنبيهات التي استقيناها من بحار الإمام الهرري رضي الله عنه تذكرةً للأمَّة وموعظةً لرجالها ونسائها وشبابها وشاباتها والناشئة من أبنائها، فلعلَّنا وإيَّاهم نندفع إلى الأحسن ونعمل بالأفضل ونروم المعالي ونرقى إلى الكمالات، وما أحوجنا في عصرنا وأيامنا الصعبة العصيبة التي تمرُّ على الأمة جمعاء إلى التمسّك بالحكمة والموعظة الحسنة.. ولتبقى هذه الوصايا مادةً جاهزةً مرتبةً مهيَّأةً بين أيدي المشايخ والأساتذة والدعاة والمعلّمين والمعلمات، نربّي عليها الأجيال لتكون أهلًا لحمل هموم الأمة والقيام بمصالحها مع التمسكِ بالفضائل والتخلّي عن الرذائل.

أسأل الله العليَّ القدير أن ينفعني وأهلي وأولادي وأحفادي وإخوتي وإخواني وأحبابي والمسلمين بهذه النفحات الزكية والإرشادات الإيمانية، وأساله سبحانه أن يجعل ذلك في صحيفتي وفي ميزاني وميزان من عاونني فيه، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، والحمد لله أولًا وءاخرًا وأبدًا، والصلاة والسلام على نبينا المصطفى.

تمَّ والحمد لله

في الثاني والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة 1437هـ

المكتبة العبدرية الأشعرية . بيروت

بيان أهمية علم التوحيد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد طه الأمين وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن اتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضدَّ ولا ندَّ ولا زوجة ولا ولد له، ولا شبيه ولا مثيل له، ولا جسم ولا حجم ولا جسد ولا جثة له، ولا صورة ولا أعضاء ولا كيفية ولا كمية له، ولا أين ولا جهة ولا حيز ولا مكان له، كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ 74﴾ [سورة النحل]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ 60﴾ [سورة النحل]، تنزه ربي عن الجلوس والقعود، وعن الحركة والسكون، وعن الاتصال والانفصال، لا يحل فيه شىء، ولا ينحل منه شىء، ولا يحل هو في شىء لأنه ليس كمثله شىء، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر. وأشهد أنَّ حبيبنا وعظيمنا وقائدنا وقرة أعيننا محمدًا عبده ورسوله، ونبيه وصفيه وحبيبه وخليله ﷺ وعلى كلِّ رسول أرسله. الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا حبيب الله، الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا عظيم الجاه، ضاقت حيلتنا وأنت وسيلتنا، أدركنا وأغثنا وأنقذنا بإذن الله يا رسول الله، أما بعد عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله في السرِّ والعلن، ألا فاتقوه وخافوه، يقول الله عزَّ وجلَّ في القرءان الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة ءال عمران]، ويقول الله عزَّ وجلَّ:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [سورة الأنبياء]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ 163﴾ [سورة البقرة]، وقال تقدست أسماؤه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ١٩﴾ [سورة محمد]. وقد بوَّب البخاري رحمه الله تعالى وعنوَنَ في صحيحه لهذه الآية فقال: باب العلم قبل العلم والعمل، وفي هذه الآية قدَّم القرءانُ الأصلَ على الفرع، ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ١٩﴾ [سورة محمد]؛ فالإيمان والتوحيد أصل وأساس وهو الحصن الحصين والركن الركين الذي بدونه لا يقبل العمل

الصالح، ولذلك قال رسول الله ﷺ: **«أفضل الأعمال إيمانٌ بالله ورسوله»**، وهذه الأفضلية المطلقة، فأفضل الأعمال على الإطلاق الإيمان بالله ورسوله، فهو أفضل من الصلاة والصيام والزكاة والحج، وأفضل من قراءة القرءان والصدقات والذكر، وذلك لأنَّ الإيمان شرطٌ أساسٌ لا بد منه لقبول الأعمال الصالحة، وقد قال ربنا في القرءان الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ277﴾ [سورة البقرة]، فالإيمان أولًا، وفي ءايةٍ أخرى قال: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ 9﴾ [سورة الإسراء]، وقال ﷺ: **«أفضل الأعمال إيمانٌ لا شكَّ فيه»**، فإذا دخل عليه الشكُّ أفسده وأبطله، فلا يعود ولا يبقى الإنسان مؤمنًا إن شكَّ في وجود الله تعالى أو في صدق الرسول ﷺ أو في حَقِّيَّة الإسلام، أو شكَّ في تنزيه الله، فهذا لا يكون من المسلمين، لذلك قال ربنا في صفة المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ 15﴾ [سورة الحجرات] أي لم يشكوا لأنَّ الإيمان إذا دخل عليه الشك أفسده؛ من هنا كان الواجب والفرض اللازم المؤكد الأول الإيمان بالله ورسوله، وهذا منهجٌ نبويٌّ وليس منهجًا مستحدثًا اليوم، وليس فكرةً ابتدعناها من عند أنفسنا وأخرجناها من جيوبنا، إنما هذا هو المنهج الذي جاء به محمد وعلَّمه ﷺ لصحابته وأمته.

وقد ثبتَ في الصحيح أنَّ أهل اليمن جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا له: «يا رسول الله، جئناك لنتفقه في الدين، فأنبئنا عن بدء هذا الأمر ما كان»، فكان سؤالهم عن أول المخلوقات، أي عن أول هذا العالم وجودًا، وهو سؤالٌ مهم، إلا أن رسول الله ﷺ أجابهم عما هو أهم، أجابهم عن الأولى فقال ﷺ: **«كان الله ولم يكن شىء غيره»**، أي في الأزل لم يكن إلا الله، لا سماء ولا أرض ولا هواء ولا ماء ولا عرش ولا فرش، لا خلاء ولا ملاء، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ ٣﴾ [سورة الحديد]، **فعلمهم** الرسول ﷺ ذلك وأكده عليهم مع أنهم يعتقدونه لأنهم كانوا من المسلمين ويعرفون التنزيه، مع هذا علَّمَنا المنهج، سألوا عن مهم فأجابهم عن أهم. وقوله ﷺ: **«كان الله ولم يكن شىء غيره»** يعني أن الله أزلي، أي أن الله لا مكان له فلا يسكن السماء ولا يجلس على العرش، ليس في

جهةٍ واحدةٍ ولا في كل الجهات، فهو تعالى لا يحتاج إلى الأماكن أزلًا وأبدًا، هذا هو المنهج النبوي، وهذا تعليم الرسول ﷺ للأمة. ثم قال ﷺ: «**وكان عرشه على الماء**»، أي أنَّ الماء هو أول العالم حدوثًا ووجودًا، ثم بعد ذلك خُلِقَ العرشُ.

وانظر أخي القارئ إلى ما قاله حذيفة رضي الله عنه وأرضاه: «إنا قومٌ أوتينا الإيمان قبل أن نؤتى القرءان»، رواه البيهقي في السنن الكبرى وسعيد ابن منصور في سننه. وقال سيدنا جندب بن عبد الله رضي الله عنه: «كنا غلمان حزاورة مع رسول الله فيعلمنا الإيمان قبل القرءان ثم يعلمنا القرءان فازددنا به إيمانًا»، رواه البخاري في التاريخ الكبير وابن ماجه في سننه والبيهقي في السنن الكبرى والبوصيري في زوائد ابن ماجه وقال: «إسناده صحيح». هذا هو المنهج النبوي الصحيح.

ورُوي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: «كنا نتعلم التوحيد قبل أن نتعلم القرءان، وأنتم الآن تتعلمون القرءان ثم تتعلمون التوحيد»، وقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه هذا كان خطابًا للذين كانوا في زمانه، فكيف بكثير من أهل زماننا اليوم الذين أعرضوا عن تعلم علم التوحيد والعقيدة، وهذا هلاك كبير. وفي قوله رضي الله عنه «كنا» يشير إلى نفسه وإلى غيره من الصحابة، وفيه إشارةٌ إلى أن الصواب هو ما كانوا عليه، فهذا تأكيد منه رضي الله عنه على أهمية علم التوحيد.

وانظر رحمك الله إلى ما صنفه التابعي الجليل الإمام العظيم أبو حنيفة النعمان رضي عنه من رسائل في هذا العلم الشريف، فقد ألَّف في علم التوحيد خمس رسائلَ، وقال في كتابه الفقه الأبسط: «الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام»، يعني أن تتعلم أصول العقيدة أفضل من تعلم الأحكام الفرعية. وهذا الإمام أبو حنيفة بلغ درجة الاجتهاد المطلق، ثم إنه كان تلميذ الصحابة، وأخذ العلمَ عن قريب المائة تابعي، فتأمل.

فهذا ما جاء في القرءان وما جاء في الحديث وما ورد عن

الصحابة والتابعين. وقد سلك العلماء بعد التابعين مسلك من قبلهم، فانظر إلى ما جاء في كتاب «الفتاوى البزازية» أو الجامع الوجيز في مذهب أبي حنيفة للعلامة محمد بن محمد شهاب الدين يوسف الكردي البزازي الذي كان من علماء القرن التاسع الهجري، فقد قال رحمه الله: «تعليم صفة الخالق مولانا جلَّ جلاله للناس وبيان خصائص مذهب أهل السنة والجماعة من أهم الأمور، وعلى الذين تصدروا للوعظ أن يلقنوا الناس في مجالسهم وعلى منابرهم ذلك، هذا الأصل في المجالس وعلى المنابر، هذا الأصل». وانظروا إلى ما قاله الفقيه الشافعي أبو حامد الغزالي في كتابه قواعد العقائد بعد أن تكلم عن مبحث الصفات والعقيدة والتنزيه والتوحيد: «اعلم أنَّ ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم للصبي في أول نشأته ليحفظه حفظًا»، والصبي هو من كان دون البلوغ.

فأين الذين ينتقدون أهل الحق ويعترضون عليهم في تكرارهم لأمور العقيدة من هذا الكلام؟ عمَّ الجهل وطمَّ وانتشر الفساد، وصار أهل السنة والجماعة كاليتيم الذي لا كافل له، فتخيل أخي القارئ يتيمًا لا كافلَ له كيف يكون حاله وأمره.

ومن مسائل علم العقيدة معرفة صفات الله تعالى الواجبة له إجماعًا وهي الصفات الثلاث عشرة التي لطالما تكرَّر ذكرها في مصنفات العلماء، ولما تكرَّر ذكرها في القرءان والحديث ونصوص العلماء قال العلماء: «يجب معرفتها وجوبًا عينيًّا» على كل مكلف، والوجوب في هذه المسألة هو معرفة معناها لا أن تُحفظ عين الألفاظ، وهذا سهل ـ أي اعتقاد المعنى ـ فهذا فرضٌ على كل مكلفٍ، وممن ذكر ذلك أبو حنيفة الذي هو من أئمة السلف وممن بعده السنوسي، وكذلك محمد الفضالي الشافعي وعبد المجيد الشرنوبي المالكي، وكذلك جمال الدين الخوارزمي، ومحيي الدين النووي في كتابه المقاصد، ومفتي لبنان الأسبق الشيخ عبد الباسط بن علي الفاخوري في كتابه الكفاية لذوي العناية وغيرهم من العلماء.

وصفات الله الثلاث عشرة الواجبة له إجماعًا هي:

الوجود، فالله تعالى يستحيل عليه تعالى العدم، موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا جهة ولا مكان، ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾ [سورة إبراهيم]، أي لا شكَّ في وجوده سبحانه، ووجوده تعالى أزلي أبدي ليس كوجودنا الحادث، فوجودنا بإيجاد الله لنا.

الوحدانية، أي أنَّ الله تعالى واحدٌ لا شريك له، فهو تعالى واحدٌ في ذاته وصفاته وفعله؛ قال عزَّ من قائل :﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [سورة الإخلاص].

القيام بالنفس، أي أنه تعالى مستغنٍ عن كلِّ ماسواه، وكلُّ ما سواه محتاج إليه، فالعالم بما فيه لا يستغني عن الله طرفة عين، قال عزَّ وجلَّ:﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢﴾ [سورة الإخلاص].

القِدَم، بكسر القاف وفتح الدال، أي الأزلية، أي أنَّ الله تعالى لا ابتداء لوجوده، فيستحيل عليه تعالى الحدوث؛ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ 3﴾ [سورة الحديد].

البقاء، أي أنَّ الله تعالى لا نهاية لوجوده، لا يفنى ولا يبيد ولا يهلك ولا يزول فيستحيل عليه الفناء، قال جلَّ جلاله: ﴿وَٱلۡأٓخِرُ 3﴾ [سورة الحديد].

القدرة، وهي صفة أزليةٌ أبدية يؤثر الله بها في الممكنات، فيستحيل عليه تعالى العجز، قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥﴾ [سورة الكهف].

الإرادة، أي المشيئة، وهي تخصيص الممكن العقلي ببعض ما يجوز عليه دون بعض وبصفةٍ دون أخرى، فيستحيل حصول شيء خلاف مشيئته تعالى، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ٢٩﴾ [سورة التكوير].

السمع، فالله تعالى يسمع كلَّ المسموعات بدون أذن ولا ءالةٍ أخرى، فيستحيل عليه تعالى الصمم، قال تعالى :﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ 11﴾ [سورة الشورى].

البصر، فالله تعالى يرى جميع المرئيات بدون حدقةٍ ولا ءالةٍ

أخرى، فيستحيل عليه تعالى العمى، قال تعالى: ﴿ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[سورة الشورى].

الكلام، أي أنَّ الله متكلم بكلام ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، وما نجده في القرءان من ألفاظٍ عربيةٍ إنما هو عبارةٌ عن كلام الله الذاتي الأزلي وليس عين الصفة القائمة بذاته الكريم، قال تعالى:﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا١٦٤﴾ [سورة النساء].

الحياة، فالله تعالى حيٌّ يستحيل عليه تعالى الموت، وحياته ليست بروح ودم وعصب، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ 255﴾ [سورة البقرة].

العلم، أي أنَّ الله تعالى عالمٌ بكل شىء، فهو تعالى يعلم الممكن ممكنًا والمستحيل مستحيلًا والواجب واجبًا، فيستحيل عليه تعالى الجهل، قال عزَّ من قائل: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [سورة الحديد]. وعلمه تعالى أزليٌّ أبدي لا يزيد ولا ينقص ولا يتجدد.

المخالفة للحوادث، أي أنَّ الله تعالى لا يشبه شيئًا من كلِّ مخلوقاته بالمرة ولا بأي وجهٍ من الوجوه، ولا بأيِّ صفةٍ من الصفات، يقول الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ 11﴾ [سورة الشورى]. وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر».

هذه عقيدة كل المسلمين، عقيدة جميع الأنبياء والرسل، عقيدة الصحابة، وعقيدة السلف والخلف، فمن شكَّ أو توقَّف أو أنكر صفةً من صفات الله فهو كافرٌ بالله تعالى كما ذكر ذلك أبو حنيفة رضي الله عنه، وقال سيدنا عليٌّ رضي الله عنه: «من زعم أنَّ إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود»، ومن جهل الله كان كافرًا به. وقد قال سيدنا علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري: «الجهل بالله كفر به»، فالذي ينسب لله الحدَّ صغيرًا كان أم كبيرًا أو ينسب لله الكمية أو الجسم أو الشكل أو الصورة أو الهيئة ليس مسلمًا. وقد نقل الإمام عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي أبو منصور في كتابه تفسير الأسماء والصفات الإجماع على كفر المجسمة وعلى كفر القدرية الذين يكذبون بالقدر.

وبعد كلِّ ما نقلناه من ءاياتٍ قرءانية وأحاديث نبويةٍ وأقوالٍ للعلماء

كيف يسعنا السكوت عن تعليم الناس أمور دينهم أو أن نقصِّر في نشر علم التوحيد والتنزيه الذي هو الأصل والأساس.

وأختم بما قاله الرازي في كتابه مناقب الشافعي، قال رحمه الله: «من أنكر وذمَّ وأبغض علم الكلام ـ يعني أصول العقيدة ـ فهو كافر»، وهذا نصٌّ صريحٌ من الإمام الرازي في تكفيره، بل وزاد قائلًا: «كافر لا يعرفُ اللهَ ولا يعرف الرسولَ ولا اليوم الآخر، وهو على دين ءازر» أي مشرك بالله، فهاك ما قاله الرازي فيمن يذم علم التوحيد علم العقيدة والتنزيه، فلا تلتفتوا إلى الغوغاء الأراجيف الذين يهولون الأمر ويقولون: «لا تتكلموا في التوحيد، لا تتكلموا في العقيدة، العلماء ذموا علم الكلام»، قولوا لهم: كذبتم، العلماء ذموا المعتزلة والمجسمة والقدرية والمرجئة وأهل الأهواء، أما علم التوحيد فقد قال فيه الشافعي: «أحكمنا ذلك قبل هذا»، أي أتقن علم التوحيد قبل علم الفقه والفروع. هذا الشافعي وهذا أبو حنيفة وهذا حذيفة وهذا جندب وهذا عبد الله بن عمر وهذه الأحاديث وهذا الإجماع الذي نقله العلماء على أهمية تعلم علمِ العقيدةِ علمِ الكلام الذي اشتغل به علماء أهل السنة والجماعة، فماذا يريد المعارضون بعد ذلك؟

تمكنوا في علم التوحيد ، تمكنوا في علم العقيدة، فإنَّ من لم يعرف التنزيه والتوحيد لم يعرف الله، ومن لم يعرف الله ليس من المسلمين، ومن لم يكن مسلمًا لا تصحُّ منه صلاة ولا صيام ولا حج، ومن مات على غير الإسلام فإنه يخلد في النار، اللهم إنّا نسألك العفو والعافية في الدّين والدّنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على أشرف المرسلين سيدنا محمدٍ ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدّين.

فهرست الموضوعات

KFGQPC Uthmanic Script HAFS

QCF_P484